سلسلة الكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

المجلد الثامن عشر:
(175 - 171)

الفرق الضالة خطر متجدد

43 على خلفية دعوة السبسي.. هل انتصر الفكر النسوي في تونس؟

47 «المُنشَقُّون» تنقيب عن مفهوم الخوارج

52 المسجد الأقصى.. المعيار الأدق لحال الأمة

المحتويات

فاتحة القول

◄ الفِرق الضالة.. خطرٌ متجددٌ ٢

فرق ومذاهب

◄ حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج (٥): عملية اغتيال السادات ..... أسامة شحادة ٥

سطور من الذاكرة

◄ ثورات الخوارج (١١): خروج ابني أديّة: عروة ومرداس ..... هيثم الكسواني ١١

دراســــــــات

◄ مظلومية أهل السنة في إيران (٤): المظلومية الدينية ..... ماجد العباسي ١٥

◄ أثر العامل الديني على العلاقات العُمانية الإيرانية ..... بوزيدي يحيى ١٧

◄ أمريكا وإيران.. وعند اللوبي الخبر اليقين! ..... أسامة الهتيمي ٢٤

◄ الحوثيون.. قراءة في التكوين النفسي ..... حِمير الحوري ٣٢

◄ زيارة كبير أساقفة كانتربري للسودان.. تجديد المشروع التنصيري بعد انفصال الجنوب ..... محمد خليفة صديق ٣٦

◄ على خلفية دعوة السبسي.. هل انتصر الفكر النسوي في تونس؟ ..... فاطمة عبد الرؤوف ٤٣

كتاب الشهر

◄ كتاب «المُنشَقُّون» ..... عرض: أسامة شحادة ٤٧

قالوا

◄ ٥٠

جولة الصحافة

◄ المسجد الأقصى.. المعيار الأدق لحال الأمة - ١ ..... محمد عياش الكبيسي ٥٢

◄ المسجد الأقصى.. المعيار الأدق لحال الأمة - ٢ ..... محمد عياش الكبيسي ٥٣

◄ «فيلق القدس» ومكافحة الإرهاب! ..... عايد الشمري ٥٤

◄ نفوذ إيران ينحسر في طاجيكستان ..... محمد عباس ناجي ٥٥

◄ الحزام البري الإيراني ينذر بحرب طائفية في المنطقة ..... أحمد جمعة ٥٧

◄ عن جدار تركيا على الحدود مع إيران ..... علي حسين باكير ٥٩

◄ لماذا يُبغض أغلب المسلمين حكام إيران؟؟؟ ..... خالد الخالدي ٦٠

◄ خلل الإفراط والتفريط: حماس نموذجًا ..... أسامة شحادة ٦٢

◄ صراع روحاني مع الحرس الثوري.. اقتصادي بواجهة سياسية ..... محمد السلمي ٦٣

◄ فيما تعود سوريا إلى لبنان ..... نديم قطيش ٦٥

◄ تهديد نصر الله الجديد «الفاضح»! ..... ياسر الزعاترة ٦٧

◄ تدويل الحج ..... بسام العموش ٦٨

◄ هذه أبرز صور التنافس الأمريكي الإيراني على النفوذ بالعراق ..... مصطفى الدليمي ٦٩

◄ من صوفها اكتفها ..... فراس الزوبعي ٧١

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٧١)
ذو الحجة (١٤٣٨هـ)

www.alrased.net
info@alrased.net

الفِرق الضالة.. خطرٌ متجددٌ

لا يزال التيار الإسلامي يقع في مطبّات متكررة! بسبب تنكّبه منهج العلم السليم والعمل؛ تبعًا للعواطف والظنون!

ولذلك من القواعد الكبرى التي أدركها السلف: ما عبّر عنه الحسن البصري بقوله: «العامل على غير علم كالسائر على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا يضر بترك العبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا يضر بترك العلم، فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلّهم على ما فعلوا»، وهو هنا يعني: الخوارج.

وبسبب الحركة والعمل بدون علمٍ كافٍ أو علم صحيح اغترّ كثير من الناس بتنظيم القاعدة وأخواته كداعش؛ حيث أيدها وتعاطف معها قطاع واسع؛ اغترارًا بالشعارات البراقة والمواد الإعلامية الاحترافية؛ من الأناشيد، والاستعراضات العسكرية، في تغاضٍ عن محاكمة هذه التنظيمات لأفكارها الغالية والمتطرفة أو لواقعها الأسود في الكثير من البلاد، حتى سالت بسببها سيول من دماء الأبرياء والشرفاء، وضاعت -بسببها- لصالح الأعداء الكثير من المكاسب والإنجازات؛ التي بذل في تحصيلها آلاف الأرواح المباركة -بإذن الله-.

كما وجدنا -بسبب خلل العلم والعمل على غير هدى- انخداع قطاع واسع من التيار الإسلامي بالشيعة على مدى عقود طويلة، وقد تسبب ذلك بكوارث كثيرة على واقع المسلمين! ولعل من أبرز النماذج على هذا الانخداع بالشيعة: اعتراف الشيخ القرضاوي والدكتور النفيسي بذلك، وإعلانهما البراءة من تأييد الشيعة وكذبتهم (التقريب والوحدة بين السنة والشيعة)!

والعجيب: أن ينخدع رموز كبيرة وتيار واسع بمثل هذه الفرق الضالة والمناهج المنحرفة! برغم التحذير النبوي من خطر هذه الفرق والانحرافات على سبيل أمة الإسلام:

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه **قال:** كنّا جلوسًا ننتظر رسول الله ﷺ، فخرج علينا من بعض بيوت نسائه.

قال: فقمنا معه، فانقطعت نعله؛ فتخلف عليها علي يخصفها، فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه، ثم قام ينتظره، وقمنا معه، فقال: «**إنَّ مِنكم من يُقاتل على تأويل هذا القرآن كما قَاتلتُ على تَنزيله**»، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر، فقال: «**لا، ولكنَّه خَاصفُ النَّعل**»، رواه أحمد، وصحّحه الألباني.

فالنبي ﷺ يخبرنا: أن القتال مع أعداء الإسلام سيكون دفاعًا عن تنزيل القرآن، ودفاعًا عن تأويل القرآن، فالمشركون والفرس والروم حاربوا الإسلام والمسلمين منكرين الرسالة والنبوة والوحي والقرآن، وهذا قتال قاده النبي ﷺ وخلَفه فيه أبو بكر وعمر وبقية الخلفاء والأمراء، وهو قتال مع الكفار الأصليين.

وقتال آخر حول تأويل القرآن والإسلام مع من يدّعون الإسلام؛ من المنافقين والفرق الضالة، وتجسد أول ما تجسد في: قتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع الخوارج، ومن ثم خاضت الأمة معارك طويلة وعديدة مع فرق أخرى؛ كالقرامطة والعبيديين والصفويين والنصيريين وغيرهم.

وفي عصرنا الحاضر: تخوض أمتنا كلتا المعركتين معًا: معركة

التنزيل وصحة وسلامة الوحي الرباني؛ مع تيارات العلمنة والإلحاد والمستشرقين وأفراخهم، ومعركة التأويل؛ مع موجات التطرف والغلو والتشيع والتأويل العلماني الحداثي والباطني والفرق الضالة؛ كالقرآنيين، والفرق الكافرة؛ كالبهائية والقاديانية، وغيرهم.

ولكن معركة التأويل الباطل للقرآن والإسلام مع الخوارج والشيعة لا تقتصر على العدوان الفكري عبر منظوماتهم الدعائية والإعلامية، بل هم في نفس الوقت يشنون عدوانًا دمويًّا على أمة الإسلام، طال عددًا من الدول.

ومنذ عدة سنوات قُتل نتيجة عدوانهم ما يزيد عن مليون من المسلمين، بخلاف ملايين الجرحى والمصابين والأيتام والأرامل والنازحين والمهجّرين.

إن ما قام به الشيعة والخوارج من عدوانٍ بشعٍ على الثورتين العراقية والسورية هو عدوان مشترك، وتتمثل خطوطه الكبرى في ما يلي:

١ - تكفير عموم المسلمين هناك بسبب عدم اتباعهم لهم، فمن لم يصدّق بخليفة الدواعش البغدادي؛ كفّروه! ومن لم يؤمن بإمامة مهدي الشيعة الخرافي؛ كفّروه!

٢ - قتل عموم الناس لذلك السبب؛ بالمتفجرات والقنابل والاغتيالات والاحتلال والتعذيب.

٣ - التدمير المقصود والممنهج لمدن المسلمين، وبُنيتها التحتية.

٤ - التهجير القسري للناس من مدنهم وبيوتهم؛ لتغيير التركيبة السكانية وتوزيعها.

٥ - استقطاب بعض الناس لمنهجهم المنحرف والضال؛ وخاصة من الصغار والفقراء.

٦ - تكوين تنظيمات تكفيرية وإرهابية ممن استقطبوهم في كل بلدٍ وصلوه.

وإن هذا العدوان من الشيعة والخوارج على أمة الإسلام سيستمر منهم في كل زمان ومكان؛ بحسب قوتهم وقدرتهم، وهذه هي حقيقة معتقدهم وموقفهم من المسلمين.

وإن استمرار التيار الإسلامي في التعاطف والتهادن، والتعامل مع هذه الفرق الضالة، وعدم اعتماد منهج العلم الصحيح في محاكمة هذه الفرق إلى عقائدها الحقيقية في التاريخ والواقع، وإلى واقعها الأسود في القديم والحديث؛ لن ينتج عنه إلا توالي الكوارث والمصائب!

وإن بقاء بعض السلفيين في عماية وجهل عن سجل كوارث تنظيمات العنف والغلو في القديم والحاضر؛ على مستوى الأفكار أو الجرائم الإرهابية، هو بسبب: انخداعهم ببعض المفترين والمنحرفين؛ كالمقدسي والفلسطيني والمحيسني والظواهري وغيرهم، ولن يستفيقوا إلا بعد وقوع الكوارث وإسالة الدماء، وتضييع الجهاد، وتشويه الإسلام، والتضييق على الدعوة، وتمكين العلمانية!

ومن هنا؛ فإن معرفة ضلال هذه التنظيمات وغلوّها، وانحرافها في التكفير واستحلال الدماء، وحقيقة إجرامها في كثير من الساحات هي: السبيل لقطع الانغرار بهم مستقبلًا، فلا يجوز لمن يدّعي نهج السلف الانخداع بالسفهاء والحدثاء في كل مرة ومع كل أزمة تواجه الأمة! ونبقى نقع في فخ الجواسيس من أمثال: أبي القعقاع قولا غاصي أو أبي محمد الجولاني.

أما إخواننا في جماعة الإخوان المسلمين؛ فكفاكم انخداعًا أو تلاعبًا في قضية العلاقة بالشيعة وإيران! فقد شاهدتم جرائمهم بحق المسلمين -عمومًا- وبحق أفرادكم، فمن تأييد إيران للأسد الهالك ضدكم في حماة (١٩٨٢)، إلى تزعّم محاربة الثورة السورية وتجييش كل المليشيات الشيعية الطائفية للقتال وارتكاب أبشع المجازر بحق الأبرياء.

أما في العراق؛ فقد أدار الولي الفقيه حربًا طائفية وحشية ضد

سنة العراق؛ عبر أذنابه في الحشد الشعبي والمليشيات الشيعية من قبل.

وفي مصر؛ سرعان ما غدر بكم الملالي، وأيّدوا الإطاحة بحكم الرئيس مرسي.

ومع ذلك؛ لا يزال بعضكم في العراق يخدم ملالي طهران بكل محبة وإخلاص؛ دون نكير من القيادة!

وفي مصر وغزة لا يزال البعض يرى في عمامة الولي الفقيه حليفًا استراتيجيًّا يستحق المدح والتمجيد بالكذب!

وهناك مواقف غائمة لتنظيماتكم في كثير من الدول تجاه المشروع الشيعي العدواني والتوسعي، ولعل إخوان سوريا وبعض الخليج هم مَن لهم موقف معلن ضد المشروع الشيعي الإيراني، لكن يخرب عليه السكوت عن الموقف الإخواني المالئ للملالي؛ مما يربك المراقب من حقيقة موقف الإخوان من عدوان طهران؟!

فهل من يقتلني وأهلي في العراق وسوريا واليمن والبحرين والسعودية ولبنان، ويسكت عن هجمات اليهود في دمشق، ويعقد صفقات مع الأمريكان ويتحالف مع روسيا؛ التي تقتلني، وتنسّق مع نتياهو.. يصلح أن يكون حليفًا لي في غزة والقاهرة؟!!

إن هذه الفرق من الخوارج والشيعة أضرّت بالمسلمين في هذه السنين القليلة ضررًا فادحًا، لن تتعافى منه الأمة بسهولة؛ خاصة إذا بقي هذا الخلل العلمي في قيادة العمل الإسلامي مستمرًا تجاه هذه الفرق وما يشابهها.

إن الوعي لخطورة معركة التنزيل للقرآن الكريم: شرط لتجاوز المحنة.

إن تاريخ أمتنا مع هذه الفرق: تاريخ أسود بغيض! سواء تاريخ حركات وثورات الخوارج المتكررة عبر الزمن، والتي جعلت وهب بن منبه يحذر من كارثية قوة وعلو الخوارج؛ فقال: «ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض، وقطعت السبل، وقطع الحج عن بيت الله الحرام! وإذن لعاد أمر الإسلام جاهلية؛ حتى يعود الناس يستعينون برؤوس الجبال كما كانوا في الجاهلية».

وقارِن هذا بحال الرقة ودير الزور والموصل.. ماذا حلّ بها لما تمكن منها الدواعش الخوارج؟!

وإن تاريخ أمتنا مع الشيعة: تاريخ يقطر بالدم من خياناتهم وغدرهم؛ فقد احتل القرامطة الكعبة وسرقوا الحجر الأسود، وقتلوا الحُجّاج وعطلوا الحج، والفاطميون العبيديون نشروا الفساد في تونس ثم مصر، وسلّموا بيت المقدس للصليبيين، والصفويون ملؤوا الدنيا ظلمًا وتكفيرًا عندما احتلوا إيران السنية؛ فشيّعوها بالقهر والقتل.

إن خطر الخوارج والشيعة خطر متجدد؛ خاصة في هذه المرحلة التي يستمتع فيها قادة الكفر في العالم بما تقوم به هذه الفرق الضالة من تدمير وتخريب لبلاد الإسلام؛ بما يرفع عنهم التهمة والتبعة.

فهل يعي قادة التيار الإسلامي خطورة ذلك، ويسعون لنصرة دينهم وبلادهم وأنفسهم؛ بالوعي بخطورة الركون والتحالف مع هؤلاء مهما كانت الظروف سيئة، ومهما كانت الأحوال سيئة؟

وقد ثبت أن كل من جرّب التهادن معهم أو التحالف معهم بقصد الاستفادة منهم أو توظيفهم لمصلحته من الجماعات الإسلامية: خرج خسِرًا ومخدوعًا.

وأخيرًا؛ نذكّركم بقوله ﷺ: «لا يُلدغ المؤمن مِن جُحرٍ واحدٍ مَرّتين» متفق عليه.

وكم لُدغتم من الشيعة والخوارج يا قادة الحركات الإسلامية ورموزها؟!

يا معشر العلماء يا ملح البلد.. ما يصلح الملح إذا الملح فسد؟!

حكاية جماعات العنف
من الانحراف إلى فكر الخوارج (٥)

أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر؛ لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة!

وهذه طبيعة الضلال والانحراف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أوَّلها شبرًا، ثم تكثر في الأتباع، حتى تصير أذرعًا، وأميالًا، وفراسخ»[1]، وهذا واقعٌ في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود؛ حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها، بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرِّر تشكيلها!

في هذه السلسلة سنتناول: العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات العنف والقتال، ومن ثم مسار تطورها التاريخي، ومسار تطور انحرافها الفكري، والنتائج الكارثية لها على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخَّمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية.

وسيكون الإطار الزمني والمكاني الذي نتناوله في هذه المقالات هو: منذ انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة)؛ التي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير، مما ولَّد مناخًا مأزومًا، وظهرت فيه ردَّات فعل عنيفة، عُرفت بـ (جماعات الجهاد).

أولًا: الساحة المصرية

٤- عملية اغتيال السادات

عقب الانتهاء من قضية اغتيال الشيخ الذهبي، وصدور حكم الإعدام على شكري مصطفى ورفاقه وتنفيذه في يوم سفر السادات للقدس؛ لم تكن الساحة الإسلامية هادئة أو غائبة، بل كانت تمور وتموج بالكثير من الجماعات والأفراد الناقمين على الدولة؛ والذين يريدون إسقاطها لإقامة دولة الإسلام!

فعبْر مسيرة تيار العنف والقتال منذ سنة (١٩٥٨) تشكّلت مجموعات كثيرة تحمل هذا الفكر، وهي إما بقايا لتنظيمات سابقة لم يقبض على أفرادها، أو قبض عليهم وأفرج عنهم فيما بعد، أو

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٢٥).

لشباب جُدد تأثروا بدعاة قريبين من هذا الفكر مثل: الشيخ طه السماوي، والشيخ رفاعي سرور[1]، وحكايات البطولة التي نسجت حول رموزه!

ومن هنا؛ كانت الساحة في نهاية السبعينيات من القرن الماضي تموج بعدد من التجمعات أو الروافد[2] -على حد تعبير د. محمد مورو-؛ والتي تتبنى فكر العنف، المتمثل في تكفير النظام على الأقل، وضرورة محاربته بالسلاح، اعتمادًا على أدبيات سيد قطب والمودودي، وما تفرع عنها؛ ككتاب صالح سرية «رسالة الإيمان».

لتشكل هذه الروافد المتعددة: (تنظيم الجهاد)؛ الذي سينجح في اغتيال السادات، ثم تدبّ بينه الخلافات؛ فيتفتّت لمكوناته الأولى!

وعمليات القبض والاعتقال للتيار الإسلامي في زمن عبد الناصر لم تُوقف المد الإسلامي، وإن عمليات الاعتقال والمحاكمة لتنظيم صالح سرية ومن بعده تنظيم شكري مصطفي وخطف سلاح حارس السفارة القبرصية لم توقف زحف ونمو جماعات العنف والتطرف، بل زادتها ودفعتها للأمام، فهل كان ذلك بخطأ من السلطات؟ أم كان هذا بدعم وتوجيه خفي من السلطة أو جزء منها؟[3].

وتتمثل هذه الروافد في ثلاثة مكونات أساسية هي: تنظيم محمد عبد السلام فرج، وتنظيم سالم الرحال، وتنظيم الجماعة الإسلامية في الصعيد، وقد أكد ذلك أيمن الظواهري نفسه في حوار مع صحيفة الحياة اللندنية؛ لكنها لم تنشره[4]، حيث لخّص تاريخه وتاريخ مسيرة تنظيم الجهاد فقال: «كانت بدايتي في الحركة الإسلامية في هذه الجماعة التي أتشرف بالانتماء إليها، وكان ذلك في حوالي سنة (١٩٦٦م)، عندما تكونت النواة الأولى لهذه الجماعة بعد مقتل الشهيد سيد قطب ﷺ.

وكان من أعضاء هذه المجموعة: الشهيد يحيى هاشم -الذي كان رئيسًا للنيابة العامة-، والأخ إسماعيل الطنطاوي، والأخ نبيل برعي، ثم نمت هذه المجموعة إلى أن وصلت إلى الحجم الحالي للجماعة.

وانضم إلينا في فترة لاحقة الأخ عصام القمري ﷺ، وبدأ حينئذٍ في النشاط داخل الجيش، ثم مرت أحداث الفنية العسكرية واستشهاد الأخ يحيى هاشم، وقضايا الجهاد في عام (١٩٧٧) و(١٩٧٨)، واستطعنا بفضل الله تجنّب هذه الضربات.

وفي النصف الثاني من سنة (١٩٨٠م) وأوائل (١٩٨١) قمت بالسفر إلى أفغانستان للاطلاع على الأوضاع من قرب هناك، واكتشفت الإمكانيات الهائلة التي يمكن أن تستفيد منها الحركة الإسلامية في ساحة الجهاد الأفغاني، وكل هذا والجماعة تنمو في صمت في الميدانين المدني والعسكري.

ثم جاءت سنة (١٩٨١م)، وتعرضنا في بدايتها لضربة أمنية، عرف على إثرها الأخ عصام القمري، وقبض على بعض رفاقه من الضباط، مثل: الأخ عبد العزيز الجمل والأخ سيد موسى، وغيرهم من الضباط، ولكننا استوعبنا هذه الضربة.

ومع نشاط «الجماعة الإسلامية» واتحادها مع الأخ عبد السلام فرج بدأ التعاون ينمو بيننا وبينهم؛ عن طريق الدكتور عمر

(١) «الإسلام السياسي»، محمد مورو، (ص١٩٩).

(٢) «الإسلام السياسي» (ص٢٠١)، ويوافقه في ذلك ممدوح الشيخ في كتابه «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة»، مكتبة مدبولي، (ص٣٠، ٣٤)، و«موسوعة العنف» (ص٣٤٨).

(٣) «موسوعة العنف» (ص٣٢٣، ٣٤٨).

(٤) منشور في الإنترنت باسم: (حوار الشيخ الظواهري مع جريدة «الحياة»)، (١٤١٤هـ)، موقع «منبر التوحيد والجهاد».

عبد الرحمن، والأخ عبود الزمر، إلى أن جاءت أحداث (١٩٨١م) اغتيال السادات وأحداث أسيوط، وقبض على عدد من إخواننا بسبب الروابط المشتركة بيننا، وأمضينا في السجن ثلاث سنوات، حدث فيها تعارف عن قرب بيننا وبين إخواننا في الجماعات الجهادية، وكان من نتائج ذلك: تلك الثقة العميقة بين الإخوة الذين عاشوا تلك الفترة سويًّا.

وبعد الخروج من السجن؛ بدأنا في تجميع الإخوة من جديد، وقررنا استغلال الساحة الأفغانية لتدريب أعداد ضخمة من الشباب المسلم، وقد وفّقنا الله ﷻ في ذلك توفيقًا كبيرًا».

وسنتناول هذه الروافد بشيء من التفصيل:

١ - تنظيم محمد عبد السلام فرج:

المهندس محمد فرج من مواليد (١٩٥١)، وصاحب كتاب «الفريضة الغائبة»، وهو مهندس كان قد انضم لتنظيم جهاد إسكندرية المتبقي من تنظيم صالح سرية سنة (١٩٧٨) على يد محمد سلامة، ولما تورط بعض أعضاء تنظيم الإسكندرية في قضية القنصلية القبرصية سنة (١٩٧٧)؛ فإن التحقيقات كشفت التنظيم، وتمت تصفيته سنة (١٩٧٩)، فقطع فرج صلته بالتنظيم ورحل إلى لقاهرة، وبدأ العمل مستقلًا لتحقيق فكر الجهاد.

ويبدو أن فرج كان مقتنعًا بفكر الجهاد بشكل عميق؛ حيث كتب رسالته الشهيرة «الفريضة الغائبة»، والتي أصبحت من أهم أدبيات فكر تيار العنف والقتال لوقت طويل، وبدأ بنشرها والدعوة لفكر الجهاد في مساجد منطقة بولاق الدكرور؛ بالخطابة والتدريس والحوارات، واستجاب له عدد من الطلبة.

ثم امتد نشاطه لمناطق مجاورة، واستجاب له طلبة آخرون، منهم: طارق الزمر -الطالب بكلية الزراعة-؛ والذي عرّف فرج على زوج شقيقته عبود الزمر -المقدم بالمخابرات الحربية- سنة (١٩٨٠)، واستطاع التواصل مع بعض المجموعات المتبعثرة من تنظيم جهاد القاهرة المتبقي من تنظيم صالح سرية؛ وخاصة بعد أن قام رئيس التنظيم مصطفى يسري بحل التنظيم بعد اختراقه أمنيًّا[(١)]، ومن هذه المجموعات: مجموعة نبيل المغربي؛ الذي هو ضابط احتياط سابق بالمخابرات الحربية[(٢)].

وهكذا تجمعت هذه المجموعات؛ التي تؤمن بفكر الجهاد والانقلاب العسكري لإقامة دولة الإسلام على يد فرج، ومارست التدريب العسكري لتلك الغاية[(٣)]، وقد أصبح للتنظيم في نهاية سنة (١٩٨٠) حضور كبير وانتشار واسع، وأعضاء كثر تدربوا على السلاح، وتحصل للتنظيم كميات جيدة من السلاح[(٤)].

ونلاحظ في تكوين هذا الرافد أنه: امتداد وتطور للتنظيمات السابقة، وأغلب أعضائه طلبة (شباب صغار السن)، وبعض أعضائه عسكريون؛ يهدف للانقلاب العسكري، أما فكر هذا التنظيم فوضعه شاب صغير السن (كان عمره آنذاك ٢٨ سنة)، **وليس متخصّصًا أو مؤهلًا شرعيًّا وعلميًّا لوضع فكر يقود الأمة!**

وقد قام شيخ الأزهر آنذاك جاد الحق بالرد على هذا الكتاب، وبيان ما فيه من أوهام، وكذلك فعل د. محمد عمارة.

---

(١) «دليل الحركات الإسلامية»، عبد المنعم منيب، (ص٨٤)، «الإسلام السياسي» (ص١٩٥).

(٢) «دليل الحركات الإسلامية» (ص٨٨).

والذي نفّذ عملية مهاجمة محلات روما القبطية للمجوهرات سنة (١٩٨١)، ثم كشف في عملية شراء أسلحة للتنظيم واعتقل قبل اغتيال السادات. «الإسلام السياسي» (ص٢٠٦).

(٣) «الإسلام السياسي» (ص٢٠٣).

(٤) «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص٣٣).

❁ **ويمكن تلخيص أهم التعقبات على فكر فرج فيما يلي:**

أنه لا يفرق بين سعة مفهوم الجهاد؛ الذي يشمل جوانب عديدة ولا يقتصر على مفهوم القتال الضيق الذي ركز عليه فرج!

ومنها: تجنّيه على العلماء والمجاهدين؛ بادعائه ضياع هذه الفريضة.

ومنها: سوء تعامله مع فتاوى ابن تيمية؛ بالاجتزاء والتوجيه غير السليم، وتعميمه الحكم بالردة على جميع حكام العصر، وهذه نتائج طبيعية لشاب مهندس متواضع المعرفة بالعلم الشرعي!

وهذه الأمور ستكون عمدة تراجعات جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية بعد عقدين من الزمان، سالت فيها دماء ألوف الأبرياء، وأدخلت مصر في دوامة حرب أهلية بلا نتيجة؛ سوى التضييق على الدعوة الإسلامية وتمكين العلمانية!

٢ - تنظيم سالم الرحال:

محمد سالم الرحال من مواليد عام (١٩٥٦)، وهو أردني من أصول فلسطينية، ومتأثر بفكر حزب التحرير؛ بتكفير الأنظمة السياسية والدعوة للانقلاب عليها، وكان قد درس في الأزهر بكلية أصول الدين بين سنتي (١٩٧٥-١٩٧٩)، اعتقل لمدة (٦) شهور عقب هروب حسن الهلاوي من السجن، ثم أفرج عنه وتابع دراسة الماجستير.

ولكن بعد سنة في (١٩٨٠) تم ترحيله للأردن بسبب نشاطه في إعداد تنظيم جهادي، ولذلك تم الحكم عليه غيابيًّا فيما بعد بالأشغال الشاقة (١٥) سنة في قضية الجهاد[١].

وقد نجح الرحال في ضم أعضاء كثر، منهم: كمال حبيب، ونبيل نعيم عبد الفتاح لتنظيمه، وذلك بعد نشاط واسع للترويج لفكر التنظيم، واستقطاب الكثير من مجموعات التنظيمات السابقة، وعقب ترحيله تولى كمال حبيب القيادة، وأكمل بناء التنظيم؛ فاستقطب أعضاء جددًا، منهم: مجموعة تنحدر من تنظيم إسماعيل طنطاوي؛ الذي فرّ إلى هولندا بعد انكشاف تنظيم صالح سرية، وهي مجموعة أيمن الظواهري وعصام القمري -الضابط الذي تمكن من تشكيل خلية للتنظيم في الجيش-[٢].

كان للرحال دور مركزي مع محمد عبد السلام فرج في جمع الكثير من المجموعات من عدة محافظات في تنظيم الجهاد[٣].

ونلاحظ على هذا الرافد: نفس الملاحظات -تقريبًا- على رافد تنظيم فرج؛ فهو امتداد وتطور للتنظيمات السابقة، وأغلب أعضائه طلبة (شباب صغار السن)، وبعض أعضائه عسكريون، ويهدف للانقلاب العسكري، وقائد هذا التنظيم: شاب صغير السن (كان عمره آنذاك ٢٣ سنة)، ومتخرج جديد من الأزهر، لكنه **ليس مؤهلًا شرعيًّا وعلميًّا بهذا السن وهذا التحصيل العلمي لوضع فكر يقود الأمة!**

٣ - الجماعة الإسلامية:

نجح محمد عبد السلام فرج باستقطاب قادة الجماعة الإسلامية بجامعات الصعيد لفكره، مثل: كرم زهدي؛ والذي كان مطاردًا من قوات الأمن على خلفية أحداث المنيا الطائفية مع الأقباط[٤]، ومن ثم انضم له ناجح إبراهيم، وعاصم عبد الماجد، وغيرهما[٥].

والجماعة الإسلامية كانت في البداية لجانًا طلابية تتبع

---

(١) «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص٣٧).

(٢) «دليل الحركات الإسلامية» (ص٨٥)، «الإسلام السياسي» (ص٢٠٤).

(٣) «موسوعة العنف» (ص٣٥١).

(٤) «الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة» (ص٢٥١).

(٥) «الإسلام السياسي في مصر»، هالة مصطفى، (ص١٥٠).

إدارة الجامعات باسم: «الجماعة الدينية» ضمن سياسة السادات الرامية لمحاصرة التيار اليساري في الجامعات المصرية، ومن ثم برز بعض الطلبة الملتزمين من خلفيات متنوعة (أنصار السنة، الجمعية الشرعية، وغيرها) في أنشطة هذه الجماعة الدينية في جامعات مختلفة.

ويبدو أن البداية كانت مع المهندس صلاح هاشم؛ الذي دخل جامعة أسيوط سنة (١٩٧٢)، والذي تمكن لاحقًا من قيادة الجماعة الدينية بدلًا من موظفي الجامعة، وحدث مثل ذلك في جامعات أخرى، ولكون سياسة السادات دعمت النشاط الإسلامي فقد تمددت هذه النشاطات بسرعة، ولقيت الدعم من الإدارات الجامعية؛ سواء عبر توفير الدعم والإمكانات للمخيمات الدعوية والمهرجانات والمحاضرات وبقية الأنشطة، أو عبر قبول مطالب الجماعة الإسلامية بمحاربة الاختلاط وفصل الطلبة في المدرجات والأماكن العامة، وحظر الحفلات الغنائية وعرض الأفلام السينمائية في الجامعات!

ومن ثم خاضت الجماعة الإسلامية بجامعة أسيوط الانتخابات الطلابية سنة (١٩٧٨)، وفازت بجميع المقاعد، وكان قد تولى قيادة الجماعة -خلفًا لصلاح هاشم-: ناجح إبراهيم؛ والذي انطلق بالجماعة لخارج أسوار الجامعة، والاحتكاك بالمجتمع.

وأصبح هناك نوع من الرابطة بين هذه الجماعات الدينية في الجامعات، وسيكون لهم صلة بقيادات الإخوان الخارجة من السجون، والتي ستعمل في بعض الجامعات تحت اسم: «الجماعة الإسلامية».

ومن ثم سيكون هناك انشقاق بين هذه الجماعات وقياداتها، وبعضها سيتحول لجماعة الإخوان، مثل: عصام العريان، وعبد المنعم أبو الفتوح، وحلمي الجزار، وأبو العلا ماضي، وغيرهم.

والبعض الآخر سيعرف لاحقًا باسم: «الدعوة السلفية» بالإسكندرية، مثل: محمد إسماعيل المقدم، وأحمد فريد، وسعيد عبد العظيم، ومحمد عبد الفتاح، وياسر برهامي، وأحمد حطيبة.

وقسم ثالث سيحتفظ باسم «الجماعة الإسلامية»، وسيتّحد مع تنظيم الجهاد (محمد فرج، وجماعة سالم الرحال بقيادة كمال حبيب)، ويقوم بعملية اغتيال السادات، ولكن في السجن لاحقًا سينفصلان عن بعضهما البعض، ويأخذ كلًّا منهما طريقه الخاص[(١)].

ومع أخذ الجماعة منحى التطرف والغلو وفكر العنف؛ لجأت لتمويل أنشطتها من خلال مهاجمة محلات الذهب الخاصة بالأقباط؛ حيث قامت بعدد من هذه الهجمات سنة (١٩٨٠)؛ والتي كشف دور الجماعة فيها لاحقًا بعد اغتيال السادات[(٢)].

وعلى غرار التنظيمين السابقين تتكون الجماعة من طلبة جامعيين، وليسوا مؤهلين شرعيًّا لهذه المهام الكبرى، واتخاذ تنظيم الجهاد الشيخ عمر عبد الرحمن مفتيًا له[(٣)] لا يكفي! فهذه القضايا الكبرى التي تتحكم بمصير بلد وشعب بأكمله لا يقوم بها شخص لوحده، وقد كان الفاروق رضي الله عنه يجمع رؤوس الصحابة لمثل هذه القضايا.

---

(١) «اختلاف الإسلاميين»، أحمد سالم، (ص٢٦).

(٢) «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص٤٥)، «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص١٦)، «الجماعة الإسلامية في جامعات مصر»، بدر محمد بدر، وهو يعبر عن رؤية جماعة الإخوان لها، «تجربتي مع الإخوان»، د. السيد عبد الستار، (ص ١٢٤)، وهو يقدم شهادة شخصية متوازنة.

(٣) «الإسلام السياسي في مصر» (ص١٥١)، «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص٥٤)، «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص١٨)، ثم أصبح الشيخ عمر مفتيًا للجماعة الإسلامية عقب الانفصال عن تنظيم الجهاد.

ومراجعات أفراد الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد - أو بعضها على الأقل - بعد ربع قرن تؤكد: **أنهم لم يكونوا مؤهلين شرعًا للقيام بهذه الأنشطة والعمليات**، ولذلك كان عمر عبد الرحمن أفتاهم بصيام شهرين عن حادثة أسيوط وقتل الأبرياء من الشرطة والمدنيين، ومن ثم عرض الجماعة الإسلامية لدفع الدية لمن قتل بسبب عملياتها.

❁ هيكل التنظيم الجديد وخطته:

ومن هذه الروافد تشكل التنظيم الجديد؛ حيث ضم مجلس الشوري: محمد فرج، عبود الزمر، كرم زهدي، ناجح إبراهيم، فؤاد حنفي، علي الشريف، عصام دربالة، عاصم عبد الماجد، حمدي عبد الرحمن، أسامة إبراهيم، طلعت فؤاد.

وكونت ثلاث لجان هي: لجنة العدة، لجنة الدعوة، اللجنة الاقتصادية.

وفي منتصف سنة (١٩٨٠) التقى كرم زهدي بالضابط خالد الإسلامبولي؛ الذي كان يعرفه من قبل في دروس الشيخ طه السماوي، وعرّفه على محمد فرج؛ الذي أقنعه بالتنظيم لأنه مقتنع أصلًا بفكر التطرف والعنف، ومن هنا تبدأ حكاية عملية اغتيال السادات[1].

وتم اعتماد خطة عبود الزمر من مجلس الشورى؛ والتي استغرقت (٣) سنوات لإكمال البناء التنظيمي قبل التحرك.

■ حيث هدفت الخطة إلى:

- إعداد وتدريب عدد معين لمستوى معين.
- مع توفير السلاح اللازم للقيام بعمليات ضد أهداف رئيسة.
- واغتيال قيادات سياسية في الحكم والمعارضة.
- وتفجير ثورة شعبية.
- ثم اختيار مجلس علماء، ومجلس شورى من العلماء؛ ليقود البلد[2].

هذه هي مكونات، وهيكلية، وخطة تنظيم الجهاد؛ الذي قام باغتيال السادات.

وفي الحلقة القادمة - بإذن الله - نتابع مجريات فكرة الاغتيال، وخطواتها، ونتائجها، وتطوراتها على مكونات التنظيم.

❁❁❁

(١) «الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة» (ص٢٥٢)، «الإسلام السياسي» (ص ٢١١)، «الأصولية في العالم العربي»، ريتشارد دكمجيان، (ص١٤٦).
ويشير المؤلف فيه إلى دور محمد الإسلامبولي في تكوين فكر العنف عند أخيه خالد؛ حيث يرى دكمجيان أن محمد الإسلامبولي أحضر معه من الحج «رسائل جهيمان» وأعطاها لشقيقه خالد! وكان جهيمان قد تأثر ببعض أتباع شكري مصطفى!! وهو ما سنفصّله لاحقًا.

(٢) «الإسلام السياسي» (ص٢٠٧).

ثورات الخوارج (١١):
خروج ابني أديّة: عروة ومرداس

هيثم الكسواني - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

كان عبيد الله بن زياد صارمًا في أمر الخوارج كأبيه[١]، وقد اشتدّ عليهم في البصرة بعد خروج طواف بن غلاق عليه مع سبعين من أنصاره، في يوم عيد الفطر من سنة (٥٨هـ)، وكان ذلك هو أول تمرّد للخوارج في البصرة خلال ولاية عبيد الله عليها.

كما كان هذا الخروج شؤمًا عليهم؛ فقد تشدّد عبيد الله في أمرهم بعد ذلك، «فقَتل عددًا كبيرًا منهم، وحبس آخرين، حتى أصبحوا بين مقتول ونزيل في سجون البصرة»[٢].

كانت البصرة -آنذاك- هي مركز الخوارج، ومنها تنطلق ثوراتهم، بعد أن اضمحلّ نشاطهم في الكوفة؛ التي كانت قبل ذلك هي مكان انطلاقهم، ونشأة حركتهم، ومنها انحدر معظم قادتهم ومؤسّسيهم.

وبعد القضاء على طواف وأتباعه من الخوارج انتهج عبيد الله ما يُعرف -حاليًّا- بسياسة «الضربة الاستباقية»، فهو لم يكن ينتظر خروجهم عليه، بل كان هو مَن يبحث عنهم، مستعملًا كل الوسائل[٣].

(١) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٦١١).

(٢) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٨).

(٣) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص٧٣).

وإضافة إلى خشيته من حركاتهم المسلّحة؛ فإنه كان يخشى -أيضًا- من تأثيرهم الفكري على الناس، وحُسن كلامهم، وانخداع العامّة بهم؛ لذلك كان يقول: «أقمَع النفاقَ قبل أن ينجم! لَكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع»[٤].

◙ عروة بن أُديّة:

ويُعتبر قتل عبيد الله بن زياد لعروة بن أُديّة وابنته في العام نفسه (٥٨هـ): أول صِدام بين عبيد الله والخوارج؛ بعد قمع تمرّد طواف.

وعروة هو أحد رموز الخوارج، ويقال: إنّه هو أوّل من حكّم[٥]، أي: أنه هو الذي أطلق شعار: (لا حُكم إلّا لله!)، اعتراضًا على حادثة التحكيم المعروفة بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما، وسيفُه كان أوّل سيف سُلّ من سيوف الخوارج؛ وذلك أنه أقبل على الأشعث بن قيس[٦] فقال: ما هذه الدنيّة يا أشعث؟ وما هذا التحكيم؟ أَشُرْط أحدِكم أوثق من شرط الله -تعالى-! ثم شهر السيف...[٧].

وعروة هو أحد النّاجين من معركة النهروان؛ التي خاضها الخوارج ضدّ الخليفة الرابع: عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه سنة (٣٧ أو

(٤) المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب»، المجلد الثالث، نسخة إلكترونية.
ومعنى (ينجم): أي: يطلع ويظهر، واليراع: القصب.

(٥) المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية، و د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص٧٨).

(٦) صحابي، وهو الذي حَمَل كتاب التحكيم بعد توقيعه من شهود الطرفين، وأخذ يقرؤه على الناس. د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص٧٧).

(٧) المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية، (ص٥٠٦).

٣٨هـ)، وفي أيام خلافة معاوية أُتي به إلى والي العراق زياد بن أبي سفيان، ومعه مولىً له، فسأله زياد عن أبي بكر وعمر ﷺ؛ فقال فيهما خيرًا، ثم سأله عن عثمان وعليّ ﷺ؛ فتولّى عثمان ستّ سنين (أي الشطر الأول من خلافته)، ثم شهد عليه بالكفر، وقال في عليٍّ مثل ذلك، وأنه كان يتولّاه إلى حادثة التحكيم، ثم شهد عليه بالكفر.

وسأله زياد عن معاوية -الخليفة آنذاك-؛ فسبّه عروة سبًّا قبيحًا، ثم سأله عن نفسه؛ فأغلظ عليه القول، فأمر زياد بضرب عنقه، ثم دعا مولاه؛ فقال له: صِف لي أموره؟ فقال: "أأُطنب أم أَختصر؟ فقال: بل اختصر، فقال: ما أتيتُه بطعامٍ في نهارٍ قط، ولا فرشتُ له فراشًا بِليلٍ قط"[(١)]، أي: كناية عن شدّة عبادة عروة، فهو صائم في النهار، قائم في الليل.

وهذا هو حال الخوارج؛ كما وصفه لنا رسول الله ﷺ: **«تَحقرون صلاتَكم مع صلاتِهم، وصيامَكم مع صيامِهم»**، وهو من أسباب انخداع الكثيرين بهم في الماضي والحاضر، ولكن مع شدة العبادة لم يتورع -لجهله وانحرافه!- عن تكفير عثمان وعلي ﷺ، وهما مشهود لهما بالجنة!

لكنّ قتلَ عروة كان خلال ولاية عبيد الله بن زياد على البصرة، وأورد ابن الأثير في تاريخه أن: «سبب قتلِه: أن ابن زياد كان قد خرج في رهانٍ له، فلما جلس ينتظر الخيلَ اجتمع إليه الناسُ وفيهم عروة، فأقبل على ابن زياد يعِظه، وكان ممّا قال له: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[الشعراء:١٢٨-١٣٠]، فلما قال ذلك، ظنّ ابن زياد أنه لم يقل ذلك إلّا ومعه جماعة، فقام وركب وترك رهانه، فقيل لعروة: لَيقتلنّك! فاختفى، فطلبه ابن زياد؛ فهرب وأتى الكوفة، فأُخذ وقُدِم به على ابن زياد، فقَطع يديه ورجليه وقتلَه، وقتَل ابنته»[(٢)].

ويقال: إن سبب قتل ابنة عروة هو: اعتناقها مذهب والدها[(٣)].

وإضافة إلى خشية عبيد الله من استفحال أمر عروة، وإمكانية وجود جماعة تحت إمرته، فقد ذكر بعض المؤرّخين سببين آخرين دفعا عبيد الله لقتله:

الأول: تكفيره لعثمان وعليّ ﷺ -كما مرّ بنا قبل قليل-.

الآخر: مساعدته أخاه مرداسًا على الخروج[(٤)].

وقد أورد البغدادي اعتراف مرداس بذلك خلال قتاله الجيش الأموي: «وددتُ لو كنتُ قبلتُ فيكم قول أخي عروة! فإنه أشار عليّ بالاستعراض[(٥)] لكم كما استعرض قريب وزحاف الناسَ في طرقهم بالسيف، ولكنّي خالفتُها وخالفتُ أخي»[(٦)].

◙ مرداس بن أُديّة:

ومرداس؛ هو الآخر كان من كبار الخوارج كأخيه عروة، يقول ابن الأثير: «وأما أخوه أبو بلال مرداس؛ فكان عابدًا مجتهدًا، عظيم القدر في الخوارج، وشهد صفّين مع عليٍّ؛ فأنكر التحكيم، وشهد النهروان مع الخوارج، وكانت الخوارج كلّها تتولاه»[(٧)].

ولأبي بلال مرداس أشعار في الثناء على الخروج ومدح رؤوس الخوارج؛ كعبد الله بن وهب الراسبي، أورد منها المبرد قوله:

أبعْد ابن وهبٍ ذي النزاهة والتقى
ومَن خاض في تلك الحروب المهالِكا
أُحبّ بقاءً أو أرجي سلامة
وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا

---

(١) المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية، (ص٥٠٦).

(٢) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٨هـ).

(٣) د. علي الصلابي، «الدولة الأموية» (١/ ٢٤٨)، نقلًا عن كتاب «مرويّات خلافة معاوية في تاريخ الطبري» للدكتور خالد الغيث.

(٤) د. علي الصلابي، «الدولة الأموية» (١/ ٢٤٦).

(٥) جاء في بعض المعاجم: استعرض القوم، أي: قَتَلهُم، ولم يُبالِ بِمَن قتل.

(٦) عبد القاهر البغدادي، «الفرق بين الفرق» (ص٩٢).

(٧) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٨هـ).

فيا ربّ سلّم نيّتي وبصيرتي

وهَبْ لي التقى حتى ألاقي أولائكا[1]

وعلى الرغم من منزلته العظيمة عند الخوارج، وتمسّكه بمنهجهم إلّا أنه كان يخالفهم في بعض الأمور، منها: أنه «كان لا يدين بالاستعراض، ويحرّم خروج النساء، ويقول: لا نقاتل إلّا من قاتلَنا»[2].

ومرداس كان أحد الخوارج الذين ملأ بهم عبيد الله سجنَه في البصرة، وعزم على قتلِهم؛ إلّا أنّ السجّان تشفّع له عند عبيد الله (حيث كان زوج مرضعته)؛ لِما رأى مِن كثرة عبادته، وكذلك من وفائه له، إذ كان السجّان يطلق مرداسًا من السجن ليلًا فيعود مع الصبح، وفعل ذلك حتى عندما علِم بنيّة عبيد الله قتل المسجونين، فقبل شفاعته وأخلى سبيل مرداس، وكان عبيد الله قد حبس أبا بلال قبل أن يَقتل أخاه عروة[3].

وتعددت الآراء في سبب خروج مرداس على عبيد الله بن زياد بعد الإفراج عنه، منها: أنه خشي من أن يطلبه عبيد الله ثانية[4]، ومنها: أنه لم يحتمل ما حلّ بإخوانه الخوارج مِن قتلٍ وتنكيل، وقد قال: «إنه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل! والله إن الصبر على هذا لعظيم! وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم! ولكننا ننتبذ عنهم، ولا نجرد سيفًا، ولا نقاتل إلا من قاتلنا»[5].

وعلى إثر ذلك: «خرج مرداس في أربعين رجلًا إلى الأهواز، وكان إذا اجتاز به مالٌ لبيت المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ثم يردّ الباقي، فلما سمع ابن زياد خبرهم بعث إليهم جيشًا عليهم أسلم بن زرعة الكلابي، وكان الجيش ألفي رجل.

فلما وصلوا إلى أبي بلال ناشدهم الله أن يقاتلوه؛ فلم يفعلوا، ودعاهم أسلم إلى معاودة الجماعة؛ فقالوا: أتردّوننا إلى ابن زياد الفاسق؟ فرمى أصحاب أسلم رجلًا من أصحاب أبي بلال؛ فقتلوه، فقال أبو بلال: قد بدؤوكم بالقتال.

فشدّ الخوارج على أسلم وأصحابه شدة رجل واحد؛ فهزموهم، فقدموا البصرة.

فلام ابن زياد أسلم وقال: هزمك أربعون وأنت في ألفين، لا خيرَ فيك! فقال: لأن تلومني وأنا حيّ خيرٌ من أن تثنيَ علي وأنا ميتٌ»[6].

واتخذّ الخوارج انتصارهم في هذه المعركة - التي حدثت في بلدةٍ يُقال لها: آسك - رغم قلّة عددهم: دليلًا على إيمانهم وصحّة منهجهم، وقد خلّدوها شعرًا؛ فقال أحدهم:

أألفا مؤمنٍ منكم زعمتم ... ويقتلُهم بِآسكَ أربعونا

كذبتُم ليس ذاك كما زعمتم ... ولكن الخوارج مؤمنونا

هي الفئة القليلة قد علمتم ... على الفئة الكثيرة يُنصرونا[7]

وقد عاود عبيد الله الكرّة، فأرسل إلى مرداس والخوارج جيشًا جديدًا، مكوّنا من أربعة آلاف جندي، بقيادة عبّاد بن علقمة المازني، وتمكّن الجيش من إلحاق الهزيمة بالخوارج، وقتل مرداس، وجيء برأسه إلى عبيد الله، وكان ذلك في سنة (٦١هـ)[8].

ومما يُذكر: أن عبّادا نفسَه لم ينجُ من القتل بعد ذلك؛ فقد خرج له جماعة من الخوارج؛ فقتلوه في الكوفة[9].

---

(١) المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية.

(٢) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٨هـ).

(٣) المصدر السابق.

(٤) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٩)، نقلًا عن «تاريخ الطبري».

(٥) المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٨هـ).

(٧) المصدر السابق، ود. علي الصلابي، «الدولة الأموية» (١/ ٢٥٢).

(٨) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٩).

(٩) المصدر السابق.

أحدث قتلُ مرداس صدمة لدى الخوارج؛ لمكانته عندهم، وقد رثوه بقصائد منها قول عمران بن حطان:

يا عينُ بكّي لمرداس ومصرعه
يا ربّ مرداس اجعلني كمرداس
أبقيتني هائمًا أبكي لمرزئتي
في منزل موحش من بعد إيناس
أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه
ما الناس بعدك يا مرداس بالناس[1].

المراجع:

١ - الحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية»، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم - بيروت، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

٢ - ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية.

٣ - أبو العباس المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية.

٤ - عبد القاهر البغدادي، «الفرق بين الفرق»، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.

٥ - د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم»، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

٦ - د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ خلال (٣٧-١٣٢هـ)»، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الثانية، (أيار - مايو ٢٠٠٧م).

٧ - د. علي محمد الصلابي، «الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار»، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

❁❁❁

(١) عمران بن حطان - قائل هذه الأبيات - هو نفسه الذي أثنى على ابن ملجم عندما ضرب الخليفة الرابع عليًّا بن أبي طالب ﷺ بالسيف وقَتله، وقال:

يا ضربةً مِن منيبٍ ما أراد بها إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يومًا فأحسبُه أوفى البريّة عند الله ميزانا

مظلومية أهل السنة في إيران (٤): المظلومية الدينية

ماجد العباسي-كاتب من عرب فارس

خاص بـ «الراصد».

يعاني سنة إيران من ظلم كبير يقع عليهم بخصوص دينهم وعبادتهم من قبل نظام الملالي الشيعي الطائفي، ومن مظاهر ذلك:

• تصفية العلماء والدعاة السنة:

بدأت هذه التصفيات والاغتيالات بعد الثورة الإيرانية مباشرة؛ حيث قامت الحكومة باعتقالات عشوائية في صفوف أهل السنة؛ لا سيما العلماء والدعاة منهم في سنتي (١٩٨١ و١٩٨٢م)، بحجة: أنهم ينتمون إلى مجلس شمس الذي كان يرأسه الأستاذ أحمد مفتي زادة والشيخ عبد العزيز البلوشي -رحمهما الله-، وكان ذلك في مناطق عديدة مثل كردستان وبلوشستان وخراسان.

ومن أبرز العلماء والدعاة الذين تمّت تصفيتهم بعد قيام الثورة:

١ - الشيخ عبد العزيز ملا زادة البلوشي: حيث قتل مسمومًا في المستشفى، عام (١٩٨٧)، ويعدّ من أكبر زعماء السنة في إيران، والنائب المنتخب في مجلس الخبراء، وكان له دور بارز في معارضة تقصير الدستور فيما يخص حقوق أهل السنة، وهو من مؤسسي الشورى المركزي لأهل السنة في إيران (شمس)، وأسس مدرسة زاهدان الدينية؛ التي تعتبر حاليًّا أكبر مدرسة دينية أهلية لدى سنة إيران.

٢ - الأستاذ أحمد مفتي زادة: الذي كان من أبرز زعماء السنة والأكراد في إيران، وكان أستاذًا في جامعة طهران، وأصبح من أبرز قيادات الثورة الإسلامية في إيران، وهو المؤسس الحقيقي لأول حركة دينية لأهل السنة في إيران بعد الثورة عرفت باسم: (شمس- شورى المسلمين السنة)، وبسبب مواقفه الصريحة من التوجهات الطائفية لنظام الخميني أطلق عليه النار أثناء إلقائه كلمة في حسينية إرشاد في طهران، ومن ثم تم اعتقاله، وبعد عشر سنوات من السجن أطلق سراحه؛ بعد التأكد من أصابته بمرض عضال! وقد توفي عام (١٩٩٣م) عقب إطلاق سراحه من السجن بشهور قليلة؛ بعد رفض النظام السماح له بالسفر إلى الخارج من أجل العلاج، ومنع النظام تشييع جنازته؛ فدفن بأيدي رجال الحرس الثوري.

٣ - الشيخ محمد صالح ضيائي: من كبار علماء وقادة أهل السنة في جنوب إيران، أسس مدرسة دينية في ميناء بندر عباس حينما رجع من المدينة النبوية؛ حيث كان يَدرس في الحرم المكي، ثم التحق بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتخرج منها في أول دفعة، وقد طلبت منه الاستخبارات الإيرانية إغلاق المعهد الديني الذي أسسه إلا أن الشيخ رفض ذلك، وعندما استفسر عن سبب إصرارهم على إغلاق مدرسته، قيل له: إن الطلبة الذين ترسلهم إلى المدينة المنورة أخطر علينا من صواريخ صدام حسين! وفي عام (١٩٩٤م)، وبعد عدة أيام من التحقيق والتعذيب تم قتله بطريقة فظيعة، وقاموا برمي جثته في الصحراء؛ بعد أن تم تقطيع أوصالها.

٤ - الشيخ الدكتور أحمد ميرين صياد البلوشي: وهو العالم السني الإيراني الوحيد الحائز على شهادة الدكتوراه في علم الحديث

من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وذلك في أول دفعة لها، وبتقدير الممتاز ومرتبة الشرف الأولى، وبعد عودته من المدينة أسس مدرسة دينية في مسقط رأسه (قرية كاروان بمنطقة زرآباد في إقليم بلوشستان)، وبعد أكثر من سنتين تم استدعاؤه من قبل المحكمة الخاصة برجال الدين وحكم عليه بالسجن مدة خمسة عشر عامًا بتهمة الدعوة إلى الوهابية! وفي عام (١٩٩٦م) وبعد خمسة أعوام من السجن أطلق سراحه، وبعد الإفراج عنه سافر إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، قضى خلالها عدة أيام عند أقاربه، وحين عودته إلى إيران تم القبض عليه من قبل استخبارات مطار بندر عباس، وبعد ثلاثة أيام من اعتقاله وجدت جثته مرمية في أحد الميادين بمدينة ميناب الجنوبية.

٥ - الدكتور علي مظفريان: من الأطباء الجراحين المشهورين في مدينة شيراز، تحول من المذهب الشيعي إلى السني في عهد الشاه، وبعد الثورة اشترى بيتًا في شيراز بالتعاون مع عدد من وجهاء أهل السنة من أبناء المدينة، وحوّله إلى مسجد، وصار خطيبًا في المسجد السني الوحيد في مدينة شيراز الكبيرة، وكانت له جهود دعوية مثمرة في رجوع كثير من الشباب الشيعي إلى مذهب السنة، ولكن بعد فترة اعتقل، ومن ثم أُعدم بعد تعرضه لعملية تعذيب رهيبة! وبعد أن أخضعوه لاعترافات تلفزيونية تحت التهديد والتعذيب عام (١٩٩٢).

٦ - الشيخ عبد الملك ملا زادة البلوشي (النجل الأكبر للشيخ عبد العزيز): كان له نشاط دعوي بارز في أوساط الطلبة والمثقفين في إيران، كما كانت له مكانة مرموقة بين القبائل البلوشية -خلفًا لوالده-، سبق أن تم اعتقاله عقب انتصار الثورة الإيرانية ضمن أربعمائة رجل دين ومثقف سني بتهمة: الانتماء إلى حركة (شمس- الشورى المركزي للسنة)، وبعد إطلاق سراحه واصل نشاطاته؛ لا سيما في أوساط الشباب الجامعيين، إلى أن مُنع من التدريس، وأُجبر على الهجرة، واغتيل في مدينة كراتشي الباكستانية عام (١٩٩٦) على يد عناصر من الاستخبارات، وقُتل معه في الحادثة نفسها رفيق دربه الشيخ عبد الناصر جمشيد زهي.

٧ - الشيخ محمد ربيعي: أبرز عالم سني في محافظة كرمانشاه الكردية، وكان إمام وخطيب أكبر جامع لأهل السنة في مدينة كرمانشاه، واغتيل على يد الاستخبارات الإيرانية عام (١٩٩٦م)، وبعد اغتياله شهدت المدينة والمدن السنية المجاورة -كمدينة جوانرود وروانسر- مظاهرات احتجاجية؛ قتل وجرح فيها العشرات من أهل السنة، كما تم اعتقال آخرين.

٨ - الدكتور مولانا عبد العزيز كاظمي بجد: خريج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، اعتقل في عام (١٩٩٦م) من قبل استخبارات الحرس الثوري؛ بعد أن انتقد مسلسلًا تلفزيونيًّا تعرّض للصحابة، وبعد عدة أيام من اعتقاله وجدت جثته مرمية في العراء، وعليها آثار التعذيب.

٩ - الشيخ ناصر سبحاني: من زعماء السنة في كردستان، بسبب رده على كتاب الخميني «الحكومة الإسلامية» اعتقل وأعدم رسميًّا من قبل الحكومة، ومُنع أهله من الصلاة عليه، ولم يسلّموا جثته لأهله؛ الذين لم يعرفوا قبره إلا بعد فترة طويلة.

١٠ - الأخ الداعية والمهتدي أمير الحياوي الأحوازي: الذي ولد في مدينة عبادان وعاش فيها، ثم اهتدى إلى مذهب أهل السنة والجماعة في الجامعة الحكومية بمدينة همدان الإيرانية بسبب تأثره بزملائه السنة، ثم ارتحل في طلب العلم إلى بلوشستان ومنطقة عرب فارس وجزيرة جسم ولنجة؛ التي تزوج بها وتتلمذ على يد علماء السنة هناك، ورجع إلى بلده داعيا إلى الله، واغتيل بالسم في المشفى الحكومي بمدينة قراش بمحافظة فارس، على أيدي المخابرات الإيرانية في سنة (٢٠٠٧).

١١ - الشيخ علي دهواري: الذي تخرج من كلية الحديث بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بتقدير ممتاز، وأسس مدرسة «دار الحديث» في بلدته سراوان بمحافظة بلوشستان، وفي سنة (٢٠٠٨) وحين رجوعه إلى البيت -وهو خارج من المسجد؛ بعد

أن أدى صلاة المغرب - أغتيل الشيخ بتسع طلقات على يد رجال الاستخبارات الإيرانية.

• **هدف النظام الإيراني من هذه الاغتيالات:**

يهدف النظام الإيراني من تصفية علماء السنة إلى: أن يجعل السنة بلا أي قيادة دينية، مما يسهل عليه عملية تشييعهم، وإبعادهم عن التدين والالتزام؛ كما فعل أسلافهم الصفويون الذين استطاعوا بفضل تطبيق هذه السياسة (تصفية العلماء والدعاة وأهل الرأي والمشورة من السنة) عمل تبديل جذري في تركيبة السكان! فبعد أن كان السنة في إيران أكثرية تتجاوز نسبتهم (٨٥%) تحولوا إلى أقلية لا يزيد حجمها عن (٣٠%) من السكان؛ كما هو حاصل الآن.

ومن المضحكات المبكيات - أيضًا -: أن تقوم الحكومة الإيرانية بتنفيذ أحكام الإعدام في حق بعض العلماء والدعاة من السنة، وبعد الاستفسار والتقصي عن أسباب ومبررات هذه الأحكام؛ فإن المحاكم الثورية لا يكون لديها مبرر سوى تهمة: الوهابية! وأخيرًا السلفية - كما يزعمون! -، **والوهابية: اصطلاح لدى الحكومة تطلقه على كل سنّي له نشاط دعوي أو علمي في أوساط السنة؛** خاصة أولئك الذين تخرجوا من الجامعات الإسلامية في المملكة العربية السعودية وغيرها.

هذا بالنسبة للعلماء الذين يقبض عليهم في الداخل، أما الذين استطاعوا الفرار بدينهم وهاجروا إلى الخارج - كباكستان وغيرها من الدول الأخرى -؛ فإن الحكومة لم تكتفِ بمطاردتهم من بيوتهم وإخراجهم من ديارهم، بل تتبّعتهم إلى حيث هاجروا، وقامت بتصفيتهم؛ كالشيخ عبد الملك ملا زاده، وعبد الناصر جمشيد زهي - رحمهما الله -؛ واللذين قُتلا في موطن هجرتهما في باكستان بمدينة كراتشي عام (١٤١٦هـ) - كما سبق ذكره -، حيث اغتيلا بوحشية منقطعة النظير؛ حيث أفرغ في جسد كلًّا منهما (٩٠) طلقة! إضافة إلى الطلقة الأخيرة والتي اعتادت المخابرات الإيرانية أن تجعلها في الرأس للتأكد من موت القتيل.

أثر العامل الديني على العلاقات العُمانية الإيرانية

بوزيدي يحيى - كاتب وباحث جزائري

خاص بـ «الراصد».

انفردت سلطنة عُمان بعلاقة متميزة مع إيران مقارنة بدول الخليج الأخرى، فلم تتأثر بوصول الثورة الإسلامية إلى الحكم؛ على عكس العديد من العلاقات الإيرانية مع الدول العربية والخليجية منها على وجه التحديد[(١)].

فقد حافظت عُمان على علاقاتها بإيران؛ رغم العداء المتنامي ضد طهران في المنطقة، وعلى الصعيد العالمي على حد سواء، وحتى بعد اندلاع الحرب العراقية - الإيرانية في (١٩٨٠)، والتي استمرت نحو عقد من الزمن وساندت دول الخليج خلالها العراق؛ استمرت العلاقات العمانية الإيرانية دون انقطاع[(٢)].

وخلال العقود الأربعة من عمر النظام الإيراني لم تشهد العلاقات بين البلدين صراعات حادة؛ باستثناء بعض الأزمات العابرة التي سرعان ما تزول لتعود العلاقات إلى سابق عهدها[(٣)]، ولم تنقطع رغم العواصف الكثيرة التي مرّت على منطقة الخليج[(٤)]،

(١) محمد الشحري، (الدور العماني في الاتفاق النووي الإيراني)، «رأي اليوم»، (٤/ ١٢/ ٢٠١٣)، على الرابط: http://www.raialyoum.com/?p=٢٧٦٩٤

(٢) بسمة مبارك سعيد، (قراءة في رؤية عمان لقضيتي التقارب مع إيران والاتحاد الخليجي)، «مركز الجزيرة للدراسات»، (٨/ ١/ ٢٠١٤)، (ص٣).

(٣) تسببت حرب الخليج الثانية (١٩٩٠-١٩٩١) في توتر العلاقات بين مسقط وطهران بعد قيام الأخيرة بالتعرض لناقلات النفط التي تعبر مضيق هرمز، وكذلك نشرها للصواريخ المضادة للسفن بالقرب منه؛ مما حدا بعُمان إلى تكثيف تواجدها العسكري في مسندم - المطلة على مضيق هرمز -؛ والتي تبعد مسافة لا تتجاوز الستين كيلومترًا عن الحدود الإيرانية، لكن الطرفين تجاوزا التوتر الطارئ، وعادت العلاقات إلى طابعها التعاوني. ينظر: بسمة مبارك سعيد، المرجع نفسه، (ص٤).

(٤) محمد سيف الرحبي، (عمان وإيران تسابقان الوقت لتعزيز علاقاتهما الاقتصادية)، «جريدة الحياة»، (٢٠/ ٠٩/ ٢٠١٥)، على الرابط http://cutt.us/elAK٩

بل على العكس من ذلك شهدت منحى تصاعديًّا؛ خاصة في الفترة الأخيرة، حيث عرفت العلاقة بين الطرفين قفزات نوعية سياسيًّا وعسكريًّا واقتصاديًّا، في مقابل توترها مع الدول الخليجية، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية.

فمنذ الزيارة التي قام بها السلطان قابوس لطهران في (أوت ٢٠٠٩) والعلاقات تزداد تماسكًا وتداخلًا، وتشهد صعودًا بوتيرة متسارعة، متعددة الأبعاد، وقد ازدادت صعودًا وتماسكًا بعد أحداث الربيع العربي، وزيارة السلطان قابوس في (أوت ٢٠١٣)[١].

استندت جلّ القراءات على البعد الجيوسياسي بدرجة أولى، والتاريخي بدرجة ثانية في تفسير هذه العلاقة المتميزة بين البلدين، أما البعد الديني فيكاد يغيب عن قراءة تأثيره في العلاقة بين مسقط وطهران، وإن كان هذا البعد أقل حضورًا في السياسة الخارجية العمانية فإنه لا يمكن تحييده من نظيرتها الإيرانية.

وعند مقارنة العوامل التي ساهمت في نسج هذه العلاقة بين الطرفين تظهر بعض المفارقات؛ خاصة بالنسبة للسياسة الخارجية الإيرانية، فكثير من عوامل التشابك والتصادم التي تسببت في توترها مع دول الخليج بشكل خاص تنطبق على السلطنة، والركون إلى مبادئ دبلوماسية الأخيرة قاصر -أيضًا- في تفسير هذه العلاقة، كل هذا يدفع لإعادة النظر في دور مختلف العوامل على العلاقات بين البلدين وفي مقدمتها العامل الديني.

■ الدين ومبادئ السياسة الخارجية العمانية:

تنطلق سلطنة عمان في سياستها الخارجية من جملة مبادئ، يأتي في مقدمتها: إقامة علاقات صداقة مع العالم، وتعزيز العلاقات الحسنة والمتكافئة، واعتماد سياسة حسن الجوار وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير، واحترام القوانين والمواثيق والأعراف الدولية[٢].

وإذا كانت مثل هذه المبادئ تتّسم بقدر كبير من المثالية، وجل الدول تدبج بها رؤيتها ورسالتها؛ إلا أنه في الحالة العمانية تجسدت الكثير من هذه المبادئ في الأدوار الدبلوماسية التي لعبتها في القضايا الإقليمية، ويرجع محللون عمانيون الدور الفعال لعمان في المنطقة إلى مبدأ «الحياد الإيجابي»؛ الذي تمسكت به حتى في لحظات حرجة جدًّا مرت بها المنطقة إقليميًّا وعربيًّا؛ كالحرب الإيرانية العراقية، والمقاطعة العربية لمصر، وحرب الخليج الأولى والثانية، وآخرها: موقفها من الملفات الحديثة في السياسة العربية بعد (٢٠٠٩)، ومنها: الملف المصري، والتونسي، والسوري، والليبي، واليمني، وحتى البحريني.

ولذلك؛ استطاعت سلطنة عمان أن تجعل من هذا المبدأ المحرك الديناميكي لملفاتها الخارجية[٣].

تنسب هذه الإستراتيجية إلى السلطان قابوس؛ الذي حاول صياغة جملة من المبادئ بالتفاعل مع خصوصيات بلده؛ خاصة الجغرافية منها، فقد فرض عليها موقعها الجيوسياسي انتهاج هذا المسار لتجنب ارتدادات الأزمات الإقليمية عليها، وعلى أهمية هذا العامل لكن لا يمكن الاستناد عليه وحده في فهم السياسة الخارجية العمانية.

وبالنسبة للبعد الديني؛ لا توجد إشارات مباشرة عن دوره في التأثير على المواقف العمانية، ولكن في الوقت نفسه لا يوجد نفي لتأثيره بالمطلق، ويعبر عنه بطريقة غير مباشرة من خلال الإشارة إلى البنية المجتمعية العمانية، فرغم ضيق هوامش المشاركة

---

(١) مريم يوسف البلوشي، «أثر العلاقات العمانية الإيرانية في أمن دول مجلس التعاون الخليجي بعد الربيع العربي»، «مجلة المستقبل العربي»، العدد (٤٤٥)، (مارس ٢٠١٦)، (ص٥٧).

(٢) (السياسة الخارجية)، «موقع «وزارة الخارجية العمانية»، على الرابط:
https://www.mofa.gov.om/?p=٤٢٤

(٣) أحمد الإسماعيلي، «العلاقات العمانية الإيرانية وتأثيرها في الاندماج الخليجي»، «موقع شرق وغرب»، (٢٦/١/٢٠١٥)، على الرابط:
http://sharqgharb.net/alalaqat-alamanett-alieeranett-wtatherh

السياسية، وانعدام تأثير الرأي العام في عملية صناعة الخيار الاستراتيجي؛ فإن صانع القرار العماني لا تغيب عنه انعكاسات التنوع الديموغرافي على الاستقرار السياسي والسلام الاجتماعي، الأمر الذي يُخضِع السياستين الداخلية والخارجية لحسابات الديموغرافيا[١].

فالكتل الإثنية والثقافية في الداخل العماني لها امتدادات خارج الحدود الجغرافية، وهذا يفرض على صُنّاع السياسة الخارجية: استبطان المصالح والارتدادات المرتبطة بتلك الامتدادات العرقية والثقافية[٢].

ومن جهة أخرى؛ فإن للشخصية العمانية دور في بناء الراهن السياسي لعُمان، فسلطنة عمان التي استقلت من الدولة المركزية الإسلامية (أُمويًّا وعباسيًّا وعثمانيًّا) لأسباب تاريخية دينية؛ لا تزال تمارس شخصيتها السياسية الراهنة من خلال تاريخها السياسي؛ ذلك التاريخ الذي صاغته بتحولاته ومساراته كافة؛ سياقات ظرفية، وتراكمات تاريخية، دفع عمان إلى إحداث قطيعة سياسية مع قضايا العمق العربي.

فعُمان، وإن أصبحت عضوًا فاعلًا في الجامعة العربية، وعضوًا مهمًّا وفاعلًا في منظومة مجلس التعاون الخليجي؛ فهي لا تزال تمارس أدوارها الإقليمية والدولية باعتبارها دولة ذات كيان تاريخي مستقل عن التمركزات التاريخية للبلدان العربية والإسلامية[٣].

وبذلك؛ فإن الموقف العماني الحيادي ينبع من خصوصية تركيبتها الديمغرافية المتنوعة؛ بغضّ النظر عن حجم التباين بينها، فالإباضية أدت دورًا مهمًّا في تشكيل التاريخ السياسي الحديث لسلطنة عُمان، ولا زالت المضامين الفكرية لهذا المذهب تؤثر في توجهات السياسة العُمانية المعاصرة؛ المحلية والإقليمية[٤].

إلى جانب وجود كتلة سنية[٥]، وأقلية شيعية؛ لذلك تتجنب الانحياز إلى أحد الأطراف الإقليمية (السعودية أو إيران)، تخوفا من انعكاساته الداخلية عليها، إذ يمثل الجو الطائفي في الإقليم عاملًا مساعدًا في حرص سلطنة عمان على أخذ مسافة متساوية من جميع الأطراف في النزاع الإقليمي الحالي، وتفادت عمان أن تكون طرفًا في أي تحالف أو ترتيب طائفي، وعززت حيادها لتطور علاقات موثوقة مع جميع الأطراف، وهو ما سمح لها بلعب دور مختلف عن أي دولة خليجية أخرى[٦].

فمن جهة: تتخوف عُمان من توسع النفوذ السلفي فيها؛ خصوصًا مع خروج أحاديث عمانية متخوفة من هذه النقطة تحديدًا، ومشيرةً إلى عمل بعض الشخصيات الدينية السعودية على نشر المذهب الوهابي والفكر السلفي في البلاد[٧].

ومن جهة أخرى: تتوجس من إيران؛ لذلك انحصر التعامل معها في حدود العلاقات التي لا يمكنها التأثير على مكونات

---

(١) لتفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: أحمد الإسماعيلي، (التعددية الإثنية واللغوية والدينية في عمان وعلاقتها بالاستقرار السياسي)، «مجلة عمران»، العدد (١١)، المجلد الثالث، (شتاء ٢٠١٥)، (ص٨٥-١٠٥).

(٢) عبد الله بن محمد الغيلاني، (عُمان وعاصفة الحزم، الجذور التاريخية والدلالات الاستراتيجية ١/ ٢)، «مجلة الفلق» الإلكترونية، على الرابط:
http://www.alfalq.com/?p=٧٤٠٢

(٣) مريم يوسف البلوشي، المرجع السابق، (ص٥٦).

(٤) واثق محمد السعدون، (التوجهات المعاصرة للسياسة الخارجية العُمانية)، (٢٠١٢/٩/٢٢)، على الرابط:
http://hekaaitnfar.blogspot.com/٢٠١٣/١١/blog-post_٩٩٣٩.html

(٥) المصادر العمانية تشير إلى أغلبية إباضية في البلد، في حين هناك مصادر أخرى تؤكد أن السنة يمثلون خمسين بالمائة من عدد السكان، وبين (٤٠) إلى (٤٥) بالمائة إباضيون، وهم المسيطرون على السلطة السياسية، والبقية شيعة.

(٦) بسام صلاح، (الدبلوماسية الهادئة: عمان وإدارة العلاقات في إقليم مضطرب)، القاهرة، «المركز العربي للبحوث والدراسات»، (٢٠١٦/١٠/١٩)، على الرابط:
http://www.acrseg.org/٤٠٣٧٥

(٧) صلاح عبد اللطيف، (السياسة الخارجية العُمانية: عُمان بين الخليجيين وإيران)، «موقع مصر العربية»، (٢٠١٥/٩/١٥)، على الرابط: http://cutt.us/VReii

الاجتماع السياسي في عمان، ولهذا ظلت تلك العلاقة تشتغل في مناطق ومساحات ضيقة جدًّا، وغابت أي علاقة بينهما في الملفات الأخرى؛ كالملف الديني والاجتماعي والثقافي، بل حتى التجاري؛ إذ تعتبر عمان الأضعف من حيث التبادل التجاري مع إيران، لأن كل تلك الملفات هي التي يمكن أن تشتغل عليها إيران فيما إن كانت تملك فعلًا مشروعًا أيديولوجيًّا في المنطقة[1].

■ **الحياد على الطريقة العمانية:**

عند الغوص في تعقيدات أزمات المنطقة وتشابكاتها يبدو هنالك التباس في مفهوم «الحياد» عند سلطنة عمان! والذي يصبح مشابهًا إلى حد كبير لمفهوم «عدم الانحياز» في حقبة الحرب الباردة؛ فهذه الكتلة العالم ثالثية التي أعلنت عدم انحيازها لأحد من القطبين كانت عمليًّا منحازة بقدر كبير إلى الاتحاد السوفيتي!

والأمر نفسه ينطبق على السلطنة؛ فرغم اتخاذها من الحياد وعدم الانحياز إلى أحد الأطراف مبدأً تجاه القضايا الإقليمية غير أنها -عمليًّا- منحازة -بطريقة ما- إلى الجانب الإيراني، ففي مختلف الأزمات الخليجية مع إيران لم تبدِ السلطنة تضامنًا مع رفقائها في التحالف؛ إلا بقدر محدود جدًّا، وإيران تَعتبر علاقاتها المتطورة والمتقدمة مع سلطنة عُمان مكسبًا كبيرًا يعزز من نفوذها في منطقة الخليج على حساب المملكة العربية السعودية، لذلك فالبعد التنافسي حاضر في العلاقة، ولا شك أن السلطنة تدرك ذلك جيدًا.

من هنا؛ فإن المواقف التي تساند فيها عمان إيران يمكن وصفها بالمنحازة، فقد كان السلطان قابوس أول زعيم عربي يزور طهران بعد تولي روحاني للسلطة في (أغسطس ٢٠١٣)، وعُمان كذلك كانت هي الوجهة الإقليمية الأولى لروحاني[2].

والعلاقات العُمانية-الإيرانية لم تقف عند حدود العلاقات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية، بل وصلت إلى توقيع اتفاق دفاعي عسكري مع إيران في (سبتمبر ٢٠١٤)، وكان من الواضح أن هذا الاتفاق يفتح المجال لتنسيق وتعاون عسكري لا يستهان بهما، ولعل المناورات البحرية المشتركة في مضيق هرمز دليل واضح على مستوى التنسيق الكبير في هذا الجانب، ما يهدد أمن بلدان مجلس التعاون؛ الذي مسقط عضو فيه[3].

كما لعبت مسقط دورًا مهمًّا في تآكل الحصار الدولي والإقليمي على إيران[4].

ناهيك عن أن الأخيرة تبدو عازمة على استغلال موقع عُمان الإستراتيجي للانطلاق نحو أفريقيا؛ التي تزايد الدور الإيراني فيها في الفترة الأخيرة، فقد أعلنت إيران عن استثمارات بقيمة (٤) مليارات دولار في ميناء الدقم العُماني، ومشروعات بنية تحتية أخرى في عُمان[5].

وفي الأزمة السورية؛ أثبتت السلطنة قدرًا من الانحياز إلى جانب نظام الأسد؛ حيث رفضت -عبر وزير الدولة للشؤون الخارجية يوسف بن علوي- طرد سوريا من الجامعة العربية على أساس أن ذلك يصبّ في مصلحة داعش والنصرة! وأن الوساطة والحل السياسي هما الأفضل[6].

وتبرير هذا الموقف بخطر داعش والنصرة قراءة تتسم بعدم الموضوعية! بإغفال ممارسات النظام التي ترتقي إلى مستوى جرائم ضد الإنسانية والإبادة الجماعية، كما أنها من جانب آخر تغفل الإرهاب الشيعي ممثلًا في المليشيات المدعومة من إيران؛ والتي لا تختلف في منطلقاتها وأعمالها عن داعش والنصرة.

---

(١) أحمد الإسماعيلي، (العلاقات العمانية الإيرانية وتأثيرها في الاندماج الخليجي)، المرجع السابق.

(٢) صلاح عبد اللطيف، المرجع السابق.

(٣) عبادة الزرقان، (عُمان دولة بعقل بارد تفضل لعب السياسة من خلف الكواليس)، «عربي ٢١»، (٢٠/١٠/٢٠١٥)، على الرابط: http://cutt.us/PZ٩aD

(٤) كريستيان كواتس أولريتشسن، (التقارب الإيراني العُماني وتأثيره على السعودية)، «عربي ٢١»، (٢٤/٤/٢٠١٤)، على الرابط: http://cutt.us/MM١YA

(٥) صلاح عبد اللطيف، المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

والموقف العماني تجاوز كل هذا إلى كسر العزلة الدبلوماسية؛ من خلال قيام «يوسف بن علوي» بزيارة إلى سوريا ولقائه برئيس النظام السوري بشار الأسد.

وهناك مجال واسع للقيام بوساطة دون الحاجة إلى الإقدام على خطوات يدرك صانع القرار العماني أنها توظف لخدمة النظام على حساب جهود حل الأزمة، فلا شك أن النظام استغل الزيارة داخليًّا لتأكيد شرعيته الخارجية.

والالتباس يزداد أكثر في الحالة اليمنية؛ فمع تفهّم الموقف العماني الرافض للمشاركة في عاصفة الحزم تماشيًا مع مبادئها، غير أن الأخذ بعين الاعتبار تأثير الأزمة على الأمن القومي العماني يلزم الأخيرة باتخاذ إجراءات متقدمة رافضة للدعم الإيراني للحوثيين؛ لانعكاساته الخطيرة عليها، فاليمن يتموضع -أو ينبغي أن يتموضع- في قلب الرؤية الإقليمية العمانية، فهناك الالتماس الجغرافي، والتداخل الثقافي، والامتدادات القبلية مع الجزء الجنوبي من عمان.

ولهذه الاعتبارات وغيرها لا تملك الدولة العمانية رفاهية الإعراض عن الشأن اليمني، أو حتى التعاطي معه عن بعد[1].

فالحالة اليمنية بتداعياتها الحرجة تشكل مصدرًا محتملًا لمهددات استراتيجية عالية الكلفة، ومع هذا لم تعلن السلطنة رسميًّا عن مبادرة مستقلة تستبطن المصالح العمانية العليا، وتفتح أُفقًا لتوافقات موضوعية عادلة، بعيدًا من حسابات مشروعي: الهيمنة الأمريكي والإيراني.

ولم تبد موقفًا رادعًا إزاء الهجوم الحوثي على مؤسسات الدولة اليمنية، ولم تستثمر دالتها على إيران التي كانت حاضرة في جولات التفاوض تلك للدفع في اتجاه عقلنة المشروع الحوثي[2].

■ **إيران والاستثناء العماني:**

تشكل سلطنة عمان الاستثناء في طريقة تعامل إيران مع دول المنطقة، فهي المعروفة بزعزعة أمن واستقرار الدول لم تشكّل خطرًا على استقرار عُمان الداخلي، ولم تحاول تقويض وحدتها الوطنية بأي شكل من الأشكال[3]، وحتى المشكلات الحدودية التي تعتبر من أعقد الأزمات في العلاقات الدولية بشكل عام؛ يلاحظ أنه في الوقت الذي تثير فيه إيران المشكلات الحدودية مع الدول الخليجية (الإمارات الكويت)؛ فإنها تحرص على حلّ المشكلات ذاتها مع السلطنة بالطرق السلمية[4].

وتُرجع بعض القراءات العلاقات الإيجابية بين البلدين إلى سياسة قابوس؛ التي تجنّبت الصدام مع إيران، حيث تفسر هذا الاستثناء بالطبيعة الهادئة للسياسة العُمانية، ومبدأ «الانفتاح على الجميع» التي لعبت دورًا هامًّا في وصولها إلى هذه الدرجة من التعاون والارتباط[5].

لكن بالمقارنة مع حالات أخرى نجد أن هناك دولًا كان لها دور مشابه للدور العماني؛ سواء في حرب الخليج الأولى؛ حيث رفضت الانحياز إلى أحد أطراف الأزمة، وعملت على حلها دبلوماسيًّا، وحتى رعاية المصالح الإيرانية؛ فالدوران الجزائري والعماني متشابهان إلى حد كبير جدًّا، ولكن مع ذلك فإن النظام

---

(١) عبد الله بن محمد الغيلاني، (عُمان وعاصفة الحزم، الجذور التاريخية والدلالات الاستراتيجية ١/ ٢)، المرجع السابق.

(٢) مريم يوسف البلوشي، المرجع السابق، (ص٦٦).

(٣) بسمة مبارك سعيد، المرجع السابق، (ص ٦).

(٤) أشرف محمد كشك، (دول الخليج وإيران: قضايا الصراع واستراتيجيات المواجهة)، «مجلة الدراسات الإيرانية»، العدد (١)، السنة الأولى، (ديسمبر ٢٠١٦)، (ص١٣).

(٥) بسام صلاح، المرجع السابق.

الإيراني لم يولِ كل هذه المؤشرات أي أهمية حين تدخّل في الشؤون الجزائرية الداخلية، وانحاز إلى أحد طرفيها في تسعينيات القرن الماضي.

وما يُفهم من هذه القراءة أيضًا: أن السياسة الإيرانية ما هي إلا رد فعل على سياسات الدول الأخرى، وأنها دفاعية وليست هجومية، ولا شك أن هذه القراءة قاصرة، فالسبب لا يعود إلى السياسة الخارجية العمانية؛ لأن منطلقاتها تشاركها فيها دول أخرى، ولكنها لم تسلم من السلوك العدواني الإيراني.

كما أن بعض الدول تبنتها في مرحلة من المراحل على الأقل، فالدول الأخرى لم تكن في حالة صدام دائم مع إيران، ورغم المحاولات العديدة لتجنب التوتر والخلاف إلا أن طهران كانت سرعان ما تعود لتؤزمها بطرق مختلفة، ورغم الخطوات الإيجابية بقي السلوك الصراعي هو المرتكز الأساسي في علاقتها معها.

فبعد حرب الخليج الثانية والتحول في الموقف الخليجي من نظام صدام حسين ووصول رفسنجاني ثم خاتمي للسلطة؛ مثلت كل هذه الفترة محاولات خليجية لنسج علاقات تعاونية وودية مع طهران، لكن مع ذلك استمر المنطق الإيراني الثوري هو المحدد الأساسي لعلاقتها مع هذه الدول.

فعلى سبيل المثال لا الحصر: في الحالة البحرينية كان واضحًا السلوك العدواني تجاهها من أول يوم للثورة إلى غاية كتابة هذه السطور، ففي المخيلة الإيرانية دولة البحرين ما هي إلا محافظة إيرانية!

وبمعالجة الموضوع من زاوية أخرى؛ نجد أن الأسباب التي تبرر بها إيران عداءها لدول الخليج لم تختلف عنها سلطنة عمان فيها، بداية من الموقف من نظام الشاه، فالعلاقات الوطيدة التي جمعته ببعض الدول الخليجية جعل منها النظام الإيراني الثوري منطلقًا في تصنيف أعدائه وحلفائه.

ورغم علاقة السلطنة بالشاه إلا أن النظام الثوري لم يأخذ ذلك بعين الاعتبار؛ فنظام السلطان قابوس في عمان كان حليفًا للشاه، ويعود الفضل الكبير لاستمراره إلى هذا الأخير الذي دعمه عسكريًّا، فقد ساعدت إيران الشاه السلطنة في السبعينيات على إخماد «ثورة ظفار» اليسارية المدعومة من المعسكر السوفييتي[1].

وبالتالي؛ فيفترض بالعداوة أن تستمر كون النظام العماني امتدادًا للسياسة التي كان يمثلها الشاه.

وحتى بالنسبة للموقف من الكيان الصهيوني؛ رفضت مسقط قطع علاقاتها مع مصر إبان إعلان الأخيرة معاهدة «كامب ديفيد»، والتي عارضتها معظم الدول العربية، والتي كانت مؤشرًا للولاء والعداء للشيطان الأصغر.

وتمثل العلاقة مع أمريكا المفارقة الأبرز؛ فقد تمحور الخطاب الثوري الإيراني حول مجابهة الشيطان الأكبر والأنظمة الطاغوتية المدعومة من طرفه، وكان المقصود بذلك: الأنظمة الخليجية، غير أن السلطنة لم تكن معنية بذلك، رغم أنها حليف قديم لبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وكان لبريطانيا دور كبير في تولية السلطان السلطة ومقاومة الثورات ضده، وهو ما يذكّر بالممارسات نفسها التي قامت بها بريطانيا والولايات المتحدة في حقبة الشاه ضد محمد مصدق.

ولكن يبدو أن إيران أغمضت عينيها عن الشيطان الأكبر

---

(١) بدر الراشد، (عُمان.. دبلوماسية الأبواب المغلقة في هواية الوساطات)، «العربي الجديد»، (٢/١١/٢٠١٥)، على الرابط: http://cutt.us/UT٥gx

في عمان، واستثنته من الأنظمة الطاغوتية العميلة له؛ كما كان يردد الخميني ولازال خامنئي خلال كل هذه العقود!

وبينما تطرح إيران التعاون والتنسيق الأمني مع دول الخليج كبديل عن ذلك الموجود مع الولايات المتحدة الأمريكية؛ فإنها لم تطالب بالأمر نفسه مع سلطنة عمان؛ التي تربطها اتفاقيات عسكرية وتعاون أمني بين البلدين.

فعسكريًّا؛ تعد مسقط السباقة إلى التعاون في هذا المجال مع الولايات المتحدة، فقد قدّمت سلطنة عُمان تسهيلات عسكرية للقوات الأمريكية العاملة في منطقة الخليج العربي؛ باستخدام المرافئ والمطارات العُمانية؛ حسب الاتفاقية التي أبرمتها مع الولايات المتحدة في (جوان ١٩٨٠)، كما أن الاتفاقية أتاحت إقامة منشآت في جزيرة مصيرة والثمريات والسيب لاستخدام سلاح الجو الأمريكي؛ فضلًا عن منشآت أخرى لقوات البحرية الأمريكية[١].

وكان ذلك بسبب: القلق من الثورة الإسلامية، قبل أن توقّع دول الخليج الأخرى الاتفاقيات الأمنية مع الولايات المتحدة بعد الغزو العراقي للكويت.

وبالرغم من أن التواجد الأمريكي العسكري في عُمان قد شهد تراجعا في الفترة الأخيرة؛ إلّا أن الولايات المتحدة أبقت على مخازن أسلحة ضخمة وقواعد عسكرية يمكنها استخدامها، وقد استخدمتها بالفعل في تنفيذ بعض الضربات في أفغانستان وباكستان، كما تحتفظ بمحطات مراقبة، وقواعد لانطلاق طائرات التجسس، كما وتعتبر عُمان مركزًا للقيادة المشتركة للعمليات الخاصة و(السي آي إيه) في منطقة الشرق الأوسط[٢].

(١) واثق محمد السعدون، المرجع السابق.

(٢) صلاح عبد اللطيف، المرجع السابق.

والأدهى من ذلك كله: أن عُمان أضحت هي الوسيط بين إيران والشيطان الأكبر -كما يحلو للساسة الإيرانيين نعتها!-؛ فقد توسّطت مسقط في مشاهد كثيرة بين الغرب وإيران؛ كإطلاق سراح بريطانيين وأمريكيين محتجزين في إيران بين أعوام (٢٠٠٧ و٢٠١١)، وأيضًا إطلاق سراح عالم إيراني كان محتجزًا في الولايات المتحدة عام (٢٠١٣)[٣]، والدور الأهم كان في موضوع «الملف النووي»؛ حيث رتبت العديد من اللقاءات السرية المباشرة بين واشنطن وطهران.

■ **الخلاصة:**

تشير جلّ الدراسات: إلى وقوع سلطنة عمان بين دولتين في المنطقة تمثلان واجهتين لمشروعين سياسيين بخلفيتين دينيتين متمايزتين؛ حيث تعبّر إيران عن مشروع شيعي، والسعودية عن مشروع سني.

تؤثر هذه الخلفية على السياسة الخارجية العمانية بطريقة مباشرة، مما يؤكد على محورية البعد الديني فيها، كونها تأخذ بعين الاعتبار تركيبتها التي يتجاوز فيها السنة الإباضيين بقليل إضافة إلى أقلية شيعية، غير أن الظروف التاريخية جعلت الإباضيين يسيطرون على السلطة في جل الفترات.

وقد كشفت العديد من الأزمات؛ خاصة منها اليمنية والسورية عن انحياز عماني واضح إلى إيران؛ رغم كل محاولات تغليف مواقفها بالحيادية.

(٣) ومن الأمثلة كذلك: دورها في الإفراج عن الدبلوماسي الإيراني نصرت الله طاجيك في (ديسمبر ٢٠١٢)، المتحفظ عليه في لندن منذ (٢٠٠٦)، كما ساهمت مسقط في الإفراج عن الصحفية الأمريكية سارة شورد في (سبتمبر ٢٠١٠)؛ والتي اعتقلت مع زميلين لها أفرج عنهما بوساطة عمانية -أيضًا- في (سبتمبر ٢٠١١)، هما: شين بوير وجوش فاتال، كانوا في رحلة في إقليم كردستان العراق واجتازوا الحدود الإيرانية في العام (٢٠٠٩)؛ حسبما تقول المصادر الصحفية.

أضف إلى ذلك فقد رعت سلطنة عُمان المصالح الإيرانية في كل من بريطانيا وكندا. ينظر: محمد الشحري، المرجع السابق.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوزه إلى تنسيق سياسي وتوطيد للعلاقات؛ من خلال الاتفاقيات الأمنية والعسكرية، والبعد الجيوسياسي أثبت احتمالات الانعكاسات السلبية للدور الإيراني في اليمن على أمن عُمان القومي.

وغياب البعد الديني في العلاقات الإيرانية العمانية من الواجهة -كما هو حال علاقة إيران بدول وجماعات أخرى- لا يعني: عدم حضوره في خلفية المشهد السياسي، كشكل من أشكال التحالف بين الأقليات، لأن الغوص في حجم التعارض بين العقيدتين الإباضية والشيعية يفترض قدرًا من التباعد والتنافر بين الطرفين أكبر بكثير منه مع السنة، ذلك أن المعتقدات تبلغ حد التناقض.

مع ذلك فإن عُمان لا ترى في إيران مصدر تهديد كبير لها[1]، والمذهب الديني السائد في السلطنة (الإباضية) لا يرى ضيرًا من إقامة مختلف العلاقات مع إيران والتحاور معها[2].

وتمايز السلطنة عن بقية الدول الخليجية والعربية بالحضور القوي للإباضية فيها جعلها تميل إلى الشيعة؛ تخوفًا من احتمالات ذوبان مجتمعها في محيطه السني؛ خاصة مع حضورهم القوي فيه، والذي يبلغ أو يقارب نصف السكان.

بينما التعارض العقائدي مع الشيعة يعتبر حواجز ذاتية، تجعلها لا تخشى من انتشار معتقداتهم في الوسط الإباضي، وأيضًا عدم تأثير الأقلية الشيعية بحد ذاتها.

وسيطرة الإباضية على السلطة السياسية، وموقفهم المخالف للسنة، وتوجّسهم منهم: معطى هام جدًّا بالنسبة لإيران، توظفه بما يخدم مصالحها الممثلة في: التوسع على حساب الدول والمجتمعات السنية؛ التي تبقى أهم عائق وخطر بالنسبة لإيران.

وعدم وجود أقلية شيعية كبيرة في المجتمع العماني لم يحفزها للاستثمار فيها لدعم نفوذها؛ على غرار ما تفعله مع المجتمعات السنية الأخرى؛ التي تحاول خلق أقليات شيعية فيها من العدم؛ من خلال سياسات نشر التشيع.

كل هذه العوامل ساهمت في انتهاج إيران سياسة تعاونية مع سلطنة عمان؛ لتحييدها عن العرب من جهة، والبحث عن فرص التعاون لكسبها إلى جانبها من جهة أخرى.

أمريكا وإيران..
وعند اللوبي الخبر اليقين!

أسامة الهتيمي-كاتب مصري

خاص بـ «الراصد».

منذ العام (١٩٧٩م)، وبعد أن قام المئات من الطلاب الإيرانيين الثوار من أتباع ما يطلق عليه: «خط الإمام» باقتحام السفارة الأمريكية في طهران، واحتجاز نحو (٥٢) من الأمريكيين كرهائن، ومن ثم محاولة واشنطن الفاشلة لإطلاق سراحهم؛ التي تحطمت خلالها طائرتان عسكريتان وراح ضحيتها ثمانية جنود أمريكيين ومدني إيراني؛ ولا زالت الولايات المتحدة الأمريكية -ووفق ما هو معلن- تنظر إلى إيران باعتبارها بلدا إرهابيًّا يستحق أن تفرض عليه العقوبات.

وهو التقييم الذي أكدت صحته السياسات الإيرانية فيما بعد وعلى مدار أكثر من سبعة وثلاثين عامًا؛ حتى أن الخارجية الأمريكية وفي تقريرها الأخير حول الإرهاب في العالم عام (٢٠١٦م) صنفت إيران باعتبارها الدولة الأولى الراعية للإرهاب، الأمر الذي لاقى قبولًا لدى العديد من الدوائر ليس في أمريكا فحسب بل وفي الكثير من البلدان، وفي مقدمتها: دول الخليج؛ التي عانت ولا زالت تعاني من الإرهاب الإيراني.

---

(١) صلاح عبد اللطيف، المرجع السابق.

(٢) واثق محمد السعدون، المرجع السابق.

وعلى الرغم من أن كل الشواهد تدعم ما ذهبت إليه واشنطن ومعها عواصم البلدان المتضررة فيما يخص النظرة إلى إيران، وتؤكد أن السياسات الإيرانية تحتاج إلى وقفة جادة وحاسمة توقف العدوان الإيراني الذي يتصاعد عامًا بعد عام؛ إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية -التي يفترض أنها القوة الأولى في العالم- لم تتخذ مواقف قوية، ولم تفعّل قوتها للرد على السلوك الإيراني؛ فانحصرت المواقف الأمريكية عند ترديد عبارات الإدانة والشجب والاستنكار، ووضع بعض التنظيمات المحسوبة على إيران في خانة الإرهاب، تتساوى في ذلك مع العاجزين! اللهم إلا من بعض الإجراءات المتعلقة بفرض حزمة من العقوبات الاقتصادية التي تدرك واشنطن قبل غيرها بأنها لا يمكن بأي حال من الأحوال -وفي ظل تعقد وتشابك العلاقات والمصالح الدولية والإقليمية- أن تكون رادعًا قويًّا، أو ذات تأثير يضطر إيران إلى إعادة النظر في سياساتها.

بل إن الأدهى من ذلك: أن نشهد مواقف أمريكية معاكسة ومغايرة لما يجب أن تكون عليه، وغير منسجمة بالمرة مع ما ترفعه من شعارات وتردده من تصريحات على لسان قادتها بل ولا تمثل حتى الحد الأدنى من الرد على الوصف الإيراني لأمريكا كونها (الشيطان الأكبر)، لتبدو ملامح المشهد الحقيقية مؤكدة أن الوصف الدقيق لطبيعة العلاقات الأمريكية-الإيرانية هو أنها: تشبه جبل الجليد، فما يطفو منه على السطح أقل بكثير مما هو أسفل الماء، وأن ثمة بونًا شاسعًا بين ما هو معلن وبين ما هو خفي!

■ علاقات لم تنقطع:

يعتقد الكثيرون -ولهم بعض العذر- أن العلاقات الأمريكية الإيرانية -ومنذ نجاح الثورة الخمينية- في حالة توتر دائم، نتيجة الشعارات التي رفعتها الثورة وأبرزها: «الموت لأمريكا - الموت لإسرائيل»، والتي كانت تعكس إلى أي مدى يحنق قادة إيران الجدد على أمريكا والكيان الصهيوني.

غير أن الكثير من الشواهد والدلائل المناقضة لذلك تكشفت يومًا بعد يوم حتى تعرت تمامًا، وأصبحت على مرأى ومسمع من الجميع، فالتواصل بين الخميني وأمريكا يعود للعام (١٩٦٣م) بعد أشهر من الإفراج عن الخميني؛ الذي سجن نحو ثمانية أشهر بعد احتجاجه على ما أسماه الشاه وقتها بـ «الثورة البيضاء».

إذ تشير الوثائق الأمريكية التي تم الكشف عنها مؤخرًا إلى تبادله الرسائل مع الرئيس الأمريكي وقتها جون كيندي، واستمر تواصل الخميني مع أمريكا حتى بعد الثورة، إذ أكدت الوثائق أن الخميني بعث برسالة إلى الرئيس جيمي كارتر -صديق الشاه- عام (١٩٧٩).

وفي الثمانينيات كانت الفضيحة التي أطلق عليها إعلاميًّا: «إيران كونترا»؛ والتي كانت سببًا في القضاء على المستقبل السياسي للرئيس رونالد ريجان؛ حيث قام بتوريد أسلحة أمريكية بقيمة نصف مليار دولار إلى إيران عبر الكيان الصهيوني، وخلال الحرب القائمة آنذاك بين إيران والعراق، وهو ما آثار دهشة واستياء الشعب الأمريكي وقتها! إذ يفترض أن العلاقات بين البلدين تشهد توترًا وخلافات عميقة!

واستمر التواصل بين قادة البلدين للتنسيق بشأن العديد من الملفات ومنها: حرب الخليج الثانية عام (١٩٩١م)؛ التي لم يخفَ خلالها على أحد الدعم الإيراني للقوات الأمريكية خلالها، حتى جاءت أحداث (سبتمبر ٢٠٠١) والتي سارع على إثرها المرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامنئي ليؤكد إدانة إيران ورفضها للإرهاب؛ حتى لا يقع في فخ معاداة أمريكا بعد تقسيم رئيسها وقتئذٍ جورج بوش العالم إلى قسمين: قسم معه، وقسم ضده.

ثم الدعم الإيراني للقوات الأمريكية خلال غزو أفغانستان (٢٠٠١)، فمساعدة إيران في عملية غزو العراق (٢٠٠٣)، ثم

انخراط أمريكا في مفاوضات متعددة الأطراف بشأن الملف النووي الإيراني، والتوصل إلى الاتفاق النووي (مجموعة ٥ + ١) في (يوليو ٢٠١٥م).

ولم يقتصر الأمر عند ذلك فحسب، بل امتد التنسيق الأمريكي - الإيراني إلى حد أن تتوافق الأجندة الأمريكية مع الأجندة الإيرانية في العديد من الملفات الإقليمية المهمة؛ كما هو الحادث في العراق وسوريا، أو غض الطرف الأمريكي عمّا يحدث في اليمن ولبنان، والتي يعلم الجميع مدى فاعلية الدور الإيراني فيهما.

وبكل تأكيد؛ فإن هذا التوافق يحمل إشارة مهمة مفادها: أن واشنطن لا تستغني عن توظيف الدور الإيراني في المنطقة مهما كان مؤيدًا لها كما كان الأمر زمن الشاه، أو معارضًا لها كنظام الملالي لتحقيق مصالحها الخاصة.

ولعل في المقارنة بين المواقف الأمريكية تجاه العراق أو بعض المكونات والتنظيمات السنية في المنطقة ورد الفعل الأمريكي تجاه تحركاتها؛ ما يكشف عن تباين المواقف الأمريكية تجاه إيران، ففي العام (١٩٨١) قامت القوات الصهيونية - وبموافقة أمريكية - بضرب المفاعل النووي العراقي، وفي العام (٢٠٠٣) تحركت جحافل الجيش الأمريكي لغزو العراق على خلفية شبهات حول وجود برنامج نووي عراقي، ثبت فيما بعد أنها أكاذيب وأباطيل! في الوقت الذي لم تحرّك فيه أمريكا ساكنًا إزاء إيران التي تأكد بالأدلة والبراهين أنها بالفعل تتبنى برنامجًا نوويًّا؛ فضلًا عن الدعم الإيراني للميليشيات الطائفية التي تقوم بأدوار أقل ما توصف بأنها: قذرة في بلدان المنطقة، وتسببت في حالة من عدم الاستقرار بها.

■ **اللوبي والخبر اليقين:**

بطبيعة الحال؛ كان الفارق الكبير بين مواقف أمريكا العلنية والخفية من إيران مثيرًا للتعجب وللتساؤل - أيضًا - حول الأسباب الحقيقية التي تجعل أمريكا تسلك هذا المسلك المتناقض! حتى أن الرئيس الأمريكي الجديد دونالد ترامب - والذي لم يفتأ يدلي بتصريحات شديدة اللهجة بحق إيران والاتفاق النووي خلال حملته الانتخابية - يصبح عاجزًا عن فعل أي شيء إلا من السير على نهج أسلافه في فرض حزمة من العقوبات بين الحين والآخر بحق بعض الأشخاص والمؤسسات الإيرانية؛ والتي بكل تأكيد لن توقف إيران عند حدها.

وتفسير الأمر لا يحتاج إلى كثير عناء؛ فالتقاء المصالح بين البلدين هو المحدد الرئيس لطبيعة العلاقة بينهما، فعلى الرغم من إعلان ملالي إيران بعد الثورة العداء مع أمريكا إلا أن إيران قدمت نفسها وبثوبها الجديد لأمريكا كبديل عن إيران الشاهنشاهية التي تحافظ على المصالح الأمريكية في المنطقة؛ سواء كانت تلك المصالح متعلقة بتأمين مصادر الطاقة، وممرات العبور لنقل النفط.

أو بتلك المتعلقة بإجهاض المشاريع الإسلامية السنية التي ينظر إليها الغرب الاستعماري باعتبارها مهددة له لاختلافها الأيدلوجي معه.

أو تلك المتعلقة بضمان أمن الكيان الصهيوني، عبر أسلوبين: أحدهما: تكوين ميلشيات ترفع شعارات المقاومة زورًا وبهتانًا! وتنتهي علاقتها بالكيان الصهيوني بإحداث توافق فيما بينهم؛ كما هو الحال مع حزب الله اللبناني، أو عبر احتواء فصائل المقاومة السنية؛ كما هو الحادث مع الفصائل الفلسطينية في الوقت الحالي.

في هذا الإطار؛ فإيران حتى يمكنها أن تقوم بهذا الدور لا بد لها من إعلان العداء مع أمريكا؛ لتستقطب أفئدة الملايين من العرب والمسلمين في بقاع الأرض، وتكون قبلة لهؤلاء الذين يتطلعون إلى إيران لتحقيق أحلامهم، فسمحوا لها بأن تتاجر بهم وأن تستخدمهم كأدوات أساسية وفاعلة لتحقيق مشروعها

الخاص؛ حتى تكشفت المواقف وسقطت أوراق التوت.

وقد استغلت إيران - وبحسب كل مرحلة تاريخية - الكثير من الأوراق لإقناع أمريكا بهذا الدور؛ حتى لا تفقد أمريكا حماسها لإيران، أو أن يستشعر قادة البيت الأبيض أنه يمكن أن تحل قوة أخرى محل إيران، وهو الدور الذي لعبه بإتقان شديد اللوبي الإيراني في أمريكا.

■ النشأة والقدرات والتمثيل:

من المعلوم أن اللوبي هو: مجموعات منظمة تمارس ضغطًا سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وإعلاميًّا، وتسعى للتأثير على القرارات الحكومية، والتشريعات القانونية، والانتخابات، والرأي العام، وتقديم الدعم المادي والمعنوي والفكري للجهة التي تمثل مصالح اللوبي؛ سواء الاقتصادية أو الفكرية أو الاجتماعية، لكنها لا تخطط لممارسة نفوذ حكومي رسمي.

وفي دراسة نشرتها مجلة «Perspectives on Politics» التابعة لـ «Cambridge Journals» ولخصتها الـ « BBC NEWS» حاولت تحليل نظريات السياسة الأمريكية واستنتجت: أن نموذج الحكم الأمريكي ليس ديمقراطيًّا بالمعنى الحقيقي، إنما حكمًا أقلويًّا بالمعنى العملي، لكن «حكم الأقلية» هذا ليس هو المفهوم المعروف في دراسات النظم السياسية، إنما هو «حكم اللوبيات» التي تحوز على الثروة والمال والنفوذ والعلاقات.

وقامت الدراسة بتحليل المتغيرات، اعتمادًا على بيانات كبيرة، وخرجت بنتيجة مفادها: أنّ المجموعات الصغيرة أو اللوبيات لها تأثير أكبر من الجماهير أو مجموعات العمل المدني التي تمثل الجماهير على صناعة السياسات وتوجيه القرارات المعنية بالشأن الداخلي أو الشؤون الخارجية.

يضاف إلى ذلك: فإن عملية التواصل مع الشخصيات الأمريكية المؤثرة أمر ليس صعبًا على الإطلاق، فالدراسات تشير إلى أن أكثر من (٤٠%) من أعضاء الكونجرس الأمريكي يعملون في شركات اللوبيات بعد التقاعد، كما أن عددًا كبيرًا من الباحثين والصحفيين والكتّاب الأمريكيين لا يمانعون على الإطلاق من أن يتعاونوا مع هذه اللوبيات، ويقدموا لهم خدمات.

وعلى الرغم من أن وجود الجالية الإيرانية ربما يعود للستينيات من القرن الماضي؛ حيث شهدت أمريكا أول موجة لهجرة الإيرانيين مطلع عام (١٩٦٠) إلا أن إيران لم تكن في هذا الوقت في حاجة إلى لوبي، فقد كانت العلاقة بين الشاه وأمريكا على ما يرام.

ثم جاءت الموجة الثانية من الهجرة الإيرانية إلى أمريكا في أعقاب اندلاع الحرب الإيرانية العراقية التي امتدت لثماني سنوات (١٩٨٠-١٩٨٨)؛ فكان أغلب المهاجرين من الفارين من الخدمة العسكرية واللاجئين السياسيين.

وتزايد الإيرانيون بشكل كبير في أمريكا، وتركز تواجدهم في مناطق بعينها، ومن ذلك: تواجدهم المكثف حول لوس أنجلوس، حتى أطلق عليها البعض: «طهران أنجلوس أو إيران أنجلوس»، كما تضم كلًّا من بيفرلي هيلز وإرفاين أكبر الجاليات الإيرانية الأمريكية، وهو ما يفسر كيف وصل جيمي -جامشيد- دلشاد وهو إيراني أمريكي كعمدة لبيفرلي هيلز في عام (٢٠٠٧)، ثم أعيد انتخابه في (٢٠١٠).

إذ يتواجد في أمريكا من (٣ إلى ٤.٥) مليون إيراني، وُلد أكثر من نصفهم على الأراضي الأمريكية، فيما نجحوا في أن يتوغلوا في عالم السياسة والمال بأمريكا؛ إذ أسس هؤلاء نحو (٣٢٠) شركة، ويساهمون في (٤٥٠) شركة أخرى، وتصل ثرواتهم إلى نحو (٤٠٠) مليار دولار، ومن بينهم نحو (٧٠٠٠) طبيب، و(١٣٠٠) متخصص في العلوم البحثية والتطبيقية، يعملون في المؤسسات الأمريكية، وهناك (٩٨٠) سيدة إيرانية يعملن في قطاع الاتصال والعلاقات العامة والترجمة والخدمات اللوجستية، فيما تصل نسبة الحاصلين منهم على درجة الليسانس حوالي (٢٦%)، ما يضعهم في

المرتبة الأولى بين المهاجرين من حيث التعليم العالي؛ بحسب دراسة عن اللوبي الإيراني للكاتب لي سميث.

وقد أدركت إيران الخمينية ومن خلال استقرائها لما يقوم به اللوبي الصهيوني في أمريكا؛ الذي يعود إلى الستينيات من القرن الماضي، ويتشكل من عدة شخصيات ومؤسسات ومنظمات أبرزها: منظمة «إيباك»؛ إلى أهمية هذا الدور في أمريكا؛ الذي نجح إلى حد كبير في أن يؤثر على الموقف الأمريكي لدعم الكيان الصهيوني، والانحياز له دائمًا، رغم أن نسبة اليهود في أمريكا لا تتجاوز الـ (٣%) من السكان، ومن ثم فقد حرصت إيران -هي الأخرى- على أن يكون لها لوبي قوي يحقق لها مصالحها في الداخل الأمريكي.

كذلك؛ فإنه وبحسب مراكز دراسات أمريكية فإن الحكومة الإيرانية تستغل المنح الدراسية التي تقدمها الجامعات ومراكز الأبحاث في أمريكا؛ لترسل رموزها تحت ستار الدراسة، منهم: ثلاثة من نواب وزراء الخارجية الإيرانيين السابقين، وأحدهم كان مستشارًا لمرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي، حتى خلال عمله كباحث في جامعة هارفارد الأمريكية.

ومع تطور الأحداث، وتعقّد العلاقات وتشابكها؛ أصبحت الحاجة إلى تشكيل لوبي إيراني في أمريكا في تزايد يومًا بعد يوم، فهو أداة قوية وأقل تكلفة في دولة تتيح أوضاعها القانونية ذلك، الأمر الذي دفع بالمعارضة الإيرانية في أمريكا إلى تشكيل نواة للّوبي الإيراني الذي يسعى لحماية إيران من التدمير في صراع أمريكا مع نظام الملالي؛ على غرار ما تعرض له العراق من تدمير بحجة إسقاط نظام صدام حسين!

فاللوبي الإيراني يحثّ الإدارة الأمريكية على إسقاط نظام الملالي لا تدمير إيران، وقد وَجد نظام الملالي في ذلك فرصة لبعض المكاسب فوثّق علاقته بشكل غير مباشر بهذا اللوبي الإيراني الأمريكي.

فنائب وزير الخارجية الإيراني الأسبق صادق خرازي -الذي أقام في الولايات المتحدة بين عامي (١٩٨٩-١٩٩٦)، وتولى موقعه في الحكومة من (٩٧ وحتى ٢٠٠٣)- هو الذي بادر إلى التفكير جديًّا في التقاطع والاستفادة من هذا اللوبي في عهد الرئيس هاشمي رفسنجاني (٨٩-٩٧)، ثم تعاظم هذا التوجه في عهد خاتمي (١٩٩٧-٢٠٠٥)، ليشهد تراجعًا في عهد أحمدي نجاد (٢٠٠٥- ٢٠١٣)، ليستعيد أهميته مجددًا بعد وصول روحاني إلى السلطة منذ (يونيو ٢٠١٣) وحتى الآن.

وكما هو ملاحظ؛ فإن منحنى صعود وهبوط التقاطع مع اللوبي يرتبط بانتماء الرئيس الإيراني للتيار المحافظ أو التيار الإصلاحي، حيث يركز الإصلاحيون على تحقيق أهدافهم بشكل ناعم، وبالعمل على اختراق مؤسسات الحكم الأمريكية، وهو ما تنبّه له الرئيس روحاني المحسوب على الإصلاحيين خلال زيارته الأولى للولايات المتحدة؛ حيث طالب الجالية الإيرانية المؤيدة للنظام أن تقوم بدور وطني، وتشكل مجموعات ضغط فعالة للتأثير على الرأي العام الأمريكي لمصلحة إيران.

وكعادة اللوبيات؛ فقد عمل اللوبي الإيراني على اختراق أجهزة الإعلام الأمريكية ومراكز الدراسات والأبحاث والمنظمات الحقوقية، حيث يتركز نشاط هؤلاء على الكونجرس، فيما كان لآخرين نشاط مرتبط بصناعة النفط، وهو ما ساهم في إيجاد مصالح مالية في أمريكا.

وتمثل هذا اللوبي في عدة مؤسسات بدأت بالنشاط الاقتصادي؛ حيث وقّعت حكومة رفسنجاني اتفاقًا مبدئيًّا مع شركة النفط الأميركية «كونوكو» لتنفيذ مشروع في إيران، وهو ما اعتبرته شركات النفط الكبرى الأمريكية إشارة إيجابية؛ فشرعت على إثرها في الإعداد لحملة تهدف إلى كسب تعاطف الرأي العام مع إيران، وسارع هوشنك أمير أحمدي -الأستاذ في جامعة روتجرز؛ الذي كان يعمل سابقًا مع الحكومة الإيرانية- إلى عقد

سلسلة مؤتمرات بين إيران وأمريكا لتعزيز الصداقة بين البلدين، ثم جاء (مشروع الخليج ٢٠٠٠)، عام (١٩٩٣) ليكون ثمرة هذه الخطوة.

أعقب ذلك تشكيل مجموعات ضغط إيرانية نشطة كان أبرزها: مندوبي شركات النفط الأمريكية الكبرى والمجلس الأمريكي-الإيراني، الذي أسسه هو: شنك أمير أحمدي عام (١٩٩٧) في أمريكا، وهي منظمة كانت تسعى إلى رفع العقوبات عن طهران، وشملت في عضويتها دبلوماسيين أمريكيين سابقين ومديرين تنفيذيين في قطاع النفط، بما في ذلك: شركة هاليبرتون وشيفرون وإكسون موبيل، وغيرها من الشركات، فيما كان يتلقى رئيسها أحمدي الدعم السياسي والمالي من طهران مؤكدًا في تصريحاته: أن المجلس منظمة ضغط نيابة عن إيران.

ونجح المجلس في أن يكون مركز ثقل، إذ تزامن وجوده مع اهتمام من إدارة كلينتون بالرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي، غير أنه فقد الكثير من مصداقيته بسبب علاقات أحمدي الوثيقة مع معسكر المحافظين الإيرانيين.

وتعد رابطة التجارة الإيرانية التي تأسست عام (١٩٩٧) واحدة من مؤسسات اللوبي الإيراني، وكانت تسعى للتأثير على السياسة الأمريكية، والعمل على دفعها لإلغاء العقوبات ضد إيران، حيث حظي مؤسسها شهريار أفشار بدعم شركة النفط «كونوكو» وشركات أمريكية أخرى، لكن أنشطة الرابطة توقفت عام (٢٠٠٣).

وقام تريتا بارسي -الذي كان حينها طالبًا يعيش في السويد ثم انتقل إلى أمريكا عام (٢٠٠١)- بإنشاء مؤسسة «إيرانيون للتعاون الدولي»، والتي اعتمدت على أعضائها في أمريكا لإرسال عرائض ومخاطبة أعضاء الكونجرس بضرورة رفع العقوبات عن إيران، غير أن هذه المؤسسة توقف عملها إثر ذلك عام (٢٠٠٢).

ولم يمنع توقف مؤسسة «إيرانيون للتعاون الدولي» بارسي من أن يواصل دوره؛ حيث عمل على تأسيس المجلس الوطني الإيراني الأمريكي (NIAC) عام (٢٠٠٢)، الذي سرعان ما تحول إلى الواجهة الرئيسة للّوبي الإيراني؛ حيث عمل المجلس على تحسين العلاقة بين أمريكا وإيران، وفتح الفرص التجارية بينهما، مما ساعده على الحصول على تمويل سخي من بعض شركات النفط الأمريكية.

- **الدور والأدوات والتمويل:**

بات واضحًا للجميع أهمية الدور الذي لعبه اللوبي الإيراني في إيران ولا زال، وقدرة عناصره على الوصول إلى أعلى مؤسسة للحكم في أمريكا وهي: البيت الأبيض، فقد أفاد الموقع الإعلامي الأمريكي «واشنطن فري بيكون» بأن بارسي زار البيت الأبيض ثلاثًا وثلاثين مرة، في حين زاره الدبلوماسي ومساعد أمين مجلس الأمن القومي الإيراني الأسبق حسين موسويان ثلاث مرات على الأقل.

وكانت تتركز اللقاءات التي عقدها عضوا اللوبي الإيراني مع مسئولي البيت الأبيض على تقريب وجهات النظر بين أوباما وإيران حول توقيع الاتفاق النووي الإيراني، وهي الجهود التي عدّها البعض جزءًا بسيطًا من مجموعة ضغط تجاه هذا الاتفاق، بقيادة مسؤولين كبار في إدارة أوباما، كان لهم دور في تضليل الكونجرس الأمريكي حول طبيعة الاتفاق.

ولتحقيق هذا الدور السياسي الذي يقوم به اللوبي؛ فقد استند إلى عدة أدوات أبرزها: التغلغل في مراكز الفكر ومؤسسات صنع القرار الأمريكي، واستخدام وسائل الإعلام والتحدث من خلال هذه المنابر المهمة عن عدم فاعلية العقوبات الاقتصادية في التأثير على السياسة الإيرانية.

كذلك؛ فقد نجحت جهود اللوبي في تعزيز التعاون التجاري بين الشركات الأمريكية وإيران؛ حيث كشفت

صحيفة «لوفيجارو» الفرنسية أن هناك غزوًا سريًّا من قبل الشركات الأمريكية في مجال الأعمال الإيرانية في مجال البترول والغاز الطبيعي -الغنية بهما إيران-.

مضيفة: أن قطاعات الاقتصاد الأمريكي بما فيها: الشركات المدرجة في بورصة «ناسداك» أرسلت مندوبيها إلى إيران، والذين -غالبًا- ما يستخدمون جوازات سفر سويسرية، ويرسلون منتجاتهم إلى إيران عبر الدول المجاورة بشكل سري.

يضاف إلى ذلك: أن اللوبي الإيراني نجح في أن يقنع الإدارة الأمريكية بتعزيز التعاون مع إيران بشأن أفغانستان والعراق وسوريا واليمن، وغير ذلك من الملفات الإقليمية التي بدا فيها أن إيران لاعب قوي في تفاصيلها.

وتعد قدرة اللوبي على الترويج لدى الأمريكيين بأن لدى إيران استعدادًا لأن تطور من علاقتها مع «إسرائيل» واحدة من أهم الأدوات التي استخدمها، مستندًا في ذلك إلى أن مسافة شاسعة تفصل بين ما يردده قادة إيران حول «إسرائيل»، وحقيقة الموقف تجاه إقامة علاقات مشتركة، حتى أن بارسي أشار إلى أنه من الممكن أن يتعامل «الإسرائيليون» مع الإيرانيين كحليف محتمل، كاشفًا عن الضغوط التي مارسها شيمون بيريز عام (١٩٨٠) لإقناع واشنطن بتعزيز الدفاعات الإيرانية، بهدف إعادة طهران إلى الحظيرة الغربية، في حين أعلن أرييل شارون على قناة «بي سي إن»: أن «إسرائيل» ستستمر في بيع أسلحة لإيران؛ رغم الحظر الأمريكي.

ويأتي أخيرًا حسن استغلال اللوبي لمواقع وعلاقات عناصره، إذ ضم اللوبي الإيراني عددًا من الشخصيات ذات الحيثية في المجتمع الأمريكي وأبرزهم: سحر نوروزيان -إيرانية الأصل-، وكانت مستشارة الأمن القومي الأمريكي العليا، وموظفة سابقة في «المجلس الوطني الأمريكي الإيراني»؛ الذي كان يضم اثنين من الدبلوماسيين الأمريكيين السابقين -أيضًا- هما: توماس بيكرينغ -السفير السابق في «إسرائيل»-، وجون يمبرت -الذي احتجز رهينة من قبل النظام الثوري في عام (١٩٧٩)-.

كما تضم شبكة علاقات تريتا بارسي: مؤلف كتاب «اللوبي الإسرائيلي» ستيفن والت -من جامعة هارفارد-، والكاتبين: هومان مجد، ورضا أصلان،؛ فضلًا عن شخصيات من رجال الأعمال الإيرانيين مثل: عطية بهار، والناشط حسن داي.

وتضم قائمة الشخصيات -أيضًا-: فريال جواشيري -إيرانية الأصل-، وكانت تعمل ككاتبة خاصة للرئيس أوباما، ومساعدة له منذ كان عضوًا في الكونجرس، ورامين طلوعي -إيراني الأصل-، وقد عين عام (٢٠١٤) كنائب وزير الخزانة للشؤون الدولية، وفاليري جارت، أقرب المستشارات إلى أوباما، وأكثر الشخصيات تأثيرًا عليه.

ويحصل اللوبي الإيراني في أمريكا على تمويله المالي عبر دعم المجتمع المحلي؛ حيث يجمع اللوبي أموالًا من التبرعات والدعاية والضغط والعلاقات مع الكبار، بينما يأتي جزء من المؤسسات مثل: «صندوق بلاوشيرز»؛ التي أنفق ملايين الدولارات للتأثير على سياسة الولايات المتحدة تجاه إيران؛ وفقًا لمايكل روبين، مؤلف كتاب عن الدعم الإيراني لهذا اللوبي؛ فضلًا عن مؤسسة «بيناد علوي» التي أسسها شاه إيران عام (١٩٧٣) في نيويورك تحت اسم: «بيناد بهلوي»، ثم تغير اسمها بعد أن سيطر عليها الملالي إلى «بيناد مستضعفان» ثم «بيناد علوي»، ويسيطر عليها وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف، والتي تمتلك ناطحة سحاب في قلب مدينة نيويورك، تعود عليها بإيجارات ضخمة، تستخدمها في تمويل أكثر من (٣٠) مؤسسة تعليمية في عموم أمريكا.

وتنفق هذه الأموال -بالطبع- على أنشطة اللوبي، كما تستخدم لمكافأة الأكاديميين الذين يكتبون ما يرضي إيران والمؤسسات التربوية التي تُصدر دراسات تخدم مصلحة طهران.

■ مستقبل اللوبي الإيراني:

ولا شك أن النجاح الذي حققه اللوبي الإيراني بدفع الإدارة الأمريكية إلى توقيع الاتفاق النووي (٥+١) مع إيران؛ كان يعكس قدرة هذا اللوبي على تجاوز الكثير من العقبات والتحديات، والانتصار على الجهات التي ترغب في عرقلة التوصل للاتفاق، وهو ما يعد في الوقت ذاته دافعًا قويًّا لهذا اللوبي لأن يواصل نشاطه بل ويعمل على انتقاله لمرحلة أهم وأخطر.

وقد أشارت عدة صحف أمريكية إلى أن اللوبي الإيراني يقترب من تدشين مرحلة جديدة من العمل السياسي في أمريكا؛ حيث أعلن «المجلس الوطني الإيراني الأمريكي» عن الانتقال إلى هذه المرحلة الجديدة، وأنه يعتزم الإعلان عن إنشاء مجموعة ضغط «لوبي» إيرانية جديدة، تخوض غمار العمل السياسي مباشرة؛ على النحو الذي تفعله جماعات الضغط الأخرى مثل: اللوبي الصهيوني.

وأعلن المؤسسون للّوبي الإيراني الجديد على لسان المدير التنفيذي له جمال عابدي -وفق التقارير الأمريكية- أن الهدف الأساسي هو: استخدام الأموال التي يحصلون عليها؛ وخصوصًا من الإيرانيين في أمريكا من أجل القيام بنشاط سياسي فاعل ومؤثر ومباشر، قائلًا: «لقد حصلنا على كل هذه الأموال، وهي موجودة على الطاولة، وتمثل في حد ذاتها نفوذًا سياسيًّا لم نستخدمه بعد.. والآن بمقدورنا أن نبدأ فعليًّا في لعب اللعبة السياسية كاملة».

في حين أعلن المؤسسون للّوبي الجديد أن هدفهم المحوري هو: إحداث تحول سياسي في واشنطن؛ لصالح إيران طبعًا، وممارسة تأثير بعيد المدى على السياسة الأمريكية في مواجهة جماعات ضغط أخرى تناهض إيران وتنتقد -مثلًا- المفاوضات معها والاتفاق الأمريكي الإيراني، مؤكدين في الوقت ذاته: أنهم سوف يفتتحون (٣٠) فرعًا له في مختلف أنحاء أمريكا.

ومِن بين ما يعتزم اللوبي الجديد القيام به في المرحلة القادمة: التركيز على أمرين أساسيين:

أولهما: تمويل حملات مرشحين إلى الكونجرس الأمريكي والمواقع السياسية الأخرى.

وثانيهما: تنظيم الحملات السياسية المنتظمة دفاعًا عن إيران والترويج لعلاقات إستراتيجية جديدة بينها وبين أمريكا.

لكن في المقابل؛ ربما يشكل انتخاب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب -الذي يتبنّى مواقف أكثر حزمًا تجاه إيران- تحديًّا جديدًا أمام اللوبي الإيراني؛ إلا أنه في نهاية الأمر يمكن أن نصف دور اللوبي بأنه ناجح، إذ استطاع أن يحجّم من ردود فعل ترامب بعد وصوله للبيت الأبيض.

فقد كان أقصى ما فعله ترامب هو: فرض عقوبات جديدة بحق شخصيات ومؤسسات إيرانية، لكنه لم يستطع إلغاء الاتفاق النووي، أو حتى تصنيف الحرس الثوري الإيراني باعتباره منظمة إرهابية!

وهو في حد ذاته انتصار لإيران؛ ذلك أنه في كل الأوقات كانت هناك عقوبات أمريكية مفروضة على إيران.

وليس مستبعدًا أن يمارس هذا اللوبي حزمة من الضغوط التي تضطر الإدارة الأمريكية إلى عدم تجاوز نقطة بعينها في التعاطي مع إيران، وهو ربما ما تكشف مؤخرًا، والذي رغم عدم امتلاكنا أدلة على مسئولية اللوبي الإيراني عنه؛ إلا أننا لا نستبعد أن يكون وراءه بقصد الـ «بروبجندا»، أو رسالة للضغط، حيث قامت نهاية شهر (يوليو) من العام الجاري مجموعة تطلق على نفسها: «جيش حزب الله أمريكا» بتوزيع بيان مطبوع باللغة الفارسية في أمريكا، هددت بضرب المصالح الأمريكية داخل أراضيها في حال عدم انسحاب القوة البحرية الأمريكية من الخليج العربي، وذلك بالتزامن مع مصادقة الكونجرس على عقوبات جديدة تطال الحرس الثوري الإيراني.

■ كيفية المواجهة:

من المثير للدهشة: أن نشأة اللوبي السعودي في أمريكا سبقت اللوبي الإيراني؛ إذ تعود هذه النشأة إلى أواسط الثمانينيات؛ حين تم تعيين الأمير بندر بن سلطان سفيرًا للمملكة في واشنطن، وكان له الدور الأكبر في تطوير العلاقات السعودية-الأمريكية التي نجحت في أن تصمد أمام هزات عنيفة أشهرها: أحداث (الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م).

ومنبع الدهشة: أن اللوبي السعودي لم يستطع أن يحقق ما حققه نظيره الإيراني فيدفع الإدارة الأمريكية إلى أن تتحول عن توقيع الاتفاق النووي الذي يمثل تهديدًا حقيقيًّا لأمن المملكة والمنطقة بأكملها؛ ذلك أنه ليست هناك ضمانات حقيقية تمنع إيران عن الاستمرار في استكمال برنامجها النووي، أو اقتصاره على الجانب السلمي.

غير أن تفسير ذلك ربما يعود إلى افتقاد اللوبي السعودي إلى حاضنة شعبية قوية، كما هو الحال بالنسبة للوبي الإيراني، فعدد السعوديين المقيمين في الولايات المتحدة لا يقارن على الإطلاق بالإيرانيين الذين بلغوا الملايين، والسبب بالطبع أن المملكة ليست طاردة لأبنائها، فأغلب السعوديين المتواجدين بأمريكا هم زوار أو مبتعثين للدراسة.

لكن على كلٍّ فإن اللوبي السعودي يمتلك من الأدوات والإمكانيات ما يمكنه -في حال أحسنَ استغلالَها بالإضافة إلى تفعيل التنسيق مع بقية اللوبيات العربية الأخرى- أن يحقق قفزات هائلة، فاللوبي السعودي يتميز بقربه من كبار صناع القرار في الولايات المتحدة، ويقوم بتمويل عدد من مراكز الأبحاث والمؤسسات، ومنها: «معهد الشرق الأوسط، ومجلس سياسة الشرق الأوسط، ومؤسسة بيل وهيلاري وتشيلسي كلينتون»، ودعَم لفترة «مجلس الأطلسي» وهو مركز أبحاث للدراسات الإستراتيجية، يقدم النصح والإرشاد للنواب الأمريكيين.

ويحتاج اللوبي السعودي -والعربي بشكل عام- إلى أن يموّل حملات إعلامية في التلفزيون والصحافة للترويج لأهمية المصالح الأمريكية-العربية المشتركة سياسيًّا واقتصاديًّا، ويكشف عن الدور الإيراني الخبيث في المنطقة! وكيف أنها بالموقف الأمريكي السلبي ترتكب جرائم شنيعة.

كما أن مسألة التنسيق بين اللوبي السعودي وبقية اللوبيات العربية مهمة لأقصى درجة؛ ذلك أن اللوبيات الخاصة ببعض الدول يمكن أن تعوض النقص فيما يتعلق بالحضانة الشعبية، فالمهاجرون العرب من غير الخليجيين كُثر في الولايات المتحدة، ومن ثم فلا داعي لحالة التنافس فيما بين اللوبيات العربية؛ خاصة وأن المصالح العربية مشتركة، والأمن العربي واحد.

الحوثيون..
قراءة في التكوين النفسي

حِمير الحوري-كاتب يمني

خاص بـ «الراصد».

كشْف نفسية الإنسان يقود إلى فهم من هوَ؟

فمعرفة بنائه وتكوينه النفسي يُعرّفنا بنقاط ضعفه وقوته، وأيضًا يُعرّفنا ببواعث اختياراته الفكرية، وتلمّس اتجاهاته المستقبلية.

ومن الممكن أن تُدرس حالة التنظيمات والجماعات باعتبارها نفسية واحدة؛ ناتجة عن تجمع واسع لنفسيات متعددة، التقت قواسمها المشتركة؛ فذابت آحادها في الجماعة لتكوّن بمجموعها كتلة واحدة، يصلح أن نشبهها هنا بنفسية واحدة لها خصائصها المميزة وشخصيتها الاعتبارية.

وسنتناول في هذا المقال: النفسية المكوِّنة لجماعة الحوثي؛ التي نشأت في نهايات القرن الماضي في شمال اليمن، وأثّرت في الواقع اليمني ومحيط الجزيرة العربية، بل كان لها

مشاركات في أبعد من ذلك بكثير خارج مجالها الجغرافي، والتوقع أن يكون لها تأثيرات واضحة على مستقبل اليمن القريب.

وفي هذا المقال؛ نحاول التعرف عليها من الناحية النفسية، بعيدًا عن ضجيج الإعلام، وبعيدًا عن التناول الفكري البحت للجماعة وأفكارها؛ وذلك يساعدنا في معرفة إفرازات الجماعة القريبة على مستقبل اليمن والجزيرة العربية، كما يُمكّننا -أيضًا- من رصدها والتنبؤ بسلوكها؛ وذلك يعني: معرفتنا بطرائق مواجهتها، والسبل الملائمة للتعامل معها.

وهذه القراءة للتكوين النفسي للجماعة سنعرضها عبر تقنيات وتوصيفات يقررها علماء النفس في كتبهم، ويمكن تلخيصها في التالي:

- **التنقيب الأثَري:**

التنقيب الأثري هو: عملية بحث في بقايا آثار المجتمعات الغابرة؛ التي من الممكن أن تدل على طبيعة حياتها وسلوكياتها في تلك الحقبة، ومن الممكن أن تنعكس في سلوك الأجيال التالية لها.

وفي تنقيبنا في النفسية الحوثية وسبر أغوارها البعيدة نجد آثارًا ومعالمَ ضاربة في التاريخ، لكنها مؤثرة وبشكل حيوي في النفسية الحوثية المعاصرة؛ فكرًا وسلوكًا، وتلك «الحفريات» الأثرية في النفسية الحوثية يتلخص أهمها في:

- **تعصب سلالي واضح**، يظهر في حركات التمرد المستمرة التي قادها أجدادهم بحجة النسب الطاهر وما لديهم من آثار نبوية تعطيهم الحق في الحكم والسيطرة!
- **ارتباط الذهنية التاريخية للنفسية الحوثية بمعارك وصدام دائم**، شكّل السمة الملازمة للذاكرة الحوثية، ولا يخفى ما لذلك من أثر على تكوين نفسية الجماعة، وانعكاسه السلبي على الإدراك والسلوك.

ولعل هذا يفسر لنا سر استماتة الجماعة في التمسك بالسلاح كخيار مصيري في عملية التغيير التي ينشدونها.

تلك الآثار المخبوءة في أعماق النفس الحوثية هي التي يعمل الحوثيون على إحيائها فكرًا؛ كما في ملازم حسين الحوثي، أو سلوكًا؛ كما في الحراك العسكري الذي اشتعل في العقود الثلاثة الأخيرة.

ومن خلال هذا التنقيب في جذور الجماعة تتضح الأرضية السلالية[1] والعصبوية التي نشأت عليها الجماعة، وتؤثر بشكل واضح في تشكيل سياستها الحالية.

- **تقنية المشاركة الحرة:**

هذه التقنية تعني: السماح للنفس بالتعبير في وسط عالٍ من الحرية أو بطريقة عفوية، بقصد استكشاف ما يدور في داخلها من أفكار وإرادات؛ تظهر بطريقة انسيابية دون قيود.

وفي حال الاسترخاء النفسي للجماعة الحوثية، والتعبير العفوي عن مكنوناتها الفكرية وتوجهاتها السياسية فيما يتعلق بالآخر -كمثال- من الممكن أن تُسَجل الملاحظة التالية:

الآخر في الذهنية الحوثية ما هو إلا عميل أو خائن، ولا مكان لفكرة التشاركية الندية معه.

تجليات هذه النزعة المتأصلة في النفسية الحوثية لا نقول: إنها تظهر مع خصومهم في الشرعية فقط؛ إنما مع حلفائهم من حزب المؤتمر أيضًا، فقد وضع الحوثيون على كل مرفق حكومي أو إدارة تخضع لحزب المؤتمر مندوبًا حوثيًّا يشرف ويتابع كل التفاصيل، ولا اعتبار هنا لوزير أو عضو مجلس الشعب، فحلفاؤهم ليسوا موضع ثقة؛ فضلًا عمّن سواهم.

فالآخر -إذًا- لا اعتبار له عندهم! إلا بما يخدم أفكارهم وتوجهاتهم.

تلك النزعة أدّت إلى فجورهم في الخصومة؛ لدرجة أن وضعوا

---

(١) أكدت الوثيقة الفكرية والثقافية التي حررها الحوثيون بتاريخ (٢٠١٢/٢/١٠م)، على أحقية الإمامة والرئاسة في ذرية علي عليه السلام؛ التي يدعي الحوثي الانتساب إليها!

صور خصومهم في مناهج التعليم بجوار آيات النفاق، بطريقة فجة! وبأسلوب يضر بمناهج التعليم[1] وعقول الأجيال.

وانعكاسًا لهذا التكوين النفسي الخطير في النظرة العلوية للنفس والدونية للآخر لم يبالوا بتفجير منازل خصومهم بل ومراكز القرآن الكريم التابعة لمنافسيهم، في سلوكٍ عملي يعكس طبيعة تكوينهم النفسي.

- **الوعي النفسي:**

الوعي هو: جوهر الإنسان وخاصيته التي تميزه عن باقي الكائنات الحيّة الأخرى، فالوعي يصاحب كل أفكار الإنسان وسلوكه، فوعي الإنسان يُعد وعيًا تلقائيًّا، كما أن ارتباطه بالأحاسيس والمشاعر يضيف إليه بُعدًا آخر، يُعرف بـ «الوعي النفسي»، يظهر هذا الوعي في الحياة العمليّة، وقد يتجسد في شكل وعي سياسي أو ديني.

ولو بحثنا في سؤال: كيف تعي الشخصية الحوثية نفسها؟ لوجدنا أن ذلك الوعي النفسي يدور حول نقطة مركزية وهي: الأحقية السياسية في الحكم، ومن الممكن أن نطلق عليها: «الذات السياسية».

وهذه الذات أسهمت في تشكيل الوعي النفسي للجماعة بشكل كبير، فالنفسية الحوثية ترى أنها تعيش لتحكُم، ولا مشكلة لديها بشكل الحكم أو الطرائق الموصلة إليه! فالوعي الذاتي والنفسي يدفعها لإعلان الولاء والحب لكل من يسندها في مشروعها السياسي.

فالنفسية الحوثية التي تضخمت لديها الذات السياسية؛ لا مشكلة لديها في التحالف حتى مع من يكفرّها دينيًّا؛ كما هو الحال في تحالف الجماعة مع إيران الإمامية التي يرى مذهبُها الرسمي كفرَ الحوثي؛ وفقًا لمعتقدات الإثنى عشرية.

وتلك النفسية السياسية المهيمنة على الوعي الحوثي تأخذ مبرراتها من تراثها الديني الجارودي؛ الذي يرى أحقيتها في الحكم تفضيلًا إلهيًّا!

- **اضطرابات الشخصية:**

نجد أن الاضطرابات النفسية -بحسب المختصين- تتميز بأنماط سلوكية وإدراكية ثابتة وصعبة التغيير والتأقلم، وتظهر هذه الأنماط غير السوية خلال السياقات التفاعلية المختلفة للشخصية، وتجنح بعيدًا عن السلوكيات المقبولة لثقافة المجتمع.

وتتكون هذه الأنماط غير السوية -غالبًا- أثناء مراحل النمو، وتكون ذات طبيعة غير مرنة وغير متكيفة، ودائمًا ما يصاحبها قدر من التوتر والضغط النفسي.

هذا التوصيف العام لمفهوم الاضطرابات النفسية نجد خطوطه فاقعة في النفسية الحوثية العامة، ويمكن أن نتناول مظاهر اضطرابات النفسية الحوثية في جملة خطوط:

- **نمط سلوكي وإدراكي ثابت وصعب التغيير والتأقلم؛**

يستشعر هذه المشكلة أكثر من غيرهم السياسيون الذين اشتركوا مع الحوثيين في جلسات عمل سياسي، أو حتى جلسات حوار مذهبي.

فالنفسية الحوثية متصلبة على مستوى الإدارك والسلوك، فالإدراك يظهر في تمسكهم بما يشبه ولاية الفقيه، ويريدون أن يكون زعيم الجماعة سيّدًا على كل اليمنيين؛ دون مراعاة لقوى المجتمع الأخرى.

فالإدراك عندهم -هنا- لم يستطع تجاوز نموذج حزب الله اللبناني، إذ يسعون لتطبيق ذلك النموذج دون مراعاة للحالة اليمنية.

أما على مستوى السلوك؛ فإن الثبات على حالة الخطاب الاستعلائي مع المكونات الأخرى والمجتمع اليمني والإقليمي قاد

---

(١) يراجع مقال: (تغيير طائفي ممنهج للمناهج الدراسية في اليمن) للكاتب صالح البيضاني على الشبكة العنكبوتية.

اليمن إلى أزمة حقيقية، ومردّ ذلك كله إلى هذا النمط المتصلب الذي تعاني منه النفسية الحوثية!

◙ السياق التفاعلي مع المجتمع يبرز تلك الاضطرابات ويثبتها، فحين اشترك الحوثيون في مؤتمر الحوار الوطني ظهر ذلك الاضطراب النفسي للجماعة بشكل مقزز! ففي أثناء الحوار مع الدولة ومكونات المجتمع اليمني بمؤتمر الحوار الوطني كانوا يحملون السلاح على الدولة، ويقاتلون المجتمع اليمني في دمّاج والجوف وحَجّة في نفس الوقت، في تناقض ومراوغة فجة! لا تقيم وزنًا لأيّة اعتبارات دينية أو سياسية.

◙ النفسية الحوثية لا تتسق مع شخصية المجتمع اليمني العامة، فهو مجتمع يقوم على تقدير الآخر واحترام الذات، ومجتمع يملك ذاكرة سياسية حية ما زالت تذكُر بشكل واضح تاريخ الإمامة السيئ في اليمن.

غير أن النفسية الحوثية - نظرًا للاضطرابات النفسية التي تعاني منها - لا تُقدّر ولا تُراعي كل هذا، وتريد فرض واقع ثقافي وسياسي شاذ لا يتسق مع بُنية المجتمع الثقافية تمامًا، وهو ما يعني: خلق حالة من الانقسام الحاد والمزمن في المجتمع اليمني.

◙ غالبًا ما تؤثر مراحل النمو في خلق الاضطرابات النفسية، ونجد أن الحوثيين؛ سواء في ولادتهم المعاصرة ونموهم القريب، أو في ولادة فكرة السلالية في الحقبة التاريخية البعيدة؛ والتي شكلت ذاكرتهم السياسية لاحقًا، تلك الولادة الحوثية عانت من تشوهات وآلام أسهمت في خلق نمط حاد ودموي، أصبح مرتبطًا عضويًّا بنفسية الجماعة وسلوكها.

◙ كما أن السمة الجامعة في اضطرابات الشخصية هي: التوتر والضغط النفسي، وهذه السمة تفسر لنا هذا التشنج الحوثي الدائم القائم على التخوين وتضخم فكرة المؤامرة، ففي حين يبادرون لقتل وتشريد المجتمع يتهمون أمريكا بذلك، وفي حين ينادون باللعنة على اليهود، تتوجه لعنات بنادقهم نحو المجتمع اليمني لا المجتمع الصهيوني!

• نفسية ذات طابع درامي:

تُعد الشخصيَّة الدراميَّة - أو ما يعرف بالاستعراضيَّة - من أكثر الشخصيات المثيرة للجدل والمحيرة، كما أنّها تعاني على الدوام من التناقض على المستوى الشخصي؛ لدرجة أنّه يصعب كثيرًا تفسير سلوك هذه النفسية على وجه الدقة لمخالفتها المعقولات.

والشخصية الحوثية تُعد ذات نفسية درامية بما للكلمة من معنى، والنفسية الدرامية - كما يشير أهل الاختصاص - لها جملة سمات منها:

◙ معاداة المجتمع: فالنفسية الحوثية ذات نمط سلوكي معادٍ ومتجاهل ومنتهك لحقوق الآخرين، فهو عبارة عن صورة ذاتية منتفخة، ومجموعة سلوكيات استغلالية ومتهورة.

ونلاحظ مطابقة هذه السمة - معاداة المجتمع - للنفسية الحوثية بشكل فاقع وملفت، ويتمثل ذلك جليًّا في فشلها بالتزام المعايير الدينية والاجتماعية، وعدم احترام السلوكيات القانونية، ويظهر - أيضًا - في تمرسها في الخداع من خلال الكذب مرارًا، وتسمية الأمور بغير مسمياتها، فبشار الأسد - عندهم -: مناضل، وتفجير المساجد: جهاد![1]

كما تتسم النفسية الحوثية في إطار معاداتها للمجتمع بالاندفاعية والانفعالية والعدوانية، وهذا مشاهَد في إلقاء عناصرهم في التهلكة ودخولهم معارك غير محسوبة.

فهي نفسية تستخفّ بسلامة نفسها؛ فضلًا عن عدم مبالاتها بسلامة الآخرين، وهي لا تتحمل المسؤولية باستمرار، وترمي المسئولية على الآخرين بطريقة فجة، فالسبب في ما آلت إليه اليمن

(١) يعتبر الحوثي هذه المساجد: (مساجد ضرار)! وهي نفس الحجة والسلوك اللذين مارستهما الإمامية - قديمًا - مع مخالفيها.

من صراع واسع ودموي يتحملها خصومهم فقط -في نظرهم-؛ أما هم فليسوا سوى حمَامات سلام!

كما أنها نفسية تفتقر إلى الإحساس بالندم، ويتضح في كونها غير مبالية بالألم التي تسببت به لكل اليمنيين وجيرانهم، بل إنها تبرر وجوده!

■ **شخصية حدية:** وهذا يظهر في عدم الاستقرار في العلاقات مع الأطراف والكيانات الأخرى، حتى الزيدية منها.

وهذه الحدية في النفسية الحوثية تظهر -أيضًا- في مفهوم الذات والهوية، فهم الجماعة التي ترى في نفسها علوًا على الآخرين وتميزًا لا يطاوله أحد! -رغم حالة الفقر المعرفي والسلوكي الذي تعانيه-.

وتلك الحدية في النظرة للذات نتج عنها بطبيعة الحال: الحدية في السلوك والممارسة!

■ **شخصية هستيرية:** في قراءة المكون النفسي للحوثيين نلحظ أن هذه السمة –الهستيرية- أبرز مكوناتها.

فالمباهاة وحب الظهور صفة ملازمة للنفسية الحوثية، فلا يكاد يوجد مناسبة أو حادثة إلا وللجماعة فيها خطاب وصراخ لمجرد تسجيل الحضور السياسي والديني، وتضليلٌ للمجتمع عن القضايا الكبرى.

وهي نفسية استعراضية، ويظهر ذلك في حجم الإنفاق الإعلامي والدعائي لتغطية هذه الحاجة النفسية المكونة للجماعة، والميل للمبالغة صفة مميزة للنفسية الحوثية؛ مع الكذب والتلون والانفعالات السطحية والسريعة تبعًا للمصلحة، فالذات الحوثية مُقدمة على ذات المجتمع وصالحه.

• **الخلاصة من كل ذلك:**

أن النفسية الحوثية في مجملها: شاذة فكرًا وسلوكًا!

وهذا يعني: أن الجماعة تُشكل عقبة حقيقية في طريق مستقبل اليمن، وستكون مصدر إزعاج للمجتمع اليمني، وخلال العقود القادمة ستشغل المجتمع بقضايا ثانوية ومسائل دعائية لا تشكل في ظاهرها ولا مضمونها أي قيمة حضارية.

ومعالجة هذه النفسية للجماعة تتطلب -بالإضافة إلى عمليات الردع والتأديب والتقزيم- جهودًا إعلامية وتوعوية ضخمة، وإعادة تأهيل فكري وسلوكي لعناصر الجماعة قدر الإمكان.

وسيكون من الحكمة محاولة حصر هذه الجماعة في جغرافيا ضيقة في اليمن؛ إن صعب إزالتها من الخارطة اليمنية، مع الاهتمام بتحصين المجتمع وتنويره من أفكارها الضارة.

زيارة كبير أساقفة كانتربري للسودان..
تجديد المشروع التنصيري بعد انفصال الجنوب

د. محمد خليفة صديق- كاتب سوداني

خاص بـ «الراصد».

مقدمة

مشروع تنصير السودان كان ولا زال أحد المشروعات الكبرى التي تعمل لها الكنيسة، بمختلف مسمياتها وطوائفها في العالم، وكان أبرز ثمرات هذا المشروع الضخم: انفصال جنوب السودان ليكون دولة مستقلة مسيحية علمانية، ولتكون هذه الدولة الوليدة سدًّا منيعًا أمام تمدد الإسلام جنوبًا باتجاه إفريقيا جنوب الصحراء.

وظل حلمُ تنصير السودان يراود الكنيسة حتى بعد انفصال الجنوب، وسعت لتثبيت وتوسيع الوجود النصراني في السودان؛ خاصة المناطق المتاخمة لجنوب السودان مثل: جنوب كردفان (جبال النوبة)، وجنوب النيل الأزرق، وغيرها.

وضمن حلقات تجديد المشروع التنصيري للسودان تأتي الزيارة الأخيرة لجاستين ويلبي -كبير أساقفة كانتربري، ورأس الكنيسة الإنجيليكانية الأسقفية في العالم- للسودان، مع وفد كبير

من أساقفة هذه الكنيسة على مستوى العالم؛ لافتتاح مجمع الكنيسة الأسقفية السودانية، وهو المجمع الإنجليكاني رقم (٣٩) في العالم، وتنصيب المطران حزقيال كندو -رئيس الكنيسة الأسقفية السودانية وأسقف الخرطوم-؛ ليكون كبيراً للأساقفة بالسودان، وهي الخطوة الأولى من نوعها بعد انتقال الكنيسة الأسقفية القديمة إلى دولة جنوب السودان عقب الانفصال.

يناقش هذا المقال النشاط التنصيري وتاريخ وجود الكنيسة الأسقفية بالسودان، وبمنطقة جبال النوبة تحديدًا، ودور الاستعمار الإنجليزي في توسيع العمل التنصيري في تلك المناطق، وزيارة كبير أساقفة كانتربري، وافتتاحه لمجمع الكنيسة الأسقفية السودانية؛ الذي يعتبر الأول في السودان بعد انفصال دولة جنوب السودان.

حيث تعد الكنيسة الأسقفية من الكنائس التي لها أتباع كثر، أغلبهم من أبناء جبال النوبة؛ الذين ينحدرون من ولاية جنوب كردفان بالوسط الغربي للسودان.

كما يناقش المقال أبعاد هذه الزيارة، ودورها في تجديد المشروع التنصيري في السودان، وجبال النوبة تحديدًا.

■ **من تاريخ التنصير ونشاط الكنيسة الأسقفية بالسودان:**

دخل الإسلام باكرًا لمناطق الغرب الأوسط للسودان (كردفان وجبال النوبة وماجاورها) منذ القرن السادس عشر الميلادي، بتمدد نفوذ دولة سنار الإسلامية، كما احتضنت أرض كردفان ممالك إسلامية مثل: مملكة تقلي، ومملكة المسبعات؛ والتي تعتبر من أعرق الممالك الإسلامية السودانية، وقد آوت المنطقة ونصرت الإمام محمد أحمد المهدي؛ زعيم الثورة المهدية، التي سيطرت على السودان في الفترة من (١٨٨١) وحتى (١٨٩٩م).

تعود بداية الوجود المنظم للمسيحية في كردفان إلى عام (١٨٧١م)، بتأسيس كنيسة ومدرسة بمدينة الأُبيض، بتوجيه ودعم من الأب دانيال كمبوني، ومنها امتدت بعملها إلى جبال النوبة؛ لتدريب الأهالي على الاكتفاء الذاتي من الغذاء عبر الزراعة كمدخل للتنصير، حيث تم تأسيس بعض المراكز والإرساليات؛ والتي خرجت بعد اندلاع الثورة المهدية، وكانت سياسة الأب كمبوني تقوم على إقامة قرى كنسية لمن تم تنصيرهم في جبال النوبة في مناطق منعزلة، على مسافة يوم أو يومين من أقرب مركز سكاني لإبعادهم تمامًا عن المؤثرات الإسلامية.

ويعتبر الأب ليوللين قويني (١٨٦٣-١٩٥٧م) أول من بذر بذور الكنيسة الإنجليكانية الأسقفية في السودان، وكان من أبرز المتعصبين لمشروع تنصير السودان، وهو أول من أقام مطرانية منفصلة للكنيسة الإنجليكانية في مصر والسودان، وكانت سياسة هذه الكنيسة لتنصير المسلمين تقوم على أساس الخطاب المباشر، وبث التعليم والخدمات الصحية.

كانت فترة الاستعمار الإنجليزي للسودان (١٨٩٩-١٩٥٦م) هي الفترة الذهبية لنشاط التنصير فيه، وكانت للاستعمار اليد الطولى في تقوية ودعم النشاط التنصيري في البلاد؛ خصوصًا مناطق جبال النوبة؛ ففي عام (١٩١٩م) أصدرت الإدارة الإنجليزية أمرًا رسميًّا بدعم العمل التبشيري في جبال النوبة من قبل الحكومة، وتم افتتاح مركز «هيبان» التنصيري في عام (١٩٢٠م)، ويعتبر حتى الآن المركز الرئيس.

وتوالت من بعده المناطق الأخرى، بدعم كامل وسند رسمي من حكومة المستعمر، ومنها تم تخصيص إرسالية السودان المتحدة لرعاية التبشير والتدريب ودعمه، قبل أن تتولى الكنيسة الأسقفية زمام الأمر في عام (١٩٣٤)؛ فافتتحت لها عدة مراكز في كل من: «سلارا، كادقلي، عبري، هيبان، كاتشا، كاودا، مورو، تالودي، تبانيا»، وتم دعم ذلك العمل حتى خروج الأجانب في عام (١٩٦٢) ليتولى الخريجون السودانيون من النوبة الأمر من بعد؛ للحفاظ على جذوة التنصير متقدة.

قام الاستعمار الإنجليزي بقفل منطقة جبال النوبة منذ

(١٩٤٣م) وحتى استقلال السودان في (١٩٥٦م) في وجه المسلمين، فأصدر المفتشون الاستعماريون الإنجليز تعليمات بعدم دخول أي عنصر مسلم أو عربي لجبال النوبة إلا بتأشيرة دخول، وسعى لمحاربة كل ما هو إسلامي وعربي، ومنع التواصل بين قبائل الشمال وسكان جبال النوبة.

وأطلق يد القساوسة والمنصرين لتنصير أبناء المنطقة؛ خاصة في المنطقة الجنوبية من كادوقلي عاصمة جبال النوبة؛ لزراعة الكراهية بين أبناء النوبة والقبائل غير النوبية؛ وخاصة الدعاة الذين نشطوا في نشر الإسلام في جبال النوبة.

وقد استغلت الإرساليات التنصيرية عملها في المسح الميداني لمرض الجذام الذي ضرب المنطقة في تلك الفترة؛ لنشر التبشير الكنسي، وإبعاد كافة مظاهر العروبة والإسلام في هذه المناطق، وعملت على ترجمة الأناجيل إلى اللغات واللهجات المحلية وكتابتها بالحروف الإنجليزية للمكونات القبلية في المنطقة؛ كما في حالة «الأطورو، هيبان وغيرها».

كما دعت الإدارة الاستعمارية المؤسسة التنصيرية المسماة بـ (الإرسالية المتحدة) لمباشرة جهودها في التنصير في جبال النوبة، ثم دعت كذلك (الجمعية المسيحية الإنجيليكانية) لفتح عدد من المدارس والمراكز والمحطات التبشيرية في المنطقة، حيث تمكنت الأخيرة من فتح مدرسة في منطقة سلارا في عام (١٩٣٥م)، تبعتها مدارس أخرى في عدد من المناطق.

تواصل النشاط التنصيري المحموم في جبال النوبة حتى بعد خروج المستعمر من السودان في (١٩٥٦م)، وكانت فترة حكم الرئيس إبراهيم عبود (١٩٥٨-١٩٦٤) من أفضل الفترات التي تمت فيها محاربة التبشير النصراني في جبال النوبة وجنوب السودان، وبذلت فيها جهود مقدرة لدعم الوجود الإسلامي في تلك المناطق ونشر اللغة العربية.

ويلاحظ أن كل الجهود التنصيرية في السودان تحاول دائمًا الربط بين جبال النوبة وجنوب السودان، ومعظم منظمات التبشير الكنسي التي تعمل في جبال النوبة تحت غطاء (العمل الإنساني والتنموي) لها فروع في جنوب السودان، مثل: «منظمة سمارتن بيرس الأمريكية، ومجلس الكنائس النرويجي، ومنظمة العون الكنسي الأمريكي، ومنظمة سودان إيد، ومنظمة العون الكنسي الدنماركي، ومنظمة مثلث سرف جاموس -التي تُصدر نشرة اسمها: (استيقظ)-، ومنظمة مدير البريطانية، ومنظمة كير السويسرية للإغاثة، ومنظمة سول للتعليم»، وعدد آخر كبير من المنظمات والجمعيات.

وقد أسست هذه المنظمات أكثر من (٩٠٠) كنيسة في جبال النوبة في الفترة ما بين (٢٠٠٢-٢٠١١) معظمها مشيدة بمواد ثابتة، وأثاث فاخر، منها حوالي (٣٠٠) كنيسة في المنطقة الجنوبية ومحلية برام، وأكثر من (٢٠٠) كنيسة في أم دورين وما جاورها، وأكثر من (١٣٠) في هيبان، وأكثر من (١٣٠) في كاودا وما جاورها، وأكثر من ١٢٠ في مناطق دلامي.

من الأسباب التي خففت من غلواء النشاط التنصيري في جبال النوبة: النشاط الذي قاده الفقيه السوداني محمد الأمين القرشي في جبال النوبة بداية الأربعينيات إلى منتصف الخمسينيات بمناطق الدلنج وما جاورها، وقد تخوفت الإدارة الاستعمارية من نشاط الشيخ القرشي، وعرضت عليه منصب قاضي قضاة حضرموت ليتخلى عن نشاطه الدعوي، كما نشط الشيخ البرناوي في منطقة الليوي وكالوقي وتلودي، وكان لهذه الجهود وغيرها دور كبير في عدم دخول المسيحية في الجزء الأوسط والشمالي والشرقي والغربي لجنوب كردفان.

ومن أبرز نشاط المنصرين بالمنطقة: ما قام به د. ديفيد رودن -أستاذ الجغرافيا في جامعة الخرطوم عام (١٩٦٤)- من تدريب لأبناء جبال النوبة على طباعة الإنجيل باللغات المحلية، وما قام به القس دون أبو سيل -راعي الكنيسة الرسولية الجديد-،

والذي نشط في التنصير في المناطق الطرفية والعشوائية، وكان للقس الأمريكي جون دانفورث والبارونة الإنجليزية كارولين كوكس دور كبير في دعم جهود التنصير وحركات التمرد في المنطقة.

وظهرت مؤسسات نصرانية أخرى مثل: «الكنيسة الأرثوذكسية الإسرائيلية، وشهود يهوه، والكنيسة الخمسينية» وغيرها، نشطت في جمع الأطفال المشردين من الحرب وشظف العيش وتنصيرهم؛ حيث تستخرج لهم أوراقاً ثبوتية، وترسلهم بالبر لدول الجوار، ومن ثم إلى أوربا، ويتم تدريبهم على وسائل التنصير وباللغة العربية، ثم ترسلهم لمناطقهم ووسط قبائلهم.. وتقوم بتمويل مشاريعهم جمعية «حملة المسيح» التنصيرية، ومقرها كينيا.

وهذه الجهود الكبيرة للتنصير في جبال النوبة لم ترد الكنيسة أن تضيع هكذا، وحاولت جاهدة بكل السبل أن تدعمها بزيارات القيادات الكنسية العالمية، وبالدعم المادي والعيني وغيره.

ومن المحطات المهمة في العمل التنصيري المعاصر في السودان: زيارة بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني للخرطوم في فبراير (١٩٩٣م)، ورغم الاستقبال الرسمي والترحيب الذي لاقاه يوحنا بولس الثاني، لكنه في لقائه بالرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون في (أغسطس ١٩٩٣م) أيد القرار الأمريكي بفرض العقوبات على السودان، ووضعه على قائمة الدول الراعية للإرهاب، وكان البابا قبلها بشهر واحد يجتمع مع قيادات التنصير الكنسي لبحث سبل العمل في السودان.

وتلا ذلك مجموعة القرارات الدولية والأمريكية الخاصة بالسودان للتضييق عليه وحصاره؛ لإعطاء فرصة أكبر لمؤسسات التنصير لاختراقه عبر العمل الإغاثي والطبي، فصدرت قرارات تدين السودان من الأمم المتحدة ومنظمة العفو الدولية وصندوق النقد الدولي، ووصل الأمر إلى التهديد بإقامة مناطق آمنة للنصارى في السودان.

كما أرسل بابا الفاتيكان رئيس الأساقفة الألماني بول كوردز مبعوثًا شخصيًّا له إلى السودان في تلك الفترة، وأعلن راديو الفاتيكان عن منظمة تنصيرية جديدة للعمل في السودان باسم: «السامري الصالح».

ويبدو أن الزيارة الحالية لكبير أساقفة كانتربري، ورأس الكنيسة الإنجيليكانية الأسقفية في العالم؛ تأتي في هذا الإطار لتجديد وتعضيد النشاط التنصيري في السودان؛ خاصة في مناطق نفوذ الكنيسة الإنجيليكانية الأسقفية في جبال النوبة بولاية جنوب كردفان.

■ من هو جاستين ويلبي كبير أساقفة كانتربري؟

ولد القس ويلبي في لندن في عام (١٩٥٦م)، وهو من أصول يهودية ألمانية؛ حيث هاجرت عائلته من هناك إلى بريطانيا، وتلقى تعليمه في كلية أتون وكلية ترينتي كامبردج؛ حيث درس القانون والتاريخ لمدة (١١) عاماً، خمسة منها في باريس، وستة في لندن، ويعمل الآن في صناعة النفط، وأصبح أمينًا لصندوق مجموعة شركة الاستكشاف والإنتاج البريطانية، وكان عضوًا في كنيسة سانت مايكل في باريس.

حصل على درجة عُليا في اللاهوت من كلية سانت جون دورهام، بالتركيز على موضوع الأخلاق في مجال العمل، وفي عام (٢٠٠٧م) تم تثبيته كعميد لكاتدرائية ليفربول، وفي عام (٢٠١١م) أعلن أنه الأسقف الجديد لدورهام، وفي (نوفمبر ٢٠١٢م) أعلن جاستن ويلبي كمساعد لأسقف كانتربري، وفي (فبراير ٢٠١٣م) أصبح رسميًّا كبيرًا لأساقفة كانتربري.

كشف ويلبي في مؤتمر صحفي كبير في (أبريل ٢٠١٦م) أنه ابن غير شرعي لآخر سكرتير شخصي لرئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل، خلافًا لما كان يُعتقد بأنه ابن تاجر الويسكي غافن ويلبي؛ وذلك عبر فحص الحمض النووي، حيث ذكر ويلبي أن ذلك لا يشكل صدمة له، بل لا زال يفتخر بأمه.

وقد ذكرت صحيفتا ديلي تلغراف والتايمز آنذاك أن قانون الكنيسة البريطانية كان لمدة قرون لا يسمح للأبناء المولودين لآباء غير شرعيين بتولي منصب كبير الأساقفة، لكن تعديلًا جرى في الخمسينيات على القانون أباح توليهم المنصب.

■ **أبرز محطات زيارة كبير أساقفة كانتربري:**

أولى محطات زيارة ويلبي كانت: افتتاح مجمع الكنيسة الأسقفية السودانية، وهو المجمع الإنجليكاني رقم (٣٩) في العالم، وتنصيب المطران حزقيال كندو رئيس الكنيسة الأسقفية وأسقف الخرطوم؛ ليكون كبيرًا للأساقفة بالسودان، بحضور عدد من المسؤولين السودانيين، وأساقفة وممثلي مجامع كنسية مثل: المجمع الإنجليكاني الأفريقي، ومجمع جنوب السودان، ومجمع يوغندا، ومجمع مصر، ومجمع سنغافورة، ومجمع الصين.

وخلال الاحتفال الذي أقيم بكاتدرائية جميع القديسين بحي العمارات بالخرطوم كشف مسجل الكنيسة (أبو القاسم هابيل كومي) أن مجمع الكنيسة الأسقفية يتكون من أبرشية الخرطوم، كادوقلي، بورتسودان، ود مدني، وظهرت فكرة قيام مجمع داخلي في السودان منذ عام (٢٠٠٩م)، عندما كان واضحًا أن جنوب السودان سيكون دولة مستقلة.

وفي اجتماع اللجنة المركزية للمجمع في رومبيك بجنوب السودان قدمت المجموعة الشمالية مقترح أثنى عليه المجمع العام الإقليمي الذي عقد في عام (٢٠١١م)، ونتيجة لذلك أصدر رئيس أساقفة السودان وجنوب السودان الأمر الثابت رقم (١) عام (٢٠١٣م) بإنشاء وإقامة مجمع السودان الداخلي، وتم انتخاب حزقيال كندو كأول رئيس أساقفة للمجمع.

في (يوليو ٢٠١٦م) زار وفد المجلس الاستشاري الإنجليكاني السودان، برئاسة الأمين العام للمجمع الإنجليكاني، ورئيس أساقفة أستراليا، وممثل رئيس الأساقفة، وكان الهدف من الزيارة: معرفة ما إذا كان المجمع الجديد يفي بالمعايير الكنسية، وفي (سبتمبر ٢٠١١م) صوّت المجلس الاستشاري بالإجماع على إنشاء المجمع رقم (٣٩) في السودان.

يلاحظ خلال الاحتفال: أن معظم الذين تحدثوا من القيادات الكنسية يحملون أسماء عربية وإسلامية! مما يشير إلى أنهم من عائلات مسلمة، وأنهم ضحايا عمل تنصيري كبير وقوي، مثل: مسجل الكنيسة (أبو القاسم هابيل كومي)، ومقدم فقرة التحضير القس (حسن الفيل) -عميد كاتدرائية جميع القديسين-؛ الذي تناول فيها قراءات من الإنجيل، وفقرة الاعتراف العام التي قدمها عميد المجمع ومطران الأبيض الأسقف (إسماعيل جبريل)، وقدم فيها دعاء من أجل المجمع الجديد، ودعاء الأحد، ومقدم فقرة قراءة الإنجيل الأسقف (عبد النور كودي) -مطران أبرشية أم درمان-، وفقرة الإيمان والممارسات القس (موسى أبو جم) الأمين العام للمجمع.

وخلال ذات الاحتفال أدى المطران حزقيال كندو القسَم بحماية ودعم الدستور وقوانين الكنيسة، وتكريس نفسه من أجل الإنجيل، وقدم عهد الطاعة أمام مطارنة أبرشيات السودان.

وفي كلمته في الاحتفال، قال كبير أساقفة كانتربري أنه سعيد بوجوده في السودان لتدشين المجمع رقم (٣٩)، وتنصيب المطران حزقيال كندو كبيرًا لأساقفة للسودان، مشيرًا إلى التغييرات الحاصلة في العالم والتحديات الكثيرة التي تواجه العمل الكنسي.

وقال: «هناك أرض وشعب رائع في السودان، ولذلك الكنائس لا بد أن تعمل من أجل تطوير قدرات الناس في هذا البلد، ولدينا الكثير من الآمال والتطلعات».

وفي إشارة إلى تعلق الكنيسة الأسقفية بماضيها في السودان وجبال النوبة قال ويلبي: «قمنا بوضع أكاليل من الزهور على الذين رحلوا بكل أمانة، وهم أساس لهذه الكنيسة، المطارنة رعاة الكنيسة»، وذكر أن المهمة كبيرة جدًّا.

وقال: «عندما كنا في كادوقلي بالأمس قابلنا نازحين، وتم الترحيب بهم بسخاء في هذا البلد حتى يعيشوا فيه»، وفي ذلك

إشارة بضرورة النشاط التنصيري بين هؤلاء النازحين من جنوب السودان بمناطق جبال النوبة.

وشملت فقرات الاحتفال كذلك: كلمات للأساقفة وممثلي المجامع؛ كالمجمع الإنجليكاني الأفريقي، ومجمع جنوب السودان، ومجمع يوغندا، ومجمع مصر، ومجمع سنغافورة، ومجمع الصين.

كما قدم كبير أساقفة كانتربري هدايا، عبارة عن وسام للمطران حزقيال كندو، ولمطارنة الكنيسة الأسقفية بالسودان، وشكر وفد حكومة السودان لمشاركته وكلمته المؤثرة، وقال: «نحن نتعاطف معكم من أجل رفع الحصار عن السودان».

وفي كلمة الأسقف حزقيال كندو أمام الاحتفال قال مخاطبًا المطارنة والقسس: «حضوركم يؤكد أننا موجودون لكي نستمر، ونصبر»، وقدم شكره الخاص لكبير الأساقفة والضيوف الذين حضروا من جميع أنحاء العالم، وشكر شكرًا خاصًّا أبرشية (جنوب السودان)، والأسقف دانيال دينق -كبير أساقفة دولة جنوب السودان-، وقال أنه من خلالها تولّد هذا المولود في السودان.

أما وزير الإرشاد والأوقاف السوداني أبو بكر عثمان؛ فقد أكد خلال الاحتفال على التعايش الديني في السودان، وأن الناس سواسية في الحقوق والواجبات بغضّ النظر عن الدين والعرق، وقال: «نحن نرعى مثل هذه الفعاليات التي تلعب دورًا كبيرًا في تجسير الوحدة الوطنية».

ومن أبرز محطات زيارة ويلبي: لقاء رئيس الجمهورية المشير عمر البشير بالقصر الجمهوري، والذي رحب بالوفد الزائر، وتحدث عن الحريات الدينية بالبلاد، وذكر أن المسيحيين والمسلمين بالسودان يعيشون في أجواء من التسامح والوفاق؛ على الرغم من محاولات الإعلام السالب -سواء الخارجي أو من بعض الإعلاميين بالداخل- تشويه صورة التعايش الديني بالبلاد.

كما أكد البشير عدم تعرض الكنائس أو المؤسسات المسيحية إلى أي اعتداء، مما يؤكد أن المسيحيين في السودان ينعمون بسلام ويعيشون في محبة.

ومن محطات الزيارة ذات الدلالة التاريخية، والتي توضح أنها لا تنفك عن العمل التنصيري وتجديده في السودان: زيارة ويلبي والوفد البريطاني المرافق له لمتحف القصر الجمهوري؛ والذي كان في السابق كنيسة، وكانت هذه الزيارة بطلب من كبير الأساقفة، حيث استفسر عن قبر شارلس غردون؛ المُنصر المعروف، وحاكم عام السودان، والذي قتلته قوات المهدي في فتح الخرطوم في (١٨٨٥م) بموقع القصر الجمهوري الحالي.

وفي بعض الأحاديث الإعلامية حول زيارته للسودان أوضح ويلبي: أن التقارير الغربية عن الحريات الدينية بالسودان (مشوهة وغير دقيقة)، وتستند على حالات خاصة جرى تعميمها، ودعا وسائلَ الإعلام إلى تصحيح الصورة الذهنية التي رسمتها التقارير في المخيلة الغربية عن السودان.

ودعا ويلبي المسلمين والمسيحيين في السودان إلى تدعيم التعايش الديني، وأضاف: «المسلمون والمسيحيون عليهم التضامن لإشاعة السلام في كل المنطقة».

وعبّر عن إعجابه الكبير بالتجربة السودانية؛ سواء من الحكومة أو الأهالي؛ والتي قبلت واستوعبت اللاجئين.

وأعرب ويلبي عن سعادته بوجوده في السودان، قائلاً أن لديه انطباعات تتمثل فيما شاهده من كرم في استقبال اللاجئين وإيوائهم وتقديم الدعم والعون لهم.

وشدد على أن الحكومة السودانية تعمل على تقوية التعايش بين الأديان، والتداخل بين مكونات المجتمع المختلفة.

وقال ويلبي: «إن عملية التعايش السلمي بين الأديان تمثل تحديًا كبيرًا، ليس في السودان، بل في كل الدول التي عليها أن تظهر قدرًا كافيًا من القيم».

وتمنى أن يعم السلام والتعايش بين جميع الأديان، وأن

يعم السلام كل أنحاء المنطقة والإقليم.

ودعا الحكومة السودانية للمساهمة في تحقيق السلام في كافة ربوع المنطقة من أجل المئات من الأمهات والأطفال.

كما تحدث ويلبي بإيجابية عن التعايش بين المسلمين والمسيحيين في السودان، وقال أنه لاحظ ذلك أثناء زيارته لمدينة كادقلي.

وبيّن أن الوضع مستقر في جنوب كردفان، وأن النازحين من دولة الجنوب يجدون تعاملًا طيبًا وسخاء من أهل المنطقة، وقال: «هذا هو التعايش الحقيقي، ولكن المشكلة أن الإعلام الداخلي أو الوطني لم يعكس هذه الصورة للخارج، وأن هناك بعض المنظمات تستغل هذا الأمر سياسيًا».

وذكر أنه وجد في كادوقلي مسلمًا ومسيحيًّا في بيت واحد، وهذا مثال على التعايش الديني في السودان.

خاتمة

يلاحظ أن زيارة رأس الكنيسة الإنجليكانية جاستن ويلبي إلى السودان حاولت إلقاء الضوء على أوضاع المسيحيين في السودان، والذين تدعي بعض الجهات الكنسية الغربية أنه بعضهم يعاني انتهاكات متكررة لحقوقهم، وأن بعضهم يعيش أوضاعًا صعبة، زاد من حدتها انفصال جنوب السودان، حيث تحول ملف الكنائس في الخرطوم إلى ملف أمني، تقلصت معه حقوق المسيحيين، وزادت شكواهم من التضييق الحكومي، وهو -بحسب تلك التقارير الغربية- أثر بشكل مباشر في تأخير قرار أميركي برفع العقوبات الاقتصادية عن السودان في (يونيو) الماضي، بجانب دعوى هدم الحكومة للكنائس التي دفعت تقريرًا أميركيًّا إلى تصنيف السودان من ضمن الدول المنتهكة لحرية الأديان.

لكن على المستوى الإعلامي؛ فقد كانت تصريحات ويلبي في ختام الزيارة إيجابية، حيث قال: «إن التعايش الديني السائد في البلاد بين المسلمين والمسيحيين سلمي ونموذجي، ومخالف كثيرًا للنظرة السائدة عنه في الغرب».

وقال: «إنه وقف وشاهد نماذج عدة للتعايش بعكس النظرة السائدة في الغرب التي تضغط على السودان من هذا الباب».

وشدد على أن الكنيسة الأسقفية ستقوم خلال المرحلة المقبلة بدور كبير من أجل رفع العقوبات الأميركية عن هذا البلد.

يمكن القول: إن زيارة ويلبي أرادت أن تؤكد للعالم: أن الكنيسة الإنجليكانية الأسقفية كانت وستظل موجودة في تربة السودان، وأن هذه الزيارة يراد لها أن تدعم وجود قادة الكنيسة المحليين؛ ليواصلوا دورهم التنصيري بدعم ورضا من الخارج.

كما أن زيارة كبير الأساقفة لمدينة كادوقلي عاصمة جبال النوبة فيها تأكيد على ضرورة استمرار وجود الكنيسة في جبال النوبة، ودورها في جنوب السودان كذلك عبر اللاجئين الجنوبيين الذين وصلوا للمنطقة بعد تدهور الأوضاع في بلادهم بسبب الحرب الدائرة هناك.

مراجع:

١- حسن مكي محمد أحمد، «المشروع التنصيري في السودان»، الخرطوم، منشورات المركز الإسلامي الإفريقي.

٢- دلدوم الختيم أشقر، «النسيج الاجتماعي لولاية جنوب كردفان بقطاعاتها الثلاثة: الغربي والأوسط والشرقي»، صحيفة «الصحافة»، (٨ ديسمبر ٢٠١٢)، العدد (٦٩٣٣).

٣- تقرير حول زيارة كبير أساقفة كانتربري للسودان، (١٠ أغسطس ٢٠١٧م)، موقع سودان إنفو.

٤- موقع القس جاستن ويلبي: The archbishop of Canterbury jastin welby

٥- طارق أحمد عثمان، «المسيحية في منطقة جبال النوبة بالسودان، ودور الإرساليات في العمل التبشيري والتعليم»، مركز الدراسات الأفريقية في جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، (٢٠١١م).

على خلفية دعوة السبسي..
هل انتصر الفكر النسوي في تونس؟

فاطمة عبد الرؤوف-كاتبة مصرية

خاص بـ «الراصد».

على الرغم من كلّ ما قيل عن أن دعوة الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي لمساواة المرأة التونسية مع الرجل في الميراث، ومنحها الحق في الزواج بغير المسلم؛ قد جاء لأسباب مرتبطة بقرب موسم الانتخابات، وفي تفسير آخر لبعض المحللين السياسيين والمراقبين للحدث التونسي أنه جاء ربما لإحراج حركة النهضة ودفعها للكشف عن مرجعيتها الدينية.

إلا أن الأمر المؤكد: أن هذه الدعوة تؤكد عمق الصراع العقائدي والفكري الدائر في تونس، وأن خطوة جديدة وكبيرة قادمة على طريق علمنة تونس، وأن الفكر النسوي ذا المرجعية الأممية على وشك تحقيق نجاح وإنجاز حقيقي لتطبيق مقررات «السيداو»؛ التي دعت للمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في الحقوق الاقتصادية، ومنها: الميراث، والتي دعت في بند آخر للمساواة في المركز القانوني للرجل والمرأة أثناء الزواج.

وعلى الرغم من أن هذه الخطوة تتم في الداخل التونسي إلا أن آثارها تتعدى ذلك بكثير؛ لتمسّ العالم الإسلامي كله، والعربي منه بوجه خاص، حيث تضغط المنظمات النسوية والقوى العلمانية للسير على الطريق التونسي.

◙ المساواة في الميراث:

لا يمكن فهم مقاصد الشريعة المتعلقة بتقسيم الميراث دون ربطها بمقاصدها المرتبطة بنظام النفقات، ولا يمكن فهم ذلك كله إلا بفلسفة الإسلام المرتبطة بتوازن العلاقة بين الفرد والجماعة من جهة، والتوازن بين حرية المرأة وحمايتها من جهة أخرى.

والفهم المبتسر الذي يتعامل بمنطق التجزئة هو الذي يورث الشبهات، والفردية المطلقة والمساواة المطلقة تمثل العمق الاستراتيجي للفكر الغربي الذي يتم تقديمه كفكر معياري، يحاولون إخضاع أحكام شريعتنا إليه.

والشريعة الإسلامية تقدم تصورًا مختلفًا للحياة الاجتماعية والاقتصادية، وهي بوجه عام تجعل الرجل هو المسئول الأساسي عن النفقة، ومن ثم يتضاعف نصيبه من الميراث في بعض الحالات التي تتساوى فيها درجة القرابة مِن المتوفى.

مسئولية الرجل عن النفقة هي أحد الأسباب المهمة لجعل القوامة مسئولية الرجل، لكن واقعًا مختلفًا بعض الشيء تعيشه البلاد الإسلامية، وتصور آخر للحياة تتم الدعوة له بقوة ترسم ملامحه اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة «السيداو»؛ والتي هي أكبر من مجرد وثيقة تحوي قيمًا فكرية وثقافية مغايرة، فداخل هذه الوثيقة آليات لضمان تنفيذها ومن ضمنها: تعديل القوانين المحلية، وإدماج القبول بها في الدساتير، وهو ما يتم تنفيذه حرفيًّا في تونس هذه الأيام.

يتم التمهيد للدعوة بالمساواة في الميراث بأن الواقع الاجتماعي تغيّر، وفي الحقيقة هم يدفعونه للمزيد من التغير؛ فمن ناحية أصبحت المرأة تتحمل -وبشكل متزايد- مسئولية النفقة على الأسرة، أو كما قال الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي في خطابه الكارثي الذي ألقاه بمناسبة الاحتفال بيوم المرأة التونسية أن (٤٥%) من الأسر تعولها نساء، فكان ذلك -في رأيه- مبررًا كافيًّا لتغيير أحكام الميراث!

ومن ناحية أخرى حدث انهيار للعائلة الكبيرة الممتدة؛ فثارت شبهة أخرى وهي: أن المرأة المعاصرة لا تجد من يهتمّ بها وبالنفقة عليها حتى يكون لها من يشاركها في الميراث من قرابتها وأبناء عمومتها، بل حتى إخوتها، وأنها تقع بين دائرة التهميش من جهة، ودائرة الاستغلال من جهة أخرى.

هذه هي أبرز الشبهات التي يستند إليها القائلون بضرورة تغيير أحكام المواريث.

وصاحبات الفكر النسوي المتطرف لا مانع لديهن من استغلال هذه الشبهات؛ التي قد تلاقي صدى عند بعض النساء اللاتي تخلّى عنهن المجتمع، ولكن الحقيقة أنهن يسعين وبشكل حقيقي وجدّي لجعل النساء مسئولات عن النفقة؛ ليس بحكم الاضطرار، ولكن عن طريق الخيار الواعي، ويسعين -أيضًا- لهدم فكرة القوامة عن طريق استقلال المرأة الاقتصادي.

بالطبع لا يمكن إنكار أن هناك واقعًا اجتماعيًّا تضطر فيه المرأة للقيام بمسئولية النفقة، وأنها في كثير من الأحيان تفتقد البيئة الحاضنة لها، وبدلًا من مواجهة أزمة واحدة تصر بعضهن على مضاعفة الأزمة! فالعلاج السهل الذي يتم تداوله وهو: المساواة في الميراث، ومن ثم المساواة في المسئولية الاقتصادية، وما يترتب على ذلك من تغيير المنظومة الاجتماعية كلها سيؤدي لنتائج كارثية على المرأة إن لم يكن على المجتمع ككل!

◙ تحدي المرجعيات:

هذه النتائج الكارثية أشار إليها الدكتور عباس شومان -وكيل الأزهر- في رده السريع على تلك الدعوة المشبوهة التي أطلقها الرئيس التونسي.

حيث قال: «إن دعوات التسوية بين الرجل والمرأة في الميراث تظلم المرأة ولا تنصفها، وتتصادم مع أحكام شريعة الإسلام».

وأضاف: «المواريث مقسّمة بآيات قطعية الدلالة لا تحتمل الاجتهاد، ولا تتغير بتغير الأحوال والزمان والمكان، وهي من الموضوعات القليلة التي وردت في كتاب الله مفصّلة لا مجملة، وكلها في سورة النساء، وهذا مما أجمع عليه فقهاء الإسلام قديمًا وحديثًا».

وأضاف: «أن دعوات التسوية بين النساء والرجال في الميراث بدعوى (إنصاف المرأة) هي عين الظلم لها! لأن المرأة ليست كما يظن كثير من الناس أنها أقل من الرجال في جميع الأحوال؛ فقد تزيد المرأة على نصيب رجال يشاركونها نفس التركة في بعض الأحوال؛ كمَن ماتت وتركت زوجًا وأُمًّا وأخًا لأم؛ فإن الأم نصيبها الثلث، بينما نصيب الأخ لأم السدس، أي: أن الأم -وهي امرأة- أخذت ضعف الأخ لأم وهو رجل، كما أنها تساويه في بعض المسائل؛ كمن ماتت وتركت زوجًا وأُمًّا، فإن نصيب الزوج نصف التركة، ونصيب الأم النصف الآخر فرضًا وردًا، كما أن فرض الثلثين -وهو أكبر فرض ورد في التوريث- لا يكون إلا للنساء ولا يرث به الرجال؛ فهو للبنات أو الأخوات فقط، فمن ماتت وتركت بنتين وأخًا شقيقًا أو لأب فللبنتين الثلثان وللأخ الباقي وهو الثلث، أي: أن البنت تساوت مع الأخ.

وهناك العديد من المسائل التي تساوي فيها المرأة الرجل أو تزيد عليه، وكلها راعى فيها الشرع بحكمة بالغة واقع الحال والحاجة للوارث أو الوارثة للمال لما يتحمله من أعباء ولقربه وبعده من الميت، وليس لاختلاف النوع بين الذكورة والأنوثة؛ كما يتخيل البعض!»[1].

ردّ الدكتور عباس شومان -وكيل الأزهر في مصر- لن يوقف بالتأكيد اللجنة التي تم اختيارها لبحث مسألة مساواة المرأة في الميراث، والتي جاءت كلها من الفضاء العلماني التونسي بمختلف أطيافه، بل إن هجومًا ساحقًا تم شنّه على الأزهر من هذا الفضاء العلماني، واصفين إياه أنه يمارس كهنوتًا ووصايةً على الأجواء الفكرية الصحية التي تعيشها تونس.

ولكن بيان وكيل الأزهر -قد يوقف إلى حين- دعوات الاستحسان والمطالبة بالتقليد في أوساط العلمانيين والنسويات في مصر؛ حتى صرّح بعضهم أن على الأزهر أن يهتم بشئونه في الداخل المصري فقط، حاسدًا التونسيين على آفاق الحرية والمساواة التي يعيشون فيها!

---

(١) http://cutt.us/hIZSR

المؤسف في الأمر حقًّا: أن ديوان الإفتاء بتونس أكد أن مقترحات «السبسي» تدعم مكانة المرأة، وتضمن وتفعّل مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات؛ التي نادى بها الدين الإسلامي في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨]؛ فضلًا عن المواثيق الدولية التي صادقت عليها الدولة التونسية التي تعمل على إزالة الفوارق في الحقوق بين الجنسين.

واعتبر ديوان الإفتاء في بيانه: أن المرأة التونسية نموذج للمرأة العصرية؛ التي تعتز بمكانتها وما حققته من إنجازات لفائدتها وفائدة أسرتها ومجتمعها؛ من أجل حياة سعيدة ومستقرة ومزدهرة.

معتبرًا أن رئيس الجمهورية أستاذ بحق لكل التونسيين وغير التونسيين، وهو الأب لهم جميعًا، الغريب أن التيار النسوي يكره هذا المصطلح جدًّا: «الأبوي»، لكنه يتقبله فقط عندما يأمر هذا الأب بما يتفق مع رؤيته وأفكاره!![1]

- **الزواج بغير المسلم:**

وهذه هي الكارثة الثانية التي فجّرها الرئيس التونسي، في كلمته في قصر قرطاج، أمام حشد من السياسيين والحقوقيين؛ حيث قال: «إن هناك متغيرات تمت على صعيد الواقع، من بينها: سَفر المرأة إلى الخارج؛ سواء للعمل أو الإقامة؛ فضلًا عن زواج العديد من التونسيات بأجانب، تتطلب إعادة صياغة المنشور (٧٣) بشكل جديد، يتناسب مع الواقع الجديد».

داعيًا رئيس الحكومة ووزير العدل إلى العمل مع مؤسسة رئاسة الجمهورية على تغيير المنشور؛ وفق ما يقتضيه الفصل السادس من الدستور.

مشيرًا إلى أن الفصل (٦) يقر بحرية المعتقد والضمير، ويحمل الدولة بتكفل ذلك.

العبث بأحكام الزواج والأسرة في الإسلام حتى تصبح المحرمات والفواحش أمرًا مشروعًا هو: عبث كارثي! يراد له أن يقنّن، بعد أن شهدت الأيام الماضية زواج عدد من الشيعيات اللبنانيات من النصارى، بعد فتوى من بعض المرجعيات الشيعية؛ كالسيد علي الأمين[2].

وكانت آخر هذه الزيجات التي أثارت الكثير من الجدل: زواج النصراني بطرس كتورة من الشيعية المحجبة مروة فواز؛ حيث احتلت صور زواجهما داخل الكنيسة -وهي ترتدي الحجاب، وتقوم بالمراسم الكنسية!- الأخبار الرئيسة في كثير مِن وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي.

هذا الزواج الذي تمّ بمباركة الأهل حدث على ثلاث مراحل: الأولى: على يد مرجعيتها الدينية، والثانية: كان زواجًا كنسيًّا، أما الثالثة فهو: عقد زواج مدني لا علاقة له بالدين.

وفي حال تمّ السماح في تونس بزواج المسلمة بغير المسلم فإنه لن يكون هناك حاجة لكل هذه الخطوات، وسيكون الزواج المدني هو الشكل الرسمي الذي يتم عبر آلياته هذا الزواج.

هذا الملف الخطير للأسف يشغل الكثير من الفتيات اللاتي لا يَعرفن عن الدين إلا القشور، ويكفي -في هذا الصدد- الدخول لبعض المنتديات أو كتابة (زواج المسلمة بغير المسلم) في خانة البحث؛ وسنجد الكثير من الجدل والنقاش حول هذا الأمر المفترض أنه مِن المعلوم مِن الدين بالضرورة.

---

(١) ww.facebook.com/permalink.php?story_fbid=١٦٧١٧١٢٩٥٦٢٣٤٣٦٣&id=٦٤٢٧٠٠٨٦٥٨٠٢٢٤٩&hc_location=ufi

للمزيد عن تسلط الفكر النسوي في تونس:

http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٦٤٤٥

(٢) نص فتوى الأمين: http://cutt.us/QOev٣

وفي هذا؛ يؤكد الدكتور شومان أن: «الدعوات المطالِبة بإباحة زواج المسلمة من غير المسلم ليس كما يظن أصحابها في مصلحة المرأة! فإن زواجا كهذا الغالب فيه فقْد المودة والسكن المقصود من الزواج؛ حيث لا يؤمِن غير المسلم بدين المسلمة، ولا يعتقد تمكين زوجته من أداء شعائر دينها.. فتبغضه ولا تستقر الزوجية بينهما.

بخلاف زواج المسلم من الكتابية؛ لأن المسلم يؤمن بدينها ورسولها، وهو مأمور من قبل شريعته بتمكين زوجته من أداء شعائر دينها.. فلا تبغضه وتستقر الزوجية بينهما».

وتابع: «أنه لذات السبب مُنع المسلم من الزواج من غير الكتابية كالمجوسية؛ لأنه لا يؤمن بالمجوسية، ولا يؤمر بتمكينها من التعبد بالمجوسية أو الكواكب ونحوها، فتقع البغضاء بينهما، فمنع الإسلام هذا الزواج.

ولذا؛ فإن تدخل غير العلماء المدركين لحقيقة الأحكام من حيث القطعية التي لا تقبل الاجتهاد، ولا تتغير بتغير زمان ولا مكان، وبين الظني الذي يقبل هذا الاجتهاد؛ هو من التبديد، وليس التجديد!»[1].

إن ما يحدث في تونس هذه الأيام من السير قدمًا في تغيير كل ما هو معلوم من الدين بالضرورة، في الحيز الصغير المتبقي من الأحوال الشخصية؛ مع زخم تصل أصداؤه لكثير من البلدان العربية الأخرى؛ التي يرى بعض مثقفيها أن تونس دائمًا متقدمة بخطوة، وهم في حالة من الشغف بالحالة التونسية، يدل على أن المخطط النسوي الأممي يسير بخطوت ثابته لتحقيق هدفه، مستغلًا الواقع السياسي المتأزم الذي تعيشه بلادنا، فتهبط التشريعات النسوية دائمًا من الأعلى.

كما فعل الحبيب بورقيبة من قبل، دون قدرة حقيقية على المعارضة من قبل الإسلاميين؛ الذين جاء رد فعلهم متلعثمًا لأنهم غير قادرين -للأسف- على الجهر بهويّتهم الفكرية، فجاء رفضهم لمشروع فكري واضحةٌ ملامحه بالتشكيك في التوقيت تارة، وبالقول أن قوانين الأحوال الشخصية ليس لها الأولوية في وقت يعاني فيه الشعب من الفقر والبطالة تارة أخرى.

هذا المخطط الذي لا يجد من يواجهه بطريقة فعالة!

سوف يحاول قدر ما يستطيع أن يواصل طريقه بنعومة؛ أو كما قال السبسي: «لديّ ثقة في ذكاء رجال القانون، وسنجد صيغًا قانونية لتجنّب الاصطدام بمشاعر التونسيين»!

مشددًا: «لن نمضي في إصلاحات قد تصدم مشاعر الشعب؛ الذي في أغلبه مسلم، لكننا نتّجه نحو المساواة في جميع الميادين».

وأردف: «مقتنعون أن العقل القانوني التونسي سيجد الصيغ الملائمة التي لا تتعارض مع الدين ومقاصده، ولا مع الدستور ومبادئه؛ في اتجاه المساواة الكاملة».

❁❁❁

(١) http://cutt.us/hIZSR

المُنشَقُّون

عرض: أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

صدر هذا الكتاب حديثًا للأستاذ عبد الله بن صالح العجيري، عن مركز «تكوين للدراسات والأبحاث»، وهو في (٢٤٠) صفحة من القطع الكبير.

الكتاب يعالج قضية بالغة الأهمية في هذا الوقت وهي: حقيقة جماعات العنف والقتال المعاصرة، وهل هي من الخوارج أم أن ذلك هو اتهام سياسي تطلقه الأنظمة الحاكمة نكاية بهذه الجماعات؟ وكيف نجعل هذه الجماعات من الخوارج وهم لا يكفّرون بالكبيرة؟ ولا يعادون عثمان وعليًّا رضي الله عنهما؟

هذه القضية الشائكة؛ والتي جعلت الكثير من أهل العلم والفضل وعامة الناس يتعاطف أو يناصر هذه الجماعات، وخاصة داعش، في بداية ظهورها ومن ثم تراجعت قوة التعاطف والمناصرة عند غالب الناس وأهل العلم.

وللوصول للحقيقة؛ رأى المؤلف: أن يسعى للإجابة عن السؤال المركزي: من هم الخوارج بمعنى الذمّ الشرعي؟

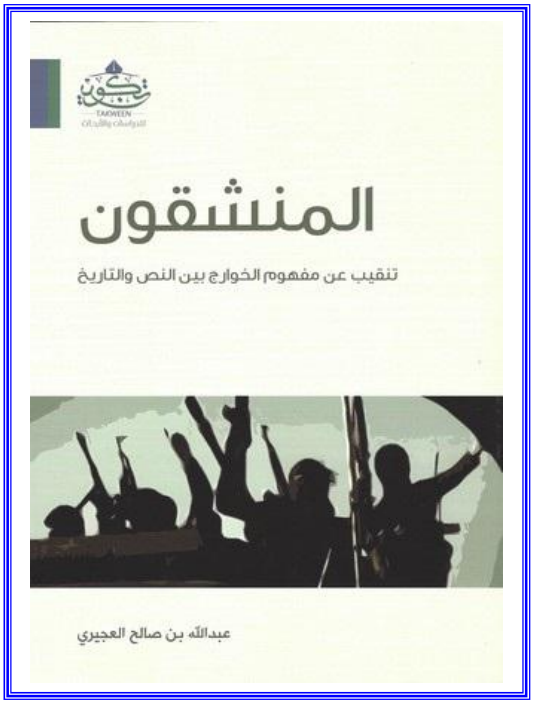

وللإجابة عن هذا السؤال؛ اعتمد الباحث البعد التاريخي لِلَحظات التشكل الأولى، وما تبعها مِن تطورات، بالتوازي مع بيان البعد العقدي لهذه التطورات.

لكن السنة النبوية أرشدت لظاهرة الخوارج قبل تشكلها التاريخي والواقعي؛ فستكون البداية مع مقررات الوحي بخصوص الخوارج، ومن ثم بيان تطابق واقعها وتاريخها مع نبوءات الوحي.

وقسّم الباحث هذه المسيرة التاريخية: لحقبة ما قبل الخوارج، وحقبة الخوارج، وحقبة ما بعد الخوارج.

ففي حقبة ما قبل الخوارج؛ سنجد أن البذرة ظهرت زمن النبوة بذاك الجاهل خويصرة التميمي، المعترض على قسمة الغنائم يوم حنين، والذي خاطب النبي ﷺ بقوله: اعدل يا محمّد!

ينبّه الباحث إلى أن الأحاديث النبوية عن الخوارج تنقسم إلى قسمين:

الأول: يتحدث عن الخوارج الأوّلين الذين قاتلهم عليٌّ، وهم: الحرورية، أو المحكّمة الأولى، أو أهل النهروان، وهم الأكثر عددًا.

والقسم الثاني: هم جماعات الخوارج عبر التاريخ حتى قيام الساعة، فقد أخبرت السنة: أن الدجال يخرج بين الخوارج!

وقد كشفت الأحاديث النبوية عن مجموعة الصفات لكل قسم، وصفات مشتركة بين الجميع، وبيان الصفات المشتركة هو: غاية البحث وهدفه؛ لتحديد مفهوم الخوارج عبر الزمن.

وهذا التفريق مهمٌّ لإبطال مزاعم خوارج العصر بعدم «خارجيتهم»؛ لعدم توفر بعض الصفات التي أخبرت السنة النبوية أنها في الخوارج؛ كصفة التحليق، وشدّة العبادة -مثلًا-، بينما خوارج اليوم يطيلون شعورهم، وليسوا من أهل العبادة، بل بعضهم يرتكب الكبائر ويدمن المخدرات!

فالتركيز على الصفات الجامعة للخوارج عبر الزمن أو المكونات الصلبة -بتعبير الباحث- هو: الأساس الذي يجب التركيز عليه، والغلو: هو المكون المركزي لظاهرة الخوارج؛ إذ «غلوا في الدين غلوًّا جازوا به حده! لنقص عقولهم وعلمهم... وأوجب ذلك لهم عقائد فاسدة، ترتّب عليها أفعال منكرة، كفَّرهم بها كثير من الأمة، وتوقف فيها آخرون»؛ كما يقول ابن تيمية، فغلوهم مركب من محددين هما: عقائد فاسدة، وأعمال منكرة.

فمحدد العقائد الفاسدة هو: التكفير بغير حق.

ومحدد الأعمال المنكرة هو: القتل بغير حق؛ بناء على التكفير.

وقد بينت السنة النبوية ذلك في قوله ﷺ: «إنَّ أَخوف ما أَخَوَّف عليكم: رجلٌ قرأَ القرآن حتى إذا رُئيت بَهجته عليه وكان ردِئًا للإسلام؛ غيَّره إلى ما شاء الله، فَانسلخَ مِنه ونبذَه وراء ظَهره، وسَعى على جَارِه بالسَّيف ورَمَاه بالشِّرك»، قال حذيفة: قلت: يا نبيّ الله! أيهما أولى بالشرك: المرمي أم الرامي؟ قال: **«بل الرَّامِي»**، رواه ابن حبان وحسّن إسناده الألباني.

وهذا الغلو عند الخوارج سببه: صغر السن، والسفه، والكِبر والتعالي، ولذلك لم يكن أحد من الصحابة مع الخوارج؛ رغم أن كثيرًا منهم عاصر الخوارج.

وبسبب هذا الغلو المنحرف عند الخوارج: جاءت الأحاديث بالذم الشديد لهم؛ فوصفهم النبي ﷺ بأنهم: **«شَرُّ الخَلْق والخَلِيقة»**، و**«يَمرقُون مِن الدِّين كما يَمرقُ السَّهم مِن الرَّمِيَّة»**، و**«كِلاب أَهلِ النَّار»**.

ومن جهة أخرى: جاءت السنة بتشديد المواجهة والقتال مع الخوارج ،وأن قتالهم أولى من قتال المشركين؛ لعظيم فسادهم.

وقد نبّهت السنة على خطورة الفتنة بالخوارج؛ لأنهم يظهرون للناس بمظهر مخادع! فهم ذوو قول حسن يجذب الناس؛ إذ يدعون لتحكيم الشريعة وإقامة الجهاد! لكن الحقيقة أنهم: يحكّمون أهواءهم، ويقتلون المجاهدين والأبرياء؛ كما شاهد المسلمون أجمعون من جرائم داعش بحق الثورتين السورية والعراقية!

ومن القضايا المهمة في مفهوم الخوارج: أن السنة النبوية لم تجعل تكفير مرتكب الكبيرة من علامات الخوارج! ولا كان تكفير مرتكب الكبيرة من صفة الخوارج الأوّلين؛ الذين قاتلهم الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أما الخوارج في حقبة الظهور والتحقق؛ فقد بيّنت السنة النبوية زمن ظهورهم الأول في قوله ﷺ: **«تَمرُق مَارقة عِند فُرقةٍ مِن المسلمين، يَقتلها أَوْلى الطَّائِفتَيْن بالحقّ»**، رواه مسلم، فالخوارج -هنا-: فئة ثالثة، وليست من إحدى الطائفتين المتقاتلتين.

وفي هذا الواقع العملي لخروج الخوارج تحققت النبوءة النبوية؛ فقد كفّر الخوارج الخليفة الراشد عليًّا؛ المشهود له بالجنة، كما كفّروا عثمان بن عفان -أيضًا- بأثر رجعي في غلوّ غبي! ومن ثم قتلوا عليًّا ظلمًا وعدوانًا، ويَعتبرون ذلك من أعمال البر والتقوى!!

وبذلك اجتمع المحددان: الغلو الاعتقادي، والغلو العملي؛ بالتكفير الجائر، والقتل الظالم، والذي هو حقيقة منهج الخوارج؛ مهما تبدلت الأسماء والألقاب!

وقد عالج الصحابة غلو الخوارج بالعلم؛ حين ناظرهم حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فرجع فئام منهم عن الباطل، وحقت الشقوة على أغلبهم بعنادهم على الجهل والهوى؛ حين رفضوا سماع كلام ابن عباس أصلًا، فكان السيف آخر الدواء لهم.

ولكن بقيت ظاهرة الخوارج مستمرة ومتكررة: غلو في التكفير، وجرأة على الدم الحرام، وبقي علاج الصالحين لهم بالعلم لمن يقبل، والسيف لمن يعاند ويكابر ويعتدي؛ تكفيرًا وقتلًا.

ومع الأيام بدأ يتشكل انحراف الخوارج في فهم الدين على أصول منحرفة، هي:

١ - التعلق بالمتشابه.

٢ - تنزيل النصوص على غير محلّها.

٣ - تبعيض الوحي.

٤ - رد السنة لوهم معارضتها لظاهر القرآن.

٥ - عدم قبول خبر الآحاد.

٦ - الإعراض عن تفسير القرآن بالسنة.

٧ - ردّ اجماع الصحابة وفهمهم.

٨ - احتكار حق الفهم.

٩ - التعجل في تأويل القرآن دون التمكن من أدواته.

أما حقبة ما بعد الخروج الأول؛ فقد تعددت تعريفات الخوارج في كتب الفرق والمقالات، وذلك لم يكن إلا تعريف ببعض مكون الظاهرة، وبما تطورت إليه ظاهرة الخوارج، فأصبح (تكفير بعض الصحابة، وتكفير مرتكب الكبيرة) من أهم مكونات التعريف، لكن الخوارج الأوّلين لم يكونوا يكفّرون بالكبيرة!

ولذلك كان الأصوب في مفهوم الخوارج هو: أنهم من يكفّر بغير حق، ويقتل بناء على ذلك؛ سواء كان التكفير والقتال للسلطة السياسية أو لغيرها، وبذلك يمكن أن يندرج تحت اسم الخوارج: مذاهب وشخصيات متعددة.

فالشيعة والرافضة الذين يكفّرون المسلمين ويقتلونهم؛ لذلك هم خوارج من جهة، وشيعة من جهة أخرى، وقد أطلق بعض العلماء على الحَجّاج وصف «الخوارج»؛ لأنه يكفّر خصومه، ثم يقتلهم ويستحل دماءهم، وأطلقوا اسم «الخوارج» على القرامطة.

ولكن مع تعقّد المشهد السياسي في واقع المسلمين؛ فقد ينضمّ فرد أو أفراد لجماعة من الخوارج لظروف قاهرة؛ كأن يستولوا على مناطقهم، ويجبرونهم على القتال معهم، أو لكونهم يواجهون عدوًّا مجرمًا يجبرهم على الانضمام للخوارج، لكن هذا الفرد أو الأفراد لا يشتركون مع جماعة الخوارج في فكرهم أو جرائمهم، فهنا يبقى للجماعة التي تتساهل في التكفير وتتجرأ بلا تقوى على الدماء المعصومة وصف «الخوارج» وحكمهم، ولكن بعض الأفراد قد لا يشملهم ذلك الوصف.

والخلاصة التي وصل إليها الباحث هي: أن ما شاع من تعريف الخوارج بـ «تكفير مرتكب الكبيرة» خطأ، وأن الصواب هو: تعريف الخوارج بمن «يكفّر بغير حق، ويقتل بغير حق»، وهذا يكشف عن عمق انتشار ظاهرة الخروج المعاصر في أوساط جماعات العنف والقتال.

وتبقى ملاحظة مهمة كنت أتمنى لو أن الباحث تصدى لها، وهي: الحاجة لبيان مدى انطباق المفهوم الصحيح للخوارج على جماعات العنف والقتال المعاصرة؛ من خلال نصوصهم وأدبياتهم، ومن خلال جرائمهم وإرهابهم، حتى لا تبقى مثل هذه الدراسات نظريات معلقة في الهواء، لا يستفيد منها إلا المختصون! في الوقت الذي نحتاج فيه لتحصين عموم المسلمين من خطر الخوارج وغلوّهم؛ وخاصة الشباب المتحمس.

حليفكم (حزب الله) هو العنوان الصحيح؛ لأنه المتحكم بلبنان!

قالوا: أكدت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في لبنان، في الذكرى الحادية والأربعين لمجزرة تلّ الزعتر: أن هدف الفلسطينيين في لبنان هو: العودة إلى الوطن...

ودعت الدولة اللبنانية إلى عدم التعامل مع المخيمات الفلسطينية من منظور أمني فحسب، وإنما العمل على أساس حلّ جميع القضايا سياسيًّا.

وطالبت الحركة الدولةَ اللبنانية بالإسراع إلى إقرار الحقوق المدنية والاجتماعية للاجئين الفلسطينيين، وإعادة إعمار مخيم نهر البارد؛ كي لا تتكرر مأساة أهالي مخيم تل الزعتر.

وكالة شهاب للأنباء (٢٠١٧/٨/١٢)

الإرهاب المدلل

قالوا: لولا بعض فصائل الحشد الشعبي التي تقاتل في الأراضي السورية منذ (٦) سنوات لسقط النظام السوري بيد تنظيم داعش، ولربما تغيرت الخارطة بما فيها خارطة الشرق الأوسط.

وتقاتل العديد من الفصائل الشيعية المسلحة العراقية واللبنانية والأفغانية والإيرانية إلى جانب قوات النظام السوري في عدة مناطق سورية.

وتؤكد الحكومة العراقية أن أي فصائل شيعية مسلحة تقاتل خارج الحدود العراقية لا تتبعها.

وفي (١٨ يونيو / حزيران) الماضي التقت قوات «جيش النظام» السوري وقوات «الحشد»، على حدود البلدين في محافظة الأنبار غربي العراق، وذلك للمرة الأولى منذ تمدد تنظيم «داعش» في البلدين عامي (٢٠١٤ و٢٠١٥).

المسؤول الإعلامي للحشد الشعبي: أحمد الأسدي - «وكالة الأناضول»، (٢٠١٧/٨/١٤)

مأساة تتكرر

قالوا: سيبقى شباب المسلمين قصعة ينهشها أعداؤهم، ولا مستقبل لهم ما داموا يعانون من مصيبة اللاوعي؛ تعلم الكتاب والسنة، يتلوه تعلم نهج الصحابة؛ لتميز الحق.

خادم الإسلام - تغريدة بتويتر

سؤال محرج!

قالوا: هلاّ سألتم إيران يا أهل السنة (تنظيمات وشخصيات ووفود)؛ الذين حضرتم حفل تنصيب روحاني

للرئاسة الإيرانية، هل سألتم عن: سبب غياب سنة إيران في الحفل؟

صباح الموسوي - تغريدة بتويتر

للمرة الألف لا نتعلم الحذر من خيانتهم!

قالوا: كل أعضاء خلية العبدلي كانوا يشغلون مناصب ما بين أكاديمية وإعلامية وتقنية..

نستفيد من ذلك: أن الثقة بوطنية من خامره الفكر الصفوي متعذرة!

د. محمد السعيدي - تغريدة بتويتر

ثبّتكم الله، وكثّر من أمثالكم!

قالوا: لو أردنا ثروة؛ فخزائن خُمسٍ فُتحت لنا وصددناها.

لو أردنا النساء؛ فأسواق متعةٍ تحرشت بنا ورفضناها.

لو أردنا شهرة؛ فوسائل إعلام إيران جاءت لنا وتركناها.

أنور مالك - تغريدة بتويتر

خساسة حتى في النذالة!

قالوا: تم نشر عدة صور من قبل مصور موالٍ للنظام السوري، يُدعى: «ليث معداراتي»، أظهرت عارضة أزياء داخل جامع «العادلية» الأثري، المُدمّر في حلب القديمة، وهي ترتدي ملابس سوداء ضيقة، وفوقها عباءة بيضاء اللون مستوحاة من عباءات الشيوخ، ولا ترتدي الحجاب!

وأكد ناشطون أنه: «انتهاك كبير لحرمة المسجد الأثري المدمر على يد نظام الأسد وآلته العسكرية، وتحوله إلى معرض لالتقاط الصور المشينة؛ والتي تعتبر انتهاكا منظمًا للمكان ولرمزيته ومعناه».

معتبرين أنه: «رسالة واضحة المعالم: أن النظام يدنّس المقدسات في سوريا، كجزء من طقوس انتصاره على السوريين، وعلى الأكثرية المضطهدة في سوريا، فهذا الجامع رمز لها؛ دينيًّا وتاريخيًّا، فهو مبني في عهد الحكم العثماني، الأمر الذي يحمل الكثير من الرسائل»!

وأكد الناشطون: أن نظام بشار الأسد الذي دمّر المساجد بفتاوى من أحمد حسون - مفتي سوريا - لن يتورّع عن القيام بتدنيس مساجد حلب؛ بعد تهجير سكانها وتدميرها - على حد تعبيرهم -.

«الخليج الجديد»، (٢٠١٧/٨/١٥)

نقطة وعي مطلوبة

قالوا: إن كانت لأمريكا مشكلة مع إيران فهي مع النظام، وليس مع الفكر الباطني الذي يتبنّاه هذا النظام وتقوم عليه إيران نفسها.

د. فراس الزوبعي - تغريدة بتويتر

المسجد الأقصى.. المعيار الأدق لحال الأمة - ١

د. محمد عياش الكبيسي - صحيفة العرب (٢٠١٧/٨/١)

المسجد الأقصى: قبلة المسلمين الأولى، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى نبيّنا الكريم ﷺ، والأرض التي باركها الله وبارك ما حولها؛ قد شاء الله ﷻ أن يجعله: **معيارًا لحال هذه الأمة ووزنها أمام الأمم الأخرى**، فكلما كانت مهابة عزيزة الجانب كان الأقصى مهابًا عزيزًا كذلك، والعكس بالعكس أيضًا.

وهذا التاريخ يشهد بهذه الحقيقة منذ الفتح الأول على يد الصحابة الأبرار رضي الله عنهم إلى اليوم.

لم يكن هنالك من يجرؤ على أن يمس الأقصى بأدنى سوء أيام عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز، ولا أيام الرشيد والمأمون والمعتصم، ولا أيام محمد الفاتح وسليمان القانوني وعبد الحميد الثاني، فلقد كانت الأمّة من أقصاها إلى أقصاها تطير خلف هؤلاء لنجدة امرأة واحدة، ولتأديب باغ واحد، فكيف لو فكّر أحد ما - مهما علا شأنه وكثر قومه - أن يقترب من أسوار الأقصى وترابه الطاهر؟!

نعم؛ حصل ذلك أيام غياب الأمّة، وتحوّلها إلى إمارات متناحرة متخاصمة، فامتدّت يد الأوربيين تحت شعار الصليب لتخطف المسجد الأقصى، وتعيث فيه خرابًا وفسادًا، وقد بقي على هذه الحال لعقود طويلة، معبّرًا بصدق عن حال الأمة في هوانها وشتاتها، حتى بدأت صحوتها من جديد على يد آل زنكي ثم الأيوبيين، وبدأت تجمع شتاتها، وتستصرخ إيمانها ونخوتها، وقد كانت صرخة صلاح الدين في ذلك الوقت: «إن فتح الموصل إلى بيت المقدس موصل»، وكان مستشاروه يستحثونه على إكمال مشروعه في النهوض بالأمة وتوحيد قواها قبل التوجّه إلى القدس.

ومن لطائف القدر: أن تكون الموصل وحلب المقدّمتين الكبيرتين لفتح القدس؛ حيث سار صلاح الدين بعد فتح الموصل إلى حلب ومن حلب إلى القدس؛ فقال شاعره آنذاك:

وفتحكم حلب الشهباء في صَفر

مبشّر بدخول القدس في رجب

لقد تمكن صلاح الدين من بناء جبهة قويّة تمتد من مصر إلى الشام والعراق، كل ذلك وهو في هدنة مع الصليبيين، لم يحسم أمره معهم؛ حتى جمع أشتات أمته، وقضى على الفتن الداخلية، وبنى منارات العلم والتقى، ومحاضن التربية الإيمانية النقيّة الصحيحة، فكان فتحه للقدس ودخوله المسجد الأقصى تتويجًا لهذا المشروع النهضوي الوحدوي الكبير.

اليوم حينما تتجرّأ حفنة من شذّاذ الآفاق على الأقصى!

فإنهم في الحقيقة لا يتجرؤون على الأقصى ولا على المقدسيين أو الغزّاويين، وإنما هي صفعة على قفا هذه الأمة الغافلة التائهة المبعثرة بملايينها الممتدة من جاكرتا إلى نواكشوط، ومن اسطنبول إلى حضرموت!

إن الأمة التي تتفرّج على نسائها الهائمات على وجوههنّ في الموصل وحلب، وعن الآلاف الذين يزحفون يوميًّا قاصدين اللجوء إلى أوربا، وعن مئات المآذن والقباب التي تهدّم على رؤوس المصلين؛ كيف يرجى منها: أن تلتفت إلى حواجز يقيمها اليهود على مداخل الأقصى، أو رصاصة تخترق جسد طفل أو طفلين في القدس أو غزة؟

إنه ليس عيبًا على الضعيف: أن يتغلب عليه القويّ، فالزمن هكذا دوّار وغدّار! إنما العيب: حينما يستمتع المغلوب بحاله، ويضحك ملء شدقيه ورأسه تحت حذاء ظالمه! فلا يحس بألم في صدره، ولا بثقل على رأسه!؟

المسجد الأقصى.. المعيار الأدق لحال الأمة - ٢

د محمد عياش الكبيسي - صحيفة العرب (٢٠١٧/٨/٨)

إنه لمن المؤلم والمحزن: أن تتحوّل قضية الأقصى إلى ورقة للمتاجرة! يتاجر بها الطغاة قبل غيرهم؛ وهم الذين أضعفوا الأمّة وأهانوها، ومزّقوا جسدها وقطّعوا أوصالها، فإنك لو جمعت «الخطابات التاريخية» التي ألقيت في المناسبات الوطنية والقومية والدينية من أولئك «الزعماء التاريخيين» لأدركت أن هؤلاء -على كثرة اختلافاتهم وخصوماتهم- قد اجتمعوا على شيء واحد وهو: المتاجرة بالأقصى، واتخاذه أداة من أدوات التسويق لسياساتهم الفاسدة، والترويج لبضائعهم الكاسدة.

والشعب الفلسطيني يتطلع إلى هذا وإلى هذا: جيش القدس، ويوم القدس، وحزب الله وآية الله، وجبهة المقاومة ومحور الممانعة، فيحصل المساكين على الفتات، بينما يذهب الزخم الأكبر لضرب الأمة وتدميرها، والإجهاز على ما تبقى من مقوّمات الصمود وأسباب النهوض فيها.

لا أنسى تلك السيّدة الفاضلة التي لقيتها في بيروت سنة (٢٠٠٦) يوم كان كبار العلماء والدعاة يتنادون لمناصرة حزب الله، استقبلتني في مكتبها وتحدّثت حديثًا مطوّلًا، لا زلت أتذكره وهي تستغرب من حال هؤلاء اللاهثين خلف كل سراب!

وكان مما قالت: «عن أي مقاومة يتحدّثون بعد أن دمّروا بغداد؟ هذه عمائمهم ورايتهم وفتاواهم تدخل مع الجيش الأميركي لتستبيح العراق، ثم نصدّق أنهم يريدون تحرير فلسطين؟!

يقولون لنا: لماذا لا تساندون المقاومة؟

فقلنا لهم: أعلنوها مقاومة باسم الأمة، لا باسم الحزب ولا الطائفة، ولا باسم أية راية فئوية أو عنصرية؛ وسنكون في مقدمة الصفوف، نحن نريد مقاومة باسم الأمة ولا نريد أن نكون وقودًا رخيصًا للمشاريع المشبوهة التي تتخذ من القضية الفلسطينية مركبًا لها!».

نعم؛ إن أخطر ما يمكن أن تتعرّض له القضية الفلسطينية هو هذا، لقد كنت أستمع لأحدهم وهو يعقّب على انتهاكات الصهاينة المجرمين في الأقصى: «لقد انشغلت الأمة بقضايا جانبية»، وهو يشير إلى ما يجري في العراق وسوريا واليمن!

هكذا! فمحو مدينة مثل: الموصل أو مثل حلب؛ لا يراه هذا الأخ يستحق الانشغال! وهو بهذا يظن أنه يخدم قضيته الوطنية «فلسطين»؟!

ولست أدري من هي هذه الأمة التي يعنيها! إن أسقط منها: العراق والشام واليمن؟

يا أخي! والله إن بداية الطريق لتحرير الأقصى لن تكون إلا بهذا الانشغال الذي تشكو منه؛ والذي هو غير موجود أصلًا!

ويا ليتك شكوت من انشغال الناس بالترهّات التي يغدق عليها من ثروات الأمة؛ ما لو أنفق بعضه لأنقذ الملايين المشردين من إخوانك وأخواتك في الموصل وحلب وتعز، ولسدّ حاجة أهلك في القدس وغزة!

أما إن كنت تظن: أن الميليشيات الطائفية التي دمّرت كل هذه الحواضر الإسلامية أنها ستساعدك في استرداد أرضك؛ فأنت واهم!!

نعم؛ إن دعم صمود الشعب الفلسطيني ومقاومته الأسطورية الشجاعة هو: واجب كل مسلم على أقل تقدير؛ لبقاء القضية حية في الضمائر، ولمشاغلة العدو لأطول مدة ممكنة.

وأخطر ما يرد في هذا السياق هو: عزل هذه القضية وتشويه نصاعتها وبياض ثوبها؛ بتجاذبات وتحالفات تجعل هذه القضية المقدّسة وكأنها بالضد من قضايا الأمة وجراحها النازفة!

إن كل قضية تحتمل قدرًا من المجازفة؛ وفق قانون الربح والخسارة، ومقولة: «أهل مكة أدرى بشعابها» إلا قضية الأقصى؛ فإن قوتها: بقداستها وربحها؛ ببقائها حيّة متجددة في ضمير أمتها.

«فيلق القدس» ومكافحة الإرهاب!

عايد الشمري - صحيفة الرياض (٢٠١٧/٨/١٥)

خصص البرلمان الإيراني مبلغ (٣٠٠) مليون دولار لـ «فيلق القدس»؛ من أجل مكافحة الإرهاب، عنوان هذا الخبر ليس مزحة بل خبرًا رسميًّا نشر في وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية يوم أمس!

وجاء في الخبر: «خلال الاجتماع المفتوح لمجلس الشورى الإيراني والذي عقد لمناقشة مشروع (مواجهة الممارسات الأميركية المتهورة)، ووفقًا للمادة (١٢) من المشروع فقد تم تكليف الحكومة بتخصيص مبلغ (١٠) آلاف مليار ريال إيراني (نحو (٣٠٠) مليون دولار أميركي) لفيلق «القدس»، التابع للحرس الثوري؛ وذلك لمكافحة الإرهاب، والحفاظ على مكاسب (تدخلات!) نظام ولي الفقيه بالمنطقة».

المضحك المبكي في هذا القرار هو: أن الجميع بات يعرف أن «فيلق القدس» هو: الجهاز العسكري المكلف بتصدير الثورة الخمينية، والمسؤول عن كل العمليات الإرهابية خارج إيران، ويرتبط مباشرة بمرشد إيران علي خامنئي؛ مع أنه تابع تنظيميًّا للحرس الثوري.

يتولى «فيلق القدس» مسؤولية السياسة الخارجية الإيرانية في عدة دول، منها تحتلها إيران سياسيًّا، وتسيطر على قرارها، مثل: لبنان، العراق، أفغانستان، وسورية، وحماس، والحوثي، أو متغلغلة في أوساطها؛ من خلال كوادر السفارات الإيرانية في الخارج؛ حيث معظمهم من ضباط «فيلق القدس»، يعملون بغطاء دبلوماسي.

«فيلق القدس» هو: رأس الإرهاب، بقيادة: الإرهابي الأول: «قاسم سليماني»؛ الذي يتعمد بالتقاط صوره بين الجثث تارة في العراق، وأخرى في سورية؛ وذلك من أجل تغذية التأجيج الطائفي وشحنه.

«فيلق القدس» هو: الذراع الخارجي للإرهاب وتمدد نظام طهران، وهو: المشرف على كل الميليشات المتطرفة في العراق، وسورية، ولبنان، واليمن، وأفغانستان، وكذلك كل الإرهابيين والجواسيس الذين تم القبض عليهم خارج إيران هم صناعة «فيلق القدس»، ولهم ارتباطات وثيقة -بحسب التحقيقات-، وآخرها: «خلية العبدلي».

هناك مهمات كثيرة لـ «فيلق القدس» منها: وجود مراكز تدريب للأجانب للانضمام إلى الملشيات، والتدريب على تنفيذ الأعمال الإرهابية؛ لتحقيق أهداف نظام طهران في مختلف دول المنطقة.

هذا الدعم السخي من نظام طهران لـ «فيلق القدس» يعني: أن هذا النظام مستمر في مشروعه التوسعي، وكأنما كل هذه الوحشية والكوارث الإنسانية والمجازر الممتدة من صنعاء حتى بيروت مرورًا ببغداد، ودمشق، وعشرات العواصم والمدن العربية؛ لم تكن كافية! ولم تشفِ غليل حكام إيران وتحد من كراهيتهم للعرب؟!

كل هذه التصرفات الحمقاء من نظام طهران ولا زال الغرب -للأسف- يتعامل معه، ويفاوض وينسق! في حين أن الواجب يقتضي: تصنيف قوات الحرس الثوري الإيراني كمنظمة إرهابية بكل فروعها، وأن تكون هناك عقوبات شاملة عليهم وعلى كل من يتعامل معها؛ إذا كانت فعلًا الدول الغربية جادة في القضاء على الإرهاب، واستئصال هذا السرطان من المنطقة، فلن يكون هناك استقرار إلا بزوال هذا النظام وحرسه الثوري.

نفوذ إيران ينحسر في طاجيكستان

محمد عباس ناجي - العرب اللندنية (٢٠١٧/٨/١٥)

لم تكن العلاقات بين إيران وطاجيكستان على ما يرام خلال العامين الأخيرين، لكنها وصلت -حاليًّا- إلى درجة غير مسبوقة من التوتر! بسبب: مواصلة طهران التدخل في شؤونها الداخلية، ومحاولة زعزعة استقرارها على المستويين: السياسي والأمني.

وجهت طاجيكستان اتهامات إلى إيران في (٩ أغسطس) الحالي بإرسال قتلة ومخربين؛ خلال فترة الحرب الأهلية التي اندلعت بين عامي (١٩٩٢ و١٩٩٧)، وبث التلفزيون الحكومي فيلمًا وثائقيًّا تضمن اعترافات لثلاثة أشخاص قالوا أنهم تلقوا تدريبات ودعمًا ماليًّا في إيران، واعترفوا بتنفيذ اغتيالات لشخصيات عامة، وشن هجمات على قاعدة روسية داخل أراضيها.

إيران سارعت -كعادتها- إلى نفي هذه المعلومات، معتبرة أن مشاركة وزير الطاقة الطاجيكي في مراسم أداء الرئيس روحاني اليمين الدستورية في (٥ أغسطس) دليل على علاقاتها القوية مع دوشنبه، مؤكدة أن ظهور هذه المعلومات في الوقت الحالي يعود إلى «وجود دوائر لا تريد صداقة أقوى بين البلدين».

لكن هذا الرد لا ينفي أن طهران تحاول باستمرار استغلال نفوذها الناعم في طاجيكستان؛ الذي توفره عوامل عديدة، مثل: اللغة الفارسية، وتزايد حاجة دوشنبه إلى المساعدات الاقتصادية.

بالطبع؛ هذه العوامل تمثل بيئة جاذبة بصفة دائمة لإيران؛ التي تتحرك للبناء عليها بهدف: دعم تمددها في الداخل، على نحو ما تفعل في دول أخرى بالمنطقة، مثل: سوريا والعراق ولبنان واليمن.

تكتسب تلك الاعترافات -التي جاءت بعد انتهاء الحرب الأهلية بنحو عشرين عامًا- أهميتها من توقيتها، فقد تزامنت مع تزايد الاتهامات الموجهة لإيران بدعم الإرهاب وزعزعة الاستقرار لبعض دول المنطقة، بالتوازي مع مساعي الأخيرة لنفي ذلك، وتأكيد أنها طرف بارز في الحرب ضد الإرهاب؛ بدليل: دورها في تحرير الموصل من تنظيم «داعش».

من هنا؛ فإن هذه المعلومات الجديدة تثبت: أن مزاعم إيران لا تتسامح مع الواقع! وأن هذه الاتهامات تكتسب المزيد من المصداقية؛ خاصة أن الاعترافات الأخيرة التي بثها التلفزيون الطاجيكي جاءت بعد نحو ثلاثة أسابيع من القرارات التي اتخذتها السلطات الكويتية بتخفيض مستوى التمثيل الدبلوماسي مع إيران، وإغلاق مكاتبها الفنية، وتجميد نشاط اللجان المشتركة؛ احتجاجًا على دورها في دعم «خلية العبدلي» الإرهابية، وتهريب بعض عناصرها.

كما أن هذه الاعترافات جاءت بعد تصريحات الرئيس روحاني؛ خلال مراسم أداء اليمين الدستورية، التي أبدى فيها اهتمامه بتحسين العلاقات مع دول الجوار، وهو ما يضعف من موقفه، ويؤكد أن قدرته على تنفيذ سياساته وتحويلها إلى خطوات إجرائية على الأرض مرتبطة بمدى قبول القيادة العليا والحرس الثوري لها.

ويضفي ذلك وجاهة خاصة على التكهنات التي تشير إلى أن العلاقات مع دول الجوار، مثل: العراق وأفغانستان وطاجيكستان؛ لا تخضع لسلطات الرئيس، وإنما لنفوذ المؤسستين: العسكرية والأمنية؛ المدعومتين من المرشد.

وتوحي الاتهامات بأن إيران تسعى دائمًا إلى تأسيس حزام أمني حول حدودها؛ عبر دعم نفوذها في دول الجوار، في ظل مخاوفها المستمرة من مصادر التهديد الخارجية؛ التي لا تنحصر في الولايات المتحدة، وإنما تمتد -أيضًا- إلى روسيا.

دعم كبيري والحزب الإسلامي يمثل: قاسمًا مشتركًا جديدًا بين إيران وقطر؛ التي سعت بدورها إلى تقديم دعم لهذا الحزب، وحرصت على الترويج لمواقفه في وسائل إعلامها.

حاولت إيران استخدام أدواتها الناعمة، وأنشأت مراكز ثقافية تروج لأفكارها وأيديولوجيتها، مثل: مركز «إيرانيان» في مدينة خجند؛ الذي كان يقوم قبل إغلاقه بنشر كتب لمؤلفين محليين، وإجراء مسابقات ثقافية، وتوفير خدمة الإنترنت للسكان، وتنظيم رحلات لبعض الشباب الطاجيكي إلى إيران.

كما زادت طهران من نشاط مؤسسات «البونياد»، وهي: مؤسسات خيرية اجتماعية تستغلها لدعم دورها في الخارج؛ دون أن تكون لها علاقة رسمية مباشرة بالحكومة؛ كـ «مؤسسة الإمام الخميني للإغاثة»؛ التي قدمت في السابق خدمات في بعض المدن الطاجيكية، مثل: رعاية الأيتام، ودعم الفقراء.

بالتوازي مع ذلك؛ حاولت طهران استقطاب تأييد بعض الأحزاب ذات التوجهات الإسلامية، حتى لو كانت معارضة للنظام الحاكم، مثل: «حزب النهضة الإسلامي»؛ الذي صنفته دوشنبه كتنظيم إرهابي منذ (سبتمبر ٢٠١٥)، بعد اتهامه بارتكاب أعمال عنف في البلاد.

ودعت طهران أمين عام الحزب محيي الدين كبيري لحضور مؤتمر «الوحدة الإسلامية»؛ الذي نظمته في (ديسمبر ٢٠١٥)، وحظي باهتمام واضح من جانب السلطات الإيرانية التي اعتبرته: «ضيفًا خاصًّا»، والتقى المرشد الأعلى علي خامنئي ومستشاره للعلاقات الدولية علي أكبر ولايتي.

المفارقة هنا: أن دعم كبيري والحزب الإسلامي يمثل: قاسمًا مشتركًا جديدًا بين إيران وقطر؛ التي سعت بدورها إلى تقديم دعم لهذا الحزب، وحرصت على الترويج لمواقفه في وسائل إعلامها.

من دون شك! يلقي ذلك بالمزيد من الضوء على أوجه

التشابه الكثيرة بين إيران وقطر؛ اللتين تسعيان إلى تبني آليات متقاربة لمواصلة التدخل في الشؤون الداخلية لبعض دول المنطقة.

ويشير حرص إيران على دعم نفوذها في طاجيكستان إلى: أنها تسعى لتأسيس حزام أمني حول حدودها، وترى أن مصادر التهديد الخارجية التي تواجهها باتت متعددة، ولا تقتصر على واشنطن، لكنها تمتد إلى موسكو؛ على الرغم من التوافق الظاهر بينهما حول العديد من الملفات، على رأسها: الأزمة السورية.

وتثبت اعترافات الأشخاص الثلاثة بشن هجمات على قاعدة روسية في طاجيكستان: أن طهران حاولت تهديد مصالح موسكو في دوشنبه، وممارسة ضغوط عليها لتقليص وجودها العسكري بالقرب من حدودها.

هذه السياسة فرضت تداعيات سلبية كثيرة على علاقات إيران وطاجيكستان؛ التي أبدت دول في المنطقة اهتمامًا بتقديم مساعدات عديدة لها.

واعتبرت دوشنبه: أن هذه التحركات الإيرانية تمثل: محاولة لزعزعة استقرارها، بما دفعها إلى اتخاذ خطوات مضادة للتعامل معها.

ولم تكتف بإغلاق المراكز الثقافية والمؤسسات الاجتماعية والصحية التي أنشأتها طهران، إلى جانب منع تداول كتب الخوميني وبعض رجال الدين؛ وإنما سعت إلى امتلاك أوراق ضغط للتلويح بها في مواجهة الأخيرة، مثل: عرقلة جهودها للحصول على عضوية كاملة في منظمة تعاون شنغهاي.

الحزام البري الإيراني ينذر بحرب طائفية في المنطقة.. وتخوفات أردنية من تمدد طهران على طول الشريط الحدودي

أحمد جمعة - اليوم السابع (٢٠١٧/٨/١٢)

تشهد الساحة السورية تحولات دراماتيكية على كافة الأصعدة خلال الأشهر القليلة الماضية، في ظل تحركات تقودها أطراف إقليمية ودولية لوقف إطلاق النار في سوريا، إضافة لاتفاق تلك الأطراف على ضرورة محاربة التنظيمات المسلحة التي لا تؤمن بالحل السياسي، وتشديدها على ضرورة تحجيم دور إيران في المنطقة؛ والذي سيدفع بالمنطقة إلى حرب أهلية.

وشهدت العاصمة الأردنية عمان عدد من الزيارات المكوكية من قبل عدد من المسئولين الغربيين، إضافة للزيارات التي قادها وزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي إلى العراق، وهي الزيارة التي تعد التحرك الأبرز للوزير لبحث وقف التمدد الشيعي في المنطقة؛ ولا سيما عقب سيطرة الحشد الشعبي على الحدود السورية-العراقية، إضافة لتخوف عمان من مشاركة الحشد في معركة تحرير تلعفر.

التخوف الأردني من مشاركة الحشد الشعبي العراقي في معركة تحرير تلعفر يأتي في توقيت حذرت فيه أوساط سياسية أردنية من الهدف الحقيقي من تولي الحشد مهمة استعادة تلعفر الواقعة على الحدود السورية من تنظيم داعش، مؤكدة أنه: مخطط إيراني يهدف إلى: تركيز حزام بري إيراني، يبدأ من طهران ليمر عبر العراق ثم سوريا، لينتهي بلبنان؛ الذي تسيطر ذراعها الرئيسية حزب الله على مفاصل الحياة فيه.

الهواجس والتخوفات الأردنية التي حذر منها العاهل

الأردني الملك عبد الله الثاني عام (٢٠٠٤) باتت حقيقة تهدد أمن واستقرار المنطقة، وقد حذر الملك عبد الله من اعتزام إيران إنشاء هلال شيعي يمتد من العراق مرورًا بسوريا، وصولًا إلى لبنان، وذلك في خطابه الشهير في شهر (ديسمبر عام ٢٠٠٤).

المخططات الإيرانية التوسعية في المنطقة تثير مخاوف الأردن وباقي الدول العربية، في وقت تستخدم فيه روسيا الاتحادية الميليشيات الطائفية في مراوغة دول الجوار السوري لإجبارها على الحلول التي يطرحها الكرملين، في وقت تتمسك فيه طهران بتقديم كافة أنواع الدعم للميليشيات الطائفية في سوريا والعراق؛ فضلًا عن الدعم الكبير لحزب الله اللبناني، وهو التحرك الذي يهدد بحرب طائفية شاملة، تدفع بالمنطقة لمستنقع الفوضى الخلاقة.

التحركات الإيرانية المشبوهة حذّر منها رئيس هيئة الأركان المشتركة الأردني الفريق الركن محمود عبد الحليم فريحات، وكشف عن تطلعات طهران لإنشاء حزام بري هدفه الرئيسي: ربطها بلبنان عبر سوريا والعراق.

وأكد فريحات - خلال حواره مع هيئة الإذاعة البريطانية - قلق الأردن من تقدم ميليشيات الحشد الشعبي باتجاه منطقة تلعفر - غربي مدينة الموصل.

وأثارت مطالبة عدة جهات إقليمية بضرورة تحييد الحشد الشعبي عن معركة الموصل - وبخاصة تلعفر - جدلًا كبيرًا في المنطقة؛ إلا أن الضغوط الإيرانية نجحت في فرضه كأمر واقع.

وتشكل تلعفر القضية الأهم بالنسبة لإيران، بسبب موقعها الجغرافي الذي يجعلها بمثابة محطة طريق مركزية، تضمن استمرار وصول التجهيزات المادية والحشود البشرية القادمة من إيران إلى سوريا ولبنان.

ويتجاوز وجود ميليشيات الحشد الشعبي الأراضي العراقية؛ حيث تتواجد العديد من عناصره في المناطق السورية على غرار: «عصائب أهل الحق وحركة النجباء»؛ التي شاركت بقوة في معركة حلب؛ التي حسمت لصالح النظام السوري الحليف لطهران.

وسط تلك التحركات المشبوهة التي تقودها طهران يلعب فصيل «حزب الله اللبناني» الدور الأخطر في المنطقة، ويلجأ الحزب اللبناني للخطاب العاطفي العروبي لحشد أكبر عدد من المؤيدين لسياسته التي تخدم إيران في المنطقة، ويشكل حزب الله الخطر الأكبر على أمن واستقرار سوريا والعراق.

التحركات التي تقودها طهران لم تكن غائبة عن الولايات المتحدة الأمريكية؛ التي تحركت جنوب سوريا لنزع فتيل الأزمة، وبدأت واشنطن أولى إجراءاتها بوقف برنامج الاستخبارات الأمريكية لتمويل المعارضة السورية، واشترطت أمريكا: دمج (٥٤) فصيل مسلح جنوب سوريا في (٤) تشكيلات مسلحة، وتقليص عددها من (٣٠) ألف مقاتل إلى (٣) آلاف مقاتل، تكون مهامهم الرئيسية: تأمين المناطق التي تسيطر عليها المعارضة، ووافقت الإدارة الأمريكية على تولي حكومة دمشق مهام تأمين حركة المعابر مع الأردن، وهو الشرط الذي وضعته عمان لضمان أمنها واستقرارها.

اللقاءات التي تجرى في الأردن - وسط تكتم من القيادات السياسية والعسكرية في عمان - يكشف عن: تحرك القوى العظمى لحلحلة الأزمة السورية في الفترة المقبلة؛ عبر تجفيف الدعم العسكري للفصائل المقاتلة، إضافة لتحرك المملكة

العربية السعودية لتوحيد صفوف المعارضة السورية، وإقصاء القيادات السورية المعارضة التي تدعمها قطر، وتعرقل عملية الحل السياسي في سوريا.

والمتابع للتحركات الجارية في سوريا والعراق والأردن يلحظ: عدم وجود أي دور واضح للجامعة العربية في التوافقات التي تجرى بين الأطراف الإقليمية والدولية، إضافة لوجود ضبابية في موقف الجامعة تجاه الأوضاع الجارية في المنطقة؛ ولا سيما على الساحة السورية، إضافة لغياب الدور العربي الموحد تجاه المخططات الإيرانية التي ستدفع بالمنطقة للانفجار والحرب الأهلية.

وفي حال تحرير المنطقة من التنظيمات الإرهابية - وعلى رأسها تنظيمي: داعش وجبهة النصرة - ستواجه الدول العربية والإقليمية مشكلة هي الأكبر في المنطقة؛ والتي تتمثل في الفصائل الطائفية الشيعية التي دخلت سوريا وتستوطن العراق، وتدعمها طهران بالمال والسلاح.

والسؤال هنا: هل تعي الجامعة العربية طبيعة ما يجرى؟ ومتى تتحرك الجامعة لتوحيد الموقف العربي تجاه طهران؟ وهل تتمكن الدول العربية من تشكيل كيان قوي على غرار «الرباعي العربي» لمواجهة المشروع الإيراني الأخطر في تاريخ المنطقة؟!

عن جدار تركيا على الحدود مع إيران

علي حسين باكير - العرب القطرية (٢٠١٧/٨/١٥)

بدأت السلطات التركية الأسبوع الماضي في بناء جدار عازل على الحدود مع إيران، عند محافظتي: آغدي، وإيغدير، ويغطي الجدار المراد تشييده (١٤٤ كم) من أصل حوالي (٥٠٠ كم)، تُشكّل إجمالي طول الحدود المشتركة مع إيران.

وسيتم إنجاز الجدار على خمس مراحل، حيث من المفترض أن يتم الانتهاء من المرحلة الأولى في (أكتوبر) المقبل، كما من المفترض أن يتم تزويد الجدار بأبراج، وكاميرات مراقبة، وأعمدة إنارة، وأسلاك شائكة؛ بحيث تصبح المنطقة تحت المراقبة على مدار (٢٤) ساعة.

لطالما كانت المواقع الحدودية لتركيا مع كل من إيران والعراق وسوريا مصدر صداع للسلطات الأمنيّة التركية!

وخاصّة المثلث الحدودي التركي-الإيراني-العراقي؛ الذي يعتبر بمثابة جنّة جغرافية لمقاتلي حزب العمال الكردستاني؛ حيث ينطلقون من داخل الأراضي الإيرانية والعراقية لشنّ هجمات مميتة داخل الأراضي التركي، قبل أن يعودوا وينسحبوا إلى مواقعهم المتأخرة داخل إيران والعراق.

خلال السنوات القليلة الماضية تفاقم وضع هذا الشريط الحدودي، وأصبح يشكل مصدر تهديدات أمنيّة متزايدة على الأمن القومي التركي؛ لا سيما مع حالة الفوضى التي تضرب العراق وسوريا، وقد أصبح من السهل لمقاتلي حزب العمال الكردستاني والميليشيات المرتبطة به في العراق وسوريا الدخول والخروج دون عوائق تذكر! وكذلك الأمر فيما يتعلق بتهريب الأسلحة والمتفجرات؛ عبر هذه الحدود إلى الداخل التركي.

بالنسبة إلى الجانب التركي من الصعب جدًّا - إن لم يكن مستحيلًا -: ضبط الحدود المشتركة ذات التضاريس الجغرافية الصعبة مع هذه البلدان بشكل كامل وفعّال، عبر الطرق التقليدية؛ خاصة عندما تكون الموارد البشرية أو المادية أو التقنية اللازمة لتأمينها محدودة.

ولذلك؛ فإن بناء الجدار مدعومًا بتقنيات للمراقبة قد يساعد السلطات الأمنيّة على تأمينها بشكل أفضل، وأكثر ككفاءة،

وبالتالي التخفيف من المخاطر الأمنية القادمة عبر الحدود.

ويعتبر الجدار مع إيران جزءًا من خطة أمنية شاملة، تضم المناطق الحدودية كذلك مع كل من سوريا والعراق، بهدف: تأمينها ضد الفاعلين غير الحكوميين والميليشيات المسلحة والتنظيمات الإرهابية؛ كحزب العمال الكردستاني (PKK)، والفرع السوري (PYD-YPG)، وكذلك تنظيم «داعش».

ووفقًا لوزير الدفاع التركي فقد تم الانتهاء في (يونيو) الماضي من تشييد جدار على أكثر من ثلثي المناطق الحدودية مع سوريا، بطول (٦٩٠ كم)، وقد تم تزويده بمجسات إلكترونية وأجهزة مراقبة متطورة، أملًا في الحد من دخول الإرهابيين عبر الحدود؛ لتنفيذ عمليات إرهابية في الداخل التركي.

وتشير التقديرات إلى أنّ هناك حوالي (١٠٠٠) عنصر ينتمون إلى حزب العمال الكردستاني، يشنون هجماتهم ضد تركيا عبر الحدود مع إيران، وبالرغم من أنّ السلطات الإيرانية تنفي علاقتها بهذا الأمر إلا أنّ هناك من يعتقد في تركيا أنّ إيران لا تعدم الوسيلة لاستغلالهم، عندما يكون الأمر متاحًا، لا بل إنّ هناك من يرى بالفعل أنها قامت في السابق باستغلال وتوظيف مقاتلي حزب العمال الكردستاني ضد تركيا لأغراض سياسية؛ سواءً بشكل مباشر، أو من خلال قوى إقليمية محسوبة على النظام الإيراني، أو مدعومة منه؛ كالنظام السوري.

وعلى الرغم من آثاره السلبية؛ فإن الجانب التركي يعتقد: أنّ تشييد الجدار سيحد بالفعل من العمليات الإرهابية عبر الحدود، لكنّ من الصعب القول: إنّه سيمنعها بشكل تام؛ خاصّة إذا ما بقيت الفوضى الإقليمية قائمة، وإذا ما استمرت هذه الميليشيات في الحصول على حماية ودعم من قبل لاعبين إقليميين ودوليين.

لماذا يُبغض أغلب المسلمين حكام إيران؟؟؟

أ. د. خالد الخالدي - صفحته بـ (الفيس بوك)

تحمست للثورة الإيرانية في بدايتها؛ كأغلب المسلمين، ثم فقدت الثقة بها وبحكام إيران وأبغضتهم؛ كأغلب المسلمين!

وذلك لأسباب كثيرة؛ أذكر بعضها باختصار شديد:

١ - لأنهم طائفيون متعصبون، يضطهدون أكثر من (١٠) مليون إيراني سني، ويحرمونهم حتى من بناء المساجد! فليس لهؤلاء إلى الآن أي مسجد، وهذا ما لم يفعله اليهود في كيانهم، ودول النصارى مع المسلمين الذين يعيشون تحت حكمهم في الغرب.

٢ - لأنهم يعدمون معارضيهم الإيرانيين السنة لأتفه الأسباب، وهذا ما لا يفعله اليهود في فلسطين، والنصارى في الغرب.

٣ - لأنهم يصرون على التمسك بمعتقدات أجدادهم الحاقدين! إذ يلعنون أغلب الصحابة؛ وخصوصًا الصديق والفاروق رضي الله عنهما.

٤ - لأنهم ما زالوا يؤذون رسول الله ﷺ والمؤمنين؛ بقذف أم المؤمنين عائشة، واتهامها بالفاحشة؛ رغم أن الله برأها من اتهام المنافقين القدماء بقرآن يتلى!

٥ - لأنهم يؤذون المسلمين بمقام يعظمونه أقاموه لأبي لؤلؤة المجوسي، قاتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٦ - لأنهم أسهموا إسهامًا كبيرًا في احتلال أمريكا للعراق؛ من خلال حزب الدعوة العراقي الشيعي المدعوم من إيران؛ رغم أنهم يسمون: «أمريكا الشيطان الأكبر»!

٧ - لأن أمريكا كافأت حزب حكام إيران «حزب الدعوة»

بحكم العراق، فسمح هو وأمريكا لحكام إيران باحتلال العراق، فأرسلوا ضباطهم وجنودهم، وعاثوا فيه قتلًا وإفسادًا وتدميرًا، فخطفوا وعذبوا وقتلوا ونكلوا، وعلى أيديهم تم قتل عشرات الألوف من علماء وخبراء وضباط وطياري وخطباء ووجهاء وأساتذة العراق، وكانوا يلقون بجثثهم المثقبة بالآلات الكهربائية في الشوارع.

٨- لأن سياسة (إبادة أهل السنة في العراق) التي اتبعها حكام إيران وحزبها -حزب الدعوة العراقي الحاكم- أدت إلى قتل وتهجير وتشريد وسجن واغتصاب ملايين السنة في العراق.

٩- لأن الجيش العراقي وميليشيات الحشد الشعبي المدعومين من إيران؛ والذين يقودهم قاسم سليماني الإيراني، ومئات الضباط الإيرانيين؛ أبادوا مئات الألوف من سنة العراق في الموصل والفلوجة والأنبار وصلاح الدين، وتمت هذه الإبادة للبشر والمدن بتنسيق ومشاركة كاملة من طائرات أمريكا وحلفائها من طواغيت العرب والغرب.

١٠- لأن قاسم سليماني كان يصرح بعد كل إبادة لمدينة سنية عراقية أو سورية تصريحات طائفية بغيضة! فيقول: «إن انتصارنا انتصار على أحفاد أبي بكر وعمر ومعاوية ويزيد»!!

١١- لأن حكام إيران لعبوا دورًا رئيسًا في إفشال ثورة الشعب السوري على المجرم بشار؛ بدعم عسكري كامل ومباشر لنظامه، بحزبهم في لبنان «حزب اللات»، وبضباطهم الإيرانيين، وبمرتزقة شيعة أفغان وعراقيين جاءوا بهم.

فأبادوا الشعب السوري؛ حيث قتلوا وهجروا الملايين، وحولوا مدنه العامرة إلى خراب، وأسكنوا مكانهم فرسًا شيعة.

١٢- لأن أمريكا تحالفت مع حكام إيران في سوريا كما العراق، واستخدمتهم لإفشال ثورات الشعوب المسلمة المظلومة على حكامها الظالمين، كما استخدمتهم لإبادة أهل السنة الذين عدّتهم الخطر الحقيقي على مستقبل الغرب.

وصرح قادة الغرب بشكل واضح ومرات عدة: أن أكبر حليف لهم لإبادة الإسلام الحقيقي السني هم: الشيعة، وأن إسلام حكام إيران ليس إسلامًا، وإنما دينٌ حليفٌ لهم، يحقق أهدافهم.

١٣- لأن حكام إيران المتحالفين اليوم مع الصليبيين والملحدين ضد المسلمين أعادوا تمامًا دور الحكام الصفويين؛ الذين حاربوا الدولة العثمانية لأنها سنية، وحالوا بينها وبين فتح أوروبا، وتحالفوا ضدها مع دول الغرب الصليبي، ومع الروس، وأبادوا أكثر من مليون إيراني سني؛ من أجل تحويل إيران من دولة سنية نسبة السنة فيها (٩٠%) إلى دولة شيعية نسبة الشيعة فيها (٩٠%).

١٤- أن هدف حكام إيران: ليس تحرير القدس، وإنما: احتلال بلاد العرب، ونشر التشيع فيها، وقد ظهرت حقيقة أهدافهم بأفعالهم! فهم لم يكتفوا باحتلال العراق وسوريا، وإنما احتلوا عاصمة اليمن بدعمهم للحوثيين، وتفاخر قادتهم بذلك، فصرحوا: أنهم الآن يسيطرون على أربع بلدان عربية: العراق، وسوريا، ولبنان، واليمن، وأن هدفهم الكبير هو: احتلال مكة والمدينة!

١٥- أن حكام إيران يعملون بجد، وينفقون الأموال الطائلة لنشر التشيع في البلدان السنية، وسفاراتهم وملحقياتهم الثقافية تنشط جدًّا في هذا المجال، في جنوب شرق آسيا، وفي الدول العربية؛ خصوصًا التي تعاني من أوضاع اقتصادية وسياسية صعبة.

وقد أغلقت السودان قبل مدة ملحقيتهم الثقافية، وطردت رئيسها وموظفيها؛ لأنها تعمل على تشييع السودانيين، كما نشروا التشيع في الجزائر التي كانت خالية تمامًا من الشيعة.

١٦ - أن حكام إيران الذين يملكون السلاح والمال والجيوش الجرارة لم يوجهوا قوتهم يومًا نحو إسرائيل أو نحو الغرب الداعم لإسرائيل؟! ولكن وجهوها فقط ضد الشعوب التي ترغب في التحرر من الحكام العملاء للأعداء، واكتفوا بيوم للقدس يتظاهرون فيه! وبفتات من السلاح والمال يرسلونه للمقاومة في فلسطين؛ لعلهم يخففون به نقمة الشعوب المسلمة الناقمة عليهم بسبب إبادتهم للمسلمين في العراق وسوريا واليمن.

ومعروف أن كل من أراد من الأوساخ أن يطهر نفسه.. تمرغ في تراب القضية الفلسطينية الطاهر!!

١٧ - أن حكام إيران دعموا الانقلاب على الرئيس مرسي، وانحازوا إلى أعدائه العلمانيين المرتبطين بالشيطان الأكبر، رغم أنهم ارتكبوا مذبحة مروعة في «رابعة»، قتل فيها في يوم واحد أكثر من أربعة آلاف من أخيار وأكفاء وعلماء وأطهار مصر، ولا ننسى كيف كانت فضائيات إيران (الميادين والعالم) وغيرهما يدعمون بكل قوة الانقلاب ويعادون ثورة الشعب المصري المقهور.

وما فعلوا ذلك إلا من منطلق طائفي، فالعربي البعيد عن الدين أحب إليهم من العربي الملتزم بالدين إذا كان سنيًّا!

١٨ - لأن أغلب المسلمين أصحاب مبادئ؛ لا يحبون ولا يثقون ولا يرضون عن من يساعد أحدهم بينما يفتك بإخوانه الآخرين؛ قتلًا واغتصابًا وتعذيبًا وتهجيرًا.

تلكم بعض جرائم حكام إيران التي جعلت المسلمين يبغضونهم ولا يثقون بهم، وهي جرائم لم يرتكبها بحق المسلمين يهود ولا كفار ولا صليبيون!

خلل الإفراط والتفريط: حماس نموذجاً

أسامة شحادة - الفتح (٢٠١٧/٨/١١)

أصدرت حركة حماس بيانًا صحفيًّا في (٢٠١٧/٧/٤) حول زيارة وفدها إلى طهران؛ للمشاركة في حفل تنصيب روحاني رئيسًا لإيران، ذكرت فيه: أن الزيارة تأتي «تقديرًا لما تقوم به إيران من دور كبير في دعم صمود الشعب الفلسطيني، ومناصرة حقوقه، وإسناد مقاومته الباسلة، وتأكيدًا على حرص الحركة على تعزيز العلاقة مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية وتطويرها؛ خدمةً للشعب الفلسطيني وقضيّته العادلة».

وهذا الموقف السياسي لحماس من إيران يتركب من عدة أشياء، هي:

■ **علاقة مع نظام طائفي وإرهابي وضال دينيًّا**، وحماس تعرف ذلك؛ كما يصرّح قادتها وأنصارها في الجلسات الخاصة، ومواقع التواصل الاجتماعي، ومؤلفات بعض قادة حماس.

■ **السكوت على جرائم هذا النظام وحلفائه وأذنابه** بحق الشعب الفلسطيني في العراق (حي البلديات ٢٠٠٣)، وسوريا (مخيم اليرموك ٢٠١٤)، ومن قبل استمرار التضييق على المخيمات الفلسطينية؛ برغم تحكّم حزب الله بلبنان!

■ **المدح والتلميع بالكذب والتزييف للنظام الطائفي الإرهابي**؛ الذي ينشر الشرك والضلال، ويقتل الأبرياء في عدد كبير من الدول؛ لترسيخ مشروعه الشيعي الطائفي العدواني التوسعي الاستيطاني على حساب أهل السنة.

ما يجعل هذا المدح خيانة لدماء الأبرياء وعقيدة التوحيد!

وإذا تنزلنا مع حماس في النقطة الأولى، وقبِلنا أنها مضطرة لهذه العلاقة بسبب الحصار والمقاطعة العربية لها، وإذا تفهمنا أن حماس ضعيفة ومحتاجة للدعم الإيراني؛ فلا يمكنها نقد واعتراض جرائم إيران وحلفائها الشيعة ضد الفلسطينيين في النقطة الثانية.

فهل حماس مجبرة على الثناء والمدح الكاذب للإجرام الإيراني والشيعي؟ كيف تكون مجبرة وهي تقول: إن الدعم الإيراني غير مشروط؟

حين انتقدت ذلك على صفحتي بـ (الفيس بوك) هاجمني العشرات من الحمساويين وأصدقائهم، وبعضهم أحبّتي، ورغم أنّي حاولتُ معهم بكل وسيلة للوصول لاتفاق على خطأ هذه السياسة؛ كان الردّ دومًا عتابًا ولومًا، أو شتمًا وسبًّا وتخوينًا، أما النقاش الموضوعي والعلمي فكان غائبًا تمامًا!

وبالمقابل؛ كانت هناك تعقيبات تهاجم حماس بالحق والباطل، حيث شيطنت حماس بالكامل، وأنكرت أي فضل لها أو جهد تُشكر عليه، واعتقد أن هذه التعليقات والآراء ظلمت حماس بذلك كما أن حماس ظَلمت نفسها وشعبها بالمدح الزائف والكاذب لإجرام وطائفية إيران وملالي الشيعة.

وقد ذكّرني هذا الموقف المتناقض من حماس بقول الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، ﷺ: «ليحبّني قوم حتى يدخلوا النار في حبي، وليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي». «السنة» لابن أبي عاصم وصحّحه الألباني.

فالغلو في حب حماس والدفاع عنها بالحق والباطل لا يجلب لحماس إلا الشر، ومنه: الغلو في نقد حماس ومهاجمتها وإنكار أي فضيلة لها، والجزاء من جنس العمل!

وما لم تتخلّص الحركة الإسلامية - بمختلف أطيافها - من آفة التعصب؛ حبًّا وذمًّا، فإن خلل التفكير هذا سيكون دومًا معرقلًا لها عن تصحيح أخطائها والاستفادة من النصيحة الصادقة، وتفعيل الشورى الداخلية فيها، وهذا يدخل في قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد:٧].

ولنتذكر نتيجة مخالفة الرّماة يوم أحد على نتيجة جهاد النبي ﷺ والصحابة ﷺ.

صراع روحاني مع الحرس الثوري.. اقتصادي بواجهة سياسية

د. محمد السلمي - الوطن السعودية (٢٠١٧/٨/١٠)

مع فوز حسن روحاني بفترة رئاسية ثانية تتعلق أنظار المتابعين للشأن الإيراني بقياس مدى تغير معالجة روحاني للملفات الشائكة التي يواجهها في فترة رئاسته الثانية؛ مقارنة بأدائه في الفترة الرئاسية الأولى.

ومن أولى هذه الملفات: علاقة روحاني بالحرس الثوري؛ التي شهدت تأزمًا كبيرًا لأسباب كان المعلن منها: اختلاف موقف الطرفين حول الاتفاق النووي والبرنامج الصاروخي، لكن في العمق شكلت الهيمنة السياسية والاقتصادية للحرس الثوري على الأوضاع في إيران جوهر الخلاف بينهما.

أشعل روحاني الصراع الذي تم تأجيله أثناء فترته الرئاسية الأولى مع الحرس الثوري بتصريحه حول الدور الاقتصادي للحرس الثوري، واتهمه باستلاب مقدرات الدولة الإيرانية؛ بالاستيلاء على مؤسساتها الاقتصادية تحت دعوى: (الخصخصة)؛ التي أدارها خامنئي خلال العقد الماضي، حيث قال «كان هناك جزء من الاقتصاد الإيراني بيد دولة بلا سلاح تم تسليمه لدولة تحوز السلاح، فهل نستطيع أن نسمي ذلك: خصخصة؟».

الرئيس الإيراني حسن فريدون -المعروف بروحاني- الذي يرتدي عباءة الإصلاحي المعتدل يمتلئ تاريخه بفترات طويلة من العمل داخل مؤسسة الحرس الثوري، من بينها: قائد أركان قاعدة خاتم الأنبياء، وقائد قوات الدفاع الجوي للحرس، وعديد من المناصب العسكرية الرفيعة، لكن مع توليه منصب رئيس الجمهورية برز خلافه مع الحرس الثوري حول معالجة الملف النووي والبرنامج الصاروخي.

روحاني لا يرفض البرنامج الصاروخي، ولكنه لا يريد الصخب الإعلامي الذي يقوم به الحرس الثوري أثناء التجارب الصاروخية، ولا التوقيت السيئ لإجرائها؛ من وجهة نظر روحاني، لأنها دائمًا ما تحدث كردة فعل مضادة للدبلوماسية الإيرانية، وتؤدي بالتالي إلى إفشال خطط روحاني الخاصة بالانفتاح على العالم الغربي؛ عبر واجهته المفضلة: وزير الخارجية محمد جواد ظريف.

وفي المقابل لا يرفض الحرس الثوري الاتفاق النووي؛ لأنه لم يوقع إلا بموافقة من المرشد على خامنئي ورجاله من قادة الحرس، وإنما يرفض التبعات الاقتصادية للاتفاق النووي عليه، فروحاني يريد فتح الباب للاستثمارات الغربية في القطاع النفطي، وهو ما يرفضه الحرس الثوري المسيطر فعليًّا على هذا القطاع.

في الفترة الرئاسية الأولى لروحاني تعنت خامنئي أمام الصيغة الجديدة للعقود النفطية الإيرانية؛ التي وضعها وزير النفط الإيراني «بيجن زنجنه» لتشجيع الاستثمار الأجنبي في قطاع النفط الإيراني، واشتعل الهجوم سياسيًّا على روحاني، واتهم بالفشل الاقتصادي من قبل المرشد، وتطور الأمر لاتهامه بالتساهل الاقتصادي مع الغرب ضد مصلحة إيران، بغرض: تحقيق مكاسب سياسية، وإنجاح اتفاقه النووي، واتخذت حينها إجراءات تكتيكية من التيار المحافظ للضغط سياسيًّا عليه، كان منها: الدفع بأحمدي نجاد لخوض الانتخابات الرئاسية، وهجوم المرشد على روحاني وحكومته.

وسرعان ما تم تهدئة الأمور بتدخل عدد من كبار الساسة ورجال الدين، كان على رأسهم: رفسنجاني، وناطق نوري، وانتهى الأمر باتفاق يقضي بإبعاد أحمدي نجاد، مقابل تعديل وزاري يعزل وزراء الرياضة والثقافة والتعليم، ويسمح لشركات الحرس الثوري بالحصول على عقود نفطية ضخمة، ولكن في إطار عقود متعددة الجنسيات؛ حتى لا تفشل المشروعات النفطية الجديدة، مثلما حدث في السابق عندما أُسندت لشركات الحرس الثوري منفردة.

وكان الدافع لدى روحاني لقبول هذه الصفقة: رغبته في الحصول على فترة رئاسية ثانية، ومع فوزه في الانتخابات الأخيرة سارع بعقد اتفاق نفطي ضخم مع شركة «توتال» الفرنسية.

هذا الاتفاق أشعل حرب التصريحات بين روحاني والحرس الثوري من جديد، وكانت ذروة هذه المواجهة: التصريح الأخير لروحاني؛ الذي عبر فيه عن بيع مؤسسات الدولة لشركات الحرس الثوري تحت مسمى: (الخصخصة)؛ التي رفع شعارها خامنئي أثناء فترة رئاسة أحمدي نجاد.

روحاني رفع سقف المواجهة مع الحرس الثوري ومع خامنئي؛ حتى يصل في النهاية إلى الحد الذي يرضى به، لأن تلويح روحاني بهذا الأمر يمكن أن يترتب عليه إصدار عقوبات دولية على إيران، وهو ما لا يريده روحاني، وإنما يريد: عقودًا نفطية مع شركات أجنبية، تتيح له حصول الحكومة الإيرانية على قدر من

العائدات النفطية، بعيدًا عن هيمنة الحرس الثوري على موارد الدخل الإيراني.

لذا؛ كان الاجتماع الأخير الذي ضم كلًّا من روحاني وقادة الحرس الثوري، بالإضافة لقاسم سليماني لتهدئة الوضع، والوصول إلى حل وسط؛ يضمن لروحاني وحكومته الحصول على بعض الموارد المالية التي تمكنه من إدارة خطته الاقتصادية.

ومن ثم؛ الأزمة بين روحاني والحرس الثوري خلاف مالي، بسبب: هيمنة الحرس على الاقتصاد الإيراني، مغلف بنزاع سياسي لن يؤدي إلى تغيير جوهري في موازين القوة داخل إيران.

ذلك؛ لأن روحاني يؤيد ويدعم التواجد العسكري للحرس الإيراني في سورية والعراق، وجميع الأعمال الإرهابية التي يقوم بها الحرس الثوري الإيراني داخل إيران وخارجها.

فيما تعود سوريا إلى لبنان

نديم قطيش - الشرق الأوسط اللندنية (٢٠١٧/٨/١١).

على وقع نتائج معركة جرود عرسال اللبنانية يجتهد «حزب الله» -في الظاهر- لإعادة بشار الأسد إلى لبنان، أو إعادة لبنان إلى سوريا الأسد!

في خطابه الشهير عام (٢٠٠٥)، المؤسس للانقسام اللبناني الأطول بين معسكري «٨ آذار» و«١٤ آذار»، قال حسن نصر الله التالي: «لا يستطيع أحد أن يخرج سوريا من لبنان، ولا من عقل لبنان، ولا من قلب لبنان، ولا من مستقبل لبنان».

والحديث طبعًا عن سوريا الأسد؛ التي بدأ بشكرها يومها حافظًا وبشارًا وجيشًا وشعبًا.

في الأيام والأسابيع الماضية بدأ المحور الذي تدور حوله حركة «حزب الله» العسكرية والسياسية هو: «التطبيع» مع سوريا الأسد.

إعلامه استفاض في تظهير «الإيجابية» السورية؛ حين قبلت دمشق أن تستقبل مقاتلي «النصرة» وعائلاتهم على أرضها.

ونصر الله ونواب حزبه والوزراء لم يتعبوا من تكرار مقولة التنسيق مع الأسد، في ملف النازحين السوريين تارة، وفي العمل العسكري المقبل ضد جيوب «داعش».

وعلى طاولة مجلس الوزراء أعلن وزير «حزب الله» حسين الحاج حسن: أنه ذاهب إلى سوريا للمشاركة في فعاليات معرض دمشق الدولي المتوقفة منذ عام (٢٠١١)، والمستعادة اليوم على وقع تدمير أحياء جوبر القريبة من موقع المعرض؛ لضمان انعقاده بلا قذائف تأتي من هناك!

لا نجح «حزب الله» في استدراج الدولة اللبنانية إلى التنسيق مع جيش وحكومة الأسد، ولا نجح في انتزاع تكليف حكومي لبناني لزيارة وزيره إلى دمشق، ولا في الحقيقة هو معني بالأمرين!

يعلم «حزب الله» أن تعويم الأسد، والعودة بعقارب الساعتين: السورية واللبنانية إلى الوراء مسألة مستحيلة، وإن كان يحتاج للأسد -ولو ظلًا في قصر المهاجرين!- كغطاء لمعركته ومعركة إيران في سوريا.

المسألة -هنا- تتعلق بجغرافيا النفوذ الإيراني على الساحة السورية؛ التي تعج بالروس والأميركيين والأتراك والإسرائيليين، بلا حضور عربي إلا في «سوريا الشتات»!

عسكريًّا؛ ومن خلال معركة جرود عرسال تخلص «حزب الله» من جيب يزعج طريق دمشق حمص، ويتصل بالامتداد

الجغرافي لشمال العاصمة دمشق، أي: بعضًا من سوريا الإيرانية المفيدة.

وسياسيًّا؛ يحاول أن يعزز ويزيد النفوذ الإيراني داخل حكومة لبنان، باعتباره منطقة صراع ونزاع بين إيران والخصوم أنفسهم الذين تصارعهم وتنازعهم في سوريا.

إنها عملية عسكرية سياسية متكاملة في سوريا ولبنان؛ لتقول إيران: «أنا هنا! وهذه أوراقي على طاولة التفاوض حول سوريا»، في لحظة إقليمية ودولية معقدة.

إيران رضخت لنتائج الحضور الأميركي المباشر على الأرض السورية، والتزمت، بهدوء؛ بالحدود التي تسمح أو لا تسمح بها أميركا، وتأكدت من جدية ذلك عبر اختبارات أودت بطائرتين إيرانيتين من دون طيار، وبمجموعة تقاتل إلى جانب الأسد، وترتبط بخبراء الحرس الثوري الموجودين في سوريا.

وهي تراقب بحذر تصاعد التنسيق بين الجيش اللبناني والأميركيين، ووجود الخبراء، وتطور قاعدة رياق، وغرف العمليات المشتركة، كما ترصد تنسيقًا مماثلًا مع البريطانيين.

في المقابل؛ تستثمر إيران في التغيير الذي يطرأ بارتباك على مواقف الدول من الأزمة السورية، والبناء على نتائج هذه المواقف لتعزيز أوراقها.

منذ سنة تغيرت أولويات تركيا في سوريا، وتصدرتها: أولوية منع ولادة كيان كردي على حساب أولوية إسقاط الأسد.

ومع وصول الفرنسي إيمانويل ماكرون إلى الإليزيه تبدد عنوان: (إسقاط الأسد) الذي رفعته فرنسا.

واشنطن أعلنت قبل أيام: أنها أوقفت برامج مهمة لدعم المعارضة المسلحة، وانتشرت أنباء مربكة عن احتمال مغادرة الأميركيين قاعدة (التنف) في سوريا على الحدود مع العراق، سرعان ما نفتها قوات التحالف الدولي ضد «داعش».

وكان سبق موقف لوزير الخارجية الأميركي ريكس تيلرسون، قال فيه إنه: «لن يكون هناك دور لعائلة الأسد على المدى البعيد»، مشيرًا -ضمنًا- إلى أن رحيله اليوم غير وارد.

ونُسب مؤخرًا موقف لوزير الخارجية السعودي عادل الجبير خلال لقاء له مع المعارضة السورية؛ فُسر خطأً على أنه تهيئة للقبول ببقاء الأسد خلال المرحلة الانتقالية، وليس رحيله في بدايتها؛ كما هو الموقف السعودي التقليدي، قبل أن يعيد مجلس الوزراء التأكيد على «مستقبلٍ جديدٍ لسوريا، لا مكان فيه لبشار الأسد».

زد على ذلك: مواقف عربية كثيرة متوجسة من سقوط عشوائي للأسد، يفاقم الجحيم السوري، ويوسع دائرة ارتداداته على أمن المنطقة واستقرارها.

كل هذه مؤشرات تقدمها إيران على أنها: حاضر ثابت، ومستقبل لن يأتي، وتسعى لاستثمارها في لبنان؛ قبل غيره.

والحقيقة: أن لبنان متروك إلى حد بعيد؛ إعلامه متروك، على ما ظهر في التغطية المشينة لمعركة جرود عرسال، ولبنان ساحة إعلام قبل أي شيء.

الجيوب والتكتلات المناهضة لإيران وسوريا متروكة بلا أي سقف يحميها!

والأخطر: الفكرة الآخذة في التبلور، والقائمة على: أن يُترك لبنان ليحكمه «حزب الله»، ويبنى على الشيء مقتضاه.

العرب غائبون عن سوريا! لكن غيابهم عن المعادلة اللبنانية غير مبرر، والتذرع بأن لبنان لا يقدم الكثير استراتيجيًّا، لا يعني: أن يترك البلد بلا مقومات صمود.

لبنان ليس ساحة لتحقيق الانتصارات على إيران؛ صحيح، لكنه ساحة صمود في مواجهة إيران، بل ساحة الصمود في مواجهة إيران.

تهديد نصر الله الجديد «الفاضح»!

ياسر الزعاترة - الدستور (٢٠١٧/٧/١)

في خطابه الأخير في الجمعة الأخيرة من رمضان، بمناسبة ما يُعرف بـ «يوم القدس العالمي» قدَّم حسن نصر الله مقاربة جديدة لحروب الولي الفقيه، بدت أكثر وضوحًا، وربما فضائحية من المقاربات السابقة التي كانت تتدثر بلبوس الأمة كحالة جامعة.

مع أن الأمر لم يكن يقنع أحدًا، ربما باستثناء بعض من غُيّبت عقولهم، وربما ضمائرهم -أيضًا- من المحسوبين على الغالبية في الأمة، أعني: أهل السنّة؛ الذين لم ينظروا إلى أنفسهم يومًا كطائفة، وإنما اعتبروا أنفسهم الأمة التي تستوعب جميع أقلياتها.

في الخطاب قال نصر الله: إن أي «حرب تنوي إسرائيل شنّها على لبنان وسوريا لن تبقى محصورة في هذين الميدانين، بل إنها ستفتح الباب أمام انضمام آلاف المقاتلين من العراق واليمن وإيران وأفغانستان وباكستان، وبقاع أخرى في العالم».

هنا والآن؛ يتحوّل محور ما يُسمى: «المقاومة والممانعة» إلى محور مذهبي (شيعي)، وليس محورًا للأمة، ولاحظوا أنه تحدث عن حرب على سوريا ولبنان، لأن الحرب على الشعب الفلسطيني قائمة عمليًّا؛ باحتلال أرضه، وتهويد مقدساته، لكنها لا تستحق الرد! وليست ضمن حروب الولي الفقيه؛ إلا في سياقٍ من الاستغلال لترويج المشروع الأصلي.

الدول التي تحدث عنها بالاسم لم تُذكر سهوًا، بل كانت مقصودة؛ لأنها فيها أقليات شيعية (أغلبية كما يرون في العراق، وقد يضيفون اليمن، معتبرين أن الزيدية شيعة -أيضًا-، مع أن الحوثيين الاثني عشرية أقلية).

ولكي لا يدع مجالًا للشك في الدلالة؛ كانت وقفته عند اليمن بالقول: إن ما سمّاه العدوان عليه (قال: على الشعب اليمني، كأن من يقاومون الحوثيين والمخلوع من شعوب الواق واق!!)، سببه «أنه (الشعب اليمني) يقف إلى جانب فلسطين»، وهي مقولة تثير السخرية! بل أقصى درجات السخرية!! لأن الحوثيين لم يكونوا أكثر انحيازًا لفلسطين من السنّة أو الزيدية في اليمن، وإن تاجروا بشعار «الموت لأمريكا.. الموت لإسرائيل».

هكذا يفصح نصر الله الذي طالما أعلن أن خامنئي هو «وليه الفقيه»، بل «ولي أمر المسلمين» -حسب تعبيره- يفصح الآن: أن محور المقاومة والممانعة الذي يتحدث عنه هو: محور شيعي، وأنه: مشروع طائفي بامتياز، وأن هذا المحور: «يتمدد» -بتعبيره-، وأن على العالم والإقليم أن يتعامل مع هذه الحقيقة، مع التذكير بأنه محور يهاجم فقط في المحيط الإسلامي، لكنه يكتفي بالرد فقط حين يتعلق الأمر بالكيان الصهيوني.

بعد الخطاب مباشرة ضرب الصهاينة مرتين أو ثلاثًا في سوريا، لكنّ ردًّا لم يحدث من قِبَل النظام السوري، ولا من قِبَل نصر الله وأتباعه الكثر في سوريا! وهذا دليل جديد على أن: أولوية نصر الله لا صلة لها بمواجهة إسرائيل، ولا بتحرير فلسطين، وما هو سوى جندي في مشروع خامنئي؛ الذي يستعيد ثارات «مذهبية»، ويريد إعادة النظر في حقائق التاريخ والجغرافيا في المنطقة، ولن يتم الرد على الصهاينة إلا إذا تم التأكد أن ذلك

سيصب في صالح المشروع.

كان على أدعياء المقاومة والممانعة - من المحسوبين على الغالبية في الأمة - أن يتأملوا جيدًا في خطاب نصر الله الجديد؛ كي يتأكدوا أنهم خارج حساباته، وإذا دخلوا فيها فمن باب التبعية ليس إلا، وأن مشروع خامنئي ونصر الله والحوثي و«الحشد» والبقية؛ لا صلة له بمواجهة أمريكا وإسرائيل، بل هو مشروع للتمدد والسيطرة على أسس مذهبية؛ لا أكثر ولا أقل!

تدويل الحج

د. بسام العموش - مدار الساعة (٢٠١٧/٨/١٤)

لست مكلفًا من أية جهة كي أكتب تحت هذا العنوان، ولكن قناعاتي الدينية والسياسية تفرض علي ذلك، فدعوة تدويل الحج قال بها النظام الإيراني والقذافي لأسباب يعلمها الجميع، فمنذ مجيء خميني عام (١٩٧٩) للسلطة تحدث عن تصدير الثورة، وهذا يعني: أنه يحلم بالسيطرة على العالم الإسلامي، في تناس تام أن أغلبية المسلمين هم سنة لا شيعة!! فربما طمع بوجود تابعين لنظامه من السنة بل حتى من المناؤين للدين أصلًا؛ كما نرى اليوم!!

ولا شك أن الحرمين في مكة والمدينة يشدان المسلمين في العالم، لهذا راح يعلن: أن الحج موسم لإعلان البراءة من المشركين! ولهذا أمر بالتظاهر في الحج ورفع شعار «الموت لأمريكا»، في محاولة لاستقطاب المسلمين من شتى بقاع العالم؛ فالحج فرصته في هذا التجمع الفريد!

وقد كانت تلك المحاولة واضحة في تسييس الحج؛ الذي هو ركن من أركان الإسلام، حيث رحلة العمر بالنسبة للمسلم، يحط عن كاهليه الآلام والماديات والسياسة وكل ما يتعلق بالدنيا، فقد لبس الكفن ليعلن لله ﷻ أنه جاء تائبًا منيبًا، راغبًا في عفو الله وكرمه.

أرادت إيران ومعها قذافي لأسباب سياسية تحويل الحج إلى موسم سياسي، متناسين أن الحجيج من بلاد مختلفة، ومن المؤكد أنهم يحملون وجهات نظر قد تختلف؛ وهو الغالب، فهل الحج مساحة لهذا؟ وهل الحج سيقود المسلمين للاتفاق فيما بينهم على مسائل شائكة وتقديرية؟؟ وإذا كان الصيد ممنوعًا في الحج؛ فهل مصادمة المسلم لأخيه جائزة؟ وهل حضر لهذا المكان ليقوم بذلك؟ في الحج يمنع الجدل والفسوق «الكلام القبيح»؛ فكيف سيحقق الحاج ذلك بينما ستعلو فوق رأسه الشعارات السياسية؟

ولو افترضنا - جدلًا - أن اتفق المسلمون على تدويل الحج؛ فهل سنحضر قوات عسكرية وأمنية من (٤٦) دولة؟ أم نحضر قوات أجنبية؟ هل نجلب الحرس السويسري؟ من يقول بذلك؟!

وماذا لو اختلفت قوات هذه الدول الإسلامية، وتواجهت بالقوة المسلحة؟ ماذا سيحدث للملايين الذين جاءوا طالبين رحمة الله ومغفرته؟ هل تحضر قوات عربية أو خليجية؟

وفي النهاية: ما فائدة ذلك؟

إن فكرة (التدويل) فكرة يتمناها أعداء الأمة؛ لأنهم سيفرحون كثيرًا إذا رأوا أمة الإسلام تقتتل في عقر دارها، فلنُعلِ الصوت برفض ما تريده إيران، لأن هذا يعني: المزيد من الدمار في أقدس بلاد المسلمين.

هذه أبرز صور التنافس الأمريكي الإيراني على النفوذ بالعراق

مصطفى الدليمي - عربي٢١ (٢٠١٧/٨/١٤)

عززت الإجراءات الأمريكية ضد مليشيات عراقية قرب الحدود مع سوريا، والتطورات السياسية على الساحة العراقية: تكهنات سياسية تحدثت عن تنافس أمريكي إيراني على النفوذ بالعراق، في مرحلة ما بعد تنظيم الدولة.

وبحسب ما فسر محللون سياسيون في حديث لـ «عربي٢١» فإن التنافس بين واشنطن وطهران على النفوذ في العراق خلال المرحلة المقبلة يظهر جليًّا في الملفين: العسكري، والسياسي.

◙ الملف العسكري:

ولعل آخر إجراء عسكري أمريكي هو: قصف مليشيا «كتائب سيد الشهداء» الموالية لإيران، الاثنين الماضي، قرب الحدود العراقية السورية، ما أسفر عن مقتل (٣٦) عنصرًا، وإصابة (٧٥) آخرين؛ بحسب بيان للكتائب.

وفي الوقت الذي نفت فيه القوات الأمريكية على لسان ريان ديلون -المتحدث باسم قواتها في العراق- وقوفها وراء الضربة، فقد أعلن تنظيم الدولة مسؤوليته عن الهجوم، مؤكدًا مقتل (٦٨) عنصرًا على الحدود العراقية السورية.

وقبل نحو شهر ونصف: تعرضت «كتائب سيد الشهداء» ذاتها إلى ضربة جوية أمريكية، قرب الحدود العراقية السورية، ما أسفر عن وقوع قتيل، وإصابة ستة آخرين؛ بحسب بيان لها.

ووفقًا لمراقبين؛ فإن ما يثبت سعي أمريكا لوضع حد لتحركات مليشيات المرتبطة عقائديًّا بإيران (بحسب ما أقرّ زعيمها أبو الولاء الولائي)، هو: الضربات المتكررة لها.

وتعليقًا على الموضوع؛ فقد قال رئيس الوزراء حيدر العبادي في تصريح له: أن التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة لا يمكن أن ينفذ ضربات جوية دون موافقة الحكومة العراقية.

لكن نائب الرئيس العراقي نوري المالكي دعا إلى فتح تحقيق عاجل بحادثة استهداف ميليشيا «كتائب سيد الشهداء» على الحدود العراقية السورية، ومحاسبة مرتكبيها.

ووصف المالكي القصف بأنه: «اعتداء غير المبرر من التحالف الدولي على قاطع العمليات ضمن الحدود العراقية السورية»، متسائلًا عن «أسباب تكرار تلك الاعتداءات؛ بالتزامن مع الانتصارات ضد داعش!».

وحول هذا الموضوع؛ كشف مصدر سياسي مقرب من تحالف القوى العراقي (السنة) لـ «عربي٢١»: أن «رئيس الوزراء حيدر العبادي، ورجل الدين مقتدى الصدر يسيران في الخط الأمريكي، بعيدًا عن إيران».

◙ الملف السياسي:

وعلى صعيد ما تشهده الساحة العراقية من حراك سياسي؛ فقد أعلن عمار الحكيم، الاثنين الماضي: تركه لرئاسة

المجلس الأعلى (الذي تأسس في إيران عام ثمانين)، وتأسيس تيار «الحكمة الوطني».

ولكن ما أثار الاستغراب في هذه الخطوة هو: سرعة إعلان الحكيم انفصاله عن تيار يوصف بأنه النموذج الإيراني في العراق، كونه يؤمن بمبدأ «ولاية الفقيه» كنظام للحكم في البلاد.

وقال المحلل السياسي الدكتور عدنان التكريتي في حديث سابق لـ «عربي ٢١»: إن «إيران تواجه تحدي النفوذ مع الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، وهي عادة لا تستسلم، وإنما تساير الوضع؛ بأي طريقة كانت!».

وأوضح: أن إيران نجحت في أن تقدم السياسي العراقي (الشيعي) الراحل أحمد الجلبي لأمريكا؛ ليكون رجلها الأول في العراق؛ وهو الذي لعب دورًا كبيرًا في احتلال العراق.

وبالتزامن مع انشقاق الحكيم؛ فقد فاجأ زعيم التيار الصدري العراقي مقتدى الصدر إيران، بزيارة إلى المملكة العربية السعودية، التقى خلالها بولي العهد السعودي محمد بن سلمان.

فقد وصفت صحيفة «فايننشال تريبيون» الإيرانية -الصادرة بالإنجليزية- زيارة الصدر إلى السعودية بأنها: «خطأ إستراتيجي؛ سيندم عليه!»، لافتة إلى أن: «الصدر يحاول بهذه الزيارة: تعويض تراجع تأثير مليشيا «سرايا السلام» في العراق».

وردًّا على ذلك؛ فقد قال صلاح العبيدي -المتحدث باسم الصدر- في تصريح سابق لـ «عربي ٢١»: إن «الصدر يعلم يقينًا: أن زيارته إلى السعودية ستشكل ردودًا سلبية في الحاضنة الشيعية، وهو مستعد لمواجهة ذلك».

من جهته؛ قال المصدر المقرب من تحالف القوى -الذي فضل عدم كشف هويته-: إن «هناك مرحلة جديدة قادمة، وستشهد الحياة السياسية العراقية تغيرات كثيرة.

أمريكا عائدة للعراق، وستتعامل مع تحجيم النفوذ الإيراني؛ لا إنهاءه».

لافتًا إلى أن: «إيران ستعمل على احتواء الموقف بسياسة ذكية؛ تبقي لها الكثير من نفوذها».

وأضاف: «ربما نجد تراجعًا إيرانيًّا سياسيًّا بعض الشيء، ولكن مشروعها الديني والمجتمعي والفكري للهيمنة على العراق سيبقى؛ مهما تغيرت إشكاله!».

مرجحًا: «تراجع إيران تراجعًا سياسيًّا ملحوظًا مسيطر عليه، وسيتوافد أنصار إيران على أمريكا لتقديم استعداداتهم للتعاون.

سنشهد انشقاقات قادمة، وهي ضرورية ليتكامل المشهد».

ورأى المصدر: أن «إيران ستنتظر قدوم الدعم الاقتصادي للعراق لكي يخرج العراق من أزمة الاضطرار للوجود الأمريكي، و سيكون هناك إعداد لمواجهة مع الوجود الأمريكي ذات طابع عسكري؛ إذا اضطرت لذلك».

وأشار إلى أن: «إيران ستركز على نفوذها داخل المجتمع وعلى علماء الدين الشيعة، كما ستستقطب تيارات وشخصيات سنية وكردية تتحكم بهم روح التنافس مع الآخرين».

وتوقع المصدر: أن «يتصاعد الضغط الإيراني على السعودية وربما غيرها؛ لمزيد من إرباك للوضع السعودي، وستكون هناك عملية استقطاب للمتطرفين السنة والشيعة في السعودية؛ لاسيما أن الأخيرة اتخذت مسارًا علمانيًّا».

ووصل زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر الأحد إلى أبو ظبي، قادمًا من النجف، على متن طائرة إماراتية خاصة، والتقى فور وصوله بولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد.

وتأتي زيارة «الصدر» بعد أقل من أسبوعين على زيارة رسمية أجراها إلى السعودية، في تحول ملفت للعلاقات بين أحد الأطراف الشيعية العراقية والدول الخليجية.

وكشف وزير الدولة للشؤون الخارجية الإماراتية أنور قرقاش، الاثنين: عن تحرك ثلاثي خليجي تجاه العراق، وذلك عقب زيارة لزعيم التيار الصدري العراقي مقتدى الصدر إلى أبو ظبي، ولقائه بولي عهدها محمد بن زايد.

وقال قرقاش في تغريدات له على «تويتر»: إن «التحرك الواعد تجاه العراق الذي يقوده الأمير محمد بن سلمان بمشاركة الإمارات والبحرين: مثال على تأثير دول الخليج متى ما توحدت الرؤية والأهداف».

من صوفها اكتفها

د. فراس الزوبعي - الوطن البحرينية (٢٠١٧/٨/٩)

البدو يقولون: «من صوفها اكتفها»، أي: اغزل من صوف الغنم حبلًا واربط الشاة به، وهو مثل يقال كناية عن تسيير الأمور، وتحقيق أفضل النتائج باستخدام الموارد المتاحة من الأمر نفسه؛ دون الإنفاق عليه.

لكن واقع حال العرب أصحاب المثل غير ذلك!

وعلى عكسهم الفرس الذين عملوا بهذا المثل؛ فنفوذهم يتعاظم في أفغانستان، ونجحوا في جعل العراق تابعًا لهم، ويقاتلون في سوريا واليمن بغير رجالهم وأموالهم.

نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية قبل أيام قليلة تقريرًا يبين: أن نفوذ إيران في أفغانستان يتصاعد من خلال حركة طالبان، وفي الوقت نفسه يتراجع نفوذ الولايات المتحدة؛ لا سيما بعد تصريح الرئيس ترامب برغبة بلاده في الانسحاب من أفغانستان بعد (١٦) سنة، مع غياب الأدوار الإقليمية هناك.

وذكر التقرير جزئية مهمة وهي: أن إيران شجعت تجارة المخدرات.

وإذا أردنا أن ننظر للمشهد من زاوية أبعد؛ سنجد الآتي: إيران وضعت يدها في العراق وأفغانستان دون أن تخسر شيئًا منذ البداية، لأنها وببساطة استغلت التغييرات التي أحدثتها أمريكا في العراق وأفغانستان؛ عندما أسقطت أمريكا نظام الحكم في البلدين، فقد كانت على عداء مع العراق لأنه

كان عقبة في طريقها، ومع نظام طالبان لأن إيران الشيعية لا تقبل بدولة طالبان السنية.

ولذلك؛ سهلت لأمريكا غزو البلدين، وبعد ذلك دعمت طالبان عسكريًّا وماديًّا؛ من خلال السلاح والعناصر الأفغانية في إيران، لتبدأ طالبان باستنزاف القوات الأمريكية، ولا شك أن ذلك يأتي لصالح إيران.

وفي الوقت نفسه؛ شجعت تجارة المخدرات؛ التي تزرع في أفغانستان، وتمررها إيران عبر أراضيها إلى العراق؛ الذي نشرت فيه تعاطي المخدرات بعد أن كان خاليًا من التعاطي، وأيضًا جعلته ممرًا لمخدراتها إلى دول أخرى، ومن ريع هذه التجارة تمول بعض أنشطتها.

أما في العراق؛ فهي تحكم وتقاتل بعراقيين تابعين لها وبأموال البلد نفسه.

وفي سوريا؛ لديها ميليشيات، وعلى سبيل المثال: ميليشيا «فاطميون» المؤلفة من أفغان أدخلتهم إيران إلى العراق بدون جوازات سفر؛ بعدما اجتاحوا البوابات الحدودية، لنكتشف بعد فترة أن قائد «فيلق القدس» بالحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني أشرف على تدريبهم، ووصلوا إلى الحدود العراقية السورية عند معبر «التنف».

واليوم تتفاخر ميليشيا «حزب الله» العراقي بأنها أجهضت الهدف الأمريكي في السيطرة على الحدود العراقية السورية وجعلته ينكفئ إلى الحدود الأردنية.

أما في اليمن؛ فتقاتل بيمنيين تابعين لها، وليس بجيش إيران.

المحصلة: أن إيران تعبث بأفغانستان واليمن والعراق وسوريا ولبنان، بغير أبنائها وأموالها، فهي تمارس الإرهاب وتدعمه في بلداننا بأموالنا وأبنائنا!

وهو ما يفسر لنا قدرة: إيران على الاستمرارية في هذا الجانب.

لذلك؛ هي تطبق عمليًّا المثل القائل: «من صوفها اكتفها».

خريطة نشاط أذرع "داعش" عالميًا بعد الموصل

شهدت الآونة الأخيرة نشاطًا ملحوظًا لأذرع التنظيم في عدة دول، وسط مخاوف من انتقال المزيد من عناصره إليها، بعد تشديد الخناق عليه في مركزه بسوريا والعراق

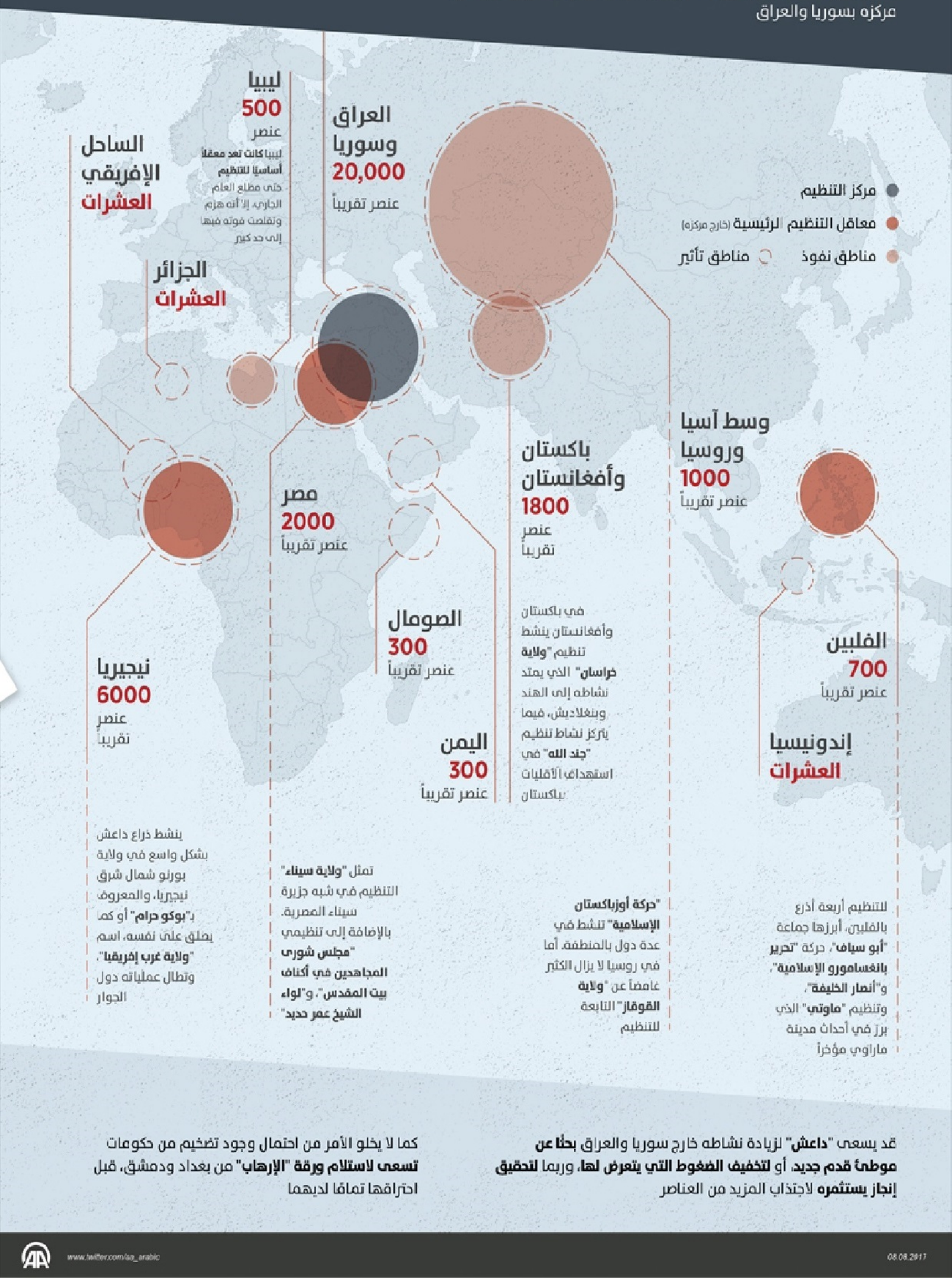

قد يسعى "**داعش**" لزيادة نشاطه خارج سوريا والعراق **بحثًا عن موطئ قدم جديد**، أو **لتخفيف الضغوط التي يتعرض لها**، وربما **لتحقيق إنجاز يستثمره** لاجتذاب المزيد من العناصر

كما لا يخلو الأمر من احتمال وجود تضخيم من حكومات **تسعى لاستلام ورقة "الإرهاب"** من بغداد ودمشق، قبل احتراقها تمامًا لديهما

الراصد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٧٢ محرم ١٤٣٩هـ

الإسلام والسنة في دائرة الاستهداف

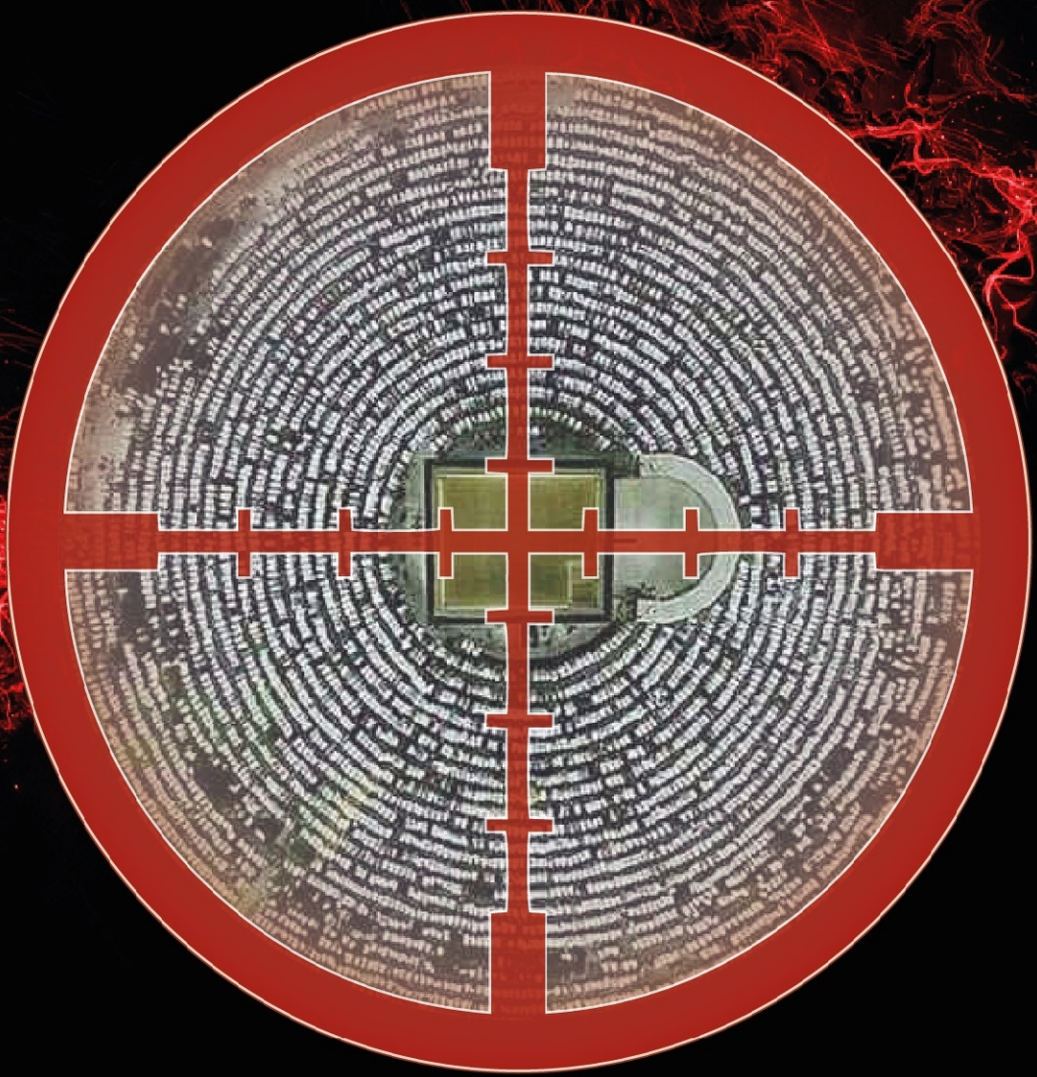

16 سراب التغيير.. العرب والاعتدال الإصلاحي في إيران

23 الحوثيون.. النشأة والعلاقات المتأزمة

29 لماذا يحاربون «صحيح البخاري»؟!

المحتويات

فاتحة القول

الإسلام والسنة في دائرة الاستهداف ٢

فرق ومذاهب

حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج (٥): عملية اغتيال السادات ..... أسامة شحادة ٤

سطور من الذاكرة

ثورات الخوارج (١٢): مفارقة ابن الزبير ..... هيثم الكسواني ١٢

دراســـــــات

سراب التغيير.. العرب والاعتدال الإصلاحي في إيران ..... بوزيدي يحيى ١٦

الحوثيون.. النشأة والعلاقات المتأزمة ..... حمير الحوري ٢٣

من صور الاختراق الشيعي لغزة في (٢٠١٧) ..... عبد الرؤوف الرملي ٢٧

لماذا يحاربون «صحيح البخاري»؟! (١) ..... فادي قراقرة ٢٩

مهمات الحشد الشعبي في العراق ..... صباح العجاج ٣٢

المؤتمر الدولي للطريقة التجانية في دارفور.. البحث عن موطئ قدم ..... محمد خليفة صديق ٣٥

الميليشيات الشيعية والطفولة.. انتهاكات يعلوها الصمت ..... أسامة الهتيمي ٣٩

قراءة في المخطط الإعلامي الشيعي الموجّه للمرأة ..... فاطمة عبد الرؤوف ٤٥

مظلومية أهل السنة في إيران (٥): المظلومية الدينية ٢ ..... ماجد العباسي ٤٩

كتاب الشهر

كتاب «الروهنجيا في ميانمار.. الأقلية الأكثر اضطهاداً في العالم» ..... عرض: أسامة شحادة ٥١

قالوا

..... ٥٥

جولة الصحافة

«ترويض الإسلام» أكاديمياً في ألمانيا! ..... الصحفي الألماني أرنفريد شينك ٥٧

الإمساك بالعصا من المنتصف.. سياسة إيرانية تجاه كردستان ..... سردار تورغوت ٥٩

عن أي تحالف تركي - إيراني يتحدثون؟! ..... علي باكير ٥٩

في معنى أن تنتصر طهران ..... حازم الأمين ٦٠

لماذا يذبحونهم؟.. البوذية والسيف ..... فيصل الكاملي ٦٢

إيران تستنزف مياه أفغانستان بعد جفاف أنهارها وبحيراتها ..... هدى الحسيني ٦٤

مسمار جُحا الإيراني ..... فراس الزوبعي ٦٦

الحروب الخاسرة مع الإرهاب ..... علي حسين باكير ٦٧

بهانيو تونس يرفعون شكوى إلى رئيس الجمهورية ..... موقع نسمة ٦٨

إعصار هارفي يكشف زيف «قدسية» حرية التعبير ..... عزام التميمي ٦٩

ما وراء تسليح أمريكا لـ «صالح مسلم» ..... سمير صالحة ٧٠

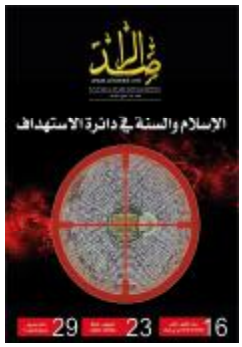

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٧٢)
محرم (١٤٣٩هـ)

www.alrased.net
info@alrased.net

الإسلام والسنة في دائرة الاستهداف

من المهم في هذه المرحلة استيعاب كامل الصورة للهجمة الكبيرة التي تستهدف الإسلام والمسلمين عمومًا، وتستهدف أهل السنة ومنهجهم خصوصًا، مما يساعد على فهم كثير من التناقضات والمواقف المتباينة، ويكشف المكائد التي تنصب في طريق كثير من الفضلاء، ويجنّبهم معارك فرعية لا أولوية لها تستهلك طاقتهم، وتَصرفهم عن مكمن الشر والخطر الحقيقي الذي يستحق المقاومة.

تتنوع وتتعدد مصادر الهجوم والعدوان على الإسلام والمسلمين؛ سواء من جهة الأعداء الخارجيين أو الداخليين، أو من جهة المنطلقات والأفكار والأيدولوجيات، أو من جهة المبررات والحجج لهذا العدوان والهجوم، أو من جهة الأساليب والوسائل في ذلك.

فالإسلام يواجِه عدوانًا ماديًّا مسلحًا إرهابيًّا من جهات عدة، فاليهود يستهدفون مقدسات المسلمين في المسجد الأقصى، ويستهدفون المسلمين في فلسطين بالطرد والسجن والقتل وتأليب العالم عليهم وعلى من يناصرهم، ويستهدفون أخلاق الإسلام ببث العقائد الباطلة والمجون في الإعلام، وهناك هجمات عدوانية على المسلمين من متطرفي المسيحيين في أنحاء شتى، كما أن الدول الغربية لا تتورع عن مهاجمة بلاد الإسلام ظلمًا وعدوانًا إذا اقتضت مصالحها ذلك؛ كما رأينا في أفغانستان والعراق ومالي وغيرها، ونواجه عدوانًا بوذيًّا وثنيًّا في بورما وتايلند وسيرلانكا، ونواجه عدوانًا شيوعيًّا على مسلمي الصين في تركستان من قبل الصين، ومن قبل الهندوس في الهند.

ومرة تكون الهجمة فكرية تحت عناوين: عدم صلاحية الإسلام للعصر الحاضر؛ لما يحتويه الإسلام من رؤية كلية تقوم على احتكار الصواب في عقيدة التوحيد والتباين عن الآخرين باسم الولاء والبراء، وخطورة تمدده بين البشرية باسم الدعوة إلى الله ﷻ!

وتارة يها جمون الإسلام بسبب قضايا جزئية؛ كدعوى اضطهاد الإسلام للمرأة أو تقييده للحريات أو مناقضته مع حقوق الإنسان بالمفهوم العلماني والإلحادي؛ حيث يمنع الشذوذ والإباحية!

وتارة يكون الهجوم على بعض المؤسسات والشخصيات الإسلامية بما لها من رمزية؛ كالهجوم على الأزهر -مثلًا- أو الهجوم على هيئة كبار العلماء أو الهجوم على بعض العلماء، ومعلوم أنه لا معصوم من الخطأ أحد فردًا كان أو هيئة، ولكن الهجوم والنقد لهذه المؤسسات أو العلماء من أعداء الدين والملة يراد به هدم الإسلام نفسه، لما لهذه الهيئات والعلماء من دور في حماية الدين والإسلام؛ كما رأينا من موقف الأزهر مؤخرًا في محاولات منع الطلاق الشفوي أو إباحة زواج غير المسلم بالمسلمة، والهجمة الشرسة على الأزهر وشيخه.

وتارة يكون الهجوم على الإسلام بمحاولة فرض أصول جديدة على الإسلام؛ كمحاولات ترسيخ منظومات علمانية باسم الإسلام المدني أو الليبرالي أو المستنير من قبل مراكز البحث الغربية؛ فضلًا عما سبقها من أطروحات يسارية من فرض وجود إسلام أوربي وإسلام أفريقي وإسلام آسيوي!

وقد كان رموز اليسار والماركسية من الملاحدة والزنادقة أطلقوا قبل عقدين من الزمان -ضمن سياسة الإصلاح الروسية (البيروستريكا)؛ والتي تهدف للعمل من خلال خصوصية المجتمعات- مشاريع تطويع الإسلام للمادية والواقع؛ عبر تحريف معانيه، والتلاعب بتفسيره وشرحه بدعوى إخضاعه للعلوم الحديثة! وتكرار تجربة الهيرمونطيقيا مع القرآن الكريم والإسلام؛ والتي طبقت على الإنجيل والتوارة المحرفة فزادتها انحرافًا!

ومن الهجوم على الإسلام: محاولة تجريم شعيرة الجهاد في سبيل الله، وعدّها من الجرائم والسياسات العدوانية، تحت دعوى محاربة

الإرهاب والتطرف وما تقوم به داعش وأخواتها، والعجيب أن القوى الدولية والإقليمية هي التي ترعى داعش وأمثالها حتى تعيث إفسادًا وتدميرًا في بلاد المسلمين بما يدمر بُناهم التحتية، ويفتّت وحدتهم وصفّهم، ويشتت شملهم، ويهدم مدنهم، أو يؤلب القوى العنصرية عليهم، ويضيق القوانين والإجراءات ضدهم في المهاجر!

ومن مظاهر محاربة الإسلام: السعي بخبث لضرب كل مفاصل قوة المسلمين ووحدتهم؛ كاستهداف خطبة الجمعة بالتضييق والحصار، وفرض رؤية أحادية عليها! وغالبًا ما تكون رؤية ساذجة ذات خلفية سياسية، تكشف عن تغول السياسي على الديني، أو في محاربة كليات الشريعة والمعاهد الدينية والجمعيات الإسلامية في شكل جديد من سياسة تجفيف المنابع، أو عبر محاولة الهيمنة على فريضة الزكاة بفرض سلطة الدولة عليها بالكامل، وليس الإشراف الرقابي وتشجيع العمل التطوعي السليم، ومؤخرًا بدأت هيئة الأمم المتحدة تنافس اللجان الخيرية على جمع زكاة المسلمين!

هذا كله على صعيد محاربة الإسلام والمسلمين عمومًا؛ المتطرف والمعتدل، الجاهل والعالم، السيئ والجيد، حيث القانون السائد بينهم: المسلم الجيد هو المسلم الميت!

أما على صعيد محاربة السنة وأهلها خصوصًا؛ فهذه حرب أشد تركيزًا وأكثر خبثًا، ويساهم فيها بضراوة الكثير من القوى الطائفية ورموز الفرق المنحرفة بالتعاون مع بقية أعداء الإسلام والمسلمين.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك: توافق السياسات الشيعية والإيرانية الطائفية على قتل أهل السنة في العراق وسوريا واليمن وأفغانستان مع سياسات روسيا وأمريكا؛ لأن المقتول هم أهل السنة!

ومن أمثلة ذلك: تكالب دعاة البدعة والتأويل والانحراف في مؤتمر الشيشان برعاية فتى روسيا وبوتين لمهاجمة أهل السنة وإخراجهم من دائرة السنة، وقد أحسن الأزهر بتبرّئه من بيان المؤتمر لما كشفت أوراقه والجهات الحاقدة التي أدارته من خلف الستار.

وبينما كان دعاة أهل السنة هم الصف الأول في محاربة الإرهاب والتطرف منذ ظهوره قبل نصف قرن، وتعرضوا في سبيل ذلك للتخوين والتكفير من الغلاة ومن بعض الفرق والمناهج المنحرفة، وتقصدهم المتطرفون بالاغتيال والقتل؛ تعود اليوم ماكينة الشيعة الإعلامية وبعض رموز الفرق الضالة لمهاجمة أهل السنة واتهامهم زورًا وبهتانًا بالتكفير والتطرف!

والأعجب من هذا أن دعاة أهل السنة وعلماءهم يتّهمهم الأعداء بفريتين متناقضتين؛ فهم يتّهمونهم بالإرهاب والتطرف والتكفير والتشدد، وفي نفس الوقت يتهمونهم بأنهم عملاء للحكام والغرب وأمريكا! فما لكم كيف تحكمون؟!

ويواجه أهلُ السنة ودعاتهم ومؤسساتهم هجمة من نوع خاص، وهي: محاولة تشويههم والطعن فيهم من قبل فصائل سنية، والدافع الحقيقي لذلك هو تضرر مصالحهم الفصائلية والحزبية؛ إما بمنافستهم لهم في الشارع وفي صناديق الاقتراع، وإما لأن أهل السنة يرفضون تحالفاتهم مع الشيعة وإيران التي لم تنقطع وإن ضعفت أحيانًا، والتي يتوقع أن تتزايد وتعلن في وقت لاحق، مما يقتضي إسكات أصوات أهل السنة التي ترفض هذا التخادم المضر بمصلحة الإسلام والمسلمين العامة لصالح مكاسب فصائلية وحزبية محدودة.

الخلاصة: إن إدراك دائر تي الصراع مهم جدًّا لكل مخلص يعمل من أجل نصرة الإسلام والمسلمين، وحتى يتجنب المعارك الفرعية والمعارك الوهمية، وحتى نعرف أن جميع المسلمين مستهدفين بالحرب والعدوان، وأن من الحكمة توسيع دائرة التحالفات في القضايا العامة والكبرى، وأن من الخداع للذات التعويل على نصرة الأعداء لنا؛ سواء دولنا التي تعول على القوى العالمية التي قد تتقاطع مصلحتها معنا؛ ولكن حتى مع ذلك فإنها لا تقبل أن نحرز النصر التام.

فلولا تواطؤ الغرب مع الحوثيين لتخلّصت اليمن من انقلابهم وسادت الشرعية.

ولولا دعم الأكراد الماركسيين من أمريكا لنعِم الشمال والجنوب السوري بالسلام وتخلص من إجرام الروس والنظام والمليشيات الشيعية الطائفية باسم: (المناطق منخفضة التوتر)! أو الحركات الإسلامية والتي تعول على ملالي إيران وأذرعهم الشيعية الطائفية؛ كحزب الله، فمن يَقتل مئات الألوف من أهل السنة هنا وهناك لن يكون صديقًا مخلصًا لك!

وقديمًا قال الشاعر:

كلّ العداوة قد تُرجى مودتها إلا عداوة من عاداك في الدين

حكاية جماعات العنف
من الانحراف إلى فكر الخوارج (٥)

أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر؛ لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة!

وهذه طبيعة الضلال والانحراف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أوَّلها شبرًا، ثم تكثر في الأتباع، حتى تصير أذرعًا، وأميالًا، وفراسخ»[1]، وهذا واقعٌ في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود؛ حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها، بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرِّر تشكيلها!

في هذه السلسلة سنتناول: العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات العنف والقتال، ومن ثم مسار تطورها التاريخي، ومسار تطور انحرافها الفكري، والنتائج الكارثية لها على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخَّمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية.

وسيكون الإطار الزمني والمكاني الذي نتناوله في هذه المقالات هو: منذ انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة)؛ التي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير، مما ولَّد مناخًا مأزومًا، وظهرت فيه ردَّات فعل عنيفة، عُرفت بـ (جماعات الجهاد).

أولًا: الساحة المصرية

٤- عملية اغتيال السادات

مرّ معنا أن جماعة الجهاد المكونة من تنظيم محمد عبد السلام فرج وتنظيم سالم الرحال / كمال حبيب والجماعة الإسلامية؛ والتي غالبيتها طلبة جامعات، وليس فيهم مَن هو مؤهل في العلم الشرعي باستثناء د. عمر عبد الرحمن؛ والذي التحق بالتنظيم متأخرًا؛ كانت قد اعتمدت خطة المقدم عبود الزمر التي طرحها في (١٩٨١/٢)؛ والتي كانت تهدف لإعداد مدنيين عسكريًّا لاغتيال بعض الشخصيات والرموز السياسية، ومهاجمة بعض المفاصل الرئيسية، وقيادة ثورة شعبية، وتسليم السلطة

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٢٥).

لمجلس من العلماء، وقدرت مدة (٣) سنوات حتى تكون الخطة جاهزة لبداية التحرك.

لكن وقعت بعض الأحداث التي جعلت التنظيم يتجاوز خطته بعد عدة أشهر، ويصبح اغتيال الرئيس السادات هو الغرض الأول! هل كان ذلك عفويًّا أم كانت هناك خطة أمنية أخرى تدخلت لفرض رؤيتها على خطة التنظيم؟

لا نملك إجابة حاسمة، لكن هناك الكثير من الشكوك والمؤشرات التي تدفع بوجود مثل هذه الخطة الأمنية للتلاعب بخطة جماعة الجهاد لمصالحها الذاتية! فالقناعة التي توصل إليها الأستاذ مختار نوح -وهو محامي كثير من جماعات القتال- أنه «ما مِن تنظيم إلا وقد اخترقه أمن الدولة؛ سواء بالسيطرة عليه تمامًا أو بتجنيد أحد أعضائه»[١]، ويؤيد ذلك سذاجة الاحتياطات الأمنية في هذه التنظيمات؛ كما تخبرنا الوقائع.

وقد حاول التنظيم استصدار فتوى بجواز قتل السادات؛ فلم يجدوا من يفتي لهم بذلك إلا الشيخ عمر عبد الرحمن، بينما حين استفتوا الشيخ الألباني (وهو الرمز السلفي الكبير) رفض ذلك وحذرهم منه[٢]، وهذا يشير إلى ابتعاد هذه الجماعات عن منهج السلفيين وعلمائهم، وأنهم يخالفونهم ويتمردون على فتاواهم، وفي نفس السياق صرح سالم الرحال بأنه لا يتبع الشيخ الألباني بعد أن أشاع البعض ذلك[٣].

والآن دعونا نستعرض مسيرة التنظيم وبعض الحوادث التي حرفته عن غايته خلال بضعة شهور، وورّطته في اغتيال الرئيس السادات بحسب ما توصل له قادة الجماعة الإسلامية مثل: كرم زهدي وناجح إبراهيم وعبود الزمر -لاحقًا- في مراجعاتهم؛ حيث اعتذروا للشعب المصري عن قتله[٤]، واعتبروا السادات شهيدًا قُتل في فتنة[٥]!! وهذا يؤكد لنا مقدار التخبط والجهل الذي تنطلق منه جماعات العنف والقتال! والتي تتكون دومًا من شباب صغار في السن والعلم الشرعي والتجربة الحياتية والسياسية!!

◙ اعتقال وترحيل سالم الرحال:

أثناء تكون التنظيم واستكمال هيكلته اشتبه الأمن المصري بركن أساسي فيه وهو: محمد سالم الرحال، فتم اعتقاله في سنة (١٩٨٠)، ومن ثم ترحيله للأردن في (١٩٨١/٧/٢٩) قبل اغتيال السادات بـ (٦٩) يومًا، وفي خلال فترة اعتقاله تم انضمام خليفته كمال حبيب لتنظيم عبد السلام فرج[٦].

---

(١) «موسوعة العنف» (ص٤٨٧)، وانظر شكوكه حول تورط جهات بالأمن في ذلك، (ص٣٢٧).

(٢) استمع لكرم زهدي يروي القصة عند الدقيقة (٦:٥٠):
https://www.youtube.com/watch?v=IWjJie٩W٢e٨

(٣) «الجماعات المصرية المتشددة» (ص٤٤).

(٤) http://islammemo.cc/akhbar/arab/٢٠١١/١٠/٠٨/١٣٥٤٠٢.html

(٥) انظر: تصريحات كرم زهدي لوسائل الإعلام المختلفة في شبكة الإنترنت.

(٦) «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص ٣٧، ٤١، ٤٤).

ويؤكد الرحال أنه لا يعرف بالضبط ماذا حدث بعده، لكنه فكّر في قتل السادات ضمن انقلاب عسكري؛ فهل تحول الانقلاب لاغتيال فقط بسبب يأسهم من نجاح الانقلاب[1]؟

وهذا يطرح سؤالًا مهمًّا هو: لقد سبق للأمن أن اعتقل الرحال (٦) أشهر في عام (١٩٧٩)، وهم يعرفون ميوله العنيفة، وتم القبض عليه والتحقيق معه وترحيله، فهل كان هذا بسبب معرفة الأمن أنه يخطط لانقلاب وثورة شاملة واغتيال للرئيس، فتم القبض عليه من الدولة العميقة وترحيله لتنفيذ الاغتيال فقط دون الانقلاب؟ فالذي حدث هو اغتيال نظيف للسادات فقط دون أي مسؤول آخر بجواره، ولم يكن هناك ثورة أو انقلاب، فهل كان ذلك مصادفةً وعفويًّا؟

◙ مطاردة عدد من قيادات التنظيم ومأزق التنظيم:

بعدها وقعت أحداث الزاوية الحمراء بين المسلمين والأقباط، وأعقبها صدور قرارات التحفظ والتي اعتقل على إثرها أكثر من (١٥٠٠) شخصية إسلامية كان منهم عدد من قيادات التنظيم، مما جعل التنظيم في مهب الريح؛ إذ تم اعتقال عدد لا بأس به من قيادته[2]!

هذا المأزق فرض نفسه على التنظيم؛ فإما أن يكشف التنظيم ويضرب ثم يسجن أفراده وقد يقتلوا ويضيع جهدهم وتصورهم ويكرروا -في نظرهم- كارثة الإخوان الذين اعتقلهم عبد الناصر دون أي ردة فعل منهم، أو القيام بأي حركة استباقية طالما أن احتمالية انكشاف التنظيم وضربه عالية جدًّا.

ومن ثم تباينت الآراء بين الاكتفاء بقتل السادات لوحده، أو المضي قدمًا في فكرة الثورة الشاملة؛ برغم عدم اكتمال الترتيبات بعد! لم يكن هناك حسم للخيارات مع سعي التنظيم لتنفيذ الخيارين؛ حيث درس عبود الزمر إمكانية اغتيال السادات في استراحة القناطر، وطرحت أفكار أخرى للاغتيال لكن تبين صعوبة ذلك[3].

◙ القبض على نبيل المغربي:

قبل مقتل السادات بعشرة أيام تم القبض على نبيل المغربي، بعد مراقبة ومتابعة لعدة أسابيع من قبل الأمن؛ حيث قبض عليه متلبسًا بشراء رشاشين، وهو المكلف بالتدريب العسكري للتنظيم! وذلك بعد أن وشى به سائق التاكسي الذي يذهب به لمنطقة التدريب في الصحراء، والذي طلب منه المغربي البحث عن أسلحة للبيع، ولكنه خاف وذهب للأمن وأبلغهم بالقصة، فطلبوا منه تصوير عملية التدريب، ودبروا له رشاشين، ورتبوا معه استدراج نبيل للقبض عليه[4]، وبحسب ما سجل له السائق لحساب الأمن فقد سأله عن هدفه من شراء السلاح؛ فأجابه: «هذا السلاح مخصص لقتل السادات»!![5]، ومع ذلك لم يكن هناك أي تدابير احتياطية لحماية الرئيس من الاغتيال! فهل نبيل لم يعترف؟ أم أن هناك إهمالًا من قبل الشرطة؟ أم أن هناك تواطؤا من قبل الأمن أو الدولة العميقة لغاية مقصودة؟[6]

عندها خشي عبود الزمر من انكشاف التنظيم وانكشافه؛ فغادر منزله واختفى عن الأنظار، لأن نبيل المغربي كان يتردد عليه، وفعلًا هاجم الأمن منزله، وكذلك فعل عدد من قيادات التنظيم[7]، وقد ذكر السادات عبود الزمر في خطاب له بعد

---

(١) المصدر السابق، (ص٤٤).

(٢) «الإسلام السياسي» (ص ٢٠٨).

(٣) المصدر السابق، (ص٢١١).

(٤) «موسوعة العنف» (ص٤٦٢).

(٥) المصدر السابق، (ص٥٠٢، ٥٠٦).

(٦) المصدر السابق، (ص٥٠٩).

(٧) «الإسلام السياسي» (ص٢٠٩).

اختفائه؛ كما يقول محمد حسنين هيكل في كتابه «خريف الغضب»، فقال: «وفي خطاب تلفزيوني ألقاه السادات يوم (٢٥ سبتمبر ١٩٨١) وجّه كلامه لعبود الزمر قائلًا: إنني أعرف أن هناك ضابطًا منهم هاربًا، وربما يكون يسمعني الآن، لقد اعتقلنا كل الآخرين في خمس دقائق، وإذا كان هو قد تمكن من الفرار فإني أقول له: إننا وراءه هو الآخر».

وكان وزير الداخلية آنذاك النبوي إسماعيل قد أرسل للسادات قبل اغتياله بأسابيع شريط فيديو بالصوت والصورة لتدريبات مجموعة نبيل المغربي وجوابه لمن سأله عن الرصاصة الأولى لمن؟ فأجابه بأنها ستكون في صدر السادات!

وقال أنه إنه عشية حادث المنصة في (٥ أكتوبر ١٩٨١) اتصل بالسادات وحذره من عملية اغتياله، وأن أحد مصادره السريين التقى عبود الزمر، وعلم منه نية تنظيم الجهاد في القيام بعمل كبير بعد اكتشاف أمرهم، وأن عبود الزمر لم يتم ضبطه حتى الآن، لكن السادات لم يهتم كثيرًا، وكان يعتقد أنهم يختبئون بعد أن كشفهم في خطابه[١].

◙ مبادرة خالد الإسلامبولي لاغتيال السادات:

بقيت الأمور غائمة في التنظيم، ولم يستقر لهم قرار بعد: هل يغتالون السادات فقط؟ وكيف ينفذون ذلك؟ وكيف يقومون بثورة وانقلاب شامل وهم لم يتجهزوا بعد؟

هكذا كانت الحالة؛ حتى كلف أحد أعضاء التنظيم من العسكريين وهو الملازم خالد الإسلامبولي بالمشاركة في العرض العسكري الذي سيحضره الرئيس السادات، وهنا بادر خالد في (١٩٨١/٩/٢٥) بالالتقاء بمحمد عبد السلام فرج وعرض عليه إمكانية قيامه باغتيال السادات لعلمه بأن التنظيم يفكر في ذلك، وتفاعل مع الاقتراح محمد فرج.

(١) http://cutt.us/٧١Kr

وبعد (٣) أيام اجتمع مجلس الشورى وطرحت الفكرة، وتوسع فرج لطرح فكرة انقلاب وإطاحة بالنظام عبر مهاجمة الإذاعة والتلفزيون وقيادة الجيش والداخلية والاتصالات، وأن يقوم الأعضاء بالوجه القبلي بالسيطرة على مدينة أسيوط، ووافق الحاضرون على الخطة باستثناء عبود الزمر الذي لم يحضر الاجتماع[٢]، وتقرر التعجيل بالاستعدادات وبذل قصارى الجهد لنجاح الخطة[٣].

حين أُخبر عبود بالخطة اعترض عليها خوفًا من انكشاف التنظيم، ولما بلغه إصرار خالد عليها واعتقاد أنهم لن ينجوا من العملية مما لن يكشف التنظيم وافق[٤]، ثم وضعت خطة للاستيلاء على الإذاعة والتلفزيون ومخزن أسلحة؛ ولكنها فشلت، وهنا تقرر الاكتفاء بالاغتيال فقط، وحاولوا إبلاغ الأعضاء في أسيوط لكن لم يصلهم البلاغ، وبقوا على خطتهم![٥]

◙ عملية الاغتيال وملابساتها والشكوك المحيطة بها:

في البداية تم تكليف خالد الإسلامبولي بالمشاركة في العرض العسكري بشكل استثنائي لمرض الضابط الأصلي؛ حيث ينقل هيكل في «خريف الغضب» عن تحقيقات النيابة قول خالد: «لقد ترددت في الاشتراك في العرض العسكري! ثم وافقت بعد إلحاح الرائد مكرم عبد العال، لقد خطرت في ذهني فجأة أن إرادة الله شاءت أن تتيح لي أنا هذه الفرصة لتنفيذ هذه المهمة المقدسة».

وهذا يؤكد كلام بعض الإعلاميين كعادل حمودة وأنيس الدغيدي من أن خالد كان ممنوعًا من الاستخبارات العسكرية من

(٢) «الإسلام السياسي» (ص٢١٢).
(٣) «موسوعة العنف» (ص٤٩٥).
(٤) «الإسلام السياسي» (ص٢١٤).
(٥) المصدر السابق، (ص٢١٥).

المشاركة في هذه العروض العسكرية بسبب علاقاته مع الشيخ عبد الله السماوي -وهو أحد قيادات فكر العنف والتكفير-، وبرغم أن أخاه الحبيب له محمد شوقي معتقل لدى الأمن على خلفية أفكار التكفيرية، فهل الاستخبارات تجهل ذلك بحيث فجأة يصدر قرار من مدير الاستخبارات العسكرية بمشاركته في العرض؟! أم هي فرصة لاستغلال الغضب وتوجيهه نحو السادات لمعرفته بِنية تنظيم الجهاد وعلاقة خالد به؟!

وهنا يطرح هؤلاء وغيرهم: هل كان إشراك خالد بالعرض لتسهيل عملية الاغتيال من قبل الدولة العميقة، واستغلال تنظيم الجهاد الذي تخترقه الأجهزة الأمنية؛ كما تبين من القبض على المغربي ومن وصول معلومات عن الزمر وتحركاته للأمن!

بدأ خالد وفرج بالترتيب للتنفيذ؛ عبر توفير عناصر عسكرية سابقة في التنظيم للمشاركة في العملية وتوفير العتاد لذلك، وفعلًا قام المقدم ممدوح أبو جبل وعضو بالتنظيم بتوفير إبر ضرب النار للرشاشات المستخدمة في العملية؛ إذ جرت العادة نزع إبر ضرب النار من كل الرشاشات في العرض[1]، وقد تم التجاوز عن دوره في العملية بتحويله لشاهد نيابة وإخراجه من التهمة؛ لكونه بادر بنفسه وأبلغ الجهات المختصة عن المعلومات التي لديه، وهذه الجهات كانت حينها في مأزق وتحتاج إلى دليل ومصدر معلومات، وتم تعيينه لاحقًا في إحدى السفارات بالخارج![2]

كما وفر محمد فرج لخالد بقية الأسلحة و(٣) أعضاء عسكريين من التنظيم، أدخلهم خالد بدلًا من جنوده في السرية الذين منحهم إجازة، وزوّد رفاقه بكتاب مزور بالتحاقهم بالعرض لكن حتى هذا الكتاب لم يسألهم عنه أحد عند دخولهم لمكان العرض، هكذا بكل بساطة! ولم يهتم أحد، ولم يدقق أحد، أم أن خالد كان تحت الرقابة لتسهيل مهمته!

ثم أدخل خالد الذخيرة والقنابل في حقيبة يد دون تفتيش لساحة العرض، وقد جرت العادة أن يكون هناك تفتيش نهائي على كافة الأسلحة صباح يوم العرض من قبل عدة جهات أمنية هي: أمن الجيش، والمخابرات الحربية، وأمن رئاسة الجمهورية، لكن في ذلك العرض لم يحدث ذلك![3]

نشرت صفحة الجماعة الإسلامية على شبكة الإنترنت مذكرات لخالد الإسلامبولي، جاء فيها عن واقعة التفتيش ما يلي: «وفجأة توتر الموقف؛ وذلك عندما أخذت مجموعة من ضباط الحرس الجمهوري تمرّ على العربات الواقفة للتفتيش على السلاح، ووصل التوتر أقصاه عندما وقف الضباط أمام عربتي وصاحوا آمرين أحد الجنود "هات بندقيتك"، وسحبوا الأجزاء المتحركة للخلف ونظروا داخلها للتأكد من نزع إبرة ضرب النار منها وخلو الخزنة من الطلقات، وسرعان ما عاد الهدوء من جديد عندما اكتفى الضباط بالتفتيش على هذه البندقية فقط؛ والتي لم تكن من بنادق الجنود الملحقين»! حيث تم استدعاء المفتشين لحظتها، فهل هذه صدف محضة!![4]

هناك من يقول: إنه بشكل مفاجئ وأثناء العرض تم استبعاد الحراسة من أمام المنصة وإرسالهم لخلف المنصة؛ خوفًا من عملية اقتحام يقودها الزمر على المنصة من الخارج، وأنه بسبب ذلك لم يتحقق تخوف خالد من أنه سيكون عرضة لإطلاق النار فور خروجه من العربة لاستهداف السادات!

وتظهر مقاطع الفيديو المنشورة مؤخرًا لعملية الاغتيال أن السادات بقي ملقى على الأرض تحت الكراسي؛ والتي ألقى أحدها

---

(١) المصدر السابق، (ص٢١٥).

(٢) مقابلة «العربية نت» مع منتصر الزيات: http://cutt.us/yzBlB

(٣) «الإسلام السياسي» (ص٢١٧).

(٤) ومضمون القصة يطابق ما أقره صاحب «الإسلام السياسي» (ص٢١٨).

عليه نائبه حسني مبارك نفسه دون إسعافه لمدة طويلة، رغم أن السادات كان يحاول النهوض!

ويظهر المقطع تصرفًا غريبًا لحارس السادات الشخصي، وهو العميد أحمد حتاتة؛ إذ أنه يصل للسادات لكنه لا يسعفه ولا يُبعد عنه الكراسي وهو يحاول القيام، بل يتحسس ساعته أو معصمه، ويمر من فوقه تقريبًا لخارج المنصة! ولذلك البعض يتهمه بأنه أطلق غاز الأعصاب على السادات!

ويبقى السادات ملقى على الأرض تحت الكراسي، والكل يتفرج عليه لمدة ربع ساعة تقريبًا، يغادر خلالها مبارك المنصة وعليه يحمّل البعض مبارك مسؤولية اغتيال السادات!.. هل هذه المقاطع سليمة أم تم التلاعب بها؟

ويأتي تشريح الجثة؛ ليُظهر وجود عيارات نارية من حجم أصغر من حجم طلقات رشاشات خالد ورفاقه! وليظهر وجود رصاصات دخلت من أسفل لأعلى، وهذا يكاد يكون مستحيلًا أن يكون من طلقات خالد ورفاقه التي كانت طلقاتهم من أعلى لأسفل! كما أن التقرير يشير إلى إصابة السادات بصدمة عصبية، مما يعيدنا لاتهام حتاتة برش غاز الأعصاب![1]

من الغريب أن غالبية مَن كتب عن مقتل السادات يؤكدون أنه قُتل بسبب رصاصة استقرت في عنقه أطلقها حسين عباس؛ الذي كان قناصًا بالقوات المسلحة، بينما صور جثة السادات لا يوجد فيها طلقة في الرقبة، وإنما في ترقوته اليسرى، لكن تشريح جثة السادات وبعض القتلى في المنصة أثبت أن رصاص الحرس هو الذي تسبب في مقتله، مما يدعم مزاعم قتل السادات برصاصٍ من داخل المنصة، ومن الخلف ربما!!

وعقب نشر صورة جثة السادات في عهد مبارك قبل بضعة أعوام، يقال أن مبارك غضب جدًّا، وأمر بمعاقبة الصحفي المسؤول عن نشرها، وفعلًا تم فورًا إقالة رئيس تحرير صحيفة «الميدان» سعيد عبد الخالق!

من الأشياء التي لم تفهم بشكل واضح للآن سبب اقتصار خالد الإسلامبولي على قتل السادات فقط دون بقية المسؤولين؛ كنائبه مبارك، ووزيري الدفاع والداخلية، بل لقد صرخ خالد في وزير الدفاع أنه لا يقصد إلا السادات، وكذلك زميله عبد الحميد الذي خاطب حسني مبارك: «أنا مش عايزك، إحنا عايزين فرعون!»، وهو ما يتعارض مع نية التنظيم عمل انقلاب وثورة شاملة، ولذلك حاول عبود الزمر القيام بذلك لكنه فشل؛ ولذلك تحرك التنظيم في أسيوط لاحقًا!

لكن منتصر الزيات يفسر ذلك بأن الإسلامبولي لم يكن مهتمًا بموضوع الانقلاب؛ على عكس محمد عبد السلام فرج، وأنه قال لفرج ورفاقه: «أنا لا علاقة لي بهذا، وإنما فقط "أقتل فرعون مصر أنور السادات"»[2].

بينما د. محمد مورو يرى أن التنظيم في القاهرة وصل لقناعة بفشل الثورة؛ فاكتفى باغتيال السادات، وحاول إبلاغ جماعة أسيوط؛ لكن تعذر ذلك، وهذا سبب اضطراب موعد حركة تنظيم أسيوط[3]!!

كان قتل السادات سهلًا جدًّا لدرجة أنه لم يُقتل أحد من المهاجمين! بل تمكن أحدهم -وهو حسين عباس- من الهرب مشيًا على أقدامه، ولم يُقبض عليه إلا بعد يومين، فبرغم كل أطواق الحراسة على السادات وحراسه المنتخبين والبالغ عددهم (١٥٠) تمكن خالد وعبد الحميد من الوصول للمنصة وقتل السادات!

والعجيب أن خالد قال لرفاقه في السجن قبل إعدامه أنه لم يضع خطة لكيفية الانسحاب بعد تنفيذ المهمة، ورفض أن

---

(١) انظر: https://www.youtube.com/watch?v=OBpZw١I٩xEQ و https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/٢٠١١/١٠/٠٩/٢٠٠٠٣٩.html

(٢) مقابلة «العربية نت» مع منتصر الزيات: http://cutt.us/yzBlB

(٣) «الإسلام السياسي» (ص٢١٦، ٢٢٢).

يصطحب معه ذخيرة للانسحاب؛ لأنه لم يتصور نجاته، وأن خطته مبنية على موتهم في العملية[1]، بل إن خالد ورفيقيه توقفوا عن إطلاق النار واستسلموا برغم توفر الذخيرة معهم![2]

الأعجب من هذا أن التحقيق مع خالد في البداية قبل أحداث أسيوط لم يتطرق لوجود تنظيم خلف العملية! وحقق معه على أنه اغتيال فردي، برغم معرفة الأمن بِنية تنظيم الجهاد اغتيال السادات[3]، فهل كان هذا عفويًّا -أيضًا- من أجهزة الأمن؟

◙ تمرد أسيوط:

العجيب أن أعضاء التنظيم في أسيوط انقطعت الصلة بينهم وبين أعضاء التنظيم في القاهرة يوم (٥/١٠/١٩٨١)، وظنوا أن عملية الاغتيال لن تتم يوم (٦/١٠/١٩٨١) بسبب أنهم لم يعطوا خالد الإسلامبولي بعض القنابل التي اشترط عليهم إحضارها للقيام بالعملية، وهنا قررت جماعة أسيوط المضي بالخطة منفردين بالتحرك للاستيلاء على أسيوط يوم (١٠/١٠/١٩٨١)، ورتبوا أمورهم على ذلك.

ولسذاجتهم وجهلهم وقلة عقلهم وعلمهم لم يكلفوا أحدًا أن يتصل هاتفيًّا بالقاهرة يستطلع الأخبار، ولا حتى تابعوا الأخبار عبر الراديو! بل الأدهى من ذلك أن بعض قيادة أسيوط سافرت للقاهرة بالسيارة؛ حيث وصلوا حوالي المغرب، ولم يكونوا يعلمون أن العملية قد تمت، وأن السادات قُتل، وأن المنفذين نجوا من القتل، وعندها قرروا الرجوع لأسيوط؛ التي وصلوها فجر يوم (١٠/٧) حيث اجتمعوا وقرروا تنفيذ خطتهم يوم (١٠/٨)[4]، والذي يصادف يوم عيد الأضحى، وذلك لاستغلال تجمع الناس ومناصرة ثورتهم؛ حيث هاجموا عددًا من مقرات الأمن وسيطروا على المدينة، ولكن بعد يومين استعادت الشرطة السيطرة، وفر المهاجمون للجبال.

وهذا يبين أن القرارات تتخذ بشكل غير مدروس وعفوي وبسذاجة منقطعة النظير!! برغم أنها قرارات تمس قيادة دولة، بل أكبر دولة عربية، مما يدلنا على خطورة أفكار هذه الجماعات الشبابية المتهورة، ولعل تراجعات قادة الجماعة الإسلامية ونقدهم لأنفسهم بعد سنوات في السجن أكبر دليل على انحراف هذه المجموعات شرعيًّا وواقعيًّا.

وبعد اغتيال السادات وفشل الثورة في القاهرة وأسيوط تم الاتفاق على المقاومة وعدم الاستسلام، وأقنعوا أنفسهم أنهم نجحوا بتحقيق هدف لمختلف الفصائل الإسلامية ألا وهو: إزاحة السادات[5].

ولكن هل تغيرت الأحوال بإزاحة السادات؟ نفس من قَتلوا السادات عادوا يقولون أن السادات كان خيرًا من خلفه مبارك! وبعد قيام الثورة المصرية وإزاحة حسني مبارك عقب (٣٠) سنة لم تتحسن الأمور ولم تتبدّل! لأن إزاحة رأس الحكم لا تبدل كثيرًا في منظومة الحكم، ولأن الشعب لم يتطور إيجابيًّا، وهذا هو الأهم.

◙ ما بعد اغتيال السادات:

بعد انكشاف التنظيم والقبض على (٣٠٢) عضو، وتقديمهم للمحاكمة تبين أن معظمهم تتراوح أعمارهم بين (٢٠-٣٠) سنة، وأنهم خليط من طلبة وموظفين[6]، ولم يكن فيهم مَن هو مؤهل شرعيًّا إلا الشيخ عمر عبد الرحمن؛ لكنه لم يكن

(١) (مذكرات خالد)، على شبكة الإنترنت.
(٢) «الإسلام السياسي» (ص٢٢٠).
(٣) المصدر السابق، (ص٢١٦).
(٤) موسوعة العنف، (ص٤٩٦).
(٥) «الإسلام السياسي» (ص٢٢٢).
(٦) المصدر السابق، (ص٢٦٠).

مؤسس التنظيم وواضع أفكاره أصلًا![1]

وتم اعتقال (٧) آلاف شخص، تعرضوا للتعذيب، خرج بعضهم بعد عدة سنوات، وبقي قسم لمدد طويلة، ولكن هذا الفكر بقي يتمدد في السجن وخارج السجن؛ فوقعت عدة عمليات لنصرة المساجين ومحاولة الإفراج عنهم، وتم القيام بعدة عمليات ضد رجال الشرطة، وأعاد بعض القادة والأعضاء تنظيمي الجهاد والجماعة الإسلامية خارج السجن بعد فراقهما في داخل السجن! وتكونت تنظيمات جديدة، وتتكرر المأساة من جديد في عمليات عنف كارثية لا فائدة منها!

◙ خاتمة:

الخلاصة التي أظنها الصواب:

أن تنظيم الجهاد تشكل بغرض «ثورة شعبية شاملة» يتم الإعداد لها بنفَس طويل يستغرق (٣) سنوات، لكن تسارع الأحداث السياسية فرض على التنظيم تجاوز خطته.وهذا ملحظ متكرر لدى تجارب هذه التنظيمات.

وحين قرر التنظيم اغتيال السادات درس عدة احتمالات، فالتنظيم كان معلومًا للأمن ومخترقًا؛ وإن ليس بشكل كامل، وحادثة القبض على نبيل المغربي أكدت نية التنظيم قتل السادات.

قد يكون هناك جهة أمنية (الدولة العميقة) سعت للاستفادة من نية التنظيم اغتيال السادات بتسهيل ذلك عبر عضو التنظيم خالد الإسلامبولي؛ حيث فتح له المجال مع التحكم للقيام فقط باغتيال السادات دون غيره! وأنهم كانوا جاهزين لإكمال المهمة التي يبدأ بها خالد!

ولذلك لا أستبعد أن تظهر في المستقبل دلائل على مثل هذا التورط، وأن يكون للموساد أو غيره دور في ذلك بسبب استعادة السادات لسيناء من اليهود، كما سبق أن هوجم السادات من تنظيم صالح سرية عقب انتصاره بمعركة (٧٣) على اليهود بعدة أشهر!

ولذلك؛ فإن هذه التجارب الشبابية المتهورة، والتي تجلب الكوارث، والتي تقوم بعيدًا عن العلماء السلفيين وبعكس آرائهم؛ ستبقى تتكرر ما لم يكن هناك توعية صحيحة للشباب في المكان والزمان المناسبين.

ولعل مما يلخص كارثية هذه التجارب الشبابية المتهورة هذه الكلمة العجيبة لأحدِ مَن قاموا باغتيال السادات والذي قال: «لقد كانت أكبر خسائر عملية اغتيال السادات هو: نجاحها، ذلك أن النجاح يصور لصاحبه أنه على صواب»![2]

ولذلك مضت الجماعة الإسلامية و جماعة العنف في مسار العنف ردحًا من الزمن قبل أن تتوصل لخطأ مسارها، وتتراجع عنه، وهو ما سنعرض له في الحلقة القادمة -بإذن الله-.

---

(١) المصدر السابق، (ص٢٤٤).

(٢) صفحة «حزب البناء والتنمية، أمانة الفيوم»، وهو حزب الجماعة الإسلامية:
http://cutt.us/o٦G٤E

ثورات الخوارج (١٢):
مفارقة ابن الزبير

هيثم الكسواني - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

لم تكن معارضة الخوارج في يوم من الأيام لحاكمٍ دون آخر، ولم تقتصر ثوراتهم على عهدٍ دون عهد؛ فمنذ خروجهم على الخليفة الثالث ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ، وقتلِه في سنة (٣٥هـ)؛ وهم في حركة دائمة من التمرد والخروج وشقّ صفّ الأمة وممارسة الاغتيالات..

فإضافة إلى عثمان ﷺ اغتالوا الخليفة الرابع عليًّا بن أبي طالب ﷺ، في سنة (٤٠هـ)، بعدما حاربوه هو والصحابة في معركة النهروان، وبعد استشهاده ﷺ حاولوا اغتيال ابنه الحسن ﷺ، بعد أن آلت إليه الخلافة، زاعمين أنه أشرك كما أشرك أبوه من قبل بقبوله التحكيم بينه وبين والي الشام معاوية!

وعندما تنازل الحسن إلى معاوية ﷺ بالخلافة، وأصبح الأخير خليفةً للمسلمين؛ كان هو الآخر هدفًا لسهامهم، وشهد عهدُه الطويل في الخلافة (٤١-٦٠هـ) الكثير من الثورات التي تركّزت في الكوفة والبصرة، والتي كان ولاته هناك يقضون عليها مستخدمين كل أساليب الحزم والدهاء والترهيب، إضافة إلى شيء من الترغيب.

ومما يجدر ذكره هنا: أن معاوية ﷺ كان يفرّق بين المعارضة السّلمية وبين المعارضة المسلّحة، فهو يطلق حرية الكلام ما دام ذلك في حدود التعبير عن الرأي، أما إذا انقلب الأمر إلى حمل السلاح وسلّ السيوف فإنه لم يكن يجد مفرًّا من مواجهة هذه الثورات؛ كما فعل مع الخوارج[١].

وعندما آلت الخلافة إلى يزيد بن معاوية -بعد وفاة والده في رجب من سنة (٦٠هـ)- لم يتغير شيء بالنسبة للخوارج؛ فاستمروا في خروجهم، وقد مرّ بنا في الحلقة السابقة أن خروج مرداس بن أديّة -وهو أحد رؤوس الخوارج- كان في سنة (٦١هـ) -على الأرجح-، أي: خلال خلافة يزيد.

لم تطُل خلافة يزيد بن معاوية؛ فقد توفي في سنة (٦٤هـ)، لذلك لم يشهد عهده الكثير من تحرّكات الخوارج أو ثوراتهم، وفي عهده ظلّ عبيد الله بن زياد واليًا على البصرة، وظلّ ماسكًا بزمام الأمور فيها، وفي عموم العراق[٢]، وظلّ تعامله مع الخوارج مبنيًّا على الحزم والشدّة، فهُم -كما يقال-: «أصبحوا بين مقتول ونزيل في سجون البصرة»[٣].

لكنّ الأحداث الجسام التي مرّت بها الأمة آنذاك، والمتمثلة بموت يزيد بن معاوية بشكل مفاجئ، سنة (٦٤هـ)، ومرض ابنه معاوية ورفضه للخلافة، ومبايعة معظم أقطار الأمة الإسلامية لعبد الله بن الزبير ﷺ خليفةً للمسلمين، وخلافات الأمويين وأهل الشام حول الخلافة وشخص الخليفة؛ أدّت إلى ضعف مركز عبيد الله في البصرة، حيث «لم يجد سلطانًا يدعمه من الشام، فهان

(١) د. علي الصلابي، «الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار»، (١/ ١٩٧).

(٢) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص٩٧).

(٣) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٨).

أمرُه، وصار يَأمر فلا يُطاع، ويبدي الرأي فيُرَدّ، ويأمر بحبس المذنب فلا يُقضى له أمر»[1].

في تلك الأثناء خرج من سجون عبيد الله في البصرة (٤٠٠) فرد من الخوارج، واختلفت الآراء في تفسير كيفية الخروج؛ مِن قائل أنهم استغلوا الأوضاع، وكسروا أبواب السجون وخرجوا منها[2]، إلى معتقد بأن عبيد الله هو الذي أفرج عنهم؛ حيث لمّا ضَعف أمرُه كُلِّم فيهم؛ فأطلقهم[3].

وأيًّا كان السبب من إطلاق هذا العدد الكبير من سجون عبيد الله بن زياد فالنتيجة كانت: أنهم «أفسدوا البيعة عليه، وفشوا في الناس يدعون إلى محاربة السلطان، ويُظهرون ما هم عليه»[4]، وتكثّف نشاطهم في البصرة، مستفيدين من حالة الفوضى التي حدثت هناك[5].

وهذا الخروج من السجون يذكّرنا بما حدث في وقتنا الحاضر في سوريا والعراق، مِن قبل النظامين العلوي والشيعي الحاكميْن هناك؛ من الإفراج عن سجناء الخوارج المعاصرين (تنظيم القاعدة ومَن على شاكلته)، وإفساح المجال لهم ليشكّلوا إمارة ودولة، وليعيثوا في الأرض فسادًا، ويوجّهوا سهامهم إلى أهل السنة بحجّة أنهم مرتدّون، ويُقاتلوهم بدلًا من قتال المعتدين على أهل السنة من الشيعة والعلويين، ما أدّى إلى تشتيت جهود أهل السنة وإضعاف صفّهم، وإجهاض الثورتين السورية والعراقية، وإلصاق تهمة الإرهاب بأهل السنة.

التوجّه نحو ابن الزبير:

اصطدم عبد الله بن الزبير بيزيد بن معاوية، وأرسل هذا الأخير جيشًا من الشام إلى المدينة المنورة؛ لإخضاعها، ومحاربة الرافضين لخلافته، ومن ثمّ توجّه هذا الجيش إلى مكة المكرمة؛ حيث ابن الزبير، حينها صمّم الخوارج على محاربة جيش الأمويين هذا؛ الذي تصدى دومًا لتخريبهم وعدوانهم، وأذاقهم الأمرّين بسبب ذلك.

قدِم الخوارج إلى مكة من منطقتين أساسيتين:

الأولى: هي البصرة، ومن جملة الأسباب التي دفعت بخوارجها للقدوم إلى مكة: الرغبة بالتخلص من قسوة عبيد الله بن زياد، وبطشه بالخوارج[6].

الثانية: اليمامة، ولا تتوفر معلومات كافية عن كيفية وصول فكر الخوارج أو أفرادهم من الكوفة -بلد النشأة- إلى اليمامة (جنوب نجد)، إلاّ أن المعروف أن اليمامة كانت أحد مراكز الردّة الهامّة، لذا لا يُستبعد أن حقد المرتدّين على الإسلام والدولة الإسلامية هو الذي جعل لحركة الخوارج صدى ووجودًا في اليمامة[7].

ولم يقتصر تواجد بقايا المرتدين في اليمامة، بل إن الكوفة نفسها -وهي مركز انطلاقة الخوارج ونشأتها- سكنتها القبائل اليمانية المرتدّة، مثل: قبيلة مذحج؛ التي ينتسب إليها الأسود العنسي، ومن القبائل المرتدة كذلك التي سكنت الكوفة: قبيلة النخع، وهي من قبائل مذحج، وقد برز منها الأشتر النخعي؛ أحد الذين ألّبوا على قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، وكان رأسًا من رؤوس الفتنة، وقاد الطغمة التي خرجت من منطقة الكوفة[8].

وإضافة إلى المرتدّين؛ فقد حوت الكوفة أعدادًا من اليهود

---

(١) المصدر السابق، (ص١٣٥).

(٢) المصدر السابق، (ص١٣٩)، نقلًا عن «تاريخ الطبري».

(٣) أبو العباس المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب» (ص٥٩٨).

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٠٩).

(٦) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٤/ ١٦٥)، و د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص٩٩).

(٧) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص٩٨).

(٨) د. حافظ موسى عامر، «أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر»، (ص ٥٨).

أيضًا، وتحديدًا يهود فدك وتيماء ووادي القرى؛ الذين أجلاهم الفاروق عمر ﷺ، تنفيذا لأمر النبي ﷺ: «لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان»، وأقطعهم أرضا قرب الكوفة[1].

أما هناك في مكة؛ فقد انضمّ الخوارج إلى جيش عبد الله بن الزبير لمحاربة الجيش الأموي، وقد رحّب ابن الزبير في بادئ الأمر بوجود الخوارج في صفّه لقتال العدو المشترك، وأظهر لهم أنه على رأيهم[2]، وبعد أن قاتل الطرفان عدوّهما المشترك بدأ الخوارج يتساءلون إن كان ابن الزبير فعلًا على مذهبهم ويتبنى أفكارَهم، فامتحنوه بعثمان بن عفان والصحابة ﷺ؛ لِيعرفوا رأيه بهم، ويحدّدوا -بناءً على إجاباته- خطوتهم القادمة؛ إن كانت الاستمرار في مناصرته ومبايعته أو الانفضاض عنه!

وهذا درس مهم يجب أن تدركه الفصائل والجماعات اليوم في تعاملها مع الخوارج المعاصرين، فهم لا يقبلون إلا الموافقة التامة لهم، والتبعية لهم كذلك، ولنا أن نتأمل هذا في تصرفات «جبهة النصرة» بقيادة الجولاني، وتبديل راياته، لكن الفكر هو هو، والمطالبة بالتبعية المطلقة هي هي!

ودار حوار طويل بين الطرفين، أورده المبرّد وابن الأثير وغيرهما، يقول المبرّد: «ثم تناظروا فيما بينهم، فقالوا: نَدخلُ إلى هذا الرجل فننظر ما عنده؛ فإن قدّم أبا بكر وعمر، وبرِئ من عثمان وعلي، وكفّر أباه وطلحة؛ بايعناه، وإن تكن الأخرى ظهر لنا ما عنده؛ فتشاغلنا بما يجدي علينا.

فدخلوا على ابن الزبير، وهو مُتبذّل، وأصحابُه متفرّقون، فقالوا: إنا جئناك لتخبرنا رأيك، فإن كنتَ على الصواب بايعناك، وإن كنتَ على خلافِه دعوناك إلى الحق، ما تقول في الشيخين؟ قال: خيرًا، قالوا: فما تقول في عثمان؛ الذي أحمى الحمى، وآوى الطّريد[3]، وأظهر لأهل مصر شيئًا وكتب بخلافِه، وأوطأ آل أبي معيط رقاب الناس وآثرهم بفيء المسلمين؟ وفي الذي بعده[4]؛ الذي حكّم في دين الله الرجال، وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم؟ وفي أبيك وصاحبه[5]؛ وقد بايعا عليًّا وهو إمام عادل مرضيّ، لم يظهر منه كفرٌ، ثم نكثا بعرَضٍ من أعراض الدنيا، وأخرجا عائشة تُقاتل، وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرْنَ في بيوتهن؟ وكان لك في ذلك ما يدعوك إلى التوبة! فإن أنتَ قلتَ كما نقول؛ فلك الزلفة عند الله، والنصر على أيدينا، ونسأل الله لك التوفيق، وإن أبيتَ إلاّ نصر رأيك الأول، وتصويب أبيك وصاحبه، والتحقيق بعثمان، والتولّي في السنين الستّ التي أحلّت دمه، ونقضت عهده، وأفسدت إمامته؛ خذلك الله، وانتصر منك بأيدينا!

فقال ابن الزبير: إن الله أمَر -وله العزة والقدرة- في مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العتاة بأرفه من هذا القول؛ فقال لموسى ولأخيه عليهما السلام في فرعون: { فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [طه:٤٤]، وقال رسول الله ﷺ: «لا تؤذوا الأحياء بسبّ الموتى»، فنهى عن سبّ أبي جهل من أجل عكرمة ابنِه، وأبو جهل عدوّ رسول الله ﷺ وعدو الله، والمقيم على الشرك، والجادّ في المحاربة، والمتبغّض إلى رسول الله ﷺ قبل الهجرة، والمحارب له بعدها، وكفى بالشرك ذنبًا، وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سمّيتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا: أتبرأ من الظالمين، فإن كانا منهم دخلا في غمار الناس، وإن لم يكونا منهم لم تُحفِظوني بسبّ أبي وصاحبه، وأنتم تعلمون أن الله -جلّ وعزّ- قال للمؤمن في أبويه: { وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا

---

(١) المصدر السابق، (ص٥٩).

(٢) المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب»» (ص٥٩٥)، ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، (٤/ ١٦٥)، د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٣٦)، د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٠١).

(٣) يقصدون: الحكم بن أبي العاص.

(٤) أي: عليّ بن أبي طالب ﷺ.

(٥) يقصدون: الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ﷺ.

وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا } [لقمان:١٥]، وقال جلّ ثناؤه: { وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا } [البقرة:٨٣].

...ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسنَ ذكرٍ، ثم ذكر عثمان في السنين الأوائل من خلافته، ثم وصلهن بالسنين التي أنكروا سيرته فيها؛ فجعلها كالماضية، وخبّر أنه آوى الحكمَ بن أبي العاص بإذن رسول الله ﷺ، وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح، وأن القوم استعتبوه من أمور، وكان له أن يفعلها أو ينزع عنها؛ ففعلها أولا مصيبًا، ثم أعتبهم بعدُ محسنًا، وأن أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه بعد أن ضمن لهم العتبى، ثم كُتب لهم ذلك الكتاب بقتلهم؛ فدفعوا الكتاب إليه، فحلف أنه لم يكتُبه ولم يأمر به، وقد أُمر بقبول اليمين ممّن ليس له مثل سابقته، مع ما اجتمع له من صهر رسول الله ﷺ، ومكانه من الإمامة، وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه، وعثمان الرجل الذي لزمته يمين لو حلف عليها لحلف على حقٍّ فافتداها بمائة ألف ولم يحلِف، وقد قال رسول الله ﷺ: «من حلف بالله فليصدق، ومن حُلِف له بالله فليرضَ».

فعثمان أميرُ المؤمنين كصاحبيه، وأنا وليّ وليّه، وعدوّ عدوّه، وأبي وصاحبُه صاحبا رسول الله ﷺ، ورسول الله يقول يوم أحد لما قطعت إصبع طلحة: «سبقتَه إلى الجنة»، وقال: «أوجب طلحة».

وكان الصديق إذا ذُكر يوم أحد قال: ذاك يوم كان كلّه أو جلّه لطلحة، والزبير حواريّ رسول الله وصفوته، وقد ذَكر أنهما في الجنة، وقال -جلّ وعز-: { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } [الفتح:١٨]، وما أخبرنا بعدُ أنه سخط عليهم، فإن يكن ما سعوا فيه حقًّا فأهلُ ذلك هم، وإن يكن زلة ففي عفو الله تمحيصها، وفيما وفّقهم له من السابقة مع نبيهم ﷺ. ومهما ذكرتموهما به فقد بدأتم بأمّكم عائشة رضي الله عنها، فإن أبى آبٍ أن تكون له أمًّا نبذ اسم الإيمان عنه، قال الله -جل ذكره- وقوله الحق: { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ } [الأحزاب:٦]، فنظر بعضهم إلى بعض، ثم انصرفوا عنه»[(١)].

يقول الإمام ابن كثير: «وفارَقوه، وقصدوا بلاد العراق وخراسان؛ فتفرقوا فيها بأبدانهم، وأديانهم، ومذاهبهم، ومسالكهم المختلفة المنتشرة؛ التي لا تنضبط ولا تنحصر، لأنها مفرعة على الجهل وقوة النفوس، والاعتقاد الفاسد»[(٢)].

ولا يزال الخوارج المعاصرون -بسبب جهلهم- يفهمون الدين بشكل غير سليم! ثم يحاسِبون غيرهم من أهل العلم والجهاد على فهمهم المنقوص هذا؟! **وبعد ذلك يفارقونهم، ويعادونهم، ويقاتلونهم**؛ كما هو حادث في سوريا والعراق على وجه الخصوص.

المراجع:

١- الحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية»، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

٢- ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، دار صادر ودار بيروت، بيروت، (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م).

٣- أبو العباس المبرِّد، «الكامل في اللغة والأدب»، تحقيق علي زينو وعماد الطيار،طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٤- د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم»، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٥- د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ خلال (٣٧-١٣٢هـ)»، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، «أيار-مايو ٢٠٠٧م).

٦- د. علي محمد الصلابي، «الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار»، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

٧- د. حافظ موسى عامر، «أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر، ودور ابن سبأ في تأسيسها ونشأتها»، القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

(١) المبرّد، «الكامل في اللغة والأدب» (ص٥٩٥-٥٩٦).

(٢) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧٠٤).

سراب التغيير..
العرب والاعتدال الإصلاحي في إيران

بوزيدي يحيى- كاتب وباحث جزائري

خاص بـ «الراصد».

تتنوع تقسيمات التيارات السياسية في إيران بتعدّد الرؤى الأيديولوجية للباحثين في الشأن الإيراني، وغلب على التحليلات تقسيمها إلى ثنائية: محافظين وإصلاحيين، وداخل كل تيار من هؤلاء مستويات في الاعتدال والتطرف؛ من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.

ورغم انتماء قيادات التيارين إلى النظام السياسي المنبثق عن ثورة (١٩٧٩) إلا أنه كثيرًا ما تعقد الآمال على الإصلاحيين في إحداث تحول في السياسة الإيرانية داخليًّا وخارجيًّا، وهذا ما حدث في مختلف المحطات الانتخابية التي عرفتها إيران؛ حيث يتم التركيز على حظوظ الإصلاحيين فيها، ويتم اجتراره في الغرب والشرق منذ سنوات طويلة عند كل استحقاق سياسي في إيران[١].

عربيًا؛ لا يختلف الأمر كثيرًا، حيث الكثير من الآراء تعول على تغير السياسة الخارجية الإيرانية تجاه القضايا العربية في حالة ما عاد الإصلاحيون إلى السلطة، بحيث تؤسس لمرحلة جديدة تتمحور حول التعاون والحوار، بدل الصدام والتدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية؛ الذي ينتهجه المحافظون.

(١) علي حسين باكير، (عن اللعبة السياسية الإيرانية)، جريدة العرب القطرية، (٢٦/ ١/ ٢٠١٦)، على الرابط: http://cutt.us/Pp٥nG

وهذه الرؤية - في الحقيقة - لا تستند على أرضية علمية أو موضوعية متينة، وهي بمجملها رؤية رغبوية هلامية أكثر منها واقعية، بدايةً من تحديد هوية الإصلاحيين إلى تصور حقيقة مواقفهم بمختلف مشاربهم من القضايا العربية.

■ في هوية الإصلاح والإصلاحيين:

يطلق المتابعون مصطلح «الإصلاحيين» على تيار واسع لحد التباين؛ وإن اشترك في رؤيته لبعض القضايا، فإن التباين بين مكوناته قد يصل مستوى التمايز التام! لذلك كان ولا يزال الاختلاف حول تحديد تعريف واحد ودقيق له أزمة ظلت تلاحق الإصلاحيين[٢].

وهذا ليس مستغربًا؛ لأن الحركة الإصلاحية تألفت من تحالف واسع من المفكرين المعارضين، ورجال الدين الليبراليين، وحرفيي الطبقة الوسطى، والطلاب المقموعين، وقد ساد التوتر على الدوام - كما في معظم التحالفات - بين من يضغطون في اتجاه القيام بتغيير دراماتيكي، والشخصيات المؤسساتية الداعية إلى توخي الحذر والانضباط[٣].

وقد اقترن التيار الإصلاحي بفترة رئاسة محمد خاتمي، الممتدة من (١٩٩٧ إلى ٢٠٠٥)، ويُعتبر عبد الكريم سروش أحد

(٢) فاطمة الصمادي، «التيارات السياسية في إيران»، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (ط١، ٢٠١٢)، (ص٥٨).

(٣) راي تقية، «إيران الخفية»، ترجمة أيهم الصباغ، الرياض: مكتبة العبيكان، (ط١، ٢٠١٠)، (ص٦٢).

أبرز مفكري هذا التيار؛ فقد لعب دورًا كبيرًا في إعادة تنظيم صفوف مفكري التيار، ودورًا محوريًّا في فتح باب الجدل والنقاش بشأن الحكومة الدينية[1]، وهو مَن ترجم المفاهيم الغربية الجديدة ونقلها معطيًا إياها ألوانًا وأطيافًا مستقاة من أشعار جلال الدين الرومي، وأفكار الإمام الغزالي، وعمل بصورة محورية على إيجاد دمج وتنسيق بين الأفكار الغربية الحديثة والفكر الإسلامي[2].

لكن جذور التيار تعود إلى اليسار السياسي؛ الذي كان له دور كبير في العقد الأول من عمر الثورة الإيرانية، غير أنه بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وموت الخميني تراجع بشكل كبير جدًّا، وقد تبين ذلك من النتائج السلبية التي حققها في الدورة الرابعة من الانتخابات التشريعية، نتيجة لذلك انزوى بعض رموزه عن الساحة السياسية، بينما اختار البعض الآخر شق طريق مختلف بتجديد خطابه من خلال استدراك فقره التنظيري[3].

ونجم عن هذه الظروف الداخلية والخارجية بروز العديد من التوجهات التي شكلت مجتمعةً الحركة الإصلاحية، وهي تقسم إلى أربعة أطياف رئيسة، تتمثل فيما يلي[4]:

- **الإصلاحيون التقليديون:**

وهو الأقدم، واشتهر في العقد الأول من الثورة بالجناح اليساري الثوري التقليدي، وعرف عنه دفاعه عن دينامية الفقه وحركيته.

وكان لأعضائه نفوذ كبير في مجلس الشورى الثاني، وشكلوا أغلبية في مجلس الشورى الثالث، وكانوا الأكثرية في حكومة مير حسين موسوي، لكن نفوذهم في العقد الثاني من الثورة تراجع في الحكومة والبرلمان، إلى أن شكلوا خلال النصف الأول من التسعينيات طيفًا شبه معارض، والذي عاد في النصف التالي بالتدريج إلى رئاسة السلطة التنفيذية والتشريعية في مجلس الشورى السادس.

ومع أنه شكّل في الثمانينيات الجسم المعنوي للنظام إلا أنه في التسعينيات صار يعرف بطيف إعادة النظر العملي، وعرّف الطيف في بداياته عن نفسه بأنه يتبع جناح خط الإمام، ثم صار يعرف باليسار.

ومن الشخصيات المعروفة فيه: محمد خاتمي، مهدي كروبي، مير حسين موسوي، ويمتلك تفسيرًا ديمقراطيًّا لولاية الفقيه، في إطار الدستور، وخصوصًا ضمن صلاحيات مجلس الخبراء.

- **الإصلاحيون المعتدلون:**

شكلت هذه المجموعة في ثمانينيات القرن العشرين ظلًّا للفصائل السياسية اليمينية واليسارية، وكانت تدّعي أنها مجموعة نشطة محورها رفسنجاني، وشكلوا كتلة لا يستهان بها من خلال مجلس الشورى الخامس؛ من خلال حزب الكوادر الذي تأسس سنة (١٩٩٥)، لكنهم تراجعوا بعد الضربة التي وجهت لزعيمهم الروحي على يد الإصلاحيين الراديكاليين والمعارضين؛ خصوصًا في الدورة السادسة لمجلس الشورى.

ويرى هذا الطيف في فكره السياسي ضرورة الحكم الدستوري، ودور النخبة في صنع القرار، وهذا الطيف خليط من الفكر الليبرالي والبراغماتية، وهو يتبنى نهجًا يزاوج بين الليبرالية والعلمانية، ويحملون فكرًا سياسيًّا خارجيًّا يقوم على رؤية معتدلة وواقعية وتغليب المصلحة.

- **الإصلاحيون الراديكاليون:**

كانوا طيفًا يساريًّا تقليديًّا تحول في تسعينيات القرن العشرين إلى تجمع للمثقفين السياسيين، وفكره السياسي لا

---

(١) فاطمة الصمادي، «التيارات السياسية في إيران» (ص١٢٧).

(٢) المرجع نفسه، (ص١٥٦).

(٣) المرجع نفسه، (ص١٢٧).

(٤) المرجع نفسه، (ص١٤١-١٤٤).

يخرج عن نطاق المطالبة بالجمهورية، ويرى بأن الولاية نوع من النظارة والرقابة لا إعمال السلطة، ويدعون إلى نوع من العلمانية تعني شكلًا من استقلال المؤسسات، وهم قريبون إلى الفكر الحداثي.

وتقوم استراتيجيتهم على المناداة بالديمقراطية في الداخل، ونزع فتيل التوتر مع الخارج، وقد ظهرت هذه السياسة بصورة جلية في الملف النووي.

- **الإصلاحيون المعارضون:**

يضم هذا الطيف فئات متعددة من الإصلاحيين الذين مارسوا سلوكًا، واتخذوا مواقف معارضة، ويمتد ليشمل القوميين المتدينين من اليمينيين واليساريين؛ فضلًا عن المثقفين بتلوينات يسارية وليبرالية، كما يحوي -من ناحية الفكر السياسي- دعاة الدستورية الليبرالية، ودعاة الجمهورية الخالصة.

وسعى لتحقيق جمهورية علمانية، وتقوم الاستراتيجية السياسية لهذا الطيف على مساعدة المجتمع الدولي لدفع النظام إلى إجراء تغيير سياسي عميق، وهي تؤمن بأن النظام العالمي الجديد قادر على قبول الديمقراطية من طرف إيران، وتَعتبر الضغوط الخارجية فرصة مواتية ومساعدة على هذا الصعيد.

يتبين من خلال عرض مختلف أطياف التيار الإصلاحي:

أن أهم نقاط التقاطع بين مكوناته تتمثل في المناداة بالقيم الديمقراطية على الطريقة الغربية؛ بترجيح كفة الشعب للفصل في الخيارات السياسية الكبرى عن طريق الانتخابات، فقد قام الخطاب الإصلاحي بصورة محورية على «الشعب»، كما كان متضمنًا بصورة أساسية محاور «التنمية السياسية والمجتمع المدني وتنظيم القانون».

أما في موضوع الدين؛ فهناك قدر من التباين بين من يرى ضرورة إعادة النظر في موقع رجال الدين داخل بنية النظام؛ وبشكل خاص منصب ولاية الفقيه وانتخابه بشكل مباشر، وبين من يرفض ذلك كليًّا ويطالب بفصل الدين عن الدولة.

وفي الحالتين؛ هناك اتفاق على تحييد الدين، فضلًا عن الانتقادات التي وجهت لهذه التجربة في شقها العملي من خلال رئاسة خاتمي فإن من أهم الانتقادات التي توجه للخطاب الإصلاحي: تهميشه للدين والقيم الروحية، بسبب هيمنة النظرة العلمانية[1].

ووفق قواعد العملية السياسية الحالية، وفي إطار القوانين ودستور الجمهورية الإسلامية، وتحت سقف الانتخابات

يصبح الحديث عن التغيير الجذري شكلًا من العبثية، لأنه خلال السنوات الأولى بعد انتصار الثورة استطاع النظام القضاء على معارضيه وتصفيتهم، وما يجري الآن لا يعدو كونه منافسات تتم تحت سقف النظام؛ فلعبة اليمين واليسار مسموح بها في إيران، لكن بشرط أن لا تصل إلى الخروج عن وليّ الأمر.

فالخط الإصلاحي مسموح له بالمشاركة في الانتخابات، ولكن إذا مرق على القائد يصبح فتنة! كما حصل في أحداث «الثورة الخضراء» عام (٢٠٠٩)، وأي إصلاحي يريد البقاء داخل اللعبة السياسية يجب أن يعلن براءته من خط الفتنة (الممثل بموسوي وكروبي) أولًا[2].

ذلك أن الذين يُسمح لهم بالمشاركة يمرون عبر بوابة مجلس صيانة الدستور؛ التي لا تسمح لأي معارض لنظام ولاية الفقيه ولوج العملية الانتخابية، وأكثر من ذلك فإن المجلس يعمل على غربلة المرشحين ليختار من يعتقد أنّه مناسب للترشّح للانتخابات وفق معايير استنسابيّة.

---

(١) فاطمة الصمادي، «التيارات السياسية في إيران» (ص٥٧).

(٢) «وحدة تحليل السياسات، إيران: انتخابات لترتيب خلافة المرشد»، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (فبراير ٢٠١٦)، (ص١١).

إذ أن القبول بولاية الفقيه ليس شرطًا كافيًا، فيتم اختيار من يعتقد أنّهم الأكثر ولاءً منهم و/أو أولئك الذين تتوافق مواصفاتهم مع متطلبات المرحلة السياسية التي يريدها المرشد لإيران، هل هي مرحلة تشدد أم مرحلة تنفيس؟ هل هي مرحلة مواجهة أو مرحلة التفاف؟

ليس هذا فقط، بل يقوم المجلس بتحديد من يصبح مصنّفًا تحت خانة المعتدل، فإذا تمّ اختيار من هو شديد المحافظة مع مرشح محافظ عندها يصبح الأخير معتدلًا قياسًا إلى الأوّل، دون أن يكون معتدلًا في حقيقة الأمر[١].

فعلى سبيل المثال: في انتخابات مجلس الشورى في (فبراير ٢٠١٦) تنافست ثلاثة تيارات أساسيّة: التيار المحافظ ويضم الأصوليين، والتيار الإصلاحي ويضم إصلاحيين ومحافظين أقل تطرفًا قياسًا بالمحافظين في التيار الأول، وذلك تحت لائحة الأمل، وتيار الاعتدال الذي يتزعمه هاشمي رفسنجاني، ويقال عنه: التيار البراغماتي، ويضم -أيضًا- إصلاحيين ومحافظين.

إذًا؛ التيارات الثلاثة تضم محافظين، وعليه فإن القول بأنّ الإصلاحيين في طهران انتصروا على المحافظين غير دقيق؛ فضلًا عن أنّ كثيرًا ممّن هم في هذا التيار الإصلاحي لا يمكن اعتبارهم إصلاحيين بدءًا من روحاني، وليس انتهاء بالكثير من المحافظين سريعي التقلّب بين اليمين والوسط أو اليسار والوسط[٢].

■ العرب في السياسة الخارجية الإيرانية.. بين المحافظين والإصلاحيين:

يتفق المحللون على مركزية المرشد الأعلى في النظام السياسي الإيراني، وثانوية موقع الرئاسة الذي لا يعدو أن يكون مجرد واجهة لما يرغبه الولي الفقيه؛ فالانتخابات الرئاسية -بشكل عام- تكشف عن توجهات المرشد الأعلى و«العقل الاستراتيجي الإيراني» في مجال السياسة الخارجية من خلال التعرف إلى مواقف المرشد من المترشحين إليها.

فعلى سبيل المثال: كان تأييد المرشد خامنئي لمحمود أحمدي نجاد في انتخابات عامي (٢٠٠٥ و٢٠٠٩) مؤشرًا مهمًّا على تبنيه خطًّا متشددًا في السياسة الخارجية، فيما كان عدم اعتراضه على فوز محمد خاتمي في انتخابات عام (١٩٩٧)، على الرغم من منافسته لأحد المقربين منه، وهو علي أكبر ولايتي، مؤشرًا إلى أنه كان يرغب في إحداث نوع من «التهدئة المحسوبة» مع الخارج، عبر شخصية خاتمي المقبولة دوليًّا وإقليميًّا والتوجهات الانفتاحية التي عبّر عنها، وذلك لتخفيف الضغط الدولي على بلاده.

واستبعاد رفسنجاني من خوض انتخابات الرئاسة عام (٢٠١٣) لم يكن بعيدًا عن رغبة المرشد ورؤيته لمستقبل السياستين الداخلية والخارجية لبلاده خلال الفترة المقبلة، والأمر نفسه ينطبق على قبول فوز روحاني[٣]، فهو معروف بولائه لرفسنجاني سياسيًّا وفكريًّا[٤]، ويدعو للاعتدال والمرونة في التعامل مع الخارج، والذي قام بتهيئة أرضية مناسبة لانطلاق المفاوضات بين إيران والغرب حول برنامجها النووي عام (٢٠٠٣)، معتمدًا سياسة بناء جسور الثقة، وفاتحًا لإيران آفاقًا أوسع، بعد أن أبعد وفريقه الملف النووي عن طاولة مجلس الأمن[٥].

---

(١) علي حسين باكير، المرجع السابق.

(٢) علي حسين باكير، (عن نتائج الانتخابات الإيرانية)، موقع عربي ٢١، (٢٩/٢/٢٠١٦)، على الرابط: http://cutt.us/Vnb٣v

(٣) شحاتة محمد ناصر، «السياسة الخارجية الإيرانية في عهد الرئيس روحاني: حدود التأثير وأهم الملامح»، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دراسات إستراتيجية، (العدد ١٩١، ط١، ٢٠١٤)، (ص١٤).

(٤) مركز الجزيرة للدراسات، «رفسنجاني قادم.. ترشيح يخلط أوراق الجميع»، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، (١٣/٥/٢٠١٣)، (ص٥).

(٥) فرح الزمان أبو شعير، «مرشحو الرئاسة الإيرانية.. تنافس محافظ قد يعكره توافق إصلاحي»، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، (١٠/٦/٢٠١٣)، (ص٧).

تفسر هذا الخلفية الاختلاف بين المحافظين والإصلاحيين نظريًّا وتوافقهم واقعيًّا، فعلى المستوى النظري يبدو هناك قدر من التمايز في السياسة الخارجية بين المحافظين والإصلاحيين؛ خاصة في طبيعة العلاقة مع الغرب، حيث يتبنى الإصلاحيون رؤية براغماتية للحضارة الغربية، والتعامل معها بنديّة، وليس رفضها ونفيها، لأن التعامل مع هذه الثقافة من شأنه أن يقوي الثقافة الوطنية، ويحفظ الهوية الدينية، ويصون المجتمع في وجه الغزو، ويدعو إلى معرفة المدنيات الأخرى ومدارس المعرفة الغربية[١].

أما على المستوى العملي؛ فإن ما يطالب به الإصلاحيون يطبقه المحافظون على أرض الواقع، بل على العكس، وللمفارقة فإن تحول الثورة باتجاه العداء للولايات المتحدة أتى أساسًا من اليسار الإسلامي الذي ينتمي إليه الإصلاحيون، وهنالك شخصيات رئيسة ذات علاقة بأزمة الرهائن كانت جزءًا من حكومة خاتمي.

أما المحافظون؛ فالعديد منهم عارضوا فكرة قطع العلاقة مع الولايات المتحدة عشية الثورة[٢].

وتتلاشى حدود التمايز بشكل نهائي حول القضايا العربية والإسلامية، فمع كثرة الصخب حول الوحدة الإسلامية والتقريب والتعاون لم تضحّ إيران قط بالمصلحة الوطنية للبلاد لصالح المدينة الإسلامية الفاضلة.

وبقيت الطبقة الحاكمة حريصة جدًّا على عدم انتقاد روسيا والصين بسبب سياساتهما الوحشية ضد أقليات إسلامية في الشيشان وإقليم شينجيانغ على التوالي؛ لكي لا تعرض للخطر علاقاتها الودية مع البلدين، والطموحات الإسلامية الكبيرة للثورة المفروضة على الدولة القومية الإيرانية -التي تتطلب مبررًا عسكريًّا- لا تسمح لدولة مرتكزة على العقلانية أن تخوض بنفسها مغامرات الخلافة الإسلامية[٣].

وقد حكمت العلاقة بين إيران ودول آسيا الوسطى؛ التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي، والجيران الإقليميين كتركيا وسوريا وأفغانستان وباكستان رغبة إيران في تأمين حدودها، وفي تحقيق مصالحها القومية، ومن ثمة لم تتخذ موقفًا معاديًا لأرمينيا في صراعها مع أذربيجان حول إقليم (نغورنو كارابخ)، أو ضد روسيا في صراعها المسلح مع الشيشان، أو مع القوى الإسلامية ضد نظم الحكم العلمانية في كل من تركيا وسوريا[٤].

كما فرضت تطورات الواقع السياسي الإقليمي على النظام الإيراني إقامة جولات متعددة من الحوار الأمريكي-الإيراني حول عدد من القضايا التي تهم البلدين في الفترة التي أعقبت أحداث (الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١)، والحرب الأمريكية على الإرهاب، والتي طالت الحدود الشرقية والغربية الإيرانية (أفغانستان والعراق).

وقد احتل ملف العراق أهمية كبرى في الحوار غير المعلن بين الدولتين، بسبب حساسية الموقف في العراق، ودور القوى الشيعية داخله[٥].

---

(١) فاطمة الصمادي، المرجع السابق، (ص١٣٣).

(٢) «مجموعة الأزمات الدولية، الانخراط الأمريكي الإيراني: المشهد من طهران، موجز الشرق الأوسط رقم ٢٨»، (٢/٦/٢٠٠٩)، (ص٢٠).

(٣) آرشين أديب مقدم، «إيران في السياسة العالمية بعد روحاني»، في فاطمة الصمادي وآخرون، «التقارب الأمريكي الإيراني: مستقبل الدور الإيراني»، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، (أبريل ٢٠١٤)، (ص١١).

(٤) أمل حمادة، «الخبرة الإيرانية: الانتقال من الثورة إلى الدولة»، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، (ط١، ٢٠٠٨)، (ص٣٣١).

(٥) المرجع نفسه، (ص٣٤٩).

والتقارب بين العرب والإيرانيين في فترات حكم الإصلاحيين - سواء فترة الرئيس البراغماتي هاشمي رفسنجاني أو محمد خاتمي - لم يكن دون أولوية المصالح الإيرانية على حساب المصالح العربية - العربية، حيث هدف رفسنجاني من بناء علاقات جديدة مع العالم العربي - وبخاصة منطقة الخليج - إلى عزل العراق عن حلفائها المحتملين، وإعادة بناء جسور الثقة مع حكومات الخليج، كما أن مقترح التعاون والتكامل لأمن الخليج كان بسبب رفض الوجود الأجنبي.

لكن الواقع أثبت لاحقًا أن إيران سايرت الوجود الأجنبي في العراق وأفغانستان[(١)]، كما كان من شروط إيران عدم الدخول في حرب الخليج الثانية حماية الأمن القومي الإيراني، وحماية الأماكن المقدسة في العراق[(٢)].

والمسألة الجدلية في المواقف من القضايا العربية تتمثل في القضية الفلسطينية؛ التي لا يرفعون شعارات الدفاع عنها كما يفعل المحافظون، بل خطاب البعض منهم سلبي؛ كتلك الشعارات التي رفعها المتظاهرون في (٢٠٠٩)، وهتافهم بـ «لا غزة لا لبنان روحي فداء لإيران»، وكان هذا من أسباب تأييد النخب العربية الموالية لإيران سياسات النظام تجاه الحركة الخضراء[(٣)].

ويمكن اعتبار ذلك مؤشرًا على ما يفعله الإيرانيون عند التخيير بين القضايا العربية والإسلامية ومصالحهم القومية، صحيح أن الخطاب في جزء منه كان موجهًا لنقد العلاقة بين النظام والمقاومة، إذ يرى هذا الفريق أن الحكومة الإيرانية تستغل فلسطين والمقاومة للتغطية على الاستبداد الداخلي[(٤)]، ولكن ذلك يدل على قطيعة شاملة مع العالم العربي يحمل بين ثناياه خطابًا قوميًّا.

ولم تكن تلك الشعارات استثناء؛ ففي فترة خاتمي وفترة روحاني أحجم المسؤولون الإيرانيون تمامًا عن استخدام مصطلح «الكيان الصهيوني» لوصف إسرائيل، ولم يستهدف روحاني هذا البلد على طريقة ما فعله سلفه أحمدي نجاد؛ وبتوازٍ آخر مع سنوات حكم خاتمي أشار وزير الخارجية جواد ظريف إلى أن الحكومة الإيرانية تقبل أي تسوية نهائية يوافق عليها الفلسطينيون[(٥)].

وفي المقابل؛ فإن مواقف المحافظين عمليًّا لا تختلف عن الإصلاحيين، وقد أثبتت الكثير من الوقائع - والتي كان آخرها الأزمة السورية - كيف ساءت العلاقة بين الملالي وحركة حماس بسبب عدم تأييدها لنظام الأسد وبطشه بالشعب السوري، ناهيك عن مكانة المرشد الأعلى علي خامنئي، والذي يمارس كل الرؤساء سلطتهم بمن في ذلك روحاني وخاتمي تحت أنظاره.

---

(١) أمل حمادة، «الخبرة الإيرانية: الانتقال من الثورة إلى الدولة» (ص٣٢٥).

(٢) المرجع نفسه، (ص٣٢٩).

(٣) في دراسة لمجلة «آفاق المستقبل» التي تصدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية حول موقف النخب العربية من الأزمة الإيرانية الداخلية سنة (٢٠٠٩) لاحظت الدراسة أن الكتّاب العرب المؤيدين للنظام الإيراني تحاشوا مناقشة الوضع الداخلي في إيران، مفضّلين تناول موقف النظام الإيراني المعلن من إسرائيل أو نفي الاتهامات حول نيات النظام الإيراني في محيطه العربي، وأبرزها: مقال لمنير شفيق في صحيفة «الوقت» البحرينية؛ الذي رفض أن تكون نزاهة الانتخابات أو عدم نزاهتها المحدد للحكم على النظام الإيراني، وجعل الموقف من إسرائيل هو المحدد.

=

ونشر الكاتب المصري المعروف فهمي هويدي ستة مقالات في الشأن الإيراني دافع فيها عن وجهة نظر النظام، ثم توقف عن الكتابة في الشأن الإيراني أسابيع عدة قبل أن يعود إلى الموضوع، ولم يعثر على مقالات لمنير شفيق بالشأن الإيراني منذ نهاية (جوان) حتى (سبتمبر أيلول ٢٠١٠). ينظر: أحمد جميل عزم، «كتاب الرأي والأعمدة في الصحافة العربية والانتخابات الرئاسية الإيرانية»، مجلة «آفاق المستقبل»، (العدد ٢، نوفمبر - ديسمبر ٢٠٠٩)، (ص٣٨).

(٤) فاطمة الصمادي، «في التقارب الأمريكي الإيراني: من أين تمر الطريق إلى فلسطين»، في فاطمة الصمادي وآخرون، «التقارب الأمريكي الإيراني: مستقبل الدور الإيراني»، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، (أبريل ٢٠١٤)، (ص٥٠).

(٥) آرشين أديب مقدم، المرجع السابق، (ص٩).

■ **الإصلاحيون والثورات العربية: موقف مبدئي أم براغماتية؟**

أيَّد الإصلاحيون الانتفاضات العربية، وعارضوا مواقف النظام منها، وقد يبدو من الوهلة الأولى وجود تقاطع مبدئي في الرؤى ودعم للشعوب العربية، غير أن الحقيقة مختلفة تمامًا، فالرؤيتان المحافظة والإصلاحية ممّا حصل في العالم العربي سنة (٢٠١١) -وإن اختلفت في التوصيف- انطلقتا من خلفية واحدة فيها قدر من الاستعلاء الفارسي على العرب، حيث تحكمت المركزية الإيرانية في تحديد رؤية المحافظين والإصلاحيين للثورات العربية.

فبينما اعتبر المحافظون الثورتين التونسية والمصرية تعبيرًا عن رفض شعبي إسلامي للاستبداد والتبعية لأميركا وإسرائيل، وبذلك فهُما امتداد للثورة الإسلامية الإيرانية، وانعكاس لمبادئها وأساليبها، اعتقد الإصلاحيون -بدورهم- أن حركتهم الاحتجاجية قبل حوالي عام ونصف (٢٠٠٩) هي التي ألهمت الثائرين العرب لمواجهة الاستبداد، وأكدوا أن النظام الإيراني القائم هو لبنة من البنية الاستبدادية في المنطقة، لذلك اعتبر هذا التيار حركتهم جزءًا ومقدمة للحراك العربي الديمقراطي[١].

ومن جهة أخرى؛ فإن تأييد الإصلاحيين للحراك العربي جاء في سياق المواجهة الداخلية، لذلك وجب التحفظ من مواقفهم، فقد استثمر الإصلاحيون الثورات الشعبية العربية لمهاجمة الموقف الرسمي الذي يؤيد هذه الثورات، ويقمع في نفس الوقت الفعاليات المؤيدة لها من قبل أنصار الإصلاحيين[٢].

فبينما ركز الجانب الإيراني الرسمي والتيار المحافظ في إيران على «أدلجة وأسلمة» منطلقات الثورات العربية، وتعمّد تقليل الإشارة إلى الأسباب المتعلقة بالحريات والديمقراطية والعدالة الاجتماعية؛ ركز رموز التيار الإصلاحي على المنطلقات الاجتماعية للثورات العربية، وعلى الأسباب المرتبطة بوضع الحريات في الدول العربية، وعمدوا إلى مقارنة هذه المنطلقات والأسباب بالوضع في إيران، بهدف التلويح للنظام بأن إيران لن تكون بعيدة عن مثل هذه الثورات[٣].

وبينما تعاملت إيران الرسمية وتيارها المحافظ مع الثورات العربية من زاوية سياستها الخارجية، وتحالفاتها الإقليمية، وسعيها لتكريس الجمهورية الإسلامية كدولة إقليمية كبرى في الشرق الأوسط، وحاملة لواء الدفاع عن الشيعة في العالم.

أما التيار الإصلاحي؛ فتعامل مع هذه الثورات من زاوية رؤيته للإصلاح داخل نظام الجمهورية الإسلامية، وسعيه لتغيير الواقع في إيران[٤].

■ **الخلاصة:**

مهما كانت النخبة السياسية الحاكمة في إيران فإن الخلفية التاريخية الحضارية ستبقى الموجه الأساسي لسلوكها الخارجي، وفي سعيها لتمدد وتوسيع نفوذها كقوة دولية لا بد أن تمر بمرحلة القوة الإقليمية، والتي تعني: سيطرتها على الإقليم والممثل في جهته الغربية بالمنطقة العربية.

وإذا كان التيار المحافظ بكل عدائه الذي يرفعه في وجه الغرب -وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية- إلا أن ذلك لم يمنعه من التعاون والتنسيق معها سياسيًّا وعسكريًّا في العراق

(١) رشيد يلوح، «إيران والثورتان التونسية والمصرية»، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (أبريل ٢٠١١)، (ص١).

(٢) فراس أبو هلال، «إيران والثورات العربية .. الموقف والتداعيات»، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (جويلية ٢٠١١)، (ص١١).

(٣) فراس أبو هلال، «إيران والثورات العربية .. الموقف والتداعيات» (ص٤).

(٤) المرجع نفسه، (ص١٢).

وسوريا بطرق مختلفة، والأهم من ذلك عقد اتفاق نووي، فالإصلاحيون لن يحيدوا عن هذا النهج، وهم الذين يطالبون بالحوار والتعاون معه، والذي يكون على حساب العرب، لأن محور النقاش في المسائل الخارجية يتعلق بالعلاقة مع الغرب، ولم تكن العلاقة مع العرب محل نقاش بين الإصلاحيين بمختلف أطيافهم.

ووصول الإصلاحيين للسلطة بسيناريوهين:

أولهما: من خلال النظام نفسه، وهذا بطبيعة الحال لن يكون دون استمرار المحافظين في السلطة، وامتلاكهم لمراكز مهمة في صنع القرار وفي مقدمتها: الحرس الثوري، وسيتنازلون لهم في بعض القضايا، وستكون المنطقة العربية المجال الرخو القابل للمساومة بين الطرفين.

وهذا ما أثبتته التجارب السابقة؛ سواء في فترة حكم رفسنجاني أو خاتمي، هذا إذا لم يحصل بينهما تبادل للأدوار على طريقة (الشرطي الطيب والشرطي السيئ)؛ لمساومة الدول العربية والحصول على أكبر قدر من المكاسب.

أما السيناريو الثاني: فيكون بوصول الإصلاحيين إلى السلطة بعد تغيير جذري وشامل، وفي هذه الحالة سيتم إزاحة المحافظين بشكل نهائي، لكن في الوقت نفسه سيفسح المجال للإصلاحيين بمختلف مشاربهم.

وكما اتضح من خلال تصنيفهم فهناك تيار قومي متطرف، سيحاول ممارسة الاستعلاء الفارسي على العرب.

ومن جهة أخرى؛ فإن علمانية الإصلاحيين لا تعني بالضرورة عدم طائفيتهم، فكما هو معلوم لا يشترط في الطائفية التدين، وستبقى الأقليات الشيعية في المنطقة ورقة بيد أي نظام إيراني يستغلها لمدّ نفوذه في المنطقة، فنظام الشاه -ورغم كل ما يقال عن علمانيته- لم يتوانَ في استغلال هذه الورقة، ومن ذلك: علاقته بموسى الصدر.

الحوثيون.. النشأة والعلاقات المتأزمة

حمير الحوري- كاتب يمني

خاص بـ «الراصد».

الحوثيون أو ما يعرف بـ (أنصار الله)! هي: حركة دينية سياسية مُسلحة، نشأت في محافظة صعدة بشمال اليمن، أسسها بدر الدين الحوثي سنة (١٩٩٢م)، وكانت تُعرف باسم «الشباب المؤمن»، وهي من ناحية الانتماء المذهبي زيدية جارودية، وسنحاول في هذا المقال التعريف بنشأة ووضع وتطور هذه الحركة وأهم علاقاتها.

سُمّي الحوثيون بهذا الاسم نسبة إلى المؤسس بدر الدين الحوثي؛ الذي سافر إلى إيران وأقام فيها عدة سنوات، وتأثر بحركة الخميني والحراك الشيعي الإيراني، وأصبح فيما بعد الزعيم الروحي لجماعة أنصار الله الحوثية، وورثه في قيادة الجماعة ابنه حسين؛ الذين قُتل في مواجهات مع الحكومة اليمنية، ليرث أخوه عبد الملك قيادة الجماعة حتى الآن.

وبهذا ارتبطت الجماعة بأسرة الحوثي، القاطنة في صعدة بشمال اليمن، وأصبحت تُعرف بها، وهذه الأسرة تعد قليلة العدد، وحجم القبيلة التي تنتسب إليها أسرة الحوثي لا يكاد يُذكر مقارنة بالقبائل اليمنية الأخرى.

◙ الحوثيون.. أقلية من أقلية:

الأغلبية الساحقة في اليمن هم من أهل السنة بمذاهبهم المتنوعة، بينما الزيدية يُلحقها البعض من حيث العموم بأهل السنة، ويُلحقها أكثر المختصين بالفرق والمذاهب إلى الشيعة بالمعنى العام للكلمة، وليس بمعنى: أنهم شيعة اثنا عشرية.

وهؤلاء الزيدية يُعدون أقلية لا تتعدى (١٠%) من الناحية المذهبية في اليمن، وصحيح أنه لا توجد إحصائية دقيقة بذلك غير أن المتفق عليه عند الجميع أنهم أقلية.

والحوثيون - كما ذكرنا - زيدية جارودية، والجارودية تُعد أقلية في المكون الزيدي العام، والذي لا يتعدى وجودهم بعض محافظات شمال اليمن مثل: صعدة وعمران وذمار وجزء صغير جدًّا من صنعاء وحجة، ومعظم محافظات شمال اليمن سنية شافعية، أما جنوب اليمن فيندر أن يكون لهم وجود فيه.

ولا يعني ذلك: أن كل الحوثية جارودية، بل فيهم زيدية معتدلون وشيعة اثنا عشرية، بل وبعض السنة من أصحاب المصالح والأهواء؛ حيث تجمعهم المطامع السياسية وإن اعتمدت على المذهب في حركتها السياسية كقاعدة إقلاع حيوية!

ومن المستبعد نظريًّا أن تصنع أقلية محدودة كل هذا الأذى بالأغلبية؛ لكنها قائمة من الناحية الواقعية، وذلك يعود لأسباب سياسية وبنيوية واجتماعية، ولِما تتمتع به الأقلية - غالبًا - من تماسك والتحام عضوي أكثر من الأغلبية، وهذا يفسر لنا تحكم أفراد وأسر - فضلًا عن أقليات - بمصير شعوب وأمم بأكملها!

◙ الحوثيون.. والشيعة الاثنا عشرية

الحوثيون ينتمون إلى الفرقة الزيدية؛ والتي تنقسم لفرق داخلية عديدة منها: الهادوية والجارودية والصالحية، والجارودية هي أكثر فرق الزيدية تشددًا في باب الإمامة، وبينهم وبين الشيعة الاثنى عشرية جُملة فروق نوضحها في التالي:

• **الجارودية يَعتبرون عموم الصحابة ﷺ مقصّرين في عدم التحري والبحث،** ولا يكفرونهم بالمجموع؛ لأن التعيين عندهم ليس بالاسم؛ كما تدّعي الشيعة الاثنى عشرية.

• **كما لا يترضى كثير من الجارودية عن الصحابة بإجمال؛** لأنهم لا يعذرونهم تمامًا، وهم يطعنون في عثمان وعائشة والزبير وطلحة ﷺ ومَن قاتل عليًّا بإطلاق، وهذا بخلاف الشيعة الاثنى عشرية المكفرين لصحابة النبي ﷺ.

• **وللجارودية في الخلفاء الثلاثة ﷺ قولان:** السب، والتوقف، يأخذ بعضهم بالأول، والبعض الآخر بالثاني؛ ولا يكفرونهم في المشهور من قولهم.

• **بل إن الشيعة الاثنى عشرية ترى ضلال وكفر الجارودية عقديًّا؛** ومنهم الحوثيون!؛ ولولا المصالح السياسية وطمع الشيعة الاثنى عشرية في تحويلهم إلى المذهب الاثنى عشري أو اتخاذهم جسرًا لتشييع اليمن لما اجتمعت كلمتهم معًا.

• **كما أن الجارودية لا يقولون بعقيدة المهدي المنتظر** - الإمام الثاني عشر -، بينما هي عند الشيعة الإثنى عشرية من أصول المذهب.

• **ولا يكفّر الجارودية الشيخين أبا بكر وعمر ﷺ؛** كما ينتشر عند كثير من الاثنى عشرية.

• **ولا يقول الجارودية بتحريف القرآن،** بينما القول بالتحريف أحد أقوال الشيعة الاثنى عشرية.

• **ولا يقول الجارودية بالمتعة أو التقية؛** كما عند الشيعة الاثنى عشرية.

وكان يحيى بدر الدين الحوثي قد صرّح لصحيفة ألمانية: «ما يجمعنا بالإثنى عشرية في إيران قليل»، وأشار إلى أن الحوثيين لا يؤمنون بالـ (١٢) إمام معصوم، ولا بالمهدي الإمام الغائب.

يتضح من كل ذلك: أن الجارودية في الأصل من الناحية العقدية ليسوا شيعة اثنى عشرية، وبينهم الكثير من الفروق الظاهرة، لكن يجمعهم التشابه في أصول التشيع التي تشكل قاعدة مشتركة تساعد في تحويل الجارودي إلى شيعي إمامي، وهذا ما حدث مع الحوثيين بسبب تقاطع مشروعهم السياسي مع الشيعة الاثنى عشرية.

■ **الحوثيون.. وقابلية التطعيم الاثنى عشري:**

تأثير الشيعة الاثنى عشرية في المذهب الجارودي الذي ينتسب إليه الحوثيون ليس جديدًا، بل إن جذوره ترجع إلى تاريخ مبكر في الالتقاء الفكري في واحدة من أبرز الكليات بينهما، وهي: النيل من كبار الصحابة، وعدّ الخلفاء الثلاثة العظام غير شرعيين! فأرضية التشيع بين المذهبين الاثنى عشري والجارودي ساعدت على تقارب الوجهة السياسية بينهما.

ويمكن أن نلخص أبرز أسباب الالتقاء الإيراني الحوثي في التالي:

* **التشابه في بعض الأصول المذهبية؛** كالإمامة والوصية.

* **الحاجة إلى التناصر السياسي بين الفريقين،** والإسهام في ضرب خصومهما المشتركين.

* **الطمع الشيعي الإمامي في ابتلاع الحركة الحوثية وتشييعها؛** عبر أداة الزمن.

* **تعاظم الاحتياج الحوثي لدولة مرجعية على المستوى الإقليمي؛** لتُشكل عامل إسناد إقليمي ودولي له ولمشروعه.

ومن خلال تتبع تطور العلاقات الحوثية الإيرانية على مستوى العقائد نجد بعض المظاهر في سلوك جماعة الحوثي التي تشير إلى تأثرها ببعض عقائد الشيعة الاثنى عشرية، منها:

- **التغطية الإعلامية الحوثية للحسينيات والكربلائيات الاثنى عشرية، والدعاية لها،** وهذا يسهم في دفع أتباع الجماعة نحو اعتناق العقائد الإمامية الاثنى عشرية.

- **تجاوز التناصر بين الفريقين المسألة السياسية إلى التناصر المذهبي والعقائدي،** فحسين الحوثي -أحد أبرز المؤسسين- اتهم الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بالضلال في إحدى محاضراته المصورة والمنشورة، وهذا وإن اعتقدته الجارودية لكنهم غالبًا لا يصرّحون به علانيةً!

- **تقديم الرموز الدينية الاثنى عشرية كقدوات ملهمة،** فالإعلام الحوثي كثيرًا ما يُقدم الخميني وحسن نصر الله وغيرهم كنماذج وقدوات هداية!

■ **التحالفات والعلاقات الحوثية**

يرتبط الحوثيون بمجموعة تحالفات وعلاقات من الممكن أن نتناولها في مجموعتين:

* **العلاقات الداخلية، وتضم مجموعة متنوعة تشمل:**

تحالف جماعة الحوثي مع بقية مكونات المذهب الزيدي رغم اختلافهم في بعض المسائل المذهبية والاجتهادات السياسية، فقد اتهم عدد من فقهاء الزيدية الحوثيين بالخروج عن المدرسة الزيدية، واستيراد بعض بدع الإثنى عشرية، وأنهم زيدية متطرفون، ورَد ذلك في بيان مشهور لهم وقّع عليه عدد من علماء الزيدية، منهم: العلامة الزيدي مجد الدين المؤيدي، ومن أشهر المعارضين للحوثيين من الناحية السياسية والدينية: الفقيه الزيدي المشهور محمد عبد العظيم الحوثي؛ فقد اتهمهم بالردة والخروج عمّا وصفه بمذهب آل البيت، ومواقفه المناهضة للحوثيين مشهورة، وسياسة الحوثيين في التعامل مع الداخل الزيدي من حيث العموم سياسة احتوائية.

كما دخل الحوثيون في تحالف سياسي وعسكري مع الرئيس السابق علي صالح وحزب المؤتمر، رغم ما بينهم من عداوات وثارات -ست حروب خاضها علي صالح ضد جماعة الحوثي أيام حكمه-، وهو تحالف اضطراري، ومهدد باندلاع الصراع بينهما في أي وقت، وسبب هذا التحالف هو: مواجهة عدوهم المشترك المتمثل في التحالف العربي.

وقد بدأ الصراع بين الجماعة وصالح عمليًّا خلال الأشهر الماضية، وقتل الحوثيون بعضًا من أنصار صالح المقربين، واشتد

التلاسن الإعلامي بين الجماعة الحوثية وعلي صالح وأنصاره، هذا في ظل ظروف الحرب المشتركة التي يخوضونها ضد الحكومة الشرعية والتحالف العربي، وهو ما يعكس حالة الاحتقان والعداء بينهما.

كما أن لجماعة الحوثي علاقات مضطربة وغير مستقرة مع كثير من القبائل، وتتنوع تلك العلاقات بين التحالف والصراع معها، وعلاقة الحوثيين مع بقية أبناء المجتمع اليمني إجمالًا متوترة، وحاضنتهم الشعبية ضعيفة جدًّا؛ لما ارتكبوه من جرائم عديدة كان من أخطرها: الانقلاب على الإرادة الشعبية، وإسقاط الحكومة، واحتلال صنعاء، ونهب الدولة؛ ولذلك تعمل الحكومة الشرعية على استرداد الدولة المختطفة من قبل هذه الجماعة.

وعن أسباب التمكن الحوثي في السيطرة على اليمن رغم ضعف الحاضنة الشعبية، فذلك يعود لأمور، منها:

- **التحالف الحوثي مع الرئيس السابق علي صالح**، فقد أفاد الحوثي من هذا التحالف أيما إفادة! كما استفاد علي صالح -أيضًا- منهم، واستخدمهم لضرب خصومه، واستغل الحوثيون هذا التحالف في نهب الدولة والسيطرة عليها.
- **الغطاء الشيعي الإقليمي للجماعة** من الناحية السياسية والإعلامية، والدعم العسكري واللوجستي الواسع لها.
- **الشعور الزيدي العام بالتراجع المذهبي أمام التوسع السني الحنبلي في المناطق الزيدية**، وهو ما جعل الزيدية تناصر جماعة الحوثي أملًا منها في إعادة الحياة والحيوية للمذهب الزيدي في شمال اليمن.

كل هذه العلاقات الداخلية أسهمت في تشكل حالة حوثية سياسية متماسكة، تضم أطرافًا مختلفةً وأحيانًا متناقضةً! جمعتها الحاجة والمصلحة والأهداف المادية والسياسية.

وهو ما يعني: أن هذه العلاقات الداخلية وتلك الأطراف سيحكم علاقتها المستقبلية الصراع والتناحر المصلحي، وهو ما تتوقعه جماعة الحوثي؛ ولهذا نرى اهتمامها البالغ بوزارتي التربية والتعليم والإعلام -كوزارات مستقبلية-، تطمع من خلالها الجماعة إلى تحويث المجتمع، وخلق وتدعيم جيوب وحاضنات اجتماعية لها، وهو ما يعني: تهديدًا عمليًّا لمستقبل المجتمع السني في اليمن من الناحية العقدية والسياسية.

*** العلاقات الخارجية:**

وأبرزها: تحالف الجماعة الحوثية مع إيران وأذرعها في المنطقة؛ كحزب الله اللبناني والميليشيات الشيعية في المنطقة العربية، وهم يصرّحون بهذه العلاقة، ويفخرون بها، وتحالفهم معها استراتيجي وشبه شامل.

كما أن للجماعة علاقات سياسية مشبوهة بأطراف دولية، تأخذ شكل العداء في غلافها الخارجي، لكنها تستبطن الولاء لها، وتنفذ أجندة تلك القوى العالمية الرامية إلى تمزيق اليمن وإشغاله بالتناحرات الداخلية، ومن تلك الأطراف الدولية التي تدور الشكوك حول طبيعة العلاقة بينها وبين جماعة الحوثي: الولايات المتحدة الأمريكية، وللاطلاع على تفاصيل العلاقة الحوثية الأمريكية بالإمكان الرجوع لمقال منشور على الشبكة العنكبوتية بعنوان: (الحوثيون وأمريكا.. علاقات غامضة)، ومقال (الحوثيون وأمريكا.. ما خفي أعظم!).

وبالنسبة لدول الجوار -عدا عُمان- فالصراع هو السمة الحاضرة في علاقة الحركة الحوثية بها، واستعداء السعودية يبدو أنه سلوك تلقائي لكل من يربط مصيره بمصير الدولة الإيرانية.

◙ خاتمة:

يتضح من ذلك: أن الحركة الحوثية قائمة على شبكة من العلاقات المستقرة؛ كما هو الحال مع إيران والصدامية، كما هي مع

السعودية، وعلاقات متأرجحة؛ كما هو الحال مع علي صالح وحزب المؤتمر، غير أن السمة العامة التي تجمع بين كل العلاقات أنها علاقات مهددة، وتحمل في بُنيتها أسباب الانهيار والسقوط، وأن العلاقات التي ساعدت في رفع جماعة الحوثي قد تُسهم في إسقاطها أيضًا! شريطة تماسك الداخل السني وحسن إدارته للصراع مع الجماعة الحوثية.

من صور الاختراق الشيعي لغزة في (٢٠١٧)

عبد الرؤوف الرملي- كاتب فلسطيني

خاص بـ «الراصد».

التشيع من البلايا والبدع التي أصيبت بها الأمة ومنذ وقت مبكر، وكانت الحرب سجالًا بين التشيع وأهل السنة على مدار تاريخ الإسلام، وفي هذا العصر برزت دولة إيران كراعية للتشيع؛ والتي تحاول تصديره إلى بلاد أهل السنة تحت شعارات عدة من أهمها: دعم القضية الفلسطينية! فكان من الطبيعي أن تحاول إيران بناء موطئ قدم لها في فلسطين لتحقيق تلك الغايات الشريرة.

لذا قامت إيران بتوطيد علاقاتها مع معظم التنظيمات الفلسطينية، بهدف اختراقها، وصولًا لاختراق المجتمع الفلسطيني، مما يسهل لها لاحقًا تحقيق هدف اختراق المجتمعات السنية بحجة: دعمها للمقاومة الفلسطينية!!

الكثير من التنظيمات الفلسطينية التي تدعمها إيران تبرر قبولها مساعدات الملالي بحجة الحصار المفروض على تلك التنظيمات؛ وخاصة في غزة، ومعلوم للجميع أن إيران ليست جمعية خيرية بل هي تعطي باليمين لتقبض أكثر بالشمال، ولن تستطيع تلك المنظمات كبح جماح هيمنة إيران، ولا ضبط وجودها على أرض فلسطين وهي تستقبل مساعداتها، وهو ما حدث في العديد من البلاد والتجارب المرة!

فمن الغباء مقاومة احتلال اليهود لفلسطين بما يسقط فلسطين في شباك التشيع! وليس هذا ببعيد؛ فالبدعة تبدأ شبرًا لتصبح ذراعًا، فعندما أسس الفاطميون الشيعة «دار الحكمة» في القدس لنشر التشيع، ونشروه فعلًا حتى ذكر المؤرخون أن بيت المقدس في تلك الحقبة كان جلّ أهلها شيعة، فكانت النتيجة أن سقطت القدس بأيدي الصليبيين بعد ذلك، وعندما أسقط صلاح الدين دولة الفاطميين الشيعة استعاد القدس!!!

إن الثناء على إيران ومدحها من قبل التنظيمات الفلسطينية يعطيها الضوء الأخضر لنشر تشيعها في فلسطين، وقد وقَع ذلك وتشيع بعض أبناء فلسطين، وأصبح هناك مزاج لدى البعض منهم مؤيد ومتعاطف مع التشيع ومع إيران وأذنابها كحزب الله اللبناني.

ولأن البعض لا يزال يكابر ويدافع عن هذه العلاقة الآثمة مع إيران، أو على الأقل لا يزال يبرر جريمة وخيانة مدح طواغيت إيران المشركين بالله ﷻ والمجرمين بحق شعبنا الفلسطيني في لبنان والعراق وسوريا، وبحق إخواننا المسلمين في بلاد كثيرة على رأسها: سوريا والعراق ولبنان واليمن ودول الخليج؛ فنقدم لهم بعض أنشطة اختراق التشيع لغزة، علّهم يستيقظون ويتداركون تقصيرهم قبل فوات الفرصة:

١ - الاحتفال بما يسمى يوم القدس العالمي في غزة بشهر (رمضان لعام ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م)، وهذا اليوم هو يوم خميني[1] بامتياز.

والملفت للنظر أن من ألقى كلمة الفصائل في هذه المناسبة هو مسؤول الجبهة الشعبية -القيادة العامة في قطاع غزة لؤي القريوطي، وهو فصيل يساري علماني!!!

(١) هذا الضال طبعًا هو من يطعن بسيدتنا عائشة ﵂، ويقول: إنها أخبث من الكلاب والخنازير. حاشاها! وهذه بائقة من بوائقه الكثيرة.

وهـذا الفـصيل العلـماني اليـساري الـذي يقـوده أحمـد جبريل أَوغلَ في قتل أهل السنة في سوريا، ومن قبل يداه تلطخت بقتل الفلسطينيين في لبنان لصالح مشروع النصيرية!!

وجـاءت مـشاركة «حمـاس» بفعاليـة في نـشاطات يـوم القدس العالمي هذا العام تأكيدًا على تحسّن العلاقات بينها وبين طهـران، ففـي الـسنوات الـستّ الماضـية اكتفـت بإلقـاء كلـمات في المناسبة التي كانت تنظمها فصائل أخرى.

٢ - منح الجمعيات الخيرية التابعة لإيـران في قطـاع غـزة حرية العمـل، ومنهـا: «جمعيـة إمـداد خميني والباقيـات الـصالحات والشهيد الإيرانية والأنصار» وغيرها، حيث أعلـن المتحدث باسم جمعية الأنصار الخيرية ناصر الـشيخ عـلي أنـه سيتم توزيـع مبلـغ (٢ مليون دولار) بالتعاون مع «مؤسسة شهيد» الإيرانية في قطاع غـزة، وبثت قناة «المنار» تسجيلًا لتوزيع هذه الجمعية وجبات إفطـار عـلى الصائمين في غزة، ومن ثم عرضوا امرأة منقبة تثني على إيران.

وهذا هـو المطلـوب نـشره في الإعـلام! لكسب التعـاطف والتأييد لإيران والتغطية على جرائمها في سـوريا والعـراق واليـمن، والذي يستهين بأثر هذه المساعدات الإيرانية لماذا يغضب من توزيع الكنائس وجبات وطرودًا على فقـراء المـسلمين لاسـتمالتهم للتنـصّر ومدح الصليب بعد ذلك؟؟

٣ – نشاطات حركة الصابرين الشيعية وزعيمهـا المتـشيع هـشام سـالم، إذ لا يختلـف اثنـان عـلى أن الحركـة هـي أداة إيرانيـة داخـل قطـاع غـزة، وبـديل جـاهز عـن حركـة الجهـاد إذا حاولـت الابتعاد قليلًا عن إيران.

وقـد أقامـت هنالـك عـدة نـشاطات مـشبوهة في عـام (٢٠١٧)، منها:

أ- إقامـة مخـيم كـشفي بعنـوان: «فتيـة آمنـوا» لمـدة أسـبوع للفتيان، ولن نستغرب إذا تبيّن في المستقبل أن هـؤلاء الفتيـان تـشيع بعضهم، وأخـذ يـسبّ الـصحابة وأبـا بكـر وعمـر، بـسبب البـرامج الثقافية التي تقـدم لهـم في هـذه المخـيمات والمعـسكرات! فهكـذا تـم تشكيل الحوثيين وغيرهم في بلاد أخرى.

ب- إحياء فعاليات يوم القدس الخميني، فقد جـاء في بيـان للـصابرين: «أحيـت لجنـة الفعاليـات في حركـة الـصابرين نـصرًا لفلـسطين «حِـصْن» يـوم القـدس العـالمي؛ الـذي أعلنـه مؤسـس الجمهورية الإسلامية الإيرانيـة الإمـام الخميني، ويـصادف الجمعـة الأخيرة من شـهر رمـضان الكـريم، وذلـك مـن خـلال العديـد مـن الأنشطة الإعلامية والميدانية في قطاع غزة».

جـ- زيارات حركـة الـصابرين للبيوتـات الغزيـة: إذ زارت لجنة التواصل في الحركة مع زعيمها المتشيع هشام سالم عائلة القائد مـصعب الخـير الـسكافي؛ الـذي قتـل في العـدوان عـلى غـزة عـام (٢٠١٤)، وقيـادة حمـاس خـير مـن يعـرف أبعـاد وغايـات هـذه الزيارات! وأنها تهدف إلى مد النفـوذ وكسب الـولاء عـبر التـضامن المادي والمعنوي.

هذه عينة لـبعض التحركـات والاختراقـات الـشيعية التي حصلت في قطاع غزة في عام (٢٠١٧)؛ والتي قد تبدو بسيطة وغير مهمة، لكن قيادة حماس وكل عامل في الشأن العـام وكـل مـن يعرف أبعاد المشروع الشيعي الإيـراني **يعـرف أن هـذه التحركـات البسيطة هـي مـصدر خطـر في المـستقبل**، فكـما ظهـرت حركـة الصابرين مِن أنشطة بسيطة كهذه لحركـة الجهـاد، سـيكون لأنـشطة الصابرين وأخواتها صدى في المستقبل.

فالأمر مقلـق وخطـير إن لم تتخـذ إجـراءات فعالـة لوقـف هذا التمدد، وإن كان المبرر هـو الحاجـة للمـساعدات؛ فهـل تكـون هذه المساعدات على حساب عِرض الصحابة وأمهات المؤمنين؟

فالنصر والتأييد أولًا وأخيـرًا مـن الله، وهـو خـير النـاصرين، ومَن ترك شيئًا لله عوّضه الله خيرًا منه.

لماذا يحاربون «صحيح البخاري»؟! (١)

فادي قراقرة- كاتب فلسطيني

خاص بـ «الراصد».

تمهيد:

لا شك أن «صحيح البخاري» قد حاز الرتبة العليا والقبول؛ حتى اتفقت الأمة على حجيّته وعلو رتبته، كونه أعلى وثيقة حديثية روت لنا سنة النبي ﷺ، ولذا كان محط أنظار علماء الحديث في كل عصر ومصر؛ حتى قال فيه الإمام الجويني وفي صنوه «صحيح مسلم»: «لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكما بصحته من قول النبي ﷺ؛ لما ألزمته الطلاق، ولا حنثته؛ لإجماع علماء المسلمين على صحتهما»[(١)].

وهذه نتيجة حتمية بطبيعة الحال لما اعتمده «صحيح البخاري» من منهجية علمية بالغة الصرامة في قبول الحديث، عُرِفَت باسم: شرط البخاري[(٢)].

من هنا نال «صحيح البخاري» موقع المركزية والمصدرية في علم الحديث الشريف، وفي نفس الوقت كان له الدور البارز في استعداء جموع الباطل لإسقاط «صحيح البخاري»، فكونه أعلى وثيقة مقبولة بين المسلمين جعلت من إسقاط هيبته بوابة لهدم السنة النبوية؛ لأن الطعن في «صحيح البخاري» يعني بالضرورة: الطعن في كتب الحديث الأخرى من باب أولى، وهو تحصيل حاصل.

ومع هدم السنة النبوية يسهل الاستفراد بالقرآن الكريم؛ إما بتحريف الفهم الصحيح للقرآن جملة وتفصيلًا؛ والذي يعتمد على السنة النبوية، أو بالطعن بالقرآن الكريم نفسه، وهكذا فإن نظام الإسلام بكامله يختلّ وينهدم! هذه حقيقة خطورة استقصاد هدم البخاري من أعداء الملة.

البداية:

لم تتوقف المعركة على هذا الدين منذ مبعث النبي ﷺ؛ بالحرب العسكرية أو الحرب الفكرية، وقد سجل القرآن الكريم العديد من نماذج الحروب الفكرية ضد الإسلام كقوله ﷻ: { سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [البقرة:١٤٢].

ومن هذه الحروب الفكرية ضد الإسلام: الطعن في السنة النبوية، وبداية الطعن في حديث النبي ﷺ تعود جذورها إلى يوحنا الدمشقي النصراني المتوفى سنة (١٣٢هـ)، وهو رائد لعدوان الفكري على الإسلام؛ حيث قال: «نحن نسأل: كيف يكون أن نبيكم لم يأت بهذه الطريقة؛ عن طريق حدوث أن آخرين يتحملون الشهادة له، ولا حدث مثلما حدث في قضية موسى؛ أن الله أعطى له الشريعة بينما كان الناس ينظرون والجبل كان داخل الدخان؟»[(٣)].

وهكذا؛ فإن يوحنا الراهب ينطلق من ذات المنطلق الذي يستخدمه الطاعنون في السنة على اختلاف أذواقهم، فبينما هو يستخدم قاعدة التشكيك بالرواة والشهود لتكون له مدخلًا لإنكار نزول الوحي على النبي ﷺ، يستخدم غيرُه ذات القاعدة للطعن في السنة، بل وبعضهم يصرّح بالتشكيك بصحة الوحي تبعًا ليوحنا الراهب.

---

(١) «صيانة صحيح مسلم»، أبو عمرو بن الصلاح، (ص٨٦).

(٢) تفصيل هذا الشرط موجود في كتب علم الحديث المتخصصة.

(٣) ينظر: «يوحنا الدمشقي رائد العدوان الفكري على الإسلام»، د. علي الغامدي، (ص٦٧).

فالتشكيك في نقلة الحديث والتشكيك في حجية الحديث إنما هي بدعة نصرانية ظهرت على يد الراهب النصراني يوحنا الدمشقي.

وهكذا؛ فإن مَن جاء بعده استفاد منه ولا ريب، فالشبه هي هي، والمراد: تشكيك المسلم بصحة ما جاء به نبيه، أو قطع الطريق عليه بتشكيكه بصحة نسبة السنة للنبي ﷺ، وهكذا فإن الثمرة متحققة بكلا الحالتين.

ثم تلقفها مَن جاء بعده؛ مِن اليهود والنصارى، ومَن خرج من رحمهم من المستشرقين، ثم الرافضة والحداثيين والعلمانيين وأضرابهم:

فكان من أولهم: اليهود والنصارى، وفيهم المستشرقون الذين شنوا ضد السنة حرب وجود؛ كعادتهم في الطعن بالإسلام وحربه، وكما قال ربنا: { وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ } [البقرة:١٢٠]، فكان منهم في هذا الشأن اليهودي إجناتس جولدتسيهر (١٨٥٠م-١٩٢١م)؛ الذي كتب كتابه «دراسات محمدية»، وتلميذه البار به جوزيف شاخت الألماني[١]، وكل من أتى بعدهم اعتمد على آرائهم التي دوّنوها في كتبهم.

تبلورت هذه الأفكار لتصبح فكرًا مؤسسيًّا غربيًّا، هدفه: النيل من السنة عمومًا، فـ «مؤسسة راند الأمريكية» التي حملت راية تشويه الإسلام، بادرت في تقريرها المسمى بـ (إسلام حضاري ديمقراطي) تحت عنوان: (الحروب بين أحاديث السنة النبوية) بموافقة المقررات اليهودية الاستشراقية، حيث تعرضت للسنة عمومًا في تقريرها؛ فقد عمل التقرير على توهين قيمة السنة، والتشكيك بصحة مضمونها بطريقة عبثية، فيها حطّ من معنى البحث العلمي، حيث وصفت السنة بأنها عبارة عن قصة تتعلق بأقوال أو أفعال الرسول، يغلب عليها الطابع الشعبي، وتأخذ مصداقيتها من خلال كثرة تكرارها بين الناس فقط[٢].

ومن نافلة القول: إن مصادر هذه الفرية التي بثتها «مؤسسة راند الأمريكية» في تقريرها مأخوذة من مقالات لأحد منكري السنة المدعو: أحمد صبحي منصور؛ الذي ما توقف ليلًا ولا نهارًا عن الطعن في السنة عامة، أو في «صحيح البخاري» خاصة[٣].

هذه حقيقة الإسلام الذي يريده الغرب، وهو ظاهر جدًّا من عنوان تقرير «مؤسسة راند»: (إسلام حضاري ديمقراطي)!!!

وثانيهم: الرافضة، وإن كانوا أسبق من المستشرقين المعاصرين في الطعن في السنة؛ حيث قال السيوطي فيهم: «وأصل هذا الرأي الفاسد: أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة والاقتصار على القرآن»[٤]، إلا أن شبهاتهم المعاصرة لم تخرج عما سنّه لهم جولدتسيهر اليهودي ورفقاء طريقه، وللرافضة المعاصرين مؤلفات في الطعن في «صحيح البخاري» منها -على سبيل المثال-: ما كتبه فقيه الطائفة شيخ الشريعة الأصبهاني (١٢٦٦-١٣٣٩هـ) بعنوان: «القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع»[٥].

وثالثهم: الحداثيون والعلمانيون وأصحاب المناهج اللاعقلانية؛ ابتداءً من مدرسة جمال الدين الأفغاني ومَن سار على دربها؛ كأحمد أمين، أو من جاء بعدها؛ كأبي رية وبعض معاصريه، ومن ثَمَّ علمانيو زماننا أصحاب المناهج العقلية الغربية؛ كأركون وحسن حنفي وشحرور، وهؤلاء تتفق كلمتهم مع المستشرقين تمامًا، فالمصدر واحد؛ أغلبه من اليهودي (جولدتسيهر).

---

(١) في كتابه «أصول الفقه الإسلامي»، من منشورات دار الكتاب اللبناني.

(٢) «التقرير» (ص٦٣).

(٣) «الإسلام الذي يريده الغرب»، د. صالح كساب الغامدي، (ص١٣٩).

(٤) «مفتاح السنة في الاحتجاج بالسنة» (ص٣).

(٥) من منشورات مؤسسة الإمام الصادق، (١٤٢٢هـ).

والذين شنوا هجمات عديدة على البخاري خاصة والسنة بعامة بلغت بهم الوقاحة أن كتب أحدهم واصفًا أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه في «صحيح البخاري ومسلم» بأنها: «غريبة خالية من كل مضمون فكري أو علمي أو اجتماعي أو ديني، وليس فيها سنة ولا تشريع، ولا شيء يفيد المسلمين في دينهم ودنياهم»[(١)].

ومع كل ذلك؛ فإنه لم يُكتب لهجماتهم الظالمة والمفترية القبول والنجاح، ولقد اعترف العلمانيون بأزمتهم في حرب السنة والطعن فيها، فها هو أحدهم يقول: «كان جليًّا أن موقف إنكار السنة لم تكن له حظوظ في الانتشار والقبول»[(٢)]، إلا أنه لم يدب فيهم الوهن ليتوقفوا عن باطلهم ولم ييأسوا منه؛ كما قال ربنا: { أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا } [مريم:٨٣].

وقد كتب العلمانيون في نقد «صحيح البخاري» كتبًا عديدة، مثل:

ما كتبه محمود أبو رية: «أضواء على السنة المحمدية».

وما كتبه حسن الصباغ: «صحيح البخاري رؤية معاصرة».

وما كتبه صالح أبو بكر: «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية، وتطهير البخاري منها».

وما كتبه زكريا أوزون: «جناية البخاري - إنقاذ الدين من إمام المحدثين».

وغيرها من الكتابات؛ التي ستظهر معنا بعض أسمائها في المقالات الآتية - إن شاء الله -.

والناظر بشكل عام لهذه الكتب التي تعرضت لنقد السنة عامةً أو «صحيح البخاري» خاصة سيجد أن هذه الكتب تجتر أفكار جولد تسيهر اليهودي، فالمادة هي هي؛ مع اختلاف الصياغة فقط!

فما هو الفارق بين افتراء جولدتسيهر (اليهودي) الذي يقول: «ولا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم؛ هذه إما قالها الرسول، أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى»[(٣)]، وبين ما يفتريه حسن حنفي في مقدمته لكتابه «علوم الحديث من نقد السند إلى نقد المتن» في مقدمته والتي سماها: (نقد المصادر)!!، قائلًا: «الهدف من هذه المقدمة **هو: ضياع إرهاب علم الحديث باعتباره عِلمًا مقدسًا**، وبيان أنه مِن وضع المحدثين بأهوائهم ومذاهبهم وأهدافهم»[(٤)]، أو ما ذكره حسن الصباغ من كون أحاديث النبي ﷺ غير ملزمة ولو صحت عنه؛ لأنه بشر!!![(٥)]

حتى قال البرفسور ج. روبنسون: «لا يُنكر جولدتسيهر بالكلية وجود أحاديث صحيحة ترجع إلى القرن الأول؛ بل حتى إلى فم النبي نفسه»[(٦)].

فالشبهات هي هي، والنتيجة واحدة؛ نصّ عليها حسن حنفي، مع اختلاف الصياغة فقط، هذا فيما يخص التقليد الذي أنتجه من باعوا عقولهم لليهود والطاعنين في هذا الدين.

وفي هذا المشهد تبرز هنا - أيضًا - قضية أخرى لا تقل أهمية عمّا سبق ذكره؛ ألا وهي: مسألة التخصص، فإن الغالب على الطاعنين في «صحيح البخاري» أنهم ليسوا من أهل التخصص العلمي في هذا المجال - أي: المجال الحديثي -، والمستمع لهذا

---

(١) «تدوين السنة»، الريس للنشر، (ص٢٧٤).

(٢) «السنة بين الأصول والتاريخ»، حمادي ذويب، (ص٧١).

(٣) «العقيدة والشريعة في الإسلام»، دار الكتب الحديثة، (ص٤٩).

(٤) وكتابه هذا من سلسلة له أسماها: (من النقل إلى العقل)!!! وكلامه في (ص٧).

(٥) «صحيح البخاري رؤية معاصرة»، دار الينابيع، (ص٢١٩).

(٦) «Muslim traditions»، (ص٩٥).

الطعن ليس من أهل التخصص أيضًا، فكيف يصح لغير المتخصص أن ينتقد علمًا تخصصيًّا، وينقل نقده لمن لم يفهم أبجديات هذا العلم؛ فيقبله ليصبح عنده بعد حين من المسلّمات؟!!

وفي مقابلهم ترى الذي يحترم عقله وعلمه من أصحاب القلم التخصصي يشهد لصحة المنهجية المتبعة في توثيق السنة وكتب الحديث بشكل عام، رغم كونه غير مسلم أصلًا؛ إلا أن موضوعيته واحترامه لِعلمه وعقله يلزمه أن يشهد شهادة حق، ألا وهو الأستاذ العلامة أسد رستم اللبناني (النصراني)، ففي كتابه «مصطلح التاريخ» الذي تحدث فيه عن بداية عهده بهذا العلم؛ حيث أنه عاد من جامعة شيكاغو سنة (١٩٢٣م) ليدرّس علم المثودولوجيا[١] في جامعة بيروت، إلا أنه لم يجد مراجع عربية في أول الأمر، مما اضطره لتدريسها بلغاتها الأجنبية، ولما رجع إلى كتب مصطلح الحديث للاستعانة بمصطلحات المحدثين ليربط هذا العلم (المثودولوجيا) باللغة العربية لأول مرة عبر علم مصطلح الحديث، حيث قال: «أكببت على مطالعة كتب المصطلح، وجمعت أكثرها، وكنت كلما ازددت اطلاعًا عليها ازداد ولعي بها وإعجابي بواضعيها»![٢]

ثم يقول: «والواقع أنه ليس بإمكان أكابر رجال التاريخ في أوروبا وأمريكا أن يكتبوا أحسن منها في بعض نواحيها، وذلك على الرغم من مرور سبعة قرون عليها، فإن ما جاء فيها من مظاهر الدقة في التفكير والاستنتاج، تحت عنوان: «تحري الرواية والمجيء باللفظ» يضاهي ما ورد في الموضوع نفسه من أهم كتب الفرنجة في ألمانيا وفرنسا وأمريكا وبلاد الإنجليز»[٣].

بل بلغ في ثنائه أن قال: «ولو أن مؤرّخي أوروبا في العصور الحديثة اطلعوا على مصنفات الأئمة المحدثين لما تأخروا في تأسيس علم المثودولوجيا حتى أواخر القرن الماضي»[٤].

وهو الواقع؛ حيث أن هذا العلم -بمقدماته وأصوله ومسائله القطعية- فاقت حجيّته وقواعده ما استنبطه علماء غربيون في مناهجهم التاريخية التي تعتمد على خبر الراوي في تقرير صحة المسائل التاريخية، وهو ما يسمونه بالنقد الخارجي[٥]، وفيه يقول أسد رستم: «إن المثودولوجيا الغربية التي تظهر اليوم لأول مرة بثوب عربي، ليست بغريبة عن مصطلح الحديث، بل تمتّ إليه بصلة قوية؛ فالتاريخ دراية أولًا ثم رواية»[٦].

في الواقع ومما ينبغي تقريره (أن الإنسان عدو ما يجهل)! فها هم بعض المسلمين من الذين بيننا ويشاركوننا صَلاتنا وصيامنا يرددون في نقاشاتهم شبهات بني يهود ومَن وافقهم في الطعن في السنة أو الطعن في «صحيح البخاري» وغيره من كتب السنة، بحجج واهية لا حقيقة لها.

وهذا ما سنراه -إن شاء الله- في الحلقات القادمة.

(١) علم موصوف منهجي تسير عليه عامة الدراسات التاريخية الحديثة الغربية، ويسمى: (المنهج الاسترادي التاريخي).

(٢) «مصطلح التاريخ» (ص٤٦).

(٣) المرجع السابق، (ص٤٧).

(٤) المرجع السابق.

(٥) للدكتور عبد الرحمن السلمي كتاب بعنوان: «المنهج النقدي عند المحدثين وعلاقته بالمناهج النقدية التاريخية»، من مطبوعات مركز نماء، قارن فيه بين المناهج الغربية النقدية للتاريخ وبين طريقة المحدثين.

(٦) المرجع السابق.

مهمات الحشد الشعبي في العراق

صباح العجاج- كاتب عراقي

خاص بـ «الراصد».

منذ أن سقط العراق سنة (٢٠٠٣) على يد الاحتلال الأمريكي وتمّ تسليمه إلى إيران على طبق من ذهب؛

استخدمت إيران جميع الوسائل لإحكام قبضتها للسيطرة على العراق، والتخلّص من بقية القوة المعارضة لوجودها وهيمنتها، مثل: العرب السُّنة والكرد، المنافسة للوجود الشيعي التابع لإيران.

أما الكرد؛ فأحلام القومية وحلم تأسيس الدولة أنساهم سُنّيتهم، وخططوا مع القوى الشيعية ضد إخوانهم السُّنة لتثبيت مصالحهم، ونسوا أنّ الدور قادم عليهم؛ ولو بعد حين!

أما القوى السُّنية العربية؛ فقد ركّزت على مقاومة المحتل الأمريكي، وتغافلت أو أجّلت مقاومة المحتل الإيراني المؤيد من أغلب الشيعة في العراق، ومع الانسحاب الأمريكي عام (٢٠١١) شعرت القوى المقاومة السنية أن وظيفتها انتهت، وثمرتها ليست لها، وأنها أخرجت المحتل الأمريكي لصالح الاحتلال الإيراني، وأن العراق أصبح شيعيًّا، وتحت الهيمنة الإيرانية!

كان مخطط إيران في العراق تنفذه الأحزاب الشيعية الدينية، وشخصيات شيعية علمانية مثل: أحمد الجلبي، لكن إيران شعرت أن إمكانيات العراق المالية والنفطية العالية قد تجعل بعض التنظيمات الشيعية ترغب عن التبعية لإيران.

كما أنه ليس كل التوجهات الشيعية تتبع لإيران؛ فهناك من لا يؤمن بفكرة ولاية الفقيه، وهناك آراء شيعية تختلف مع إيران؛ كالشيرازيين (الرساليين)، وهناك من يريد أن يتعامل مع إيران كصديق وحليف وليس كتابع؛ كبعض تيارات حزب الدعوة.

وكل ذلك مرفوض إيرانيًّا؛ فهي تريد العراق كتابع وأداة لها فحسب، فلا بد من أن يرضخ الجميع لأفكارها ومشروعها حتى لو على حساب مصالحه الخاصة، وهذا لب نظرية أم القرى لمحمد جواد لاريجاني.

لذلك تعاملت إيران مع مرحلة ما بعد الاحتلال كمرحلة مؤقتة، ولا بدّ من الانتقال لمرحلة جديدة، تؤسس للسيطرة على العراق بأدوات جديدة إضافة للأدوات القديمة.

◙ مقدمات تأسيس الحشد الشيعي:

لما كانت الفكرة الإستراتيجية التي قامت عليها الثورة الإيرانية وهي فكرة الحرس الثوري الذي تأسس كقوة عقائدية ترتبط بقائد الثورة ومرشدها الخميني لحماية الثورة وعدم الركون على الجيش؛ فتأسس الحرس الثوري بعد قيام الثورة بأشهر وذلك سنة (١٩٧٩)؛ والذي قمع بوحشية بالغة كل من عارض الثورة أو اعترض عليها[١].

ووقد تم تكرار التجربة في لبنان بنجاح؛ فقد قضي على موسى الصدر، وتم تصفيته، وقضي على أقدم حزب شيعي في لبنان وهو: حزب الدعوة، ومن ثم تم تحجيم منظمة أمل، وإنشاء حزب الله على يد الحرس الثوري؛ ليكون تابعًا لإيران عقيدةً وسلوكًا؛ من أجل الهيمنة على القرار اللبناني.

وجاءت بعدها تجربة الحوثيين في اليمن؛ لولا أن الله سلّط عليهم التحالف الخليجي بقيادة السعودية.

والآن تتكرر الحالة في العراق؛ من خلال الحشد الشعبي/الشيعي.

◙ مخطط نشوء الحشد الشعبي الشيعي:

شعرت إيران أن أمريكا من الممكن أن تسرق نصرها في العراق، فعندما فاز السنة في انتخابات (٢٠١٠) بـ (٩١) مقعدًا شعرت إيران أنها من الممكن أن تخسر هيمنتها بالعراق، وأنه لولا وجود مفاوضات أمريكية إيرانية لما بقي المالكي لفترة ثانية، كما أنها قلقت من محاولات إزاحة حليفها المالكي من سدة الحكم طوال مدته الجديدة لأربع سنوات؛ وساهمت مظاهرات السُّنة بين عامي (٢٠١٣-٢٠١٤) في إرباك نفوذهم في العراق؛ لذلك بحثت إيران

---

(١) (الحرس الثوري الإيراني: نشأته وتركيبته وأدواره)، يوسف عزيزي، «صحيفة العرب»، (١٣ سبتمبر ٢٠١٧).

عن مخرج ينقذها؛ فاستخدمت قواها وأذرعها الأخرى.

حيث تمتلك إيران علاقة وطيدة مع الجماعات المتطرفة -كالقاعدة وغيرها-؛ لذلك بدأ نوري المالكي بإخراجهم من السجون تحت غطاء وستار عمليات الهروب، وبالتعاون مع مخابرات النظام السوري تم توجيههم للعودة للعراق وتواجدهم في ساحات المظاهرات خصوصًا، وحثّت إيران حلفائها من السنة من أمثال: أحمد أبو ريشة على تجميعهم في أماكن معينة في ساحات الاعتصام ومدهم بالسلاح، وقدّمت قطر في وقتها ملايين الدولارات لبعض المغررين السُّنة لتسليح المظاهرات، مما يبرر تصفية المظاهرات بحجة عسكرتها!

وفعلًا؛ فقد هاجم جنود المالكي مطلع عام (٢٠١٤م) ساحات الاعتصام، وأنهوا اعتصام السنة في الأنبار، ونشبت حرب في محافظة الأنبار بين قوى العشائر والقاعدة ضد الحكومة.

أما حكومة المالكي التي مهدت بذكاء لهذا الأمر؛ فبعد أشهر ظهرت داعش تحت غطاء وذريعة حماية أهل السنة من بطش حكومة المالكي، فزحفت داعش على الموصل منتصف (٢٠١٤م)، وانسحب الجيش العراقي من بأمر المالكي، وانتصرت داعش وفرح السنة!

وعلى صعيد الشيعة؛ بدت القوى الحكومية العسكرية عاجزة أمام العراقيين والشيعة تحديدًا، وأصبح المناخ يتطلب خلق بطلًا جديدًا منقذًا للعراق -أو الشيعة على وجه الدقة- من داعش؛ فكانت فتوى السيستاني جاهزة للجهاد الكفائي، ونشوء الحشد الشعبي الشيعي!

وهكذا نشأت قوة شيعية جديدة؛ متعددة المكونات، وترتبط بإيران، ولها قياداتها الرباعية: نوري المالكي، أبو مهدي المهندس، هادي العامري، قيس الخزعلي، وهؤلاء الأربعة يتبعون مباشرة للحرس الثوري الإيراني، دون المرور بالجهات الشيعية العراقية الحاكمة.

وجرى تقوية الحشد، وأصبح تعداده يفوق (١٠٠ ألف) شخص برواتب، ودخل الحشد معارك وحقق انتصارات، وأصبح تسليحه يفوق تسليح الجيش العراقي.

ولما ضغطت الدول العربية وأمريكا على الحكومة العراقية لتجنب مشاركة الحشد الشعبي الشيعي؛ بسبب جرائمه الطائفية، وعدم التزامه بالقوانين؛ جرى الالتفات على تلك المطالب بالتصويت على ضم الحشد الشعبي لقوات الحكومة العراقية، فأصبح مكونًا رسميًّا، ويتقاضى أفراده رواتبهم من الحكومة العراقية.

◙ ما هي وظيفة الحشد الشعبي؟

ليست وظيفة الحشد الشعبي -كما يتصور العراقيون- تخليص العراق من داعش، وإنما هو: الهيمنة على الدولة لصالح أوامر الولي الفقيه الإيراني؛ على غرار دور حزب الله اللبناني؛ وذلك بعد أن أصبحت القوى الشيعية الموالية لإيران -كفيلق بدر وحزب الله العراقي- قوى غير مرغوب بها محليًّا وإقليميًّا، وبعد أن أخذت الأحزاب الشيعية تتصارع فيما بينها على حساب مصالح إيران في العراق، مما استدعت المصلحة الإيرانية إيجاد جهة شيعية عراقية ترتبط بإيران مباشرة واستراتيجيًّا، وتقدم مصالح إيران على مصالح العراق أو مصالحها الخاصة؛ لذلك اختيرت هذه القيادات الشيعية الأربعة؛ كما اختير حسن نصر الله وأبعد صبحي الطفيلي في لبنان، وكما اختير عبد الملك الحوثي ليحذو حذو نصر الله اللبناني.

◙ مهمات الحشد الشعبي في العراق:

للحشد عدة مهام عدة في العراق والمنطقة، وهو اليوم قوة شيعية تطلق تصريحات مستقلة عن الحكومة العراقية وتساند إيران بشكل معلن، في مواقفها داخل العراق وخارجه.

ومن مهامه:

• **التخلّص من داعش في المرحلة الحالية**، ومساندة الحكومة وجيشها، وتحقيق نصر يحسب له ويمنحه الشرعية الشعبية وشرعية الانتصار والإنجاز؛ على غرار مسرحيات حزب الله اللبناني!

وهذا ما حصل في ديالى[1]**، وتكريت، والأنبار، ونينوى، ومعركة تلعفر**، وأصبح العراقيون يتغنون بالحشد وأنه منقذهم من داعش؛ برغم أنه صنيعة إيرانية في الأصل، لكنه كرت انتهى دوره إيرانيًّا في العراق.

• **ومن مهامه كذلك: تدمير المناطق السُّنية لوجود رغبة انتقام إيرانية بذلك**؛ لذلك دمّرت الرمادي، والموصل، بينما لم تدمر تلعفر لوجود شيعة بها؛ ولأنها ستعود لقيادات شيعية، وقد تدمر الحويجة لأنها منطقة سنية، وكذا مدن غرب الأنبار؛ كعانة والقائم ، وغيرهما من المدن.

• **ومن مهامه اليوم: محاربة الأكراد**، فإيران لا تريد انفصالًا كرديًّا خوفًا على بلدها؛ لذا أصدر الحشد الشيعي تهديدات بأنه مستعد ليدخل في حرب مع الأكراد لصالح إيران.

• **منع أي شيعي أو سني من محاربة هيمنة إيران أو الحكم الشيعي في العراق**، وربما تصفيته.

• **دعم بشار الأسد**، وتسهيل فتح الطريق للقوات الإيرانية للتنقل بين العراق وسوريا دون معوّق.

• **تنفيذ فرض التغيير الديمغرافي لصالح الشيعة بالعراق**؛ كما فعل في منطقة جرف الصخر، وفي محافظتي ديالى وصلاح الدين.

• **تهديد القوات الأمريكية والتركية داخل العراق**؛ نيابة عن إيران.

• **ومن مهامه غير العسكرية: تشكيل أحزاب سياسية تابعة لإيران**؛ لتكون بديلًا عن الأحزاب الشيعية القائمة.

• **ايصال رجال إيران عبر الانتخابات ليكونوا في البرلمان**، وفي سدّة الحكم بشكل مباشر.

• **تشكيل قوى سنية عسكرية عميلة له**؛ لضرب أي وجود عسكري سني مناهض لإيران في العراق.

• **معاقبة كل سُني -وإن كان عَميلا لإيران- يفكر في التعامل مع أمريكا أو غيرها ضد إيران**؛ كما حصل لأبي مازن أحمد الجبوري -محافظ صلاح الدين-؛ الذي كانت نهايته في السجن بأمر أبي مهدي المهندس!

أو عندما لعب سليم الجبوري خارج السرب الإيراني؛ فسُحب منه محافظ الأنبار صهيب الراوي، وانفصل عنه مرشحه محافظ نينوى نوفل العاكوب؛ ليشكل حزبًا تابعًا لإيران!

هذا غيض من فيضٍ من مهام الحشد الشعبي العسكرية والسياسية في عراق ما بعد داعش، وستكشف الأيام القادمة مهام أخرى لهذه القوى الجديدة في العراق.

(١) في ديالى تم تسليم المحافظة بصفقة مالية مع داعش بمليار دولار، دفعها هادي العامري، وانسحبت داعش!

المؤتمر الدولي للطريقة التجانية في دارفور.. البحث عن موطئ قدم

د. محمد خليفة صديق- كاتب سوداني

مقدمة

يشهد التصوف في السودان تراجعًا يوميًّا من حيث عدد الأتباع وتناقص الملتحقين بسلك التصوف، مما استدعى أن تسعى الطرق الصوفية بكل السبل للتصدي لهذا التراجع الكبير، في ظل تنامي الحراك السلفي ومظاهر التدين السُّني، وسيطرته على مظاهر التدين ووسائل الإعلام والمنابر الدعوية والإرشادية في البلاد.

ووصل الأمر والشكوى من ذلك لرئيس الجمهورية؛ حيث زار وفد من قيادات وزعماء الطرق الصوفية منزل الرئيس، شاكين مما وصفوه بمحاباة الدولة للسلفيين على حساب الصوفية.

وقد جاء تنظيم ولاية شمال دارفور للمؤتمر الدولي الأول للطريقة التيجانية ليصبّ في ذات المنحى؛ حيث تريد الدولة السودانية إثبات أنها لا تحابي السلفيين، وأن أبواب البلاد مفتوحة لعقد مثل هذه التجمعات الصوفية العالمية؛ والتي تحظى برعاية رئاسة الجمهورية، حيث حضر ختام المؤتمر نائب رئيس الجمهورية السيد حسبو محمد عبد الرحمن.

نعرض من خلال هذا المقال للوجود الصوفي في دارفور، ووجود الطريقة التيجانية تحديدًا في هذا الإقليم، والدور السلبي للتجانية تاريخيًّا في خدمة الاستعمار، كما يلخص المقال بعضًا مما جاء في المؤتمر الذي يرمي لنشر التصوف في دارفور خصوصًا، والسودان عمومًا؛ حيث دعا المؤتمر الدولي للطريقة التيجانية لنشر أوسع للخطاب الصوفي، وضرورة إدخال النظام الصوفي في المناهج الدراسية على كافة المستويات، وطالب بتكوين هيئة صوفية عُليا، تعنى بالتنسيق بين الطرق الصوفية في السودان والعالم.

◙ دارفور والصوفية والتيجانية:

يقع إقليم دارفور في أقصى غرب السودان، ويتكون من خمس ولايات هي: شمال وجنوب وشرق ووسط وغرب دارفور، وتبلغ مساحته (٥١٠ ألف) كيلو متر، واسم «دارفور» نسبة «موطن»، أي: «دار» قبائل «الفور»؛ التي وفدت منذ مئات السنين إلى غرب السودان، وسبق مجيئها إلى غرب السودان مجيء العرب المسلمين، ولكن قبائل الفور وقبائل دارفور الأخرى دخلت الإسلام أسوةً بملايين الأفارقة جنوب الصحراء؛ وذلك بلا فتوح عسكرية، على أيدي التجار والعرب الرحّل، وتكونت فيها ممالك إسلامية ذات تاريخ مثل: مملكة الفور، والتي اشتهر سلطانها السلطان علي دينار؛ الذي كان يرسل كسوة الكعبة والمحمل الشريف من عاصمته الفاشر إلى الأراضي المقدسة.

وأهل دارفور يتبعون -مثل قطاع واسع من السودانيين- مذهب الإمام مالك فقهيًّا، ويشتهر أهل دارفور باتّباعهم لبعض الطرق الصوفية؛ حيث يتبع عدد كبير منهم الطريقة التيجانية التي ينتشر أفرادها في المنطقة الممتدة من السنغال حتى السودان، ومؤسس الطريقة التيجانية هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد سالم التيجاني، المولود في قرية عين ماضي بصحراء الجزائر، وعاش في الفترة ما بين (١١٥٠-١٢٣٠هـ).

ويؤمن أتباع التيجانية بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي ﷺ مقابلة مادية، واللقاء به لقاءً حسيًّا في هذه الدنيا، وأن النبي ﷺ قد خصّهم بصلاة (الفاتح لما أُغلق)! التي تحتل لديهم مكانة عظيمة، ويدّعون أن رسول الله ﷺ أخبر شيخ طريقتهم التيجاني بأن هذه الصلاة تعادل قراءة القرآن ستة آلاف مرة!

كما يؤكد شيخها لأتباعه أن النبي ﷺ ذاته قد ضمن له ولهم الجنة؛ يدخلونها بغير حساب ولا عقاب، ولذا ينتشر التكاسل الشديد بين أفراد هذه الطريقة والتقاعس في أداء العبادات والتهاون فيها، وهذا راجع لما يعتقدونه من إحراز الأجر والثواب العظيمين على أقل عمل يقوم به الواحد منهم.

وتوجد في دارفور -بجانب التيجانية- طائفة الأنصار والختمية والإسماعيلية والسمانية والبرهانية والقادرية، وهذه الطريقة القادرية لها طقوس يرى البعض تشابهها مع الشيعة وديانات الفرس، فهذه الطريقة تحتفظ بنار مشتعلة تسميها: «نار القرآن» منذ (١٦٣) عامًا لم تطفأ، وقد سميت المنطقة التي تشتعل بها هذه النيران بـ: «أم ضوًا بان»، أي: المكان المضيء، وهذه النيران

-التي تفتخر بها الطريقة القادرية، وتعدها من تراثها- تذكرنا بنيران مجوس فارس؛ والتي اشتعلت أكثر من ألف عام، وتم إطفاؤها على يد الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

◙ الدور المخزي للتجانية في خدمة الاستعمار:

يشير عدد من المصادر التاريخية إلى أن شيخ الطريقة التيجانية في الجزائر أيام الاستعمار، وصاحب السجادة الكبرى محمد الكبير قال في خطبة ألقاها أمام الكولونيل الفرنسي يسكوني في زيارة له: «إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا ماديًّا وأدبيًّا وسياسيًّا! ولهذا فإني أقول لا على سبيل المن والافتخار، ولكن على سبيل الاحتساب والتشرف بالقيام بالواجب: إن أجدادي قد أحسنوا صنعًا في انضمامهم إلى فرنسا، قبل أن تصل إلى بلادنا.

ففي سنة (١٨٣٨) كان أحد أجدادي -سيدي محمد الصغير رئيس التيجانية يومئذ - قد أظهر شجاعة نادرة في مقاومة أكبر عدو لفرنسا الأمير عبد القادر الجزائري، ومع أن هذا العدو -عبد القادر - حاصر بلدتنا (عين ماضي)، وشدد عليها الخناق ثمانية أشهر؛ فإن هذا الحصار تم بتسليمٍ فيه شرف لنا نحن المغلوبين وليس فيه شرف لأعداء فرنسا الغالبين؛ وذلك أن جدي أبى وامتنع أن يرى وجهًا لأكبر عدو لفرنسا، فلم يقابل الأمير عبد القادر..

وفي عام (١٨٧٠) حمل سيدي أحمد تشكرات الجزائريين، وبرهن على ارتباطه بفرنسا قلبيًّا؛ فتزوج من أوريلي بيكار»، وهي من عميلات المخابرات الفرنسية.

ونشرت صحيفة ذات صلة ببعض الطرق الصوفية، أيام الاستعمار تدافع عن هؤلاء العملاء، وتصفهم بأنهم: فرنسيون مخلصون! وتستشهد بما قاله بعض المرابطين: «إذا كنا أصبحنا فرنسيين فقد أراد الله ذلك، وهو على كل شيء قدير، فإذا أراد الله أن يكسح الفرنسيين من هذه البلاد فعل، وكان ذلك عليه أمرًا يسيرًا.. ولكنه كما ترون يمدهم بالقوة، وهي مظهر قدرته الإلهية، فلنحمد الله ولنخضع لإرادته».

◙ أعمال ومداولات المؤتمر الدولي للطريقة التيجانية :

بحضور أكثر من خمسين من كبار مشايخ وقيادات الطريقة التيجانية في أفريقيا وآسيا والسودان، وحضور عام يربو على الألفي شخص؛ بدأت أعمال المؤتمر الدولي الأول للطريقة التيجانية بمدينة الفاشر عاصمة ولاية شمال دارفور، وأبرز المشاركين هو: شيخ الطريقة التيجانية في العالم «علي بالعربي»؛ الذي حضر معه (٢٤) من كبار شيوخ التيجانية بالجزائر، بجانب شيخ الطريقة التيجانية بالسودان، ودارفور، كما شارك الشيخ أحمد محمد الحافظ التيجاني من مصر، وخمسة من التيجانية المصريين، ومن المغرب اثنان، واثنان -أيضًا- من تونس، وواحد من كل من ليبيا والسنغال وتشاد والنيجر وموريتانيا والأردن ونيجيريا وإندونيسيا ومالي.

وفي فاتحة أعمال المؤتمر شدّد ممثل الطرق الصوفية في السودان موسى عبد الله حسين على ضرورة توحد الطرق الصوفية واتباع الطريق القويم في سبيل قيادة العالم، واعتبر شيخ الطريقة التجانية بشمال دارفور -رئيس اللجنة العليا للمؤتمر- علي الشريف محمد التماسيني أن افتتاح الزاوية الكبرى للطريقة التجانية بمدينة الفاشر إضافة حقيقية للطريقة التجانية بالبلاد، وأنها ستسهم في تربية الأجيال على النهج القويم.

وقال مساعد رئيس الجمهورية في السودان إبراهيم محمود أن هذا المؤتمر يأتي بعد لقاء رئيس الجمهورية بمشايخ الطرق الصوفية في نهاية رمضان الماضي، والذي دعا فيه الرئيس إلى نبذ الخلافات، مُشددًا على أن المؤتمر يأتي لتعزيز الشراكة بين المؤسسات الرسمية والدعوية، وأن المؤتمر وسيلة فاعلة لمعالجة

الغلو والتطرُّف وتعظيم حرمة الدماء والنفس، وقال: «أهل التصوف هم الركيزة الأساسية للدعوة والأداة الجامعة للوسطية والدعوة من غير غلو».

ممثل الطريقة التيجانية في السودان الشيخ الشريف النذير أوضح أنّ التيجانية هي مَنهجٌ للعبادة، وتتكوّن من عُلماء ومَشايخ وخُلفاء ومُريدين، مُشيرًا إلى أنّ لخريجي الجَامعات والمَعاهد العُليا دورًا كبيرًا جدًّا في العلم.

مُؤكِّدًا أنّ الطريقة التيجانية تمثل تزكيةً للنفس والتآخي والتآلف والمَحَبّة بين الناس، مُطالبًا المسؤولين الاهتمام بالتصوف لإخراج جيل لا يعرف التفجير والانتحار، بل يعرف العبادة للحق ﷻ.

أما شَيخ الطريقة التيجانية في العالم علي بالعربي فقال: «إنّ هذا المؤتمر هو الأول من نوعه في شمال دارفور بالسودان»، مُوضِّحًا أهمية الدعاء لله بأن يرفع البلاء عن هذا البلد الطيب، داعيًا أهل السودان إلى الوحدة وأن يكون كالبنيان المرصوص، كَما دَعا الدول الإسلامية إلى الوحدة والتوحد.

وقد ناقش المؤتمر الذي استمر ليومين عددًا من الأوراق، من بينها: التصوف منهج الوسطية والاعتدال، وورقة عن الاعتدال في الإسلام، وأدب الاختلاف في الإسلام، وحقوق الإنسان في الإسلام، وحرمة الدماء ونبذ العنف، وورقة عن التراحم والتعارف، وورقة عن الأذكار التيجانية، وورقة عن حق التعبير وحقوق الإنسان.

وقد حضر الجلسة الختامية للمؤتمر السيد حسبو محمد عبد الرحمن -نائب رئيس الجمهورية-؛ حيث دعا في كلمته لاستخدام الدعاء الذي يعتبر (القنبلة النووية) -حسب تعبيره- لحماية المقدسات.

وجدد الدعوة لحاملي السلاح بالعودة إلى حضن الوطن والجنوح إلى السلام وإعمار دارفور، داعيًا في الوقت ذاته أهل السنة إلى توحيد صفوفهم لمواجهة العدو، مشيرًا بذلك إلى (الشيعة)، كما طالب الجميع بنبذ الجهوية والقبلية التي وصفها بالمرض.

وقال نائب الرئيس أنهم يعولون على الطريقة التجانية والطرق الصوفية في مساعدتهم في جمع السلاح من المواطنين في دارفور، ودعا لوحدة أهل القبلة وتجاوز الخلافات الجزئية، والدعوة إلى تعزيز الوسطية والاعتدال أسلوبًا للحياة؛ حتى يكون منهجًا لإزالة العنف اللفظي، ومنع الغلو والتطرف والتعصب.

وأكد وزير الإرشاد والأوقاف السوداني أبو بكر عثمان أن وزارته تولي اهتمامًا متعاظمًا بأهل التصوف، مشيرًا إلى إنها أنشأت المجلس القومي للذكر والذاكرين ليعنى بشؤون الطرق الصوفية.

◙ ختام المؤتمر الدولي وتوصياته:

اختتم المؤتمر الدولي للطريقة التجانية أعماله بالفاشر عقب يومين من المداولات بإعلان الفاشر للطريقة التجانية، حيث أوصى المؤتمر بدعوة الدول والمنظمات الإعلامية وكافة الجهات إلى توثيق ونشر القيم الإسلامية في كافة مناحي الحياة.

كما دعا قيادات التصوف إلى خلق المبادرات من أجل حقن الدماء ونشر الخطاب الصوفي.

وناشد المؤتمر جهات الاختصاص بضرورة إدخال التصوف في المناهج الدراسية على المستويات كافة، بجانب تعزيز دور المرأة في التزكية والنشاط الدعوي.

كما طالب المؤتمر بضرورة تكوين هيئة صوفية عُليا، تعنى بالتنسيق بين الطرق الصوفية بالسودان والعالم من أجل التواصل.

ونادى المؤتمر بضرورة إنشاء قناة فضائية وصحيفة يومية تكون لسان حال الصوفية، بالإضافة إلى إقامة كراسٍ علمية للتصوف ودراسة العقيدة الأشعرية بالجامعات، بجانب قيام هذا المؤتمر الدولي بشكل دوري كل عامين.

وأكّد المؤتمرون على حرمة الدماء ونبذ القبلية، والدعوة إلى الإصلاح بما يعزز أسباب الأمن، والحرص على وحدة الصف والاجتهاد في تقديم الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والتأكيد على إبراز دور التصوف في مواجهة الاستلاب الثقافي، وترسيخ القيم الروحية والوسطية والاعتدال في شتى مناحي الحياة السياسية والاجتماعية وغيرها.

كما دعا قيادة الطرق الصوفية لتحقيق المصالحات والسلام المجتمعي التأكيد على قيام مركز للتخطيط الدعوي لتدريب الشباب.

وحوى إعلان الفاشر الذي تلاه شيخ الطريقة التجانية علي الشريف الصغير الدعوة لترسيخ ثقافة التسامح والتصالح، ورتق النسيج الاجتماعي لتحقيق السلام المستدام في السودان عامةً، وفي دارفور على وجه الخصوص، إلى جانب التأكيد على حرمة الدماء ونبذ القبلية والتعصب بكل أشكاله، والمحافظة على روح السلم والأمن التي تنعم بها دارفور حاليًّا.

والدعوة للإسراع بجمع السلاح بما يعزز أسباب الأمن ويغلق أبواب الفتنة.

وضرورة الاعتصام بخطاب صوفي ووسطي معتدل موحد محليًّا وإقليميًّا، وتسخير وسائل الإعلام لنشر العلم والمعرفة، ومعالجة كل أسباب التطرف والغلو، علاوةً على الحرص على وحدة الصف واجتماع الكلمة بين أهل الدعوة واعتماد مبدأ الإعذار في الخلاف.

خاتمة

يلاحظ من خلال التوصيات والدعوات التي أطلقها المؤتمر الدولي للطريقة التجانية: أن هناك مساعي جادة وتخطيطًا حثيثًا لنشر الخطاب الصوفي في السودان ودارفور تحديدًا.

ويتضح ذلك من خلال الدعوة التي تبناها المؤتمر -أيضًا- لإدخال التصوف في المناهج الدراسية على المستويات كافة، وتكوين هيئة صوفية عُليا تعنى بالتنسيق بين الطرق الصوفية بالسودان والعالم؛ من أجل التواصل والتنسيق لنشر التصوف في العالم.

ويلاحظ تركيز المؤتمر في توصياته على الجانب الإعلامي والعلمي لنشر التصوف والعقيدة الأشعرية في السودان ودارفور، حيث نادى المؤتمر بضرورة إنشاء قناة فضائية وصحيفة يومية تكون لسان حال وناطقة باسم التصوف، بالإضافة إلى إقامة كراسٍ علمية للتصوف، ودراسة العقيدة الأشعرية بالجامعات.

من الأمور المستفادة من هذا المؤتمر: أنه لفت لضرورة إيلاء مزيد من الاهتمام من الدول العربية والإسلامية بالمواطنين في دارفور؛ حيث يجب أن تسعى المؤسسات الإسلامية والدعوية لأن تكون حاضرة بقوة في دارفور بمناهج عقدية أصيلة، ومصحوبة بجهد إعلامي كبير في وسائط الإعلام المتاحة من صحف ومجلات ورقية وإلكترونية، والاستفادة من الإذاعة والقنوات الفضائية في تسليط الأضواء على الجانب العقدي في قضية دارفور؛ التي تعاني -أيضًا- من هجمة تنصيرية وشيعية، مما يحتم ضرورة مواصلة العمل الجاد للتصدي لكل تلك المحاولات التي تجري على قدم وساق للتأثير على الصفاء العقدي لأهل دارفور.

الميليشيات الشيعية والطفولة.. انتهاكات يعلوها الصمت

أسامة الهتيمي- كاتب مصري

خاص بـ «الراصد»

يصاب كل متابع للشأن الإيراني بحالة من الدهشة الشديدة إزاء قدرة هذه الدولة والموالين لها من الشيعة العرب على وضع المخالفين لهم دائمًا في خندق الاتهام، ووصمهم بكل ما لدى إيران ومواليها من سبة ونقيصة! فينطبق عليهم المثل العربي القائل

«رمتني بدائها وانسلّت» فيما هم يَبدون وكأنهم الملائكة الطاهرون الذين لا يخطئون ولا يذنبون، الأمر الذي ينطلي على الآخرين الذين يخدعهم معسول الكلام، وخبث خطط الإعلام، وضعف أهل السنة وتشتتهم وافتقادهم لرؤية إستراتيجية موحدة في المواجهة التي قبل أن تكون عسكرية هي إعلامية فكرية أيديولوجية.

وتأتي حملة التشويه الشاملة التي شنّتها إيران والموالون لها ضد بعض التنظيمات المسلحة المحسوبة على السنة بشأن تجنيد الأطفال والمراهقين واستغلالهم عسكريًّا نموذجًا جليًّا يكشف مدى خبث إيران والموالين لها! ففي الوقت الذي استغلت فيه ما تورطت فيه هذه التنظيمات حول هذه القضية لتصدر للعالم كله صورة قميئة؛ ليس حول هذه التنظيمات فحسب، بل حول السنة كلهم، صورة سِمتها الأساسية انهيار المنظومة الأخلاقية والقيمية لديهم، في الوقت الذي تمارس فيه نفس الجرم بل بصورة أفظع وأقبح وأكثر بجاحة؛ حيث العلانية والظهور تحت ذريعة أن ذلك الفعل ليس إلا رد فعل ودفاعًا عن النفس؟!

كذلك وفيما يتعلق بهذه القضية؛ فإن الخبث الإيراني يتجسد بوضوح في فرض التجاهل، أو على أقل تقدير في عدم التوقف كثيرًا عند العديد من ممارسات أخرى تكشف عن سلوك عنيف ضد الطفولة البريئة، ومنها: هذا القتل الممنهج بحق أطفال السنة على يد الميليشيات الشيعية، أو دفع الأطفال الشيعة أو إجبارهم -أحيانًا- على ممارسة التطبير خلال احتفالات عاشوراء؛ والذي يربي في نفوس الأطفال العنف واستباحة الدماء.

■ **عسكرة الأطفال في العراق:**

بشكل مفاجئ ومريب نجحت قوات تنظيم «داعش» عام (٢٠١٤) في أن تسيطر على مدينة الموصل العراقية، بعد أن انسحبت قوات الجيش العراقي من المدينة دون قتال، وهو ما مكّن تنظيم «داعش» من السيطرة على كميات كبيرة من الأسلحة التقليدية وغير التقليدية، الأمر الذي طرح الكثير من التساؤلات حول حقيقة ما جرى في الموصل! غير أنه وبعد فترة قليلة وعقب صدور فتوى علي السيستاني -المرجعية الشيعية الأولى في العراق؛ والتي عُرفت بفتوى الجهاد الكفائي- تم تأسيس ما سمي بقوات الحشد الشعبي، بقيادة عدد من العناصر الشيعية العراقية القريبة جدًّا من إيران ومن بينها: هادي العامري وأبو مهدي المهندس.

وهو ما اعتبره البعض تفسيرا لعملية الانسحاب غير المبررة، إذ كانت سيطرة «داعش» على المدينة، وتمدد التنظيم في عدد من المدن المحيطة، مبررًا لأن يتم تأسيس الحشد الشعبي الذي جمع أكثر من (٦٠) تنظيمًا شيعيًّا مسلحًا في العراق، تحت لافتة واحدة ليصبح الحشد الشعبي هو القوة الشيعية الموحدة التي يمكن عبرها تحقيق الأهداف المرجوّة في العراق، وهو ما كان بالفعل بعد أن خاض العديد من المعارك، والتي كان آخرها معركة الموصل.

ورغم أن قوات الحشد الشعبي تم دمجها في القوات النظامية، وتخصيص ميزانية لها من ميزانية الدولة العراقية لتصبح أحد مكونات الجيش العراقي؛ إلا أن كل الشواهد تؤكد أن هذه القوات ظلت تحتفظ بسيادة قراراتها وتحركاتها، بل وفي أحيان كثيرة أصبح لها اليد العليا في البلاد، وهو ما جعلها غير قابلة للمحاسبة من قبل أي طرف أو مؤسسة في العراق، الأمر الذي أطلق لها العنان في أن تفعل ما تشاء وقتما تشاء!

وكان من أبرز الممارسات التي انتهجها الحشد الشعبي ولم يكن لقوات العراق النظامية أن تنتهجها: تدريب وتجنيد الأطفال والمراهقين، في تحدٍّ واضح للقوانين والأعراف الدولية التي تجرّم مشاركة الأطفال في الحروب والنزاعات العسكرية، فيكون -أيضًا- الحشد الشعبي بذلك كباب خلفي للميلشيات الشيعية للقفز فوق القوانين بعيدًا عن المحاسبة.

وقد تم رصد العديد من الأدلة التي تثبت تورط الحشد الشعبي في تجنيد الأطفال وتدريبهم عسكريًّا، ومن ذلك تقارير دولية، مثل: التقرير السنوي للأمم المتحدة عن الأطفال والصراع المسلح الذي يغطي عام (٢٠١٥)؛ والذي ذكر أنه تم تجنيد (١٢) حالة عبر مجموعات تندرج تحت مظلة قوات الحشد الشعبي، وأنه تم إجبار ثمانية فتيان على الانضمام إلى معسكر تدريب عسكري، وتجنيد أربعة فتيان قُتلوا أثناء المعارك التي دارت ضد تنظيم داعش بمحافظة صلاح الدين.

وفي تقرير لنشرَة «نبض إيران» -القريبة من إيران- أوضح أحد الأكاديميين العراقيين أنه يتم تدريب أطفال الحشد الشعبي على القتال بضراوة، بغرض الانتقام من خصومهم، بإشراف رجال دين يلقنونهم الإيديولوجية المطلوبة.

وأشار التقرير إلى أن ما يقوم به الحشد الشعبي يشبه ما قامت به إيران التي كانت تجند الأطفال -إيرانيين وعراقيين- للقتال في الصفوف الأمامية خلال حربها مع العراق (١٩٨٠ - ١٩٨٨).

مضيفًا أن الحشد الشعبي يتشابه مع قوات «الباسيج» الإيرانية في طبيعتها الدينية، فكما أُسست الباسيج بتعليمات من الخميني فإن الحشد تأسس بدعوة من السيستاني، فيما يعتمد التنظيمان على رجال الدين الذين يقومون في قواعد الباسيج والحشد الشعبي بتلقين الأطفال إيديولوجيًّا؛ بما في ذلك الإيمان بمبدأ «ولاية الفقيه»، أي: الطاعة الكاملة لمرشد الثورة الإيرانية، والسمع والطاعة للمراجع الدينية بشكل عام وليس لمؤسسات الدولة المدنية.

ويضيف التقرير: أن مِن وجوه التشابه بين الطرفين: استخدام وتمجيد صور وقصص الأطفال المجندين في دعايتهما الحربية كجزء من الحرب النفسية التي يعتمد عليها الحرس الثوري كثيرًا في حروبه، مثل: قصة حسين فهميده، الطفل ذي الـ (١٣) عامًا؛ الذي قُتل بعد مشاركته في عمليات شبه انتحارية، واعتبرته دعاية الحرس شهيدًا وبطلًا قوميًّا.

كذلك فقد أكدت العديد من وسائل الإعلام أنه ومع بداية شهر رمضان الماضي انتشرت في مدينة النجف إعلانات عن دورات صيفية لتدريب الأطفال على السلاح؛ والذي تضمن الآتي: «هل تريد أن تتدرب على السلاح؟ التدريب على ملعب الإمام علي خلال ليالي شهر رمضان المبارك. دورات للشباب والأشبال. سجّل اسمك سريعًا» فيما يحمل الإعلان توقيع المجلس الأعلى في النجف الأشرف.

وكانت وسائل إعلام عراقية كشفت خلال شهر (يوليو) الماضي عن قيام الحشد بتدريب (١٨٠) طفلًا ومراهقًا على حمل السلاح في قرية بشير التابعة لمحافظة كركوك؛ حيث تم تدريبهم على استخدام السلاح الخفيف والثقيل، بالإضافة إلى التكتيكات العسكرية، وهو ما أقرّ به ممثل المرجع الشيعي في القرية، معلّلًا ذلك بتمكينهم من الدفاع عن أنفسهم ومناطقهم!

وبطبيعة الحال؛ فإن المعممين العراقيين يقومون بزيارة مواقع التدريب ومتابعته، في حين تقوم ميليشيا الحشد بنشر صور المتدربين الأطفال على مواقع التواصل الاجتماعي وإظهارهم على أنهم أبطال، فاكتظت هذه المواقع بصور الأطفال المجندين.

واتساقًا مع نهجها الخبيث؛ فإن قادة هذه الميليشيات ينفون بين الحين والآخر صحة ما يتوارد من أنباء حول تجنيد الأطفال وتدريبهم، تفاديًا للتعرض لِلّوم الدولي والحقوقي، رغم أن الكثير من التصريحات الصادرة عن قريبين من الحشد الشعبي بل ومن القائمين على هذا التدريب تؤكد صحة ما يحدث، ففي (يونيو ٢٠١٥) وجّه أحمد الصافي -إمام الجمعة في كربلاء، وممثل السيستاني- دعوة لطلاب المدارس للاستفادة من العطل المدرسية من أجل التدريب على السلاح؛ والتي تتم في المنشآت المدنية أو الحكومية، مثل: المدارس والملاعب الرياضية.

■ **الأطفال وتمرد الحوثيين:**

يدرك المتابع للأحداث في اليمن: أن أهم إشكاليات التمرد الحوثي هو: قلة عدد العنصر البشري، فنسبة الحوثيين الإجمالية في البلاد قليلة، وهو ما ألجأ المتمردين الحوثيين إلى الاستعانة بالأطفال وتجنيدهم؛ للانخراط في صفوف المقاتلين ضد قوات الدولة اليمنية، حتى أن بعض التقارير الحقوقية باليمن أشارت إلى أن الحوثيين تورطوا في تجنيد (١٠) آلاف طفل، فيما اتهم التقرير الأممي الصادر في (٢٠١٥) -والذي أشرنا إليه آنفًا- الحوثيين باعتبارهم الطرف الأكثر تورطًا في تجنيد الأطفال، وأن التجنيد في معاقل الحوثيين ساد مثل أمانة العاصمة (١٠٣)، وتعز (٦٩)، وعمران (٣٤).

ولوحظ تحول من التجنيد الطوعي إلى حد كبير إلى التجنيد القسري أو غير الطوعي، عن طريق الإكراه بسبل منها: توفير الحوافز أو المعلومات المضللة، وهو ما أكدته تقديرات منظمة «اليونيسف» المعنية بحماية الطفولة والأمومة ومنظمة «هيومن رايتس ووتش» وغيرهما؛ حيث ألمحا إلى أن هناك معلومات مقلقة عن تزايد نسبة الأطفال المجندين التي تصل إلى ثلث عدد المقاتلين في اليمن.

وأوضحت منظمة «هيومن رايتس ووتش»: أن الحوثيين يستخدمون الأطفال كمقاتلين، بما في ذلك الاعتماد عليهم في العمليات الاستطلاعية والحراسات والتجسس ونقل الأسلحة والذخيرة، وكلها عمليات خطرة.

واستشهدت المنظمة بتقارير متواترة عن مشاركة الأطفال في القتال مع الحوثيين في عمران وصنعاء وجبهات القتال الأخرى، وأن بعضهم لم يتجاوز (١٢) عامًا.

ووفق مقابلات حية للمنظمة مع عدد من الأطفال تبين لها أنه يتم في البداية تلقين هؤلاء الأطفال المبادئ المذهبية والتوجه الطائفي، يعقبها التدريب العسكري.

وكما هو الحادث في العراق يحدث في اليمن؛ حيث يتم استخدام المنشآت الحكومية والمدنية لعمليات التدريب، حيث استخدام المدارس في عدن والضالع ولحج ، والتحقق من (٤) حوادث تتعلق باستخدام المستشفيات.

وقد وجهت منظمة العفو الدولية اتهامًا صريحًا للحوثيين بتجنيد الأطفال واستخدامهم في الخطوط الأمامية في الصراع، مضيفة أن هناك أُسرًا يمنية لا تعلم أين يوجد أبناؤها المجندون؛ حيث يتم أخذ الأطفال بعيدًا عن والديهم ومنازلهم.

■ **مخاطر ومخالفات:**

لا تنحصر الخطورة التي يتعرض لها الأطفال جراء التجنيد والتدريب والمشاركة في القتال بانتهاك الطفولة البريئة، وتعريض هؤلاء للموت خلال العمليات العسكرية فحسب، بل إنها تمتد لتشمل مخاطر أخرى، منها ما يتعلق بالمجتمع ككل؛ حيث تؤدي إلى عسكرة المجتمع، وتزايد الصراعات والنزاعات المسلحة، وارتفاع معدلات الجريمة، ومن ثم هدم المجتمع، ومنها ما يتعلق بالأطفال أنفسهم؛ إذ هناك تقارير تؤكد أن الأطفال في معسكرات التدريب بالعراق معرضون لخطر تعاطي المخدرات من أجل السيطرة على عقول الأطفال؛ خاصة أن ظاهرة تعاطي المخدرات منتشرة بصورة كبيرة وتدعو للقلق؛ لا سيما في محافظات العراق الجنوبية.

وعلى نفس المنوال تشير منظمة «اليونيسيف» إلى أن مِن بين ما توفره ميليشيات الحوثيين للأطفال المتدربين: القات؛ حيث يتم توزيعه مجانًا على الأطفال كغيرهم من الجنود، ويشجعون على تعاطيه بهدف إدمانهم عليه، ما يجعلهم معتمدين على الاستمرار في خدمة الميليشيات للحصول على القات.

يضاف إلى ذلك؛ فإن هذا التدريب والتجنيد للأطفال يعدّ مخالفة للقانون؛ حيث يفرض على الدول أن ترعى الأطفال

رعاية خاصة؛ فتوفر لهم الحماية والحاجات الأساسية من مأوى وغذاء وتعليم وصحة، كما جاء في اتفاقيات جنيف وبروتوكولاتها لعام (١٩٧٧)، واتفاقية حقوق الطفل (١٩٨٩)؛ والتي تدعو الدول إلى معاقبة مَن يقومون بتجنيد الأطفال.

ومن العجب -أيضًا- أنه يفترض أن الحكومات والمجتمع الدولي معنيون بالدرجة الأولى بالتصدي لهذه الأعمال، وممارسة الضغط على الميلشيات والتنظيمات التي ترتكبها، غير أننا لا نجد أيّ رد فعل قوي أو تحرك حقيقي، الأمر الذي يمنح هؤلاء المخالفين كل الحرية في الاستمرار في ارتكاب أفعالهم المشينة، فمَن أمِن العقوبة أساء الأدب!

■ تعذيب وقتل الأطفال:

ويأتي سلوك الميلشيات الشيعية بحق أطفال السنة نموذجًا آخر، يكشف مدى الوحشية التي تتعاطى بها هذه الميلشيات مع الأطفال؛ فقد تم -مثلًا- رصد العديد من انتهاكات ميلشيات الحشد الشعبي بحق سنة العراق، ومِن ذلك:

تسريب فيديو في عام (٢٠١٥) يظهر إقدام مليشيا الحشد الشعبي على إعدام طفل ميدانيًّا بالرصاص في محافظة ديالى العراقية، وهو ما أثار حملة استنكار واسعة النطاق؛ إذ أظهرت اللقطات كيف أُعدم الطفل الذي لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، وهو موثوق اليدين وفي مكان مجهول، بعد تعذيبه والسخرية منه من قبل عدد كبير من أفراد المليشيا، فيما برر في وقت لاحق مواقع تنسب نفسها لوزارة الدفاع العراقية عملية إعدام الطفل بكونه شارك في عمليات ضد المدنيين والجيش العراقي.

وفي أكتوبر من العام (٢٠١٦) تم تسجيل العديد من انتهاكات الحشد الشعبي بحق أطفال الموصل، شملت التعذيب والقتل، فقد بثّ ناشطون عراقيون على مواقع التواصل الاجتماعي شريط فيديو مروع يوثق تنفيذ الحشد عمليات تعذيب أطفال السنة، وفيديو آخر يظهر قيام عناصره بتكسير لعظام بواسطة مطرقة حديدية لأبناء السُّنة الذين نزحوا من الموصل!

كما تم توثيق فيديو لقوات الحشد الشعبي وهي تعذب طفلًا نازحًا من الموصل، وعددًا من المدنيين الفارين من مناطق القتال؛ حيث يظهر بمقطع الفيديو ميليشيات الحشد على أطراف الموصل تقوم بتعذيب أحد الأطفال لانتزاع اعترافات منه.

وفي مارس من عام (٢٠١٥) تناولت مواقع التواصل الاجتماعي تسجيلات فيديو تظهر عناصر في مليشيات الحشد تنفذ عمليات إعدام بحق مدنيين، بينهم أطفال، في قرى تابعة لمحافظة صلاح الدين، فيما أكد بعض ذوي الضحايا أن أبناءهم قتلوا بسبب أسمائهم وانتماءاتهم المذهبية والعشائرية!

وفي (نوفمبر من العام ٢٠١٦) أظهر مقطع فيديو جديد قيام مسلحين تابعين لقوات الحشد بإعدام طفل بدهسه تحت دبابة، وهو الفيديو الذي أثار لغطًا عامًّا؛ خاصة أنه كشف عن تجرد هذه العناصر تمامًا من معاني الرحمة والإنسانية!

وكان تقرير حقوقي وثقته الشبكة السورية لحقوق الإنسان في سوريا عام (٢٠١٤) -أي: بعد ثلاث سنوات فقط من اندلاع الصراع في سوريا- أشار إلى أن قوات بشار الأسد تقتل نحو (١٠) أطفال سوريين يوميًّا؛ حيث بلغت نسبة الضحايا من الأطفال والنساء (٢٦%).

وقد تم تسجيل مئات المذابح التي ارتكبتها قوات الأسد بحق الأطفال في كل أنحاء سوريا، ربما كان أكثرها إثارة هو ما وقع في خان شيخون في محافظة إدلب خلال (إبريل) الماضي؛ حيث قامت قوات الأسد بشن هجوم كيماوي على خان شيخون التي تسيطر عليها قوات المعارضة، ما أدى إلى وقوع (١٠٠) قتيل، جلّهم من الأطفال، ونحو (٤٠٠) مصاب.

كذلك وفي عام (٢٠١٥) أظهرت صور مسربة من سجون النظام السوري وجود أعداد كبيرة من الأطفال الذين تعرضوا للتعذيب حتى الموت؛ حيث كشفت الصور عن أن الطفل حمزة الخطيب وكذلك ثامر الشرعي تعرضا لتعذيب يفوق الخيال، الأمر الذي أدى إلى وفاة الطفل الشرعي.

وما سردناه ليس إلا عينة قليلة فقط للتدليل على المسألة، غير أن المنظمات الحقوقية والمحلية تحتفظ بالكثير من الوثائق حول طبيعة الانتهاكات التي تمارس بحق الأطفال السنة في العراق.

■ **التطبير والتربية على العنف:**

والتطبير أو الإدماء هو: أحد الطقوس التي يمارسها الشيعية الاثنا عشرية، ضمن الطقوس المسماة بـ (الشعائر الحسينية)؛ التي تقام من أجل استذكار معركة كربلاء وقتل هذه المعركة؛ كالحسين ابن علي وأخيه العباس، إذ يقوم الشيعي باستخدام سيوف أو أدوات حادة أخرى فيضرب المطبّرون رؤوسهم بهذه الأدوات لإحداث جرح لإسالة الدماء من الرأس!!

وينتشر التطبير في كل الدول التي يتواجد فيها الشيعة، وتنظم مواكب تطبير خاصة حيث يحدث التطبير في الشوارع؛ كما في لبنان والعراق والبحرين.

والمشاهد للمطبّرين تصيبه حالة من الفزع إزاء هذا الكم من العنف الذي يمارسه المطبر بحق نفسه! إذ لا يشعر بارتياح إلا بعد أن يصيب جسده بالعديد من الجروح التي تسيل منها الدماء!

غير أن الأخطر في المسألة هو: أن يقوم البعض من الشيعة بإشراك أطفالهم في تجمعات لإقامة هذا الطقس؛ فيقوم الأطفال والصبية الصغار بتقليد الكبار؛ فيضربون أجسادهم بآلات حادة، أو يقوم الكبار بضرب أجسادهم حتى تدمى، وهو السلوك الذي يمثل خطورة كبيرة على هؤلاء الأطفال؛ إذ يتم تنشئتهم على القسوة والحدة والاستهانة بإسالة الدماء؛ خاصة أن الكثير من المعممين والقائمين على هذه الطقوس يرون أن التطبير هو إرهاب لأعداء الأمة، يظهر شيعة العالم فدائيين يبذلون أرواحهم لنصرة أهل البيت والمذهب!! وأن ذلك يظهر جبروتهم.

وتشمل خطورة إشراك الأطفال في التطبير احتمالية إصابتهم بأمراض خطيرة منها: مرض الإيدز الذي ينتقل عبر الدم؛ خاصة في بعض المناطق التي ترتفع فيها نسبة الإصابة بالإيدز.

والحقيقة أن ثمة تباينًا بين الشيعة حول التطبير ومشروعيته؛ إلا أن الكثير من الشيعة يمارسون هذه الطقوس على نطاق واسع، ومن ثم فقد أصبحت طقسًا ثابتًا لدى الشيعة في كل مكان.

وقد استفزت ممارسة الأطفال لهذا الطقس البعض من المعارضين للتطبير، ومن ذلك -مثلًا-: أن قام أمثال هؤلاء بنشر فيديو لطفلة في الشهر الثالث من العمر وهي تنزف دمًا داخل مستشفى حكومي، فيما أطلقوا حملة بعنوان: «طفلك ليس مُلكًا لك»، مطالبين في الوقت ذاته بمحاكمة الأب الذي وصفوه بالـ (مجرم)!

وكما هو الحال دائمًا بشأن الموقف الدولي والحقوقي من الانتهاكات الشيعية؛ حيث الصمت والتجاهل، أو أن يكون أقصى ما يصدر هو حزمة من التنديدات؛ التي لا تتجاوز حدود الكلام، دون اتخاذ خطوات لوقف هذه الممارسات؛ رغم أن هذه الانتهاكات يتم رصدها بدقة من قبل المتابعين أو المتضررين، وهو ما أثار تحفظات الكثير من النشطاء على صفحات مواقع التواصل، والذين دائمًا ما يطرحون تساؤلاتهم حول أسباب السكوت على مثل هذه السلوكيات؟!

والحقيقة أن ممارسة التطبير بالنسبة للكبار فضلًا عن الصغار الأبرياء؛ الذين لا ذنب لهم ولا جريرة هي: سلوك غير منطقي وغير عقلاني! إلا أن خطورته بالنسبة للأطفال مضاعفة؛

فهو يعكس إلى أي مدى يتعاطى هؤلاء بقسوة شديدة مع الأطفال؛ حيث تتضاءل مشاعر العطف والحنان على هؤلاء الأطفال، كما تؤكد حرص الشيعة على أن يربّوا أبناءهم على السلوك العنيف وبمواجهة المخالفين بطريقة شرسة، يُستهدف منها فقط: إرهاب المخالفين!

وهو بكل تأكيد سلوك يتنافى مع طبيعة الطفولة البريئة؛ التي تحتاج إلى وقت في التربية والتعليم لتدرك كيف يمكن أن تتعاطى مع مشكلات وقضايا الحياة وصراعاتها، كلٌّ حسب حالته.

قراءة في
المخطط الإعلامي الشيعي الموجّه للمرأة

فاطمة عبد الرؤوف- كاتبة مصرية

خاص بـ «الراصد».

تمثل المرأة العربية جزءًا مهمًّا وحيويًّا من نسيج المجتمع، كما أنها تمتلك القدرة الكبيرة على تشكيل وعي الجيل الجديد، ومن ثم مثّل تصدير الفكر الشيعي للمرأة العربية أولوية كبيرة لصانع السياسة الإعلامية الشيعية..

الإعلام بطبيعته يمثل قوة بالغة النعومة، تتسلل بطريقة خفية لعقل ووجدان المتلقي؛ فيؤثر في تغيير مشاعره وتوجهاته ..

وفي عصر السماوات المفتوحة يصبح سلاح الإعلام السلاح الأرخص والأشد تأثيرًا..

فما هي ملامح السياسة الإعلامية الشيعية الموجهة للمرأة العربية؟ ما هي أهم الأسس والمنطلقات التي تقوم عليها؟ ما هي الأهداف والأدوار المرسومة لها؟ ما هي الآليات التي تقوم بتحويل المخطط إلى واقع تطبيقي؟ إلى أي قدر حقق هذا المخطط أهدافه؟

هذا ما نحاول أن نجيب عنه في هذه القراءة السريعة لهذا المخطط المتشابك الخيوط:

◙ القنوات الفضائية:

المتابع للقنوات الشيعية والتي تبلغ العشرات على القمر «نايل سات» وحده يمكنه بجلاء أن يكتشف ملامح المخطط الشيعي الموجّه للمرأة وأهدافه، فعلى الرغم من أنه لا توجد قناة شيعية ذات وزن موجهة للمرأة العربية إلا أن برامج المرأة تحتل مساحة كبيرة من البث الفضائي في القنوات المنوعة، وعلى الرغم من وجود قنوات مباشرة التوجه وتدعو للتشيع علنًا، وتعتمد كثيرًا على البكائيات واللطميات، وهي موجهة للمرأة كما الرجل إلا أن هذه القنوات هي الأقل تأثيرًا على غير الشيعة، فهي قنوات منفرة للمشاهد السني بوجه عام، ولعلها قنوات موجهة للشيعة العرب حتى يستطيعوا من خلالها ممارسة طقوسهم وبكائهم، والعيش في أجواء المظلومية واللطم!

أما قنوات المنوعات الشيعية؛ فهي تقوم بتنفيذ المخطط الإعلامي الشيعي؛ خاصة فيما يتعلق بالخطاب الموجّه للمرأة، ولو أخذنا قناة «الكوثر» نموذجًا -وهي القناة التابعة رسميًّا لهيئة الإذاعة والتلفزيون الإيراني، وتبث باللغة العربية على مدار (٢٤) ساعة- فسنجد أننا أمام قناة مميزة شكلًا وموضوعًا، قناة جاذبة للمشاهد عمومًا وللمرأة على وجه خاص، فهي قناة تمتلك الإمكانيات المالية العالية لتستطيع البث الفضائي بأعلى تقنية ممكنة، ويمكن تحديد نقاط الجذب للمرأة العربية عبر فضائية «الكوثر» كنموذج في النقاط الآتية:

- **الدراما النظيفة:**

قناة «الكوثر» كقناة منوعات تهتم بتقديم الأعمال الدرامية، وهي الأعمال التي تستهوي النساء بوجه عام، ولكن المميز أنها تقدم ما يمكن أن يطلق عليه: (الدراما النظيفة)، وهي مسلسلات إيرانية تمت دبلجتها إلى اللغة العربية، ترتدي فيها النساء الحجاب أو على الأقل غطاء للشعر، وترتدي بوجه عام

ملابس محتشمة، وتخلو من المشاهد الخادشة للحياء، وبالتالي تجتذب قطاعًا كبيرًا من النساء المتدينات؛ واللاتي وجدن في هذه النوعية من الدراما النظيفة ملاذًا آمنًا.

النموذج الذي حقق رواجًا كبيرًا في العالم العربي هو: مسلسل «يوسف الصديق»، وهو المسلسل الذي تم فيه تجسيد نبي الله يوسف ونبي الله يعقوب، في الوقت الذي لم يقدم عمل درامي يظهر فيه وجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب! ولو تجاوزنا هذه النقطة؛ فالمسلسل من حيث هو عمل درامي فهو أكثر من ناجح، وعلى مدار حلقاته يستطيع جذب المشاهد، وفي مشهد صغير لا يتجاوز الدقائق يدور حوار بين سيدنا يوسف وبين جبريل عليه السلام عن الأئمة الاثنى عشر وعن المنتظر!

إنها إستراتيجية قليل جدًّا من السم داخل إناء كبير من العسل، وهذا هو المخطط بالغ النعومة، فمع الاندماج العاطفي للمشاهد -خاصة النساء- من الممكن تمرير مثل هذه الترهات الشيعية!

وفي مسلسل «المنسي»، وهو مسلسل اجتماعي لاقى إقبالًا كبيرًا وسط النساء العربيات يبدو المسلسل كأي دراما تليفزيونية، ولكن مشهد البطل وهو يصلي على التربة الحسينية -مثلًا-، أو وصية الرجل الطيب لزوجين على خلاف دائم بالذهاب لمرقد الإمام الرضا؛ **هي جرعة السم الصغيرة جدًّا التي تدعو مشاهدها للتشيع بطريقة بالغة الخفاء،** وحتى لو لم تكن النتيجة تشيع المشاهد، يكفي صانع العمل أن يتم التطبيع النفسي مع مثل هذه المشاهد والكلمات؛ أن يتم هدم الجدار العازل مع الفكر الشيعي والممارسات الشيعية لخلق حالة من التقارب الفعلي على مستوى الشعور والممارسة لاحقًا.

ولا يمكن المرور على دور الدراما في تشكيل وعي المرأة المسلمة وموقفها من الفكر الشيعي، دون العروج على مسلسل غرابيب سود؛ الذي تم بثه في رمضان الماضي على إحدى القنوات غير الشيعية (برغم أن القائمين على المسلسل من الشيعة)؛ والذي يحكي عن تنظيم داعش بوجه عام، وعن نساء التنظيم بوجه خاص، ففي أحد المشاهد تدعو سيدة متطرفة على الرافضة ومن والاهم، فتسألها سيدة أخرى بريئة انضمت للتنظيم نتيجة ظرف خاص عن الرافضة في مشهد يوحي أن المتطرفين من تنظيم داعش ومن يحمل فكرهم هم فقط من يرفضون الشيعة وممارساتهم!

- **البرامج النسائية والتربوية:**

من أكثر البرامج التي تفضّل النساء مشاهدتها تلك البرامج التي تهتم بالصحة وتربية الطفل ومعاملة الزوج وإدارة البيت، وليس من المبالغة في شيء القول: إن النساء يبحثن عن مثل هذه النوعية من البرامج بشغف يقارب الإدمان، ومن ثم فالمخطط الإعلامي الشيعي يشبع هذه الرغبة النفسية لدى النساء، بل إن القنوات الدينية والإخبارية الشيعية تعطي جزءًا من العناوين التي تبث على شريطها لمثل هذه النوعية من الأخبار التي تهم النساء.

ولو أخذنا قناة «الكوثر» كنموذج سنجد أن الفترة الصباحية تكاد تكون حصرية لمثل هذه النوعية من البرامج؛ التي تهم ربات البيوت، وسنجد موضوعات مثل: كيف تهيئين طفلك لدخول المدرسة؟ كيف تحسنين إدارة وقتك وترتيب أولوياتك؟ تأثير التليفزيون على الأطفال، أسباب انهيار الأسر الجديدة، وفي وسط كل هذه البرامج يذاع فيديو صغير مدته دقيقة واحدة بعنوان: «نصائح هامة للأسرة من كلمات سماحة آية الله الخامنئي»!

بالاضافة إلى أن الخبير التربوي الذي يستضاف أو الطبيب النفسي يتعمد انتقاء أحاديث تدلل على وجهة نظره من التراث الشيعي ومن كتبهم، بمعنى: أنهم يوجدون الحلول التربوية من تلك الكتب والمرويّات، وهو ما يخلق حالة من التقبل النفسي لدى السيدة المتلقية المتلهفة للاستماع لحل لمشكلتها التي تعاني منها،

ومن ثم يتم استغلال جهلها بمعرفة كتب السنة الصحيحة للوقوع في فخ تصديق ما ينقل لها على أنه أقوال النبي ﷺ أو آل بيته، وليست أكاذيب شيعية لا أساس لها!

الفضائيات الشيعية - إذن - تلعب دورًا خطيرًا لا يمكن تجاهله، ويكفي في هذا الصدد مراجعة أقوال السيدة المصرية التي وقفت في ميدان التحرير أبان الثورة المصرية وهي ترفع علمًا مكتوب عليه: «يا حسين»!! وعندما حكت عن تجربتها مع التشيع لإحدى الصحف قالت: إنها تعرفت على فكر الشيعة واعتنقته عن طريق قناة «كربلاء».

- **مواقع إلكترونية:**

أصبح اختراق الأفكار عبر الشبكة العنكبوتية أسهل كثيرًا وأقل كلفة من القنوات الفضائية، وهنا نجد الكثير من المواقع النسائية الشيعية، بالإضافة لقسم المرأة في المواقع العامة الشيعية.

ولو أخذنا نموذج موقع «الزكية» سنجد الموقع تتصدره صورة للخميني وكلمة له، وأسفل ذلك الصلاة والسلام على السيدة فاطمة رضي الله عنها، أما باقي الموقع فينقسم مناصفةً بين موضوعات عامة تخص المرأة، وموضوعات خاصة بالمذهب الشيعي، مثل: الحديث عمّا يطلق عليه: «عيد الغدير الأغر»، وتهتم المواقع النسائية الشيعية بإبراز الشخصيات المحورية في الفكر الشيعي، مثل: الحديث عن حياة السيدة الزهراء أو عن السيدة زينب ومواجهتها للباطل وصدعها بالحق، ومن الموضوعات التربوية العامة: مناقشة قضايا مثل: مقام الأم الرفيع، الوظائف التربوية للأم، الغضب في العلاقة الأسرية.

يمكننا - إذن - استنتاج أن المواقع الشيعية النسائية أكثر صراحة في الكشف عن هوية الموقع وأهدافه، وأثناء البحث عبر الشبكة الإلكترونية في أي موضوعات نسائية سيدلّنا محرك البحث بشكل تلقائي لمواقع نسائية شيعية؛ فتجد الباحثة بغيتها مختلطة بتقرير عن الفكر الشيعي وتعريف به.

- **المنتديات وحب آل البيت:**

تبلغ الصراحة أشدها عبر المنتديات؛ حيث الدعوة الصريحة للمرأة للتشيع عبر الحوارات المباشرة، ويتم استغلال عواطف النساء وحبهن لآل البيت، ومن خلال نشر قصص لنساء سنيّات اعتنقن المذهب الشيعي، وهذا نموذج أنقله حرفيًّا عن أحد المنتديات للفائدة، ولمعرفة منهجيتهم في الدعوة الصريحة للتشيع بين النساء واستغلال عواطفهن في ذلك:

«سوف أروي لكم قصة واقعية على لسان المرأة التي حدثت لها القصة هي وزوجها من جماعة السنة:

لقد درستُ في المدرسة الثانوية في إحدى قرى الأحساء بحكم شغل زوجي مدرس في الأحساء، ولكن أَصلي أنا وزوجي من الرياض، فعندما أتينا إلى الأحساء كنت في أول ثانوي وكانت المدرسة أغلب من فيها طالبات من الشيعة أو الكل تقريبًا، فخِفت في بداية الأمر بما أني أنا سنيه وهم شيعة، فمع مرور الأيام والشهور تعودت عليهم؛ فأصبحت صديقة معهم وكأني أعرفهم من زمان، وأصبحت أزورهم وهم يزوروني، وإذا غبت يسألون عني، وأيضًا كان زوجي مثلي لأن المدرسة التي كان يدرس فيها كان أغلب الطلاب والمعلمين شيعة؛ فكان زوجي يحبهم أيضًا.

فعندما تخرجت من الثانوية قال لي زوجي أنه سوف يقدم طلب نقل عمله إلى الرياض بحكم بعد المكان؛ فرفضت وبشدة، لأني تعودت عليهم، ولا يمكن أن أستغني عنهم، كما أني لم أرزق بأطفال وأنا متزوجة من خمس سنوات، فكانت عندما أجلس معهم أغلب حديثهم عن أهل البيت -سلام الله عليهم-، فكنت أتعجب لشدة حبهم وتعلقهم برسول الله وآل بيته -عليهم أفضل الصلاة والسلام-! فكانت دائمًا أسمع عن الكرامات والمعجزات التي تحدث بفضل أهل البيت عليهم السلام، وبالأخص في (محرم وصفر)، فكان بالأخص صديقات في الصف المقربون إليّ جدًّا كان في (محرم

وصفر) يسود عليهم الحزن الشديد؛ فكانوا يتحدثون دائمًا عن الكرامات والمعجزات التي تحدث في عشرة (محرم)، وعن المآتم التي تقام عندهم، فكنت عندما أذهب إلى البيت أغبطهم على ما رزقهم الله من شدة حب وتعلق بآل بيت رسول الله -صلوات الله وسلامه عليهم-، فتعلمت أشياء منهم لم أكن أسمعها، وحقائق لم أكن أعرفها، فكنت أخبر زوجي عن الكرامات والمعجزات التي تحدث؛ كم أصم تكلم بفضلهم وكم عمي أبصر وكم عقيم أنجب؟؟!!

وكم وكم وكم، كرامات لا تعد ولا تحصى!! فطلبت من زوجي وترجيته أن غدًا يوم عشر من (محرم) وفي المدرسة وجميع الطالبات والمعلمات الشيعة يغيبون ويقيمون مأتم لأبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ فدعني أذهب بيت إحدى صديقات التي يقيمون مثل هذه المآتم، فقال: ألا تخافين أن يعلمون أنك من السنة ويضربوك أو يطردوك؟ فقلت: سوف أدخل مغطيه وجهي، وإذا انتهى المأتم سوف اتصل عليك وأخرج، لعل الله أن يرزقنا بالذرية الصالحة بفضل أبي عبد لله الحسين! فلقد تعبت من كثرة ذهابي إلى المستشفيات ومن استخدامي الأدوية، سوف أذهب بنيّة خالصة وعقيدة راسخة بحب الله ورسوله وآل بيته -عليهم أفضل الصلاة والسلام-.

فذهبت إلى بيت صديقتي والمأتم قد ابتدأ؛ فدخلت وجلست مغطية وجهي بجنب باب الغرفة التي فيها المأتم، فعندما كانت أستمع إلى المأتم أحسست بإحساس لم أشعر به قط، وبروحانية عظيمة وكأني ولدت من جديد، وأحسست بضعفي وانكسر قلبي.. أين أنا من أهل بيت الرسول؟!

فجلست أبكي في المأتم وبحرقة قلب على أبي عبد الله عليه السلام، وأن يتوب الله علي وعلى زوجي، ويرزقنا أنا زوجي ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأن يرزقني الله الذرية الصالحة المحبة لرسول الله وعلى ولاية أمير المؤمنين وآل بيته -سلام الله عليهم أجمعين-.

بفضل أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ فبعد أن انتهى المأتم شعرت بشعور غريب وهو: الراحة في النفس والطمأنينة! وكأن الله قد استجاب دعائي، فبعد ذلك وضعوا البركة -وهي غدا أرز باللحم- فأكلت بركة، وكان على سفرة الغداء صحن بلاستيك صغير وضعت فيه قليل من الأرز لزوجي بركة، واتصلت بالجوال على زوجي فحضر وذهبنا إلى البيت، وأخبرته بما حدث بالتفصيل، وأن جميع ما يقال عن الشيعة كذب وافتراء، وأخبرته بأن الله سوف يرزقنا طفل ببركة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، كما طلبت منه إذا حملت وأنجبت ولد سوف اسميه: حسين، على اسم أبي عبد الله الحسين، وأنا سوف نتشيع وسوف ندخل في ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام...

فقال لي زوجي: وأهلنا في الرياض ماذا نخبرهم؟ لا عليك من أحد، أهم شيء عندك هو إيمانك وولائك لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيت الرسول -صلوات الله وسلامه عليهم-، فبهم يرحمك الله في الدنيا، وفي الآخرة سوف تنال شفاعتهم؛ فوافق زوجي وآمن بذلك، وأصبحنا من شيعة أمير المؤمنين.

وبعد أسبوع أحسست ببعض من التعب؛ فذهبت إلى المستشفى فبشرت أنا وزوجي من بعد ست سنوات أني حامل ببركة أبي عبد الله الحيسن عليه السلام، ولله الحمد والشكر على ذلك، فبعد مرور تسعة شهور أنجبت ولد وأسميناه :حسين، واشترينا فيلا كبيرة في الأحساء في نفس القرية التي كنا فيها، وحصل زوجي على ترقية وأصبح مدير، وأنا تم قبولي في كلية التربية، وكل هذا حدث خلال سنة؛ ببركة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فأصبحت أنا وزوجي من المداومين على المآتم والمجالس الحسينية، والحمد لله والشكر الجزيل على هذه النعمة، اللهم ارزقني أنا وزوجي وذريتي شفاعة الحسين يوم الورود، واهدي ولدي لولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»[1].

تعمدت أن أنقل القصة بطولها وبأسلوب من تحكي القصة حتى يتضح تمامًا نقاط الضعف اللاتي يقتحمن بها عقول المسلمات؛ كحب آل النبي، وكأن السنة لا يحبون آل البيت؟! بالإضافة لاستغلال ما يشيعونه من معجزات وكرامات تحدث خلال تلك المآتم..

والمتتبّع للردود سيجد الكثير من النساء السنيات اللاتي يتحاورن معهن ومن ثم يدرك كم الخطر المحدق بهن!

المنتديات هي وسيلة الدعوة المباشرة للمسلمات؛ التي تتخطى حاجز المكان والقوانين؛ بعضها يحمل سبابًا، وبعضها يتحاور بهدوء، وبعضها يروج مثل تلك القصة التي نقلتها.

وحكي تجارب النساء للنساء أشد وقعًا؛ لأن اهتماماتهن فيها الكثير من المشتركات..

وفي هذه المنتديات يتم دعوة المرأة للقيام بالدعوة للفكر الشيعي؛ كما دعت هذه السيدة زوجها، وكما تحكي عدد من المتشيعات المصريات كيف أقنعن أبناءهن بفكر الشيعة.

يمكننا القول -إذن-: إن المخطط الإعلامي الشيعي الموجّه للمرأة يعمل في أكثر من اتجاه؛ بدءًا بفكرة القبول والاعتياد والتقبل لأصحاب المذهب الشيعي، مرورًا بالتشكيك في عقائد أهل السنة والتشكيك في الصحابة وأمهات المؤمنين؛ حتى يتم خدش المكانة العالية لهم في قلوب المؤمنات؛ حتى تنتهي بدعوة صريحة للتشيع!

(١) http://forums.svalu.com/threads/٥٩٤٤٤/

مظلومية أهل السنة في إيران (٥):
المظلومية الدينية ٢

ماجد العباسي- كاتب من عرب فارس

خاص بـ «الراصد».

استعرضنا في المقال السابق اضطهاد الملالي لأهل السنة عبر التصفية والاغتيالات، وفي هذه الحلقة نستعرض مظلومية أهل السنة عبر الاعتقالات والإعدامات الجائرة:

■ الاعتقالات والإعدامات:

بعد نجاح الثورة وشعور السنة -لا سيما الأكراد- بالتهميش والازدراء من قبل الخميني وزمرته؛ رغم تأييدهم للثورة على الشاه، ومشاركتهم فيها؛ قام الأستاذ أحمد مفتي زادة بالتعاون مع الشيخ عبد العزيز البلوشي بتأسيس مجلس شورى أهل السنة عام (١٩٨١م)، بغرض النهوض بأهل السنة ومواجهة سياسات التهميش والإقصاء والاضطهاد القومي والديني ضدهم.

وبسبب هذه الجهود في الدفاع عن حقوق أهل السنة ورفض الظلم تم اعتقاله بعد أكثر من سنة، واعتقل معه عدة آلاف من أعضاء منظمة «شمس» السنية في كردستان وبلوشستان وخراسان وتركمان صحراء والمناطق السنية الأخرى، وحكمت محكمة الملالي عليه بالسجن عشر سنوات، تعرض خلالها إلى أشد أنواع التعذيب الجسدي والنفسي، حتى شارف على الموت في سجنه ثم أطلق سراحه، ليتوفى خارج السجن في عام (١٩٩٣) بسبب الأمراض الناتجة عن التعذيب الجسدي والحبس الانفرادي.

وقبل ذلك -في ربيع عام (١٩٨٠)- قامت القوات المسلحة الإيرانية بحملة واسعة على المناطق الكردية في إيران؛ وخاصة في مدن مهاباد وسنندج وباوه ومريوان؛ فاعتقلت الكثير من أنصار القائد الكردي الشيخ عز الدين الحسيني؛ الذي سبق له تأييد الخميني ضد الشاه، لكن موقفه انقلب تجاه الخميني والثورة حين

تنكّر الخميني لوعوده السابقة تجاه الأقليات القومية والمذهبية؛ لاسيما الأكراد وتهميشهم.

وتحفل تقارير منظمة العفو الدولية بجرائم نظام الملالي بحق الأكراد السنة، ففي تقريرها عام (٢٠٠٩م) ذكرت المنظمة أنه تم اعتقال الكثير من الأكراد بتهمة الانتماء إلى جماعات وأحزاب غير مشروعة أو تأييدها، وصدرت عليهم أحكام بالإعدام أو السجن؛ بعد محاكمات جائرة -حسبما جاء في التقرير-.

كما أن الملاحقات الأمنية والاعتقالات والإعدامات لم تتوقف في أوساط البلوش السنة أيضًا، فقد تم إعدام (٧٠٠) بلوشي على الأقل من السياسيين والمثقفين والعلماء والدعاة في السنتين الماضيتين، وغالبًا ما تُوجه السلطات لهم تهمًا ذات عناوين كبيرة، مثل: الإفساد في الأرض، أو محاربة الله، أو التآمر على الثورة، وقد كشفت منظمة العفو الدولية أن إيران احتلت المرتبة الثانية عالميًّا في تنفيذ عقوبة الإعدام بعد الصين خلال عامي (٢٠٠٩ و٢٠١٠م).

يكفي أن نعلم أن إيران تصدرت المرتبة الأولى عالميًّا في تنفيذ أحكام الإعدام مقارنة بعدد سكانها؛ وفقًا لما أكدته منظمات حقوقية إيرانية، حيث تم تنفيذ (١٠٨٤) حكم إعدام في (٢٠١٥)، وهو رقم قياسي تسجله إيران في السنوات الـ (١٥) الأخيرة.

ولم يتوقف مسلسل الاعتقالات بحق علماء السنة ودعاتها ليومنا هذا؛ فقد سُجن الكثير من علماء ونشطاء السنة في السنوات العشر الأخيرة، ومن أبرز هذه الشخصيات:

مولوي محمد موحد فاضلي، من خراسان، مولوي فتحي محمد نقشبندي، من بلوشستان، الدكتور حميد عالي، من كردستان، الشيخ عبد العلي خير شاهي، من خراسان، الشيخ أيوب كنجي، من كردستان، الشيخ أحمد ناروئي، من بلوشستان، الشيخ عبد الحميد الدوسري، من الأحواز، الشيخ فاروق محمودي، من سنة الجنوب، الشيخ أحمد التميمي، من عرب فارس.

وغيرهم كثير.

■ **عهد الرئيس حسن روحاني:**

وحتى في عهد الرئيس الجديد حسن روحاني؛ الذي يدعي الوسطية والإصلاح، والذي وصل إلى كرسي الرئاسة بأصوات كثير من أبناء سنة إيران الذين كانوا يبحثون عن نافذة للتنفس؛ ولو بشكل مؤقت وقصير، ولكن تفاجأ الشعب كله بأن عهده فاق عهود جميع الرؤساء السابقين في نسبة الاعتقالات والإعدامات في صفوف أهل السنة من جميع المناطق والقوميات!

ففي أواخر شهر (أغسطس من عام ٢٠١٦) قامت السلطات الإيرانية بإعدام أكثر من (٣٥) معتقلًا في سجن رجائي شهر -سيئ السمعة-، جميعهم من أبناء أهل السنة والجماعة، وسط تأكيدات بأن هؤلاء السجناء لم يحظوا بمحاكمة قانونية علنية عادلة، وتم منعهم من توكيل محامٍ للتحقيق في قضيتهم والدفاع عنهم.

وفي هذه السنة -أيضًا- تم إعدام العشرات من نشطاء البلوش؛ حيث كشفت مساعدة الرئيس الإيراني لشؤون النساء والأسرة شهيندخت مولاوردي عن وجود قرية أعدم النظام الإيراني كل رجالها خلال السنوات الأخيرة.

أما في الأحواز؛ فهناك اعتقالات شبه يومية في صفوف المهتدين إلى مذهب أهل السنة والجماعة من أبناء الإقليم، وحُكم على كثير منهم بالسجن المؤبد أو الإعدام؛ بتهم واهية مختلقة!

هذا غيض من فيض، وهكذا الحال في جميع مناطق السنة في جغرافية ما يسمى بإيران، ويقمعون ويقتلون ويغتالون بيد نظام طائفي دموي، في صمت رهيب من العالم أجمع، حيث أصبح دم أهل السنة في إيران رخيصًا في عيونهم العمياء!

الروهنجيا في ميانمار.. الأقلية الأكثر اضطهاداً في العالم

عرض: أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

تتواصل مأساة المسلمين الدامية في بورما في عصرنا الحاضر منذ مطلع القرن الماضي، وإن كانت جذورها تمتد لقرون عديدة، ولما كانت هذه المأساة مجهولة لدى الكثيرين وغير مفهومة المعالم؛ جاءت مبادرة المنظمة الدولية الخليجية لحقوق الإنسان بإصدار دراسة بعنوان: «الروهنجيا في ميانمار.. الأقلية الأكثر اضطهادًا في العالم» في عام (٢٠١٥)، وهي من إعداد الأستاذ طارق شديد - مدير قسم الدراسات العربية بالمنظمة -.

وهذا التقرير -على صغر حجمه والبالغ (٧٠) صفحة من القطع الكبير، والمرفق بالصور الملونة لبيان حجم المأساة- تميز بالشمول والوضوح والبساطة في عرض أبعاد مأساة المسلمين «الروهنجيا» بولاية أراكان (راخين) في دولة ميانمار (بورما سابقًا).

كما عززت معلومات التقرير بشهادات متعددة لعدد من الإعلاميين ونشطاء حقوق الإنسان؛ لتتضح حقيقة حجم المأساة وضخامتها.

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن عدة تساؤلات: ما حقيقة ما يحدث للأقلية الروهنجية في ميانمار؟ وما الخلفيات التاريخية لهذه الجرائم؟ مَن المجرم الذي يريق دماء الأبرياء؟ لماذا سكتت دول العالم الحر حيال ما يجري هناك من انتهاكات صارخة؟ كيف يمكننا أن ننقذ من تبقى من هذا الشعب؟ وغيرها من الأسئلة.

سأحاول عرض أبرز الخطوط في هذا التقرير، وسأتجاوز ترتيب التقرير -أحيانًا- لتتكامل الفكرة الموزعة بين جنباته.

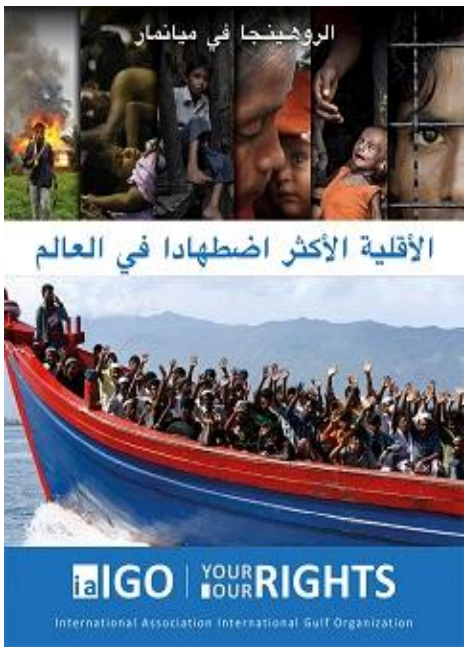

■ **تعريف بدولة بورما:**

بورما كانت جزءًا من الهند تحت حكم الإنجليز، ثم فصلوها عن الهند في سنة (١٩٣٧)، وتم منحها الاستقلال في (١٩٤٧)، وأُلحق بها مستعمرة أركان على أن تمنح تقرير مصيرها بعد (١٠) سنوات.

تضم بورما (١٣٥) عرقية وقومية، أهمها: البوذيون البورمان، وهم من أصول صينية، وهم العرقية الحاكمة، ويليها الروهينجا المسلمون، ويسكنها (٦٠) مليون شخص، (١٥%)

منهم مسلمون، وهو ما تنكره الحكومة البوذية الشيوعية؛ حيث تزعم أنهم (٤%) فقط، والمسلمون يتكون من عدة عرقيات منها: الروهينجا.

ونصف المسلمين في بورما يقطنون إقليم أراكان، ويشكلون حوالي (٧٠%) من سكانه، ويشاركهم فيه أقلية البوذيين الماغ، وهي من أصول هندية.

■ **قصة الإسلام في أراكان:**

نبدأ من قصة المسلمين في أركان؛ حيث وصل الإسلام هذه المنطقة (إقليم راخين) مبكرًا على يد التجار المسلمين في عهد هارون الرشيد؛ فتقبله بعض السكان وانتشر بينهم، وكذلك في المناطق المجاورة، وأصبح هناك تجمعات إسلامية في المنطقة، وبدأ توافد العرب المسلمين عليها.

ومن الأخطاء الشائعة التي وقع فيها معدّ التقرير القول بأن الإسلام وصلها على يد الصحابي الجليل وقاص بن مالك رضي الله عنه! ولا يوجد صحابي بهذا الاسم أصلًا! وهي معلومة مغلوطة؛ حيث يشيع بين مسلمي الصين أن الصحابي سعد بن أبي وقاص جاء للصين ونشر فيها الإسلام وتوفي هناك! وهذا خطأ، والصواب: وفود داعية مسلم يدعى: أبا وقاص لاحقًا للصين ونشره للدعوة هناك، ثم حدث الخلط بين الرجلين.

وظل نفوذ المسلمين يتعاظم في المنطقة بدخول الشعوب والقبائل فيه؛ حتى أعلن سليمان شاه سنة (١٤٣٠م) قيام دولة إسلامية في أركان استمرت لمدة (٣٥٠) عامًا تعاقب على حكمها (٤٨) حاكما مسلمًا، وكانت لهم عملات عليها شعارات إسلامية، وكانوا من القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية أن كان المسلمون يملكون ما يزيد عن (٦٠%) من عاصمة بورما يوم ذاك، وتخوف البوذيون من زحف الإسلام بين الشعوب وتقبلها لها؛ فحرّضوا ملكهم بوداباي الذي غزا مملكة أراكان في سنة (١٧٨٤) وقضى عليها، وألحقها ببورما؛ والتي يُعتقد أنها أحد أسماء بوذا!

وخلال مدة حكمه التي استمرت (٤٢) عامًا عمّ الظلم أركان، وقد أباحها لجنوده هدمًا وحرقًا وقتلًا، وحربًا للإسلام بقتل العلماء وهدم المساجد وبناء معابد البوذية وإجبار المسلمين على اعتناق البوذية، مما أجبر الآلاف على الهجرة للجنوب.

وانتهى حكم البوذيين سنة (١٨٢٤) مع مجيء الاحتلال البريطاني؛ الذي ضمّ بورما لحكومته في الهند، وفي (١٩٣٧) اعتبرت أراكان مستعمرة مستقلة عن حكومتها في الهند، ومع تصاعد المقاومة المسلمة للاحتلال البريطاني، عمدت بريطانيا لدعم الأقلية البوذية وتمكينها من السلطة في أراكان؛ حيث سلمتهم المناصب، وسجنت قادة المسلمين، وسلمتهم أموال وأملاك المسلمين الذين طردتهم أو حرضت البوذيين على قتلهم؛ حيث قتلوا (٣٠) ألفًا من المسلمين سنة (١٩٣٨).

وبعد خسارة بريطانيا أمام اليابان في الحرب العالمية الثانية على أرض أراكان سنة (١٩٤٢) استولى البوذيون على السلاح وقتلوا به المسلمين، وفي عام (١٩٤٧) استثني المسلمين من حضور جلسات ترتيبات تقرير المصير، وفي العام التالي منحت بريطانيا بورما الاستقلال على أن تَمنح أراكان التي ضمتها إليها تقرير مصيرها بعد (١٠) سنوات، وهو الأمر الذي لم يحدث للآن! وتم استحداث قانون مليء بالثغرات يمنح الروهينجا الجنسية البورمية.

فظهرت دولة الملكية البوذية؛ والتي أعلن زعيمها آنذاك أن بورما للبوذيين، وأن على الروهينجا المسلمين -من أجل البقاء فيها- ترك الإسلام وخلع الحجاب وأكل الخنزير، وأن ينخرطوا بالبوذيين، وعندما لم يَقبل المسلمون بذلك اتهموا بتقويض الوحدة البورمية، وطُرد كثير منهم خارج البلاد، وبدأت رحلة الشتات للروهنجيين.

فحقيقة مشكلة الروهينجا: أنهم سلبت منهم دولتهم الخاصة من قبل البوذيين في البداية ثم الإنجليز، وبعد أن فصلتهم بريطانيا عن حكومتهم الاستعمارية في الهند عادوا حين خروجهم من بورما لإلحاق أراكان/ أرخين ببورما، والحكومة البوذية الجديدة لم تعترف بهم؛ لا كأقلية ولا كبورميين، ولذلك أصبحوا أكبر أقلية في العالم فاقدة للجنسية، وتتعرض دوريًّا للاضطهاد والتنكيل!

■ **مسلسل اضطهاد المسلمين:**

في عام (١٩٦٢) قام الجيش بانقلاب، وأُعلنت بورما دولة شيوعية وعدوها الأول الإسلام! وتم مصادرة (٩٠%) من أراضي المسلمين وممتلكاتهم، واستمرت المضايقات السابقة تجاه الإسلام.

وفي عام (١٩٦٧) سحبت الجنسية من آلاف الروهينجا المسلمين، وتم طرد (٢٨) ألفًا منهم لبنغلاديش.

وفي عام (١٩٧٤) سحبت الجنسية من (٣٠٠) ألف روهينجي، وتم طردتهم إلى حدود بنغلاديش.

وتكرر ذلك في (١٩٧٨) مع (٥٠٠) ألف روهينجي مسلم، مات منهم (٤٠) ألفًا بسبب ذلك، وقتل (١٠) آلاف.

وطرح في (١٩٨١) تعديلات على قانون الجنسية للتضييق أكثر على المسلمين.

وفي (١٩٨٢) أصدرت الحكومة الشيوعية قانونًا يَحرِم المسلمين من الأقلية الروهينجية من الجنسية البورمية وحقوق المواطنة، واعتبارهم مهاجرين بنغال غير مرغوب بهم!

وفي (١٩٨٨) تم إبعاد (١٥٠) ألف مسلم من أراكان عن منازلهم لتسكين بوذيين محلهم وللتلاعب بالتركيبة السكانية هناك.

وفي (١٩٩١) قام المسلمون بالتصويت للمعارضة في الانتخابات النيابية؛ والتي ألغيت، ولذلك عاقبهم الجيش الماركسي بطرد نصف مليون خارج البلاد، وسحب جنسيات الألوف منهم.

وفي (١٩٩٧) تعرض المسلمون لحملات إرهابية من المجموعات البوذية.

وفي (٢٠٠١) تكررت هذه الهجمات الإرهابية بدعوى: مسؤولية المسلمين عن أحداث (١١ سبتمبر) في أمريكا، فحرقت مساجدهم، وقتل البعض منهم، واغتصب الكثير من ممتلكاتهم بدعم من الجيش.

وفي (٢٠١٠) أقيمت انتخابات فازت فيها زعيمة المعارضة أونغ سان سو كي، والحائزة على جائزة نوبل للسلام، مما جعل الكثير يتفاءل بذلك ويعتقد انتهاء هذه المأساة، لكن تبيّن أن ذلك كان لتجميل وجه الجيش، والتغطية على مأساة الروهينجا؛ حيث تزايدت وتيرة تلك الحرب الطائفية ضدهم.

■ **حركة (٩٦٩) البوذية، وجرائمها بحق المسلمين:**

في عام (١٩٩٩) قام بعض الرهبان البوذيين بتأسيس منظمة مختصة بالدفاع عن البوذية ومحاربة الإسلام والمسلمين الروهينجا، وكان زعيمهم الراهب كياو لوين، وأخذ الاضطهاد للمسلمين مع ظهور هذه المنظمة البوذية أبعاد أكثر وحشية وتحريضًا علنيًّا رسميًّا وتجييشًا للعامة من البوذيين.

وبخصوص اسمهم (٩٦٩): فهو يشير لأصول البوذية، فـ (٩) الأولى ترمز لسمات بوذا التسعة، و(٦) تشير لتعاليم بوذا الستة المعروفة بالدارما، و(٩) الثانية ترمز للسمات التسعة للرهبان (السانغا)، فهي حركة تقوم على بوذا والدارما والسانغا جوهر البوذية!

وفي (٢٠٠١) انضم للحركة راهب يدعى آشين ويراثو من أقلية الماغ البوذية، وقد فاق كل أقرانه في الإجرام والإرهاب والطائفية؛ حتى وصف نفسه بأنه ابن لادن البورمي، وفعلًا قاد الكثير من حملات القتل والحرق والاعتداء على المسلمين، وبسبب همجيته لم تتحمله حتى السلطات البورمية، فسجن في (٢٠٠٣)

بتهمة التحريض على الكراهية الدينية، وتم الإفراج عنه في (٢٠١٢) وتم تعيينه زعيمًا لمنظمة (٩٦٩) المتطرفة، وسرعان ما نجح في قيادة موجات العداء للروهنجيين في (٢٠١٢ و٢٠١٣) بعد جولاته في أنحاء بورما، وإلقاء محاضرات عن خطر الإسلام على البوذية؛ والتي تشهد انتشارًا واسعًا عبر الأشرطة في مختلف أرجاء البلاد، حيث يزعم ويراثو أن المسلمين لديهم خطة للاستيلاء على بورما، ولذلك فيجب عدم الشراء من متاجر المسلمين، وعدم السماح لهم بالزواج من البوذيات!

وتقوم فكرة تبرير هذه الجرائم على عقيدة اللاعنف البوذية! حيث تتضمن هذه العقيدة: إباحة العنف إذا كان بِنية طيبة؛ كالدفاع عن البوذية! فالرهبان ينشرون خطاب كراهية عن خطر المسلمين على البوذية وأنهم بذاتهم خطر يجلب غضب الإله، مما يتسبب بالأعاصير والفيضانات والجفاف! وعليه تصبح إبادتهم مبررة ومقبولة دينيًّا في البوذية!

ويَعتقد الكثير من المراقبين أن تأسيس هذه المنظمة تم بموافقة الجيش والحكومة البورمية، بهدف: إزاحة مسؤولية اضطهاد المسلمين عنهما مع تصاعد الإدانة الدولية لذلك، حيث تقوم منظمة (٩٦٩) بالهجوم والتخريب والقتل والاغتصاب والتخويف، ثم تأتي قوات الأمن لتصادر الممتلكات ولتعتقل وتسجن وترحّل من بقي!

ومنذ (٢٠١٢) تقوم (٩٦٩) بقيادة الهجمات الإرهابية على المسلمين، وهم وراء كل ما يتعرض له المسلمون هناك، وقد بلغ بهم الإجرام لمنع وصول المنظمات الدولية لإغاثة الروهينجا وإيقاف المجازر بحقهم؛ برغم توقيع بورما على المواثيق والمعاهدات الدولية لحقوق الإنسان!

وتُواصل الحكومة البورمية كل أشكال الاضطهاد للمسلمين؛ من منع التنقل والسفر، والمجازر والإبادة، والاعتقال الظالم والتعذيب، ومصادرة الممتلكات وإقامة مستوطنات بوذية على الأراضي المصادرة، وانتهاك حقوق النساء، وهدم المساجد وحرق المصاحف والمدارس الدينية، ومنعهم من الحج وذبح الأضاحي.

بعد هذا الاستعراض التاريخي لمأساة المسلمين الروهينجا؛ يقدم التقرير (٦) شهادات لإعلاميين وحقوقيين تكشف حقيقة الجرائم الأخيرة بعد عام (٢٠١٢)، وفيها روايات للعديد من الروهونجيين وما جرى لهم.

ثم يتناول التقرير موقف المجتمع الدولي من هذه الجرائم، وأنه لم يتحرك بالشكل المطلوب منه، مما شجع الحكومة البورمية على استمرار هذه الانتهاكات، ورغم تناول الموضوع في مجلس حقوق الإنسان في (٢/ ٢٠١٣) إلا أنه لم تكن هناك مواقف حقيقية ترفع المظالم.

وفي (٢٠١٤) أصدرت منظمة «هيومن رايتس ووتش» تقريرًا مطولًا عن المأساة؛ من خلال زيارة ميدانية لأركان خلصت منه لمسؤولية وتورط مسؤولين في الحكومة البورمية وقيادات مجتمعية ورهبان بوذيين عن كل هذه الجرائم.

ومن أوجه تورط الحكومة في اضطهاد المسلمين: تقليل نسبتهم، ورفضها القيام بإحصاء سكاني حقيقي يكشف الحقيقة، وعندما قامت الحكومة في (٢٠١٤) بإحصاء سكاني وعدت الأمم المتحدة بإشراك الروهينجا به والسماح لهم بذكر قوميتهم في خانة (أخرى)؛ قامت احتجاجات بوذية ضد مندوبي الأمم المتحدة؛ الذين فروا، ولم يتم قبول تعداد شخص يطلب اعتباره روهنجيا!

إن مواثيق حقوق الإنسان وحقوق الشعوب الأصلية يتم انتهاكها بحق المسلمين الروهنجيا منذ عقود، والواجب على المجتمع الدولي مساندة هذا الشعب لنيل حقوقه وحرياته السليبة، ومعاقبة المجرمين المعتدين عليه.

صديقك من صدقك

قالوا: حديث غزة عن "تطبيع" العلاقات مع نظام الإجرام في دمشق سيقضي على ما تبقى من صورة حماس لدى الشعوب العربية... الدم الفلسطيني ليس أغلى من السوري!

د. إبراهيم حمامي - تغريدة على تويتر

سيبقى ذيل الكلب أعوج!

قالوا: كان هناك اعتقاد سائد بأن أدوات النظام الإيراني في دول آسيا الوسطى مختلفة تمامًا عن أدواتها مع غرب آسيا، تتمثل في التركيز على القوة الناعمة، والمشتركات الثقافية واللغوية والتاريخية.

لكن فاجأت الحقائق التي كشفت مؤخرًا؛ حيث بث التلفزيون الرسمي لدولة طاجيكستان -التي تتحدث الفارسية- فيلمًا وثائقيًّا خطيرًا عن تاريخ الدعم الإيراني للإرهاب في كثير من العمليات الإرهابية في البلاد منذ استقلالها؛ كتدريب بعض العناصر الإرهابية على السلاح، وتنفيذ الاغتيالات، واستهداف رجال الأمن والمثقفين، وتنفيذ الأجندة الإيرانية في الداخل الطاجيكي.

وكشفت تقارير دولية تورُّطَ النظام الإيراني في تنفيذ عمليات إرهابية في أفغانستان، لكن هذه المرة عبر حركة طالبان، فبعد انفجار صهريج مياه الصرف الصحي أمام السفارة الألمانية في كابول تداولت تقارير صحفية أن الصهريج كان يقف في مساء اليوم الذي سبق الحادثة في الشارع المجاور للسفارة الإيرانية.

محمد السلمي - الوطن السعودية

(١٧/٨/٢٠١٧)، باختصار وتصرف.

كيد لا يتوقف

قالوا: حذرت منظمات حقوقية بحرينية من مخطط يستهدف الإساءة إلى مملكة البحرين؛ خلال اجتماع مجلس حقوق الإنسان الدولي في (٢١ سبتمبر) الجاري، حيث هناك أكثر من (٣٠) منظمة حقوقية سجلت للتعقيب على الرد الحكومي، من بينها (١٠) منظمات على الأقل ذات توجهات معادية للمملكة.

وتم رصد وجود تأثير من بعض المنظمات على بعض أفراد سكرتارية مجلس حقوق الإنسان الدولي، الأمر الذي سمح بإعطائهم الأولوية في الجلسة المخصص لها (٢٠) دقيقة فقط!

وسيتم رفع شكوى إلى مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان للتصدي لهذا المخطط؛ حتى يتدخل لضمان الحيادية في التعليقات على ملف البحرين.

د. فيصل فولاذ - صحيفة أخبار الخليج (١٦/٩/٢٠١٧)

حقيقة دعم الشيعة لفلسطين

قالوا: مرّ بنا هذه الأيام ذكرى فاجعة مذبحة صبرا وشاتيلا التي ارتكبها اليهود مع عملائهم من نصارى لبنان، بقيادة المجرم شارون...

العجيب بالأمر وأنا أتنقل بين بعض المواقع الشيعية ومنها «المنار» شاهدت عناوين تستنكر تلك المذبحة وتذكّر بها..

طبعًا هذا يصب في مشروع استغلال قضية فلسطين للمتاجرة بها لحساب المشروع الإيراني الشيعي!!!

المهم في الأمر: أن بعد سنتين أو ثلاث حصلت مذبحة أخرى للفلسطينيين وفي نفس البقعة وفي نفس المكان، لكن هنا كان المنفذ

هو حركة أمل الشيعية!! وهذه المرة حصلت مجزرة لا تقل بشاعتها عن مجازر شارون لتلك المخيمات..

وهذا حصل مع تواجد القوات السورية النصيرية صاحبة شعار الممانعة؛ والتي غطت على هذا الهجوم الدموي..

قامت حركة أمل باقتحام مخيمي صبرا وشاتيلا، وقامت باعتقال الفلسطينيين، ومنعت سيارات الإسعاف من مساعدتهم، ومنع الهلال والصليب الأحمر من دخول المخيم، وقطعوا إمدادات المياه والكهرباء عن المستشفيات الفلسطينية..

وانطلقت حرب قوات أمل المسعورة على الفلسطينيين أطفالًا ونساءً، وقام اللواء السادس في الجيش اللبناني بمساندة حركة أمل في حربها.

هذا ومن الجدير بالذكر: أن أفراد اللواء السادس كانوا كلهم من الشيعة!

وبعد شهر كامل من القصف الشديد والمركّز على المخيمات خرج الفلسطينيون من مخابئهم بعد الخوف والجوع الشديد الذي دفعهم ليأكلوا الكلاب والقطط ، وليجدوا أن (٩٠%) من بيوتهم تم تدميرها، وقتل وجرح ما لا يقل عن (٣١٠٠) شخص و(١٥ ألف) مهجر..

يفهم من هذا بأن حركة أمل الشيعية قد أكملت ما بدأه شارون من ذبح وتهجير للفلسطينيين؛ خدمة للمشروع الصهيوني في تفريغ محيط فلسطين من الفلسطينيين..

موقع الحقيقة - لجنة الدفاع عن عقيدة أهل السنة في فلسطين

الخطر القادم

قالوا: تؤكد نتائج الدراسة على أن "داعش" قد يخسر الأرض، لكنه من خلال هذه المناهج التعليمية تمكن من تشكيل تراث فكري سيكون هو جبهة المواجهة القادمة.

فمثل هذه المناهج الدراسية تشكل وعي جيل من النشء سيتجه لاستخدام العنف لبناء «دولة الخلافة» وفقًا للفكر الداعشي المضلل.

من كتاب «من داخل صف الخلافة» لجاكوب أوليدورت، موقع مركز المستقبل.

حقيقة مرة

قالوا: «تعز» لأنها حاضرة سنية كبرى مؤثرة في اليمن تباد كما أبيدت الأنبار وحلب.

أنور الخضري - صفحته الشخصية بالفيس بوك

دمار الروهينجا بنصرة داعش والقاعدة

قالوا: ليس لدينا أية علاقات مع تنظيم القاعدة أو تنظيم "داعش" أو أي مجموعة إرهابية دولية، ولا نرغب في أن تتدخل هذه المجموعات في النزاع في أراكان.

جيش إنقاذ روهينغا أراكان، في بيان على تويتر

الاختراق الإيراني الاقتصادي لسوريا

قالوا: في آخِر إشارة إلى أن طهران تسعى إلى توسيع نطاق نفوذها الاقتصادي في سوريا وقّعت الحكومة الإيرانية أول أمس الثلاثاء عدة اتفاقيات مع دمشق لإصلاح شبكة الكهرباء والبنية التحتية في سوريا.

وطبقًا لوسائل الإعلام الإيرانية والسورية فإن العقود «التي تبلغ قيمتها مئات الملايين من اليوروهات» وُقِّعت خلال اجتماع بين وزير الطاقة الإيراني ستار المحمدي ونظيره السوري ظاهر خربوطلي في طهران.

وقد تم منح عقد رئيسي لبناء شبكة للهاتف المحمول في سوريا لشركة الاتصالات الإيرانية، كما أن بناء شبكة الهاتف النقال في سوريا سيوفر -أيضًا- شبكة الاتصالات الدولية، وتدرك إيران أهمية الاستخبارات والتجسس في نظام الاتصالات.

موقع الدرر الشامية (٢٠١٧/٩/١٤)

«ترويض الإسلام» أكاديمياً في ألمانيا!

الصحفي الألماني أرنفريد شينك-موقع قنطرة (٢٠١٧/٩/٣)

يعيش في ألمانيا أكثر من أربعة ملايين مسلم، ويرتاد (٧٥٠٠٠٠) تلميذ وتلميذة من معتنقي الدين الإسلامي المدارس الألمانية.

«الإسلام جزء من ألمانيا»: تلك لم تعد عبارة استفزازية، بل حقيقة ثابتة، ورغم ذلك ظل الفقه الإسلامي غائبًا عن الجامعات الألمانية لفترة طويلة، وانتظر الطلاب تدريس مادة التربية الإسلامية باللغة الألمانية طويلًا، ولذا أوصى المجلس العلمي -والذي يعد أهم هيئة استشارية للسياسة التعليمية في ألمانيا- في عام (٢٠١٠) بتأسيس أقسام للدراسات الإسلامية في الجامعات الألمانية، على أن يكون الهدف من تلك الأقسام: تأهيل علماء الدين؛ كالأئمة، ولا سيما المعلمين الذين يتولَّون تدريس مادة التربية الإسلامية.

وعلى مدى خمس سنوات بلغ إجمالي تمويل الوزارة الاتحادية للتعليم والبحث العلمي للمراكز الإسلامية في جامعات: مونستر وأوسنابروك وفرانكفورت وتوبينغن وإرلانغن-نورنبرغ (٢٠ مليون يورو)، وقد كانت وزيرة التعليم الألمانية -آنذاك- أنيتّ شافان هي القوة الدافعة وراء المشروع، وكانت تتمنى أن تكون هناك دراسات فقهية تنجح في ترجمة الدين على الواقع المعاصر، ووكان من المفترض أن يكون المسار الدراسي الجديد علامة فارقة في الطريق نحو الاندماج.

في (تشرين الأول-أكتوبر ٢٠١٢) افتتحت وزيرة التعليم الألمانية -في ذلك الوقت- أنيتِه شافان مع الفقيهين الإسلاميين مهند خورشيد وبولينت أوجار مركز الفقه الإسلامي في جامعة مونستر.

◙ تقييم إيجابي للمادة الجديدة:

وفي عام (٢٠١٦) خضع هذا المسار الدراسي لتقييم أوليّ، وجاء التقييم الذي أجراه باحثون في العلوم الإسلامية وعلماء دين بنتائج إيجابية، وقالت وزيرة التعليم الألمانية يوهانَّا فانكا أن تلك الأقسام قد منحت العقيدة الإسلامية موطنًا في إطار المناقشات الفقهية-الأكاديمية، هناك نحو (١٨٠٠) رجل وسيدة مسجلين بأقسام البكالوريوس والماجستير في تلك الجامعات.

ومن المقرر مواصلة ضخ التمويل على مدى خمس سنوات أخرى، علاوة على ذلك تأسست في بادربورن وفرايبورغ كليات لدراسة التربية الدينية والفقه، وما زال الاقتراح قيد النقاش في برلين.

◙ من المفترض أن يكون للمسلمين رأي في اختيار المناهج الدراسية:

لم يكن الطريق خاليًا من الصعوبات؛ إذ تمثَّلت إحدى العراقيل في التعاون مع الجمعيات الإسلامية، ومن بينها -على سبيل المثال-: اتحاد ديتيب (الاتحاد الإسلامي التركي للشؤون الدينية)، والمجلس الإسلامي، والمجلس المركزي للمسلمين، حتى وإن كانت تلك الجمعيات لا تمثل سوى ثلث المسلمين في ألمانيا

فقط إلا أن (٨٠%) من المساجد تابعة لها، وترتبط بالمسارات الدراسية الإسلامية في الجامعات عبر ما يُسمى بالمجالس الاستشارية.

ومن المفترض أن يكون لتلك الجمعيات رأي في القرارات المتعلقة باختيار الموظفين والمناهج الدراسية، كما هو حال الكنائس في كليات اللاهوتية المسيحية؛ إلا أن توجهات تلك الاتحادات أرثوذكسية ومحافظة للغاية، وإنها تعتبر الفقه بمثابة إدارة للمعرفة والإلمام الديني؛ ولذا حذَّر العديد من الأكاديميين من تجاوزات مسؤولي الاتحادات التي من شأنها الإطاحة بحرية البحث والتدريس بالجامعات الحكومية.

◙ قلق بشأن الأحقية في التفسير:

وتجلَّت الصعوبة الكامنة في هذا التعاون في مونستر على وجه الخصوص؛ حيث يرأس مهند خورشيد مركز الفقه الإسلامي، ويسعى مهند خورشيد إلى تجديد الإسلام من الداخل إلى الخارج؛ مع التركيز في المقام الأول على عقلانية ونضوج المؤمن، إلا أن مسؤولي الاتحاد قلقوا بشأن أحقيتهم في تفسير الإسلام في ألمانيا، ورأوا في خورشيد أستاذًا متحررًا أكثر من اللازم، يخرج عن سياق الإسلام، ولا يلتزم بالمبادئ المذهبية في التدريس، وطالبوا على ذلك بإقالته، وأعدوا تقريرًا من المفترض أنه يوضِّح مخالفاته المزعومة؛ إلا أن إدارة الجامعة أبقت على مهند خورشيد في منصبه، ومنذ ذلك الحين وهناك نوع من الهدنة يسود بين الطرفين.

كما تمثِّل مسألة شغل الوظائف عقبة أخرى في هذا الصدد؛ أين يمكن العثور على كوادر أكاديمية بهذه السرعة؟ ينبغي أن يكون الأساتذة حاصلين على مؤهلات في الدراسات الفقهية، وقادرين -أيضًا- على التدريس باللغة الألمانية، وبالتالي؛ فإنه ليس من الممكن شغل كافة المناصب على نحو مثالي.

إلا أنه تم التغلب على الصعوبات المبدئية في هذا الصدد إلى حد كبير؛ حيث تم شغل العديد من مناصب الأساتذة، وأصبح هناك طيف متنوع من الاختصاصات بين المراكز المختلفة، بعضها يقوم بالتركيز على تفسير القرآن في المقام الأول، بينما يتجه البعض إلى التركيز على الشريعة الإسلامية.

تنصَّب إحدى المحاور البحثية في مونستر -على سبيل المثال- على أصول الفقه الإسلامي ومنهجيته، وفي فرانكفورت/غيسن تتمحور على التربية الدينية الإسلامية، إلا أن السمة المشتركة بينهم تتمثَّل في رغبتهم جميعًا في إتاحة الفرصة لتفسير القرآن تفسيرًا تاريخيًّا نقديًّا، ومد جسر إلى الواقع الحياتي للمسلمين في ألمانيا.

◙ الفصل بين العلم والإيمان:

لكن ما هو وضع الدارسين؟ يقول هاري هارون بير -أستاذ التربية الإسلامية في فرانكفورت-: «العديد منهم يسعون إلى توطيد إيمانهم، وليس إلى العمل الأكاديمي»، وهذا التحدي ليس بغريب على مهند خورشيد أيضًا؛ إذ ينبغي عليه أن يوضِّح للدارسين معنى ومغزى الدراسية الفقهية في الجامعات العلمانية.

ويؤكد خورشيد أن العديد منهم يواجه حتى الآن صعوبة في الفصل بين العلم والإيمان، «يريدون أن يروا فيها إثباتًا على صحة عقيدتهم، في حين أن الجامعة هي مكان للتفكُّر في العقيدة».

يرى خورشيد أن الأمر سيستغرق من جيل إلى جيلين دراسيين لحين تصل تلك الفكرة للجميع.

ما زالت دراسة الفقه في أول طريقها في ألمانيا، ورغم ذلك فإنها تحرز تطورًا ملحوظًا، وتوفر ألمانيا قدرًا أكبر من حرية التفكير مقارنة بمعظم الدول الإسلامية التي ينتمي إليها الدارسون، وتلك فرصة ينبغي استغلالها.

وتعد مدرسة الخريجين -التي أسستها الجامعات بالاشتراك مع مؤسسة ميركاتور- خطوة إيجابية في هذا الاتجاه، يتمثَّل الهدف من تأسيس مدرسة الخريجين في التغلب على ما تعاني

منه ألمانيا من نقص في الباحثين المؤهلين، وقد قدَّمت بالفعل ما يقرب من (٢٠) باحثًا شابًّا مؤهلًا تأهيلًا عاليًا، ومن شأن هؤلاء رسم ملامح الفقه في ألمانيا في المستقبل، وتمثيل المسلمين في المجال العلمي وفي المدارس وفي الحياة العامة.. إسلام، صُنِعَ في ألمانيا.

الإمساك بالعصا من المنتصف.. سياسة إيرانية تجاه كردستان

سردار تورغوت- صحيفة خبر تورك- ترجمة تركيا بوست (٢٠١٧/٩/١١)

مصادر في واشنطن تعمل في الأجهزة المسؤولة عن متابعة إيران وسياساتها الإقليمية قالت لي: إن طهران تعمل على تطوير علاقاتها الاقتصادية على المدى البعيد مع الإقليم الكردي؛ الذي بدأ العد التنازلي من أجل استفتاء الانفصال عن العراق، وإنها تخطط من أجل سحب البساط من تحت أقدام تركيا.

وبحسب المصادر؛ فإن إيران وإن أظهرت أنها تتخذ موقفًا مماثلًا للموقف التركي في معارضة الاستفتاء إلا أنها تعمل على تعزيز علاقاتها الاقتصادية مع الإقليم؛ على أساس أن الاستفتاء المزمع في (٢٥) الشهر الحالي ستكون نتيجته إيجابية.

وتشير المصادر إلى أنه في حال نجاح خطط إيران في الحلول محل تركيا -القوة الاقتصادية الأكثر فعالية في الإقليم الكردي- فإن جميع التوازنات في المنطقة قد تنقلب في غير صالح تركيا.

وتضيف: أن الإقليم الكردي -الذي عانى من أزمة اقتصادية عقب تراجع أسعار النفط- بدأت تظهر عليه مؤشرات التعافي، وأن حكومته بدأت تضع خطط النمو الاقتصادي على المدى البعيد.

على سبيل المثال: يصدر الإقليم حاليًّا (٦٠٠ ألف) برميل من النفط يوميًّا، وتعتزم حكومته رفع الصادرات إلى مليون برميل خلال فترة قصيرة.

وتقول مصادر واشنطن: إن إيران ترغب بتعزيز علاقاتها بشكل أكبر مع الإقليم الكردي، ولهذا عينت وزيرًا للنفط من أصول كردية، وتؤكد أنها افتتحت مكتبًا تجاريًّا لها في أربيل، في حين يمتلك الأكراد مكاتب مماثلة في طهران.

وتوضح: أن مبعوثي رئيس الإقليم مسعود بارزاني يزورون واشنطن في الآونة الأخيرة باستمرار، ويقيمون علاقات مع أعضاء الكونغرس، وأنهم يعربون عن رغبتهم في إقامة علاقات مع غرف التجارة في المدن الأمريكية المختلفة، ويتحدثون عن خططهم المستقبلية.

وتؤكد المصادر: المتابعة لتوازنات القوى في المنطقة أن على تركيا التفكير بطريقة تحافظ على مصالحها على المدى البعيد، مع اقتراب موعد إجراء الاستفتاء.

وتقول: «كما أن إيران تعارض من جهة الاستفتاء كما تفعل تركيا، وتقدم على خطوات من أجل تعزيز علاقاتها الاقتصادية مع الإقليم الكردي من جهة أخرى، يتوجب على تركيا بسبب السياسة الإيرانية هذه على الأخص إقامة علاقات مع الإقليم؛ بحيث لا تتضرر مصالحها الاقتصادية على المدى البعيد».

عن أي تحالف تركي - إيراني يتحدثون؟!

علي حسين باكير- العرب القطرية (٢٠١٧/٨/٢٩)

هناك مبالغة دائمة في توصيف العلاقات التركية-الإيرانية في العالم العربي! وسواء كان ذلك مقصودًا أو غير مقصود؛ فإن التوصيف غير الدقيق لطبيعة هذه العلاقات يعمل على ترسيخ صورة خاطئة لدى العامة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى صانع القرار الذي غالبًا ما يبني قراراته على الانطباعات السائدة، بدلًا من المعلومات الدقيقة.

لا شك أنّ الزيارة التي قام بها رئيس هيئة الأركان الإيرانية محمد حسين باقري إلى تركيا على رأس وفد رفيع المستوى، ضم عددًا من القادة العسكريين، هي زيارة في غاية

الأهميّة، لكن القول أن العلاقات التركية-الإيرانية تحوّلت بعد هذه الزيارة إلى علاقات تحالف استراتيجي، ينم عن سطحيّة! ربما هي أقرب إلى سياق التفكير بالتمنّي.

نعم.. هناك تخوّف مشترك يجمع الطرفين إزاء تطلعات الميليشيات الكردية المسلّحة داخل كل منهما، وفي الإطار الإقليمي أيضًا، وهو ليس كافيًا بتاتًا للحديث عن تحالف استراتيجي؛ حتى في إطار هذا الملف المحدود، وذلك لأنّ هذا التخوّف المشترك ليس طارئًا أو جديدًا، فهو موجود دائمًا، وبالتالي لا مبرر لاستحضار الحديث عن شيء استراتيجي الآن، كما أنّ الركون إليه لتضخيم المصالح المشتركة بين البلدين هو أمر غير حقيقي ولا يصح.

هناك شريحة واسعة من المسؤولين الأتراك لا تثق بالجانب الإيراني بتاتًا؛ سواءً تعلّق الأمر بالملف الكردي، أو بغيره من الملفات ذات الاهتمام المشترك، ولم يكن الأمر كذلك قبل عام (٢٠١١)، ولكنّه أصبح واقعًا وحقيقة راسخة في عملية صناعة القرار في تركيا.

أضف إلى ذلك أن قائمة الخلافات الاستراتيجية بين البلدين على الصعيد الإقليمي أكبر من أن يمحوها تعاون مشترك ضد الميليشيات الكردية، علمًا أن هذا التعاون لا يزال في إطاره النظري حتى هذه اللاحظة، بالرغم من كل ما يقال.

كما هو معلوم؛ فإن زيارة الوفد الإيراني جاءت بناءً على دعوة من الجانب التركي، ولذلك فإن جزءًا مما جرى هو رسالة إلى أطراف أخرى، يقصد المسؤولون الأتراك من خلالها المناورة، في ظل قلّة الخيارات المتاحة أمامهم لمواجهة التحديات المتراكمة في المسرح السوري والعراقي.

الرسالة كانت موجّهة إلى الجانب الأميركي تحديدًا، وقد أثارت بالفعل حساسية واشنطن؛ لا سيما عندما تحدّث رئيس الجمهورية رجب طيب أردوغان عن احتمال إطلاق عملية عسكرية مشتركة مع الجانب الإيراني.

في المقابل؛ يدرك الإيرانيون هذا الأمر جيدًا، ولذلك فقد قاموا بشكل سريع بنفي تصريح الرئيس أردوغان لحرمان أنقرة من الاستفادة منه في الحصول على دعم أميركا، لكن لا يمكن للأميركيين كذلك المخاطرة في الافتراضات، وهم غير متأكدين حتى هذه اللحظة إذا ما كان التوجه التركي للعمل أمنيًّا مع إيران حقيقيًّا أم للمراوغة فقط.

لقد زار وزير الدفاع الأميركي ماتيس تركيا بعد أيام قليلة من زيارة الوفد الإيراني، وملف الميليشيات الكردية كان حاضرًا خلال الزيارة، وهناك من يشير إلى أنّ الجانب الأميركي وعد تركيا بتفعيل التعاون الاستخباراتي فيما يتعلق بقيادات الميليشيات الكردية في سوريا والعراق، لا بل إنّ البعض تحدّث -نقلًا عن مصادر- إمكانية تنفيذ عمليات اغتيال ضد قيادات حزب العمال الكردستاني في الخارج.

خلاصة القول؛ مهما كان حجم اللقاء التكتيكي الآني بين تركيا وإيران في بعض الملفات، فإن الحديث عن علاقات استراتيجية أمر بعيد المنال! لا يقرّبه إلا دفع الأطراف الإقليمية والدولية تركيا إلى اليأس من جدوى وفوائد العلاقة معهم.

في معنى أن تنتصر طهران

حازم الأمين- الحياة (٢٠١٧/٩/٤)

لم تكن الحرب يومًا في إقليمنا على هذا القدر من الوضوح ومن الجلاء؛ إيران تخوض حربها من خلال جيوش غير إيرانية -بينها الجيش العراقي والجيش السوري-، توازيها ثلاث ميليشيات: الحشد الشعبي العراقي، و«حزب الله» اللبناني، والميليشيات السورية المستحدثة.

تعقد طهران اتفاقًا مع «داعش» لمبادلة جثة جندي لها بسلامة مقاتلين للتنظيم، فيتولى «حزب الله» تنفيذ تفاصيل الاتفاق، وفيها يُدفع مقاتلو «داعش» من الحدود اللبنانية إلى الحدود العراقية تتذمر حكومة بغداد، وتُسجل حكومة بيروت «نصرًا» على الإرهاب، ويبقى «التذمر» و «النصر» ضمن دائرة الضبط الإيراني، ولا يخرجان عن الهامش الذي تتيحه طهران للأطراف التي تدير عبرها حروبها الإقليمية.

والحال أن قمة الانكشاف كانت هذا الأسبوع؛ عبر الفصول الجديدة من اتفاق انسحاب عناصر «داعش» من القلمون اللبنانية-السورية إلى البوكمال السورية-العراقية؛ ذاك أن طائرات التحالف الدولي قررت أن تُنغص على طهران تنفيذ الاتفاق في نصفه الثاني، أي: في مرحلة انتقال مقاتلي التنظيم وعائلاتهم إلى البوكمال.

«حزب الله» رفع الصوت لـ «إنقاذ» المقاتلين وعائلاتهم من موت في الصحراء، فهالتنا خطوته ورفعنا الصوت مذهولين من حرصه على حياة عناصر التنظيم وعائلاتهم! والحال أن ذهولنا يشبه إلى حد كبير محاولة التحالف الدولي اعتراض الخطوة الإيرانية، ذاك أن خطوة التحالف كاشفة لعجزه عن الإتيان بأكثر من اعتراض قافلة لمئات من المقاتلين وعائلاتهم.

ومثلما انطوى ذهولنا على سذاجة! انطوى صمتنا على حقيقة أن الخطوة الدولية لا قيمة لها، على سذاجة موازية!

طهران تسجل انتصارًا في أعقاب انتصار، وتمتص غضب خصومها بتذمر لا قيمة له لحكومة بغداد، أو بإتاحة رفع صوت لبناني كئيب استهوالًا لفعلتها، إلى أن انضم التحالف الدولي إلى حفلة الأصوات المختنقة، فكان انتقامه من طهران عبر حصار قافلة لـ «داعش»، واستجاب حزب الله لرغبتنا في سقطة له تمكّن عبرها من امتصاص غضبنا، فأصدر بيان القلق على مقاتلي «داعش»، وانطلق الصراخ، وشعرنا أننا أفرغنا ما في وجداناتنا من توتر واضطراب، وأكمل «حزب الله» حياته، ونمنا جميعًا ملء جفوننا في تلك الليلة!

إيران انتصرت في الحرب على «داعش»، أما الحكومات التي تمارس نفوذًا عليها في بغداد ودمشق وبيروت فليست في موقع من ينتصر أو ينهزم، وأن تنتهي الحرب بهذه النتيجة -أي: بانتصار جلي لطهران- فعلينا أن ننتظر ولادة وشيكة لمسخ جديد!

من الغباء والجهل انتظار شيء آخر! قوة مذهبية إقليمية انتصرت في الحرب على «داعش»، وتركيا لم تنتصر على «داعش»، والعرب لم يفعلوا ذلك، أما التحالف الدولي فكان ملحقًا بالقوة الإيرانية تمامًا كما كان الحشد والحزب ملحقين، وجل ما فعله كان اعتراض قافلة لـ «داعش» أرادتها طهران أن تصل إلى الحدود.. «لا بأس أقصفوها، وسنصدر بيانًا يعبر عن قلقنا على المدنيين فيها»!

وأن تنتصر طهران في هذه الحرب؛ فهذا يعرضنا إلى مصير أكثر بؤسًا مما كابدناه مع «داعش»، الأخير سيصبح ممثلًا لكل المهزومين؛ وما أكثرهم، والمسخ لا يموت، ذاك أنه عرضة لولادة جديدة، الشروط كلها مؤمنة له؛ عدوه المذهبي انتصر في الحرب عليه، المدن مدمرة بالكامل، ومخيمات البؤس والجوع والمرض تمتد من على مساحات شاسعة أينما اتجهت في دول الإقليم.

إيران مَن انتصر على «داعش»، وليس العقل ولا الاعتدال، وفي لبنان انتصر «حزب الله»، وفي سورية انتصر بشار الأسد، وفي العراق انتصر «الحشد الشعبي».. هل من مشهد أشد دلالة على توقع ولادة المسخ مجددًا وقريبًا جدًّا؟

لكن ما يجعل الإقامة في هذا العالم مخيفة، هو: أن المسخ الجديد لا أحد بريء من ولادته؛ العرب الذين انكفأوا عن الحرب عليه، والأتراك الذين فتحوا حدودهم له، و «الامبراطورية

الإيرانية» التي لطالما غبطها عدو مثل «داعش» فراحت تفتح له المدن والقصبات، تمهيدًا لانتصارات سهلة عليه.

أما الأب الرابع فهو: ذلك الانكفاء الغربي والأميركي تحديدًا؛ هذا الغرب لم يتعلم ما يعنيه أن تتحول الحرب على «داعش» إلى نصرٍ مذهبي، ولم يتعلم -أيضًا- أنه لن يكون في منأى عن هذا الاختلال الهائل!

لماذا يذبحونهم؟.. البوذية والسيف

فيصل بن علي الكاملي- مجلة البيان (٢٠١٤/٧/٢٦)

تعد البوذية من الديانات الحاضرة الغائبة في العالم الإسلامي، بل في العالم بأسره؛ فعقائدها وطقوسها وأفكارها تتسلل صامتة، وجل هذه العقائد يُصدّر في لباس غير لباسها الحقيقي.

ومن الأمور التي شاعت كذبًا عن هذه النحلة: أن أتباعها قطيع من الحملان الوديعة التي لا تؤذي بهيمة، بل لا تعضد شوكة! حتى إن المرء ليعجب لكثرة ما سمع من حب البوذية للسِّلم، كيف يمكن أن تتحول حمائم السلام هذه إلى وحوش كاسرة؟

والحقيقة: أن هذا كله من التزييف المتعمد؛ الذي نجح في تمريره الرهبان البوذيون في المشرق والمغرب على حد سواء.

فها هو المختص في الدراسات البوذية والعنف مايكل جيريسون يحدثنا في مقال له بعنوان: (رهبانٌ يحملون السلاح)[١]، عن الواجهة المزوّقة التي استطاع البوذيون أن يخدعوا بها العالم بأسره؛ فيقول أنه منذ بداية إدراكه وجود تلك الواجهة الخادعة عام (٢٠٠٤) بدأ يراجع قراءته الأولى للبوذية، تلك القراءة التي «حجبت بُعدًا عريضًا وتاريخيًّا للتقاليد البوذية، وهو [بُعد] العنف»، ثم تبيّن له أن الرهبان المدججين بالسلاح في تايلاند -على سبيل المثال- هم «مثال معاصر لسابقة تاريخية طويلة الأمد»، لكن مفكري البوذية الذين صدّروها إلى بلاد الغرب، أمثال: الـ (دالاي لاما) «عرضوا جوانب معينة من تقاليدهم البوذية، بينما استبعدوا جوانب أخرى».

من هذه الجوانب التي أخفوها: موقفهم ممن يخالف ملتهم، وقدرُه في أعينهم، ولعل استعراض بعض نصوص أسفارهم «المقدسة» كفيل ببيان المراد.

يقول جيريسون: «لقد قامت الأديرة البوذية بدور القواعد العسكرية، وقاد الرهبان ثوراتٍ، ووظفت المبادئ البوذية من قبل رؤساء الدول لتكون خطبًا حربية.

بعض أعمال العنف هذه تستند إلى الكتب البوذية [المقدسة]، والبعض الآخر يستدعي الرموز البوذية»[٢].

وقد جاء في سِفر «نيرڤانا سُوترا» -أو «سِفر النيرڤانا» (أي: الفناء الصوفي)، وهو سفر يحكي آخر أيام بوذ-، أن بوذا قتل ذات مرة أحد كهنة البرهمة لـمَّا نال من أسفار «ڤايبوليا» المقدسة، وقال: «لذا لم أهبط إلى الجحيم بسبب ما صنعت... عندما نَقبل وندافع عن نصوص ماهايانا نكتسب فضائل لا تحصى».

فلما عوتب بوذا في ذلك أجاب: «لقد هبط البرهمي بعد موته إلى جحيم أڤيتشي، فاستفاد ثلاث خطرات... لقد أدرك أن الأمور أخذت هذا المنحنى لأنه سبّ نصوص ڤايبولا، ولأنه لم يؤمن، ولأن الملك [بوذا] قتله... ثم وُلد في عالم (الحقيقة كما هي)،

(١) http://religiondispatches.org/monks-with-guns-discovering-/buddhist-violence

(٢) Buddhist Traditions and Violence" in The Oxford Handbook of Religion and Violence (NY: Oxford University Press, ٢٠١٣), (p. ٤٢).

هناك عاش عشرة أحقاب... هكذا منحتُ هذا المرء في سالف أيامي حياة عشرة أحقاب؛ فكيف يقال إني قتلته؟»[١].

فتأمل مبدأ رجال الدين البوذيين في قتل الخصوم! إنهم يزعمون أن قتل من لا يعتقد عقيدتهم هو من قبيل قتل الرحمة كي يتطهروا في الجحيم؛ فتنتقل أرواحهم إلى عالم الحقيقة، فهو في الحقيقة لا يعد قتلًا!

إنه لا يختلف عن الإجهاز على البهيمة التي تعاني داء عضالًا، وهذه ذريعة خطرة يستترون وراءها ليحصدوا أرواح البشر؛ لا سيما المسلمين منهم، كما فعلوا ويفعلون في تايلاند وبورما.

وثمة مبدأ آخر يبرر رهبانُ البوذية من خلاله قتل خصومهم، وهو: إيمان البوذية بأن الوجود مجرد وهم، وأن الحقيقة لا تُدرك إلا بتحصيل النيرڤانا (أي: الفناء في الإله)، وعليه؛ فكل من لم يؤمن بالبوذية ولم يستنر بنورها فقتله في هذه الحياة ليس قتلًا حقيقيًّا؛ لأنه حادِثٌ في عالم الوهم! وهذه الضحايا التي تذبح على أيدي الرهبان يشار إليها في اللاهوت البوذي باسم: «إتشانتيكا Icchantika»، وتعني: المحجوبين عن النور[٢].

يتساءل سفر «نيرڤانا سوترا»: «لم لا يوجد خير في الإتشانتيكا؟»، ويجيب عن ذلك بقوله: «أيها الصالح! لأن الإتشانتيكا مقطوعون من أصل الخير، فكل الكائنات تمتلك خمسة أصول: كالإيمان.. إلخ، أما أولئك الذين من طبقة الإتشانتيكا فهم مقطوعون عن ذلك [الأصل] إلى الأبد.

لذا؛ فإن المرء قد يقتل نملة فيبوء بإثم إيذائها، أما قتل واحد من الإتشانتيكا فلا يُعد ذنبًا»[٣].

وفي سفر «سوستيتاماتي باريبريتشا» -الذي يوصف بأنه الدليل إلى (كيفية القتل بسيف الحكمة)- يبيّن المستنير «منجوشري» لبوذا أن المقتول إنما هو اسم وفكرة، فإن استطاع القاتل أن يُخلي ذهنه من هذه الأفكار والأسماء أثناء القتل، فلا يُعد ذلك قتلًا، بل لا وجود لقتل ولا قاتل على وجه الحقيقة؛ «إذ ليس ثمة سيف ولا كارما ولا عقاب»، وإنما هو من قبيل الخيال[٤].

وأخيرًا.. من مبادئ تبرير القتل عند رهبان البوذية: أن بعض المخالفات قد تؤثر -بزعمهم!- في ميزان الكون «دهارما Dharma»، ما يحتم التدخل بالسيف لإنقاذ سلام البشرية.

يقول برنارد فور: «من الحجج التي تُستدعى غالبًا لتبرير القتل [عند البوذيين]: الزعم بأنه إن هُددت الدهارما لزم القتال بشراسة ضد قوى الشر.

وفكرة المعركة الكونية بين قوى الخير والشر تمنح البوذية بعدًا أخرويًّا كانت تفتقده في الأصل.

هذا المبدأ، أعني: الترويج للحاجة إلى العنف في سبيل حفظ الاتزان الكوني يتجه إلى تطوير نوع من **نظرية الحرب العادلة»**[٥].

خلاصة القول: إن البوذيين لا يقاتلون بلا عقيدة، والمذابح البشعة التي يقومون بها ضد المسلمين العزل في شرق آسيا نابعة من اعتقادهم بأن من سواهم ممن لم يبلغ درجة الاستنارة حقيق بالقتل، وأقل قدرًا من النملة، وما دام القاتل لم يُشكِّل صورة ذهنية للمقتول (كما يعلمنا تلاميذهم من المروّجين لقانون الجذب وقوة الوجود)، فهو غير موجود أصلًا، فلا بأس من قتله للحفاظ على ميزان الكون!

---

(١) «نيرڤانا سوترا: ٢٢».

(٢) «Chinese Buddhist Encyclopedia, icchantika» http://www.chinabuddhismencyclopedia.com

(٣) «نيرڤانا سوترا: ٤٠».

(٤) «Buddhist Traditions and Violence» (٥٢).

(٥) «Buddhist Warfare» (٢٠١٠), Oxford University Press, (p. ٢١٢, ٢١٣).

إيران تستنزف مياه أفغانستان بعد جفاف أنهارها وبحيراتها

هدى الحسيني- الشرق الاوسط (٢٠١٧/٩/١)

في الحادي والعشرين من الشهر الحالي أعلن الرئيس الأميركي دونالد ترمب استراتيجيته لأفغانستان، تاركًا للقادة العسكريين الأميركيين حرية القرار، وفسر البعض هذا بمثابة غسل اليدين كي يتحمل العسكريون اللوم إذا ما وقع خطأ.

أما دبلوماسيًّا؛ فمارس الضغط على الحكومة الأفغانية لتكثيف معركتها ضد الفساد والحكم السيئ، وضغط على باكستان كي توقف إيواء الجماعات الإرهابية.

المعروف أن انتقاد واشنطن لباكستان يكون دائمًا مدعاة سعادة لأفغانستان! لكن شهيد خاقان عباسي -رئيس وزراء باكستان- حذّر من أن ادعاءات واشنطن لن تبقى من دون رد، بينما وقفت روسيا والصين وإيران وطالبان ضد استراتيجية واشنطن، وهناك شك كبير في أن تكون هذه الاستراتيجية كافية لكبح جماح باكستان التي تدعم «حركة طالبان» والجماعات المسلحة الأخرى، في محاولة لوقف النفوذ الهندي في أفغانستان؛ التي تربطها بباكستان حدود تمتد على مسافة (٢٦٤٠ كيلومترًا).

علي أميري -المحاضر في جامعة كابل- قال أن الاستراتيجية التي تثير غضب باكستان تكون جيدة لأفغانستان، لكن وحيد عمر -السفير الأفغاني لدى إيطاليا- قال أن قرار ترمب بوصف باكستان بالدولة الإرهابية فيه مخاطر، وكذلك الاعتماد الواضح في الاستراتيجية على الهند بأن تحل تدريجيًّا محل واشنطن كأهم راع اقتصادي لأفغانستان، هذا دور لا يبدو أن نيودلهي مستعدة للعبه في الوقت الراهن.

لكن في أفغانستان تطلعات باكستانية لافتة، وكذلك للهند وإيران: إنها المياه.

وبسبب العداوة المستعرة بين الهند وباكستان هناك تفاهم غير مباشر بين الهند وإيران فيما يتعلق ببناء السدود في أفغانستان، أيضًا قد يعرقل الاستراتيجية الأميركية الجديدة في أفغانستان احتمال أن تحولها إسرائيل إلى ساحة للضغط على روسيا التي تخشى احتمال توسع عمليات الإسلاميين المتشددين من أفغانستان إلى آسيا الوسطى؛ إذا لم تضمن إسرائيل إبعاد روسيا لإيران عن حدودها مع سوريا.

لكن لنبقَ في مجال المياه؛ هذا العنصر الأساسي للحياة بدأ يجف في إيران، بحيرة «أرومية» جفت تمامًا، وإن كان الرئيس حسن روحاني وعد في حملته بإعادة تعبئتها، بحيرة «هامون» على الحدود مع أفغانستان تقترب بدورها من الجفاف الكامل، وكذلك الكثير من البحيرات ومصادر المياه في إيران، كما أن السدود التي تؤمن تزويد المياه صارت جافة، ولم ينج نهر شيراز من الجفاف، وذلك بعد تجفيف نهر «كارون» وتحويل مجراه إلى مدينة أصفهان.

أما في باكستان؛ فقد ذكرت دراسة جديدة في مجلة «ساينس أدفانس» أن أكثر من (٦٠ مليون) باكستاني معرضون لخطر الإصابة بمستويات مرتفعة من الزرنيخ من إمدادات المياه الجوفية، وشرب المياه الملوثة بالزرنيخ بشكل منتظم يؤدي إلى أمراض خطيرة؛ كسرطان الرئة، وأمراض القلب والشرايين.

وقالت المجلة: أن لديها دراسة مماثلة لمستويات الفلورايد في جميع أنحاء باكستان.

في منتصف عام (٢٠١١) سجل إرهابيون في أفغانستان عملية قتل خان والي، قال أحد الجناة: هذه ليست وحشية، إنما هذا هو العدل! أقسم آخر بأن قتله بمدفع عيار (٨٢ ملم) ليس كافيًا، «ولكن المجاهدين لم يوافقوا على خطتي بقتله بطريقة يشارك فيها الجميع».

وهكذا قتل خان والي بقذيفة مدفع! وكانت جريمته أنه كان يحمي واحدًا من أهم موارد بلاده: المياه.

قاد خان ميليشيا شبه عسكرية تضم (٦٠) رجلًا مهمتهم: الدفاع عن سد «ماتشالغو» في مقاطعة باكتيان الشرقية، وكان العمل فيه تأخر لمدة سنتين بسبب المخاوف الأمنية، ولو اكتمل فإنه كان سيروي نحو (١٦ ألف) هكتار من الأراضي، وينتج (٨٠٠ كيلوواط) من الكهرباء. وكانت الحكومة الأفغانية تعهدت لخان والي بأنه إذا ثبت في مهمته لمدة شهرين فسوف يحصل هو ورجاله على السلاح والنفوذ، لكنه قتل بعد (٢٠) يومًا من بدء المهمة.

تعتبر المياه قضية حاسمة لأفغانستان، ولإيران وباكستان؛ اللتين تعتمدان على أربعة من أحواض الأنهار الخمسة التي تتدفق في أفغانستان لري أراضيها، للأفغان الآن ما يكفي لتلبية احتياجاتهم الخاصة، لكن من المتوقع أن ينخفض توفر المياه للفرد الواحد بنسبة (٥٠%) خلال العقود الثلاثة المقبلة.

وبسبب ضعف البنية التحتية الأفغانية، وتدني القدرة على تخزين المياه؛ فإن أجزاء كبيرة من الأراضي الأفغانية لا تستفيد من موارد المياه، ثم إن الجفاف المتكرر تسبب في نقص الغذاء، وازدياد الهجرة، وعلى سبيل المثال: فقد انخفض إنتاج القمح عام (٢٠٠٨) بنسبة (٤٠ إلى ٥٥%)، بسبب نقص الأمطار.

ورغم أن المياه من أسس الاقتصاد الزراعي في أفغانستان؛ فإن (٥%) فقط من الاستثمارات والمساعدات الدولية الضخمة في العقد الماضي ذهبت إلى قطاع المياه، ومن دون رؤية طويلة الأجل.

لدى الأفغان اعتقاد ثابت بأن إيران وباكستان تخربان جهودهم لبناء السدود، والسيطرة على مواردهم المائية، وانتشرت تلميحات تشير إلى أن عناصر من باكستان قد تكون وراء قتل خان والي.

وقال مسؤول محلي في باكتيا إن: «الثمن الذي يدفعه جيراننا لحياة إنسان بخس جدًّا! (٥٠ ألف) روبية باكستانية (نحو ٥٠٠ دولار)، والصحيح وسط كل هذا: أن أزمة المياه وأزمة الطاقة في باكستان زادتا من اعتمادها على المياه الأفغانية».

أما بالنسبة إلى إيران -البلد الوحيد الذي وقع على معاهدة مياه مع أفغانستان- فإنها تأخذ (٧٠%) أكثر من الكمية المتفق عليها، وأنشأت بنية تحتية للمياه الواردة من أفغانستان؛ من دون موافقة الأخيرة.

وحسب مصدر أفغاني؛ فإنه إذا حاولت أفغانستان بناء المزيد من السدود للاحتفاظ بمياهها فمن المرجح أن تعترض باكستان وإيران على ذلك.

ويروي خبير مياه نقلًا عن مسؤول في وزارة الطاقة والمياه الأفغانية: أن البنك الدولي أوقف تمويل مشروع سد كبير، بعدما علم بأنه يحتاج إلى إذن من إيران، يقول: «إن جيراننا يقيمون علاقات مع المانحين الكبار، مثل: البنك الدولي، ويضغطون للحصول على قروض أكبر لأنفسهم، لكنهم يخلقون عقبات أمام مشاريع في أفغانستان».

من أصل (٥٧ مليار) متر مكعب من متوسط الأنهار السنوي لا يُستهلك إلا أقل من (٣٠%) في أفغانستان، ويذهب المتبقي من المياه إلى الدول المجاورة، ثم تأتي الهند؛ المفروض أنها تتمتع بعلاقات جيدة مع أفغانستان.

ويتجلى القلق الأفغاني من التدخل الإيراني حول سد «سلمى» المتوقف منذ فترة طويلة، وتقوم الهند ببنائه في مقاطعة هيرات غرب أفغانستان على الحدود مع إيران، ولدى السد القدرة على ري نحو (٧٥ ألف) هكتار، وإنتاج (٤٢) ميغاواط من الكهرباء، لكن تأخر المشروع أربع سنوات عن الموعد المحدد، وتضاعفت بالتالي تكلفته، وقد ترتفع بنسبة (٥٠%).

يستغرب المسؤولون الأفغان كيف أن المهندسين الهنود الذين قاموا ببناء الطرق السريعة في أفغانستان بوقت قياسي يستغرقون وقتًا طويلًا لاستكمال السد؟! ويؤكدون أن التدخل الدبلوماسي الإيراني تسبب في التأخير.

تنفي الهند ذلك، وتقول على لسان سفيرها في كابل أن: «الأفغان يعتقدون بأن إيران هي السبب، لكننا لم نضطر إلى التحدث مع طهران حول هذا الموضوع؛ لأننا لا نملك أدلة تثبت أنهم يتسببون في التوتر الأمني هناك، التكلفة التصاعدية هي السبب، وسد (سلمى) سيكتمل من دون شك».

كما أن الكثير من الأفغان ينظرون بشك إلى الخبراء الإيرانيين؛ الذين أنشأوا مركز أبحاث داخل وزارة المياه الأفغانية مهمته: جمع المعلومات والبيانات عن موارد المياه في أفغانستان، ويدعي الخبراء الإيرانيون بأنهم يقدمون خدمة لأفغانستان ترفض دول أو شركات أخرى القيام بها، بسبب الوضع الأمني الهش في البلاد.

لكن هذه الادعاءات تضاعف من الشكوك، ويقول الدبلوماسي الأفغاني عنايات الله نبيل -الذي عمل ولسنوات في قضايا المياه العابرة للحدود- أن مسألة أن الإيرانيين يديرون مركز أبحاث داخل وزارة المياه الأفغانية أمر خطير جدًّا، إنهم يمثلون بلادهم وإن ولاءهم لإيران ولمصالحها فقط!

إن إيران «قائمة وتتمدد وتتسلل وتبتز»، وهي تستعد للحرب المقبلة في المنطقة.. **الحرب على المياه!**

مسمار جُحا الإيراني

د. فراس الزوبعي- الوطن البحرينية (٢٠١٧/٩/٦)

كلنا يتذكر مسمار جُحا؛ الذي وضعه في داره قبل بيع الدار إلى شخص آخر، وكيف جعل له موطئ قدم في دار باعها وأزعج المالك الجديد كل يوم بحجة الاطمئنان على مسماره العزيز؛ الذي اشترط ألا يكون ضمن البيعة؛ حتى ترك المالك داره لجحا، وهرب منها! فذهب المسمار مثلًا.

إلا أن جحا يبقى تلميذًا صغيرًا أمام مكر الفرس! الذين يحاولون وضع مسمارهم في دار لم يملكونها من قبل، ولم تكن لهم في يوم ما لتكون لهم، وبدل مسمار جحا ربما سيكون «داعش إيران».

ما زلنا نعيش مهزلة اتفاق «حزب الله» مع تنظيم «داعش»، وعملية نقل مئات المقاتلين وعوائلهم بباصات إلى منطقة البوكمال على الحدود العراقية؛ والتي لم تصل إليها الباصات حتى لحظة كتابة هذا المقال.

والجميع يبحث عن سر استقتال «حزب الله» على نجاح الاتفاق، وصراخه يوميًّا بأن أمريكا تعرقل مسيرة الباصات ولا تسمح لها بالوصول إلى نقطتها الأخيرة، مما يعني: انهيار هذا الاتفاق، مطالبًا بعدم ضربهم لأن فيهم نساء وأطفالًا!

في موقف يتناقض مع مواقف سابقة! عندما شدد حسن نصر الله وأكد على عدم السماح لأي فرد من أفراد «داعش» بالخروج حيًّا من الموصل، ووجوب محاصرتهم داخلها حتى لا يذهبوا إلى مكان آخر، والنتيجة: أن الموصل سويت بالأرض، وقتل فيها من الأبرياء والعجزة والأطفال عشرات أضعاف «داعش»!

أما أمريكا؛ فتقول أنها خارج هذا الاتفاق، ولا تريد ضرب رتل الباصات؛ لأن فيها أعدادًا من النساء والأطفال، مع

أن أمريكا تقصف النساء والأطفال في سوريا والعراق دون أي حرج! لكنها في الوقت ذاته قطعت الطرق والجسور أمام هذه الباصات، ومنعتها من الوصول إلى مبتغاها.

ماذا يريد «حزب الله» ومن ورائه إيران؟

لو دققنا قليلًا بالمنطقة التي تم الاتفاق على ذهاب مقاتلي «داعش» إليها لوجدنا أنها منطقة لا تواجد لإيران فيها، وأمريكا تقيم مناطق آمنة بالقرب منها وفي شريطها، وقد حاولت ميليشيا «حزب الله» العراقي وميليشيا أخرى تابعة لإيران -أيضًا- من اختراق منطقة قريبة منها، وقصفتهم الطائرات الأمريكية، وأجبرت من بقي منهم على الرجوع إلى الداخل العراقي، وهي منطقة تقع على الطريق الرابط بين العراق وسوريا، وفيها أحد المعابر الحدودية.

ونقل مئات المقاتلين من «داعش» واستقرارهم في ذلك المكان سيشكل ذريعة قوية للميليشيات المرتبطة بإيران للوصول إلى تلك البقعة بحجة: قتال «داعش»، لتوجد لإيران موطئ قدم ونفوذًا، وتؤمن الطريق من إيران إلى الداخل السوري، بدل أن تكون هذه منطقة نفوذًا أمريكيًّا.

فإيران تتسابق مع أمريكا، مستفيدة من عامل الوقت ووجودها على الأرض، وبذلك تجعل من «داعش» مسمارها الذي ستأتي لا بحجة الاطمئنان عليه، ولكن بحجة اقتلاعه، ولن تخرج بعدها من أرض لم تكن لها في يوم من الأيام.

ولأن الشارع العراقي ناقم على هذه الاتفاقية وأعني منهم: الذين يعتبرون الميليشيات قوات أمنية، ظهر لنا الآن وجه آخر يطالب بالسماح له بالذهاب إلى تلك المنطقة الحدودية لحماية العراق من خطر «داعش»؛ ألا وهي: الميليشيات التابعة لمقتدى الصدر، لتتبادل الدور مع الميليشيات التي ضربتها أمريكا على الحدود من قبل، وتكون أكثر مقبولية منها.

الحروب الخاسرة مع الإرهاب

علي حسين باكير - عربي ٢١، (٢٠١٧/٩/١٦)

تنخرط العديد من القوى الإقليمية والدولية بقوّة منذ العام (٢٠٠١) فيما بات يعرف باسم: الحرب العالمية على الإرهاب، وبالرغم من أن المجتمع الدولي لم يتّفق حتى هذه اللحظة على تعريف محدد للإرهاب؛ فإن الجميع يحاربه انطلاقًا من التعريف الذي يناسبه.

ولذلك فغالبًا ما تحدد الأجندة السياسية للدولة المعنيّة أو النظام المعني في هذه المنطقة أو تلك من العالم ماهيّة الإرهاب التي تريد محاربته أو مكافحته، وهو ما يجعل من القضاء عليه أمرًا نسبيًّا؛ قد يتحقق بتحقق الهدف السياسي المرتبط بالجهة التي تقول أنها تحارب الإرهاب.

غير أن المفارقة في الموضوع تكمن في أن الهدف السياسي لدولة ما أو لنظام ما قد يتطلب في المقابل عدم القضاء على الإرهاب؛ وإنما خلقه أو تهيئة البيئة المناسبة لوجوده وتكاثره أو ربما استخدامه! وذلك لتحقيق هدف سياسي.

في هذه الوضعية بالتحديد؛ تصبح المعادلة معكوسة، إذ تستخدم العديد من الأنظمة والدول الإرهاب ومكافحة الإرهاب للحصول على دعم سياسي، أو للحصول على شرعية للنظام، أو لابتزاز الدول أو المجموعات الأخرى به، أو لأسباب ذات صلة بمصالح اقتصادية، أو لغيرها من المعطيات.

هناك بُعد آخر للمسألة يتعلق بكيفيّة محاربة جيوش نظامية تقليدية لمجموعات غير نظامية، وهناك من يذهب إلى أبعد من ذلك ليتساءل عن ماهية وتعريف مفهوم الانتصار في حالة كهذه؟ وكيف يكون الانتصار؟ ومتى نعرف أنّه تحقق؟ هل بإبادة كل الأفراد المرتبطين بمجموعة معيّنة؟ هل بدفعهم خارج النطاق الجغرافي لمنطقة معيّنة؟.. الخ.

حتى الآن لا يوجد أجوبة قاطعة على هذه الأسئلة؛ ولذلك فضّلت العديد من الأنظمة والدول مؤخرًا تفادي الخوض في تعريف ماهية الانتصار على جماعات من هذا النوع.

لكن إذا كان الإرهاب عبارة عن أيديولوجيا أو فكر، كيف بالإمكان هزيمته بالجيوش والدبابات والطائرات؟! وهل مثل هذا الأمر ممكن؟

للأسف! عمليًّا هناك من يعتقد أنّ هذا ممكن، وبغض النظر إذا ما كان صادقًا في مثل هذا الطرح أو أنّه مدفوع بالأجندة السياسية -التي تحدّثنا عنها في بداية المقال-، فإن مثل هذا الأمر يعتبر عقبة حقيقية أمام إلحاق الهزيمة بالإرهاب؛ فضلًا عن القضاء عليه نهائيًّا.

لذلك؛ فإذا ما سمعت أحدًا ما ينظّر لانتصارات في الحرب على الإرهاب فاعلم أنّه يريد أن يبيعك بضاعةً فاسدة! فالحرب على الإرهاب خاسرة بكل المقاييس حتى في تلك المعارك التي يتم الإعلان فيها عن تحقيق الانتصار.

لقد أصبح الإرهاب والحرب على الإرهاب بمثابة دائرة مفرغة من الفعل ورد الفعل، وقد ساعدت البيئة السياسية والاقتصادية والأمنية القائمة على دوران الحلقة المفرغة بشكل دائم ومستمر دون توقّف.

لقد سمعنا منذ العام (٢٠٠١) عن انتصارات تحقق ضد الإرهاب هنا وهناك في مناطق مختلفة من العالم؛ ولاسيما في المنطقة العربية، لكن إذا ما صعدنا إلى أعلى البرج ونظرنا إلى أرض الواقع من فوق؛ سنرى أن الدول قد تدمّرت، وأنّ المجتمعات قد تفتتت، وأنّ الاقتصاد قد تهاوى، وأنّ المليارات قد أنفقت، وأنّ الملايين من البشر أصبحوا بين لاجئين ونازحين ومشرّدين؛ فضلًا عن آخرين قتلوا.

ومع ذلك؛ فإنّ الأنظمة المسؤولة عن خلق حالة الإرهاب لا تزال قائمة، والبيئة التي أدت إلى ظهور وتكاثر الإرهاب لا تزال قائمة كذلك؛ بالرغم من الانتصارات المزعومة!

لقد أعلنوا في السابق القضاء على القاعدة عدّة مرات، وسيعلنون غدا القضاء على داعش وعلى غيرها من الجماعات، لكن مادامت الأسباب قائمة، وما دامت محاربة الإرهاب عبارة عن تجارة سياسية؛ فإنّ الإرهاب سيعود دومًا؛ وإن بأسماء وأشكال مختلفة.

بهائيو تونس يرفعون شكوى إلى رئيس الجمهورية

موقع نسمة (٢٠١٧/٩/١٥)

دعا معتنقو البهائية في تونس، في رسالة توجهوا بها إلى رئيس الجمهورية الباجي قايد السبسي إلى ما عبّروا عنه بـ «رفع مظالم متكررة مسلّطة عليها، و وتمييز على أساس الدين».

وجاءت رسالة المحفل الروحاني المركزي للبهائيين في تونس -الممثل للبهائيين التونسيين- إثر «إيقاف طالب يبلغ من العمر (٢٠) عامًا من قبل عوني أمن بالمنستير؛ للتحقيق معه حول ديانته، والإفراج عنه دون تحرير محضر».

وطالب المحفل الروحاني المركزي للبهائيين في تونس بـ «رفع المظالم» عن البهائيين في تونس تكريسا لـ «الدستور الذي أسس لحرية المعتقد وحرية الضمير كحق دستوري لكل التونسيين».

وفي ما يلي نص الرسالة كاملًا:

«سيدي رئيس الجمهورية. تحية طيبة وبعد..

نيابة عن المحفل الروحاني المركزي للبهائيين في تونس -الممثل للبهائيين التونسيين-، بعد أن ضاقت السبل وأغلقت

الأبواب من السلط المختصة؛ نرفع إليكم هذه الرسالة المفتوحة للفت نظركم الكريم إلى ما يتعرض إليه البهائيين التونسيين من مظالم وتجاوزات متكررة، وتميز على أساس الدين وآخرها إيقاف الشاب ع. م. البالغ من العمر (٢٠) سنة والطالب بالجامعة.

لقد تم الاتصال بالشاب ع.م. في بيته من طرف عوني أمن بالزي المدني واصطحابه إلى منطقة الأمن بجهة المنستير سقانص، والتحقيق معه حول ديانته وعلاقته ببقية البهائيين، وهرسلته مدة (٣) ساعات، ثم الإفراج عنه بدون تحرير محضر أو توجيه تهمة أو تمكينه من الاتصال بمحام أثناء سماعه.

سيدي الرئيس!

وكما تعلمون؛ فان الدستور التونسي قد أسس لحرية المعتقد وحرية الضمير كحق دستوري لكل التونسيين، يعلو ولا يعلى عليه، وأن تونس قد صادقت على المعاهدات الدولية المتعلقة بحقوق الأقليات التي تعتبر مبدأ عدم التمييز والمساواة أمام القانون من المبادئ الأساسية للقانون الدولي لحقوق الإنسان.

وأنتم حامون لهذا الدستور، ولكل المبادئ التي أسسها، وملتزمون بالسهر على احترامه وتطبيقه على جميع التونسيين دون تمييز، وقد لمسنا ذلك من جملة المساعي التي تقومون بها والتي تمثل نقلة نوعية في مجتمعنا التونسي.

سيدي رئيس الجمهورية!

وإذ نحن على يقين أن الدولة التونسية بجميع مؤسساتها لا يمكن أن تكون مصدرًا لخرق الدستور والقوانين النافذة؛ فإن البهائيين في تونس كلهم أمل ورجاء أن الجمهورية الساهرة على احترام الدّستور وتطبيق القانون والتي عودتنا الدفاع عن القضايا العادلة؛ لن تدخر جهدا للوقوف بجانب مواطنيها؛ خصوصًا إذا كانوا من الأقليات؛ لتثبيت حقوقهم، ورد المظلمة عنهم، والاعتراف بمؤسساتهم المنتخبة، ورفع المظالم عنهم.

تقبلوا سيدي الرئيس عبارات الشكر والتقدير؛ لما تبذلونه من مجهودات من أجل الصالح العام وتحقيق العدل لكل المواطنين».

إعصار هارفي يكشف زيف «قدسية» حرية التعبير

عزام التميمي-عربي ٢١، (٢٠١٧/٩/٤)

قد لا يخطر ببال كثير من الناس أن تجدد كارثة إعصار هارفي -الذي ضرب هيوستون مؤخرًا- الجدل حول حرية التعبير، وأن يعاد من جديد طرح السؤال القديم المتجدد: هل لحرية التعبير من حد؟ ومتى يكون التعبير عن فكرة ما ممارسة لحق حرية التعبير، ومتى يكون إساءة للآخرين وعدوانًا عليهم يستوجب التنديد والمحاسبة؟ وكيف يمكن ضمان حرية التعبير للجميع دون تمييز؟ أم أن الناس في ذلك طبقات يتباينون في الحقوق؟

طفت قضية حرية التعبير إلى السطح مجددًا بعد أن نشرت مطبوعة «شارلي إيبدو» الفرنسية الساخرة في عددها الأخير رسمًا يظهر فيه ضحايا الإعصار الغرقى على شكل نازيين جدد، مع يافطة كتب عليها: «الله موجود»، بمعنى: أن ما وقع لهؤلاء الناس من سكان ولاية تكساس الأمريكية إنما هو عقاب رباني؛ لأنهم من محبي هتلر وأتباعه.

ولعل الصحيفة أرادت -ولكن أساءت التعبير- التنبيه إلى أن ولاية تكساس، ومدينة هيوستون بالتحديد، مرتع للعنصريين البيض.

أثارت الرسمة موجة عارمة من التنديد بالمطبوعة؛ التي كان عشرة من رساميها قد تعرضوا للقتل على أيدي عناصر نسبت نفسها لتنظيم الدولة الإسلامية في (يناير من عام ٢٠١٥)، بحجة أنها نشرت رسومًا مسيئة للنبي محمد ﷺ.

والمفارقة التي يشير إليها الصحفي غلين غرينوالد في مقال نشره له موقع ذي إنترسيبت في الأول من (سبتمبر ٢٠١٧) أن المطبوعة حينما كانت تسخر من المسلمين ومن نبيهم ﷺ كانت تلقى الدعم والتأييد من نفس الأوساط التي نددت بالصحيفة حينما سخرت من أهل تكساس «البيض»، وذلك أن تطاولها على الإسلام والمسلمين كان يعتبر حقًّا مقدسًا لها في ممارسة حرية التعبير، بينما تطاولها على الأمريكيين البيض اعتبر انتهاكًا لحقوقهم الإنسانية، وتمادٍ باسم الحرية لا يجوز بحال السماح به.

يذكر غرينوالد في مقاله أنه كان واحدًا من عدد قليل من الصحفيين والكتاب الغربيين الذين انتقدوا إصرار شارلي إيبدو على السخرية بالمسلمين، والذين نبهوا إلى أن التأييد الذي لقيته الصحيفة الساخرة؛ وخاصة موجة التعاطف العالمية بعد تعرضها للاعتداء لم يكن ذلك دفاعًا عن حق حرية التعبير بقدر ما كان موجهًا ضد المسلمين، مستغلًا أجواء الحرب على الإرهاب.

ولا أدل على ذلك - كما يقول غرينوالد - من أن كثيرين من زعماء العالم الذين اجتمعوا في باريس للتنديد بالهجوم الذي تعرضت له الصحيفة لا يبالون بحرية التعبير، بل ولا يسمحون بها في بلدانهم، وتعج سجونهم بالصحفيين والكتاب والنشطاء السياسيين والحقوقيين؛ الذين يعبرون عن أراء ومواقف لا تروق لهؤلاء الطغاة!

يذكر أن شعار «أنا شارلي» انتشر بعد الهجوم الذي تعرضت له الصحيفة؛ حتى أصبح شرطًا للحصول على صك براءة ممن ارتكب الهجوم، إلا أن الصورة اليوم باتت معكوسة تمامًا؛ إذ يراد من الناس في كل مكان أن يعلنوا تبرأهم من شارلي إيبدو وما ارتكبته من جرم في حق أهل هيوستن.

وسرد غرينوالد في مقاله قائمة من الأمثلة على ردود الأفعال المتناقضة من نفس الأشخاص الذين دافعوا عن حق الصحيفة في السخرية من المسلمين حينما نشرت الرسوم المسيئة، مقارنة بتنديدهم الشديد بها والمطالبة بمنعها عندما نشرت الرسم الذي يسخر من ضحايا الإعصار.

ففي نظر هؤلاء كانت شارلي إيبدو «مرحة، ممتعة في إثارتها، شجاعة في رسومها، وأهلًا للتكريم ونيل الجوائز» حينما سخرت من المسلمين وأهانت مقدساتهم وانتهكت حرماتهم.

ولكن حينما نشرت الصحيفة رسمًا مسيئًا ينال من كرامة الأمريكيين البيض أصبحت «خسيسة، وشريرة، وحقيرة»، وبات القائمون عليها «فاشلين وخونة».

ما وراء تسليح أمريكا لـ «صالح مسلم»

د. سمير صالحة- المدن، (٢٠١٧/٩/٢٠)

رفعت واشنطن مستوى العلاقة التي تقيمها مع قوات سورية الديمقراطية المكونة بغالبيتها من قوات «الاتحاد الديمقراطي» الكردي، إلى حالة جديدة أكثر تقدمًا؛ من خلال تزويدها بكميات كبيرة من الأسلحة النوعية والمركبات والمدرعات وناقلات الجند والصواريخ المحمولة على الكتف والمخصصة لإسقاط الأهداف الجوية.

الإدارة الأميركية وعلى الرغم من اعتراض أنقرة على هذا التنسيق والدعم لحزب صالح مسلم الذي تصفه بالتنظيم الأرهابي، تقول أنها تعتمد على هذه القوات في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» في سورية، وأنها في الوقت نفسه تسلح المكون العربي في «قسد» وليس الأكراد وحدهم، مع أن قيادات لواء «ثوار الرقة» -أبرز فصيل عربي في التكتل- تقول أنها لم تتسلم أي أسلحة نوعية أميركية؛ رغم كل الوعود المقدمة!

هناك رغبة أمريكية واضحة في التمسك بحلفائها داخل سوريا بعد التقدم الاستراتيجي الواسع لروسيا وإيران وتركيا،

واعتماد ميليشيا الوحدات الكردية كذراع عسكرية تحمي مصالح واشنطن السورية.

مساعي روسيا لتقليص عدد ونفوذ حلفاء واشنطن

المحللين قابله رد أميركي بتسريع ورفع مستوى وزيادة التسليح لقوات سوريا الديمقراطية، في محاولة لحماية تواجدها ونفوذها هناك، وبين الأهداف الأميركية -أيضًا-: تحصين «الكانتونات» التي أقامها حزب الاتحاد الديمقراطي في شمال سورية؛ لتكون ورقة مساومة في التسويات السياسية في سوريا، تضمن لها تحقيق جانب من طموحاتها المتمثلة بقيام إقليم فدرالي في شمال وشمال شرقي البلاد.

الولايات المتحدة تريد حصتها الاستراتيجية والنفطية في المنطقة الواقعة شرق الفرات ودير الزور أيضًا.

التطورات المتلاحقة في شمال سوريا وشرقها حركت الحلم الكردي في سوريا نحو بناء كيان مستقل هناك، في ظل الدعم الأمريكي المفتوح.

عملية تحرير الرقة من داعش، والاقتراب من شرق دير الزور، والتمدد شرق الفرات من قبل قوات سوريا الديمقراطية يعني: فتح الطريق أمام ربط آبار النفط والتحاصص فيها مع النظام السوري، وتعزيز حظوظ المساومة على الأرض لاحقًا باتجاه رسم حدود الكيان الكردي المنفصل .

صالح مسلم يريد أن يكون شريكًا في جغرافيا شرق سوريا وآبار نفط المنطقة، وتقاسم مياه الفرات لاحقًا عند إعلان دولته المستقلة في سوريا؛ حيث ستحتاج إلى المياه والنفط هناك.

بين الأهداف اللامعلنة: إيصال المجموعات الكردية إلى آبار العمر، وقطع الطريق بين دير الزور والحدود العراقية السورية، وربط شمال العراق بشمال سوريا نفطيًّا وجغرافيًّا وعسكريًّا، وإيصال الشركات الإسرائيلية إلى هذه المناطق بغطاء أميركي عسكري يمهد لبناء كردستان الكبرى.

لماذا تركت قوات سوريا الديمقراطية المواجهة مع داعش في الرقة جانبًا، وسارعت إلى المشاركة في محاربته في دير الزور؛ رغم أنها لم تنته من معركة الرقة، ولا يزال تنظيم «داعش» يسيطر على (٤٠%) من أحياء المدينة؟ هل القوات الروسية والإيرانية وقوات النظام السوري مجتمعة عاجزة عن التقدم لاسترداد دير الزور من داعش ودعتها لمساندتها شرقًا وشمالًا أم أن القرار هو أميركي بالدرجة الأولى لتوسيع رقعة النفوذ والانتشار؟

واشنطن تريد أن يكون لها مستودعات سلاح وذخيرة في سوريا؛ تستخدمها سياسيًّا وعسكريًّا عند الضرورة: (١٤٣٠) شاحنة بسلاح تتجاوز قيمته (مليارين وربع مليار دولار أميركي) حتى الآن.

ممثل الرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش في العراق السفير زلماي خليل زاد يقول: أن السلاح المقدم لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي في سوريا يستطيع تحرير الرقة (٣٠) مرة، فأين وكيف سيستخدم هذا السلاح؟

تقرير أميركي مفصل نشر مؤخرًا من قبل هيئتين مستقلتين هما: «مشروع الإبلاغ عن الجريمة المنظمة والفساد، وشبكة البلقان للصحافة الاستقصائية» يكشف النقاب عما أعلنته تركيا منذ البداية حول أن الأسلحة الأمريكية الممنوحة لوحدات حماية الشعب سوف تستخدم خارج الهدف المحدد لها، وأنها ستشكل تهديدًا دوليًّا بأيدي الإرهابيين.

المعلومات المنشورة تقول -أيضًا-: أن عملية تسليم الأسلحة التي منحها البنتاغون لوحدات حماية الشعب والمقدرة قيمتها بـ (مليارين و٢٠٠ مليون دولار)، ستستخدم ضد تركيا في عمليات إرهابية منظمة، وأن ما تقوله أنقرة حول انتقال هذه الأسلحة إلى أيدي عناصر «حزب العمال الكردستاني» صحيح، وأن البنتاغون فقد السيطرة منذ زمن بعيد على الأسلحة المذكورة.

المعلومات الأخطر حول حركة انتقال السلاح والشبكات الدولية التي تلعب دورًا في ذلك؛ كانت مقلقة، وتذكر بعمليات مشابهة تمت في العديد من دول المنطقة بهدف إشعال الحروب الأهلية فيها وتأجيجها، ولا ترسل واشنطن الأسلحة إلى قوات سوريا الديمقراطية مباشرة وإنما تجمعها عبر متعاونين معها في البلقان من مصانع الأسلحة المتبقية من العهد السوفيتي، وترسلها إلى شمال العراق ليتم نقلها إلى الداخل السوري بالتنسيق مع مافيات تجارة السلاح العالمية.. أردوغان سيناقش كل هذه التفاصيل مع نظيره الأميركي ترامب في نيويورك حتمًا.

القناعة التركية هي: وجود تباعد حقيقي بين كميات السلاح المرسلة لمحاربة داعش في الرقة، وحقيقة المشروع الأميركي في سوريا على المدى الطويل، أو أن واشنطن تعد قوات صالح مسلم لخوض معركة الدفاع عن استفتاء شمال العراق؛ بالتنسيق مع مجموعات حزب العمال الكردستاني في قنديل وسنجار؟

تسليح أكراد صالح مسلم هدفه: الانتقام من التصلب التركي في انجاز عملية درع الفرات، وقطع الطريق على فرص ربط الكانتونات الكردية في شمال سوريا ببعضها البعض.

واشنطن تثق أكثر بمجموعات صالح مسلم بأنها ستحقق لها ما تريد دون اعتراض في إطار صفقة بعيدة المدى، بينها ولادة الكيان الكردي المستقل في سوريا.

أنقرة تركت واشنطن بين خيار إما نحن أو هم؛ فكان قرار الإدارة الأميركية لصالح حزب الاتحاد الديمقراطي؛ بعدما شعرت أن تركيا تتفاوض مع الروس والإيرانيين على بناء معادلات أمنية وسياسية في الإستانة تتعارض مع الخطة الأميركية في سوريا.

تركيا تعاقب أميركا لأنها تمسكت بإبعاد صالح مسلم عن الاجتماعات واللقاءات والمؤتمرات الدولية حول سوريا؛ لذلك قررت واشنطن التنسيق المباشر مع حزب الاتحاد الديمقراطي، وتسهيل تنقلاته في بعض العواصم العربية والخليجية.

من هنا؛ ستساهم مفاجأة تفاهمات الإستانة (٦) إذا ما ترجمت ميدانيًّا كما هو مخطط لها على الورق في قلب حسابات واشنطن وحليفها الكردي في سوريا رأسًا على عقب.

الرئيس التركي رجب طيب أردوغان يشدد دائمًا على أنّ تركيا لن تسمح أبدًا بإقامة ممر كردي في المناطق الشمالية لسوريا، «لم ولن يكون هناك ممر إرهابي بشمال سوريا، وإذا كان هناك من يفكر في ذلك فعليه أن يعلم أن تركيا لن تسمح بإقامته».

الخدمة التي قدمتها روسيا لتركيا بموافقة إيرانية كما يبدو هي: الرد الثلاثي على تعطيل خطة تركيا في منبج؛ بعد انجازات عملية درع الفرات؛ حيث كانت واشنطن تعد لتوسيع دائرة الانتشار الكردي بعد انتصارات تل أبيض وعين العرب قبل عامين، ثم تكرار اللعبة ذاتها على خط عفرين - إدلب، والذريعة هي نفسها: محاربة الإرهاب في هذه المناطق.

سحب ورقة حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي السوري من يد واشنطن قد يتركها أمام خيار لا مفر منه: التحرك العسكري المباشر لحماية قواعدها العسكرية العشر في سوريا، ولكن دون ذريعة الإرهاب هذه المرة؛ فداعش يكاد ينتهي والنصرة ذاهبة نحو التفكك، ولم يعد من قوى تحاربها واشنطن؛ إلا إذا قررت إعلان الحرب على إيران وحلفائها في سوريا، بهدف تلميع صورتها وتحسين موقع الأكراد المقربين إليها مثلًا.

ما لا يعرفه أردوغان ويقلقه باستمرار هو: ليس مسألة وجود مساومات ما تحت الطاولة ومن وراء الظهر بين واشنطن وموسكو في الملف السوري، بل حجم وطبيعة هذه الصفقة، واحتمالات أن يكون هدفها هو: إحراق أوراق الجميع؛ من لاعبين محليين وإقليميين هناك، وتركهم أمام خيار واحد: الاستسلام للتفاهمات الأميركية الروسية.

هجرة الروهنغيا من أراكان

أسباب الهجرة :

1. التمييـز العنصري.
2. وقـوع مجازر دامـية ضدهم من قبـل الحكومة والمتطـرفين البوذيين.
3. الحرمان من ممارسة الحقوق الأساسية .
4. التضييـق على ممـارسة شعائر الدين .
5. التضييق عليهـم في العمـل .

طرق الهجرة:

سيراً على الأقدام عبر الحدود البرية للدول المجاورة

بحراً بمعاونة تجار البشر

جواً ممن كانوا في عاصمة ميانمار "رانغون"

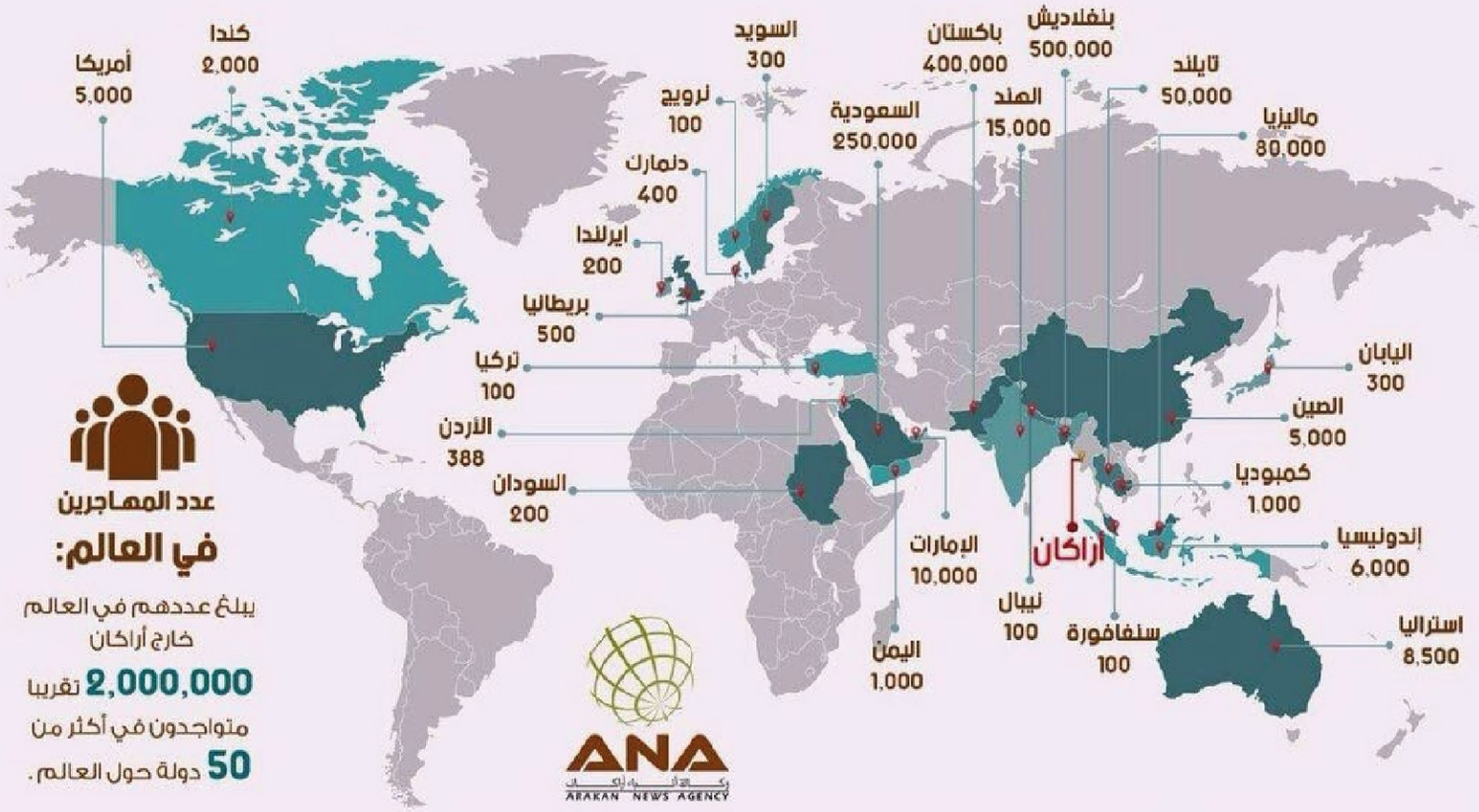

الرصد
www.alrased.net
سلسة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة
العدد ١٧٣ صفر ١٤٣٩هـ

بين العدوان الإيراني والعبث الأمريكي تضيع الأوطان

29 الحصاد المُـرّ لداعش في العراق
صباح العجاج

38 حين يكون الغِناءُ سلاحًا للفرق المنحرفة
حمير الحوري

42 الشيعة العرب والولاء التائه بين الأوطان وإيران
أسامة الهتيمي

المحتويات

فاتحة القول

- بين العدوان الإيراني والعبث الأمريكي تضيع الأوطان ٢

فرق ومذاهب

- حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج (٥): الجماعة الإسلامية بين العنف والمراجعات ..... أسامة شحادة ٤

سطور من الذاكرة

- ثورات الخوارج (١٣): ظهور الأزارقة، وبداية خروجهم ..... هيثم الكسواني ١٣

دراســـــــات

- لماذا يحاربون «صحيح البخاري»؟! (٢) ..... فادي قراقرة ١٧
- أثر الفكر النسوي في انحلال المجتمعات.. مصر نموذجاً ..... فاطمة عبد الرؤوف ٢٢
- الحصاد المُـرّ لداعش في العراق ..... صباح العجاج ٢٩
- عاشوراء وجدل الرفض والنصب في القرن الواحد والعشرين! ..... بوزيدي يحيى ٣٣
- حين يكون الغِناءُ سلاحًا للفرق المنحرفة ..... حمير الحوري ٣٨
- الشيعة العرب والولاء التائه بين الأوطان وإيران ..... أسامة الهتيمي ٤٢

كتاب الشهر

- كتاب «مفهوم النسوية -دراسة نقدية في ضوء الإسلام-» ..... عرض: أسامة شحادة ٥٠

قالوا

- ٥٥

جولة الصحافة

- الاستثمارات الإيرانية في سورية، وأهمية «القلق الأميركي» ..... عدنان كريمة ٥٧
- الحوثيون يهددون بقتل ممثل كوميدي ..... علي محمد طه ٥٨
- انعكاسات تصدّر إيران قائمة غسل الأموال وتمويل الإرهاب ..... محمد السلمي ٦٠
- إيران وإستراتيجية ترامب الجديدة ..... نبيل العتوم ٦١
- بطريركية فاسدة في فلسطين! ..... معن البياري ٦٣
- بين محاكمة «داعش» ومحاكمة قتلة الحريري ..... فراس الزوبعي ٦٤
- ماذا وراء استقدام «حزب الله» ميليشيات عراقية إلى لبنان؟ ..... هدي الحسيني ٦٥
- توجيه المعركة نحو صعدة ..... عبد الرحمن الراشد ٦٧
- مراكز إيرانية في سوريا لتسهيل الانتساب إلى آل البيت ..... علي محمد طه ٦٨
- «ميدل إيست آي»: هزيمة السُّنة.. كيف هيمن حزب الله على السياسة اللبنانية؟ ..... موقع لبنان ٣٦٠ ٧٠

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٧٣)
صفر / ١٤٣٩هـ

www.alrased.net
info@alrased.net

بين العدوان الإيراني والعبث الأمريكي تضيع الأوطان

منذ وصول الخميني لسدة الحكم في طهران في مطلع عام (١٩٧٩م) وهو يشن عدوانًا عسكريًّا على الدول السنية المجاورة، تحت شعارات مختلفة: «تصدير الثورة»، «نصرة المستضعفين»، «تحرير القدس»، «الموت لأمريكا وإسرائيل».

◙ وقد تجسد هذا العدوان في المظاهر التالية:

● خوض الخميني حربًا ضد العراق في (١٩٨٠)، استمرت (٨) سنوات، رفض فيها كل مبادرات الصلح بحجة أن الطريق إلى القدس يمر بكربلاء، حتى استسلم للهزيمة، وأعلن تجرّعه السم بقبول وقف الحرب!

● دعمت طهران محاولة الانقلاب الشيعية الفاشلة في البحرين؛ والتي قام بها التيار الشيرازي الذي لا يؤمن بولاية الفقيه!

● تأسيس الحرس الثوري الإيراني لحزب الله اللبناني في (١٩٨٣)؛ والذي سيدير لاحقًا العديد من العمليات الإرهابية في الدول العربية.

● مهاجمة (٤) طائرات إيرانية للمنشآت النفطية السعودية في الدمام سنة (١٩٨٤)، وقد تم إسقاط طائرتين منها.

● وفي (١٩٨٤) اختطف الشيعة من حزب الله اللبناني والكويتي طائرة كويتية، وأعادوا الكرّة سنة (١٩٨٨)، وقاموا بعدة تفجيرات في الكويت في سنوات (١٩٨٣ و١٩٨٥ و١٩٨٧ و١٩٨٨)، كما تم استهداف أمير الكويت بمحاولة اغتيال في سنة (١٩٨٥).

● تم استهداف الحجاج في مكة بعمليات تفجير عدة مرات: في (١٩٨٦) ضبطت المتفجرات في المطار، وفي (١٩٨٧) قام الحجاج الإيرانيون بحجة «البراءة من المشركين» بمسيرات وأعمال شغب، وفي (١٩٨٩) قام حزب الله الشيعي الكويتي بتفجيرين في مكة في موسم الحج، وفي (١٩٩٠) أطلق الشيعة غازات سامة على الحجاج في نفق المعيصم.

بعد وفاة الخميني مالت إيران إلى شيء من التهدئة؛ لتلتقط أنفاسها، وتعيد ترتيب أوراقها، وفعلًا مرّ عقد التسعينيات بدون أعمال عسكرية معلنة.

◙ لكن لم تخلُ هذه المرحلة من التأسيس لأعمال إرهابية عدوانية:

■ فتمّ تكوين الخلايا الإرهابية النائمة؛ كما تبين في خلية العبدلي بالكويت، وعدة خلايا بالبحرين، وتخزين متفجرات في الأردن!

■ وتم تحويل عدد من الجماعات الشيعية في العالم لتكوّن مليشيات طائفية مسلحة؛ كحزب الله اللبناني والحوثيين في اليمن، والفاطميين في أفغانستان.

ومع احتلال العراق في (٢٠٠٣) من قِبل أمريكا وإيران تسارعت وتيرة إيران في إنشاء الميلشيات الشيعية الطائفية من جهة، والهيمنة على الأحزاب الشيعية السياسية من جهة أخرى؛ حتى أصبح العراق مأسورًا لها.

ومع ثورات الربيع العربي حاولت إيران أن تستولي على البحرين عبر مظاهرات دوار اللؤلؤة في (٢٠١١)، ولما قامت الثورة السورية تصدّت لها إيران بكل حزم، وجلبت لمقاومتها كل الميلشيات الشيعية في العالم التي أسستها في العقد الماضي، ومن ثم حرضت الحوثيين على الانقلاب على الدولة في اليمن في (٢٠١٤).

هذه أبرز المحطات العدوانية للمشروع الشيعي الإيراني على دول الجوار السنية، وهناك غيرها الكثير، فضلًا عن جرائمها بحق شعبها الإيراني نفسه كجرائمها بحق الأحواز الشيعة العرب، أو بحق البلوش السنة وغيرهم من القوميات، وفي كثير من هذه المحطات كان هناك تقاطع مصالح وتعاون بين إيران وروسيا في تنفيذ هذه الجرائم العدوانية الإرهابية.

وفي مقابل هذا العدوان الإيراني كان هناك عبث أمريكي في التعاطي مع العدوان الإيراني من جهة وفي عرقلة دولنا عن حماية نفسها من هذا العدوان الإيراني.

فمِن صفقة إيران كونترا (إيران جيت) التي عقدتها إدارة ريغان سنة (١٩٨٥) مع إيران لتزويدها بصواريخ مقابل الإفراج عن (٥) أمريكيين محتجزين في لبنان، وأمريكا تعبث بهذا الملف بطريقة تمنع العرب من الانتصار على إيران أو القضاء على قدرتها العدوانية، وفي المقابل لا تسمح لإيران بالتغول التام والنصر الكامل، بل كانت أمريكا تدير الصراع ليبقى ويستمر، وهو ما ساهم في إطالة أمد الحرب العراقية الإيرانية الأولى.

وبرغم تعرض أمريكا وحلفائها لعمليات إرهابية إيرانية وشيعية في لبنان فقد سمحت أمريكا وإسرائيل ببقاء القوة الشيعية الإيرانية في لبنان بل والنمو والتطور، بينما تم استباحة لبنان بالكامل واحتلال بيروت عام (١٩٨٢) لإجلاء المقاتلين الفلسطينيين من لبنان!

وقد كان لسياسة أمريكا بتسليم العراق لإيران نتائج كارثية على المنطقة؛ عبر تفكيك الجيش العراقي، وإقرار دستور تفتيتي للعراق، واعتماد محاصصة غير عادلة ولا موضوعية همشت السنة وأعلت من حجم ودور الشيعة بشكل منحاز.

وإذا جئنا لتلاعب وعبث الأمريكان في عرقلة قمع الإرهاب الشيعي؛ فسنجد أنها تسمح للمعارضين الشيعة الإرهابيين بفتح دكاكين لحقوق الإنسان على أراضيها تندد بقمع السلطات الخليجية للشيعة! وتتسابق الهيئات الحقوقية والإعلامية الغربية لنصرة الإرهابيين الشيعة، في مسعى واضح لبقاء الأزمة مشتعلة والأوضاع متوترة، وتوفير حجة للتدخل الغربي والضغط على السلطات القائمة.

ولعل في عدم إدراج حزب الله والحرس الثوري والحوثيين وكثير من الميلشيات الشيعية الإرهابية على قوائم الإرهاب لحد الآن -برغم كل جرائمهم!- مؤشر واضح على الانتهازية والعبث الذي يقوم به الأمريكان وغيرهم تجاه المشروع الشيعي الإرهابي.

وفي الموقف الأمريكي المستاء من تدخل درع الجزيرة في البحرين في (٢٠١١) لوقف الانقلاب الإيراني، وأيضًا من عرقلة التحالف الإسلامي ضد الحوثيين؛ حيث تتكرر الاتهامات الحقوقية والأممية لقوات التحالف في الوقت الذي تغض الطرف فيه عن الانقلابيين وجرائمهم الإرهابية، رغم منعهم وصول المساعدات الأممية وغيرها، واعتداءاتهم على ممثلي الأمم المتحدة!

لقد كان سلوك إدارة أوباما في غاية التخبط -سواء كان مقصودًا أو غير مقصود- في إدارة ملف المفاوضات النووية مع إيران؛ حيث حرصت فيها على تغييب دول المنطقة عن مجرياتها، ومن ثم قدمت من خلالها قبلة الحياة لنظام الملالي بضخّ المليارات له بعد حصاره المالي بخفض أسعار البترول بقيادة السعودية!

أما سياسة العبث الأمريكية؛ فالتجلي النموذجي لها هو ساحة العراق وسوريا؛ حيث سُمح للميلشيات الشيعية من كل أنحاء العالم بالتوافد إليها، كما سمح للقاعدة وداعش بالتمدد فيها، وأعلنت أمريكا أن مقاومة داعش تحتاج (٣٠) عامًا!!

وفي مرحلة ترامب نسمع خطابًا أمريكيًّا متشددًا مع إيران، لكن لم نر بعد نتائج وحقائق على الأرض، وهو أعلن عن إستراتيجية جديدة مع إيران لا ندري مدى جديتها وفائدتها!

هذا العبث الأمريكي لم ينتج عنه إلا حقيقة واحدة هي: أن أكبر حلفاء أمريكا في المنطقة (مصر، تركيا، السعودية، الأردن) ذهبوا صوب روسيا حليفة إيران للضغط على أمريكا في بعض الملفات!

قادة المنطقة يدركون خطر المشروع الشيعي الإيراني من قديم؛ فقد حذر ملك الأردن عبد الله الثاني من مشروع الهلال الشيعي في المنطقة في نهاية عام (٢٠٠٤)، وكشف الرئيس المصري السابق مبارك عن أن ولاء شيعة المنطقة هو لإيران في عام (٢٠٠٦)، وانتظروا أن تتصدى أمريكا لهذا المشروع دون نتيجة، ولذلك كانت مبادرتهم في إنقاذ البحرين سنة (٢٠١١) واليمن (٢٠١٤) خطوة بالاتجاه الصحيح، وتصحيحًا لخطأ ضياع العراق (٢٠٠٣).

ويجب أن تتواصل المبادرات الذاتية لمقاومة وصدّ هذا المشروع، وعدم الركون لتصريحات ترامب من جهة، وتحسين أداء هذه المبادرات بما يحقق مقصدها وتجنب الوقوع في فخ المحاصرة لها، ومنعها من حسم الأمر، وإجبارها على مفاوضات سياسية تسعى لترسيخ أذرع إيران بيننا، وحماية المشروع الإيراني من السقوط أو الخروج عن مسار تهديد دول الجوار ضمن سقف يحددونه هم؛ لتبقى دولنا في دوامة قلق وتوتر مستمر؛ تعطل نهضتنا وتقدمنا!

حكاية جماعات العنف
من الانحراف إلى فكر الخوارج (٥)

أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر؛ لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة!

وهذه طبيعة الضلال والانحراف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أوَّلها شبرًا، ثم تكثر في الأتباع؛ حتى تصير أذرعًا، وأميالًا، وفراسخ!»[1]، وهذا واقعٌ في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود؛ حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها، بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرِّر تشكيلها!

في هذه السلسلة سنتناول: العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات العنف والقتال، ومن ثم مسار تطورها التاريخي، ومسار تطور انحرافها الفكري، والنتائج الكارثية لها على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخَّمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية.

وسيكون الإطار الزمني والمكاني الذي نتناوله في هذه المقالات هو: منذ انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة)؛ التي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير، مما ولَّد مناخًا مأزومًا، وظهرت فيه ردَّات فعل عنيفة، عُرفت بـ (جماعات الجهاد).

أولًا: الساحة المصرية

٥- الجماعة الإسلامية بين العنف والمراجعات

مرّ معنا أن الجماعة الإسلامية بدأت كلجان طلابية تتبع إدارة الجامعات باسم «الجماعة الدينية»، ضمن سياسة الرئيس السادات الرامية لمحاصرة التيار اليساري في الجامعات المصرية، وقد كان أفراد جماعة الإخوان في السجون.

وكان هؤلاء الشباب ثمرة الجهود الدعوية للعلماء المستقلين، ومن الأزهر، أو للجمعيات الإسلامية؛ كأنصار السنة، والجمعية الشرعية، وغيرها.

ويبدو أن البداية كانت مع المهندس صلاح هاشم، الذي دخل جامعة أسيوط سنة (١٩٧٢)، والذي تمكّن لاحقا من قيادة

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٢٥).

الجماعة الدينية بدلًا من موظفي الجامعة[1]، وحدث مثل ذلك في جامعات أخرى، ولكون سياسة السادات دعمت النشاط الإسلامي فقد تمددت هذه النشاطات بسرعة، ولقيت الدعم من الإدارات الجامعية؛ سواء عبر توفير الدعم والإمكانات للمخيمات الدعوية والمهرجانات والمحاضرات وبقية الأنشطة، أو عبر قبول مطالب الجماعة الإسلامية بمحاربة الاختلاط وفصل الطلبة في المدرجات والأماكن العامة وحظر الحفلات الغنائية وعرض الأفلام السينمائية في الجامعات!

ومن ثم خاضت الجماعة الإسلامية بجامعة أسيوط الانتخابات الطلابية سنة (١٩٧٨)، وفازت بجميع المقاعد، وكان قد تولى قيادة الجماعة -خلفًا لصلاح هاشم- ناجح إبراهيم، الذي انطلق بالجماعة لخارج أسوار الجامعة والاحتكاك بالمجتمع.

وأصبح هناك رابطة بين هذه الجماعات الدينية المتعددة في الجامعات، وسيكون لهم صلة بقيادات الإخوان الخارجة من السجون، والتي ستعمل في بعض الجامعات تحت اسم «الجماعة الإسلامية»، ومن ثم سيكون هناك انشقاق بين هذه الجماعات وقياداتها، وبعضها سيتحول إلى جماعة الإخوان، مثل: عصام العريان وعبد المنعم أبو الفتوح وحلمي الجزار وأبو العلا ماضي وغيرهم، وسيستخدمون اسم الجماعة الإسلامية مدة من الزمن، لكن سيكون شعار الإخوان «الله أكبر والحمد لله» موجودًا على بياناتهم، بينما القسم الثالث سيستخدم شعار «لا إله إلا الله محمد رسول الله»[2].

والبعض الآخر بجامعة الإسكندرية سيُعرف لاحقًا باسم «الدعوة السلفية»، مثل: محمد إسماعيل المقدم وأحمد فريد وسعيد عبد العظيم ومحمد عبد الفتاح وياسر برهامي وأحمد حطيبة.

(١) انظر: شهادة صلاح هاشم في كتاب «شاهد على وقف العنف»، عبد اللطيف المناوي، أطلس للنشر، (ص٢٧).

(٢) «الإسلام السياسي» (ص١٩٧).

وقسم ثالث سيحتفظ باسم «الجماعة الإسلامية»، وهم: مجموعة أسيوط والمنيا؛ ككرم زهدي وناجح إبراهيم وعاصم عبد الماجد، وسيتّحدون مع تنظيم الجهاد (محمد فرج، وجماعة سالم الرحال بقيادة كمال حبيب)، ويقوم بعملية اغتيال السادات، ولكن في السجن لاحقًا سينفصلان عن بعضهما البعض، ويأخذ كل منهما طريقه الخاص[3].

ومع أخذ الجماعة منحى التطرف والغلو وفكر العنف لجأت لتمويل أنشطتها من خلال مهاجمة محلات الذهب الخاصة بالأقباط؛ حيث قامت بعدد من هذه الهجمات سنة (١٩٨٠)، والتي كُشف دور الجماعة فيها لاحقًا بعد اغتيال السادات[4].

وعلى غرار ما سبق من تنظيمات سابقة تكونت الجماعة من طلبة جامعيين غير مؤهلين شرعيًّا للتصدر لقيادة المجتمع، فاتخذت الجماعة الشيخ عمر عبد الرحمن مفتيًا لها[5].

وبعد أن تورطت الجماعة في العنف وشاركت في اغتيال السادات، ومن ثم التمرد في أسيوط، وسُجنت قياداتها؛ دخلت الجماعة مرحلة جديدة تمثلت في الخلاف والصدام مع تنظيم الجهاد، فتم الانفصال بينهما! وبعدها تورطت الجماعة بأعمال عنف وإرهاب استهدفت فيها رجال الأمن والسياسة وضرب السياحة،

(٣) «اختلاف الإسلاميين»، أحمد سالم، (ص٢٦).

(٤) «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص٤٥)، «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص١٦)، «الجماعة الإسلامية في جامعات مصر»، بدر محمد بدر، وهو يعبر عن رؤية جماعة الإخوان لها، «تجربتي مع الإخوان»، د. السيد عبد الستار، (ص١٢٤)، وهو يقدم شهادة شخصية متوازنة، «الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة»، د. سعد الدين صالح، (ص٢٧٢)، وفيه يعرض (٤) مراحل مرت بها الجماعة الإسلامية.

(٥) «الإسلام السياسي في مصر» (ص١٥١)، «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص٥٤)، «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص١٨)، ثم أصبح الشيخ عمر مفتيا للجماعة الإسلامية عقب الانفصال عن تنظيم الجهاد.

وكان لجماعة الجهاد -أيضًا- وبعض الجماعات الأخرى مشاركة في دائرة الفوضى والتفجيرات والاغتيالات، فدخلت مصر في دوامة رهيبة من العنف والفوضى!

وبعد ذلك بعدة سنوات تمت مراجعة فكر ومنهج الجماعة ومسارها العملي، وخلصت لمراجعة شاملة تخلت فيها الجماعة عن العنف، وأعلنت ندمها وخطأها، وبعد الثورة المصرية خرجت القيادات من السجون وشاركت في العملية السياسية السلمية، ولا تزال الجماعة تتبنى هذا الخط والخيار.

هذه المحطات هي ما سنستعرضه بشيء من التفصيل.

◄ الصراع في السجن مع الشركاء بتنظيم الجهاد:

كانت الجماعة الإسلامية قد تفاهمت مع تنظيم الجهاد قبل اغتيال السادات على بقاء كل جهة تعمل على طريقتها في الدعوة؛ فالجماعة الإسلامية تنتهج الدعوة العلنية، بينما يعتمد تنظيم الجهاد العمل السري، وبعد القبض عليهم وبدء محاكمتهم التي استمرت (٣) سنوات كانت فرصة للقيادات في الجماعة الإسلامية للاجتماع والتفرغ لكتابة أفكارهم ومنطلقاتهم، إذ لم يكن للجماعة هيكل تنظيمي محدد ولا فكر مدوّن ومحدد قبل اغتيال السادات.

فصدرت من السجن -كما حدث مع سيد قطب!- كتبهم المعتمدة: «ميثاق العمل الإسلامي، حكم قتال الطائفة الممتنعة عن شرائع الإسلام، حتمية المواجهة»، وهي من إنتاج شباب جامعي غير مؤهل علميًّا!! والتي تم التراجع عن كثير مما فيها لاحقًا في مرحلة المراجعات، وصدر كتاب «أصناف الحكم والحكام»، و«كلمة حق» للشيخ عمر عبد الرحمن؛ مفتي الجماعة بعد الانفصال عن تنظيم الجهاد[١].

ومما دفع هذه القيادات الشبابية لتدوين فكرها اعتقادهم بأنهم سيُعدمون، وأنّ عليهم ترك فكرهم للجيل التالي من الجماعة! وتمحور فكرهم في ما دوّنوه من كتب على تكفير الحاكم الذي يحكم بالقوانين الوضعية باعتباره مبدلًا للشريعة، وعدم جواز دخول البرلمانات على اعتبار أن ذلك يعدّ نوعًا من الشرك والتشريع من دون الله ﷻ، ووجوب قتال الطائفة /السلطة الممتنعة عن تطبيق الشريعة، وتغيير المنكر باليد (بالعنف) لعامة الناس، وعذر الناس بالجهل من الوقوع في الكفر؛ بخلاف الغلاة الذين لا يعذرون بالجهل[٢].

وقد تصدى السلفيون لفكرهم المنحرف؛ والذي ثبت انحرافه عن صحيح الدين، وثبت تسببه بمظالم ومفاسد كثيرة على الإسلام والمسلمين والدولة، باعترافهم هم أنفسهم في مراجعاتهم! وقد عبّر أحد رموز تيار الجهاد عن قوة تأثير السلفيين في التصدي للعنف والتطرف في تلك المرحلة؛ فقال: «**ولكن العامل الأخطر في تعويق الإسلام الثوري هو**: اختراقه بواسطة السلفيين المدرسيين»[٣].

بعد صدور الأحكام وتبرئة بعض الشخصيات، مثل: الشيخ عمر عبد الرحمن، وخروجه من السجن، وخروج أصحاب الأحكام القصيرة التي انتهت مع انتهاء المحاكمة التي استمرت (٣) سنوات؛ وقع جدل حول من يقود التنظيم الآن؟ فانحاز قادة الجماعة الإسلامية للشيخ عمر عبد الرحمن، بينما انحازت جماعة الجهاد لعبّود الزمر، وذلك بعد إعدام محمد عبد السلام فرج، ونشأ خلاف عُرف باسم (ولاية الضرير والأسير)! وعلى قضية العذر بالجهل؛ حيث كانت الجماعة تعذر بالجهل ولا تكفّر المعين، بينما لا

(١) «الإسلام السياسي في مصر»، هالة مصطفى، (ص١٦٢).

(٢) المصدر السابق، (ص١٦٣).

(٣) المصدر السابق، (ص١٧٨).

يعذر تنظيم الجهاد بالجهل، وانفصل التحالف، وسار كل منهما في طريقه، وكانت الأكثرية مع الجماعة الإسلامية[١].

◄ مسيرة الجماعة بعد محاكمة قتلة السادات:

يبدو أن الجماعة في السجن خططت للمستقبل؛ من خلال توجيه الأفراد الذين تم الإفراج عنهم على دفعات على النحو التالي: من حُكم عليه بالسجن بثلاث سنوات وخرج في سنة (١٩٨٤) كُلّف بنشر فكر الجماعة الذي كُتب في السجن، والأفراد الذين حُكم عليهم بخمس سنوات كُلّفوا ببناء هيكل تنظيمي للجماعة، والأفراد الذين حكموا بسبع سنوات كُلّفوا بتأسيس جناح عسكري للجماعة؛ بحيث في عام (١٩٨٨) تمتلك الجماعة قوة عسكرية![٢]

وفعلًا؛ بعد خروج الشيخ عمر عبد الرحمن سنة (١٩٨٤) -والذي اتخذته الجماعة أميرًا لها- قام بجهد كبير في نشر فكر الجماعة والدعوة لها في ربوع مصر، وقد مال لعدم المصادمة مع الأمن؛ برغم مضايقات الأمن له ولشباب الجماعة، ثم سُمح له بأداء العمرة، ومن هناك سافر لباكستان وأفغانستان والتقى بقادة الجماعات المتطرفة والقائمة على العنف، وسافر للسودان ومن هناك استخرج تأشيرة لدخول أمريكا سنة (١٩٩٠م)؛ فأقام فيها مدة ثم لُفقت له تهم إرهابية، سُجن على إثرها هناك من سنة (١٩٩٣)[٣] وحتى وفاته سنة (٢٠١٧)، وقد سمح بدفنه في مصر.

وقد كان لرفاعي طه دور كبير في البناء الثاني للجماعة من عام (١٩٨٤)، وكان يلقب بالناظر كناية عن دوره المركزي[٤]، وفي هذه المرحلة شاركت الجماعة في الانتخابات الطلابية، وعَقدت العديد من المؤتمرات السياسية في الجامعات والنقابات، وركزت على تقوية جهازها الإعلامي، لكنها رفضت دخول انتخابات البرلمان سنتي (١٩٨٧ و١٩٩٠) لأنها اعتبرته مخالفًا للشريعة، وتصادمت مع جماعة الإخوان بسبب ذلك[٥].

من اللافت أن عبود الزمر وطارق الزمر وبعض أتباعهم انفصلوا بعد عدة سنوات عن جماعة الجهاد في السجن وخارج السجن، وانضموا للجماعة الإسلامية، وأصبح عبود في مجلس شورى الجماعة[٦].

◄ بدء العنف المسلح عند الجماعة من جديد:

أخذت طريقة الجماعة بتغيير المنكر باليد تتطور لدى بعض قيادات الخارج والشباب نحو العنف شيئًا فشيئًا، فالإطار النظري متوفر وجاهز، وممارسات النظام تغذي هذا العنف؛ من خلال اعتماد التعذيب والظلم والتعدي، وكذلك ساهمت طبيعة أعضاء التنظيم في محافظات الصعيد وأسيوط الميالة بطبيعتها للصدام والعراك، وكان للسماح لعدد من قادتها بالسفر لأفغانستان دور في رفع اعتمادية العنف لدى الجماعة؛ حيث أعادت بعض الروابط مع تنظيم الجهاد والتعرف على تنظيمات أخرى هناك، وأصدرت من هناك مجلة «المرابطون».

ومنذ سنة (١٩٨٦) بدأت تتصاعد الصدامات بين شباب الجماعة وقوات الشرطة، وبقيت حتى إعلان وقف العمليات العسكرية من قيادة السجون سنة (١٩٩٧)، وقد سقط في هذه العمليات كثير من الأبرياء من المارّة؛ بخلاف رجال الشرطة والساسة والسياح الذين استهدفتهم العمليات[٧].

---

(١) «اختلاف الإسلاميين»، أحمد سالم، (ص١٠٦)، «الإسلام السياسي» (ص٢٧٤)، «الجماعات الإسلامية والعنف»، سعود المولى، مركز المسبار، (ص٦٣٦).

(٢) «الجماعات الإسلامية والعنف»، سعود المولى، (ص٦٥٥)، وهو ينقل ذلك فيما يبدو عن سلوى العوا في كتابها «الجماعة الإسلامية المسلحة»، وكتاب محمد أبو عطية وهو من الجماعة الإسلامية وأنجز عنها رسالة ماجستير.

(٣) «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص٢٠٦).

(٤) «مراجعات الجهاديين»، عبد المنعم منيب، مكتبة مدبولي، (ص٩).

(٥) «الإسلام السياسي» (ص٢٧٥).

(٦) «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص١٨٠).

(٧) المصدر السابق، (ص١٤٦)، «الإسلام السياسي» (ص٢٦٧).

ومن أبرز عمليات العنف المسلح التي قامت بها الجماعة: محاولة اغتيال وزير الداخلية زكي بدر، سنة (١٩٨٩)، وقد قامت الشرطة باغتيال الناطق الإعلامي للجماعة د. علاء محيي الدين، سنة (١٩٩٠)، مما رفع وتيرة العنف؛ حيث أصدرت الجماعة بيانًا بعنوان: «آن الأوان ليسكت الكلام، ويتكلم الرصاص»[١]، وقد رافق ذلك عودة بعض القادة من أفغانستان؛ حيث تولى طلعت فؤاد قيادة الجماعة[٢]، وهنا تصاعد عنفها؛ فحاولت اغتيال الرئيس حسني مبارك عدة مرات، أهمها في أثيوبيا سنة (١٩٩٥)[٣]، واستهدفت عددًا من قادة الأمن ورموز النظام بعملياتها، كما هاجمت عدة مرات السياح الأجانب في مصر.

ويبدو أن عنف قيادة الخارج لم يكن برضا قيادة السجون، ولما وقعت أخطاء ضخمة في هذه العمليات الإرهابية قام قادة الجماعة في السجن باستنكارها في رسائل علنية، بل قام القادة في السجن بعقد محاكمة لأحد قادة الجماعة الذين تسببوا في تنفيذ عملية إرهابية متطرفة؛ لِما وقع فيها من أخطاء فادحة[٤].

في نفس الوقت ثمة عمليات إرهابية لكن من تنفيذ جماعة الجهاد، أو تنظيم التوقف والتبيّن والمشتهر إعلاميًّا بـ «الناجون من النار»، وهم انشقاق عن تنظيم الجهاد[٥]، أو الشوقيين، وهم شطحة عن جماعة التوقف والتبين![٦]

ويلزم الباحث عدم خلط عمليات كل تنظيم بغيره، وإن كانت الحصة الأكبر للجماعة الإسلامية[٧].

وقد تسببت العمليات الإرهابية للجماعة الإسلامية بأضرار كبيرة، تمثلت بقتل العشرات من الأبرياء، والإضرار بالاقتصاد المصري، وزعزعة أمنه واستقراره، كما أنها تسبّبت باعتقال ما يقرب من (٣٠) ألفًا من شباب الجماعة الإسلامية والشباب الملتزم، والتضييق على الدعوة الإسلامية بعامة[٨].

لقد كانت هذه العمليات من الكثافة والكثرة حتى وصلت لدرجة أن متوسط نسبة العمليات الإرهابية هو: وقوع عمل إرهابي ينتج عنه قتيل وجريح واحد يوميًّا، مما أدى لنفور شعبي تجاه الجماعة[٩].

◄ إعادة الجماعة النظر بمسار العنف:

في هذه المرحلة كانت الجماعة تسير في مسارين متناقضين: ففي السجن كانت هناك عملية مراجعة وإعادة تقييم لمسيرة الجماعة ومستقبلها، وقد كانت نظرة القيادة في السجن تتوجه باتجاه التصالح مع النظام؛ ولذلك بعد تيقنها من فشل خيار الصدام قامت قيادة الجماعة عبر (٢٠) سنة بتقديم (١٥) مبادرة للتصالح مع النظام، تم رفضها جميعًا[١٠]، آخرها كان البيان الذي تلاه أحد القيادات أمام الصحفيين في قاعة المحكمة في (٥/ ٧/ ١٩٩٧)، وأعلن فيه وقف جميع العمليات المسلحة داخل مصر وخارجها[١١]، لأن قيادة السجن كانت مصرّة على ضرورة وقف العنف وتغيير مسار الجماعة نحو السلمية؛ بعد تفاقم الأذى على

---

(١) «اختلاف الإسلاميين» (ص١٠٦).

(٢) «الجماعات الإسلامية والعنف» (ص٦٥٤).

(٣) بحسب محامي مصطفى حمزة القيادي العسكري للجماعة تمت (١٢) محاولة اغتيال لمبارك:
http://www.elwatannews.com/news/details/٥٣٩٢٦

(٤) «الجماعات الإسلامية والعنف» (ص٦٥٦).

(٥) «دليل الحركات الإسلامية المصرية» (ص١٥٨).

(٦) المصدر السابق، (ص١٦١).

(٧) «الإسلام السياسي في مصر» (ص١٦٧)، «شاهد على وقف العنف» (ص٧٨).

(٨) «الجماعات الإسلامية والعنف» (ص٦٦٢).

(٩) «شاهد على وقف العنف» (ص٤٢).

(١٠) المصدر السابق، (ص٨٣).

(١١) «الجماعات الإسلامية والعنف» (ص٦٦١)، «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص٥٧).

الجماعة وأفرادها دون نتيجة أو مؤشر على ضعف النظام! وأيضًا بسبب معارضتها لمسار العنف الذي يتعمق لدى قيادة الخارج.

وردًّا على هذا التوجه لقيادة السجون قام جناح من قيادة الخارج -رافضٌ لمسار المراجعة ووقف العنف والتصالح- بتنفيذ عملية إرهابية ضخمة، عرفت باسم «عملية الأقصر»، واستهدفت سياحًا أجانب في الأقصر، قُتل فيها (٥٨) سائحًا؛ وذلك بعد (٤) شهور من مبادرة وقف العنف! وقد أصدر رفاعي طه -رئيس شورى الخارج- بيانًا تبنّى فيه العملية، فردّ عليه أسامة رشدي -الناطق باسم الجماعة في الخارج من هولندا- بنفي مسؤولية الجماعة عنها وإدانتها، وأنها تصرف ذاتي من منفذيها وليست بقرار مؤسسي[(١)].

واشتعل الجدل والخلاف داخل الجماعة؛ حتى توافق القادة جميعًا على دعم مبادرة العنف: القادة التاريخيون في السجن، والشيخ عمر عبد الرحمن -من سجنه بأمريكا[(٢)]-، ومصطفى حمزة -المسؤول العسكري من إيران-، ورفاعي طه -رئيس مجلس شورى الخارج-.

وعلى عكس توجه قيادة السجون كانت قيادة الخارج تتّجه للتعاون والتحالف مرة أخرى مع تنظيم الجهاد؛ الذين التقوا به مرة أخرى في أفغانستان، والانخراط في مزيد من العنف، وقد تجسد ذلك في قبول إعلان «الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين»؛ حيث وقّع رفاعي طه عن الجماعة انضمامها لها في (١٩٩٨/٢/١٨).

لكن قيادة الجماعة طلبت منه التراجع عن ذلك، وفعلاً تنصّل رفاعي طه من موافقته على الجبهة في موقع «المرابطون»[(٣)]، وبعد عدة أشهر صدرت تصريحات من قادة السجون والشيخ عمر عبد الرحمن هاجموا الجبهة، ودعوا لاعتماد جبهة سلمية في الدعوة والنشاط الإسلامي، وقد تسبب هذا الضغط على قيادة الخارج باستقالة كلّ من أسامة رشدي ورفاعي طه ومحمد شوقي الإسلامبولي من مجلس الشورى بالخارج[(٤)].

◄ تطور مبادرة نبذ العنف:

في حوار لكرم زهدي مع مكرّم محمد -رئيس تحرير مجلة «المصور»- لخّص تاريخ المراجعات لدى الجماعة؛ فقال: «لقد بدأنا التفكير فيها بعد أحداث (١٩٨١)، وكنّا نريد الصلح مع مؤسسات الدولة، وكانت هناك محاولة منذ عام (١٩٨٨) بعدما عرض الشيخ الشعراوي ﷺ التدخل؛ حيث استأذن كبار المسئولين في الدولة للحديث مع القادة، الذين وافقوا وسعِدوا بذلك، ولكن إخوة في جماعات أخرى خالفوا وقطعوا الطريق على هذه الوساطة، بهروب عصام القمري؛ الذي أجهض مبادرة الجماعة لإعلان وقف العنف.

وفي عام (١٩٩٣) بادرت الجماعة الإسلامية إلى مراسلة الحكماء والعقلاء والمفكرين؛ الذين سارعوا لتشكيل لجنة الوساطة، ولكن هذه المحاولة فشلت، لأن هناك من تحرك لإفسادها!

وكانت هناك محاولات أخرى، لأن الموقف عليه شبه إجماع، ولكنها لم تتم، فقررت الجماعة الإسلامية إعلان هذه المبادرة على الملأ في (يوليو ٩٨).

واستمرت الأمور ما بين شد وجذب بين الجماعة والحكومة المصرية؛ حتى صدرت المراجعات الأخيرة في شكل

---

(١) «شاهد على وقف العنف» (ص٩٢).

(٢) المصدر السابق، (ص١٢٢).

(٣) المصدر السابق، (ص٩٥).

(٤) «الجماعات الإسلامية والعنف» (ص٦٦٠)، «مراجعات الجهاديين» (ص٢٥)، «شاهد على وقف العنف» (ص٩٢).

أربعة كتب». ا. هـ[1]

لقد كانت بداية المبادرة بالإعلان الذي تم في (٥/٧/١٩٩٧) من قيادة السجون، والتي لم تكترث لها الدولة في حينها، ثم بالضغط على مجلس شورى الخارج لتأييد ذلك ببيان جديد صدر في (٢٨/٣/١٩٩٩)، وقد قوبلت المبادرة بتشكيك من الأمن وكثير من الساسة، وأنها مناورة وخداع، ولكن ثبات القادة على مراجعتهم والتنديد بعملية الأقصر وغيرها، والصبر سنوات على رؤيتهم؛ فتحت نافذة في جدار الرفض الرسمي للحوار مع الإرهاب.

واليوم يؤكد ثبات القيادة التاريخية للجماعة على سلميتها؛ برغم كل الصدامات في مصر جدية الجماعة في تحولها.

بينما اعتبرت بعض الجهات الإسلامية وبعض قيادات الجماعة (مبادرة وقف العنف) خيانة وعمالة للأمن، وهزيمة نفسية ناتجة عن أزمة السجن وحبّ الدنيا[2].

وفي المقابل؛ طلب القادة التاريخيون من الدولة التوقف عن التعذيب، والتوقف عن تجديد التوقيف بحجة قانون الطوارئ، والإفراج عمّن أنهى محكوميته، وعدم أخذ النساء رهائن للضغط على أفراد الجماعة، وعدم اقتحام المساجد، والسماح لهم بالدعوة[3].

ولما بدأ الأمن يشعر بجدية الموضوع - بعد عدة سنوات - سمح للقيادات التاريخية في (٢٠٠٢) بجولات على السجون للقاء الشباب وأعضاء الجماعة لإقناعهم بالمبادرة ونبذ الغلو، وقد كانت نتائج ذلك إيجابية.

ثم قامت قيادة الجماعة في السجون بإصدار (٤) كتب تراجع فيها أفكارها السابقة؛ وذلك في (٢٠٠٢)، وعُرضت في معرض القاهرة للكتاب، حيث ناقشت فيها ضرورة التزام فقه الموازنات والمصالح والمفاسد تجاه نهجها في العمليات العسكرية، وأنها لا تحقق المصالح المرجوة، وتراجعوا عن قضية إنكار المنكرات بالقوة، وتبيين ما وقع في (الجهاد) من أخطاء يجب الإقلاع عنها، وخطورة الغلو والتطرف والتكفير[4].

وصدرت بعدها عدة كتب أخرى، وبدأت بعدها عمليات الإفراج عمّن أتمّ محكوميته.

كان لعبود وطارق الزمر اعتراضات على طريقة وأسلوب التفاهم مع النظام بخصوص المبادرة؛ إذ كانا يطمحان لرفع سقف مكاسب الجماعة منها، وليس اعتراضًا على أصل المبادرة، ولذلك قام الأمن بعزل عبود وطارق الزمر عن بقية القادة ونقلهم لسجن آخر، وتأخير خروجهم عدة سنوات، ثم أصدر طارق الزمر كتابه «مراجعات لا تراجعات»؛ والتي حاول فيه أن يصحح المفاهيم السابقة، بخلاف القادة التاريخيين الذين أدانوا مفاهيمهم السابقة! ولكن طارق يعترف بخطأ قراءته وبقية القادة للواقع آنذاك، مما تسبب بأضرار عبر اتخاذ وسائل وأساليب غير مناسبة وهي: العنف![5]

◄ خلاصة المراجعات:

لخص كرم زهدي في مقابلة مع عبد اللطيف المناوي الخبرة الحركية من التجربة؛ فقال: «بعد أن هدأت الأحداث وسكنت عاصفة عام (١٩٨١)؛ أدركنا أنا وإخواني حقيقة المؤامرة

---

(١) ttp://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:rRktQhKUw١wJ:www.maghress.com/attajdid/١٢٤٩٦+&cd=٦&hl=en&ct=clnk&gl=jo

(٢) «شاهد على وقف العنف» (ص١٠١)، «مراجعات الجهاديين» (ص٣٣).

(٣) «الجماعات الإسلامية والعنف» (ص٦٦١)، «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة» (ص٦١).

(٤) «مراجعات الجهاديين» (ص٢٦).

(٥) «التنظيم والتنظير تنظيم الجهاد وشبكة القاعدة»، عبد المنعم منيب، (ص١٥٧).

التي حيكت لنا بمكر ودهاء شديدين! تمكن اليساريون من خلالها من ضرب الحركة الإسلامية من جهة، وضرب السادات خصمهم اللدود من جهة أخرى... وذلك بإيقاع الفتنة بين شباب الجماعة الإسلامية وبين قيادة الدولة ممثلة في الرئيس السادات، وباستخدام أسلوب التحريض المستمر، وإشعال النيران والنفخ فيها، وتشويه سمعة السادات وعائلته؛ بنشر الشائعات المتلاحقة ... استطاعوا بذلك الأسلوب الرخيص أن يوقعوا الفتنة التامة ويؤججوها حتى وقعت أحداث (٨١)...

الخلاصة: أننا أدركنا تمامًا ما كان من أمر تلك المؤامرة الخبيثة، ومما زاد من قناعتنا بهذا الأمر أنه بلغنا وقتها أن أحد المحامين اليساريين قال في اجتماع لهم: لقد تخلصنا الآن من السادات، وبقي أن نسعى إلى إعدام أكبر عدد من الجماعات الإسلامية في هذه القضية؛ حتى تشتعل النار من جديد بينهم وبين النظام الحاكم، وبهذا نكون ضربنا عصفورين بحجر».

وبخصوص الخبرة عن المنهج الصحيح للعمل الإسلامي يقول في نفس المقابلة: «البديل الشرعي الصحيح لعمليات العنف التي كانت تحدث هو: الدعوة السلمية، وتقديم النصيحة لحكام المسلمين، وقول الحق بطريقة سلمية وبأسلوب مقبول وطيب، فإذا استجيب لمطالبنا فللّه الحمد والمنة، ونقدم لهم الشكر على ذلك، وإن لم يستجيبوا فخيارنا الصبر على الأذى»[1].

◄ مرحلة ما بعد السجن[2]:

عاشت الجماعة بعد الخروج من السجن مرحلة كمون تقريبًا، فلم يكن لهم كبير نشاط إلا بالتنسيق مع الأمن، وبقي الأمر على هذا الحال حتى قيام الثورة المصرية في (٢٠١١/٢/٢٥)، حيث شارك بعض أفراد الجماعة لكن بشكل فردي؛ حتى لا تتحمل الجماعة تبعات ذلك.

◄ ما بعد الثورة المصرية:

ولما تمت تنحية مبارك قام المجلس العسكري بالإفراج عن عبود وطارق الزمر، وهنا أصبح هناك تمايز بين القادة التاريخيين ككرم زهدي وأسامة حافظ وناجح إبراهيم؛ الذين بقوا مصرّين على مبادرتهم السلمية والمبالغة فيها، وبين بعض القيادات العسكرية سابقًا في الجماعة؛ الذين لا تزال لديهم حماسة وتهور مثل: عصام دربالة وصفوت عبد الغني وطارق الزمر؛ والذين يعتقدون أن قيادة الجماعة انحرفت!

فعقدت انتخابات مجلس شورى الجماعة بعد الثورة المصرية في (٢٠١١)، وتم الإطاحة بكرم زهدي ورفاقه، واعتلاء عصام دربالة قيادة الجماعة، مما أشعل الصراعات والخلافات داخل أروقة الجماعة، واستقال على إثرها ناجح إبراهيم وكرم زهدي، وتكونت جبهة إصلاح الجماعة الإسلامية.

وقد ساعدت جماعة الإخوان الجماعة الإسلامية على تأسيس حزبها «حزب البناء والتنمية» في سنة (٢٠١١)، وشارك في أول انتخابات لمجلس الشعب بعد الثورة، وحصل على (١٩) مقعدًا من خلال تحالفه مع حزب النور، بعد فشل تحالفه مع الإخوان المسلمين؛ الذين عَرضوا عليهم مقعدًا واحدًا فقط!

ولما تم عزل الرئيس مرسي شاركت الجماعة وحزبها في تحالف الشرعية مع الإخوان، وكان لعاصم عبد الماجد وطارق الزمر تصريحات متطرفة على منصّة رابعة، وقد تسبب ذلك بوقوع بعض حوادث عنف من أعضاء بالجماعة، واتهمت جبهةُ إصلاح الجماعة طارق الزمر بالتخطيط لعمليات عنف في مصر، وقد هرب عاصم عبد الماجد وطارق الزمر من مصر، وبقوا في تحالف مع الإخوان المسلمين، ثم انقلب عاصم على الإخوان -وإن بقي خارج مصر-.

وانقلاب عبد الماجد على الإخوان برّر بتعالي الإخوان الدائم على شركائهم، وتحكمهم في تمويل ودعم الجماعة، ووجود مؤشرات على نية الإخوان عقد صفقة مع النظام قد تكون على حساب شركائها، وقد كَشفت صراعاتُ الإخوان عن وجود مثل هذا التوجه وأصدرت الجماعة الإسلامية بيانًا بخصوص ذلك وتأثيره على تحالف

---

(١) «شاهد على وقف العنف» (ص٢٤٤، ٢٥٦).

(٢) مصادر هذه المعلومات ممّا نشر عن الجماعة في شبكة الإنترنت.

الشرعية!

بينما أعلن عبود الزمر عن تخطئته للإخوان المسلمين، وإصرارهم على عودة مرسي، ودعاهم للمصالحة مع الدولة، كما أرسل رسالة تحذير لعصام دربالة -أمير الجماعة؛ الذي يصرّ على التحالف مع الإخوان-، قال فيها: «إن إصراركم على الاستمرار في «التحالف» يهدم كيانًا عمره أكثر من أربعين عامًا، ويقضي على طموح أبنائه، ولن تكون نتيجته إلا ضياع الحركة الإسلامية».

ولكن السلطات الأمنية قامت باعتقال عصام دربالة في (٥/ ٢٠١٥)، مما دعا عبود الزمر لطلب الإفراج عنه مقابل انسحاب حزب الجماعة «البناء والتنمية» من تحالف «دعم الشرعية» الذي يقوده الإخوان، وعدم ممارسة السياسة، والاكتفاء بالعمل الدعوي للجماعة، لكن السلطات لم تستجب لذلك، وبقي دربالة مسجونًا حتى توفي بعد (٤) شهور في السجن بسبب مرضه وعدم معالجته، وتم تعيين أسامة حافظ رئيسًا لمجلس الشورى مؤقتًا بصفته نائب الرئيس.

وقد حصل صراع على موقع الرئيس؛ فصفوت عبد الغني -من جناح التشدد والمسجون من (٢٠١٤) لكونه مؤيدًا للرئيس مرسي[1]- طلب عدم إجراء انتخابات المجلس إلا بعد إطلاق سراحه؛ لرغبته برئاسة الجماعة وعدم تركها للتيار الآخر، فيما كثير من أعضاء الجماعة يحثون كرم زهدي للعودة للقيادة حتى لا تتشدد الدولة تجاههم.

وقد رفض أسامة حافظ الانزلاق لمسار العنف من جديد؛ حيث حذر جماعة الإخوان عقب توليه قيادة مجلس الشورى من العنف ورفض (بيان نداء الكنانة)؛ الذي أصدره عدد من العلماء والهيئات من دول متعددة تأييدًا للرئيس مرسي؛ حيث علّق على البيان بقوله: «مثل هذه البيانات تلقى هكذا بين الشباب المتحمس المندفع هو أمر خطير! يستمدون منها مشروعية القتل».

وقد جاء مقتل رفاعي طه بغارة أمريكية في سوريا في (٤/ ٢٠١٦)؛ حيث كان هناك لإتمام مصالحة بين تنظيم النصرة (القاعدة) وحركة أحرار الشام بحسب بيان الجماعة؛ ليؤشر على وجود قيادات -خاصة العسكرية منها- في الجماعة لا يزال لها توجه نحو التطرف أو العنف.

وعقب مهاجمة إبراهيم منير -أمين التنظيم الدولي لجماعة (الإخوان المسلمين)- الجماعة الإسلامية أمام مجلس العموم البريطاني في (٦/ ٢٠١٦)، طالب عاصم عبد الماجد وعبود الزمر قيادة الجماعة بالانسحاب من تحالف دعم الشرعية؛ الذي لم يبق فيه إلا الإخوان والجماعة الإسلامية فقط! وإن كان التحالف في حكم الميت لعدم وجود فعاليات مشتركة له!

وفي تحرك غريب لا تُعرف دوافعه: هل هي جس نبض أو نوع من التحدي والعناد؟! قام حزب الجماعة في (٨/ ٢٠١٧) بانتخاب طارق الزمر رئيسًا له، رغم تواجده خارج مصر، وردّت السلطات على ذلك باتهام طارق في التورط بعمليات إرهابية، اضطرته لإعلان استقالته من الرئاسة والحزب؛ لتجنيبه الحل والإغلاق، وقد كان لأسامة حافظ دور في ذلك، وتم انتخاب محمد تيسير -أمين الحزب بالقاهرة- رئيسًا للحزب.

◄ **خاتمة:**

تراوحت المسيرة بين عاطفة الشباب ونقص العلم؛ فتورطت في العنف، ووقعت في مكيدة الأعداء، ولما أنضجت التجربة وزادت خبرتهم مالوا للمراجعات، وكان غالبيتهم صادقين فيها، وفي السجن كتبوا فكرهم المتطرف، وفي السجن -أيضا- كتبوا مراجعاتهم، وفي الحالين كان نقص العلم وعدم التأهيل العلمي الشرعي يورطهم في بعض الأخطاء، لكن أخطاء التطرف كانت أكثر بكثير!

من هنا؛ لما زادت مساحة الحرية القصيرة -عقب إزاحة مبارك- انقلب بعض القيادات على مراجعاته، وتسبب مرة أخرى بكوارث وتضييقات على نفسه وإخوانه وجماعته.

وتبقى الخلاصة الثابتة في مسيرة الجماعة وغيرها من تنظيمات العنف: قلة العلم باب للتهور وجلب المصائب، وهدم مسار الدعوة وبذل الخير.

(١) تم الإفراج عنه في (١٠/ ٤/ ٢٠١٧).

ثورات الخوارج (١٣):
ظهور الأزارقة، وبداية خروجهم

هيثم الكسواني - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

تحَدثنا في الحلقة الماضية عن مفارقة الخوارج لخليفة المسلمين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، بعد أن وجدوا أنه لا يشاركهم الرأي فيما يتعلّق بالصحابة رضي الله عنهم؛ فقد طلبوا منه التبرّؤ من خيرة الصحابة وخلفاء المسلمين وعددٍ من المبشرين بالجنة؛ كأبيه الزبير وعثمان وعلي وطلحة وعائشة أم المؤمنين، رضي الله عنهم؛ كشرط لاستمرارهم في نصرته، وقتال الجيش الأموي الذي جاء إلى ابن الزبير في مكة محارِبًا ومحاصِرًا.

لكن ابن الزبير أوضح لهم رأيَه في الصحابة بكل صراحة ووضوح، رغم حاجته إلى دعمهم ضد الجيش الأموي، فتفرقوا عنه، وتركوه، وكما يقول الإمام ابن كثير: «وفارَقوه، وقصدوا بلاد العراق وخراسان؛ فتفرقوا فيها بأبدانهم، وأديانهم، ومذاهبهم، ومسالكهم المختلفة المنتشرة؛ التي لا تنضبط ولا تنحصر، لأنها مفرعة على الجهل وقوة النفوس، والاعتقاد الفاسد»[١].

وبعد مفارقتهم لعبد الله بن الزبير في مكة، توجّهت مجموعة منهم إلى البصرة، وأمّروا عليهم نافع بن الأزرق، في حين ذهب آخرون إلى اليمامة.

ويبدو أن توجّه المجموعة الأولى إلى البصرة كان بفعل الظروف المستجدّة آنذاك، والمتمثلة بضعف سلطة واليها عبيد الله ابن زياد، بعد وفاة الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، سنة (٦٤هـ)، وتفرّق البيت الأموي الحاكم، وابن زياد -كما هو معروف- كان فيما سبق قد أذاق الخوارج الأمرّين، لكن في ظل الوضع الجديد «لم يعُد بإمكانه ولا من مصلحته القيام بحملات اعتقال ضدّ أي كان؛ لأن ذلك سيزيد في اضطراب الأوضاع بالمِصر في وقت كان يسعى فيه جاهدًا إلى ضمان الهدوء»[٢].

ويَذكر بعض المؤرّخين أن نافع بن الأزرق كان في بادئ الأمر على رأي شيخ الخوارج أبي بلال مرداس بن أديّة في تحريم الاستعراض[٣] وقتل الناس؛ إلاّ أن أحد مجتهدي الخوارج -وهو أبو الوازع الراسبي- استطاع التأثير فيه، وأن يحسّن له الخروج على السلطان[٤]، وبالفعل جمع نافع أصحابَه، وتوجّه بهم في (شوال من سنة ٦٤هـ) نحو الأهواز[٥].

(١) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧٠٤).

(٢) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٠٩).

(٣) استعرض القوم، أي: قَتَلَهُم، ولم يُبالِ بِمَن قتل، وقد كان من منهج الخوارج الإباضية الطلب من الناس: عرض معتقدهم لفحصه؛ وإذا تبين مخالفته لهم كفّروهم وقتلوهم! وهو ما يصنعه الدواعش اليوم.

(٤) أبو العباس المبرِّد، «الكامل في اللغة والأدب» (ص٥٩٥)، د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٣٩).

(٥) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٣٩).
والأهواز: إقليم عربي مجاور للبصرة، محتل الآن مِن قِبل إيران.

ويعود اختيار الأهواز (يُقال لها -أيضًا-: الأحواز) من قِبل الخوارج؛ لتكون مركزًا لهم إلى الأهمية الاقتصادية والإستراتيجية للمنطقة، وثرائها، وقربها من البصرة، بحيث أن السيطرة على الأهواز تسمح لهم بتهديد البصرة، وفرض حصار عليها واقتحامها عند الحاجة[1].

وهناك -في الأهواز- تمكّن الخوارج من طرد عمّال السلطان، وجباية الخراج؛ يتقوون به، ويشكل لهم مصدر دخل مهمًّا -كما فعل تنظيم داعش في عصرنا الحاضر حين سيطر على مناطق النفط وباعَه لمصلحته-.

أما في البصرة؛ فقد توجّس أهلها من الخوارج، لا سيما وأن سيطرة الخوارج على الأهواز أدّت إلى تراجع أوضاعهم الاقتصادية، لأن جزءًا من عطائهم كان يأتي من الأهواز[2].

وصمّم أهل البصرة على تنحية خلافاتهم القبلية ومحاربة الخوارج، وهو ما يأتي تجسيدًا للسياسة التي سنّها الأمويون منذ وقت مبكر؛ بإشراك القبائل والأهالي بمحاربة الخوارج، وقد كرّر ذلك بنجاحٍ جيش الإسلام في غوطة دمشق، فمنع الدواعش من دخولها، ولذلك صمدت مقاومة الغوطة لليوم؛ بخلاف المناطق التي تهاونت مع خوارج العصر (الدواعش)؛ فسقطت ودمّرت بعد انسحاب الدواعش منها بشكل مفاجئ عقب عقد صفقات مشبوهة.

وحين توجّه نافع بأصحابه نحو البصرة اصطلح أهلها على تولية عبد الله بن الحارث؛ الذي أرسل إلى الأزارقة مسلم بن عُبيس فطاردهم، حتى قرية دولاب -من أرض الأهواز-، فخرج له نافع، وهناك «دارت رحى معركة عنيفة! اقتتلوا فيها حتى تكسرت الرماح في أيديهم، وكثرت الجراح في العساكر، وانجلت الموقعة عن مقتل أمير أهل البصرة ابن عُبيس، وأمير الخوارج نافع بن الأزرق، وذلك في (جمادى الثانية من سنة ٦٥هـ)»[3].

لم يُنهِ موت نافع فكر هذه الفئة من الخوارج ولا وجودها، فاختارت عبيد الله بن الماحوز أميرًا عليها، وواصلت الخروج وقتل الناس، وبثّ شرورها في المجتمع، ويمكن القول: إن نافع والأزارقة شكلوا النسخة الأكثر تشددًا وتطرفًا وهمجيةً من الخوارج.

وإذا أردنا أن نتحدث عن أفكارهم ومعتقداتهم فسنرى العجب العجاب! ومن ذلك:

١ - متابعتهم للخوارج الأوائل في تكفير رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بل وزعموا أنه هو الذي نزل فيه قول الله ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[البقرة:٢٠٤]، وفي المقابل صوّبوا عملَ قاتلِه عبد الرحمن بن ملجم، وزعموا أن الله أنزل في شأنه قولَه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾[البقرة: ٢٠٧].

٢ - تكفير مرتكب الكبيرة، والقول بأنه خارج من ملة الإسلام، ومخلّد في النار مع سائر الكافرين.

٣ - تكفير جميع مخالفيهم، ومَن لا يقول بقولهم؛ حتى شمل التكفير: الخوارج الذين اعتزلوا القتال بين عليٍّ ومخالفيه، والذين أُطلق عليهم اسم: «القَعَدة»، أو أولئك الذين رفضوا

(١) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١١٢-١١٣).

(٢) المصدر السابق، (ص١٣١).

(٣) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٣٩-١٤٠).

الانضمام والهجرة إليهم.

٤ - اعتبار دار مخالفيهم دار حربٍ، يُستباح فيها كل شيء؛ مِن قتل الأطفال والنساء وسبيهنّ، ومصادرة الأموال، ورأوا أنّ مَن خالفهم لا يُحفظ له عهدٌ، ولا تؤدّى إليه أمانته، وأن مَن أقام في دار الكفر (أي: في غير معسكرهم) ولم يلحق بهم كان مشركًا.

٥ - امتحنوا من انضمّ إليهم بقتل الأسرى؛ للتأكد من صدق نيّته! فكانوا يدفعون إليه أسيرًا من مخالفيهم ويأمروه بقتله؛ فإن قتله صدّقوه في دعواه أنه منهم، وإن لم يقتله؛ قالوا: هذا منافق مشرك؛ وقتلوه!!

٦ - رأوا أن أطفال المشركين كآبائهم؛ فأباحوا قتلهم، وكانوا يطرحونهم في القدور وهي تغلي!

٧ - إنكار التقية في القول والعمل.

٨ - جوّزوا أن يبعث الله نبيًّا يعلم أنه يكفر بعد نبوّته، أو كان كافرًا قبل بعثته.

٩ - وتبنوا أحكامًا فقهية شاذة، خالفوا بها الأمة؛ فأسقطوا الرجم عن الزاني بحجّة أنه لم يرد في القرآن[١]، وأوجبوا قطع يد السارق في القليل والكثير؛ مِن غير اعتبار لقيمة الشيء المسروق، وجعلوا القطع من المنكب، وأوجبوا على الحائض الصلاة والصيام، وأسقطوا حدّ القذف عمّن قذف المحصن من الرجال؛ مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء[٢].

أما سلوكهم؛ فقد جاء منسجمًا تمامًا مع ما يدينون به؛ من قتل الأبرياء وسفك الدماء وتكفير المخالفين، ومِن ذلك: رفض نافع بن الأزرق الصلاة على أبيه لمّا مات[٣].

وقد أورد المؤرخون الشيء الكثير عن فسادهم وإفسادهم؛ فذكر ابن كثير أنهم لمّا ذهبوا إلى المدائن «جعلوا يَقتلون النساء والولدان، ويبقرون بطون الحبالى، ويفعلون أفعالًا لم يفعلها غيرهم!»[٤].

ولا يزال التعطش للدماء وقتل المخالفين ملازمًا للخوارج المعاصرين، وعلى رأسهم: تنظيم داعش، وإثبات ذلك ليس بالأمر العسير، ويكفي أن نشير إلى شيء ممّا بثّه التنظيم في التسجيلات الصوتية؛ حيث يقول ناطقهم الرسمي: «فاعلموا أن لنا جيوشًا في العراق، وجيشًا في الشام؛ مِن الأسود الجياع، شرابهم الدماء، وأنيسهم الأشلاء، ولم يجدوا فيما شربوا أشهى من دماء الصحوات.

فَوَالله! لَنسحبنَّهم ألفًا ثم ألفًا، ثم والله! لن نبقي منكم ولن نذر...».

وفي موضع آخر -يقول هذا الناطق!-: «وأما مَن يصرّ على البقاء في صفوف صحوات الخيانة والدياثة والعمالة، أو الجيش أو الشُّرَط الخائنة، وكل مَن يحالفهم أو يعينهم في حرب المجاهدين؛ فدمه مباح، وهو عندنا على رأس قائمة المطلوبين.

وعلى جنود الدولة الإسلامية وأنصارها قطفُ رؤوس

---

(١) من العجيب أنه إذا كان الخوارج الأزارقة في القديم أنكروا الرجم فإن أتباعهم المعاصرين «داعش» توسعوا فيه وأخذوا يطبقونه باعتباط وعنجهية، وبلا ضوابط شرعية! انظر: علي بن حسن الحلبي، «داعش العراق والشام في ميزان السنة والإسلام»، (ص٢٢٠-٢٢١).

(٢) د. عطا الله المعايطة، «جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة» (ص٥٠٨-٥١١)، د. أحمد محمد جلي، «دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين» (ص٧٢-٧٣)، =

= عبد القاهر البغدادي، «الفرق بين الفرق» (ص٨٣-٨٤)، د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص٢٢٢-٢٢٦).

(٣) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٣٠).

(٤) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧٣٧).

هؤلاء، ومطاردتهم وملاحقتهم في كل مكان، وهدم منازلهم أو حرقها؛ بعد إخراج الأهل والذّرّيّة منها؛ جزاء وفاقًا»[1].

وإزاء ما اقترفه الأزارقة من شرور لم يكن مِن الغريب أن يُقال يومًا ما لزعيمهم ومؤسس فرقتهم: «يا نافع! إنّ لجهنم سبعة أبواب، **وإن أشدّها حرًّا الباب الذي أُعِدّ للخوارج**؛ فإن قدرتَ ألاّ تكونَ منهم فافعل»[2].

(١) علي الحلبي، «داعش العراق والشام في ميزان السنة والإسلام» (ص٤٢-٤٣).

(٢) المبرِّد، «الكامل في اللغة والأدب» (ص٥٦٨ و٥٩٨).

المراجع:

١ - ابن كثير، «البداية والنهاية»، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم-بيروت، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

٢ - عبد القاهر البغدادي، «الفرق بين الفرق»، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت.

٣ - أبو العباس المبرِّد، «الكامل في اللغة والأدب»، تحقيق علي زينو وعماد الطيار،طبعة مؤسسة الرسالة-بيروت، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٤ - د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم»، دار الطليعة للطباعة والنشر-بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٥ - د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ خلال ٣٧-١٣٢هـ»، دار الطليعة للطباعة والنشر-بيروت، الطبعة الثانية، (أيار/ مايو ٢٠٠٧م).

٦ - د. عطا الله المعايطة، «جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة والردّ على الفرق حتى نهاية العصر الأموي»، الدار الأثرية للطباعة والنشر والتوزيع-عمّان، الطبعة الأولى، (١٤٣٧هـ-٢٠١٦م).

٧- علي بن حسن الحلبي، «داعش العراق والشام في ميزان السنة والإسلام»، الطبعة الأولى، (١٤٣٦هـ).

٨ - د. أحمد محمد أحمد جلي، «دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة»، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الثالثة، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

لماذا يحاربون «صحيح البخاري»؟ (٢)
هل تأخر تدوين السُّنة حقًّا؟

فادي قراقرة - كاتب فلسطيني

خاص بـ «الراصد».

من أبرز القضايا والشبهات التي يُكثر خصوم السنة من ترديدها -على كافة أطيافهم وفرقهم- هي: شبهة تأخر تدوين السنة إلى حدود القرن الثاني الهجري وما بعده، والتي بدورها حاولت العبث بصحة أحاديث «صحيح البخاري»؛ فضلًا عن غيره من الكتب الحديثية ومصادر السنة المختلفة.

والحقيقةُ أن هذه الشبهة حديثة المولد، لم تظهر ولم تبرز إلا على أيدي المستشرقين من اليهود والنصارى؛ الذين قال الله فيهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[المائدة:٨٢]، ومن كان ذَنَبًا لهم، حتى إن الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) لم يشر لهذه الشبهة في كتابه الرائع «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة»؛ برغم من أنه قصد في رده على شبهات من لا يرى الاحتجاج بالسنة، مما يشير إلى عدم ورود هذه الشبهة في قاموس الطاعنين في السنة آنذاك.

وظهور هذه الشبهة وانتشارها في العصر الحاضر مرتبط ارتباطًا وثيقًا بجهل الناس بدينهم في العصور المتأخرة؛ خاصة بين المتعلمين تعليمًا أكاديميًّا، فهم في الحقيقة أُميّون دينيًّا بفضل المناهج التعليمية العلمانية، مما سَيُكَوِّن أرضية خصبة لرواج أمثال هذه السذاجات الفكرية التي تلقى عبر شاشات الفضائيات والهواتف الذكية أو في الصحف والمجلات، ويجعل تقبل رد السنة وإنكارها عند كثير منهم أمرًا مقبولًا ومنطقيًّا! لانعدام قدرتهم العلمية على تفحص مصداقية الدعاوى المناوئة للسنة وشبهات الطاعنين فيها!

◙ بدايات الشبهة:

تعود بدايات هذه الشبهة إلى اليهودي المستشرق جولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م)، ضمن كتابه «دراسات إسلامية»؛ فكتب مؤصلًا لها: «إن الحديث النبوي وُجد نتيجة للتطور الديني والتاريخي والاجتماعي الإسلامي خلال القرنين الأولين للهجرة»[(١)].

ويُثبت الحداثي المعاصر جورج طرابيشي تأثير شبهة اليهودي جولدتسيهر هذه على الباحثين المسلمين من بعده؛ فيقول: «القراءة الترادفية للدلالات هي التي أوقعت جولدتسيهر -وهو المستشرق الذي يأخذ عنه الجابري بوساطة أحمد أمين نظريته دون أن يسميه- في وهم التصور بأن بداية التدوين في الإسلام ترجع إلى منتصف القرن الثاني الهجري!»[(٢)]، مما يدل على عمق تأثر الطاعنين بالسنة من المنتسبين للإسلام بالفكر اليهودي؛ شاؤوا أو أبَوْا!!

وكلام طرابيشي -المسيحي الأصل، الماركسي الفكر- يدل من جهة أخرى على خلل منهج المستشرقين في فهم الإسلام بدلًا من مناهج العلوم الإسلامية الشرعية.

---

(١) «Goldziher, Muslim Studies» (vol,٢, p ١٩).

(٢) إشكالية العقل العربي، جورج طرابيشي، (ص٤٨).

كما أن هذه الفرية اليهودية تبناها -أيضًا- أفراخه من المستشرقين؛ فهذا تلميذه المستشرق الألماني جوزيف شاخت يكرر مزاعم أستاذه جولدتسيهر: «إن الأحاديث المنسوبة للنبي وأصحابه التي يدعى بأنها ترجع إلى عصر النبي وأصحابه في الحقيقة لا تحتوي على معلومات موثوقة بها -صحيحة- عن تلك الفترة الإسلامية الأولى.

بيد أن تلك الأحاديث تعكس لنا الآراء التي كانت خلال القرنين الأولين من الهجرة والنصف الأول من القرن الثالث الهجري»[١].

وبعد هذين المستشرقين لم يأت مستشرق بأي زيادة تستحق النظر! حتى أن المستشرق الإنجليزي ألفريد غيوم في كتابه المسمى: «أحاديث الإسلام» لم يأت بأي شيء جديد في موضوع الطعن في السنة عمومًا، وفي موضوع هذه الشبهة خصوصًا، وكانت مادته في كتابه معتمدة اعتمادًا كليًّا على ما كتبه جولدتسيهر[٢].

أما فيما يتعلق بالدافع لاختراع هذه الشبهة؛ فلعله شعور جولدتسيهر اليهودي بعقدة النقص التي تملكته بسبب تأخر تدوين التوراة بعد ضياعها في عصر نبوخذ نصر والسبي البابلي؛ حيث تمت كتابتها مرة أخرى بعد ما يقارب المائتي سنة، فضلًا عن التلمود الذي هو رواية الأحبار والأصفياء؛ والتي تعد رواية شفهية كذلك.

لكن ما هو الدافع والسبب الذي جعل البعض من بني جلدتنا يقلدون جولدتسيهر، ويرددون هذه الشبهة بغير أي فهم لها، ولا إدراك لأبعاد هذه المقولة الباطلة؟!

(١) J, Schacht, «Re-evaluation of Islamic tradition» (p١٤٥)

(٢) ينظر: مقدمة كتاب «دراسات في الحديث النبوي»، لمحمد مصطفى الأعظمي.

وبطبيعة الحال؛ فإن الجواب ستجده في قول النبي ﷺ: «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع؛ حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه!»[٣].

وفي حاضرنا التقط علمانيو قومنا وسفهاء مفكرينا من الحداثيين وغيرهم كلمة اليهودي جولدتسيهر، وقاموا بنشرها وترويجها، فهذا العلماني إبراهيم فوزي يقول: «السنة لم تدوّن في عصر الصحابة مثلما دُوِّن القرآن، وبقيت طيلة القرن الأول لم يدون شيء منها، فتعرضت للتحريف والتزوير والكذب على النبي ﷺ، وهذا أفقدها صفة التشريع الموحد لجميع المسلمين»[٤].

ومثله محمد شحرور في لقاء له متلفز؛ حيث قال: «الحديث ظهر بعد مائتي سنة... في أواخر القرن الثاني الهجري»[٥].

ومثلهم عدنان الرفاعي؛ الذي كتب كتابًا ينتصر فيه للطعن في السنة والتشكيك فيها، سماه: «الحق الذي لا يريدون»، ذكر فيه شبهة تأخر كتابة السنة قرونًا!![٦].

وأشار لها كذلك زكريا أوزون في كتابه سيء الذكر «جناية البخاري»[٧].

والواقع يشهد أنك لن تجد طاعنًا في السنة إلا وله نصيب من تكرار اجترار شبهة جولدتسيهر، وأن كتاباتهم لن تخرج في أطروحاتها عما كتبه هذا اليهودي.

(٣) «صحيح البخاري»، حديث رقم (٣٤٥٦).

(٤) «تدوين السنة» لإبراهيم فوزي، الريس للنشر، (ص٢١).

(٥) https://www.youtube.com/watch?v=YkO-XQEsRoQ بعنوان: (مشكلتي مع السنة النبوية)، محمد شحرور.

(٦) «الحق الذي لا يريدون»، عدنان الرفاعي، (ص٩٣).

(٧) «جناية البخاري، إنقاذ الدين من إمام المحدثين»، زكريا أوزون، (ص١٥).

■ **جواب الشبهة:**

المرتكز الأساس لنقد هذه الشبهة يبتدئ من تشريح ركائز هذه الخرافة! عبر إدراك واقع المجتمع الإسلامي الأول وبقية المجتمعات المعاصرة له في طريقة حفظ العلوم والمعارف.

إن استحضار الواقع الحقيقي لذلك الزمن في طريقة وأسلوب تلقي القرآن الكريم والسنة النبوية كفيل ببيان تهافت هذه الخرافة بجلاء؛ التي لم ولن تكون يومًا ما فكرة تؤثر على عقلاء البشر ممن يعملون عقولهم وعندهم معرفة بطبيعة تلك المجتمعات.

فبداية: هل كان تدوين العلوم والمعارف في تلك الحقبة هو الأساس، وهكذا تخلف تدوين السنة عن بقية العلوم والمعارف؟ وهل هذا يؤثر على مصداقية النصوص النبوية عمومًا؟

فبالعودة إلى النمط التاريخي لتلك الحقبة؛ ستجد أن الثقافة الشفوية كانت هي السائدة بين شعوب عديدة، تناقلت عقائدها وقصصها وحوادث أيامها بشكل شفوي، وبخصوص العرب فقد كان الشعر عمود ثقافتهم، وكان يحفظ بشكل شفهي وليس كتابيًّا إلا في حالات نادرة، ومع ذلك لم يجرِ من دعوى النقض لصحة مروياتهم كما يجري من الحط والطعن على صحة السنة النبوية الآن!!

وفي الثقافات الأخرى؛ كانت الثقافة اليونانية قد مرت بطور مماثل من النقل الشفهي، بل لقد حط سقراط من الكتابة والتدوين ورفع من شأن الحفظ والمشافهة؛ فقد عَبَّرَ «سقراط عن ازدرائه لكتب أناكساغوراس التي تباع عند وراقي الساحة العامة في أثينا بفلسين، وعلى لسان سقراط -أيضًا- يضع أفلاطون في محاورة فادروس هجاءً مرًّا للكتابة، فالكتابة عنده بدلًا من أن تنمي ذاكرة العلم فإنها تستحدث النسيان في النفوس عن طريق إهمال المذاكرة والمحفوظ، فطالبو العلم عنده إذ يضعون ثقتهم في الكتابة، بواسطة رسوم أجنبية، لا من داخل صدورهم في أعماق نفوسهم، فإنهم لن يحوزوا سوى دعوى العلم، لا العلم»[1].

وإذا استعرضنا الحالة العامة لكافة الشعوب؛ فإننا سنجد أن جزءًا كبيرًا من تراثهم الفكري كان منقولًا شفهيًّا، ومع هذا فإنه لم يتعرض للنقد كما تعرضت له السنة النبوية؟! مما يدلنا على أن القضية تحيزية ضد السنة، وليست علمية موضوعية!

ثم هل النقل الشفهي والحفظ أقل جودةً وحفظًا للمادة المحفوظة من الكتابة؟

هذا المعنى أجاب عنه تمامًا المستشرق الإنجليزي صمويل مارغيلوت (١٨٥٨-١٩٤٠م)؛ والذي قال بعد طول بحث: «ليس غريبًا على الباحث في التاريخ الإسلامي أن يجد طريقة التحديث الشفهي تفضل على الوثيقة المكتوبة»[2].

وبالتالي؛ فإن الواقع العلمي يمنع تصور أن النقل الشفهي أقل جودة من الحفظ، فإذا كان الحفظ المجرد هو مادة معرضة للنسيان والضياع، فإن الكتابة المجردة مادة معرضة للتحريف وخطأ القراءة.

وهذا لا يحتاج إلى كثرة تفكير للوصول إلى فهمه! فكم من الناس من يكتب بخطه كلامًا ثم يعود إليه عند حاجته فلا يتمكن من قراءة ما سبق له تدوينه! فكيف لو كان الخط المدون ليس بخط صاحبه! كما يجري هذا في الواقع العملي عند محققي كتب التراث؛ حيث يواجهون من العنت والمشقة في قراءة المدون سابقًا في المخطوطات؛ بحيث يقع لهم من الوهم أو القراءة الخاطئة، لأسباب كثيرة منها: سوء الخط أو التصحيف أو تلف المخطوط!

---

(١) «إشكالية العقل العربي»، جورج طرابيشي، (ص٣٠).

(٢) «دراسات في الحديث النبوي»، محمد مصطفى الأعظمي، (ص٥٨٧).

وعليه؛ فإن اجتماع الحفظ مع كتابة المحفوظ دليل قوة ومتانة، كما أن اجتماع الحفظ مع تواطؤ النقل وكثرة الرواية لهذا المحفوظ دليل ضبط يفوق الكتابة ذاتها.

ولك أن تتخيل عشرة رجال يروون حديثًا من حفظهم، كل فرد منهم لا يعرف صاحبه ولا قرينه، ويتّفقون على معنى واحد، فهذا من معاني التواطؤ (تواطؤ المجتمع)، وهو دليل على صحة هذا المحفوظ؛ فضلًا عن كون هذا المجتمع الأول كبقية المجتمعات المعاصرة أو الموافقة له، مجتمعًا غير متكلف في حفظه، بل هذا من سجية هذا المجتمع في حفظ السنة أو حفظ الأشعار أو حفظ الأحداث والوقائع، ولا تزال لليوم أجزاء من هذا المجتمع تشتهر بقوة وسعة الحفظ؛ كالشناقطة في موريتانيا.

وبعد أن عرفنا أن الحفظ هو الأساس في نقل معارف وعلوم ذلك العصر، يبرز معنا سؤال مهم: هل برغم ذلك تأخر تدوين وكتابة السنة النبوية بالفعل كما يزعم اليهودي؟

لنبدأ في الجواب على هذا السؤال من أقوال أعداء وخصوم السنة النبوية؛ فقد تتعجبون أن اليهودي المجري جولدتسيهر نفسه عقد فصلًا في كتابه «دراسات إسلامية» أتى فيه بأدلة كثيرة على تدوين الحديث في أول القرن الهجري الثاني! وكان في الفصل الأول من الكتاب نفسه قد سرد طائفة من الأخبار تشير إلى بعض الصحف التي دُوّنت في عهد الرسول ﷺ، ولكنه شكك فيها!

وقد رمى بهذا إلى غرضين:

أحدهما: إضعاف الثقة باستظهار السُنَّة وحفظها شفهيًّا في الصدور، وأن الناس تعول على الكتابة في القرن الهجري الثاني.

والآخر: وصم السُنَّة كلها بالاختلاق والوضع على ألسنة المدونين لها، وأنهم لم يجمعوا منها إلَّا ما يوافق أهواءهم ويعبّر عن آرائهم ووجهات نظرهم في الحياة[1].

وقد أقرّ عدد من المستشرقين قبل جولدتسيهر أن تدوين السنة وقع في وقت مبكر؛ بما ينسف مزاعم المستشرق اليهودي، ويؤكد أن العداء للإسلام هو ما يحركه، وليست الحقيقة العلمية.

فهذا المستشرق النمساوي شبرنجر (١٨١٣-١٨٩٣م) أورد في كتابه «الحديث عند العرب» أدلة كثيرة على وجود التدوين للسنة في عصر النبي ﷺ؛ فضلًا عن الأزمنة التي جاءت بعد ذلك.

وأما من المعاصرين الحداثيين؛ فيعترف جورج طرابيشي -رغم اضطرابه وطعنه في السنة بشكل عام- في كتابه «إشكالية العقل العربي» أن تدوين السنة تم منذ عصر النبي ﷺ وما بعده، فهو يقول: «وقد سُجلت الأحاديث في عصر الصحابة وأوائل التابعين في كراريس صغيرة، أطلق على الواحد منها اسم: الصحيفة أو الجزء»[2].

وهكذا؛ فإن الفرية التي دوّنها المستشرقون وأذنابهم من بني جلدتنا؛ والتي تقرر تأخر تدوين السنة إنما هي «فرية كاذبة بالمطلق»، يكذبها ويهدمها بعض المستشرقين والحداثيين أنفسهم! مما يفقد الناظر إلى كلامهم من عقلاء بني جلدتهم الثقة فيما يذكرونه.

ومن بعد هدم مصداقية الاتهام بتأخر تدوين السنة يلزم أن نستعرض سريعًا بعض النماذج لتدوين السنة منذ العصر النبوي المبارك؛ ففي عهد النبي ﷺ ومن بعده تم تدوين جزء مهم من السنة، فلم نصل نهاية المائة الأولى إلا وقد كانت هناك صحف حديثية كثيرة تدوّن أحاديث النبي ﷺ، وبقيت هذه الصحف

---

(١) «علوم الحديث ومصطلحه»، صبحي الصالح، (ص٣٥).

(٢) «إشكالية العقل العربي»، جورج طرابيشي، صفحة (٤٨).

تتناقل بين أفراد الأمة، واعتمد كثير من المحدثين عليها لاحقًا، محتجين بها وناقلين لها.

ومن أمثلة تدوين السنة النبوية في العصر النبوي: رسائله ﷺ إلى الملوك والقياصرة، ومنها: أحاديثه ﷺ والتي فيها الأمر بالتدوين؛ كحديث: «اكتبوا لأبي شاة»[1]، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا[2].

أما في عهد الصحابة رضي الله عنهم فقد كان لبعض الصحابة صحف فيها أحاديث نبوية؛ كما كان لهم صحف فيها بعض القرآن أو كله؛ كصحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، والتي اشتهرت باسم: الصحيفة الصادقة[3]، وصحيفة أنس بن مالك الأنصاري، وصحيفة سعد بن عبادة رضي الله عنه، وغيرها من الصحف[4].

وفي طبقة كبار التابعين؛ نجد صحيفة وهب بن منبه عن أبي هريرة، وغيرها.

وفي طبقة تابعي التابعين؛ هناك نسخة وكيع عن الأعمش.

وغيرها الكثير الكثير[5].

واستقصاء هذه الصحف يطول جدًّا، لا يتسع له مقال ولا كتاب، ويكفي اللبيب المثال.

(١) «صحيح البخاري»، حديث رقم (٢٤٣٤)، و«صحيح مسلم»، حديث رقم (٣٢٩٢).

(٢) انظر على سبيل التمثيل لا الحصر: «سنن أبي داود»، (كتاب العلم، باب في كتاب العلم)، حديث رقم (٣٦٤٦).

(٣) «تقييد العلم»، للخطيب البغدادي، (ص٤٨).

(٤) انظر: «الاتجاه العلماني المعاصر في دراسة السنة النبوية»، غازي الشمري، (ص١٤٠)، و«إشكالية العقل العربي»، جورج طرابيشي، (ص٣٧).

(٥) للاستزادة عن عدد الصحف الحديثية التي كُتبت منذ عهد النبي ﷺ إلى المائة الثانية، ينظر: «دراسات في الحديث النبوي»، محمد مصطفى الأعظمي، (ص٨٤ وما بعده).

ومما لا بد الإشارة إليه في خطاب جولدتسيهر ومن وافقه هو: عدم التفريق بين التدوين والتصنيف؛ حيث لم يفرقوا بين مجرد تدوين السنة في صحف -وهو قديم منذ زمن النبي ﷺ- وبين تصنيف كتب تجمع السنة بشكل منظم؛ إما على الأبواب الفقهية أو الرواة، وهو الذي تأخر وقوعه، مما أدى بهم إلى خلل في الرؤية؛ سواء كانت مقصودة عند أمثال جولدتسيهر، أو غير مقصودة عند أحد من أتباعه وأذنابه!

■ الخلاصة:

إن الإدعاء بأن السنة النبوية تأخر تدوينها كحال «صحيح البخاري» مما قد يشكك في موثوقيتها إدعاء باطل! لأن ثقافة العصر الإسلامي الأول كانت ثقافة شفوية، ولا يمكن التهوين من موثوقيتها بسبب نقص التدوين والكتابة، لأن النقل الشفوي للسنة مما تواطأ عليه الرواة بشكل عام، وهو ما يسمى في عُرْفِ المحدثين: (بطرق الحديث)؛ حيث يرويه كثرة من الرواة في كل طبقة من طبقات الرواة، مع كثرة النقلة عن رسول الله ﷺ، والذي كان حالة من حالات المجتمع الأصلية؛ بحيث كان نصًّا ظاهرًا في واقعهم بالعقل، ومتعلقًا في تصرفاتهم؛ كالأعراف والعادات.

وهذا إن دلّ فإنما يدل على تمكن معانيه، مما جعل بعض الحداثيين يقر بقوة النقل الشفهي؛ كما جرى لحسن حنفي[6].

ورغم كل ذلك؛ فقد حدث التدوين للسنة مبكرًا من العهد النبوي، وتزايد مع الأيام، وتنوع وتعددت طرق تدوينه وتصنيفه وتقسيمه؛ حتى أصبح عِلمًا فريدًا بديعًا امتاز به المسلمون عن غيرهم من الحضارات السابقة واللاحقة.

لكن برغم كل ذلك؛ فإن العداء للدين والإسلام بلغ عند

(٦) «علوم الحديث من نقد السند إلى نقد المتن»، حسن حنفي، (ص٢٧٧).

اليهود والنصارى ومستشرقيهم وعلمانيهم وحداثييهم مبلغ الإسفاف في الطعن في السنة، طمعًا منهم بإسقاط القرآن الكريم، لأن القرآن بطبيعة الحال جُمع بعد عهد النبي ﷺ؛ وبالتالي فإن ذات الشبهة متكررة في حق القرآن عند المستشرقين، ولكن قومي لا يعلمون...

أثر الفكر النسوي في انحلال المجتمعات.. مصر نموذجًا

فاطمة عبد الرؤوف- كاتبة مصرية

خاص بـ «الراصد».

تُعد خلخلة المجتمعات وتفكيك منظومة القيم الخلقية إحدى أهم ركائز المشروع النسوي الذي يَستخدم حرب المصطلحات لمنح الشرعية لمنظومة القيم الفوضوية التي يطرحها، تلك القيم الفوضوية التي تحاول هدم الضمير الإنساني الفطري، ومحاربة الضمير الديني، وإشاعة الفاحشة ونشر الانحلال الخلقي؛ من خلال حزمة من المؤتمرات والوثائق التي تجد طريقها للواقع عن طريق وسائل الإعلام والدراما، وبرامج التوك شو، وتغيير القوانين الوطنية أو حتى بعض مواد الدستور للوصول لهذه الأهداف.

لا يمكننا بحال إنكار أن ثمة نقاطًا ومحاور مهمة أثارها الفكر النسوي، ولكنها كلها -تقريبًا- وبلا استثناء ضاعت في المحصلة النهائية لثمرة تلك القيم الفوضوية ورفع راية الانحلال الخلقي، فتعليم الإناث والاهتمام بالرعاية الصحية لهن وصولًا لمنحهن فرص عمل مأجورة على قدم المساواة مع الذكور؛ كل ذلك مصطبغ بخلق نموذج أنثوي جديد ومختلف، وبمصطلحهم الشهير غير نمطي لا يحمل من بقايا الفطرة الإنسانية الحد الأدنى! بل أن حربًا شهيرة تهاجم هذه الفطرة التي ترى منظرات الفكر النسوي أنها مجرد وهْم كبير، وأن التربية والقيم المجتمعية من عادات وتقاليد هي الصانعة الحقيقية لما يطلق عليه: الفطرة، وبتعبير سيمون دو بوفوار: «المرأة لا تولد امرأة، وإنما تصبح كذلك»!

فإذا كان الفكر النسوي يحارب الحقيقة البيولوجية

الواضحة ويرفضها؛ فلا غرابة من محاربته الصارخة لمفاهيم مثل: الفضيلة، الشرف، العفاف، الإيثار.

استَخدمت الكثير من النسويات العربيات سياسة وفلسفة التقية عندما بدأن في نشر فكرهن المنحرف، ونظرة على قنوات التلفزيون العربية الرسمية سنجد أن الحديث كان منصبًّا على تعليم الفتيات وتخليصهن من الأمية، وعن معاناة المرأة المعيلة، أو حتى عن ضرورة تنظيم الأسرة عن طريق المباعدة بين الولادات؛ حتى تستطيع المرأة الحفاظ على صحتها.

ولو رصدنا مثل هذه البدايات سنجد أن الكثير منها كان يهتم بوضع لافتة دينية إسلامية لها: فطلب العلم فريضة، والرعاية الصحية واجبة سيسأل الله عنها الإنسان.. وهكذا.

وسنجد في البدايات أن النسويات العربيات يتّهمن من يحارب المؤتمرات الأممية النسوية بالجهل، وأن ثمة مغرضين يعملون على خلق حالة من التشويه والتنفير لمثل هذه الوثائق والمؤتمرات، وأن الحديث عن إباحة الزنا والشذوذ وحرية الإجهاض ما هو إلا ضرب من خيال هؤلاء المضللين!

وذلك للتغطية على حقيقة هذه المؤتمرات؛ فمثلًا: «في عام (١٩٩٤) عُقد مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة، وقد أثار «إعلان القاهرة» جدلًا واسعًا على المستوى الإسلامي، وعلى المستوى الدولي؛ لما يحويه من مصطلحات وتوصيات تخالف الأديان السماوية والقيم الإنسانية والأخلاقية، مثل: كلمة «الصحة الإنجابية»، و«الاختيارات الإنجابية»، ومعناه: حرية الإجهاض كخيار إنجابي تتمتع به المرأة دون عوائق، ومصطلح «الحقوق الجنسية»، وكلمة «المتحدين والمتعايشين» ومعناها: حرية الشخص في الممارسة الجنسية مع شخص من نفس الجنس، «اللواط أو السحاق».

بمعنى: أن الوثيقة أرادت إقرار حقوق «اللوطيين والسحاقيات»، واعتبارهم أشخاصًا طبيعيين يمارسون حريتهم الجنسية»![1]

وانكشاف الحقيقة أجبر مثل عمرو موسى -وزير الخارجية المصرية وقتئذٍ- أن يعلق على هذا المؤتمر بقوله: «اتضح لنا أن المسألة ليست صياغة فقرات عن الجنس والزواج، بل كان هناك نوع من الفكر تؤمن به مجموعة من الدول! مقابل فكر آخر لدول أخرى، يعني: كان هناك حوار وصدام وتنافس فكر ديني وحضاري، وكل مجموعة تحاول أن تسيطر وتفرض رأيها خاصة في مثل هذا المؤتمر»[2].

وفي العام التالي (١٩٩٥) تم عقد أخطر المؤتمرات الأممية النسوية على الإطلاق وهو: «مؤتمر بكّين»؛ حيث سقطت جميع أوراق التوت، وتجلى بشكل لا يقبل التشكيك حقيقة إستراتيجية الفكر النسوي لنشر الفاحشة والانحلال، وفرض ذلك على كافة المجتمعات لخلق مجتمع بشري جديد لا يعرف معنى الفضيلة أو العفاف؛ حيث «يجب أن تزيل البلدان العوائق القانونية والتنظيمية والاجتماعية التي تعترض سبيل توفير المعلومات، والرعاية الصحية والجنسية والتناسلية للمراهقين، كما يجب أن تضمن أن لا تحد مواقف مقدمي الرعاية الصحية من حصول المراهقين على الخدمات والمعلومات التي يحتاجونها، وفي إنجاز ذلك لا بد للخدمات المقدمة إلى المراهقين أن تضمن حقوقهم في الخصوصية والسرية، والموافقة الواعية والاحترام»[3].

إذ يبدأ نشر الانحلال بين المراهقين في سن البلوغ؛ حيث تكون الهرمونات الجنسية في أشد حالاتها، وتكون القدرة على الضبط والتحكم أقل من الناضجين، وهنا يتم التشديد على الدول

---

(١) «شيطنة المرأة وسيلة لضرب الأسرة وهدم المجتمعات»، محمد عبد الحميد.

(٢) جريدة «الخليج» (١٩٩٤/٩/٢٤).

(٣) «إعلان ومنهاج بيجين»، مكتبة حقوق الإنسان، جامعة منيسوتا.

حتى تمنح المعلومات وتقدم التسهيلات ويتم الانتباه لأدق التفاصيل؛ كأن يقوم مقدم الخدمة الصحية بأي موقف يشعر المراهق بالذنب.

ولأنهم يخططون بطرق شيطانية فهم يعلمون أن المراهقين ورغم اندفاعهم إلا أنهم قد يتملكهم الخجل من الإقدام على الفواحش، وهي لا يمكن إلا أن تكون فواحش بعد الرفع القسري لسن الزواج، لذلك تؤكد الفقرة على ضرورة السرية واحترام الخصوصية!

وتطالب بـ «تصميم برامج محددة موجهة للمراهقين والرجال من جميع الأعمار؛ تهدف إلى توفير معلومات كاملة ودقيقة عن السلوك الجنسي والإنجابي المأمون والمسؤول، بما في ذلك: الاستخدام الطوعي لوسائل الوقاية الذكرية المناسبة والفعالة؛ بغية الوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز»[1].

وتطالب بـ «إزالة الحواجز القانونية والتنظيمية والاجتماعية التي تعترض التعليم في مجال الصحة الجنسية والإنجابية في إطار برامج التعليم الرسمي»[2].

فالمراهقون الذكور تتاح لهم الوسائل التي تجعلهم يقدِمون على الفاحشة وهم في مأمن انتقال الأمراض الجنسية.

أما المراهقات والنساء -وفي سياق تشجيعهن على الحرية الجنسية-؛ فقد تم الربط وبمهارة بين الظروف القاسية التي قد تعاني منها بعضهن وبين الحرية الجنسية؛ «فشيوع الفقر والتبعية الاقتصادية بين النساء، وما يصادفنه من عنف، والمواقف السلبية من النساء والبنات والتمييز العنصري وغيره من أشكال التمييز، ومحدودية ما يتمتع به كثير من النساء من سلطان على حياتهن الجنسية والإنجابية، والافتقار إلى التأثير في عملية صنع القرار؛ هي من الحقائق الاجتماعية التي تترك أثرًا معاكسًا على صحة المرأة.

فافتقار النساء والبنات إلى الغذاء، وكونه يُوزع بصورة غير عادلة في الأسرة المعيشية، وعدم كفاية إمكانية وصولهن إلى المياه المأمونة ومرافق الصرف الصحي وإمدادات الوقود؛ ولا سيما في المناطق الريفية والحضرية الفقيرة، وقصور أوضاع الإسكان؛ تلقي جميعها بأعباء زائدة على كاهل النساء وأسرهن، وتترك تأثيرًا سلبيًّا على صحتهن.

وسلامة الصحة أمر لازم لتمتع المرأة بحياة منتجة ومرضية، كما أن حق جميع النساء في السيطرة على جميع جوانب صحتهن؛ وعلى الأخص خصوبتهن، هو أمر أساسي في تمكينهن»[3].

وهذا النص صريح بالغ الصراحة بسيطرة النساء على حياتهن الجنسية؛ هو أمر أساسي للتمكين الاقتصادي والمعيشي.

ورغم غرابة الربط بين عدم وجود مرافق صرف صحي وإمدادات الوقود وقلة الغذاء وبين الحل المطروح ألا وهو: السيطرة على الحياة الجنسية والإنجابية! **إلا أنه يؤكد ما ذهبنا إليه من أن نشر الفاحشة والانحلال هو هدف محوري في المشروع النسوي**، وأن جميع الأهداف التي تبدو مضيئة وفي صالح النساء يتم التعامل معها كأهداف وظيفية لخدمة الهدف المركزي المحوري وهو: نشر الانحلال وتغيير النمط الخلقي للمجتمعات.

وكما كان للذكور المراهقين أولوية في توجيه الخطاب الانحلالي التحريضي؛ فإن المراهقات الإناث لهن -أيضًا-

(١) «إعلان ومنهاج بيجين»، مكتبة حقوق الإنسان، جامعة منيسوتا.

(٢) المصدر السابق.

(٣) «إعلان ومنهاج بيجين»، مكتبة حقوق الإنسان، جامعة منيسوتا.

الأولوية لسهولة التأثير عليهن خلافًا للناضجات، «والتمييز ضد البنات -الذي كثيرًا ما ينشأ عن تفضيل الأبناء الذكور- في الحصول على التغذية وخدمات الرعاية الصحية يُعرض للخطر صحتهن وسلامتهن في الحاضر وفي المستقبل.

كما أن الأوضاع التي تجبر الفتيات على الزواج والحمل والولادة في وقت مبكر، وتعرضهن للممارسات الضارة مثل: عمليات ختان الإناث تشكل مخاطر صحية جسيمة.

وتحتاج المراهقات مع بلوغهن إلى الحصول على الخدمات الصحية والتغذوية اللازمة، وإن كن لا يحصلن عليها في الغالب الأعم.

وحصول المراهقات على المشورة والمعلومات والخدمات فيما يتعلق بالصحة الجنسية والإنجابية لا يزال قاصرًا أو معدومًا تمامًا، وكثيرًا ما لا يؤخذ في الاعتبار حق الشابات في الخصوصية والسرية والاحترام والموافقة المستنيرة»[1].

تكرار المظالم التي تقع على الفتيات والتي تدفعهن للرثاء على أنفسهن! هي مقدمة عاطفية لتمرير الهدف الأساسي وهو: الصحة الجنسية والإنجابية للمراهقات؛ سواء عن طريق وسائل منع الحمل، أو عن طريق الإجهاض الآمن، وإمدادهن بالمعلومات اللازمة والمشورة والخدمات التي تحقق ذلك.

«والمراهقات أكثر تعرضًا -بيولوجيًّا واجتماعيًّا ونفسيًّا- من الأولاد المراهقين للإيذاء الجنسي والعنف والبغاء ولعواقب العلاقات الجنسية غير المحمية والسابقة لأوانها.

والاتجاه إلى التجارب الجنسية المبكرة مع انعدام المعلومات والخدمات يزيد من خطر الحمل غير المرغوب فيه والمبكر للغاية، ومن خطر الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية، وغيره من الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي، وكذلك خطر عمليات الإجهاض غير المأمون.

ولا يزال الحمل المبكر يعوق إحداث تحسينات في الوضع التعليمي والاقتصادي والاجتماعي للمرأة في جميع أنحاء العالم، وبصورة عامة فإن الزواج المبكر والأمومة المبكرة للشابات يمكن أن يحدا بدرجة كبيرة من فرص التعليم والعمل»[2].

بينما يحد الزواج المبكر من فرص التعليم والعمل؛ فإن البديل ليس العفة التي لا يرد لها ذكر ولا مرة واحدة في منهاج عمل بكين! وإنما فقط ينبغي حماية المراهقة من الإيذاء الجنسي، ومن العلاقات الجنسية غير المحمية، ومن خطورة الإجهاض غير المأمون!

«وتشمل حقوق الإنسان للمرأة: حقها في أن تتحكم، وأن تبت بحرية ومسؤولية في المسائل المتصلة بحياتها الجنسية، بما في ذلك: صحتها الجنسية والإنجابية، وذلك دون إكراه أو تمييز أو عنف.

وعلاقات المساواة بين الرجال والنساء في مسألتي العلاقات الجنسية والإنجاب، بما في ذلك: الاحترام الكامل للسلامة المادية للفرد، تتطلب الاحترام المتبادل والقبول وتقاسم المسؤولية عن نتائج السلوك الجنسي»[3].

وفي المجتمع النسوي البديل تواجه النساء ثمار العلاقات غير الشرعية وحدها، في واحدة من أسوأ ما تعانيه المرأة الغربية؛ رغم كل الدعم المقدم لها! لذلك يسعى المشروع النسوي للبحث عن وسائل جديدة لإقناع الرجال بتقاسم المسئولية الناتجة عن السلوك الجنسي غير الشرعي، وهو الأمر الذي لا يلاقي نجاحًا حتى الآن.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «إعلان ومنهاج بيجين»، مكتبة حقوق الإنسان، جامعة منيسوتا.

(٣) المصدر السابق.

ومن ثم توسعت النساء في منع الحمل حتى لا تتحمل وحدها مسئولية هذا السلوك الغريزي غير المنضبط، وهو ما يتماشى مع فلسفة الفردية التي هي روح الفكر النسوي، بينما تعاني الجماعة في الغرب من شيخوخة المجتمع بعد تناقص عدد المواليد لدرجة الخطر.

وعلى الرغم من ذلك؛ هناك إصرار بالغ على الضغط على دولنا لإباحة الإجهاض، و«النظر في استعراض القوانين التي تنصّ على اتخاذ إجراءات عقابية ضد المرأة التي تجري إجهاضًا غير قانوني»[1]، وتمت الدعوة بإلحاح للبحث عن بديل للإجهاض عن طريق «تشجيع الرجل على تحمل نصيبه بالتساوي في رعاية الأطفال والعمل داخل البيت، وتقديم حصته من الدعم المالي لأسرته؛ حتى وإن كان لا يعيش معها»[2].

إنها محاولات لترقيع تناقضات الفكر النسوي! فبينما تطالب وثيقة إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة (السيداو) و«منهاج بكين» بضرورة التساوي في نوعية التعليم وطبيعة العمل، ومن ثم أصبحت مشكلة رعاية الأطفال مشكلة ملحّة بحاجة إلى حل؛ فكان الحل في نظرهم: أن يتحمل الرجل نصيبه بالتساوي في رعاية الأطفال والعمل داخل البيت، ولكنهم لم يبتكروا حلًّا حتى الآن لرعاية الأجنة، وما تعانيه النساء أثناء الحمل، وأيضًا لرعاية الرضع واللاتي أجبرهن العلم الحديث للدعوة للعودة للرضاعة الطبيعية مرة أخرى!

الثمار المرة لدعاوى الانحلال التي يحملها الفكر النسوي تبدو الآن ظاهرة للعيان؛ فالفكر النسوي الذي صيغت أفكاره في منهاج عمل تتم متابعته بانتظام، وينفق عليه بسخاء، ويقنن في قوانين في ظل واقع سياسي واجتماعي متأزم؛ لا بد أن تظهر ثماره.

ولو رصدنا المجتمع المصري كنموذج يقع في القلب من العالم الإسلامي مع ثقل سكاني وعلمي وتاريخي؛ سنجد أن مظاهر الانحلال التي ظهرت على السطح في الآونة الأخيرة أكبر من أي محاولة لتجميل الواقع!

مشروع ليلى:

كان وقع ما حدث في القاهرة منذ أيام قليلة أكثر من صادم!! ففي حفلة أقيمت في التجمع الخامس لفرقة لبنانية اسمها: (مشروع ليلى) تجمع فيها أكثر من (٣٥ ألف) شخص، وكان الزحام شديدًا للغاية، وقال شهود عيان أنه قد تواجد في الحفل مخدرات (بانجو وحشيش)، وكانت العديد من الفتيات يرتدين ملابس عارية فاضحة تشبه تلك الملابس التي ترتدي على شواطئ البحر، ويعلم جميع من حضر الحفل أن قائد فريق (مشروع ليلى) حامد سنو هو من الشواذ العرب؛ حيث جاهر بذلك مرارًا لوسائل الإعلام.

وعلى الرغم من ذلك؛ حدثت حالة من التطبيع المجتمعي والقبول به، على الرغم من أن الآلاف الذين حضروا الحفل هم أشخاص طبيعيون لكنهم لم يجدوا غضاضة من التعامل مع فريق مشبوه مثل: (مشروع ليلى)، أو كما قالت إحدى الحاضرات: «نحن كجماهير نؤيد وجود فرقة (مشروع ليلى) في مصر، وليس لنا التدخل في أمورهم الشخصية لأنهم هم مَن سيحاسبون على أفعالهم في النهاية»[3].

وكان من ضمن الحضور -أيضًا- عدد من الشواذ من الذكور والإناث، لم يعلم عددهم على وجه التحديد؛ إذ اختلفت

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) شهود عيان يروون كواليس حفل (مشروع ليلى)، جريدة «المصريون».

التقديرات في عدد الشواذ الذين حضروا الحفل ما بين (١٠٠ و٣٠٠) فرد، حيث قاموا برفع علم الشواذ الذي يشبه قوس قزح، وقام بعضهم بممارسات مخجلة على الملأ.

وعلى الرغم من أنه يتم حاليًّا التحقيق مع من رفع العلم ومن قام بتلك الممارسات الفاحشة على الملأ؛ إلا أن مجرد إعلان الشواذ عن أنفسهم بهذه الطريقة في قلب القاهرة علامة فارقة في مدى استقواء الانحلال الخلقي! حتى أن العديد من الصفحات كتبت بوقاحة منقطعة النظير عن حقوق الشواذ في المجتمع المصري.

«وكتبت إحدى الصفحات التابعة لجمهور (مشروع ليلى) ناشرة صورة من رفع العلم في الحفل، معلقة: ربما كان يخاف الكثير منا من رفع العلم والتصريح أننا هنا، كل الشكر لكل من رفعوا علمنا، علم فخر مجتمع الميم، كل الشكر لهؤلاء الشجعان والشجاعات في حفل (مشروع ليلى)، شكرًا لجعلنا جميعًا نشعر بفرحة عارمة بهذا الانتصار الصغير، شكرًا للظهور والتصريح أننا هنا، دعونا ننام اليوم سعداء بهذه اللحظة»[(١)].

ما قامت به السلطات المصرية مِن توقيف مَن رفع علم الشواذ، وهؤلاء الذين جاهروا بشذوذهم استجابة للصدمة المجتمعية التي حدثت؛ تم مواجهته بالتنديد من قبل الأمم المتحدة؛ حيث «أعرب مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان عن القلق بشأن اعتقال أكثر من (٥٠) شخصًا خلال الأسابيع الأخيرة بسبب ما يعتقد عن توجهاتهم أو هوياتهم الجنسية، وألقي القبض على اثنين لرفعهما أعلام قوس قزح خلال حفل موسيقي، واعتقل آخر لإدارة صفحة على موقع فيسبوك، وفي بعض الأحيان يتم القبض على الأفراد بعد الإيقاع بهم من قبل مسؤولي تنفيذ القانون على التطبيقات أو المحادثات على شبكة الإنترنت».

وتتضمن الاتهامات الموجهة لهم: ممارسة الفسق والتحريض على الفجور، والانضمام إلى جماعة محظورة.

وذكر المتحدث أن عشرة رجال على الأقل قد حُكم عليهم بالسجن لفترات تتراوح بين عام وستة أعوام، وينتظر معظم المحتجزين الآخرين المحاكمة، وتم الإفراج عن عدد قليل ممن احتجزوا.

أما المتحدث باسم مكتب حقوق الإنسان؛ فأضاف قائلًا:

«اعتقال أو احتجاز أشخاص بناء على توجهاتهم وهوياتهم الجنسية الفعلية أو ما يعتقد عنها؛ يعد تعسفيًّا، وينتهك القانون الدولي والمساواة أمام القانون والحماية المتساوية أمامه.

اعتقال واحتجاز أفراد للتعبير بشكل مشروع عن أنفسهم، بما في ذلك: رفع أعلام قوس قزح، هو أمر تعسفي -أيضًا-، وينتهك حقوق الأفراد في حرية التعبير».

ويشدد مكتب حقوق الإنسان على ضرورة أن تلغي جميع الدول القوانين التي تجرم العاملين في مجال الجنس»[(٢)].

معركة الشواذ في مصر كرمز أعلى للفساد بدأت ولن تنتهي بسهولة! فلم يعودوا يقبلون بوصفهم بالشذوذ ولا بالمرضى النفسيين، هم يرون أن لهم هوية جنسية مثلية ولدوا بها، ولهم الحق في إظهارها، تلك الروح التي سرت بفعل تلك المواثيق الحقوقية النسوية التي خاطبت المراهقين والمراهقات بضرورة امتلاكهم الحرية الكاملة لاختيار هويتهم الجنسية، ومن ثم وقفت الأمم المتحدة تدافع عن الطليعة التي بدأت بتنفيذ ما تم التخطيط له في «منهاج بكين»، بل والانتقال من مرحلة السرية والاختفاء والتبرير

(١) رفع علم المثليين في حفل بالتجمع الخامس لفرقة (مشروع ليلى)، جريدة «اليوم السابع».

(٢) نقلًا عن موقع «الأمم المتحدة» بتصرف يسير.

لمرحلة الاستقواء والتحدي والظهور للعلن.

الزواج العرفي:

لم تكن حادثة معلم الكيمياء الذي يعطي دروسًا لمجموعة مختلطة من طلاب وطالبات الثانوية العامة إلا انعكاسًا للواقع المر الذي يحيا في أجوائه الطلاب المراهقين! فالطلاب الذين يعانون معاناة قاسية من وطأة الضغوط التعليمية من جهة، ومن وطأة المشاعر والأحاسيس التي يمرون بها بفعل التغيرات الهرمونية من جهة أخرى، وتحيطهم الدراما والسينما والأغاني بسيل من الإثارة الجنسية، والذين يمنع زواجهم بفعل الواقع الاقتصادي والاجتماعي وبالطبع القانوني؛ الذي يرى في ذلك شرًّا مستطيرًا، والذي يراد لهم أن يعيشوا كما الطلاب في الغرب في علاقات جنسية خارج إطار الزواج؛ بالطبع مع تثقيفهم جيدًا حتى لا تنتقل لهم أمراض منقولة جنسيًّا عن طريق عملية التبادل التي يمارسونها؛ هؤلاء الطلاب الذين ينبغي أن توضع لهم خطط مدروسة جيدًا لمساعدتهم على تجاوز هذه المرحلة الصعبة نجد معلمًا تربويًّا يشرح لهم الكيمياء بلغة خارجة كأنه يسخر من التثقيف الجنسي الذي يريد الفكر النسوي نشره، والذي سينتقل في ظل الوضع المتأزم إلى تطبيق عملي لما يقوله المعلم المنحل.

فالمعلم يشرح بعض التفاعلات ويشبهها بالعلاقة بين الفتى والأنواع المتعددة من الفتيات اللاتي يلتقي بهن؛ حتى يصل لمكون جديد يطلق عليه: «ابن حرام»، وهو أخف لفظ استخدمه المعلم في شرحه وسط ضحك الطلاب والطالبات الحاضرين، والذي يبدو أن لغته البذيئة لم تثر إلا ضحكهم!

هذا المناخ المنحل ربما يكون صادمًا! لكنه ليس شاذًّا في سياق عام يدعو لهذا الانحلال، حيث يصل التطبيق العملي لهذا المناخ مداه وسط الطلاب الجامعيين؛ الذين يبدأ عامهم الدراسي بحفلات راقصة واختلاط لا محدود، ينتهي لعلاقات غير شرعية، حتى وصل الحال بطالب لاحتضان طالبة لفترة طويلة وسط الحرم الجامعي، وأمام نظر أفراد الأمن، ووسط تعليقات منحلة من أصدقاء الطالبين! حدث هذا علنًا، وتم تصويره بالصوت والصورة.

أما ما يحدث في الخفاء فهو أشد وأعظم؛ حتى بلغت بعض التقديرات أن هناك (٢٥٠ ألف) حالة زواج عرفي (زنا)، وما تعبير الزواج العرفي إلا محاولة لتخدير بقايا الضمير الديني بمنح هذه العلاقات مسمى «زواج»!

ولو رصدنا موقف النسويات المصريات من هذا الزواج؛ سنجد أنهن يقلن صراحة: ليس مهمًا حرام هو أم حلال؛ ليست هذه المشكلة، وإنما المشكلة في عدم التوثيق، ومن ثم بعض المشكلات القانونية المرتبطة بإثبات نسب الطفل -مثلًا-، حتى تقول إحداهن موجّهة حديثها للفتيات: لا تريدون أن يَعرف الأهل ولا أي أحد عن هذه العلاقة، ما المانع من توثيق الزواج عند مأذون كي تحفظي حقك وتختبري جدّيته؟

وتريد من الأهل ألا يصدموا عندما يعرفون بأمر الزواج العرفي؛ سواء والد الشاب أو الفتاة ويسعون لتحويله لزواج شرعي، أما في حال هرب الشاب ورفض التوثيق فلا مشكلة -أيضًا-، لأنه يكون درسًا للفتاة[1]، يحدث هذا وسط حملة شعواء على الحجاب ومفهوم الستر، وحملة أخرى على مفهوم العذرية والتقليل من شأنها كأحد بقايا الفكر الرجعي المتخلف! وحملة أخرى موجهه للنساء لاستعادة السيطرة على أجسادهن تحت لافتة: «جسدي ملكي»!

❁❁❁❁❁

(١) https://www.youtube.com/watch?v=cI-٩yZHT٩TM

الحصاد المُـرّ لداعش في العراق

صباح العجاج - كاتب عراقي

خاص بـ «الراصد».

في (حزيران ٢٠١٤) هيمنت داعش تدريجيًّا وخلال شهر على جميع المحافظات السنية في العراق، وجاء ذلك بعد عام من الاحتجاجات السنية السلمية (٢٠١٣-٢٠١٤) ضد حكومة المالكي الطائفية، حيث كان السُّنة يشعرون بمزيد من الإحباط تجاه مستقبلهم في العراق، لكن الحكومة الشيعية قررت إنهاء الاحتجاجات بطريقة عسكرية، فكان ظهور داعش!

مع ظهور داعش ظنّ بعض قصيري النظر من السنة أن ثمة أملا في المستقبل، وخاصة مع هزيمة الجيش العراقي وانسحابه من أمام داعش، وكان البعض يحلم أن تقوم داعش بالزحف إلى بغداد لتغيير معادلة الحكم في العراق، بهذا التفكير الساذج تأمل بعضهم أن تكون داعش فرجًا لأهل السُّنة!

لكن الأمور سارت بشكل مغاير، وبدأ تراجع وضع السنة في العراق في جميع المناطق، وبدأ السنة يشعرون أنهم دخلوا طورًا جديدًا أسوأ من ذي قبل، فبعد أن كان حكم المالكي مسلّطًا عليهم أصبحت داعش مُسلطة عليهم أيضًا، وأصبحت مناطقهم تنتظر معارك طاحنة بين داعش وبين الجيش العراقي والحشد الشيعي؛ الذي تكوّن بناء على فتوى المرجعية ليحقق الحلم الإيراني بتكوين الحرس الثوري العراقي، وأصبح السُّنة بين سندان داعش ومطرقة الحشد الشيعي كأولى ثمرات داعش؛ وهو ظهور قوى شيعية مرحّب بها رسميًّا، ظاهرها ضرب داعش، وحقيقتها السيطرة الإيرانية على جميع العراق.

سيتناول المقال تأثير وجود داعش على وضع السنة في محافظاتهم، وقبل الشروع بذلك لا بد من الإشارة إلى أن تقدم داعش في المحافظات السنية الخمس، وانسحاب الجيش منها ولّد حركة نزوح لأهل السُّنة؛ خاصة من العوائل الميسورة والمتوسطة التي لم ترغب أن تقع مناطقها بيد داعش، لمعرفتها السابقة بسلوك القاعدة المتطرف والإرهابي في المناطق السنية؛ لذلك حصل نزوح محلي ونزوح نحو منطقة كردستان؛ لكنه كان نزوحًا محدودًا في بداية الأمر.

محافظة ديالى:

محافظة ديالى محافظة زراعية تكثر فيها البساتين والمزارع، وهي المحافظة السنية العربية الوحيدة المحاذية لإيران؛ لذلك اهتمّت إيران بأن يكون لها مركز تواجد عسكري أو الأصح قاعدة عسكرية للحرس الثوري، فكان وجود داعش بداية المبرر لهذا الوجود بحجة التعاون العسكري العراقي الإيراني لمواجهة التطرف والإرهاب، حيث سيطرت داعش على المدن الكبيرة في المحافظة باستثناء مركز المحافظة بعقوبة.

كانت أولى معارك الجيش العراقي والحشد الشعبي في محافظة ديالى، وكانت بداية مأساة سنة ديالى؛ فقد أصبح هناك تهجير كبير للسنة بسبب المعارك وبسبب اتخاذ داعش مناطق وبساتين أهل السنة دروعًا لعناصرها، فهجّر أكثر من نصف مليون سني إلى مناطق كردستان ومناطق خانقين الكردية شرق ديالى؛ لتظهر هناك مخيمات كبيرة وضخمة على عجل، وقبل أن تستكمل الاحتياجات المطلوبة، وعاش أهل السنة فيها مأساة برد شتاء نهاية (٢٠١٤م).

لكن الغريب أن معارك داعش لم تدم طويلًا! فقد غادرت داعش المحافظة بعد اتفاق بينها وبين أحد قيادات الحشد الشيعي، وهو هادي العامري؛ الذي سلم داعش مليار دولار مقابل

انسحابها من المحافظة، وقد كشف هذه الصفقة المشبوهة رئيس مجلس النواب سليم الجبوري ورئيس إقليم كردستان مسعود البرزاني.

ورغم أن داعش خرجت منذ بداية سنة (٢٠١٥) بتلك الصفقة لكن النازحين السنة من أهل ديالى لم يعودوا إلى منازلهم وممتلكاتهم، حيث منعهم الحشد الشيعي من العودة لها، بل حرق الحشد الشيعي بساتين ومزارع أهل السُّنة في حرب اقتصادية ضدهم، وتم اعتقال بعض من لم ينزح بحجة دعم وتأييد داعش! وليومنا هذا لا يزال (٦٠ %) من النازحين من أبناء المحافظة لم يعودوا لها بسبب منع الحشد الشيعي لعودتهم، في أكبر عملية تغيير ديمغرافي في العراق منذ الاحتلال (٢٠٠٣).

وهكذا حققت داعش لإيران ما كانت تحلم به بإيجاد قاعدة للحرس الثوري في ديالى، وتهجير أهالي المحافظة السنة، وتحقيق التغيير الديمغرافي لصالح الشيعة، وبعد أن كان المجلس الإداري للمحافظة بيد أبنائها السُّنة أصبحت تُحكم شيعيًّا، وبين الفينة والأخرى تباشر داعش تنفيذ بعض التفجيرات ليتم اعتقال بعض من تبقى من شباب أهل السُّنة فيها، وحتى يقال: إن داعش منتج سني!!

محافظة صلاح الدين:

سيطرت داعش على هذه المحافظة السُّنية بارتكاب جريمة قتل لأكثر من (١٠٠٠) عسكري شيعي في قاعدة (سبايكر) العسكرية، ثم أغرقتهم في نهر دجلة، هذه الجريمة ولّدت ردة فعل غاضبة لدى الحكومة وجيشها والحشد الشعبي وعوائل الجنود الشيعة، وأوجدت ذريعة للهجوم الشيعي المكثف والوحشي ضد المحافظة وأهلها باسم: محاربة داعش؛ قاتلة الجنود الشيعة!

ولما شنت الحكومة والحشد الحرب على مدينة تكريت وما حولها نزح عنها أبناؤها بالكامل مع سكان مدينة الدور، وخلال أيام معدودة استغرقتها المعارك تم تدمير جزء من المدينة ومؤسساتها الرسمية؛ كجامعة صلاح الدين بعد أن حولت داعش الجامعات والمستشفيات إلى ثكنات عسكرية!

ومرة أخرى جرت صفقة مالية بين الحشد الشيعي وداعش مقابل انسحاب داعش من مدينة تكريت، وفور انسحابها في (١/ ٤/ ٢٠١٥) نهب الحشد الشعبي بيوت أهالي أهل السُّنة بالكامل!

وظهرت الحقيقة أن داعش تزحف وتحتل مناطق أهل السنة بذريعة حمايتهم من الشيعة، ثم تعقد صفقة مالية مع الحشد الشيعي على حساب السنة، وتتركهم فريسة بيد الحشد؛ هم وأموالهم، واتخذ الحشد الشيعي من حادثة (سبايكر) ذريعة لاعتقال آلاف الشباب السني بدعوى مشاركتهم في الجريمة.

لم يقتصر الأمر على تكريت؛ فمدينة بيجي -وهي المدينة الثانية بعد تكريت، والتي تحوي أكبر مصفى عراقي للنفط- تكررت فيها نفس المأساة؛ إذ تمركزت داعش في المصفاة وحولتها إلى ثكنة عسكرية، جعلتها مسرحًا وساحة للحرب، وفعلًا تحطم جزء من المصفاة نتيجة القتال، ومن ثم سرق الحشد ما تبقى من المصفاة وأرسله لإيران، وهكذا تم تفكيك المصفاة التي كان يعمل فيها آلاف السُّنة، وتعد من أهم مرافقها الاقتصادية والإستراتيجية.

أما سكان المدينة؛ فقد هجروها بالكامل، وأتهم الكثير منهم بمساندة داعش زورًا، ورغم أن المعارك مع داعش انتهت في (٢٠/ ١٠/ ٢٠١٥) إلا أن أهل بيجي ليومنا هذا ممنوعون من العودة إليها، وكذلك سكان منطقة الدور.

أما بقية مناطق المحافظة؛ فقد كانت داعش أعدمت العديد من أهلها السنة بتهمة الوقوف بوجه الدولة الإسلامية، وبعد مغادرة داعش أصبحت هناك ثارات عشائرية سنية سنية، كما

أن المجابهة بين داعش والحشد الشيعي أعطت المبرر للعديد من الأحزاب الشيعية لإنشاء مقرات لها هناك، تستقطب الشباب السني الذي يعاني من البطالة والفقر والنزوح؛ من خلال توفير فرص عمل -ولو مؤقتة- عبر منظمات تتبع الأحزاب الشيعية.

وخوفا من تهمة الدعشنة تعطلت حركة الدعوة وارتياد المساجد في أرجاء المحافظة، ثم يقال بعد كل هذا: إن داعش تعبّر عن أهل السنة!!

محافظة الأنبار:

تتكون محافظة الأنبار من ثلاث مناطق أساسية: منطقة المركز (الرمادي)، منطقة الفلوجة، المنطقة الغربية القريبة لسوريا.

وكالعادة تمركزت داعش في وسط المدينة، وجعلتها هدفًا للحرب والتدمير، ولذلك نزح أكثر الأهالي عن بيوتهم، وقد تسببت المعارك ضد داعش بتدمير ما يقرب من (٨٠ %) من مدينة الرمادي، بسبب حقد الحكومة الشيعية عليها من جهة، وحقد داعش على أهلها لأنهم في (٢٠٠٧-٢٠٠٨) هُم من طردوا تنظيم القاعدة من المدينة؛ حيث دمرت جسور المدينة بتفجيرها من داعش وقصفها من جيش الحكومة! كما تم إحراق مؤسسات الدولة والوثائق الرسمية فيها من قبل داعش ومن قبل الحشد الشيعي؛ وذلك في (٢٠١٥/١٢/٢٨).

ثم تحولت البوصلة في الهدم والتخريب إلى مدينة الفلوجة؛ التي لم يتوقف القصف الجوي والضرب بالمدفعية الثقيلة عليها حتى قتل آلاف الأبرياء من أهلها قبل بداية المعارك! ثم ضُربت المستشفيات؛ مما دفع أكثر أهل المدينة للمغادرة بسبب ذلك، وكانت داعش قد ورطت الكثير من أهل الفلوجة بإجبار الكثير من الشباب على العمل معهم بأعمال غير عسكرية، مما جعلهم جميعًا متهمين بعد خروج داعش منها.

انتهت الحرب بهزيمة داعش في (٢٠١٦/٤/٢٢)، لكن الغريب هو أن هؤلاء المهزومين من الدواعش ظهروا فيما بعد في مناطق أخرى! مما يؤكد أن الحشد الشيعي سهّل انسحابهم تحت غطاء اعتقالهم! وهو ما تبين بوضوح في صفقة حزب الله مع داعش؛ حيث تم نقلهم بباصات مكيفة!!

بالطبع تركت مدينة الفلوجة ونواحيها مباحة للحشد الشيعي؛ الذي يمتلك حقدًا خاصًّا عليها، فحرقت البيوت ونهبت، وصودرت الأموال المنقولة وغير المنقولة، واعتقل الناس بمهانة وذلة، وليومنا هذا لا يمكن الدخول إليها إلا عبر مداخل محددة تحت سيطرة الحشد الشيعي؛ حيث يعتقلون من يشاؤون ويسمحون لمن أرادوا.

وظهر مجموعة من الصوفية المنافقين تحت اسم: الإسلام المحمدي؛ ليمهدوا لدخول التشيع للأنبار وهي المحافظة السنية (١٠٠%)، فبدأت طقوس الشيعة تقام علنًا في الرمادي والفلوجة؛ إما خوفًا منهم أو تزلفًا ونفاقًا لنيل رضاهم، ويقال بعد ذلك: إن داعش عدوة لإيران والحشد الشيعي!!

محافظة نينوى ومعركة الموصل:

احتلت داعش الموصل بحجة تخليص السنة من اضطهاد حكومة المالكي الطائفية، لكنها فعلت فيها ما لم تفعله بأي مدينة غيرها؛ فقد حصرت أهلها وهم أكثر من مليوني شخص، ومنعتهم من الخروج والنزوح، وحولتها إلى مدينة تنفذ بها كل أحلامها.

فقد أجبرت الناس على تنفيذ رؤيتها المتطرفة للإسلام، وعاقبت بالحبس من خالفها حتى نفّرتهم من الإسلام، وحورب من لم يهادن داعش، وحكم عليه بحد الردة، وتم تصفية العديد من الضباط السابقين والأساتذة الجامعيين، وأحرقت آلاف الكتب الأكاديمية في جامعة الموصل.

واهتم الدواعش بجمع المال؛ عبر فرض الضرائب وسرقة المخطوطات الإسلامية من متاحف الموصل، وبيع آثار مدينة الموصل!

ولما كانت مدينة الموصل (مركز المحافظة) الأكبر سنيًّا من حيث عدد السكان بعد محافظة بغداد، والموصل تضم العدد الأكبر من أتباع داعش؛ لذلك كانت هذه هي المعركة الأهم بالنسبة للحكومة العراقية والحشد الشيعي، حيث كانت القوات الحكومية والحشد يريدون الوصول للموصل لمركز محافظة نينوى بتأنٍ ودون عجلة، فتم حشد أكثر من (١٠٠) ألف من العساكر وأعضاء الحشد، وقسمت المعركة إلى معركة تطهير نواحي المحافظة، ثم الساحل الأيسر لمدينة الموصل ثم الساحل الأيمن، ثم مدينة تلعفر.

مع بداية المعارك فُرض حصار شديد على المدنيين من داعش ومن الجيش والحشد، فاتخذت داعش من المدنيين دروعًا بشرية، ومارست الحكومة عقابًا قاسيًا ضد المدنيين للتخلص من داعش، ولذلك تم تحرير الجانب الأيمن للموصل بنسبة دمار (٦٠ %) منها، لكن المأساة الأفظع وقعت في الجانب الأيسر القديم والمكتظ بالسكان؛ فداعش حاربت بين الشوارع، وأمرت الناس بتهديم الحواجز بين البيوت، وحفر أنفاق فيها؛ فدمر كثير من البيوت قبل القتال، ثم دمرت الحكومة وجيشها وحشدها الشيعي الجانب الأيسر بنسبة (٩٠%)، وهزمت داعش؛ كما كان متوقعًا، لكن بعد تدمير المدينة بنسبة (٨٠%)، وبعد أن دمرت جميع جسور المدينة ومعالمها التاريخية، حتى قصفوا أعظم تاريخ تركه الزنكيون للموصل ويتمثل بمنارة الحدباء المشهورة، في حدثٍ بشعٍ، يستحضر حقد الشيعة القديم على مدينة الموصل لأنها المدينة التي استعصت على القائد الإيراني نادر شاه سنة (١٧٤٣م).

واكتشف الناس أن الدواعش هم خليط من سفلة المدينة وسراقها، والمسجونين وأصحاب السوابق، ومرتزقة يتبعون لدوائر مخابرات دولية، ولإيران، وهؤلاء تم تهريبهم، ولم تظهر في وسائل الإعلام جثثهم ولا معتقلوهم!

تم القضاء على داعش ورفعت رايات الشيعة في مدينة الموصل لأول مرة في تاريخها المعاصر، في (٢٠١٧/٧/١٠) بفضل داعش، وأصبحت مسرحًا لجولات القيادات الإيرانية والشيعية.

الخلاصة:

إن خطر داعش أسوأ من خطر إيران وميليشياتها الطائفية في العراق، فلا وظيفة لداعش ورياتها السود سوى توفير مسوغ لتعزيز قبضة التحكم الإيراني في العراق.

وخلاصة ما فعلته داعش في مناطق أهل السنة هو الآتي:

١ - **تهجير قسري لأكثر من (٥) ملايين سني،** مارسه الدواعش والحشد الشيعي.

٢ - **بعد سنة ونصف على إخراج داعش** ترفض الحكومة الشيعية عودة أهلها لمناطقهم.

٣ - **تهديم المحافظات السنية؛** بحيث قدرت تكلفة إعادة إعمارها بـ (١٠٠ مليار) دولار.

٤ - **زرع ثارات عشائرية سنية؛** بسبب جرائم داعش.

٥ - **إعطاء التواجد العسكري الشيعي في مناطق السنة المشروعية،** بحجة محاربة داعش.

٦ - **تجاهل الإرهاب الطائفي الشيعي،** والتركيز على داعش فقط؛ كإرهاب سني ديني.

٧ - **هدم عقود من جهود الدعوة الإسلامية السنية الإصلاحية** بتطرف داعش بسنتين.

٨ - **ضعف التدين، وظهور الإلحاد** كردة فعل على داعش والأحزاب الإسلامية.

٩ - إفقار مناطق أهل السنة، وتحطيم اقتصادهم.

١٠ - اعتقال الآلاف من السنة رجالًا ونساءً، بحجة الانتماء إلى داعش.

١١ - أصبحت طقوس عاشوراء الشيعية تقام في مدن السنة.

١٢ - غادرت الكفاءات السنية مدنها خوفًا من داعش ثم الميلشيات.

عاشوراء وجدل الرفض والنصب في القرن الواحد والعشرين!

بوزيدي يحيى- كاتب وباحث جزائري

خاص بـ «الراصد».

اعتادت المجتمعات السنية على تداول أخبار عن طقوس شيعية تقام بين ظهرانيهم مع كل عاشوراء؛ حيث تشير التقارير الإعلامية إلى خروجهم هنا وهناك للمجاهرة بتشيعهم[1]، ناهيك عن ممارسات أخرى ما زالت مخفية عن أنظار المجتمع؛ والتي لو كشفت لبان حجم الخطر المحدق به!

والجديد الذي رُصد هذه السَّنة يتمثل في احتفاء بعض المنتمين إلى المجتمعات السنية بهذه المناسبة؛ بالإشارة إلى فضائل الحسين رضي الله عنه وصراعه مع الخلافة الأموية، وقد فتح ذلك جدلًا على مواقع التواصل الاجتماعي، حيث اعتبر البعض مثل هكذا سلوكيات (لوثات شيعية) يجب الحذر منها؛ فانتفض أولئك ضد هذا (الافتراء)! متهمين بدورهم المحذرين بالنصب؛ لتوجسهم من كل مادح لآل البيت.

تبادل الاتهامات بالرفض والنصب في مجتمع سني في القرن الواحد والعشرين يدفع إلى طرح الموضوع للنقاش؛ نظرًا لخطورته، فتخصيص ذكر محاسن الحسين رضي الله عنه بيوم مقتله؛ والذي يوافق يوم عاشوراء؛ الذي حث الرسول ﷺ على صومه فرحًا بنجاة موسى عليه السلام قبل استشهاد الحسين بخمسين سنة؛ يثير مسألة فقهية تتعلق بالابتداع في الدين، وهذا الجانب له أهله من الفقهاء الذين يقدّرونه وينزلون عليه الأحكام الشرعية المناسبة، وهو

(١) ذكرت جريدة «الشروق» الجزائرية أنه شوهد متشيعون في بعض مناطق الولاية، خلال يوم عاشوراء الذي صادف يوم الأحد، من خلال ارتداء اللون الأسود.

خارج عن نطاق هذه المقالة التي تسعى إلى مناقشة الأفكار المتداولة في الموضوع ومآلاتها الدينية المحتملة.

ومن هذا المنطلق؛ فإن النقطة الجدلية في القضية تحمل بعدين أساسيين:

أولهما: في الأحقية بالحسين، وسحب البساط من تحت الشيعة الذين جعلوا منه رمزًا خاصًّا بهم، فهل ذكر فضائله في هذه المناسبة يحقق الغرض أم وقوع في فخ الشيعة؟

والبعد الثاني: يرتبط بموقف الحسين ﷺ من نقل السلطة من معاوية بن أبي سفيان ﷺ إلى ابنه، والحكم على الخلافة الأموية، فهل ننطلق من هذه الحادثة التي شكّلت منعرجًا في التاريخ الإسلامي للحكم على التجربة بشكل كامل؟ ومرة أخرى ألا يعدّ ذلك وقوعًا في فخ الأطروحة الشيعية؟

- **مِن الأحقية بموسى إلى الأحقية بالحسين:**

حثّ الرسول ﷺ المسلمين على صوم يوم عاشوراء على أساس أحقيتهم بموسى من اليهود، وأكّد في الوقت نفسه على ضرورة التمايز عنهم بعزمه على صوم التاسع والعاشر إذا أدرك السنة التالية، وهذا ما سارت عليه الأمة اقتفاءً لسنته.

ومن اهتموا بمناقب الحسين ﷺ انطلقوا من الخلفية نفسها، فهم يقولون: نحن أحق بالحسين -الذي هو رمز للأمة جمعاء وليس الشيعة وحدهم-، وتداولوا ذكر مناقبه في يوم عاشوراء، غير أنهم أغفلوا في الوقت نفسه الشطر الثاني وهو: التميز عن الشيعة، بكل تأكيد فإنهم لم يدعوا للثأر له أو اللطم وغيرها من البدع التي يمارسها الشيعة، غير أن الاهتمام بالحسين ﷺ في ذلك اليوم خصيصًا يعد تقليدًا للشيعة، وبالتالي يكون مبررًا التوجس الذي أبداه البعض من هذه المحاكاة.

فالمهم في الموضوع: أن هذا اليوم لا يَقترن بمقتل الحسين ﷺ فقط؛ فهو في الوقت نفسه يرتبط بشعيرة الصوم في عاشوراء؛ التي أوصى بها النبي ﷺ، وعند إضافة بُعد جديد لهذه المناسبة والمتمثل في التذكير بحادثة مقتل الحسين ﷺ فإن ذلك يؤدي بشكل أو آخر إلى زحزحة المناسبة عن أصلها الذي وصى به النبي ﷺ إن عاجلًا أو آجلًا؛ لما أحدثه الشيعة لاحقًا!

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن الطقس العاشورائي عند الشيعة لم يكن منذ يومه الأول على هذه الشاكلة التي تتداولها الفضائيات ومواقع الانترنت، وإنما حصل فيه تطور تدريجي، استدخل طقوس أديان أخرى فيه؛ حتى بلغ حد اللطم وضرب الصدور وإراقة الدماء والمشي على الجمر، وغيرها من الطقوس التي تمارس اليوم على مرمى حجر من كبار مراجعهم ولا يستطيعون وقفها مسايرةً لعامتهم!

وبالتالي؛ فإن ما يفعله هؤلاء يفتح بابًا على ممارسات لا يمكن ضبطها مستقبلًا، فإذا كان الغلو والمبالغة في الحسين ﷺ من الشيعة ولّد عند البعض الفكر الناصبي المعادي لآل البيت، فيمكن في المقابل أن يتحول تخصيصه بالمدح يوم عاشوراء -كما يفعل الشيعة- طريقا للتشيع؟ بل هذا الجدل بحد ذاته باب فتنة الأولى وأده في المهد بدل إطلاق العنان له ليستفحل في قادم الأيام، فشبه المؤكد أن هؤلاء سيغفلون عن الاحتفاء والإشادة بآل البيت طوال السنة ليتذكروا في عاشوراء القادمة أن هناك رمزًا اسمه: الحسين حفيد رسول الله ﷺ، ثار على الظلم والطغيان، وعلى عكس السنة التي سبقتها سيزداد عدد المنشورات حول الموضوع، وهكذا حتى يصبح ذلك تقليدًا وأصلًا؛ كما حصلت طقوس شيعية في القديم تأثرا بالعبيديين ولا زالت تمارس دون إدراك حقيقتها، فهل يسن هؤلاء سنة سيئة؟

وعندما أثيرت مسألة وجود مَن هم أكبر شأنًا من الحسين ﷺ قُتلوا؛ وفي مقدمتهم: أبوه علي بن أبي طالب

وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ﷺ، برّر هؤلاء موقفهم بعظمة الحدث الذي لا يمكن مقارنته بغيره؛ فقد صاحبَ مقْتلَه من الأمور الفظيعة كحزّ رأسه الشريف، وتسييره إلى الكوفة ثم إلى الشام مهانًا، وما جرى في أعقاب مقتله من التنكيل بأهل بيت النبوة، مما أثار لواعج الأسى عند المسلمين قاطبة.

أما أبوه عليّ بن أبي طالب ﷺ؛ فقد قتله الخوارج غدرًا وغيلةً وهو يوقظ الناس لصلاة الصبح، ولم يصاحبْ مقتلَه تلك الفظائع والقبائح التي صاحبت مقتلَ الحسين.

وكذلك عمر بن الخطاب ﷺ، قتله أبو لؤلؤة المجوسي غيلةً في المحراب، ولم يكن لمقتل هؤلاء الصحابة الكرام تلك الرمزية التي كانت لمقتل السبط الشهيد عليه السلام.

بكل تأكيد لا يمكن التقليل من حجم الفاجعة، ولكن من حيث المبدأ عظمة الحدث بعظمة المقتول، وليس هول الحدث ما يجعل المقتول أعظم من العظام؛ كما ينبّه على ذلك الشيخ مختار الأخضر الطيباوي، ومن جهة أخرى هل أهمية الفاجعة حقًّا كانت كذلك دون غيرها؟! أم أن الاهتمام بها جعلها تصبح على ما هي عليه الآن؟

فبافتراض أنه حصل شكل من الاهتمام بحادثة مقتل سيدنا عمر بن الخطاب أو علي بن أبي طالب ﷺ وخصا بيوم تعقد فيه مجالس العزاء والحزن، ويذكّر بما حصل له؛ ألن تكون الواقعة هي الأخرى أكثر أهمية مما حصل للحسين ﷺ؟ ولربما يخرج قائل في يوم آخر بأن تلك الوقائع لم تأخذ حقها من اهتمام المسلمين، ولا بد من التذكير بها، وتقام طقوس لأجل ذلك؛ كما حصل مع الشيعة الذين يحيون أكثر من ثلاثين مناسبة تتعلق بولادة ووفاة أئمتهم وعيد الغدير وغيره، فهل توجب مسايرتهم في ذلك لإثبات أن عليًّا والحسن وفاطمة وجعفر الصادق وزين العابدين وغيرهم أئمة للسنة أيضًا؟

ولقد حصل ذلك فعلًا؛ فقد طالب بعض الناس من العراق في هذه السنة برفع شعارات «يا لثارات عثمان»!!

- **الحسين والخلافة الأموية:**

يستحيل الحديث عن سيرة الحسين ﷺ **دون التطرق إلى موضوع الخلافة**، وتوريثها من طرف معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد، ورفض الحسين لذلك القرار؛ الذي انتهى باستشهاده في كربلاء، وقد كتب عن هذه المسألة كثيرًا، والنقاش مستمر حول القراءة الأنسب لكل تلك الأحداث، والخوض فيها أساسًا من عدمه، وكل المحاولات في هذا الإطار لم تتوصل إلى إجماع تام، لذلك فإن من يطرق هذا الباب يتوقع مبدئيًّا تباينًا في الآراء تبعًا للخلاف أعلاه.

يميل من احتفى بمناسبة عاشوراء بذكر مآثر الحسين ﷺ إلى الرأي الذي يقول بضرورة طرق هذا الموضوع لتصحيح مسار الأمة، وبناء نظرية سياسية إسلامية، ومع كل المحاولات التنظيرية في هذا الجانب إلا أن الواقع لا زال يثبت كل مرة أن ما يحدث هو فقط الإساءة للأمويين، ثم يتبعه فتح أبواب هدم رموز الأمة من رعيلها الأول!

أثبت الواقع أن طرق هذا الموضوع سيبدأ لا محالة بالطعن في الخلافة الأموية ككل، ويفتح بابًا لأحكام مماثلة لما سبقها وما بعدها؛ حتى يصبح الخائضون فيه قاب قوسين أو أدنى من رؤية الشيعة، وقد كان نفس هؤلاء قصيرًا جدًّا إذ رفعوا مباشرة شارة النصب في وجه من حذّر من تسرب التشيع؛ من خلال ما أقدموا عليه عن غير قصد ربما، خاصة وأن طريقة تناولهم للموضوع انحازت لقراءة نبّه بعض العلماء قديمًا أنها تفتح بابًا لتجاوز حق الصحابة ﷺ.

فقد اختصر هؤلاء الحسين ﷺ **في موقفه من انتقال الخلافة** من معاوية بن أبي سفيان ﷺ إلى ابنه يزيد، وأغفلوا

الجوانب الأخرى من سيرته، وهذه محاكاة حرفية للشيعة الذين اختزلوا حياته العامرة بالبذل والعطاء والجهاد والتّضحية والفداء في يوم واحد هو يوم عاشوراء! حتى يُظنّ أنّه لم يعش في هذه الدّنيا إلا يومًا واحدًا هو (اليوم العاشر من شهر محرّم سنة ٦١هـ)، وأنّه لم يخرج إلى هذه الدّنيا إلاّ ليقتل؟![1]

ولسان حال البعض يرى بأنه من الحق الموجود عند القوم الذي لا يجب رده، وجعلوا من ذلك منطلقًا لتقييم التجربة الأموية في السلطة على الأقل في الشأن الداخلي مع الإقرار على مضض لفضائلها في الشأن الخارجي، وهذا بعد الجدل وليس في الأصل.

والمؤكد -حتى بإزاحة الشيعة من النقاش- أن الانطلاق من حادثة مقتل سيدنا الحسين وغيرها من الممارسات التسلطية التي صدرت من الخلفاء الأمويين لمصادرة إنجازاتهم إذا ما أسقطت على الماضي والحاضر الإسلامي فإنه لن تسلم أي تجربة من أحكام مماثلة، فهذا المنطق لا يليق في التعامل مع من زكاهم القرآن ورسول الله ﷺ، وأوصى بتقديرهم واحترامهم؛ لأن كل شبهة في حق الصحابة ستقابلها شبهة أخرى في حق آل البيت، والنتيجة: الإساءة للجميع دون تحصيل أي منفعة!

فقد يقول قائل -أيضًا-: إن الحسين نفسه شارك في الجيش الذي غزا القسطنطينية في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة (٥١هـ)، وكان أميره يزيد ابنه، فكيف يقبل العيش تحت مظلة سلطة يعلم حالها سابقًا، ويقاتل إلى جانب من قاتَل والده؟ وإذا كانت الملكية مرفوضة من حيث المبدأ؛ فكيف يسعى الحسن لوراثة والده؟ وألا يمكن اعتبار ما أقدم عليه الحسين سعيًا للسلطة على خلفية الأحقية بالدم وليس العلم؟ لأنه كان هناك من هم مثله أو أكثر منه؛ كابن عباس؟

وهل يعتبر ابن عباس نصيرًا للظالم لأنه نصح الحسين بعدم منازعة يزيد، وهل يصبح كل الصحابة الذين انحازوا إلى صف معاوية ضد علي وفق هذا الفهم آثمين، وحتى الحسن لم يسلم من هذه الأحكام بالقول أنه أراد تغيير الظلم، بينما الحسين أراد تغيير الظالم!

كما يلزم هذا المنطق -أيضًا- كيل التهم لكل العلماء بمن فيهم أصحاب هذا الرأي، إذ كيف يدينون الملكية ويعتبرونها خروجًا عن مبادئ الإسلام وفي الوقت نفسه يعيشون في كنف نظام ملكي ويؤيدون سياساته؟ وقد تعزى -مثلًا- مواقف الشيخ يوسف القرضاوي المؤيدة للثورة المصرية إلى حقده على النظام المصري الذي كان يضيق عليه، وأنها كانت مسايرة للسياسة الخارجية القطرية التي منحته الجنسية، وقربه أميرها منه، وقبلها يتهم بأنه سوّق المشروع الإيراني نظرا للشهرة التي تحققت له قبل الثورات، وأنه لما استشعر انكشاف المشروع لعامة المسلمين سارع للقفز من السفينة الإيرانية قبل غرقها.

وحتى تجربة حركة حماس التي تسوق على أنها النموذج الأشرف والأفضل الذي يعبر عن المقاومة الإسلامية؛ إذا طبق عليها هذا المنطق المستخدم ضد خلافة بني أمية فسنجد أنها قامت بتصرفات تمنح خصومها حق اتهامها بمعاونة الظلم والظالم؛ بتواصلها ومدحها لإيران برغم ما فعلته بحق المسلمين من جرائم في العراق وسوريا، ومع ذلك تعود حماس للإشادة بها ولا تجد غضاضة في مد يدها للأيدي التي تقتل المسلمين منذ سنوات بل عقود، كما أنها بعد أن حسمت الخلاف مع السلطة الفلسطينية بالسلاح ولعقد كامل وهي تتحدث عن عمالة السلطة للاحتلال وتنسيقها الأمني معه، ثم عادت لتصالح من كانت تصفهم بالخونة!

---

(١) سلطان بركاني، «الحسين.. قُدوة الأبرار ومُلهم الأحرار»، جريدة «الشروق»، (٢٠١٧/٩/٢٨)، على الرابط:
https://www.echoroukonline.com/ara/articles/٥٣٥٣٥٣.html

بكل تأكيد الصورة ليست سوداء أو بيضاء بهذا الشكل، والعدالة التي يطالب بها المسلم حتى مع من يرتكب عدوانًا بحقه تلزم بذكر المحاسن ثم الإشارة إلى الأخطاء؛ مع ذكر أسبابها والخيارات الأنسب للخروج منها، وغير ذلك.

وتلمس الأعذار لهذا الطرف أو ذاك في وقائع نعيشها اليوم ويشاهدها الجميع يفرض التعامل بالمثل مع ما حصل في القرن الإسلامي الأول، بل أكثر من ذلك يفضل عدم الدخول في هكذا نقاش أساسًا، لأنه كان وسيبقى غير مجدٍ في كل حال من الأحوال، لأن هذه المسائل ظنية، ولا يمكن الحسم أن هذا الصحابي أو ذاك كان مجتهدًا في هذا الموضع، ومتبعًا للهوى في موضع آخر، ومقصرًا في الاجتهاد في موضع ثالث، لأنه عند التنقيب في التاريخ سنجد من الدلائل ما يثبت هذا الرأي وينقضه.

- **الخلاصة:**

سُنيًّا لا يحتفي المسلمون بأي مناسبة متعلقة بشخص بحد ذاته؛ بما في ذلك مولد الرسول ﷺ الذي هو محل جدل فقهي، وكل المناسبات الأخرى لا تتجاوز أحاديث خطب الجمعة والدروس وغيرها، وهذا أحد الأسس التي تحول دون تحولها إلى الرهبانية التي حذر منها القرآن الكريم، ومنطق الأولويات يفرض التركيز في مناسبة عاشوراء على كشف حقيقة المعتقدات الشيعية في آل البيت، وفصل ذلك الارتباط بهم، أما فضائلهم فهناك أيام طويلة ووسائل كثيرة للحديث عنها.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن الدعاة وغيرهم من المنشغلين بهذه القضايا لمعرفتهم بمكانة آل البيت عند أهل السنة فلا يولونهم الأهمية نفسها مقارنة بالصحابة المظلومين الذين لا يكف الشيعة عن التعريض والطعن الصريح بهم؛ خاصة بعدما أصبحت لديهم مئات الفضائيات وآلاف المواقع الإلكترونية.

ولكن في المقابل؛ فإن مغالاة الشيعة في آل البيت شكلٌ آخر من الظلم يتوجب الوقوف عنده كثيرًا؛ للموازنة وسد كل النوافذ التي قد يتسرب منها الفكر الناصبي أو الرافضي على حد سواء.

وتبقى أحداث القرن الأول عامة بتشابكاتها عصية على الاستيعاب لكثير من الناس عند محاولة التدقيق في كل جزئياتها، لذلك فإن القراءة الكلية هي السبيل الأنجع لتجاوز المتاهات التي ترافق طرحها، وتنتهي بجرأة على الصحابة وآل البيت؛ على حد سواء، دون أن تقدم إضافة للأمة.

ومحاولة التأسيس لنظرية سياسية إسلامية في الحكم لا تستلزم بالضرورة الوقوف عند تفاصيل الأحداث، والبحث في خلفيات القرارات التي اتخذها هذا الطرف أو ذاك؛ لأنها في النهاية ستقود إلى إصدار أحكام فيها قدر من سوء الظن.

فمِن الحيويّ لأمّتنا أن نكُون قادِرين على ترك مِثل هذا الماضِي المضطرِب حيثُ هو، لأنَّه لِصُنع عالمِنا الجَدِيد لا بدَّ أن نُعطي الحاضِر كلَّ فُرَصِه، ولتكوِين حاضِرنا يجِبُ أنْ نكُون قادِرين على نِسيَان ما يجبُ نِسيانه.

وما يصنَعه بعضُ النَّاس -اليوم- بالعودَةِ إلى تِلك الفَترة هو مَيلٌ إلى التَّاريخانيَّة، إلى تَحمِيل الحاضِر بِكلِّ المقابَلات والمقارنَات التي لا جَدوى مِنها، مِثل هذا التَّارِيخ الذي يُروِّجون له يجعلُ مِنَّا واصِلين مُتأخِّرين؛ كالذين فاتَهُم الحدَثُ، فَينظُرون ماذا يُمكِنهم فِعله لِجَبرِ وتَعويضِ تأخُّرِهم؛ فيُصبِحون في الحاضِر ضُعفَاء كالخرقاء لِماضٍ يجبُ أنْ يكونَ دائمًا برَّاقًا أكثَر مِن حاضِرنا الحَقِير والخاوِي، أو يُصبحون مُدَّعِين لِفهمِ مُعاصر يقفِزُ مِن أخطاء تأوِيل في حادثةٍ ماضيةٍ إلى نَسخِ كلِّ فَهمِ السَّلف لِلدِّين![1]

(١) مختار الأخضر الطياوي، التعليق على كتاب «الخلافات السياسية بين الصحابة»، صفحة الشيخ على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، (٥/ ١٠/ ٢٠١٧).

ولا يعني ذلك: جعل الجميع في مستوى واحد، وعدم إنكار ما هو بيّن، فجماهير المسلمين يلعنون الظّالمين بالعموم، ويلعنون قتلة الحسين والرّاضين بقتله بالخصوص، ولكنّهم لا يلعنون معيّنًا باسمه؛ لا من قتلة الحسين، ولا من قتلة عثمان، ولا من قتلة عبد الله بن الزبير.

إنّ قاتلي الحسين قد أفضوا إلى ما قدّموا، فلماذا تُفرّق الأمّة بلعن الأبرياء من الصّحابة والخلفاء؟! ولماذا تؤجّج الضّغائن والأحقاد على أمّة الإسلام وعلى تاريخها؟[1]

(١) سلطان بركاني، المرجع السابق.

حين يكون الغِناءُ سلاحاً للفرق المنحرفة

حمير الحوري- كاتب يمني

خاص بـ «الراصد».

يلحظ كل متابع وجود خاصية مشتركة فاقعة اللون وشديدة الحضور بين معظم الفرق المنحرفة، وهي: كثرة اعتنائها بالإنشاد والغناء واستغلاله في ترويج باطلها، بل أصبح لتلك الفرق رموز غنائية وإنشادية تضاهي من حيث الشهرة والتأثير -أحيانًا- الرموز العلمية والمشيخية لتلك الطوائف!

ومع تعدد الفرق والطوائف المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة؛ فإن كل فرقة تسعى لترويج ما تعتقده وتؤمن به بطبيعة الحال، ولكل فرقة منها أساليبها وطرائقها الخاصة في تثبيت أتباعها، أو ضم أتباع جدد، وتوسيع دائرة جماهيرها، ومن الطرائق التي تلجأ إليها كثيرًا من تلك الفرق: الغناء والإنشاد.

وبعكس اهتمام الفرق المخالفة بالغناء والنشيد؛ نجد اهتمام أهل السنة بالقرآن تلاوةً ودراسةً وحفظًا، ولا عجب أن يكون مشاهير قراء القرآن والمبرزين فيه من أهل السنة؛ فهم يتذاكرون الآثار الواردة في ذلك، ويحببون لأبنائهم ترتيله وتحسين الصوت بقراءته؛ مستندين لما ثبت عن النبي ﷺ في ذلك؛ كما في حديث: «زينوا القرآن بأصواتكم»، و«ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن»، و«لقد أوتي هذا مزمارًا من مزامير آل داود»، يعني: أبا موسى، فقال أبو موسى: لو كنتُ أعلم أنك كنتَ تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيرًا!

والغناء المنسوب للدين يُعرف عند السلف بالسماع، ولهم

كلام واسع في تحريمه والنهي عنه، وحكى الإجماع على تحريمها القرطبي وأبو الطيب الطبري وابن الصلاح وابن القيم وابن رجب الحنبلي وابن حجر الهيثمي وابن تيمية.

غير أن اهتمام تلك الفرق بالغناء له أسبابه، فنظرًا للضعف العلمي والأصولي الملازم لما تقوم عليه تلك الفرق من عقائد ومفاهيم باطلة؛ اتجهت لتعويض ذلك في الاعتناء بالغناء والنشيد في نشر أفكارها وعقائدها وتضليل أتباعها؛ فقد أدركت تلك الطوائف أن للنشيد والغناء تأثيرًا واضحًا على السلوك والتوجهات.

وهذه الحقيقة ثابتة قديمًا وحديثًا؛ «فعند سماع الإنسان لنغمات الموسيقى تحدث بعض التغيرات الكيميائية؛ والتي يمتد تأثيرها إلى جميع حواس الإنسان، بما فيها التفكير والتنفس والعاطفة، والسبب في ذلك أنه عندما يسمع شخص الموسيقى فإنها تُحفز المخ على إفراز مادة (الإندروفين) التي تقلل من إحساس الإنسان بالألم؛ فيثار المستمع، وينتشي بها، فتغلق منافذ الإدراك لديه، ولا تراه إلا منشغلًا بها كالمسكر!»[1].

ومما زاد من اعتناء تلك الفرق بالغناء إدراكها بأن الغناء والنشيد يعدان من الأمور المحببة لكثير من النفوس، وهما مادة مرغوبة عند عدد غير قليل من الناس؛ إذ تشغل الكثير من اهتمامهم وأوقاتهم.

ولكي تصل الفِرق المخالفة لمعظم فئات المجتمع؛ خاصة النساء والشباب كشريحة يسهل التأثير عليها من الناحية الفكرية؛ اعتمدت تلك الفرق على نقل مفاهيمها وعقائدها لتلك الفئات من خلال الغناء والنشيد، فقصيدة الصوفي ابن الفارض «عذب بما شئت» التي لُحنت؛ بلغ عدد مشاهديها على اليوتيوب أكثر من (٣ ملايين) مشاهدة! وهو ما يعكس مدى خطورة الغناء والنشيد من ناحية عدد المهتمين به، وسعة جمهوره، وحجم المتأثرين به.

◙ الغناء الصوفي:

الغناء والموسيقى الصوفية يعدها أتباع الطرق الصوفية موسيقى تعبدية روحية! وهي مستوحاة من أعمال شعراء الصوفية أمثال: جلال الدين الرومي، وحافظ الشيرازي، وبلهي شاه، وأمير خسرو، وخواجا غلام، وتعد تركيا أول دولة اهتمت بفن الصوفية إبان حكم الدولة العثمانية[2].

وتعد الطريقة المولوية التي أسسها الأفغاني جلال الدين الرومي (ت ٦٧٢هـ)، الشكل الأكثر شهرة في الموسيقى الصوفية عند المتصوفة من العرب، في حين يمثل القوالي التي أسسها الهندي أمير خسرو في القرن الـ (١٤) الطريقة الأكثر شيوعًا في الثقافة الصوفية لدى المتصوفة في جنوب آسيا، وتعد دول إندونيسيا وأفغانستان وصولًا للمغرب مراكز أساسية للموسيقى الصوفية وامتدادًا لممارساته، كما تعتبر موسيقى «غناوة» في غرب أفريقيا شكلًا آخر من الصوفية[3].

ومما أسهم في انتشار الغناء الصوفي -أيضًا- غناء الأشعار الصوفية من قبل بعض مشاهير المغنين؛ فأغنية قصيدة الحلاج «إذا أهجرت» بلغ عدد مشاهديها على يوتيوب أكثر من مليونين ونصف مليون مشاهدة!

---

(١) (تأثير الغناء على التوجهات والسلوك) مقال لمحمد الغنيمي، منشور على الشبكة العنكبوتية.

(٢) «الصوفية.. أصل حكاية الموسيقى العربية»، لمحمد عبد الكريم.

(٣) الموسيقى الصوفية، (ويكيبيديا).

وأصبح للغناء الصوفي فرقه ومدارسه، ومن الفرق الغنائية الصوفية المعاصرة: «فرقة ابن عربي»، واسم الفرقة جاء تيمنًا بالشيخ محيي الدين ابن عربي، ناشرة لأفكاره وأشعاره، ونقلت هذه الفرقة ملامح التصوف في الأندلس؛ من خلال إحياء الموسيقى الصوفية التي كانت معروفة هناك، ومن خلال استخدام أشعار كبار المتصوفين الأندلسيين والمغاربة والمشارقة.

هذا الحضور الغنائي الصوفي وارتباطه في كثير من الأحيان بالفلكلور والتراث الشعبي جعل كثيرًا من أفكار وعقائد التصوف الباطلة تتسم بالتأثير العميق في وسط المجتمعات المسلمة، دون وعي من تلك المجتمعات، ونتيجة لأن كثيرًا من المتابعين لتلك الأغاني والأناشيد يدفعهم للتأثر بها العاطفة الدينية دون إدراك منهم لما تتضمنه من انحرافات ومفاهيم خاطئة.

- **الرواديد الشيعة:**

بالنسبة للإنشاد الشيعي؛ فقد ازدهر خلال العقود الأخيرة، وأصبح له مدارسه ورموزه، ويمكن أن نشير هنا إلى حجم الحضور الذي يحققه ما يعرف «بروايد الشيعة»؛ والذي تخطى كثير منهم المراجع الشيعية من حيث الجماهيرية والحضور؛ فقد بلغ عدد مشاهدي قصيدة «براءة العشق» للرادود حسين الكربلائي قرابة (٥٠ مليون) مشاهدة! وأداؤه لقصيدة «بنات النبي ﷺ» على اليوتيوب حققت قرابة (٣٣ مليون) مشاهدة، وكثير من أغاني الشيعة وأناشيدهم تحظى بمشاهدات عالية جدًّا على الشبكة العنكبوتية، وليست مقتصرة هذه الأعداد على الرادود حسين الكربلائي فحسب، فالرادود الشيعي حسين فيصل حظيت أنشودته «جنوني» بـ (٢٨ مليون) مشاهدة على اليوتيوب.

ولم يكتفِ الغناء الشيعي بالأناشيد الموجهة للكبار فقط، بل حظيت المرأة والطفل والشاب باهتمام الغناء الشيعي؛ فالطفل الرادود «مسلم الكعبي» و«عمار الحلواجي» تتخطى بعض أناشيدهما حاجز (٨ ملايين) مشاهدة على يوتيوب.

كل تلك الأناشيد وذلك الغناء الشيعي يقدم كثيرًا من عقائد وأصول التشيع الإمامي؛ بقالب فني وبكائي مثير! ولا تكاد تخلو لطمية أو حسينية أو مناسبة شيعية من حضور الرواديد ونشيدهم، وكلها ترسخ العقائد الباطنية والتفسيرات التاريخية الباطلة المليئة بالحقد على صحابة النبي ﷺ، والغلو في آل بيته الكرام.

كما وظفت الجماعات الشيعية الغناء والإنشاد أيما توظيف في قضاياها السياسية، والترويج لتنظيماتها المتطرفة! فحزب الله الشيعي اللبناني له فرقه الغنائية والإنشادية التي تمد أتباعه بالحماس والانتصارات الوهمية، وكلنا نذكر مشهد الرئيس الإيراني أحمدي نجاد وعيناه تسيلان بالدمع تأثرًا بأداء إحدى فرق الإنشاد التابعة لحزب الله أثناء زيارته إلى لبنان.

وفي ما يشبه التحالف الغنائي المسيحي الشيعي! غنت المطربة المسيحية «جوليا بطرس» أغنيتها الداعمة لحزب الله والجيش السوري: «أطلق نيرانك لا ترحم»، كما أصدرت أغنية خاصة لقوات الحشد الشيعي العراقي؛ والتي كانت باسم «أحبائي»!

لقد استطاع الإنشاد الشيعي تقديم كثيرٍ من عقائد الإمامية الباطلة في قالب فنيٍ يسهل ترديده وحفظه، كما غذت الفرق الإنشادية الإمامية وسائل الإعلام الشيعية بمواد غنائية وإنشادية كثيفة، أسهمت في إحياء التراث الشيعي وازدهاره، وهو تراث باطني مليء بالانحرافات والعقائد الباطلة.

■ **الزوامل الحوثية :**

«**شاب في العشرينات، ينضح بالحيوية والشباب والجهل أيضًا!** يشاهد ويستمع لزوامل وأناشيد حماسية وتحريضية، وضعت في سياقات تدعو للأنفة ورفض الضيم والظلم والعدوان؛ كما يراد لها أن تعرض، واستجابة منه لتلك الإيحاءات والمعاني العاطفية والنفسية التي تحتشد في مضمون تلك الزوامل والأهازيج، ودون إدراك لأبعاد الصراع وسياقاته السياسية والمذهبية؛ يلقي ذلك الشاب بنفسه في جبهات القتال تأثرًا بزامل ونشيد صاغته جماعة سلالية متحالفة مع نظام فاسد وعميلة لدولة صفوية حاقدة!».

هذا المشهد ليس مقدمة إنشائية لا أساس لها من الصحة، بل إن الواقع يصدقها ويؤكدها، فكثير ممّن التحق بجماعة الحوثي كان دافعهم لذلك ما يسمعونه ويشاهدونه من تلك الزوامل والأناشيد التحريضية، المتلئة بكل صور التزييف والخداع الإعلامي والنفسي، ولعل هذا ما يفسر وجود عدد غير قليل من الأطفال والشباب ومن هم في سن المراهقة في صفوف هذه الجماعة العنصرية.

وقد تتبعتُ جُملة من تلك الزوامل والأناشيد التي تنتجها آلة الإعلام الحوثي ودائرة التوجيه المعنوي في الجماعة، وخرجتُ بمجموعة من السمات والصفات التي تتصف بها هذه الزوامل والأناشيد؛ سواء كانت مسموعة أو مرئية، ألخصها فيما يلي:

■ **زوامل تعتمد على إبراز صفات الرجل العربي، والاعتزاز بالانتماء الوطني؛** بحيث يتم وضع هذا المعنى في السياق الكلي للزامل والنشيد، الهادف لقصر هذا المعنى على (أنصار الله) دون غيرهم!

■ **ربط صفة الجهاد والاستشهاد وتعزيز الصورة الذهنية في عقلية المستمع حول ذلك؛** بحرب الجماعة لمخالفيها، وتقديم من قُتل منهم على أنهم (رجال الله) وأولياء الإمام علي رضي الله عنه.

■ **كثافة الإنتاج لتلك الزوامل والتكرار لمعانٍ محددة وصور مقصودة فيها وبشكل مكثف،** وما ينتج عن ذلك من أثر يدفع المستمع دفعًا للتأثر وتصديق ما يرد على ذهنه منها مع مرور الوقت.

■ **أداء فني وتصوير موسيقي وبصري عالي الدقة،** يحفز النفس ويلعب على وتر العاطفة، ويغيّب المنطق عبر جذب الانتباه وإثارة الاهتمام، ولهذا نجد الكثير من مخالفي الجماعة والرافضين لها يستمعون لتلك الزوامل لمجرد الاستمتاع والترويح عن النفس!

■ **لغة التحريض والعنصرية والتضليل فيها صفة مشتركة وسِمة بارزة،** وهذا يعكس طريقة تفكير الجماعة وسلوكها العنصري، ونظرتها الاستعلائية للمخالف!

■ **ترميز قيادات الجماعة وتقديمهم في سياق بطولي،** وما يحدثه ذلك في ذهن المتلقي العادي من معاني الاحترام والتقدير لها!

■ **ربط مشاهد التدريب والقتال، وعرض صور تضخيمية وخادعة** عن قدرات الجماعة القتالية أثناء بث تلك الزوامل، وما ينتج عنه من أثر سمعي وبصري على المشاهد العادي!

■ **استغلال كل المناسبات الدينية والوطنية وصياغة الأناشيد والزوامل فيها،** ونشرها وبشكل مكثف عبر مختلف وسائل الإعلام.

قد لا يدرك الكثيرون خطورة هذه الزوامل والأناشيد، ويعتبرونها مجرد أداء عاطفي خادع، غير أن الحقيقة الاجتماعية

تقول: إن الجماهير والمجتمعات عاطفية بطبيعتها، وأنها تتأثر بما يلقى عليها؛ حتى وإن كان عاطفيًّا وغير منطقي! وإن أجيالًا من الشباب وفئات من العوام سينشؤون على سماع هذه الزوامل ومعانيها، وقد يعتنقون مع مرور الوقت ما يرد على أذهانهم من معتقدات ومعان تضمنتها تلك الزوامل والأناشيد.

توظيف الغناء اليوم في حرب الأفكار:

لما للغناء والنشيد من شعبية وقبول بين الجماهير فقد اعتنت الفرق بذلك عناية بالغة منذ القدم، ولكن الجديد في عصرنا هو: ما يحظى به هذا الغناء والنشيد في كثير من الأحيان بدعم ورعاية دولية، واهتمام من الحكومات المحلية، لنشر مفاهيم تلك الفرق وعقائدها الباطلة بين الجمهور من خلال الغناء والنشيد!

ولا أدلّ على ذلك من مهرجان الموسيقى والغناء الصوفي الدولي والتراثي؛ الذي أقيم في الأردن، وهو يختص بالغناء والموسيقى الصوفية، وشاركت فيه فرق أردنية وعربية وإسلامية وغربية، وقد تم افتتاح الدورة الأولى منه عام (٢٠٠٨) في عمّان، في المركز الثقافي الملكي، بتنظيم من المنتدى الأردني للموسيقى، بالتعاون مع وزارة الثقافة الأردنية وأمانة عمان الكبرى.

وأيضًا مهرجان «سماع» الدولي للإنشاد الصوفي؛ الذي يعقد بمصر، وبرعاية حكومية، وقد أتم المهرجان دورته العاشرة هذا العام.

التنبه لهذا المنحى الجديد يدعو أهل الحق لبذل مزيد من الجهود في بيان العقائد والمفاهيم الإسلامية الصحيحة، وتنويع أساليبهم وطرائقهم في خطاب المخالفين وأتباعهم على حد سواء، وأن يولوا النشيد -وفق الضوابط الشرعية- مزيد اهتمام ورعاية؛ لما له من تأثير محلي وعالمي واسع.

الشيعة العرب
والولاء التائه بين الأوطان وإيران

أسامة الهتيمي - كاتب مصري

خاص بـ «الراصد».

على الرغم من أن الشيعة وطيلة تاريخ الدول الإسلامية أثاروا القلاقل والتوترات لهذه الدول؛ إلا أن هذه الدول الإسلامية المتعاقبة تحسم الموقف دائمًا وتنتصر، فالسنة هم التيار الغالب في الأمة.

ومنذ أن قامت الدولة الصفوية الشيعية (١٥٠١-١٧٤٠م) -والتي تزامن وجودها تاريخيا مع الدولة العثمانية- فكانت محطة خطيرة ومهمة للغاية في تحول العلاقة بين السنة والشيعة؛ ذلك أن إسماعيل الصفوي (١٥٠١-١٥٢٤) أجبر أهل إيران السنة على اعتناق المذهب الشيعي؛ فقتل منهم نحو مليون شخص خلال عملية التشييع الإجباري.

ومن ثم اندلعت حروب طاحنة بين الصفويين والعثمانيين، وسعى الصفويون إلى انتزاع العراق وبذل كل الجهد للتوسع على حساب الحدود العثمانية، الأمر الذي كان سببًا رئيسًا في وقف الفتوحات الإسلامية في أوربا آنذاك؛ حيث اضطر السلطان العثماني إلى العودة لتأمين حدود دولته وترك الفتوحات.

كذلك فقد عملت الدولة الصفوية على التواصل مع الشيعة في العراق، والعمل على استقطابهم واستمالتهم، وقد نجحت في ذلك إلى حد ما، وهو النهج الذي سارت عليه الدول التي أعقبت الصفويين؛ كالدولة الأفشارية (١٧٣٦-١٧٩٦م)، ثم الدولة القاجارية (١٧٩٤-١٩٢٥م)، ثم الدولة البهلوية (١٩٢٥-١٩٧٩م)، ثم دولة الملالي المعاصرة.

وكان لسلوك بعض الشيعة المقيمين على أرض العراق؛ والذين كان منهم من ينتمي للعرق العربي، ومنهم من ينتمي

لأعراق أخرى أبرزها: العرق الفارسي؛ أثر سلبي في توتر العلاقة بين كل من السنة والشيعة في العراق، وكانت تقف خلفه الكثير من الأسباب السياسية المتعلقة بالنزاع بين العثمانيين والدول الشيعية المتعاقبة في أرض فارس؛ فضلًا عمّا حفظته الذاكرة العراقية من المآسي والمذابح التي شهدها أهل السنة على يد الصفويين؛ إذ تروي المصادر أنه لما دخل الصفويون بغداد عام (١٥٠٨م) قاموا بهدم ما كان فيها من قبورِ أئمة أهل السنة، وذبح جماعة من علمائهم، وأعلن إسماعيل الصفوي سب الخلفاء، وقتل الكثير من أهل السنة، ونبش قبر أبي حنيفة.

وهو ما كان في نهاية الأمر دافعًا قويًّا لأن يتم الطعن في عروبة شيعة العراق وولائهم؛ خاصة وأن بعضهم كان لا يعد نفسه جزءًا من الدولة، وسلك سلوكًا مشينًا ضدها.

لكن تسامح العثمانيين وعدم طائفيتهم هو ما كان عاملًا مهمًا في بقاء شيعة العراق حتى اليوم؛ والذين ينتشرون في كل أنحاء العراق، وينتمون إلى كل الأعراق، بل إن القبائل ينتسب بعضها إلى أهل السنة فيما بعضها الآخر ينتسب إلى الشيعة، وهو ما يؤكد عدم صحة الروايات الطاعنة في العثمانيين؛ والتي تزعم قيام مجازر بحق الشيعة العراقيين.

ثورة (٧٩)، والتحول المصيري:

إن كنا تحدثنا في السطور السابقة عن أن الدولة الصفوية مثلت محطة خطيرة ومهمة في تاريخ العلاقة بين السنة والشيعة؛ فإنه ليس من المبالغة في شيء القول بأن ثورة الخميني عام (١٩٧٩) كانت تحولًا مصيريًّا في هذه العلاقة؛ فقد اعتمد الرجل نظرية فقهية جديدة هي: نظرية «ولاية الفقيه»؛ التي تعد انقلابًا على الفكر الشيعي التقليدي؛ إذ «يغلب على الفقه الشيعي الاثنى عشري التقليدي الطابع الفردي، ولم تكن مسألة الحكم والدولة من المسائل الخاضعة للبحث إلا بقدر ارتباطها بالفرد، مما يتطلب ملاحقة عدد من الجزئيات المتناثرة في مسائل فقهية وعقائدية في عصور سياسية متعددة، كلها تشير بوضوح تام إلى أن الفقه والفقيه الشيعي (بوظيفته الأصلية) لم يكن واردًا أن يقوما بالتنظير أو التعاطي مع السلطة الزمنية إلا بوصفها موقعًا مقابلًا منفصلًا تمامًا؛ قد يمكن التعامل معه إيجاباً أو سلباً»[١].

وفي هذا الإطار؛ فإنه من الراسخ لدى الشيعة انتظار عودة الإمام الغائب محمد بن الحسن العسكري؛ الذي -وبحسب الروايات الشيعية- ولد عام (٢٥٥هـ)، غير أن والده أخفاه عام (٢٦٠هـ) خوفًا عليه، فكانت غيبته الصغرى التي امتدت لمدة (٧٥) سنة كان يتصل خلالها بشيعته من خلال أربعة سفراء، ثم غاب غيبة كبرى عام (٣٢٩هـ)[٢].

غير أن المدة طالت ولم يعد الإمام الغائب! وهو ما أدى في نهاية الأمر إلى أن يقوم بعض الفقهاء الشيعة بتقديم نظريات جديدة تحل هذه الإشكالية، والتي تبلورت في «ولاية الفقيه»؛ التي التقطها الخميني وطورها لتكون سنده في إقامة دولته الجديدة.

في كتابه «الحكومة الإسلامية» يقول الخميني: «لو قام الشخص الحائز لهاتين الخصلتين (العلم بالقانون والعدالة) بتأسيس الحكومة تثبت له نفس الولاية التي كانت ثابتة للرسول الأكرم (ص)، ويجب على جميع الناس إطاعته.

فتوهُّم أن صلاحيات النبي (ص) في الحكم كانت أكثر من صلاحيات أمير المؤمنين (ع)، وصلاحيات أمير المؤمنين (ع) أكثر من صلاحيات الفقيه؛ هو توهم خاطئ وباطل»!

---

(١) (نظرية ولاية الفقيه وتداعياتها في الفكر السياسي الإيراني المعاصر)، شفيق شقير، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/b٨٩d٢٨٣١-٢b٤٦-٤٦٢f-٩b٥c-٧٧٦d١b٠edd٨٠

(٢) الأئمة الاثنا عشر، (ويكيبيديا)، على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%A٣%D٨%A٦%D٩%٨٥%D٨%A٩_%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%A٧%D٨%AB%D٩%٨٦%D٨%A٧_%D٨%B٩%D٨%B٤%D٨%B١

وقد تمكن الخميني عبر طرح هذه النظرية من أن يحظى بالدعم والتأييد ليكون في صدارة المشهد السياسي والديني في إيران؛ لتصبح له كل الصلاحيات المطلقة، وتكون سلطته فوق كل سلطة، غير أنه لم يكتفِ بذلك، فالهدف الذي يسعى له أكبر من هذا بكثير! فبدأ يعمل على توسيع نفوذه تحت ستار مبدأ جديد أسماه: «تصدير الثورة»؛ الذي كان معناه الظاهري: العمل من أجل قيام ثورات مشابهة للثورة في إيران في جميع الدول ذات النظم الاستبدادية، غير أن حقيقته التي تكشفت يومًا بعد يوم هي: حشد الروح الطائفية لكل شيعة الدنيا خلف قيادة الثورة المزعومة من أجل دعم إيران في مشروعها الجديد.

وبالطبع فإن هلامية الشعارات التي رفعها الخميني وثورته؛ فضلًا عن جاذبيتها في ذات الوقت؛ كانت أحد أهم العوامل الرئيسة التي ساعدته ورجاله على النفاذ إلى الكثير من أبناء الأمة العربية والإسلامية، وليس الشيعة فحسب، وهو ما مكّنه من كسب شعبية واسعة؛ حيث رأت فيه الجماهير المخلّص للأمة مما تعانيه، فاتسعت رقعة التشيع السياسي إلى حد دفع إيران وثورتها إلى أن تخطو الخطوة التالية للعمل على تحقيق أهدافها الخاصة، وهو ما كان بمثابة بدء عملية التعري لها، والتي تنبه إليها البعض فيما بقي البعض على حالة استغفاله!

وكأن إيران أدركت أن لحظة الصدام قادمة لا محالة، ومن ثم فقد قدّمت نفسها للشيعة العرب وغيرهم باعتبارها قبلتهم والمدافع عنهم، والقوة التي ستستعيد حقوقهم المسلوبة وترفع عنهم المظلومية التي عاشوها لقرون، فمزجت خطابها السياسي بخطاب عقدي إلى الدرجة التي يصعب فيها على الكثيرين أن يميزوا بينهما، فيكون المتلقي أسيرًا لكل ما تقوله إيران وتدعو إليه؛ حتى لو كان متجاوزًا للمنطق والعقل بل وللنص الديني أيضًا!

إشكالية الولاء والانتماء:

في تصريحات إعلامية عام (٢٠٠٦) قال الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك في سياق حديثه عن الدول العربية المجاورة للعراق: «فيه شيعة في كل الدول دي بنسب كبيرة جدًّا، والشيعة ولاؤهم لإيران.. أغلبهم ولاؤهم لإيران.. ولاؤهم مش لدولهم المعنية»[1]، وهي التصريحات التي أثارت ضجة كبيرة وردود فعل عاصفة؛ سواء في العراق أو لدى بعض القيادات الشيعية في بقية البلدان، الأمر الذي دفع المتحدث الرسمي باسم رئاسة الجمهورية المصرية إلى أن يصرح بأن ما تضمنه حديث مبارك حول العراق إنما يعكس قلقه البالغ من استمرار تدهور الوضع الراهن، وحرصه على وحدة العراق وشعبه، بل ودفع مبارك نفسه إلى أن تصريحاته لا تحمل أي إساءة أو تشكيك في ولاء الشيعة العراقيين.

وبالطبع لاعتبارات سياسية فقد تم تمرير هذه التصريحات؛ خاصة وأن الدبلوماسية المصرية لعبت دورًا كبيرًا في احتواء تداعياتها، ومن ثم فلم يتم التوقف عندها كثيرًا؛ رغم أن كلمات مبارك لامست في واقع الأمر جرحًا عميقًا يستشعر خطورته الكثيرون من المعنيين والقريبين من ملف الدور الإيراني في المنطقة.

فالكلمات التي نطقها لسان مبارك لم تكن اعتباطية، وإنما كانت انعكاسًا لحالة راهنة يعيشها الكثير من الشيعة العرب، ليس في العراق فحسب بل في كل الدول التي بها شيعة؛ حيث تتضافر الشواهد والدلائل على ذلك.

وقد سبق مبارك ملك الأردن عبد الله الثاني في نهاية عام (٢٠٠٤) بالتحذير من تكوّن هلال شيعي يضم إيران والعراق

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=sJVfEgp٧_yg

وسوريا ولبنان[1]، وهو ما يتجسد واقعاً على الأرض اليوم.

وحتى لا يقال: إن مبارك وملك الأردن -ولانتسابهما للسنة- ربما كانا غير موضوعيين فيما قالا؛ فإننا يمكن أن نورد كلمات لشخصية شيعية لبنانية هو: السياسي محمد علي الحسيني -أمين عام المجلس الإسلامي العربي-؛ الذي قال: «إن النظام الإيراني يسعى لـ (تضليل الشيعة العرب) عبر نظام ولاية الفقيه، فهو نظام ابتدعته إيران بغرض سياسي»، مفرقًا ما بين الشيعة العرب وشيعة طهران، مؤكدًا أن الشيعة العرب يتعرضون اليوم لأوسع حملة تضليل واستغلال في تاريخهم من قبل نظام ولاية الفقيه الإيراني.

واتهم الحسيني طهران بأنها تحاول عبر فكرة ولاية الفقيه: «الترويج لمعتقدات غريبة عن التراث والفكر الشيعيين، واعتبار (النظام الإيراني) نفسه وليًّا على هؤلاء الشيعة»، مضيفًا أنه أوضح في أطروحته التي تحمل عنوان: (ولاية الفقيه) بأن هذه النظرية ليست من صلب العقيدة الشيعية، وأنها ليست سوى مسألة سياسية تزعم الارتكاز إلى الدين!

وأضاف: «ولاية الفقيه ليست من صلب العقيدة الشيعية، إنها مسألة سياسية إيرانية، وللتوضيح أكثر نقول: إن رفض الشيعي لنظرية ولاية الفقيه لا يخرجه من الطائفة، وأن ما ينزع عنه صفة الشيعي هو: نكران ما ورد في صلب العقيدة الشيعية».

ومؤكدًا أنه نال مبايعة من الشيعة العرب لدوره السياسي قائلاً: «تصدينا بحزم لإدعاءات ولاية الفقيه، وعملنا على تنوير الشيعة على مخاطرها التي قد تودي بهم للانخراط في مخطط التمدد الاستعماري للنظام الإيراني الحالي، ونتيجة لطروحاتنا وعملنا الدؤوب مع أبناء الطائفة الشيعية في الدول العربية جاءت مبايعتنا كمرجعية سياسية لهم»[2].

كذلك؛ وفي مقال خطير كتبه القيادي التونسي راشد الغنوشي -الذي تربطه علاقة جيدة بإيران- وعنوانه: (العلاقة بين الشيعة العرب وإيران) يقول: «فمن ناحية النظرية المؤسسة للدولة؛ فليس للشيعة العرب موقف واحد من المبدأ الذي تقوم عليه جمهورية؛ إيران مبدأ ولاية الفقيه، فمنهم من يؤمن به، ومنهم من يرفضه ويقابله بولاية الأمة على نفسها، وهو ما نادى به صديقنا المرحوم العلامة مهدي شمس الدين وطوره الرئيس خاتمي؛ إذ نادى بالديمقراطية الإسلامية بما يفسح المجال أمام أتباع المذهب للاندماج في أوطانهم وتمحيص الولاء لها، ولا يجعلهم ملزمين دينيًّا بقيادة الولي الفقيه صاحب السلطة العليا في (الجمهورية الإسلامية). فهم لم يختاروه، وإنما كان اختياره وفقًا لدستور دولة قومية، فلا يحمل إلزامًا لغير مواطنيها على اختلاف دياناتهم، وهو ما يحصر العلاقة في المجال الديني، بمعنى: مرجعية الفتوى داخل المذهب، وهي ليست مرجعية واحدة بل متعددة»[3].

مما يؤكد وجود مزج بين الولاء الديني والولاء السياسي للشيعة العرب، ومن ثم يكون الولاء «للولي الفقيه» الذي يقيم في إيران هو ولاء للدولة الإيرانية!

ولقد اعترف الباحثون الإيرانيون بولاء الشيعة لإيران، فالباحث حامد رضا داغاني -مدير «مركز الخليج والشرق الأوسط»، التابع لوزارة الخارجية الإيرانية- يعتبر أن: «قوة إيران الناعمة» في العراق، أي: علاقاتها الوثيقة مع الشيعة في العراق مثل: المرجع السيستاني ورجال الدين الشيعة العراقيين الذين

---

(١) http://ar.ammannet.net/news/١٢٨٢

(٢) http://edition.cnn.com/arabic/٢٠١٠/middle_east/٥/٣/housaini.iran/index.html

(٣) رابط المقال: http://cutt.us/i٦٣oj

درسوا في قُم؛ كان أكبر عامل في تحقيق إيران مطامعها في العراق والمنطقة.

فيما تقدّم دراسة الإيراني «كيهان بارزيجا» -الباحث في مركز البحوث الإستراتيجية بطهران- تصوّراً واضحاً لدور العامل الشيعي في السياسة الخارجية الإيرانية؛ والتي تهدف لـ:

«■ **خلق جيل جديد من النخب العراقية الصديقة لإيران،** ليس لديها أي خلفيات أو مشاعر عدائية تجاه إيران، أي: نخب عراقية موالية بالكامل لإيران.

■ **إقامة تحالف إيراني عراقي** يكون محوراً ومنطلقًا لتشكيل ترتيبات سياسية وأمنية جديدة في منطقة الخليج»[1].

وبالطبع؛ فإن حديث البعض عن أن اتباع مرجع ديني معين لا يعني: أن هناك ارتباطًا سياسيًّا بالمرجع، كلام لا معنى له؛ خاصة وأنه من المعلوم أن أتباع نظرية ولاية الفقيه المطلقة تشمل الدين والدنيا والسياسة؛ كما هو الحال بالنسبة للخميني في السابق والخامنئي الآن؛ يرون أنه «لولي أمر المسلمين ولاية على مقلديه خارج الحدود؛ بحيث لو أصدر حكما فعليهم اتباعه».

كذلك؛ فإن اعتبار البعض أن التقليد للمرجعية الإيرانية لا يعني: أن المقلدين أصبحوا إيرانيين بالولاء؛ انطلاقًا من أن عالم الأفكار عالم واسع وفيه قابلية للانتقال والتأثير عبر البلدان والجماعات، وبالقياس على أن الذين تبنوا -مثلًا- أفكار المودودي في مصر لم يصبحوا باكستانيين، وأن الذين تبنوا الفكر الوهابي في الهند وباكستان وغيرهما لم يصيروا سعوديين، أو أن الذين يرجعون للأزهر في إندونيسيا وماليزيا أضحوا مصريين بالولاء، هو قول وقياس غير صحيح أيضًا، فمرجعية هؤلاء إن كانت فهي مختلفة تمامًا؛ فهي:

أولًا: ليست مرجعية مطلقة أو أحادية حتى فيما يخص الجوانب العقدية والتعبدية.

وثانيًا: أنها لا تمس الشأن السياسي بتفاصيله؛ فلا يستطيع الأزهر -مثلًا- أن يصدر توجيهًا سياسيًّا لمقلديه بشأن يتعلق بأمور بلادهم الداخلية.

وثمة نقطة أخرى تتعلق بهذه القضية؛ ذلك أن نظرية ولاية الفقيه واعتبار الخميني الولي الفقيه الذي ينوب عن الإمام الغائب: تجاوز حقيقي لما للمذهب الشيعي الذي يؤكد على أن الإمام يجب أن يكون عربيًّا من قريش، فيما أن الرجل غير عربي، وبالطبع ليس من قريش، بل إنه كثيرًا ما كان يقلل من شأن العرب اتساقًا مع الثقافة الإيرانية السائدة تجاه العرب، وتلك النظرة الدونية لهم؛ ففي كتابه «الوصية السياسية الإلهية» يقول: «أنا أزعم بجرأة أن الشعب الإيراني بجماهيره المليونية في العصر الراهن أفضل من أهل الحجاز في عصر الرسول -صلى الله عليه وآله-، ومِن شعب الكوفة والعراق المعاصرين لأمير المؤمنين والحسين بن علي (عليهما السلام)».

نماذج من الواقع:

مما يثير الدهشة أن يحاول البعض أن يؤكد على ولاء الشيعة لأوطانهم، وينتقد بشدة أي حديث عن غياب الولاء أو ازدواجيته، متذرعًا بسببين:

أولهما: أن هذا الحديث ليس مفيدًا على المستوى السياسي؛ فاتهام الشيعة العرب بذلك يصبّ في صالح إيران، ويوثق العلاقة بينها وبين هؤلاء الشيعة، ومن ثم فإن الأولى أن يمنح هؤلاء الثقة فيهم، والتأكيد على أنهم جزء من الأوطان العربية.

---

(١) (ولاء الشيعة لمن؟، حقائق مغمورة وأوهام منثورة!)، عبد العزيز بن صالح المحمود، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٣٣٩٧

وهو مبرر منطقي في ظاهره، غير أن هؤلاء يتجاهلون أن الإشكالية الكبرى تتعلق بأن الاعتقاد في الولي الفقيه يقودهم بأن يكون هذا الولي الفقيه مرجعية مطلقة في كل شيء، فالاتباع السياسي جزء من الإيمان العقدي، كما يتجاهلون أن الواقع الفعلي ينطق بهذه الحقيقة المريرة.

وثانيهما: أن للشيعة العرب محطات كان لهم دور إيجابي؛ غير أنها كانت قبل ثورة الخميني (١٩٧٩) والتحول المصيري.

وهنا يجدر بنا أن نرصد عددًا من النماذج التي تؤكد على مسألة غياب الولاء الوطني لدى غالبية شيعة الدول العربية؛ إذ يوجد منهم من يختلف مع إيران:

لبنان: يبرز في هذا السياق ما تداولته مؤخرًا العديد من وسائل الإعلام لمقطع فيديو يتضمن قيام أعداد كبيرة من عناصر حزب الله اللبناني وأثناء حضور الأمين العام للحزب حسن نصر الله، العام الجاري بإعلان الولاء التام لمرشد الثورة الإيرانية الحالي علي الخامنئي؛ حيث رددوا: «أقسمنا بالولاء لعلي الخامنئي»، وهو قسم لا يحتاج إلى أي تأويل، إذ لو انحصر الأمر فقط على اعتبار الخامنئي مرجعية دينية لهؤلاء فإن الأمر لم يكن يستدعي على الإطلاق القسم على الولاء، لكن الجميع يدرك المعنى والمغزى لهذا القسم! وهذا الولاء من مليشيا عسكرية، إذ التبعية هنا مطلقة وكاملة[١].

والحقيقة أن الأمر ليس مستغربًا، فنصر الله نفسه وخلال مقطع فيديو -أيضًا- تم تسجيله في الثمانينيات من القرن الميلادي الماضي اعتبر أن الولي الفقيه هو الحاكم الفعلي لكل البلاد الإسلامية، وهي البلاد التي يوجد بها مسلمون أينما كانوا، قائلًا: «بخصوص صلاحية ولاية الفقيه في تعيين الحكام ويعطيهم الشرعية في جميع البلاد الإسلامية؛ فنعم، لأن ولايته ليست محدودة بحدود جغرافية، فولايته ممتدة بامتداد المسلمين».

وأضاف نصر الله: «إن مشروعنا الذي لا خيار لنا أن نتبنى غيره كوننا مؤمنين عقائديين هو: مشروع دولة إسلامية وحكم الإسلام، وأن يكون لبنان ليس جمهورية إسلامية واحدة وإنما جزء من الجمهورية الإسلامية الكبرى؛ التي يحكمها صاحب الزمان ونائبه بالحق: الولي الفقيه الإمام الخميني».

وبعيدًا عن محاولة نصر الله دغدغة المشاعر الإسلامية بالحديث عن الدولة الإسلامية، وأن لبنان جزء منها؛ فإن الملفت للنظر -كما هو واضح- تأكيده على أن الذي يحكم هذه الدولة الإسلامية صاحب الزمان ونائبه؛ الذي هو: مرشد الثورة الإيرانية «الخميني»، وهو ما يعني ببساطة شديدة: اعتبار الخميني نائب الإمام الغائب والمنتظر؛ الذي بالطبع تجب طاعته في كل شيء حتى لو تعلق الأمر بتوجيهات وأوامر خاصة بلبنان؛ التي ووفق تصور نصر الله ليست إلا جزءًا من دولة الخميني.

بل إن نصر الله نفسه لا يترك مجالًا للتأويل؛ فيقول: «هذه العلاقة أيها الأخوة بالنسبة لنا، فأنا واحد من الذين يعملون في مسيرة حزب الله وفي أجهزته العاملة، لا أبقى لحظة واحدة في أجهزته لو لم يكن لدي يقين قاطع بأن هذه الأجهزة تتصل عبر مراتب إلى الولي الفقيه القائد المبرئ لذمة الملزم قراره.. بالنسبة لنا هذا أمر مقطوع ومُطمأن به»[٢].

وهذا الولاء هو السبب الرئيس وراء كل سياسات حزب الله اللبنانية، فلم يعد ثمة شك أنه أحد الأذرع الإيرانية في المنطقة حتى أن الخامنئي قال عنه: «إن حزب الله في لبنان وشباب حزب الله مدعاة فخر للعالم الإسلامي»، وهو ما يعني: أن الحزب ورجاله حظوا بالرضا الكامل من قبل الخامنئي.

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=K-Q-E٠E٣C_U

(٢) https://www.youtube.com/watch?v=K٧USVPyEaMY

وكان من أهم نتائج هذا الولاء: تورط حزب الله في دعم قوات بشار الأسد ومواجهة الثورة السورية؛ على الرغم من الأخبار التي تناقلتها بعض وسائل الإعلام حول أنه لم تكن لدى الحزب في بادئ الأمر الرغبة بالمشاركة في هذا الصراع إلا أن الأوامر العليا جاءت من طهران بضرورة المشاركة! فكان ما أرادت إيران؛ ليكون الحزب -الذي يدعي المقاومة والصمود!- إحدى أدوات إفشال انتزاع الحرية من حاكم سوريا المستبد.

مصر: يعلم الجميع أن عدد المتشيعين فيها قليل للغاية، وأنهم لا يشكلون نسبة تذكر؛ ومع ذلك فإن اتهامات لاحقت هذه الأعداد بأن ولاءها -أيضًا- لإيران، وهي الاتهامات التي كما جاءت على لسان عناصر تنتمي للتيار السلفي وآخرين من السنّة، فإنها -أيضًا- جاءت على لسان متشيعين مصريين ومن بينهم: القيادي الشيعي الشاب المعروف بتشدده وتطرفه في المذهب ضياء محرم؛ الذي اتهم صراحة شيعة مصر بأن ولاء معظمهم لإيران والمرشد الأعلى للثورة الإسلامية أكثر من ولائهم لمصر، ومشيرًا في الوقت ذاته إلى أن الولاء لإيران ليس من شروط التشيع؛ كما يردد البعض[1].

وهو نفس ما أكده ناصر رضوان -مؤسس ائتلاف أحفاد الصحابة وآل البيت؛ الذي قال أن الشيعي في أي دولة يحمل جنسيتها؛ سواء دولة عربية أو غيرها، ليس له ولاء للوطن بل ولاؤه لوليه الفقيه خامنئي في إيران، مدللًا على ذلك بموقف شيعة مصر من التحالف العربي والعمليات العسكرية وعاصفة الحزم التي هاجموها[2].

وتكشف العبارة التي تفلتت على لسان القيادية الشيعية المصرية رانيا العسال عن حقيقة هذا الموقف؛ إذ قالت القيادية المشهورة باسم: «بنت زينب» وفي إطار تعليقها على إغلاق مسجد الحسين بالقاهرة خلال ذكرى كربلاء: «تم الآن غلق ضريح الحسين بالقاهرة، ومنع الصلاة فيه، فما دموا ينكروا أن لا شيعة بمصر فلماذا هم خائفون؟ (طز بالدستور والمواطنة)»[3].

وهي العبارة التي دفعت أحد الباحثين للتعليق عليها والقول بأن هذا الحقد الظاهر ليس مستغربًا؛ لأنه قديم وأزلي تجاه مصر وشعبها عمومًا، منذ نجاح مصر في التصدي للدولة العبيدية المسماة زورًا بالفاطمية، والتي سماها العلامة جلال السيوطي بالدولة العبيدية الخبيثة، فقد نجح الشعب المصري في قهر تلك الدولة وطردها؛ بعد مقاومة هائلة استمرت ثلاثة قرون حتى رحلوا عن مصر.

ومضيفًا أن حقد الشيعة قديم جدًّا؛ حيث نجد أن أكبر وأهم مراجعهم وهو كتاب «الكافي» لعلامتهم الكليني فيه حديث يتداولونه في عقيدتهم ينهى عن شرب ماء النيل في مصر!![4]

البحرين: شكلت ولا زالت قضية الولاء الوطني أزمة سياسية كبيرة لدى شيعة البحرين أو الأغلب، لدرجة أن يصرح أحد قياداتهم بأن: «الشعب البحريني الشيعي مستعد للتضحية تحت أوامر قائد الثورة الإيرانية علي الخامنئي».

وادعى صادق كاظم الجمري -القيادي في ما يسمى: «ائتلاف ثوار ١٤ فبراير»، القريب من جمعية الوفاق الشيعية- لوكالة «فارس» الإيرانية أن: «ثورة إيران أحدثت ثورات عارمة لدى الشعوب الإسلامية؛ بدءًا من تونس ومصر إلى ليبيا واليمن والبحرين».

مؤكدًا أن: «الشعب البحريني يعلن تضامنه مع الشعب الإيراني، وسيقف إلى جانب إخوته الإيرانيين ضد أية مؤامرة ترمي إلى النيل من سيادة إيران»[5].

---

(١) http://cutt.us/d٧usE

(٢) http://www.vetogate.com/١٦٩٤٠٠٦

(٣) http://cutt.us/FMSvF

(٤) http://cutt.us/Z٢qU٦

(٥) http://cutt.us/CQS٩y

وما عبر عنه الجمري هو لسان حال أكثر شيعة البحرين؛ الذين تعود أصول بعضهم إلى إيران، ويطلق عليهم اسم: «العجم»، والذين لا يزال كثير منهم يتحدث حتى اليوم بالفارسية بعد مضي أكثر من قرن على استيطانهم! وعلى الرغم من استعمالهم العربية في الحديث اليومي والمعاملات، وهو ما يعكس مدى تجذر الطائفية لديهم! ولولا حزم السلطات لتكونت مليشيات شيعية عسكرية علنية؛ على غرار لبنان والعراق واليمن، وتجاوزت حالة الخلايا المسلحة التي تقبض عليها السلطات من فترة إلى أخرى.

العراق: الأدلة والشواهد على الولاء لإيران حاضرة لا تخفى على ذي بصر وبصيرة، فأي متابع -ولو بقدر ضئيل- للشأن العراقي يعلم جيدًا حجم التدخل الإيراني في العراق، وكيف أن طهران هي صاحبة القرار الأول والأخير عبر وكلائها من الساسة والعسكريين؛ الذين يهيمنون على الأوضاع فيه منذ الغزو الأمريكي عام (٢٠٠٣)؛ حيث آثر شيعة العراق وبناءً على فتوى موجهة من قبل مرجعية العراق علي السيستاني بعدم مقاتلة الأمريكيين، وهو ما كانت تريده إيران التي كانت تسعى للانتقام ليس فقط من صدام حسين وإنما من العراق كله؛ الذي وقف بالمرصاد أمام مشروع تصدير الثورة، ودخلت العراق في حرب مع إيران من عام (١٩٨٠) وحتى (١٩٨٨)، فيما عرف بحرب الثماني سنوات.

يضاف إلى ذلك؛ فإن الكثير من الأحزاب والمكونات السياسية الشيعية تؤمن بنظرية ولاية الفقيه، ومن هؤلاء: حزب الدعوة -الحزب الرئيسي الحاكم في العراق-؛ الذي أعلن عن تبنيه للنظرية، رغم أنه كان معارضًا لها في السابق؛ إذ أدرك أن ذلك يكفل له الدعم الإيراني، ومن ثم البقاء في الحكم.

ويبقى وبرغم إسقاط العراق وتولي النخبة الشيعية العراقية لمقاليد الأمور السياسية أن إيران لم تأمن لتقلبات الأحوال السياسية، فعملت على تأسيس ما يطلق عليه: «الحشد الشعبي»، والمكون من عشرات الفصائل الشيعية التي يقودها عناصر تربت وترعرعت في إيران من أمثال: هادي العامري وأبو مهدي المهندس؛ لتضمن بذلك فرض سيطرتها وهيمنتها على كل شيء في العراق حتى الجيش العراقي، بعد أن أدرجت الحكومة ميلشيات الحشد الشعبي ضمن القوات النظامية.

اليمن: ليس خافيًا حجم موالاة الحوثيين لإيران؛ رغم أنهم من الشيعة الزيدية الذين يختلفون اختلافاً جذريًّا مع المذهب الاثنى عشري فيما يربطهم مع جيرانهم السنة أكثر مما يفرقهم، وخلافهم مع السنة خلاف فرعي؛ غير أن إيران استطاعت أن تستميلهم وتحولهم -وفق تقارير كثيرة- إلى مذهبها؛ من خلال المنح الدراسية للطلاب الزيديين إلى طهران، وتحويلهم إلى الاثنى عشرية وعلى رأسهم: شيخهم وإمامهم بدر الدين الحوثي، ومكوثه في طهران.

وقد تمكن الحوثيون الذين أسسوا ميلشيات مسلحة من احتلال العاصمة اليمنية صنعاء، والسيطرة على مؤسسات الدولة بالعديد من المناطق، ثم ليكونوا فيما بعد تهديدًا صريحًا للمملكة العربية السعودية من ناحية الجنوب؛ بما يخدم المصالح الإيرانية التي ترى أن المملكة عقبة كئود أمام تحقيقها!

هذه النماذج غيض من فيض! إذ يمكن أن نرصد الكثير من المواقف والتصريحات التي تشير إلى ضبابية مسألة الولاء للأوطان لدى الشيعة في عالمنا العربي وأيضًا الإسلامي؛ غير أنه يكفينا في الختام أن نورد بعض تصريحات الإيرانيين أنفسهم، والتي أشارت إلى هذا؛ فلقد اعتبر -مثلًا- مندوب مدينة طهران في البرلمان الإيراني علي رضا زاكاني -والمقرب من المرشد الإيراني علي خامنئي-: «أن العاصمة اليمنية صنعاء أصبحت العاصمة العربية الرابعة التابعة لإيران؛ بعد كل من بيروت ودمشق وبغداد، مبينًا أن ثورة الحوثيين في اليمن هي امتداد للثورة الخمينية»[1]، وهو التصريح الذي يعني بوضوح لا لبس فيه: أن القائمين على ما أسماه زاكاني بالثورة من أتباع إيران والموالين لها.

---

(١) https://mz-mz.net/٣٦٢٨٢٤/

مفهوم النسوية
-دراسة نقدية في ضوء الإسلام-

عرض: أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

هذا كتاب متميز في موضوعه الذي يتصدر السياسات الداخلية لكثير من الدول اليوم.

ومتميز بلغته السلسة برغم تشعب وتعقد تاريخ ومبادئ النسوية.

والكتاب يبدو أنه أطروحة جامعية، وهو من تأليف: أمل بنت ناصر الخريف، ومن إصدار مركز باحثات لدراسات المرأة بالرياض، وصدرت طبعته الأولى سنة (٢٠١٦)، ويقع في (٢٢٠) صفحة.

الكتاب جاء في خمسة مباحث هي: دلالات مفهوم النسوية، نشأة مفهوم النسوية وتطوره، المصطلحات ذات الصلة، آثار مفهوم النسوية، نقد مفهوم النسوية.

بخصوص دلالات مفهوم النسوية؛ فليس هناك اتفاق على تعريف للنسوية؛ بسبب تطور وتمدد المفهوم وعدم ثباته، وتنوع التيارات التي احتضنت المفهوم وطوّعته لمصلحتها عبر الزمن؛ لكن أغلب التعاريف تدور وتتمحور حول نصرة حقوق المرأة، ومراجعة النظم الاجتماعية السائدة وتعديلها أو إلغائها؛ لرفع الظلم عنها ومساواتها بالرجل.

ومن المهم الوعي بتباين مفهوم النسوية بين التيارين الليبرالي والماركسي، فعند الليبراليين تعني النسوية: المناداة بالمساواة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الجنسين، ونبذ اعتقاد المجتمع أن قدرة النساء العقلية والجسدية بحكم طبيعتهن أقل من قدرة الرجل، بينما النسوية في الفكر الماركسي -القائم على الإلحاد وصراع الطبقات- هي: النضال لإدماج النساء في سوق العمل، ومشاركتهن في الصراع الطبقي لقلب النظام الرأسمالي!

وقد ظهر مفهوم جديد للنسوية من قبل الاتجاه الراديكالي المتطرف؛ الذي يعتقد أن النظام الأبوي -والذي يقصد به: تحكم رجل بالعائلة أو المؤسسة أو الدولة- هو المحور الذي يتحكم بعلاقات الرجال بالنساء، وأنه لا بد من هدم وتدمير هذا النظام الأبوي لإعادة تملك النساء لأجسادهن والتصرف بها، وتصبح النسوية حينها هي: العمل بالقوة على إزالة الهيمنة عن المرأة.

وبذلك يتضح أن النسوية هي: حركة سياسية اجتماعية، ظهرت في الغرب للمطالبة بحقوق المرأة، وأنها تعتمد على نظرية

وفلسفة جديدة تجاه اللغة والأدب والتاريخ والأخلاق والمعرفة؛ لأنها تنبذ الرؤية الذكورية التي شكلت تلك الأمور فيما تدعي! وتتعدد نقاطها المركزية بحسب تعدد تياراتها، فبعضها تركز على طلب المساواة بين الجنسين في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وبعضها يشتط للمساواة التامة على كل الأصعدة، وبعضها يدعو للتمركز حول الأنثى، وبعضها يشطح بالدعوة للاستغناء الكامل عن الرجال!

وفي المبحث الثاني؛ تستعرض المؤلفة نشأة وتطور مفهوم النسوية، وتنطلق في ذلك من استعراض سريع لكارثية أوضاع المرأة في الغرب في العقود الماضية؛ حيث كانت المرأة محط الاحتقار والازدراء، وهي تحت سيطرة الرجل، وممنوعة من التصرف دون إذن من الأب أو الزوج، بل نصّ قانون بريطانيا لعام (١٨٠٥م) على حق الرجل ببيع زوجته! وكان تعليم المرأة يُعد نوعًا من الشتيمة! وكانت المرأة تعمل في البيت بالصناعات الخفيفة لتدفع ثمن إعالة زوجها لها.

ولما قامت الثورة الصناعية وخرجت المرأة للعمل في المصانع تخلى الزوج عن النفقة على زوجته! وقام أصحاب المصانع باستغلالها ماليًّا بإنقاص أجرتها عن الرجال، وحتى لما قامت الثورة الفرنسية لم تستفد منها النساء شيئًا، وبقي ظلمها مستمرًا، فقد بقي القانون الفرنسي ينص على أن القاصر هو الصبي والمجنون والمرأة! ولما عدلت تلك القوانين قبل عقود قريبة وقعت المرأة من جديد تحت ظلم جديد باسم تحريرها؛ فأصبحت أداة لجمع المال وتحصيل اللذة والمتعة!

والسبب في تلك الأوضاع البئيسة للمرأة في الغرب يعود للنظرة السلبية والظالمة للمرأة لدى الفلاسفة القدماء؛ كأفلاطون وأرسطو، حيث كانوا ينظرون لجنس المرأة على أنه جنس ناقص وضِيع أقل من جنس الرجال! واستمرت هذه النظرة الدونية في التوراة والإنجيل المتداولة بين الناس، فهما يعتبران المرأة أصل الخطيئة وسبب طرد آدم من الجنة، بخلاف الإسلام الذي يجعل الخطأ مشترك بين آدم وحواء، وهي شر ولعنة ولذلك حُرمت من الميراث، ومنعت من التعليم، بل أقر «مجمع نيكون» الكنسي أن المرأة إنسان لكن روحها دنيئة وخالية من الروح الناجية من النار، وأنها خُلقت لخدمة الرجل.

فهذا الواقع البئيس للمرأة هو ما جعلها تتقبل دعوات التحرر والنسوية لاحقًا، لكنها انتقلت من ظلم لم يتعارض مع فطرتها إلى ظلم يحارب فطرتها من خلال النسوية.

لم يظهر مفهوم النسوية كاملًا دفعة واحدة، بل تكوّن على شكل موجات ثلاث؛ بحسب تطور الجدل الفكري ومسار الصراع والحروب في أوروبا، ففي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وبعد رواج الدعوة للحقوق بتأثير الثورة الفرنسية بدأت الموجة الأولى؛ فتمت الدعوة لحق المرأة في التعليم الذي كان مقصورًا على النساء النبيلات والرجال فقط، والدعوة لحق الملكية وحق الرعاية وحق إقامة دعوى الطلاق والمساواة القانونية وحق التصويت.

واستمر هذا المفهوم النسوي الليبرالي هو السائد حتى أوائل القرن العشرين، وقد تم ذلك قبل بلورة مصطلح النسوية نفسه!

جاءت الموجة الثانية بعد الحرب العالمية الثانية من الستينيات وحتى منتصف السبعينيات، وكانت طليعتها المجموعة اليسارية المناهضة لحرب فيتنام، حيث كانت النساء قد حلَّت مكان العمال في المصانع أثناء الحروب العالمية، وتصاعدت الدعوات لعودة النساء للبيوت وعودة الرجال للمصانع، وإعادة ترميم الأسر المتصدعة، ومن هنا تأثرت هذه الموجة النسوية بالأفكار الاشتراكية وحقوق العمال، وتم نقد التفرقة بين الجنسين باعتباره نتاج التنشئة والمجتمع الظالم، وطرحت فكرة المساواة

الجنسية وفكرة الجندر /النوع، وأصبح هناك تكون لنظرية نسوية؛ حيث تكاثرت الكتب النسوية منذ (١٩٧٠م).

وبدأ ظهور مدارس نسوية متعددة، تأثرًا بالفلسفات الكبرى؛ فالنسوية الليبرالية نادت بالتدرج والاقتصار على القضايا التي لا تصادم المجتمع ولا تتناقض مع قيَمه الأساسية، واقتصرت على حقوق المرأة السياسية والاجتماعية، وهُوجم هذا التيار من النسويات الأخريات باعتباره منحازًا لنساء الطبقة الوسطى.

أما النسوية الماركسية؛ فهي ثورية بطبيعتها، ومنقلبة على المجتمع والفكر والفلسفة السائدة، ولذلك فهي تريد دمج المرأة في دورة الإنتاج وخروجها من المنزل.

أما النسوية الراديكالية -وهي القطاع الأوسع تأثيرًا في نهاية هذه المرحلة-؛ فقد ركزت على هدم النظام الأبوي القائم على العلاقة الجنسية بين الجنسين، ولذلك شجعوا العلاقات الشاذة المثلية! ودعوا لحق الإجهاض!

وجاءت الموجة الثالثة لتحول النسوية لفكرة عالمية، وسميت ما بعد النسوية فظهرت النسوية السوداء ونسوية العالم الثالث، وأصبح هناك اهتمام بسياسات الهوية والشواغل الثقافية للمرأة، وذلك من منتصف السبعينيات من القرن الماضي؛ من خلال مؤتمرات الأمم المتحدة التي يسيطر عليها الشاذون جنسيًّا وأعداء الإنجاب والنسويات الراديكاليات.

وقد تعزز مفهوم الجندر ومحاربة كل مظاهر الأبوية؛ حتى وصل ذلك لبعض المسلمات، فظهر في إيران وتركيا نساء يدعون لإزالة اضطهاد المرأة؛ من خلال القراءة الأبوية والذكورية للنصوص الدينية!

بخلاف هذا التقسيم الثلاثي لموجات النسوية يطرح البعض تقسيمًا ثنائيًّا، نسوية المساواة التي تمثل الموجة الأولى، ونسوية الجندر التي تقوم على مبدأين: مبدأ النوع الذي يدعو لإلغاء الفروق بين الجنسين، ومبدأ الضحية الذي يدعو لكراهية الرجل والاستغناء عنه!

وقد تكررت هذه الموجات في العالم العربي؛ فمع احتلال فرنسا لمصر في (١٧٩٨م) انبهر البعض بأوربا، وبخصوص المرأة تم المطالبة بالتعليم والعمل والاختلاط دون المطالبة بالمساواة من رفاعة الطهطاوي وأحمد الشدياق.

وجاءت الموجة الثانية بعد (١٠٠) عام تقريبًا؛ حيث طالب مرقص فهمي بالقضاء على الحجاب وإباحة الاختلاط ومنع تعدد الزوجات وإباحة زواج المسلمة من الأقباط، وكان من رواد هذه الموجة: قاسم أمين وهدى شعراوي.

والموجة الثالثة جاءت بعد (٥٠) سنة؛ حيث تمت ترجمة عدد من كتب النسويات الأوروبيات، وتسربت أفكار الثورة الجنسية واليسارية المتطرفة، وأصبح هناك دعوة للفلسفة النسوية وليس للسلوكيات فحسب، فتم اتهام الدين بأنه سبب تخلف المرأة، والدعوة للمساواة بالإرث وفي الطلاق وحرية التعدد للمرأة، وتم محاولة تنفيذ ذلك من خلال تعديل القوانين ومناهج التعليم والقنوات والإعلام وبنية الأسرة، ومن أهم شخصيات هذه المرحلة: نوال السعداوي وفاطمة المرنيسي.

المبحث الثالث استعرضت الباحثة فيه المصطلحات ذات الصلة بالنسوية وهي:

تحرير المرأة: وهو أقدم من مصطلح النسوية، لأن النسوية تطور لحركة تحرير المرأة حتى وصلت مرحلة الشطط.

الأنثوية: وهي إحدى مظاهر تحرير المرأة ومظاهر النسوية المتعددة.

النظام الأبوي: ويقصد به: أي نظام اجتماعي يجعل السلطة بيد كبير العائلة أو الجماعة القرابية لاعتقاده بتفوق الرجل على المرأة.

النظام الأمومي: وهو: النظام الاجتماعي الذي تعلو فيه مكانة المرأة على الرجل، وهو افتراض غير علمي يزعم أن الشعوب

البدائية كانت أمومية! وتعتقد النسويات أن البيئة والطبيعة نظام أمومي ولذلك فهن يهتمين بالوثنية كونها عبادة للطبيعة، واليوم هناك عودة للوثنية عند النسويات!

المساواة بين الجنسين: وقد تطور هذا المصطلح من المساواة المنصفة المطالبة بحق التعليم والقانون -مع اعتبار خصوصيتها البيولوجية- إلى المساواة المطلقة التي انتقلت من وصف العلاقة بين الجنسين بالصراع؛ فتم العمل من خلال القوانين على فرض المساواة في الخصائص والوظائف، إلى مرحلة رفض مفهوم الذكورة والأنوثة نفسه، وأنه لا بد من الانفصال عن الرجل ومؤسسات الأسرة، وتشجيع العلاقات الشاذة المثلية! فالمطالبة بالمساواة التامة انتهت بالانفصال عن الرجل، مما فشل معه مطلب المساواة أصلًا.

الجندر: ويقصد به: الخصائص التي يحملها الرجل والمرأة كصفات مركبة اجتماعية لا علاقة لها في الاختلافات العضوية، وهو أداة تحليلية تميز بين البعد البيولوجي والبعد الاجتماعي الثقافي.

المبحث الرابع، استعرض آثار النسوية، وللأسف كان عرضًا غير عميق ولا شامل، وهذه مشكلة كثير من الدراسات الإسلامية بسبب ضعف الخلفية العلمية في العلوم الاجتماعية، والتقيد بالبحث عن مظاهر ورَدَ ذكرها في الكتب والمراجع، بينما الواقع والميدان فيهما الكثير الكثير من الآثار السلبية للنسوية مما يحتاج رصده في الدراسات النقدية الإسلامية؛ وخاصة أثر النسوية على تعديل القوانين في كثير من الدول العربية والإسلامية.

فمن مظاهر النسوية على اليهودية والنصرانية: إخضاع التوراة والإنجيل للدراسة من منظور نسوي؛ فتم إعادة تفسير بعض نصوصهما، بل تم تعديل بعض نصوصهما وتغيير الضمائر المذكرة لضمائر محايدة! كما قامت بعض النسويات بمحاولة البحث عن دين وثني وإحيائه!

وعلى صعيد الإسلام؛ فهناك محاولات متكررة من النسويين والنسويات لتطويع الإسلام لتلك الشطحات والكفريات بتحريف تفسير القرآن الكريم، والدعوة لتفكيك النصوص الشرعية (القرآن والسنة)، والدعوة لمخالفة صريح الشريعة واعتبار الالتزام بها ردة حضارية!

وكان للنسوية تأثير على الأدب والفكر والمعرفة لكونها تتهم المعارف والثقافات السابقة بتقصد ظلم المرأة، فظهر ما سمي بالنقد الأدبي النسوي؛ الذي يركز على عامل الاختلاف الجنسي في الأعمال الأدبية، وكيف يصور الرجال النساء، وتحليل أعمال النساء الأدبية.

وظهرت النسوية البيئية لمكافحة سيطرة الرجل على البيئة والطبيعة والمرأة!

وظهرت النسوية الأخلاقية التي تهاجم منظومة الأخلاق التقليدية بدعوى مسؤوليتها عن اضطهاد المرأة وترسيخ هيمنة الرجل!

وفي سبيل ذلك عقدت مؤتمرات وندوات وورش عمل، وكمثال عليها في عالمنا العربي: عقد مؤتمر النسوية من منظور نقدي بالجامعة الأمريكية ببيروت، سنة (٢٠٠٩)، ومؤتمر النسوية والمنظور الإسلامي بدار الأوبرا بالقاهرة، سنة (٢٠١٢)، ومؤتمر خطاب النسوية والثقافة العربية الإسلامية المعاصرة في جامعة وهران بالجزائر، سنة (٢٠١٤)، وبالبحرين عقد مؤتمر نقدي للنسوية بعنوان: «اتفاقيات ومؤتمرات المرأة الدولية وأثرها على العالم الإسلامي»، سنة (١٤٣١هـ).

ومن آثار النسوية: إعادة قراءة وكتابة التاريخ من منظور نسوي؛ والتي تقوم على زعم أن أول آلهة عرفتها البشرية هي: آلهة أنثوية، وأن الديانة الأولى هي: عبادة الآلهة الأم!

وكذلك من آثارها: الدعوة إلى إعادة صياغة اللغة لتحمل سمة الحياد.

أما آثار النسوية على المجتمع والأفراد؛ فقد زعزعت توازن المرأة بإنكارها فطرتها وحاجتها البيولوجية للرجل، وعجز المرأة عن القيام بدور الرجل، وتحويل المرأة لسلعة يتاجر بها الأفاقون.

كما ساهمت النسوية في انهيار مؤسسة الأسرة في العالم الغربي، ويكاد يصلنا هذا الدمار؛ حيث انتقصوا من قدر الزواج وأهميته بزعم أنه فخ للمرأة ومؤسسة شريرة ومدرسة للاستبداد! وتم استبدال الأسرة والزوج بمفهوم ومصطلح شريك = الزنا، كما قللوا من شأن الأمومة ووظيفتها، واخترعوا مصطلح (الأم البيولوجية والأم الاجتماعية) للقضاء على الأسرة، واعتماد الإنجاب الصناعي! ولذلك يشجعون الإجهاض.

وتم تغيير مفهوم الأسرة لتصبح مفهومًا هلاميًّا يقوم على الزنا أو الشذوذ أو الإنجاب الصناعي، مما رفع نسب الطلاق، ونشر العلاقات المحرمة.

وعلى الصعيد العربي؛ تقلصت مساحة الأسر المركبة التي تضم الأجداد، وتم رفع سن الزواج للفتيات، مع نشر ثقافة الجنس في المدارس ضمن المناهج، وتعديل قوانين الأحوال الشخصية.

وفي المبحث الخامس والأخير -والذي خصصته المؤلفة لنقد مفهوم النسوية-؛ فقد كان غير مكافئ لما تطرحه النسوية من أفكار وفلسفات.

وهذه أزمة في الخطاب الإسلامي! ويحتاج طلبة العلم والدراسات العليا إلى زيادة قدراتهم الفكرية والمعرفية لخوض السجالات مع هذه الأفكار والفلسفات المنحرفة والبائسة لكنها تتغطى بخطاب مزوق وشبهات خطافة!

فالنسوية القائمة على مراعاة حقوق المرأة ليست بالضرورة أن تكون مصيبة في كل مطالبها؛ لأن الصواب في الإسلام خارج عن إطار الصراع بين الجنسين -كما تزعم النسوية!-، بل الحق هو ما تقرره الشريعة بأمر الله ﷻ الخالق: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[الأحزاب:٤]، وقد ورد في القرآن الكريم مصطلح: (حدود الله) كثيرًا مع الآيات المتعلقة بقضايا المرأة والأسرة؛ ليؤكد على المرجعية الإلهية فيها.

والنسوية كونها نتاج البيئة الغربية الظالمة فلا يحق لها أن تجعل من نفسها رؤية حاكمة للعالم وللمسلمات بشكل أخص، فبينما كانت المرأة الغربية في أحط درجاتها كانت المرأة المسلمة في أوج عزها ومجدها، ولا تزال.

الخلاصة:

تميز الكتاب باستعراض تاريخ وتشعب مسار النسوية، وتسليط الضوء على بعض جوانبه في الواقع، وكان يلزمه عمق أكثر في بيان آثاره الكارثية على المجتمعات، وعمق أكبر في نقده للنسوية ومبادئها الأساسية؛ **بخطاب عقلي شرعي يكون مقنعًا ومؤثرًا، ويسد هذه الثغرة في مسيرة الدعوة الإسلامية المعاصرة.**

مشكلة لو كان دائماً أو متعمداً!

قالوا: في بعض الحالات -إن لم يكن في أغلبها- كان اضطراب السياسة الخارجية الأميركية عاملًا مساعدًا -إن لم يكن سببًا مباشرًا- في توسع تدخلات إيران الخارجية.

العراق أوضح نموذج على ذلك؛ لأن سياسات واشنطن بعد غزو (٢٠٠٣) سلمته على طبق إلى إيران.

الأمر ذاته يمكن أن يقال إلى حد كبير عن سوريا؛ التي كانت السياسات الأميركية المضطربة حيال أزمتها سببًا في إطالتها وتعقدها.

لهذا؛ فإن واشنطن تحتاج بالفعل إلى إستراتيجية أوسع لا تقتصر على الموضوع النووي، وتوازن بين المفاوضات والحوافز، والضغوط والعقوبات... لكن الأهم من كل ذلك أن تكون منفتحة على التشاور مع دول المنطقة.

عثمان ميرغني - الشرق الأوسط، ١٢ / ١٠ / ٢٠١٧

لو يعقل الأمريكيون!

قالوا: بعد ما يقرب العامين على ذلك الاتفاق؛ هل من شخص يمكن أن يواجه العالم ويقول: إن سلوك النظام الإيراني قد مال نحو سلوك دولة؟!

منذ ذلك الاتفاق تمددت إيران أكثر، وتكاد تستولي على دول المشرق.

...ضرورة وضع احتمال تغيير النظام واحتمال الخيار العسكري على الطاولة؛ لأن هذه الخطوات ضرورية لإعطاء فرصة أكبر لنجاح مفاوضات «القوة الناعمة»...

مثل هذا التهديد سيكون بمثابة حافز قوي للعمل بحسن نية ولو لمرة واحدة؛ من أجل التوصل إلى تسوية سلمية عن طريق التفاوض يمكن أن تنهي برنامج إيران النووي.

وأفضل طريقة لتحقيق ذلك هي: أن يعرف الإيرانيون «أننا سندعم إزالة حكومتهم، وإذا اضطررنا، سنعمل على تدمير قدراتهم العسكرية».

هدى الحسيني - الشرق الأوسط، ١٢ / ١٠ / ٢٠١٧

داعش أليفة!

قالوا: مرتزقة روس في سوريا يقطعون الرؤوس بـ (١٣) جنيه إسترليني، ويشترون الفتيات بـ (٧٥) جنيه!

ديلي ميل، نقلًا عن تغريدة للإعلامية وسيلة عولمي

قبلة الحياة

قالوا: لقد سمح الاتفاق النووي لإيران بالحصول على مليارات الدولارات في وقت كانت فيه قاب قوسين أو أدنى من انهيار اقتصادي محتّم!

كما تنازل الاتفاق بشكل غير مفهوم إلى إيران في مجال المساح لها بتطوير قدراتها الصاروخية البعيدة المدى، وهو الأمر الذي تحتاجه في نهاية المطاف في أي برنامج نووي عسكري في حال كان هدفها: تركيب رأس نووية.

...قرر ترامب الموافقة على إستراتيجية جديدة لإيران وهي حصيلة (٩) أشهر تقريبًا من المداولات والنقاشات مع الكونغرس والحلفاء.

...المفارقة أنه ما كان من مثل هذه الاستراتيجيات إلا مساعدة إيران على تحقيق المزيد من المكاسب الإقليمية، ليس بسبب قدراتها الخارقة، وإنما بسبب الأخطاء الفادحة للسياسات الأمريكية!

...بسبب ترامب -تحديدًا- اندلعت الأزمة الخليجية مع قطر، وهي الأزمة التي أدت إلى اندفاع عدد كبير من اللاعبين الإقليميين (دول وفاعلين غير حكوميين) باتجاه إيران، محققة لها مكاسب مجانية على طبق من ذهب...

من الواضح أنه لا يوجد حتى هذه اللحظة من يتّفق مع الإدارة الأمريكية بشأن إيران؛ لا في الاتحاد الأوروبي ولا في روسيا والصين.

وهو ما يعني: أنّ المهمّة ستكون صعبة للغاية إن لم نقل: شبه مستحيلة؛ وفق الطرق التقليدية المتّبعة.

علي باكير – عربي ٢١، ٢٠١٧/١٠/١٤

حين يعملون وننام

قالوا: عادت إسرائيل إلى أفريقيا، وعادت أفريقيا إلى إسرائيل!

هكذا أعلن رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو؛ إستراتيجية إسرائيل القديمة الجديدة تجاه أفريقيا، مستغلًا حالة الفراغ العربي؛ لا سيما بعد التطبيع المصري الإسرائيلي، والذي كان أحد أسباب انتهاء القطيعة الأفريقية مع إسرائيل بعد حرب (١٩٧٣)، فقد ترتب على توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل العام (١٩٧٩)، ثم عقد مؤتمر مدريد للسلام عام (١٩٩١)، عودة العلاقات بين إسرائيل ومعظم الدول الأفريقية.

فوفقًا لإحصائية الخارجية الإسرائيلية عام (٢٠٠٥) لإسرائيل علاقات مع (٤٤) دولة أفريقية، ارتفعت أخيرًا إلى (٤٥)، بعد قرار غينيا -العام الماضي- عودة علاقاتها مع إسرائيل.

بدر شافعي - العربي الجديد، ١٦ أكتوبر ٢٠١٧

سيذوب الثلج ويظهر المرج.. قريباً

قالوا: تطرح عودة دحلان إلى القيام بدورٍ في غزة، مدعومًا بأجندة مصرية-إماراتية إسرائيلية: سؤالًا كبيرًا بخصوص قدرة مشروع «حماس» ومشروع دحلان على التعايش في ضوء التناقض الشديد بينهما!

في هذا الوقت، تسعى السلطة الفلسطينية إلى تلمّس موقعها في خريطة القوى الجديدة في غزة؛ خصوصًا أنّ إجراءاتها بحق القطاع.

وموقفها من الانقسام أعطت المجال لمصر والإمارات للمناورة، ولخصمها اللدود دحلان بالعودة من بوابة فكّ الحصار عن القطاع؛ للقيام بالدور المناط به إقليميًّا ودوليًّا على الساحة الفلسطينية.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،

١٢ أكتوبر ٢٠١٧

معلومة فقط

قالوا: في (٢٠١٦) حاول النظام الإيراني تهريب تكنولوجيا نووية وصاروخية أكثر من (٣٢) مرة؛ حسب الاستخبارات الألمانية.

تغريدة د. سلطان النعيمي

الاستثمارات الإيرانية في سورية، وأهمية «القلق الأميركي»

عدنان كريمة- الحياة، ٢٠١٧/١٠/١٢

مع بروز ملامح العودة التدريجية لمسيرة الهدوء في سورية تحت مظلة النفوذ الروسي، تمهيدًا لإيجاد الحل السياسي والتحضير لمرحلة إعادة الإعمار، ومع بدء موسم تقاسم مناطق النفوذ والمصالح؛ تكثف إيران جهودها للحصول على أكبر حصة من خلال «تعاونها الاستراتيجي» مع النظام، والذي يضمن مصالحها الاقتصادية لفترة طويلة تزيد على (٥٠) سنة، بموجب اتفاقات موثقة ومبرمة بين دمشق وطهران.

وهي تستعجل الخطوات التنفيذية لتقوية نفوذها السياسي والعسكري والاقتصادي، وحتى الاجتماعي «الديموغرافي»، ودعم استثماراتها وتنويعها، انسجامًا مع إدراكها أن روسيا قد تسير نحو صفقة إقليمية دولية تؤدي إلى إنهاء هذا النظام ورئيسه بشار الأسد، على حساب مصالحها.

لافت في هذا المجال أن طهران لم تهتم للقلق الأميركي الذي أبداه رئيس الأركان جوزيف دانفورد، تعليقًا على إعلان إيران أخيرًا أنها تعتزم إنشاء مصفاة نفط كبرى قرب مدينة حمص في وسط سورية، ومحذرًا من «زيادة نشاطات إيران في سورية»، في وقت تطالب واشنطن باستمرار بإنهاء الوجود الإيراني في هذا البلد.

ويؤكد مدير تقنيات المصب في معهد بحوث صناعة النفط الايراني أكبر زمانيان: أن المصفاة ستقوم بتكرير (١٤٠ ألف) برميل يوميًا من النفط السوري الخفيف والثقيل، وسيتم تشييدها بمشاركة كونسورتيوم بين إيران وفنزويلا، إضافة إلى سورية.

ويأتي هذا الاستثمار في إطار اتفاق بين البلدين، يشمل قطاع الطاقة، وتقوم بموجبه إيران بإعادة بناء وتجهيز مصفاتي حمص وبانياس؛ اللتين كانتا تعملان قبل الحرب، ويكفي إنتاجهما حاجات سورية الاستهلاكية.

كذلك حصلت إيران على ترخيص باستثمار نحو خمسة آلاف هكتار لإنشاء مرافئ وخزانات للنفط في الساحل السوري، إضافة إلى تعاون في استثمار مشاريع الكهرباء بإنشاء محطات توليد ومجموعات غازية على الساحل، وإعادة تأهيل محطات في دمشق وحلب وحمص ودير الزور وبانياس.

وأعطى النظام إيران حق استثمار مناجم الفوسفات في ريف حمص، وهو يعتبر من أكبر حقول الفوسفات في العالم.

أما في قطاع الاتصالات؛ فتستعد طهران لاستثمار مشغل ثالث للخليوي، إلى جانب شركتي «سيرتيل» و «إم تي في» اللتين يمتلك رامي مخلوف معظم أسهمهما، ويبلغ حجم الاستثمار في المشغل الجديد نحو (٣٠٠ مليون) دولار، على أن تكون حصة الجانب السوري فقط (٢٠ %)، في مقابل (٨٠%) لشركة إيرانية.

إضافة إلى ذلك؛ هناك استثمارات زراعية لإيران في مساحات كبيرة لا تقل عن خمسة آلاف هكتار، ولكن يبقى الاستثمار العقاري أهم الاستثمارات الإيرانية في سورية، وأكثرهم ربحًا؛ فضلًا عن ضمان الملكية في الدوائر الرسمية، بتشجيع ودعم من الحكومة الإيرانية، وتسهيلات من الحكومة السورية.

وقد توافرت للإيرانيين مناقصات حكومية مفتوحة فقط لهم في مناطق متعددة؛ فضلًا عن أحياء سكنية مدمرة اشتروها لإعادة إعمارها، وأحياء أخرى تم ابتزاز سكانها وإجبارهم على التخلي عن

مساكنهم، في مقابل مبالغ مالية زهيدة، وقامت الحكومة الإيرانية بدور كبير، بتشجيع الشركات والتجار والمقاولين على تملك العقارات المختلفة في سورية، وجندت شبكة ضخمة من المؤسسات والسماسرة، وضخت ملايين الدولارات لتحقيق أهدافها، حتى أنها وفرت لرجال الأعمال والمستثمرين «اعتمادات خطوط ائتمان» بمبالغ كبيرة بالعملات الأجنبية لاستثمارها في هذا القطاع.

أما الحكومة السورية؛ فقد أصدرت عام (٢٠١٣) القانون رقم (٢٥) الذي سمح بتبليغ المدعى عليه بالدعوى غيابيًّا، من طريق الصحف في المناطق الساخنة، خصوصًا بالنسبة للمدينين المتعثرين لدى المصارف الذين تطرح أملاكهم للبيع بالمزاد العلني.

والأمر هنا متاح للمشترين الإيرانيين لأنهم يملكون المال، بينما يعاني معظم رجال الأعمال السوريين من أزمات مالية بسبب خسائرهم نتيجة الحرب، حتى أن تدهور سعر صرف الليرة أمام الدولار ساهم في إجبار السوريين على بيع عقاراتهم أمام إغرائهم بالمال من المستثمرين الإيرانيين.

لا شك في أن كل هذه التطورات ساهمت في إحداث تغيير ديموغرافي لمصلحة المستوطن الإيراني، في ظل حملة تجنيس شملت عددًا لا يقل عن (٤٥ ألف) إيراني -وفقًا لمعلومات رئيس تجمع المحامين السوريين غزوان قرنفل-، إضافة إلى عدد من اللبنانيين والعراقيين.

وهكذا؛ يشتري الإيرانيون نفوذهم في سورية، مدعومًا بقوات عسكرية وميليشيات متعددة ومتنوعة، وقد خضعت الحكومة السورية لشروط إيران الاستثمارية، بعدما عجزت عن دفع الديون المترتبة عليها، والمقدرة بنحو (٣٥ بليون) دولار -وفقًا لصحيفة «ليبراسيون» الفرنسية، نقلًا عن المبعوث الدولي ستيفان دي ميستورا-، ومن أهم شروطها: «هيمنة إيرانية كاملة على آلية صنع القرار في دمشق».

وإذا كانت الحكومة السورية وقعت اتفاقات تسمح ببقاء روسيا مدة (٥٠) سنة، وربما تمتد إلى (١٠٠) سنة، فإن مدة الاستثمارات الإيرانية أقل من ذلك، مع العلم أن وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية السوري أديب ميالة حددها بـ (٢٥) سنة، «على أن تعود ملكية جميع الاستثمارات بعدها إلى الدولة السورية».

ولكن لا بد من الإشارة إلى وجود بعض الاختراقات في الاستثمارات -جغرافيًّا- بين الجانبين؛ سواء كان ذلك في الساحل السوري، أو في مناطق البادية شرقي مدينة حمص.

فهل يستمر القلق الأميركي مع تنفيذ «خريطة لافروف»؛ التي أعادت تعريف الاستقرار في سورية على أساس توزيع الحصص؟

وهل تستطيع «استراتيجية واشنطن» احتواء النفوذ في سورية والعراق واليمن لوضع حد للتدخل الإيراني؟

ربما الجواب مرهون بنتائج الصفقة الدولية المرتقبة بين روسيا والولايات المتحدة بإنجاز الحل السياسي للأزمة السورية.

الحوثيون يهددون بقتل ممثل كوميدي

علي محمد طه - موقع المثقف الجديد، ٢٠١٧/٨/٣

يعتبر الفن السياسي الناقد -في كثير من الأحيان- طريقًا سريعًا إلى التهلكة في كثير بلدان العالم الثالث، ولعل تجربة الفنان اليمني محمد الأضرعي تعتبر بقعة ضوء في سماء الفن المسيس والمنتج وفقًا للمواصفات الخاصة بالأجهزة الأمنية لبعض البلدان، فكثير من الأعمال التي تنتج عربيًّا والتي تدعي نقد الواقع ومحاولة البحث عن التغيير هي في واقعها مجرد مشاريع مخابراتية، الهدف منها: التنفيس عن الناس.

ولعل أبرز ما يمكن ذكره في هذا السياق: الأعمال المسرحية والسينمائية لكل من دريد لحام في سوريا وعادل إمام في مصر؛ والتي صممت من الألف إلى الياء تحت إشراف الأجهزة الأمنية في البلدين لتكون أداة تنفيس وبالون اختبار لتطلعات ومطالب للشعوب، وليس أكثر من ذلك.

وفي ظل المعمعة الفنية الحاصلة على الساحة الفنية العربية؛ والتي تستهدف بمجملها الفكر الديني السني، والتي تصمه

في كثير من الأحيان بأنه سبب رئيس للإرهاب والتطرف؛ كما في الدراما العربية، نرى في الضفة الأخرى فنان من نوع مختلف أخذ على نفسه عهدًا أن يفضح كل يد عبثت بسيادة ووحدة بلده اليمن، وكرّس كل جهده وفنه لفضح ممارسات الحوثيين التخريبية وداعمه الإيراني؛ من خلال سلسلة أعمال تتحدث بلسان حال الواقع اليمني، وتقدم المأساة اليومية للمواطن بقالب فني ساخر.

بدأ محمد الأضرعي مشواره الفني كمنشد ديني، في بداية التسعينات من القرن الماضي، ثم اتجه للتمثيل الكوميدي الناقد والغناء الذي يحمل الطابع السياسي والاجتماعي، وعقب انتخابات عام (١٩٩٧م) في اليمن أصدر مع مجموعة من المنشدين أول عمل سياسي له بعنوان: (نجوم الليل تسألني) سجن عدة مرات بسبب ما قدمه من أعمال فنية عن الفساد السياسي والاقتصادي في اليمن.

وبعد الانقلاب على الشرعية في اليمن ركز الأضرعي جلّ أعماله الفنية على تسليط الضوء على المواطن المسحوق من جهة، والكشف عن فساد الانقلابيين في اليمن وممارساتهم الوحشية تجاه الشعب اليمني، ومحاولاتهم البائسة للسيطرة على مفاصل الدولة.

وبالرغم من أن الكثير من بسطاء أهل اليمن قد أنفضوا عن عالم السياسة وتشعباتها، وفضلوا توجيه جل اهتمامهم لتحصيل قوتهم اليومي بدلًا من تضييع الوقت في تحليلات سياسية قد لا تقدم ولا تؤخر شيئًا على المجريات على الأرض؛ إلا أن الكثير منهم بات يتابع أعمال الأضرعي بشغف، كونها تقدم المأساة اليمنية بقالب ساخر رسم البسمة على وجوه الكثير منهم، وأنساهم ويلات ومآسي بلدهم المستمرة!

◙ تعاون الأضرعي مع قناة «سهيل»:

وجد الفنان محمد الأضرعي في قناة «سهيل» الفضائية ملاذًا له، ومنبرًا حرًّا لتقديم برامجه وأعماله الساخرة؛ حيث تطابقت وجهات نظر الجانبين في تعاطيهما مع الشأن اليمني، وخلال الفترة الماضية قدم الأضرعي الكثير من الأعمال الفنية الهادفة؛ التي حاكت الواقع المعاش للشعب اليمني.

ولعل سياسة قناة «سهيل» التي أخذت على عاتقها فضح ممارسات الحوثيين في اليمن تلاقت مع نهج الأضرعي -ذلك الفنان الساخر-، وقد كانت باكورة نجاحها المشترك تقديم برنامج «غاغه» الذي يقدم في رمضان الحالي، وهو عمل اجتماعي سياسي ساخر، يعمل على تعرية ميليشيا الحوثي وصالح، ويكشف جانبًا من عمليات الإرهاب والقمع والتعذيب التي تمارسها مليشيا الحوثي مع اليمنيين في المناطق التي يسيطرون عليها.

◙ تهديد بالقتل:

ومع ازدياد شعبية الأضرعي زادت التهديدات الموجهة له من قبل الانقلابيين ومن قبل ميليشيا الرئيس السابق علي صالح، ففي عام (٢٠١١م) تعرض الأضرعي لمحاولة اغتيال بعد سلسلة من الأهازيج السياسية الشهيرة التي قدمها في ثورة الشباب، مما أضطره بعدها أن يعيش متخفيًّا بين قرى منطقته ذمار، ومع انطلاق عاصفة الحزم طلب الانقلابيون الحوثيون منه أن يصدر أهزوجة ساخرة ضد عملية «عاصفة الحزم»، لكنه رفض وبشدة؛ لأن عاصفة الحزم -كما يقول- هي المخرج الوحيد لليمن مما هي فيه، ولو لم تكن لكانت اليمن اليوم ولاية إيرانية!

وقد تلقى الأضرعي من الحوثيين عدة تهديدات بالقتل إن لم ينفذ طلبهم؛ مما أضطره حينها لمغادرة البلاد للعيش في الخارج.

◙ تقليد ملالي إيران وهدر دمه!

يرى الفنان الأضرعي -كما قال مرارًا- بأنه لولا تدخل إيران في الشأن اليمني لكانت اليمن بألف خير، ويرى أن للمرجعيات الدينية في إيران تأثيرًا كبيرًا على قيادات الحوثيين خاصة ومعشر الحوثيين عامة في اليمن.

ويعتقد الأضرعي وبشدة أن خزعبلات وافتراءات ملالي إيران على أهل السنة عمومًا وعلى أهل اليمن خصوصًا متكررة، بل متزايدة؛ خاصة أن إيران تخطط اليوم للاستيلاء على اليمن بالتعاون مع الانقلابيين على السلطة في اليمن.

ويبرر الأضرعي مقطع الفيديو الشهير الذي أطل به بشكل

ساخر يقلد فيه أحد ملالي إيران بأنه وسيلة لفضح خرافاتهم وبدعهم المضللة، وأنهم من هذا الباب يكذبون على العامة، ويسيرونهم كما يريدون، ومن هذا الباب زرعوا في أذهان الحوثيين المظلومية في اليمن، وأنهم أحق بحكم البلاد من غيرهم.

ويرى أن إيران هي السبب الرئيس لكل مشاكل وويلات اليمن، فهي من مزقت وحدته، ومن تعمل ليل نهار على تغيير هويته القومية والدينية.

ولقي المقطع الساخر نجاحًا كبيرًا على طول وعرض العالم العربي، واعتبر من قبل الحوثيين أداة استفزاز وتحطيم للوحدة الوطنية، بل طالب بعض قياداتهم بجلب الأضرعي لليمن لمحاكمته بتهمة الخيانة والعداء للوطن، وأصدرت قيادات دينية حوثية بيانات هدرت دم الأضرعي بتهمة الإساءة لشيعة آل بيت الرسول الكريم.

ورغم محاولات القتل والاعتقال المتكرر، وحملات الترغيب والترهيب؛ فإن الأضرعي استطاع وبجدارة أن يحظى بشعبية كبيرة بالوسط اليمني والعربي، وأن يتميز بأسلوبه الفني الساخر في إلقاء الأناشيد اليمنية الناقدة لحكم الحوثيين وصالح، ليصبح علامة فارقة في سماء الفن العربي؛ الذي يقدم مضمونًا يحترم نفسه ويحترم وعقلية متابعيه، ليشكل فيما يقدمه عملًا فنيًّا راقيًا، يلامس آمال وآلام المواطن اليمني المغلوب على أمره.

انعكاسات تصدّر إيران قائمة غسل الأموال وتمويل الإرهاب

د. محمد السلمي - الوطن السعودية، ٢٠١٧/٤/٤

للعام الرابع على التوالي تصنف إيران في المركز الأول ضمن (١٤٦) دولة في العالم في قائمة جرائم غسل الأموال وتمويل الإرهاب، ولهذا التصنيف انعكاسات جادة على أمن واستقرار المنطقة العربية، وحتى على مستوى معيشة الشعب الإيراني نفسه .

بداية؛ صنف معهد بازل السويسري للحوكمة إيران مؤخرًا بالدولة الأولى عالميًّا في جرائم غسل الأموال وتمويل الإرهاب باستخدام هذه الأموال، متفوقة في ذلك على كوريا الشمالية وأفغانستان، ولكي تتم الجريمة الأولى المتعلقة بغسل الأموال لا بد من وجود شبكة من الأعمال المالية غير الشرعية، يندرج تحتها التهريب بأنواعه كافة وتجارة السلاح والمخدرات، ثم تُدخل الأموال الناتجة عن هذه العمليات إلى القطاع المصرفي لكي تكتسب الصورة والغطاء الشرعيّيْن، ثم تُرتكب الجريمة الثانية وهي: استخدام الأموال في تمويل الأعمال المتعلقة بالإرهاب الإيراني في المنطقة العربية؛ الذي يحتاج بدوره إلى معاونة وتستّر شبكة من الفساد في القطاع المصرفي.

إن الانعكاس الأهمّ والأخطر لتصنيف إيران الأخير والمتكرر للسنة الرابعة على أمن واستقرار المنطقة العربية، هو: أن إيران تحشد كل ما يمكن حشده من موارد مالية -شرعية كانت أو غير شرعية- لتطويق المنطقة العربية، وتحقيق الهلال الشيعي بصبغته الفارسية.

إن تمويل الإرهاب يحتاج إلى مصادر مالية ضخمة بعشرات وربما مئات المليارات من الدولارات، لن يوفرها الشكل الشرعي وحده المتمثل في حصة الدفاع من الموازنة الحكومية، وفي ظل ارتباط الإرهاب العسكري خارج الحدود الإيرانية بالحرس الثوري الإيراني، ممثلًا في فيلق القدس، فلا عجب إذًا من وجود صلة بين جرائم غسل الأموال والحرس الثوري، فالأخير يسيطر على عديد من المنافذ البرية والبحرية والجوية في إيران، ومتورط في عمليات تهريب البضائع والأسلحة، كما يسيطر على عديد من المصارف الكبرى في إيران، ومن ثم أصبحت أركان عمليات غسل الأموال وتمويل الإرهاب متاحة.

أما الموارد المالية الشرعية؛ فتأتي عن طريق الموازنة الحكومية التي زادت مخصصات الدفاع، ورفعت ميزانية الحرس الثوري بنسبة تقارب الثلث، معنى هذا: أن إيران مستمرة في حشد الأموال بأي طريقة، بغض النظر عن مصدرها لتحقيق أهدافها خارج الحدود، كما أن تعاون المجتمع الدولي معها دون وضع حدّ لجرائمها خارج حدودها ودون ضوابط صارمة لحصار مموّلي الإرهاب يزيد والاقتدار

المالي لديها واستخدامه في تهديد استقرار شعوب المنطقة.

وهذا يستدعي مزيدًا من الجهود العربية المشتركة على هدف واحد هو: مواجهة الخطر الذي يتمدد يومًا بعد يوم في المنطقة عبر أذرع بأسماء مختلفة، وتسخير جميع القوى باختلاف أنواعها لحصار هذا التمدد.

أما الانعكاس على الإيرانيين أنفسهم فيعني هذا التصنيف بشأنه كثيرًا مما لا تسعه سطور هذا المقال، فبعد تغيير رأس السلطة - لا القيادة - السياسية من قائد ينتمي إلى ما يسمى بالمتشددين (أحمدي نجاد)، إلى سياسي محسوب على ما يعرف بالإصلاحيين (حسن روحاني)، لا تزال إيران الراعية الأولى للإرهاب وجرائم الأموال، بمعنى آخر: لا فرق كبير بين سياسي متشدد وسياسي إصلاحي، وتوجد سياسة وتوجه أكبر من سلطة الرئيس التنفيذي ماضية في تحقيق أهدافها الكبرى.

وبعد أكثر من عام وتسعة أشهر على تنفيذ الاتفاق النووي الذي كان يسوق له القادة الإيرانيون على أنه طوق النجاة للاقتصاد الإيراني، ولتحسين مستوى معيشة الإيرانيين؛ يأتي هذا التصنيف ليقول للمستثمرين والمتعاملين ماليًّا مع إيران: «توخوا الحذر الشديد! وتنبهوا قبل التورط مع شركة إيرانية قد تكون في العلن شريكًا استثماريًّا محتملًا، وفي الخفاء مجرد ستار شرعي لشركة تابعة للحرس الثوري أو كيان يمول عملياته خارج إيران! مما قد يوقع الشركات الأجنبية تحت طائلة الغرامات المالية الأميركية».

وبناء على ما تقدم؛ ماذا جنى الإيرانيون اقتصاديًّا؟ وماذا لم يجنوا حتى الآن؟ جنى النظام الإيراني مضاعفة صادراته النفطية بعد الاتفاق النووي، وزيادة موارد الحكومة المالية، ولكن لم يجن الشعب الإيراني أثر هذا على تخفيض مستويات البطالة والفقر المرتفعة، ونما الاقتصاد الإيراني بمعدل أقل من (٢%) العام الماضي، دون احتساب النمو النفطي الذي يتركز فيه أغلب النمو دون باقي القطاعات.

إن استمرار أنشطة إيران في تمويل الإرهاب وتصدرها قوائم التقارير الدولية في ذات الشأن جعل الشركات الأجنبية تحذر الدخول والانتشار في السوق الإيرانية في عديد من المجالات غير النفطية المتعطشة للاستثمارات الحديثة لزيادة الإنتاج والتشغيل وتحسين جودة حياة الإيرانيين.

لقد ذهبت أحلام الشباب الإيراني الذي احتفل بتوقيع الاتفاق النووي أدراج الرياح، فلم ينعكس أي تحسن في الدخل الحكومي ورفع العقوبات على حياته المعيشية، وجنى النظام الثمرة لتمريرها للميليشيات في الخارج، بينما نصب الشعب يتضور جوعًا.

إيران وإستراتيجية ترامب الجديدة

د. نبيل العتوم - مركز أمية، ٢٠١٧/١٠/١٥

أخيرًا وكما كان متوقعًا أعلنَ الرئيس الأميركي دونالد ترامب عن إستراتيجية أميركية جديدة تجاه إيران، ناقلًا ملف «الاتفاق النووي» برمته إلى الكونغرس ليدرس كيفية تعديله، وإجراء تعديلات مقترحة عليه .

لم يخرج الرئيس ترامب عن المتوقّع؛ فهو لم «يمزّق» الاتفاق النووي؛ كما كان يهدّد في حملته الانتخابية، وفي حرب التويتر التي شنّها، ولم ينفذ ما أطلقه «العاصفة»، لكنه في الوقت عينه فتح الباب أمام إلغائه؛ من خلال عدم تصديقه على التزام إيران بالاتفاق في حال لم يقم الكونغرس بالدور المطلوب منه.

ما لم يقله ترامب في إستراتيجيته: أنّ الحرس الثوري كيانًا إرهابيًّا، بل نقل مهمة ذلك إلى وزارة الخزانة، وهذا له دلالاته وأهدافه ودوافعه، مع أنَّ المفارقةَ الغريبة العجيبة الأولى التي تتضح من خلال هذه الإستراتيجية: أنَّ ترامب يعتبر إيران أكبر راعية للإرهاب في العالم، وكرّر هذه العبارة أكثر من (٣٨) مرّة منذُ تولية دفةَ الأمور في واشنطن؟!

أمّا المفارقة الثانية: لم يشر ترامب في إستراتيجيته إلى حلفائه وشركائه الغربيين، وهم الذينَ طالما وقفوا إلى جانب أمريكا في سياستها.

المفارقة الثالثة: كانَ الردّ الأوروبيّ جاهزًا، ومعدًّا مسبقًا عقب خطاب ترامب مباشرة، وهذا يعكسُ ليس حجم عدم التوافق مع الإستراتيجية الأميركية، بل يعكسُ درجةَ المصالح الاقتصادية التي باتتْ تحكمُ العلاقات الأوروبية الإيرانيّة، ولو على حساب مصالح وأمن شعوب دول المنطقة، في الوقت الذي باتت معه إيران فعليًّا أحد أكبر مصادر التهديد في الشرق الأوسط، ومن المفترض أنْ يدفعَ هذا الموقف إلى أهمية مراجعة شاملة للعالم العربي لعلاقاته مع أوروبا؛ التي لا تعيرُ اهتمامًا لدرجة ما باتتْ تعاني دول المنطقة وشعوبها من الإرهاب الإيراني.

ما قالته أوروبا وروسيا والصين يحملُ نبرةَ التّحدي لأميركا والعرب على حدّ سواء؛ من خلال اعتبار الاتفاق النووي بين إيران والقوى الست الكبرى، أقوي من أن يمزّقه ترامب؛ كما وعد مرارًا، حيثُ كانَ رفضُ منسقة السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي فدريكا موغريني المس بالاتفاق، ملفتًا عندما أكدت أنَّ الرئيسَ الأمريكيّ يملكُ صلاحيات واسعة إلا أنّه لا يملكُ القدرةَ على إلغاء الاتفاق مع عدم وجود أيّ بديل للاتفاق النووي الدوليّ، حتى تجاهلتْ سؤالًا حولَ أهمية إجراء تعديلات حول الاتفاق للخروج من الأزمة الحالية.

ولم يقف الأمر هنا، بل تجاوز البعض أن ما تفوه به ترامب سيُحدثُ شرخًا كبيرًا في علاقات أمريكا مع حلفائها الأوروبيين، وكانَ وزيرُ خارجية ألمانيا زيغمار غابرييل أكثرَ صراحةً من الجميع عندما أعلنَ أن عدم تصديق ترامب على التزام إيران بالاتفاق النوويّ سيقرّبُ الأوروبيين من روسيا والصين، وسيدفعهم إلى اتخاذ موقف مشترك معهم.

هنا نُذكر أنَّ الأوروبيين تحديدًا قد نسوا أوتناسوا أنَّ طهرانَ فعليًّا قد استغلت الاتفاق النووي ووظفته كغطاء لتهديد الأمن الإقليمي والعربي، مما منحها غطاءً وهامشًا واسعًا للعبث الأمني والتخريب؛ من خلال تشكيل الخلايا النائمة، وإرسال مرتزقتها ومليشياتها حتى يعملوا ذبحًا وقتلًا في سوريا والعراق واليمن.. والقائمة تطول.

أمّا ردُّ إيران على خطاب ترامب؛ فكانَ يعكس ردّ فعل دولة مأزومة، ولم يجدْ بينَ دول العالم سوى دول أوروبا إلى جانب روسيا والصين من يدعمها في موقفها الشاذّ من الاتفاق النووي؛ الذي يراعي مصالحها الخاصة الضيقة، بينما العالم مع ضرورة إدخال تعديلات صارمة على الاتفاق النووي، بحيثُ تُلجمُ الصَّلفَ والعدوان الإيراني.

- **المؤكد الأول:** أنّ إيرانَ ستعملُ على تفكيك التحالفات الأوربية مع أميركا؛ فيما يخصُّ الملف النووي الإيراني، والسعي لعدم إدخال أيّة تعديلاتٍ عليه.
- **المؤكد الثاني:** أنَّ طهرانَ ماضيةٌ في سياساتها العدوانية، والسعي لبناء ترسانة صاروخية، وتوسيع قاعدة إنتاج أسلحة الدمار الشامل؛ مع الاستمرار بسياسة الخداع النووي، وتهديد الأمن الإقليمي برمته، مع الحرص على عدم الخروج من الاتفاق النووي؛ مهما كانتِ الأسباب.
- **المؤكد الثالث:** أنّ المرشدَ والحرس الثوريّ وخلفهم روحاني سيكونُ لديهم أزمة داخلية متفاقمة مع التداعيات الاقتصادية والعسكرية والإستراتيجية بعد الاستدارة الأميركية الأخيرة، وسيكونُ التغطية على فشل الدولة الإيرانية الذريع من خلال توسل النظام الإيراني نحو دبلوماسية تضخيم المخاطر الخارجية التي تبرع دولة الولي الفقيه في توظيفها دومًا؛ لامتصاص نقمة الشارع، هذا علاوة على أن هناك أطراف داخلية إيرانية شعبية كبيرة وواسعة رافضة لسياسات النظام التي أدت إلى تفاقم مشاكله، وأسهمت في العودة للمربع «صفر» بعد إهدار مقدرات الدولة وثرواتها، والتفريط بمصالح الشعب المغلوب على أمره بفعل مغامرات النظام العبثية وغير المسؤولة.
- **المؤكد الرابع:** أنَّ حلفاءَ واشنطن الأساسيين سيتحملونَ عبئًا مهمًّا في إستراتيجية المواجهة مع إيران؛ خاصّة أنَّ مسودة الإستراتيجية الأميركية مَن تؤكد أنّ على واشنطن أنْ تتجنب الالتزامات العسكرية المكلفة مع إيران لوحدها، وهذا لنْ يتأتى إلا من خلال شراكات مع حلفاءها في المنطقة.

لا شكّ بأنَّ الإستراتيجية الأميركية تتضمنُ خطوطًا عريضة، ولا تقدّمُ في الوقت نفسه أيّة تفاصيل أو آليات تُذكر عن كيفية ترجمة الولايات المتحدة ذلك إلى خطوات إجرائية عملية، كذلك لم تتحدث الإستراتيجية الجديدة بشكلٍ واضحٍ عن الترويج لفكرة دعم أية عملية انتقال داخلي للإطاحة بالنظام الديكتاتوري الإيراني، وعن كيفية توظيف واشنطن أدوات «القوة الناعمة والصلبة» الأخرى لدعم مطالب الشعب الإيراني.

بطريركية فاسدة في فلسطين!

معن البياري - العربي الجدي، ٢٠١٧/١٠/١٦

لا تُسعفنا النتف الصحافية بشأن البيع المشبوه والمضطرد لأراضٍ وعقاراتٍ في فلسطين، والذي ترتكبه البطريركية الأرثوذكسية لمدينة القدس وسائر أعمال فلسطين والأردن؛ بأن جهودًا قوية تبادر إليها الحكومتان الأردنية والفلسطينية من أجل وقف هذه الأفعال؛ التي لا تزيّد في وصفها جرائمَ موصوفةً بحق فلسطين وشعبها.

وإذ من المرجح أن الحكومتين تتابعان هذا الأمر بقلق، وربما تعملان على منع التمادي فيه، إلا أننا لا نصادف شيئًا من هذا في الإعلام الذي نقرأ ونشاهد، ما قد يجيز الجهر هنا، وفي كل مطرح مُتاح بأن ثمّة تقصيرًا فلسطينيًّا وأردنيًّا ظاهرًا في هذا الشأن الخطير، يكاد لا يأخذ ما سمّاها الكاتب والناشط الفلسطيني جواد بولص: «مذبحة عقارات الكنيسة الأرثوذكسية» بالجدّية الواجبة، وهو التقصير الذي قد يكون من أسباب استخفاف البطريرك ثيوفيلوس الثالث بأي قلقٍ تبديه الحكومتان المذكورتان، وهو يواصل بهمّةٍ نشطةٍ بيع أراضٍ وعقاراتٍ تابعة للكنيسة اليونانية الأرثوذكسية في فلسطين، والتي تعد من كبار ملاك الأراضي الوقفية في عموم فلسطين، والمالكة الثانية للأراضي في فلسطين المحتلة في (١٩٤٨)، بعد سلطة أراضي إسرائيل.

وإذا كانت أخبارٌ قد جاءت على مناصرة الرئيس محمود عباس مخرجات مؤتمرٍ وطنيٍّ فلسطيني أرثوذكسي، عقد في بيت لحم الأسبوع الماضي، تعلق بالذي يقترفه ثيوفيلوس الثالث ومتعاونون معه -عرب وغير عرب-، فإن المأمول والمرتقب من الرئاسة الفلسطينية أن تشرع -بالتعاون مع الحكومة الأردنية- باتجاه عزل البطريرك المذكور، كما سبق أن عُزل اثنان من بطاركة الكنيسة نفسها في وقت سابق، والمضي في تجديد الجهود المنسيّة الهادفة إلى تعريب الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين، إذ ليس معقولًا أن يكون المعنيون برعاية الطائفة الكريمة وناسها من خارج البلاد! تعيّنهم اليونان من مواطنيها، ويُكتفى بمصادقةٍ تقليديةٍ من الحكومتين الأردنية والفلسطينية على هذا التعيين، بل ويرتكبون فسادًا واضحًا في بيع أوقاف الكنيسة، بأرخص الأثمان؛ لشركاتٍ وجهات وهمية وأخرى صهيونية واستيطانية.

يضيء كشفٌ مثيرٌ نشرته صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية، في (١٣ أكتوبر / تشرين الأول) الجاري، على فصولٍ مستجدةٍ من جرائم البيع والتأجير الفاسدة التي ارتكبتها بطريركية ثيوفيلوس الثالث، ويشتمل على معلومات خطيرة، بناء على وثائق وصلت إلى الصحيفة.

ويكفي هذا الكشف وحده لانتفاضةٍ وطنيةٍ فلسطينيةٍ عاجلة، يشترك فيها الرسمي والأهلي؛ من أجل طرد البطريرك المذكور ومعاونيه في الصفقات المريبة.

ومن بين وقائع مهولة، متصلةٍ بأرشيفٍ ممتدٍّ من الفساد في البيع والتأجير، يعود إلى سنوات يبعث على الاندهاش بيع عقارات في يافا، بمساحة ستة دونمات، في أهم موقع تجاري في المدينة؛ لشركة مسجلة في جزيرة في البحر الكاريبي، بأقل من (٢٠%) من سعرها؟! وكذلك بيع تلة صنوبر في القدس المحتلة (٢٧ دونمًا، ومقام عليها مركز تجاري و٢٤٠ شقة) بأقل من (١٠%) من ثمنها؛ لشركة مسجلة في الجزر العذراء، ثم بيعت لشركة أخرى مسجلة في جزر كايمن! (أين تقع؟!).

وقرّاء هذه السطور مدعوون إلى مطالعة تقرير «هآرتس»، ليقعوا على موجز بشأن جديد ما تفعله الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية

في فلسطين، والتي تظاهر مئاتٌ من الفلسطينيين المسيحيين غير مرة ضدها، كانت إحداها الأسبوع الماضي؛ لمّا جاء ثيوفيلوس الثالث إلى بلدةٍ في الجليل لإقامة صلاة الأحد في كنيستها، وكان لافتًا وصف بيانٍ لمجلس الطائفة الأرثوذكسية واللجنة التنفيذية للمؤتمر الأرثوذكسي في الناصرة البطريرك المذكور بالخائن.

ليس في وسع سطور هذه المقالة أن تحيط بكل جوانب هذا الملف، وإنما في وسعها أن تدعو إلى أن تحتل هذه القضية الوطنية أولوية متقدمة في المشاغل الفلسطينية الراهنة، وأن تدعو الحكومة الأردنية إلى تذكّر مسؤولياتها بشأن القدس؛ حيث الرعاية الهاشمية للمقدسات هناك بند متوافق عليه فلسطينيًّا وإسرائيليًّا، طالما أن البطريركية الأرثوذكسية في فلسطين والأردن -اليونانية أشخاصًا وتعيينًا- ترتكب -في محيط هذه المقدسات في المدينة المقدسة- موبقاتٍ معلومة، يفيد بشأنها تقرير «هآرتس» وغيره، وإنْ يُفترض أن حكومتي عمّان ورام الله ليستا في حاجة إلى صحيفة إسرائيلية لتعرفا أي مدىً مريع بلغته ممارسات البطريركية المتحدّث عنها...

هل ننتظر تحركًا فاعلًا وضاغطًا ومؤثرًا؟ أم أن غضبَ معلِّقٍ في صحيفة هنا وآخر في صحيفة هناك يكفي؟

بين محاكمة «داعش» ومحاكمة قتلة الحريري

د. فراس الزوبعي - الوطن البحرينية، الأربعاء ٢٠١٧/٩/٢٧

لعل قرار مجلس الأمن الأخير الخاص بتشكيل لجنة لمساءلة تنظيم الدولة «داعش» يعيد إلى الأذهان قرار مجلس الأمن نفسه قبل عشر سنوات والقاضي بإنشاء محكمة خاصة بلبنان لمحاكمة المتورطين بقتل رئيس الوزراء اللبناني الراحل رفيق الحريري، وفي ذلك وجه من الشبه.

يوم (٢٢ سبتمبر) الماضي تبنى مجلس الأمن الدولي على هامش أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة رفيعة المستوى قرارًا وبالإجماع بخصوص مساءلة تنظيم «داعش» وجرائمه التي ارتكبها في العراق، وبموجب هذا القرار سيعين الأمين العام للأمم المتحدة فريقًا للتحقيق برئاسة مستشار خاص، وسيتم جمع وحفظ الأدلة التي تعد جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية؛ لضمان استخدام هذه الأدلة على أوسع نطاق ممكن أمام المحاكم الوطنية أو التحقيقات التي تضطلع بها سلطات بلد ثالث بناء على طلب ذلك البلد، ومن ضمن مهام رئيس فريق التحقيق: تعزيز المساءلة العالمية عن تلك الانتهاكات.

رئيس هذا الفريق سيقدم تقريره الأول خلال تسعين يومًا من بداية تعيينه، ثم تكون تقاريره اللاحقة كل (١٨٠) يومًا، أما مدة عمله فستمتد لسنتين مع إمكانية التمديد.

هذا القرار تقدمت به بريطانيا لمجلس الأمن بعد أشهر من المفاوضات مع العراق.

هذا القرار سيفتح الباب واسعًا أمام المحاكم الدولية بعدما تبدأ الأدلة بالظهور؛ لا سيما وأن المقصود لن يكون عدد من المجرمين مارسوا أعمالًا إجرامية، فهؤلاء لا يتطلعون إلى محاكمات عادلة، ولا الطرف الآخر حريص على محاكمتهم إلى هذه الدرجة، فهم بين هارب وقتيل، ومن يقعون بيد من يقاتلهم تنفذ فيهم إعدامات ميدانية؛ كما شهدنا.

ولكن هذا القرار سيطال دولًا، وسيستخدم لإدانتها، وكلنا تابع في الأشهر والسنوات السابقة الاتهامات التي وجهت لتركيا بتسهيلها عملية دخول أعداد كبيرة من مقاتلي «داعش»، واتهامات أخرى وجهت لإيران وعلاقتها بهذا التنظيم؛ إلا أنها في النهاية تبقى مجرد اتهامات غير مثبتة، ولم تأت في سياق لجان متخصصة تجمع الأدلة.

كما إن هذا القرار سيستخدم للضغط على دول أخرى لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية.

يذكرنا هذا القرار بقرار مجلس الأمن عام (٢٠٠٧)؛ والذي جاء بعد طلب من لبنان من أجل إنشاء محكمة خاصة لمحاكمة المتورطين في اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري، وكيف عارضت سوريا و«حزب الله» هذه المحكمة، وحاولوا عرقلة عملها! لكن مع اختلاف بسيط؛ فمحكمة مساءلة «داعش» لن

يتمكن أحد من الاعتراض عليها أو الوقوف بوجهها، فالكل متفق على التخلص من هذا التنظيم، وهناك تحالف دولي لقتاله... الأيام المقبلة ستحمل أحداثًا كثيرةً بهذا الخصوص.

ماذا وراء استقدام «حزب الله» ميليشيات عراقية إلى لبنان؟

هدي الحسيني - الشرق الأوسط، ٢٠١٧/٩/٢١

نجح الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصر الله في الفترة الأخيرة في إثارة غضب حيدر العبادي -رئيس الوزراء العراقي-؛ إذ نظم ترحيل المئات من مقاتلي تنظيم داعش الإرهابي من سوريا ولبنان إلى الحدود بين سوريا والعراق، كجزء من صفقة، أثارت الكثير من التساؤلات حول «مصداقية» الحزب.

وأسرع العبادي إلى وصفها بأنها «غير مقبولة»؛ خصوصًا أن المعارك مع «داعش» مستمرة في بلاده، ولم تكن هذه المرة الأولى التي يقوض فيها نصر الله تحركات العبادي.

أما الآن؛ وفي حين أن الولايات المتحدة مشغولة بالتوتر المتزايد مع كوريا الشمالية، وأوروبا مشغولة بملاحقة إرهابيي «داعش»، ودول الخليج تحاول درء الأخطار عنها؛ يشعر نصر الله بأن لبنان ساحته المفتوحة بعيدًا عن أعين القوى العظمى، فهو بصدد تطبيق خطة جلب المئات من عناصر الميليشيات العراقية الشيعية إلى لبنان؛ الذين حسب القانون يخضعون لسلطة العبادي.

تشير الدلائل الأخيرة إلى أن عناصر الميليشيات العراقية بدأت تصل بالفعل إلى لبنان للتدريب في مخيمات «حزب الله»، في البقاع والجنوب، والخطة هي: أن تستقر في البلد، وتعمل في وحدات الحزب، على أساس دائم.

في العامين الماضيين خرجت تقارير إعلامية كثيرة عن مجموعات من المقاتلين الشيعة الذين يأتون إلى لبنان للتدريب من قبل الحزب وتحت رعاية «فيلق القدس» الإيراني، الخاضع بدوره لـ«الحرس الثوري»، وبعد التدريب كان يتم إرسال هذه المجموعات إلى مناطق المعارك في سوريا واليمن دون أن تبقى في لبنان، ويبدو الآن الخطة لعامي (٢٠١٧ و٢٠١٨) هي إدماج هؤلاء المقاتلين في وحدات «حزب الله» في لبنان، وعلى أساس دائم.

هذا التطور هو نتيجة (٦) أشهر من الاجتماعات بين كبار مسؤولي «حزب الله»، وعلى رأسهم: المسؤول عن فرع العراق في الحزب، وقادة «فيلق القدس» وقادة الميليشيات الشيعية العراقية.

أوصل إلى هذا التعاون الثلاثي المعارك في سوريا التي عززت علاقات «حزب الله» أكثر مع «الحرس الثوري» الإيراني والميليشيات الشيعية العراقية، بما في ذلك «كتائب أهل الحق» و«الحشد الشعبي».

بعض رجال الميليشيات الذين يأتون إلى لبنان ينتمون إلى «الحشد الشعبي»؛ مما يعني: أنهم يشكلون قوة عسكرية رسمية تستجيب لرئيس الوزراء العراقي؛ على الرغم من أن نشاطها في لبنان يتناقض مع سياسة حكومة العبادي في بغداد.

بالطبع ليس العبادي وراء هذه الخطوة، بل إيران التي تمسك بقبضتها الحديدية كل الميليشيات الشيعية العراقية، بالإضافة إلى «المرتزقة» الأفغان والباكستانيين، وتقوم بنشرهم في ساحات معاركها في الدول العربية.

لا تستثني إيران وحدات «حزب الله» للقتال في سوريا منذ بداية عام (٢٠١٢)، وتشير التقديرات إلى أنه خلال الأشهر الأخيرة وفي ذروة القتال أرسل «حزب الله» نحو (٦ آلاف) من مقاتليه إلى المستنقع السوري، أي: نحو الثلث من قواته القتالية.

تكبّد الحزب ثمنًا باهظًا! إذ فقد نحو (١٥٠٠) مقاتل، وذكرت مصادر داخلية أن نحو ألف آخرين أصيبوا بجراح بالغة، ولن يكون بمقدورهم القتال من جديد، ومن المشكوك فيه أن يتمكنوا حتى من ممارسة حياتهم المدنية بشكل طبيعي، وعلاوة على العبء الذي يتحمله الحزب فإن مشاركته المستمرة في القتال في سوريا تركت أثرها الاقتصادي السلبي عليه.

عندما بدأ يشترك في القتال في سوريا كان الحزب مرتاحًا ماديًّا، لكن الآثار المالية للضغط الإيراني عليه من أجل إرسال قوات إضافية لإنقاذ نظام بشار الأسد أدت إلى إفراغ خزائنه تاركة الحزب يتطلع إلى مصادر تمويل أخرى!

لا يزال الأمين العام للحزب يدفع الثمن بشريًّا واقتصاديًّا لحرب إيران في سوريا، لكنه -كما يكرر- يستطيع دائمًا الاعتماد على راعيه الإيراني، وليس من لا شيء أعلن في خطاب ألقاه بمناسبة «يوم القدس» العالمي في (يونيو / حزيران) الماضي أنه في زمن الحرب فإن مئات الآلاف من المقاتلين الشيعة من جميع أنحاء العالم سيساعدون الحزب.

كان يشير إلى وقوف إيران وراءه، وأنها على استعداد للقيام بكل ما يلزم من أجل تشديد قبضتها على الشرق الأوسط، والوصول إلى البحر المتوسط.

إن وصول مقاتلين شيعة إلى لبنان سيكون نعمة ونقمة على السيد نصر الله، والحزب يعمل جاهدًا على خطة تسويقية لانتشارهم؛ إذ لن يكون من السهل على الأمين العام التبرير لأنصاره لماذا يرسل أبناءهم للقتال في سوريا في وقت يأتي بالآلاف من العراقيين للاستيطان في جنوب لبنان؟!

ذلك الخطاب أثار موجة انتقادات من الحكومة اللبنانية، وتسبب في عاصفة شديدة من الرفض لدى اللبنانيين، وسط إحساس بأن المقاتلين الذين في لبنان سيبقون فيه، لكن سرعان ما عمد أعضاء «حزب الله» إلى تسكين المياه، شارحين بأن ما قاله يصب في الدعاية المعادية لإسرائيل، إلا أن الحقيقة هي: أن نصر الله لا يوجه تهديدات فارغة، دائمًا يجس النبض، ولا يتوقف، ويعتمد على أن الآخرين سيتوقفون وسيرضخون، وقد بدأ باتخاذ خطوات لتنفيذ خطته مما يقوض أكثر وأكثر السيادة اللبنانية.

ووفقًا للتقديرات، فبعد وصول مئات المقاتلين إلى لبنان في موجة أولى، ستليها موجات بالآلاف، وللتأكد من جدية التهديد لا يمكن إلا مراجعة ما حدث عندما تم تشديد الخناق على مصير النظام السوري؛ إذ ارتفع عدد المقاتلين الشيعة في سوريا إلى (١٢ ألفًا)، لم يولد واحد منهم في البلاد التي كانوا يقاتلون من أجلها.

وعندما سيأتي المقاتلون العراقيون إلى لبنان تحت رعاية «حزب الله» من الذي سيمنعهم من استقدام زوجاتهم وأولادهم لاحقًا؟ وقد يتزوج بعضهم لبنانيات، إنما لن يحصل أولادهم على الجنسية اللبنانية، وفقًا للقانون المدني حتى الآن.

هذا السيناريو يعني: تدفق جالية شيعية كبيرة إلى لبنان، ليس لها حقوق فيه، وسيقع العبء على «حزب الله» الذي سيكون مسؤولًا عن احتياجات سكان شيعة آخرين، فالقليل الذي بقي في خزائنه فيما يستمر القتال في سوريا مع العقوبات الدولية المفروضة عليه سيدفعه إلى اقتطاعه من الشيعة اللبنانيين المنتمين إليه والأكثر حاجة، لكن العبء الأثقل سيقع على لبنان واللبنانيين.

يعاني اللبنانيون منذ (٧٠) عامًا مع وصول أول اللاجئين الفلسطينيين الذين تصاعدت أعدادهم على مر السنين؛ ليصلوا إلى نصف المليون، ولا يزالون يفتقرون إلى الوضع القانوني، ففتحوا مخيماتهم للإرهاب، وخطر مخيم «عين الحلوة» جاثم بكل ثقله الآن.

ثم جاء أكثر من مليون ونصف المليون سوري سنّي، ويشكو اللبنانيون من العبء الاقتصادي الذي تسبب به هؤلاء؛ الذين ينافسونهم على الوظائف، ويضخمون البطالة المحلية، ويخنقون أكثر البنى التحتية المهترئة في لبنان، ويهددون الاستقرار الأمني.

ويأتي الآن «حزب الله» وبسبب الأطماع الإيرانية ليفرض على اللبنانيين التعامل مع مجموعات أخرى لهم ثقافة وعقلية مختلفة، وأمله في أن يتم استيعابهم، لكن من المؤكد أن السيد نصر الله يتذكر الأحداث التي وقعت عام (٢٠١٠) أثناء الاحتفال بذكرى عاشوراء، في بلدة النبطية في الجنوب؛ والتي تضم الكثير من مراكز قيادي الحزب، فخلال مراسم عاشوراء اندلعت الاشتباكات بين الفصائل العراقية المتنافسة من «تيار الصدر» (يزور لبنان حاليًّا بحماية الحزب)؛ التي جاءت للتدريب على القتال، وبين «تيار إياد علاوي»؛ وكانوا يبحثون عن عمل، وتصاعدت إلى حد اضطرت قوات الأمن اللبنانية إلى التدخل.. ما هي الضمانات لاحقًا التي ستمنع وقوع اشتباكات شيعية عراقية وشيعية لبنانية؟

يتذمر اللبنانيون من أن بلادهم تمر بتغير تدريجي في طابعها؛ لم تعد للبنانيين، بل للفلسطينيين والسوريين وقريبًا للعراقيين.

إن وصول المقاتلين الشيعة العراقيين سيكون له من دون أدنى شك آثار اقتصادية بعيدة المدى، والأخطر ستكون له تداعيات ديموغرافية كبيرة.

يقول السيد نصر الله أنه ذهب إلى القتال في سوريا دفاعًا عن لبنان! هل الإتيان بشيعة من «الحشد الشعبي» العراقي إلى لبنان هو -أيضا- للدفاع عن لبنان، أم نزولًا عند رغبة الأخطبوط الإيراني؟!

توجيه المعركة نحو صعدة

عبد الرحمن الراشد - الشرق الأوسط، ٢/١٠/٢٠١٧

صعدة هي المحافظة اليمنية الملاصقة لجنوب المملكة العربية السعودية، وهي موطن جماعة الحوثي وميليشياتها «أنصار الله» الموالية لإيران.

ولا نبالغ عندما نقول: إن إيران تريد من خلالهم أن تتواجد على الحدود الجنوبية للمملكة؛ بما يشكله ذلك من خطر جسيم، ليس على السعودية فحسب بل كذلك على أي سلطة تحكم صنعاء.

فقد خاض الحوثيون -حلفاء إيران- خمس حروب ضد قوات الحكومة في زمن رئاسة علي عبد الله صالح، وهاجموا السعودية في عام (٢٠٠٩)، وهم من قوّض الاتفاق اليمني الذي رعته الأمم المتحدة عندما دخلت ميليشياتها العاصمة صنعاء واستولت على السلطة في (سبتمبر / أيلول ٢٠١٤).

للسعودية في اليمن غايتان:

الأولى: تثبيت الشرعية لهذه الدولة الجارة، فأمن اليمن واستقراره مسألة حيوية لها.

والثانية: حماية حدودها وأراضيها من الفوضى والإرهاب والتهريب.

وترتاب السعودية في الحوثيين بأنهم حصان طروادة الذي يختبئ داخله الإيرانيون، بهدف تطويق السعودية، وهم ينشطون حاليًا بعمليات هجوم مستمرة على حدودها وقصف مدنها، ولولا قدرات السعودية الدفاعية العالية لكانت الصواريخ قد تسببت في هلع وأضرار خطيرة على مدنها الجنوبية، ومدن كبيرة مثل: جدة ومكة المكرمة والطائف.

وما دام أن أكثر من ثلثي مساحة اليمن تم تحريره، وأصبح يخضع للقوات الشرعية تحت سقف التحالف؛ الذي تقوده السعودية، فإنها -أي: الرياض- تملك خيارات جيدة:

أولها: أن تستمر في الحرب ومواجهة القوى المعادية في كل مكان في اليمن ضد قوات صالح والحوثي وتنظيم القاعدة.

والخيار الثاني: أن تكتفي بما تحقق، وتكمل دعم قدرات الحكومة الشرعية عسكريًّا لتعزيز نفوذها على مناطقها.

الثالث: أن تركز على حماية أراضيها، وتخلق منطقة عازلة جنوب حدودها؛ التي تشمل محافظة صعدة.

أعتقد أن الأول -الحرب الشاملة- قد يطول، وهي -في نظري- لم تعد ضرورية بوجود حكومة شرعية في عدن، كما أن صنعاء لم يعد يوجد لها أي تأثير على بقية الدولة.

أما الخيار الثاني -التخلي التام عن الحرب- فهو ليس عمليًّا، لأن قوى، مثل إيران و«القاعدة»، ستنشط، والشرعية قد تضعف.

في حين أن الخيار الثالث -وهو: تنظيف شمال اليمن وخلق منطقة عازلة- سيوحد كل القدرات في ضرب الحوثي في مسقط رأسه، وإن نجحت الحملة فستخدم نتائجها السعودية وبقية اليمن؛ حيث إن معظم الأزمة مصدرها الحوثيون، وبخلع هذا الضرس الفاسد في اليمن سيستقر شمال اليمن، ويحمي السعودية، وبعدها يمكن الالتفات إلى صنعاء.

الحوثي مكوّن يمني صغير نسبيًّا، لا يتجاوز (٣%) من سكان اليمن، وقد يكون عدد الموالين له ضعف هذه النسبة، نتيجة نشاطه فكريًّا وسياسيًّا وعسكريًّا، ولا أملك معلومات موثوقة عن قواته وانتشارها، لكننا نعرف أنها جماعة صغيرة مسلحة ومتطرفة دينيًّا تتبع فكريًّا وسياسيًّا إيران.

ويمكننا أن نفهم خطر جماعة الحوثي أكثر عندما نقارنها بتنظيم القاعدة الذي يشبهها كثيرًا، فصغر عدد أتباع تنظيم الحوثي لا يجعله قليل الخطر، فهو ملتزم آيديولوجيًّا، ويقوم على تعظيم شعيرة القتال: «الجهاد» وفق تفسيراته لها.

وبالتالي؛ من دون محاصرته سيظل مشكلة مزمنة وخطرة على الجميع.

يمكن التعاون مع القبائل اليمنية في الشمال؛ فقد كانت دومًا حليفة للسعودية، ومصدر استقرار تلك المنطقة، ويمكن دحر الحوثي في صعدة؛ فهي مقر قيادته القبلية والعسكرية، وبهزيمتها سيقضى على ميليشياته في بقية مناطق النزاع.

عند انسحابهم من صنعاء نتيجة حرب صعدة سيكون أهون على بقية الفرقاء التفاهم على حل سلمي لمن تبقى في المدينة.

الوضع كما هو اليوم: فشل ذريع للحوثيين وصالح، منذ بداية الحرب؛ فشلوا في إقامة دولة لهم، وفشلوا في منع عودة الشرعية من المنفى، مع هذا؛ لا ننكر أنهم يستطيعون بصفتهم ميليشيات لا جيوشًا الاستمرار في المواجهات والمناوشات، وفي حال إنهاء قوة الحوثيين في محافظتهم فحينها قد يخمد التمرد تمامًا.

مراكز إيرانية في سوريا لتسهيل الانتساب إلى آل البيت

علي محمد طه - موقع المثقف، ٢٠١٧/٩/١٧

مع التواجد الإيراني الكثيف في سوريا بعد عام (٢٠١٢م) انتشر في سوريا ما يسمى بـ «مراكز ومجامع آل بيت الرسول ﷺ»، ويشرف عليها تابعون للمرجعيات الشيعية في العراق وإيران، ويدّعي منشؤوها أنهم يقومون بعمل عظيم، وهو: حصر وإحصاء أنساب آل البيت الكرام، وتنقيته من الدخلاء.

الغريب أن جُل القائمين على هذه المجامع والمراكز هم من الإيرانيين غير العرب، وممن لا يُعرف لهم أصل أو فصل؟!

وتتركز جُل هذه المراكز التي باتت تلقى إقبالًا كبيرًا عليها في مناطق جنوب دمشق؛ خاصة في منطقتي السيدة زينب والسيدة رقية التي تقطنها غالبية شيعية، ومع تزايد قبضة حزب الله والمليشيا الإيرانية والعراقية على دمشق ومحيطها تزايدت أعداد الشيعة القادمين للعيش في هذه المناطق فيما سمي بعملية التغيير الديموغرافي؛ التي تقوم بها إيران في الجنوب السوري، والتي تم بموجبها جلب عشرات الآلاف من الشيعة؛ لتوطينهم في عدة مناطق في محيط دمشق بعد تهجير أهاليها منها.

◄ المجمع العالمي لآل البيت:

وهو من أكبر المجامع الموجودة جنوب دمشق في منطقة السيدة زينب، ويدار بشكل مباشر من إيران، ويعمل هذا المجمع على إصدار بطاقات تنسيب القادمين الجدد ممن يرغبون الانضمام إلى آل البيت.

ويقول القائمون على المجمع أن الهدف منه هو: العمل على حصر المنتسبين لآل البيت؛ لكثرة المدعين والمنتسبين زورًا لهم، فجاء هذا المجمع تلبية لما يحتاجه هذا النسب من عناية واهتمام وتأصيل لأنساب أصحابه، ضمن آلية عمل دقيقة تعمل على حصر الأنساب لمن يدّعون أنهم من آل البيت، وتمحيصها لمعرفة صحتها، وفصل المنتسبين كذبًا عنها.

ويعتبر المجمع العالمي نفسه بأنه المرجع الأول لمن ينتسبون للنسب الشريف في العالم، ويضم المجمع حاليًّا المئات من المنتسبين له، ممن يدعي المجمع أنهم ينتسبون إلى البيت الشريف.

ويرى الكاتب السوري راشد العيسى أن هذا المجمع وغيره خطوة إيرانية خبيثة للسيطرة، وبث النفوذ من خلال إيجاد أتباع لها من الشيعة الجدد، ممن يتم تنسيبهم إلى آل البيت زورًا وبهتانًا؛ سواء من العرب المتشيعين أو من الفرس؛ والذين تم جلبهم بعشرات الآلاف لتوطينهم في سوريا.

وحذر العيسى من هذه المجامع؛ لأنها تهدف بدايةً لتوطين ثم تشييع الجهلاء والمخدوعين من أهل السنة في سوريا بإيران، ودعا للكشف عن حقيقة هذه المراكز والمجمعات وضرورة محاربتها؛ لأنها مخطط خطير يتم بصمت في الجنوب السوري.

◄ مركز أبناء الإمام علي:

ويتخذ هذا المركز من السيدة زينب مقرًا له، ويشرف عليه مكتب المرجع علي خامنئي في الحوزة الدينية في السيدة زينب.

وقد أصدر هذا المركز بيانًا أكد فيه انتساب كلّ من: الخميني وعلي السيستاني وعلي خامنئي ومحمد خاتمي وحسن نصر الله وغيرهم.

ويدعي هذا المركز بأن هؤلاء تعود أنسابهم إلى آل البيت.

وأكد المركز بأن أعداد المنتسبين للنسب الشريف في العالم الإسلامي يزيدون عن الخمسين مليون شخص، أكثرهم في إيران والعراق ودول إسلامية أخرى.

ويقول المركز بأنه وثّق أنساب العديد من الأسر الإيرانية ومن يسمون بالسيّد، أي: المنتسبين إلى آل البيت عند الشيعة؛ حيث تم البحث عن جذورهم، وثبت انتسابهم.

◄ مجمع المراجع الشيعية:

وعددها يزيد عن العشرة في دمشق، وكلها تصدر بطاقات انتساب إلى آل البيت، وتقول بأنها تعمل تلبية لما يحتاجه هذا النسب من عناية واهتمام وتأصيل لأنساب أصحابه.

وتقول بأنها تعمل ضمن آلية عمل دقيقة لحصر الأنساب لمن يقولون أنهم من آل البيت، وتمحيصها لمعرفة صحتها، وفصل المنتسبين كذبًا عنها.

◄ فادي برهان نقيب الأشراف:

ويشغل منصب مدير العلاقات الخارجية في حوزة الخميني، ومن الشخصيات التي تنشط في مجال التشييع في سوريا، ومن المشرفين على ما يسمى: (توثيق أنساب آل البيت)، ومن المقربين إلى النظام السوري وإيران.

ويلقب فادي برهان بـ (نقيب الأشراف في سوريا)، وقد اشتهر اسمه بعد الصفقة الشهيرة التي عملت على تهجير أهالي الزبداني وبلودان إلى منطقة إدلب مقابل فك الحصار عن قريتي كفريا والفوعة الشيعية في محافظة إدلب السورية من قبل فصائل أحرار الشام.

وتحاول وسائل إعلام النظام السوري وحليفتها طهران تسويق (فادي برهان) على أنه نقيب الأشراف، والممثل الرسمي للطائفة الشيعية في سوريا.

وتصدّر برهان عددًا من الفعاليات الداعمة للنظام السوري، كما جمعته صورٌ مع مقربين من القيادة في الجمهورية الإيرانية وحزب الله اللبناني وقادة في الجيش؛ كالعميد عصام زهر الدين، ونافذ أسد الله - قائد الحرس الجمهوري في دير الزور -، وقد نجا رجل الدين من محاولة اغتيال بعد إصابته بثلاث رصاصات في الرقبة والصدر والفخذ، مطلع (أيار ٢٠١٢)، قرب منطقة المضافة الفاطمية بالسيدة زينب جنوب دمشق.

وتطلق كلمة «أشراف» على المنحدرين من آل بيت الرسول محمد ﷺ، ويقول نشطاء سوريون في بيان لهم عام (٢٠١٥م) أن برهان ادّعى مؤخرًا أنه نقيب السادة الأشراف في سوريا؛ بدعم إيراني، مع أنه لا صحة لانتسابه إلى آل البيت، متناسيًا العقاب الإلهي والعذاب المشدد على من ادّعى زورًا وبهتانًا النسب للسادة الأشراف!

وتتهم المعارضة إيران ونظام الأسد بالسعي إلى تغيير ديموغرافي في النسيج السوري، مستدلةً بمطالبه بتهجير أهالي المناطق الثائرة في كافة أنحاء سوريا إلى الشمال، وتفريغ محيط العاصمة من خزانها البشري، إلى جانب حركة التشييع العلنية في محيط دمشق تحت مسميات: (الانتساب إلى آل البيت والدعوة لمناصرة مظلوميتهم).

مؤكدين أن ما يجري يهدف في حقيقته لتحقيق الحلم الإيراني بالسيطرة على المنطقة من بوابة التشييع أولًا، ويمهد الطريق ثانيًا لتمدد المشروع السياسي الإيراني غربًا إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط.

«ميدل إيست آي»: هزيمة السُّنة..
كيف هيمن حزب الله على السياسة اللبنانية؟

موقع لبنان ٣٦٠ ، ٢٠١٧/١٠/١

إن الهيمنة الحالية لحزب الله -وهي الجماعة الشيعية القوية في لبنان- على الشؤون المحلية في غياب قوة سياسية مضادة؛ تركت السنة يشعرون بالضعف والإحباط.

قال مصطفى علوش -عضو البرلمان السابق- لـ «ميدل إيست آي» في إشارة إلى السنة في لبنان: «هناك شعور بالهزيمة»؛ على الرغم من أن تعدادهم يساوي تقريبًا تعداد الشيعة في ذلك البلد متعدد الديانات.

أعلن حزب الله -المدعوم من إيران- مؤخرًا انتصاره في سوريا، وقبل أقل من عام تقلد حليفه ميشال عون منصب رئاسة لبنان؛ حيث أصبح لاعبًا إقليميًّا رئيسيًّا، وكان الحزب يقاتل إلى جانب الحلفاء الدوليين للحكومة السورية -بما في ذلك روسيا-، مع الحفاظ على الردع الحدودي ضد الإسرائيليين والتهديد بأن المواجهة التالية قد تحدث على أراضي الدولة العبرية.

وتتعرض الكتلة السنية الرئيسية برئاسة رئيس الوزراء سعد الحريري لأزمات مالية وسياسية، وسط فتور العلاقات مع السعودية، وكان الحريري قد عاد إلى رئاسة الوزراء مع صعود عون إلى الرئاسة في (أكتوبر / تشرين الأول) الماضي، لكن ذلك لم يتم إلا بموافقة حزب الله.

وكان الحزب قد أطاح بحكومة الحريري الأولى في عام (٢٠١١) -قبل وقت قصير من بدء الصراع السوري- عندما سحب حزب الله وحلفاؤه وزراءهم من الحكومة.

وكان رئيس الوزراء قد هيمن على أصوات السنة في الانتخابات البرلمانية الأخيرة، ولكن هذا كان في عام (٢٠٠٩).

ويقول المراقبون وأعضاء حزبه أن الحريري من غير المرجح أن يحتفظ بهيمنته المطلقة -تقريبًا- على التمثيل السني في انتخابات العام المقبل.

لم يعد سعد الحريري -الذي ورث حزب حركة المستقبل عن والده بعد اغتيال رفيق الحريري في عام (٢٠٠٥)- هو الزعيم الذي لا يشق له غبار لدى سنة لبنان، وقد بات الحريري بين مطرقة المتشددين الذين يقولون أنه يتنازل كثيرًا، وسندان حزب الله الذي يعتبر الحريري ذراع ألد أعداء إيران في المنطقة؛ الرياض.

■ موقف غير عادي:

كان أشرف ريفي -رئيس الأمن السابق ووزير العدل- قد هجر معسكر الحريري، بسبب ما أسماه: «الانحناء أمام إرادة حزب الله»، وقال أن مستقبل حزب حركة المستقبل مظلم!

يعتبر ريفي أحد الشخصيات الصاعدة في المجتمع السني التي قد تهدد قيادة الحريري.

في انتخابات مجلس مدينة طرابلس عام (٢٠١٦) هزم المرشحون المدعومون من قبل ريفي قائمة الحريري؛ والتي حظيت بدعم من قادة محليين آخرين بمن فيهم رئيس الوزراء السابق نجيب ميقاتي.

في مقابلة مع «ميدل إيست آي» أكد ريفي على أنه منحاز إلى موقف فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، عندما اختارت حكومة فيليب بيتين تسليم فرنسا إلى النازيين، في حين قاد الجنرال شارل ديجول حركة مقاومة من لندن.

يؤكد حزب الله من جهته أنه لا يريد السيطرة على لبنان، وأنه أرسل مقاتليه إلى سوريا لحماية الشعب اللبناني من تهديد الإرهاب.

لكن ريفي يلوم حزب حركة المستقبل من أجل «الموقف غير الطبيعي» الحالي الذي يجد السنة اللبنانيين أنفسهم فيه.

وقال ريفي لـ «ميدل إيست آي» -من منزله في حي الأشرفية في بيروت-: «إنهم يشعرون أن القيادة قد تخلت عنهم»، وأضاف أن: «القيادة التي منحوها كل ثقتهم وأصواتهم لم ترتقِ إلى المستوى المناسب من المسؤولية؛ فقد تصرفت وكأنها هُزمت واتخذت خيارات تتنافى مع خيارات المجتمع الذي تمثله!».

وأشار ريفي إلى أنه بالإضافة إلى فشل التعامل مع حزب الله، فشل حزب الحريري -أيضًا- في تلبية الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية للشعب، وأضاف: أن حركة المستقبل لبت احتياجاتها الخاصة عبر إعطاء حزب الله رئيسًا وأغلبية في مجلس الوزراء، في تلميح إلى عودة الحريري رئيسًا للوزراء.

من جانبه؛ قال عامر حلواني -عضو المكتب السياسي لحركة المستقبل- أن الحريري وافق على تعيين عون رئيسًا لأن الخيار الآخر هو: أن تنهار الدولة اللبنانية بعد أكثر من عامين من شغور منصب الرئاسة، وصرح لـ «ميدل إيست آي» بالقول: «في السياسة؛ أنت لا تختار بين الصواب والخطأ، بل تختار البديل الأقل خطورة والأقل خطأ».

كما أن الحريري هو الزعيم الرئيسي لحركة (١٤ مارس/آذار) المدعومة من الغرب والسعودية؛ والتي تشكلت بعد اغتيال والده في عام (٢٠٠٥) للمطالبة بانسحاب الجيش السوري من لبنان، وبالفعل انسحبت القوات السورية من لبنان بعد انتفاضة شعبية تلت وفاة الحريري.

وكانت دمشق قد هيمنت على الشؤون اللبنانية منذ نهاية حربها الأهلية عام (١٩٩٠).

وكانت كتلة الحريري قد بدأت هجومها على الحزب بعد اكتساحها الانتخابات في العام نفسه ؛إذ دعا حلفاءه إلى نزع سلاح حزب الله، ودفعوا بنجاح نحو تشكيل محكمة دولية للتحقيق في وفاة الحريري.

ومع ذلك؛ بدأ التحالف يتدهور عندما وجد حزب الله حليفًا في عون؛ الذي كان سابقًا معارضًا قويًّا للحكومة السورية.

وفي (٧ مايو/ أيار ٢٠٠٨) نشر حزب الله مسلحين في بيروت احتجاجًا على قرار الحكومة التي يقودها تحالف (١٤ مارس/آذار) بإزالة شبكة هاتف داخلية أنشأتها الجماعة.

شل المسلحون الحياة في العاصمة، وحرقوا محطة تلفزيون المستقبل التابعة للحريري، وقال حزب الله أن شبكة الهاتف كانت جزءًا أساسيًّا من ترسانتها ضد إسرائيل، وتعهد زعيمه حسن نصر الله بـ «قطع اليد» التي امتدت إلى أسلحة حزب الله.

غيرت هذه الأحداث ميزان القوى في لبنان، قال علوش -وهو زعيم بارز في حركة المستقبل- أن حزب الله كانت لديه طريقته في التعامل مع المعارضين السياسيين باستخدام أسلحته، أو التهديد باستخدامها.

■ يشعرون وكأنهم أقلية!

ونوه علوش إلى أنه منذ بدايات الإسلام كان السنة في السلطة، واعتبروا أنفسهم جزءًا لا يتجزأ من الأمة الإسلامية، وليس مجتمعًا هامشيًّا، ولكن عندما انهارت الإمبراطورية العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى صدموا بفقدان مركز سلطتهم في العالم!

في لبنان؛ أدى اغتيال رفيق الحريري، وتحول حزب الله إلى أقوى قوة في البلاد إلى شعور السنة بأنهم أقلية، وعزز الشعور لديهم بأنهم ضحية.

وأكد علوش أن الحرب في سوريا عززت هذا التصور.

قال علوش -وهو طبيب من مستشفى في مدينة طرابلس الشمالية-: «بعد عامين من الثورة، وبعد كل المجازر وتدخل حزب الله؛ فإن موقف السنة هو استهدافهم إقليميًّا، ليس فقط في لبنان».

وأضاف: أن السنة يشعرون أن هناك حربًا عالمية ضدهم، يشنها الغرب وروسيا وايران.

إن نظريات المؤامرة حول عمل طهران سرًّا مع واشنطن ضد المسلمين السنة قد غذت مشاعر معادية لإيران وللشيعة في المنطقة، وإن الشعور بالإحباط الذي يتملك السنة في لبنان هو -أيضًا- جزء من شعور أوسع من القمع منذ فشل الربيع العربي.

■ يشعرون أنهم ضحية!

أشار علوش إلى ازدواجية معايير الدولة في التعامل مع اللبنانيين الذين قاتلوا في سوريا؛ ففي حين أن حزب الله أصبح قوة حاسمة في الحرب الأهلية في البلد المجاور؛ فقد اعتُقل اللبنانيون السنة الذين انضموا إلى قوات المتمردين، وجرت محاكمتهم.

منذ بداية الصراع السوري شهد لبنان صعود الجماعات السنية المسلحة؛ بما في ذلك ظهور الشيخ أحمد الأسير؛ الذي حكم عليه بالإعدام في (٢٨ سبتمبر/أيلول) عقب اشتباكات دامية مع الجيش اللبناني.

وقال علوش أن التطرف المسلح يغذي العنف، مؤكدًا أن الحريري لم يشجع أو يوافق على هذه المجموعات، وأضاف: «إن موقفنا في حركة المستقبل كان دائمًا أن التطرف لا يمكن التعامل معه سوى باعتدال أكبر».

كما ندد ريفي بالحركات والشخصيات السنية المسلحة، قائلًا أنها لا تمثل المجتمع المعتدل، وأن المتطرفين جرى التهويل منهم بين السنة لأنهم ملأوا الساحات العامة، في حين بقي المعتدلون في المنزل، وأضاف ريفي: «لكن الانحناء ليس اعتدالًا، بل هو انتحار!».

لكن علوش حذر من أن حمل السلاح ضد حزب الله لن يكون فعالًا، وقال أن الهدف من الصراع مع حزب الله هو: البقاء دون استسلام، معترفًا بالقيود المفروضة على حزبه.

وبحسب علوش؛ هناك حلان ممكنان لأسلحة حزب الله: اتفاق دولي من نوع ما، أو هزيمة أحد الجانبين في صراع طائفي إقليمي، وأضاف: «في كلتا الحالتين لن يكون دورنا في لبنان مؤثرًا؛ ما لم يكن هناك تسليح وتمويل للجماعات السنية في لبنان، وفي هذه الحالة سنسير نحو حرب أهلية مدمرة للبلاد».

وأشار علوش إلى أن خصوم الحريري من السنة رفعوا سقف التوقعات، ولكنهم فشلوا في تقديم أي حلول فعلية!

ومع ذلك، رفض ريفي فكرة أن التصدي لحزب الله سيؤدي إلى حرب أهلية، وقال: «البديل هو: الدولة، وليس الميليشيات، ولا أستطيع الموافقة على الانحناء بحجة أن حزب الله يمتلك أسلحة».

تعليقًا على ذلك؛ قال عبد الغني عماد - أستاذ علم الاجتماع في الجامعة اللبنانية - أن تغير ميزان القوى وضعف الدولة والتوترات الطائفية غير المسبوقة؛ جعلت السنة يشعرون أنهم ضحايا للظلم، وأضاف في حديثه مع «ميدل إيست آي»: «مثل كل اللبنانيين، يريد السنة العدالة والمساواة، ولكن نظرًا لهذا التوتر الطائفي فإنهم يشعرون أن هناك تمييزًا ضدهم».

■ **الدور السعودي:**

سرت شائعات في طرابلس تفيد بأن قطر قد تكون وراء تمرد ريفي السياسي، لكن رئيس الأمن السابق ينفي أنه يتلقى أموالًا من الدوحة، وقال أن السنة في لبنان لا يزالون يتطلعون إلى السعودية والإمارات لقيادة المنطقة، قائلًا: «نأمل أن يعود الانسجام إلى الخليج»، ومناشدًا قطر بمراجعة سياساتها للمساعدة على إنهاء الأزمة.

كان الحريري - الذي وقف إلى جانب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في حديقة البيت الأبيض في (يوليو/ تموز) الماضي - قد أكد دعمه جهود الوساطة الكويتية في أزمة الخليج، داعيًا إلى الحوار، وامتنع عن انتقاد الدوحة.

وفي الوقت نفسه؛ يقول المحللون أنه في ظل هيمنة حزب الله يبدو أن المملكة تغير نهجها تجاه لبنان، فبينما كانت الرياض تدعم الحريري - ووالده قبله - في مواجهة حزب الله؛ ألغت السعودية في العام الماضي منحة بقيمة (٣ مليارات) دولار للجيش اللبناني، وحذرت مواطنيها من زيارة البلاد، وكان ذلك علامة على أن المملكة تبتعد عن الانخراط في الشؤون اللبنانية، واعتبار البلد دولة معادية بسبب التمدد الإيراني، ومع ذلك على الرغم من انحسار دور السعودية لم تجد قطر بعد موطئ قدم قوي في المشهد السياسي اللبناني.

واعترف عماد - أستاذ علم الاجتماع - بأن علاقات الرياض بالحريري مربكة! وقال أن السعودية تعمل الآن بصفة مراقب أكثر من لاعب في لبنان، دون أن تضع وزنها خلف الحريري.. «هل تخلت عنه؟ ثم من هو حليفهم البديل؟».. يتساءل عماد! وأشار إلى أنه لا يعتقد أن ريفي هو رجل السعودية الجديد في لبنان، قائلًا أن حركة المستقبل لا تزال الحزب السني الوحيد الذي يتمتع بشعبية واسعة.

أخيرًا؛ أعرب علوش عن أسفه لأن علاقات الحريري بالرياض ليست كما كانت عليه من قبل، لكنه رفض انتقاد المملكة، مشيرًا إلى أنها وقفت إلى جانب لبنان خلال الأوقات الصعبة.

المسجد الأقصى...تاريخ من الانتهاكات الإسرائيلية

تعرض المسجد الأقصى، بمدينة القدس، منذ احتلاله في العاشر من يونيو عام 1967 لسلسلة طويلة من الانتهاكات الإسرائيلية. وكان آخر هذه الانتهاكات، إغلاق المسجد، ومنع الصلاة فيه، يومي الجمعة والسبت الماضيين 14 و15 يوليو الجاري

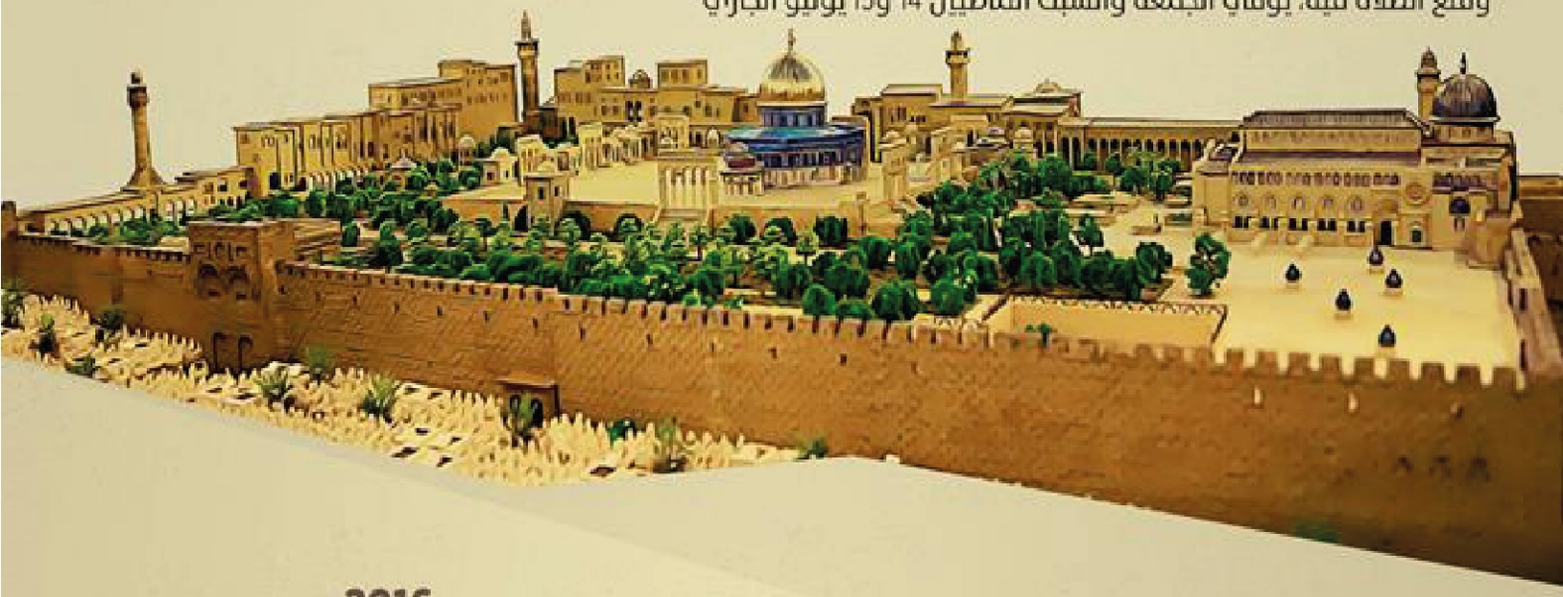

1967

- استولت سلطات الاحتلال على مفاتيح **باب المغاربة**، وهو أحد الأبواب العشرة المفتوحة في المسجد الأقصى

1969

- أضرم **دنيس ميشال روهان** متعصب يهودي من أصول استرالية، النار في مسجد القبلة الذي أنشئ بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب سنة 636 ميلادي، ما أدى إلى حرق الحائط الجنوبي **ومنبر صلاح الدين الأيوبي**

1982

- **حاولت** مجموعة سرية يهودية **تفجير** مصلى قبة الصخرة، لكنها أخفقت. وفي العام نفسه نجح **متطرف يهودي** في **اقتحام** المصلى **وإطلاق النار**، فقتل فلسطينيين اثنين

1984

- أعلن عن كشف خلية سرية في سلاح الجو في الجيش الإسرائيلي، كانت تخطط لقصف المسجد الأقصى من الجو

1990

- احتشد الفلسطينيون في أكتوبر 1990 في المسجد **لصدّ المستوطنين** الذين أعلنوا عن نيتهم وضع حجر الأساس لبناء الهيكل الثالث داخل المسجد

1996

- **مذبحة الأقصى الثانية:** اندلعت عندما أعلن عن فتح نفق في محيط المسجد الأقصى، وقد اندلعت على إثر ذلك هبة النفق، قتل فيها 63 فلسطينياً

2000

- اندلعت شرارة الانتفاضة الفلسطينية الثانية من قلب المسجد الأقصى، عندما **اقتحم ساحته اريئيل شارون**

2010

- افتتح في العام 2010 "كنيس الخراب" وهو **أكبر كنيس** في البلدة القديمة ولا يبعد سوى أمتار قليلة عن المسجد

2015

- شهد هذا العام أشرس محاولة إسرائيلية **لفرض مخطط التقسيم الزماني والمكاني** على المسجد، وقد شهد أيضاً **حظر** الحركة الإسلامية في الداخل، وحظر ما أسمته المخابرات الإسرائيلية "تنظيم المرابطين والمرابطات". **وتوقف مشاريع إعمار المسجد الأقصى** ومنها مسيرة البيارق ومشروع مصاطب العلم في المسجد الأقصى

2016

- شهدت **اقتحامات المستوطنين** التصعيد الأكثف في 2016، إذ وصل عدد المستوطنين الذين اقتحموا المسجد الأقصى خلال العام الماضي ما يقارب **14 ألف** مستوطنا
- **ارتفاع عدد المبعدين** عن المسجد الأقصى ما يقارب **258 فلسطينيا** منهم 23 سيدة و11 من موظفي دائرة الأوقاف
- وصل عدد الحفريات في محيط المسجد الأقصى **63 حفرية متوزعة** على الجهات الأربعة في محيط الأقصى

2017

- **إغلاق المسجد ومنع الصلاة فيه:** أغلقت إسرائيل المسجد ومنعت الصلاة فيه، يومي الجمعة والسبت الماضيين 14 و15 يوليو الجاري، بذريعة وقوع عملية إطلاق نار نفذها 3 فلسطينيين أسفرت عن مقتلهم، ومقتل شرطيين إسرائيليين اثنين

الرصد

www.alrased.net

سلسة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٧٤ ربيع أول ١٤٣٩هـ

خديعة الممانعة الإيرانية

20 مستقبل الطائفية في الشرق الأوسط وتحديات المجال السني

33 خرافة المظلومية الشيعية في العراق زمن الدولة العثمانية

42 سياسة إيران تجاه دول الجوار

المحتويات

فاتحة القول

- خديعة الممانعة الإيرانية ٢

فرق ومذاهب

- حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج (٦): تطور تنظيم الجهاد للذوبان في تنظيم القاعدة..... أسامة شحادة ٤

سطور من الذاكرة

- ثورات الخوارج (١٤): أمرٌ ما لهُ غير المهلّب!..... هيثم الكسواني ١٥

دراســـــــات

- مظلومية أهل السنة في إيران (٦) اعتداء نظام الملالي على المساجد والمدارس الدينية..... ماجد العباسي ١٨
- مستقبل الطائفية في الشرق الأوسط، وتحديات المجال السني..... بوزيدي يحيى ٢٠
- لماذا يحاربون «صحيح البخاري»؟ (٢) أين نسخة «صحيح البخاري»؟..... فادي قراقرة ٢٥
- محمد المنتصر الإزيرق.. نفخ الروح في التصوف السوداني..... محمد خليفة صديق ٢٩
- خرافة المظلومية الشيعية في العراق: ١- زمن الدولة العثمانية..... عبد العزيز بن صالح المحمود ٣٣

كتاب الشهر

- كتاب: سياسة إيران تجاه دول الجوار..... عرض: أسامة شحادة ٤٢

قالوا

- ٤٦

جولة الصحافة

- التدين والإلحاد في استطلاعات الرأي..... سامر أبو رمان ٤٨
- تأخير كشف «وثائق أبوت آباد» يثير تساؤلات حول الاتفاق النووي!..... هاني نسيرة ٥٠
- التداعيات الأمنية للعقوبات الأمريكية على حزب الله..... مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ٥٥
- من يكتب تاريخ البحرين؟!..... إبراهيم الشيخ ٥٧
- الأردن وإيران: أين المشكلة؟!..... محمد أبو رمان ٥٨
- بوتين!! من أين لك هذه الجرأة؟..... عاكف بكي ٥٩
- يحيى الحوثي... محاضرًا!..... محمد جميح ٦٠
- التنمية.. سلاح لمحاصرة «داعش أفريقيا»..... محمد مختار الفال ٦٢
- العودة إلى ما بعد اغتيال الحريري وما قبل حرب (٢٠٠٦): سلاح حزب الله..... علي الأمين ٦٤
- القرارات السعودية تربك النظام الإيراني..... محمد السلمي ٦٦
- بين لبنان والسعودية... إنه اليمن يا عزيزي!..... نديم قطيش ٦٨
- حسابات متداخلة: أزمات متعددة في مواجهة أحمدي نجاد..... مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ٦٩
- بعد المعونات الإيرانية.. هل تنحاز الفصائل الفلسطينية إلى محور إيران في أي حرب مقبلة؟..... موقع الحقيقة ٧١
- كيف يسيطر الحوثي في اليمن؟..... عبد الرحمن الراشد ٧٢

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٧٤)
ربيع الأول ١٤٣٩هـ

www.alrased.net
info@alrased.net

خديعة
الممانعة الإيرانية

لا تفتأ إيران ووكلاؤها من الميلشيات الشيعية تردّد دومًا أن الثابت الوحيد لديها هو: مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وممانعة الاستكبار الأمريكي، وتجنّد من أجل ترويج هذه الخرافة الكثير من المنابر الإعلامية والأبواق الدعائية من مختلف البلاد والديانات والأيدلوجيات.

وبرغم صفاقة هذه الأسطوانة المشروخة والكاذبة إلا أن عملاء الملالي لا يستحون من عرضها في كل محفل ولقاء! برغم ما يلاقونه من سخرية واستهزاء من الجمهور الواعي بالتقية الشيعية والمراوغة الإيرانية.

ومن أجل مزيد من الوعي بدجل هذه الدعاية الإيرانية والشيعية، وترسيخ ثقافة مقاومة المشروع الإيراني والشيعي؛ سنفكك طبقات الدجل في هذا الطرح عبر النقاط التالية:

١ - برغم التحالف الوثيق بين إيران وسوريا، والذي من أجله قامت إيران بحشد كل الميلشيات الشيعية من أرجاء العالم لخدمة نظام بشار، وزجّت بكثير من قيادات وكوادر الحرس الثوري وفيلق القدس لنجدته؛ إلا أن هذه القوات لم تحفل بأكثر من (١٠٠) حالة عدوان إسرائيلي على سوريا خلال الثورة السورية! فأين المقاومة والممانعة؟

بل لقد تعاونت إسرائيل مع قوات الأسد بالسماح لها بالتقدم في المنطقة المعزولة في الجولان بدباباته لضرب الثورة السورية من الخلف! ثم يزعم النظام والملالي أن الثورة عميلة لإسرائيل!

والأشد من ذلك أنّ جبهة الجولان منذ أكثر من (٥٠) سنة لا توجد فيها مقاومة وممانعة! أليست الجولان محتلة من إسرائيل؟ أم أنّها مستثناة من المقاومة؟

إن المقاومة شماعة للسيطرة على الدول! ولما كانت سوريا في الحضن الإيراني فلا حاجة للمقاومة لتحقق الغاية أصلًا.

٢ - في لبنان، رغم وجود أكبر أداة لإيران، وتتمثل في حزب الله الذي بنى شعبيته وشرعيته على المقاومة والممانعة إلا أنه عمليًّا يلتزم بهدنة وتفاهمات نيسان مع إسرائيل؛ التي تمت برعاية أمريكية سنة (١٩٩٦)، وأعلن نصر الله أنه لو كان يعلم أن خطف جنديين إسرائيليين سنة (١٩٩٦) سيمسّ التفاهمات لما قام بها! فأي مقاومة هذا؟

ومع تضخم ترسانة الحزب فإنها لم تصوّب على إسرائيل، ولا استخدمت في مقاومته، بل سلّطت على الشعب اللبناني بغزو بيروت، ومقاتلة الشعب السوري؛ بينما الجبهة الإسرائيلية نائمة!

وحتى لما هاجمت إسرائيل قطاع غزة في أعوام (٢٠٠٨، ٢٠١٢، ٢٠١٤)، بقي حزب الله مقاومًا بالكلام أو صامتًا!! حتى عيّر خالد مشعل الحزب بأن الدعم بالهاتف بعد (٢٠) يومًا لا قيمة له!

حجة المقاومة والممانعة هي غطاء للسيطرة على الدولة؛

من خلال امتلاك السلاح بدعوى المقاومة، وتوظيفه لإرهاب الشركاء في الداخل وتنفيذ أجندات الملالي في الخارج.

٣- في فلسطين وغزة على وجه التحديد قامت إيران برفع شعار: "دعم المقاومة الفلسطينية" لاتفاق الغاية والهدف، فبدأت مع حركة الجهاد ومدّتها بالمال والتوجيه حتى تَشيّع بعض قادتها عقديًّا، وانشقوا عن الحركة، وأسسوا حركة «الصابرين»، وتشيع سياسيًّا كثير من قادة «الجهاد»، وأصبح قرار الحركة بشكل كبير في يد ملالي طهران، ولذلك رأينا ممثل «الجهاد» في صنعاء يكرّم زعيم عصابة الحوثيين قبيل الانقلاب في اليمن سنة (٢٠١٤)!

أما حماس؛ فقد تلقّت دعمًا إيرانيًّا متقطّعًا، باعتراف موسى أبو مرزوق، لكنها قدّمت شكرًا متواصلًا كاذبًا لطهران!

المهم أنه حين اشتعلت الثورة السورية وبدأت مجزرة بشار والملالي بحقّ الشعب السوري انسحبت حماس من دمشق، فصبّ ملالي طهران اللعنات والاتهامات بالخيانة على رأس حماس المقاومة، لتظهر حقيقة دعم إيران للمقاومة ضد إسرائيل، وأنها «لهاية» للتوظيف والاختراق وكسب الشعبية في الشارع المسلم، وتبين سذاجة حماس في تصديق وشكْر طهران!

ولم تكتفِ طهران بذلك بل عمدت لاستبدال حماس بفتح والسلطة الفلسطينية؛ خلال القطيعة بينهما، فاستقبلت طهرانُ عباس في مؤتمر دول عدم الانحياز في طهران سنة (٢٠١٢)، ولم تقدم دعوة لحليفتها حركة حماس! مما يكشف دجل دعم المقاومة ضد إسرائيل، والدعم هو للولاء للمرشد الشيعي في طهران!

٤- لقد كانت سياسات إيران تجاه إسرائيل وأمريكا سياسة براغماتية انتهازية، فقد كانت تعزف شعار "المقاومة والممانعة ومحاربة الشيطان الأكبر"، لكنها في أرض الواقع تفرجت على حصار إسرائيل لبيروت والفلسطينيين؛ الذين وقفوا مع الثورة الإيرانية، ودرّبوا أتباع الخميني بلبنان في السبعينيات!

ثم قاموا بشراء أسلحة الفلسطينيين من إسرائيل بعد رحيلهم عن بيروت، وحاربوا بها العراق!

وعقدوا صفقات أسلحة مع أمريكا وإسرائيل، بأمر الخميني؛ لحرب العراق! فبئسًا لهذه المقاومة والممانعة الكاذبة!

وفي عام (٢٠٠٣) عرضت إيران على أمريكا وقف دعمها لحماس والجهاد وحزب الله مقابل المشروع النووي، وتقول بعض المصادر: إن العرض شمل الاعتراف بإسرائيل!

ورغم رفع شعارات "المقاومة والممانعة" اعترفت قيادات إيران بدعمها غزو الشيطان الأكبر ضد المسلمين في أفغانستان والعراق، واستنجدت بالأمريكان لقصف داعش بالعراق.

الخلاصة: إن شعار "المقاومة والممانعة" هو ستار لإخفاء طائفيتهم وإرهابهم على المسلمين، فقد تعلم الملالي من محاصرة السفارة الأمريكية بطهران، واستهداف الجنود الأمريكان والفرنسيين ببيروت: أن اللعب مع الكبار مضر ومؤذٍ لوجودهم وبقائهم، فحافَظوا على الشعار البراق لجذب السذّج من السنة، وخداع البسطاء من قادة الحركات الإسلامية.

ولكن على أرض الواقع كان العدوان والإرهاب على الجيران السنة، فسكت الغرب الذي لا يخسر أرواحًا ولا يُعتدى على أرضه، بل يكسب المليارات من صفقات السلاح، ويقوم أخطبوط الإعلام الإيراني ببثّ سحابات الدخان في الأرجاء ليغطي على جرائم الملالي بحق السنة وخياناتهم مع إسرائيل وأمريكا.

وللأسف أن هذا ينجح لكثرة السذج والبلهاء في السنة؛ ممن يتصدرون المناصب والكراسي -سلطةً ومعارضةً!-.

حكاية جماعات العنف
من الانحراف إلى فكر الخوارج (٨)

أسامة شحادة- كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر؛ لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة!

وهذه طبيعة الضلال والانحراف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أوَّلها شبرًا، ثم تكثر في الأتباع؛ حتى تصير أذرعًا، وأميالًا، وفراسخ!»[1]، وهذا واقعٌ في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود؛ حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها، بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرِّر تشكيلها!

في هذه السلسلة سنتناول: العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات العنف والقتال، ومن ثم مسار تطورها التاريخي، ومسار تطور انحرافها الفكري، والنتائج الكارثية لها على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخَّمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية.

وسيكون الإطار الزمني والمكاني الذي نتناوله في هذه المقالات هو: منذ انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة)؛ التي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير، مما ولَّد مناخًا مأزومًا، وظهرت فيه ردَّات فعل عنيفة، عُرفت بـ (جماعات الجهاد).

أولًا: الساحة المصرية

٦- تطور تنظيم الجهاد للذوبان في تنظيم القاعدة

إن تنظيم الجهاد الذي يرأسه أيمن الظواهري وتم حلّه وذوبانه في تنظيم القاعدة في سنة (١٩٩٩) تقريبًا، هو تنظيم قديم الجذور، وتشكّل من مجموعات متفرقة، ساهمت ظروفها وخسائر الصدامات مع السلطة على التقاء بقاياهم معًا.

◙ **البداية والنشأة:**

الظواهري من مواليد سنة (١٩٥١)، ونشأ قريبًا من جماعة أنصار السنة المحمدية السلفية المعروفة[1]، لكنه تعرّف -أيضًا- على نبيل برعي مبكرًا؛ وهو لا يزال في سن الخامسة عشرة، والذي كان جارًا له في حي المعادي، ودخل معه في تنظيم الجهاد الذي

(١) «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة»، د. كمال حبيب، (ص٣٣).

أسسه مع إسماعيل طنطاوي[1] -وذكرناه في الحلقة الأولى-، فابتعد عن جماعة أنصار السنة، وتبنى تكفير الدولة والانقلاب العسكري منذ عام (١٩٦٦م)، وكان عمره ستة عشر عامًا[2].

وهذا سلوك تكرر كثيرًا بانفصال وتباعد حملة فكر العنف والتطرف عن الجماعات والعلماء السلفيين، ولاحقًا يقومون بتكفيرهم، واغتيالهم أحيانًا!!

ولعل أوضح من يبيّن بداية وتطورات تنظيم الجهاد هو: أيمن الظواهري نفسه، والذي كتب عن ذلك؛ فقال في حوار مع صحيفة الحياة اللندنية -لكنها لم تنشره-: «كانت بدايتي في الحركة الإسلامية في هذه الجماعة التي أتشرف بالانتماء إليها، وكان ذلك في حوالي سنة (١٩٦٦م)، عندما تكوّنت النواة الأولى لهذه الجماعة بعد مقتل الشهيد سيد قطب ﷺ، وكان من أعضاء هذه المجموعة الشهيد يحيى هاشم -الذي كان رئيسًا للنيابة العامة-، والأخ إسماعيل الطنطاوي، والأخ نبيل برعي، ثم نمت هذه المجموعة إلى أن وصلت إلى الحجم الحالي للجماعة.

وانضم إلينا في فترة لاحقة الأخ عصام القمري ﷺ، وبدأ حينئذٍ في النشاط داخل الجيش، ثم مرت أحداث الفنية العسكرية واستشهاد الأخ يحيى هاشم، وقضايا الجهاد في عام (١٩٧٧ و١٩٧٨)، واستطعنا بفضل الله تجنّب هذه الضربات...

ثم جاءت سنة (١٩٨١م)، وتعرضنا في بدايتها لضربة أمنية، عرف على إثرها الأخ عصام القمري، وقبض على بعض رفاقه من الضباط، مثل: الأخ عبد العزيز الجمل والأخ سيد موسى، وغيرهم من الضباط، ولكننا استوعبنا هذه الضربة.

ومع نشاط (الجماعة الإسلامية) واتحادها مع الأخ عبد السلام فرج بدأ التعاون ينمو بيننا وبينهم؛ عن طريق الدكتور عمر عبد الرحمن والأخ عبود الزمر، إلى أن جاءت أحداث (١٩٨١م) اغتيال السادات وأحداث أسيوط، وقُبض على عدد من إخواننا بسبب الروابط المشتركة بيننا، وأمضينا في السجن ثلاث سنوات، حدث فيها تعارف عن قرب بيننا وبين إخواننا في الجماعات الجهادية، وكان من نتائج ذلك: تلك الثقة العميقة بين الإخوة الذين عاشوا تلك الفترة سويًّا، وبعد الخروج من السجن بدأنا في تجميع الإخوة من جديد، وقررنا استغلال الساحة الأفغانية لتدريب أعداد ضخمة من الشباب المسلم، وقد وفّقنا الله ﷻ في ذلك توفيقًا كبيرًا»[3].

وفي مقابلة لهاني السباعي مع صحيفة الحياة اللندنية[4] نقل السباعي أنه سأل الظواهري عن نشأة الجماعة؛ فقال: «سألتُ الدكتور أيمن كيف أسس جماعته، وقلت له: إن الناس تحكي أن الذي أنشأها هو نبيل البرعي ومعه المهندس إسماعيل طنطاوي وبعض الإخوة الآخرين، وأنت كنت بينهم؟ فردّ بالحرف الواحد: أنا الذي كنتُ أميرًا على هذه المجموعة بمن فيهم الدكتور سيد إمام (صاحب كتاب طلب العلم).

قال: إن المجموعة التي تشكّلت في ناحية المعادي، ضمّت طلبة في الثانوية كانوا يذهبون إلى المسجد معًا كونهم يعرفون بعضهم بعضًا من المدرسة، في تلك الفترة اجتمعوا وكوّنوا أول خلية لنواة جماعة صغيرة واختاروه (الظواهري) أميرًا للمجموعة الصغيرة التي ضمت الدكتور أيمن ونبيل البرعي وإسماعيل طنطاوي والدكتور سيد إمام وغيرهم»!!

---

(١) «التنظيم والتنظير: تنظيم الجهاد وشبكة القاعدة»، عبد المنعم منيب، (ص٤٤).

(٢) «أيمن الظواهري كما عرفته»، منتصر الزيات، (ص٣٦).

(٣) منشور في الإنترنت باسم (حوار الشيخ الظواهري مع جريدة الحياة، ١٤١٤هـ)، موقع «منبر التوحيد والجهاد».

(٤) نشرت على أربع حلقات (١-٤/٩/٢٠٠٢)، ومنشورة على موقع «المقريزي»، لهاني السباعي، على الرابط التالي:
http://ilmway.com/site/hansib/ar/news.php?readmore=٣٤

وهذا يتعارض مع حواره مع صحيفة الحياة، ومع اعتراف الظواهري في التحقيقات عقب اغتيال السادات! حيث قال: «في عام (٦٦-٦٧) كنتُ منضمًا في تنظيم ديني يرأسه إسماعيل طنطاوي، وكان معنا شخص يدعى: سيد حنفي، وكنا نسعى من خلال هذا التنظيم إلى العمل على قلب نظام الحكم، وانضم إلينا بعد ذلك شخص يدعى: علوي مصطفى عليوة، كما انضم إلينا شخص آخر اسمه: محمد عبد الرحيم الشرقاوي، كما انضم -أيضًا- عصام الدين القمري»[١].

وهذا الكلام هو المتفق مع سير الأحداث، وعدم بروز الظواهري على الساحة؛ ولا حتى ورود ذكر له في كل الوقائع في ذلك الوقت المبكر، وأيضًا حين استقلت القيادة عن قيادة عبود الزمر اختير سيد إمام قائدًا للتنظيم وليس الظواهري، بل وحتى لما ضغط التنظيم لعزل سيد إمام كان المرشح هو أبو عبيدة البنشيري، ولولا تنازله للظواهري لما أصبح أمير الجهاد[٢]!

العجيب أن سيد إمام في حوار له مع صحيفة الحياة عن قصة تعرفه على الظواهري وانضمامه لتنظيم الجهاد؛ يورد قصة مختلفة تمامًا عن السائد في الدراسات عن جماعة الجهاد ورواية الظواهري نفسه! يقول سيد إمام: «تعرفت على أيمن الظواهري في (١٩٦٨) إذ كان زميل دراسة في كلية الطب، وكنا نتناقش مع زملاء آخرين في موضوعات إسلامية مختلفة، وكنتُ أعلم من زميل آخر أن أيمن مشترك في جماعة إسلامية حدثت بها انشقاقات، لكنه لم يفاتحني في الانضمام إلى الجماعة إلَّا عام (١٩٧٧)، وقدّم نفسه لي على أنه مندوب من هذه الجماعة لدعوتي، فسألته: هل في جماعتهم علماء شريعة؟ فقال: نعم، فطلبتُ مقابلتهم لبحث بعض الأمور المتعلقة بذلك معهم، فظل يماطلني ويقابلني على فترات؛ خاصة مع اختلاف أماكن العمل والسكن.

وظل أمر انضمامي لجماعتهم معلقًا على مقابلتي لمن معهم من المشايخ، ولم أكتشف إلا بعد قضية الجهاد (١٩٨١) أن أيمن كان مراوغًا ويتعلل بالسرية! واكتشفت أنه كان هو أمير هذه المجموعة، وأنه لم يكن معهم أحد من المشايخ، وأنه هو الذي تسبب في اعتقال أصحابه وشهد ضدهم»[٣].

وهذا يطرح تساؤلات في مصداقية أخبار ومعلومات هذه القيادات من جهة، **ومدى التزامهم بأخلاق الإسلام وتطبيق الشريعة** إذا كان هذا سلوكهم مع بعضهم البعض عن الخلاف؟! وستأتي بقية رواية سيد إمام بعد قليل.

وقد تعرف الظواهري في هذه السن المبكرة على فكر صالح سرية؛ الذي يصفه الظواهري بأنه: «كان متحدثًا جذابًا، ومثقفًا على درجة واسعة من الإطلاع والمعرفة، وكان حاصلًا على درجة الدكتوراه في التربية من جامعة عين شمس، كما كان متضلعًا في عدد من العلوم الشرعية... وبمجرد استماعي له أدركت أن للكلام وقعًا آخر، وأنه يحمل معاني أوسع في وجوب نصرة الإسلام، وقررت أن أسعى للقاء هذا الزائر، ولكن كل محاولاتي للقائه لم تفلح»[٤].

وبقي الظواهري ورفاقه في التنظيم يتدربون على السلاح، ويعمِّقون فكرهم المتطرف في سنوات السبعينات في القرن الماضي، وكان انضمام الملازم عصام القمري للتنظيم سنة (١٩٧٣) بداية اختراق الجيش[٥]، وبسبب انشقاق علوي مصطفى عنهم وتبعه

---

(١) «موسوعة العنف»، مختار نوح، (ص٤٨٠).

(٢) مقابلة هاني السباعي مع صحيفة «الحياة».

(٣) تجده على الرابط التالي: http://www.murajaat.com/dr_fadhel_٠١.php ، ونقله عبد المنعم منيب في كتابه «مراجعات الجهاديين» (ص١٤٣).

(٤) المصدر السابق، (ص٤٧).

(٥) «الإسلام السياسي»، محمد مورو، (ص١٨٥).

عدد كبير وبسبب بدء محاكمات حادثة الكلية الفنية هرب إسماعيل طنطاوي لهولندا؛ خشية القبض عليه، مما شتت التنظيم[1].

◙ التأسيس الثاني:

وبعد تجاوز أزمة محاكمة تنظيم صالح سرية أعاد ترتيب وبناء التنظيم من جديد كل من الظواهري وعصام القمري وسيد إمام وأمين الديمري[2]، **وكعادة تنظيمات العنف فقد تكونت من شباب صغير في السن وغير مؤهل علميًّا في الشريعة الإسلامية**، فالظواهري وسيد طبيبان جراحان، والديمري صيدلي، والقمري ضابط عسكري! وكلهم في العشرينات من عمرهم آنذاك!

كانت قناعة هذه المجموعة: أن الانقلاب العسكري من داخل الجيش هو السبيل الوحيد، ولذلك لم تشترك هذه المجموعة في ما تم من أحداث؛ سواء حادثة الفنية العسكرية أو محاولة يحيى هاشم تهريب مساجين حادثة الكلية الفنية، وركزت على فكرتها اختراق الجيش، وتكوين تنظيم عسكري[3].

ويبدو من أجل تنفيذ غايات التنظيم قام الظواهري بالسفر لأفغانستان مبكرًا مرتين في عامي (٨٠-٨١)، في مهام إغاثية قاربت مدتها سبعة أشهر، تحدث عنها الظواهري في كتابه «فرسان تحت راية النبي ﷺ»؛ فقال: «باحتكاكي بساحة الجهاد الأفغاني تبيّن لي منذ عام (١٩٨٠) مدى ثراء هذه الساحة، ومدى النفع الذي تقدمه للأمة المسلمة عامة، وللحركة الجهادية خاصة، وأدركت ضرورة الاستفادة من هذه الساحة».

(١) «التنظيم والتنظير»، (ص٤٤)، «الإسلام السياسي»، محمد مورو، (ص١٩٣).

(٢) «التنظيم والتنظير»، (ص٤٤)، واعترافه في تحقيقات اغتيال السادات، انظر: «موسوعة العنف»، مختار نوح، (ص٤٨٠).

(٣) مقابلة هاني السباعي مع صحيفة «الحياة».

ويضيف: «اتضحت لي حقائق في غاية الخطورة، لا بد من تسجيلها، أهمها: أن الحركة الجهادية في حاجة إلى ساحة جهادية تكون لها بمثابة المحضن الذي تنمو فيه البذور النابتة، وتكتسب فيها خبراتها العملية والقتالية والسياسية والتنظيمية»[4]، وواضح هنا الرؤية المصلحية لحركته؛ وليس لخدمة القضية الأفغانية!

في هذه المرحلة نجح عصام القمري باستقطاب عدد من الضباط في الجيش للتنظيم، ووضع خطط لعمل انقلاب عسكري، ولم تكن المجموعات الجهادية الأخرى تعرف عن ذلك، ولكن حين قَبض الأمن على بعض عناصره في (مايو ١٩٨١) قبل مقتل السادات بخمسة شهور، وحصل الأمن على حقيبة فيها وثائق التنظيم السرية؛ فأصبح القمري والظواهري وسيد إمام مطلوبين للأمن ومطاردين[5].

◙ الانضمام لتنظيم الجهاد الكبير:

أثناء مرحلة التخفي والمطاردة تواصلت هذه المجموعة مع مجموعة محمد عبد السلام فرج، وقبلت الانضمام للتنظيم الكبير، لكنها لم تشترك في عملية اغتيال السادات[6]، وبقيت مجموعة الظواهري تؤمن بالانقلاب العسكري فقط كحل، واهتمت بتوفير الإمكانات؛ كالمال والسلاح والمخابئ[7]، ولذلك حين قابلوا عبود الزمر -بعد اغتيال السادات- لم يشجعوه على تنفيذ ثورة شعبية، بل طرحوا عليه فكرة مساعدته في الهروب من مصر[8]، ولذلك تمت تبرئة الظواهري من تهمة قتل السادات، وإدانته بتهمة تخزين

(٤) نقلًا عن «أيمن الظواهري كما عرفته»، منتصر الزيات، (ص٨١).

(٥) «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص٨٥)، «الإسلام السياسي»، محمد مورو، (ص٢٧٨).

(٦) «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة»، كمال حبيب، (ص٣٤).

(٧) «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص٩٠).

(٨) المصدر السابق، (ص١٧٧)، «التنظيم والتنظير»، عبد المنعم منيب، (ص٥٢).

أسلحة لصالح القمري بعيادته، وحكم عليه بالسجن لفترة قصيرة، وتبرئة سيد إمام غيابيًّا؛ حيث كان تمكن من الفرار لخارج مصر، أما عصام فقد حكم عليه بـ (١٥) سنة، بسبب تكوينه تنظيمًا عسكريًّا في الجيش!

بعد اغتيال السادات بأسبوعين قُبض على الظواهري، وعندها حزم سيد إمام أمره وهرب للأردن، ثم الإمارات ومنها إلى الباكستان سنة (١٩٨٣)[١]، وتحت التعذيب اعترف الظواهري على مكان عصام القمري؛ فتم القبض عليه[٢].

في السجن توثقت العلاقة بين مجموعة الظواهري ومجموعة محمد فرج؛ وخاصة عبود الزمر؛ الذي أصبح القائد بعد إعدام محمد فرج والقمري نائبه، ولكن بقي لمجموعة الظواهري رابطها الخاص ضمن التنظيم الأكبر للجهاد الذي يضم مجموعة عبد السلام فرج ومجموعة سالم الرحال/ كمال حبيب، ومجموعة الظواهري.

ولما انفصلت الجماعة الإسلامية عن الجهاد في السجن عام (١٩٨٤) كان للظواهري دور في ذلك؛ فقد كان أبرز المعارضين لتولي الشيخ عمر عبد الرحمن القيادة؛ والتي أثارها أول مرة عصام القمري بعنوان: «ولاية الضرير»[٣].

سرعان ما تسببت مجموعة الظواهري بتفتت تنظيم الجهاد، واستقلالها عن جماعة عبود الزمر؛ التي قادها خارج السجن مجدي سالم وأحمد النجار وأحمد سلامة مبروك، حتى توج ذلك بمغادرة عبود الزمر تنظيم الجهاد لينضم للجماعة الإسلامية في (١٩٩١)[٤]، بينما قام كمال حبيب بمراجعة فردية مبكرة في السجن، وتخلى عن أفكار العنف والتطرف، وأكمل دراسته الجامعية في العلوم السياسية، وأصبح من الشخصيات البارزة التي لها دور في نشر الوعي والمراجعات بين القيادات التاريخية[٥].

◙ التأسيس الثالث:

عقب الإفراج عن الظواهري سنة (١٩٨٤) سافر إلى السعودية فترة، ثم اتّجه إلى أفغانستان منتصف عام (١٩٨٦ حتى ١٩٩٠)، وأعاد مع سيد إمام تشكيل التنظيم من جديد عام (١٩٨٦)، واختير سيد إمام أميرًا للتنظيم، لكنه كان شديد السرية حتى أن الناس كانت تظن أن أيمن الظواهري هو الأمير، وأن أدبيات التنظيم المنشورة باسم عبد القادر عبد العزيز هي من تأليف الظواهري، والذي ساعد الظواهري رغبة سيد إمام بالسرية والانعزال؛ تقليدًا لسياسة بني العباس في إخفاء شخصية القائد، وكون الظواهري شخصية محروقة عند رجال الأمن[٦].

وفي أفغانستان عام (١٩٨٨) تم إعادة توحيد مجموعة مجدي سالم ومجموعة الظواهري[٧]، بينما عصام القمري بقي مسجونًا حتى عام (١٩٨٨)؛ حيث تمكن من الفرار من السجن، لكن الأمن تمكن من العثور عليه، واشتبك معه وقتله؛ بعد أسبوع من هروبه[٨].

في أفغانستان هيمن فكر تنظيم الجهاد لعدة أسباب، منها: وصول سيد إمام مبكرًا هناك، ومن ثم أصبح أكبر شخصية علمية

---

(١) مقابلة مع إسماعيل سيد إمام بعنوان: (مؤسس «الجهاد» بعيون ابنه)، على الرابط: http://today.almasryalyoum.com/article٢.aspx?ArticleID=٨٤٢٥٠

(٢) «موسوعة العنف»، مختار نوح، (ص٤٧٨).

(٣) «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص١٠٢)، ومقابلة هاني السباعي مع صحيفة «الحياة».

(٤) «دليل الحركات الإسلامية في العالم»، مركز الأهرام، (ص١٣٧، ١٤٠)، «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص ١٠٣، ١٧٨).

(٥) «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة»، ممدوح الشيخ، (ص٥٨).

(٦) «دليل الحركات الإسلامية»، مركز الأهرام، (ص١٣٩)، ومقابلة هاني السباعي مع صحيفة «الحياة».

(٧) «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص١٠٣).

(٨) «الإسلام السياسي»، محمد مورو، (ص٢٧٩).

لهذا التيار، وأصدر عدة دراسات أصبحت معتمدة لدى كل جماعات العنف والتطرف، ولكون الجهاد هو التنظيم الأول الذي تكون هناك، وكان يملك رؤية وتصور واضح لتاريخه الطويل[١].

بدأ سيد إمام في قيادة التنظيم من جديد، وضخّ فكره المتشدد والمتطرف بين أفراده، وأخذ بتجميع الأفراد والأنصار، والعمل على استقدامهم لأفغانستان للتثقيف والتدريب العسكري في معسكرات خاصة بهم.

كان عبود الزمر يطلب من التنظيم تنفيذ عمليات مسلحة ضد النظام المصري تنافس عمليات الجماعة الإسلامية، لكن التنظيم كان يعتقد أن المهم هو: استقطاب عسكريين يقومون بالمهمة، ويكون هؤلاء الشباب رديفًا جاهزًا لمساعدتهم[٢]، وكان استمرار رفض القيادة لطلب الزمر قد دعاه للانتقال للجماعة الإسلامية سنة (١٩٩١) -كما ذكرنا من قبل-.

لكن بسبب قيام الجماعة الإسلامية نهاية سنة (١٩٩٠) بمحاولة اغتيال وزير الداخلية عبد الحليم موسى؛ الذي تغيب عن خط سيره، فقُتل بدلًا منه رئيس البرلمان المصري رفعت المحجوب، وبعد القبض على المنفذين تكشفت قصة تسلل شباب الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد لأفغانستان وتدربهم العسكري هناك، ومع توسع التحقيقات تم القبض على أكثر من (٨٠٠) من شباب جماعة الجهاد؛ لم يكن يعلم عنهم الأمن المصري[٣]، وتم تقديمهم للمحاكمة، وعرفت القضية باسم: «قضية طلائع الفتح».

وتسبب هذا بخلاف في تنظيم الجهاد، انشق على إثره أحمد حسين العجوز وعدد من القادة، وكونوا تنظيمًا مستقلًا سموه: «طلائع الفتح»؛ على اسم القضية التي يحاكم عليها المعتقلون في مصر، معترضين على بقاء التنظيم بدون نشاط، واعتقال هذا العدد الكبير من دون أن تطلق رصاصة واحدة، ولم يقبلوا بأن ذلك التزامًا بإستراتيجية بعيدة المدى[٤].

وطالب الآخرون بعزل سيد إمام من القيادة؛ برغم أن الظواهري هو الذي كان في الصورة غالبًا، وفعلًا قدّم سيد إمام استقالته سنة (١٩٩١)، وتولى الظواهري الإمارة بعد تنازل أبي عبيدة له، وتسبب ذلك في انتقال الزمر للجماعة الإسلامية التي كانت تخوض معركة مع النظام المصري[٥].

لكن سيد إمام يقدم رواية مغايرة تمامًا لذلك! حيث يقول: «وصلتُ باكستان في (١٩٨٣)، وحُكِمَ عليّ غيابيًا بالبراءة عام (١٩٨٤) في قضيه الجهاد الكبرى، ولم يصل الظواهري إلى باكستان إلا عام (١٩٨٦). وقد كلمني في تكوين جماعة للجهاد في مصر من أجل تطبيق الشريعة، فرفضت وقلت له: الأمر في حاجة إلى دراسة شرعية مستفيضة، وليس بالبساطة التي تتصورها!

وكنت في هذه الفترة توسعت في دراستي الشرعية مستعينًا ببعض المشايخ الأفغان من أهل الحديث، فأصرّ الظواهري على أهمية استغلال الجهاد الأفغاني، وأهمية إحضار شباب من مصر للمشاركة فيه، فقلت له: هذا شيء لا بأس به، ولكن لا دخل لي بهم؛ لا إداريًا ولا في المعيشة، فطلب مني القيام بدور شرعي معهم، فوافقت؛ إذ كنت أقوم به مع غيرهم من الشباب العرب.

وشيئًا فشيئًا كثر عددهم ومشاكلهم، وبصفتي معلمهم الشرعي صارت المشاكل تأتيني بعدما يهرب الظواهري من حلّها؛

(١) «القاعدة وأخواتها»، كميل الطويل، (ص٤٦).
(٢) المصدر السابق، (ص٦٠).
(٣) المصدر السابق، (ص١٣٩).
(٤) «مراجعات الجهاديين»، عبد المنعم منيب، (ص١٦)، «القاعدة وأخواتها»، كميل الطويل، (ص١٧٤)، ومقابلة هاني السباعي مع صحيفة «الحياة».
(٥) «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، (ص١٧٩).

على رغم اشتراطي عليه منذ البداية -التي لم يحضرها أحد إلا أنا وهو-؛ ألاّ دخل لي بالإخوة ومشاكلهم، فطلبت عقد اجتماع لهم في (١٩٩١)، وقلت لهم: لا تشغلوني بمشاكلكم وإلا فسأقطع صلتي بكم! فقال الظواهري: إن وجودك معنا رفَع عنا الحرج، لأن الجماعة الإسلامية تقول: إن معها عالمًا هو: الشيخ عمر عبد الرحمن، وأنت كل الناس تشهد بعلمك، وفي الاجتماع نفسه قال الأخ مجدي كمال: تأكد يا دكتور أنك إذا قطعتَ صلتك بالإخوة فسينقسمون إلى جماعات.

ثم بعد عام في (١٩٩٢) طلب الإخوة الاجتماع بي، وعرضوا مسألة قيامهم بعمليات قتالية في مصر -كما تفعل الجماعة الإسلامية-؛ لأن الناس يعيّرونهم بذلك، فقلت لهم: إننا قد جاهدنا في أفغانستان، ودرّبنا الكثيرين ممن نعرف وممّن لا نعرف، وعلّمناهم علومًا شرعية نافعة، بما لم يفعل أحد مثلنا، أما القتال في مصر فلن يأتي بمصلحة، وفيه مفاسد جسيمة، وأما الجماعة الإسلامية فلن تصل إلّا إلى طريق مسدود، ونصحتُ الإخوة ببذل مزيد من الجهد في شؤون الدعوة، فقال لي الأخ مجدي كمال: انتهى وقت الكلام، وجاء وقت العمل، وهدّدتهم إن هم تكلموا في ذلك ثانية، وعقدت العزم على قطع صلتي بهم بعد تصفية أوضاعهم في باكستان، وكان ذلك في مطلع عام (١٩٩٣)»[١].

وهذا التضارب في توصيف علاقتهم مع بعضهم البعض يدلّ على مدى الفساد الذي ينتشر في هذه التنظيمات، ومدى عجزها وعدم كفاءتها لما تتصدى له من قيادة الأمة؛ برغم جهلهم وتفرقهم وخلافاتهم وصراعاتهم!

العجيب أن الظواهري نفسه لم يستطع تحمل الغلو الذي ينشره الأمير أو المسؤول الشرعي للتنظيم سيد إمام! فقام بحذف أكثر فصول كتاب «الجامع في طلب العلم الشريف» لما فيه من تشدد وغلو وطعن بالجماعات الأخرى، وهذا جعل سيد إمام يشن هجومًا على الظواهري، وهاجم جماعة الجهاد، واعتبرها جماعة ضالة أكثر من الحكام![٢].

وهذا يعطينا مؤشرًا على مدى سلامة فكر ومنهج هذه الجماعات؛ التي يضلل بعضها البعض؛ فلا تعرف المصيب منهم! وبرغم ذلك لا تزال كتب سيد إمام تعدّ عمدة للشباب المتطرف والمتهور في العالم!!

◙ انفصال الأمير:

بعد استقالة الأمير -أو انفصال سيد إمام- اعتزل التنظيم، وانشغل بكتاباته، ورحل للسودان عام (١٩٩٣)، وقطع علاقته بأسامة بن لادن في (١٩٩٤)؛ لكونه لا يستمع إلا لنفسه! ثم رحل لليمن في نفس العام.

وبعد عملية (٢٠٠١/٩/١١) تم اعتقاله في اليمن، وبقي معتقلًا حتى سلّمه اليمن لمصر في (٢٠٠٤)[٣]، وبقي في السجن، وأتم مراجعاته باسم: «وثيقة ترشيد العمل الجهادي»، وأفرج عنه عقب ثورة (٢٥ يناير ٢٠١١).

◙ تكرار كارثة العنف والتطرف:

ومع تنفيذ الظواهري لعمليات عسكرية تحت ضغط أعضاء التنظيم[٤]، بعد سنة (١٩٩٣) ضد النظام المصري -على غرار الجماعة الإسلامية- إلا أن تنظيم الجهاد حرص على أن تكون عملياته ذات صبغة عسكرية أكثر احترافية؛ من خلال اختيار نوعية

---

(١) تجده على الرابط التالي: http://www.murajaat.com/dr_fadhel_٠١.php ، ونقله عبد المنعم منيب في كتابه «مراجعات الجهاديين» (ص١٤٣).

(٢) «التنظيم والتنظير»، عبد المنعم منيب، (ص٥٤).

(٣) «الجماعات الجهادية المعاصرة»، د. راشد الزهراني، (ص٢٠٩).

(٤) «القاعدة وأخواتها»، كميل الطويل، (ص١٧٨).

الأهداف المستهدفة، أو طريقة التنفيذ (قنابل عبوات مفخخة وموقوتة وموجهة عن بعد وهجمات انتحارية)[1]، وأدى فشل بعض العمليات؛ كعملية اغتيال وزير الداخلية حسن الألفي، وعملية اغتيال رئيس الوزراء عاطف صدقي، وعملية اغتيال الرئيس مبارك في أثيوبيا، وحملة الاعتقالات الواسعة؛ للإعلان عن توقف عمليات الجهاد سنة (١٩٩٥) بمبرر الضعف وعدم الاستطاعة.

«**فالحصيلة التي تمت أسفرت عن** اعتقال العديد من الشباب، ومصادرة كثير من البيوت والشقق والأموال، وقُتل -أيضًا- العديد من القيادات الكبيرة مثل: عادل عوض؛ الذي كان من أحسن الشخصيات في جماعة الجهاد، فقررت جماعة الجهاد وقف العمليات، قالوا: إن الله لا يكلّف نفسًا إلا وسعها، والجهاد مناط القدرة، ونحن غير قادرين، فلن نستطيع، فانتظروا واجلسوا وتعلّموا.. العملية صعبة، ونحن نخسر كثيرًا بتنفيذنا اليوم هذه العمليات.

وهكذا أوقفت جماعة الجهاد عملياتها؛ لعدم القدرة في العام (١٩٩٥)»[2].

وهذه خبرة لا تصل إليها التنظيمات المتطرفة إلا بعد كوارث في الأرواح!! سواء من أفرادها أو المجتمع أو قوى الجيش، ولا تزال التنظيمات الجديدة لا تستفيد من تجارب وأخطاء من سبقها!

◙ تطور علاقة الظواهري وابن لادن:

في أفغانستان التقى سيد إمام وأيمن الظواهري لاحقًا بابن لادن، هما كانا يحملان فكرًا جهاديًّا، بينما ابن لادن يحمل فكرًا أقرب لجماعة الإخوان والشيخ عبد الله عزام، وقد حدث تنافر بينهما وبين الشيخ عزام أدى للقطيعة، وفصل ابن لادن عن مكتب خدمات المجاهدين التابع لعزام، وتأسيسه بيت الأنصار سنة (١٩٨٦)، وتحول اسمه في (١٩٨٨) إلى القاعدة[3].

كانت رؤية التنظيم هي: محاولة الاستفادة من إمكانيات قاعدة ابن لادن لصالح تنظيم الجهاد[4]، وبرغم أن الحلقة المحيطة بابن لادن أصبحت من قيادات الجهاد المصرية؛ والتي بدأت تؤثر في أسامة بن لادن، إلا أن علاقة الظواهري بابن لادن بقيت تنظيميًّا منفصلة بل وفيها تباينات، فقد كتب الظواهري في أحد أعداد نشرة (كلمة حق): «جاد الشباب بأرواحهم، وضنّ الأغنياء بأموالهم» في إشارة لابن لادن! كما ينسب ذلك الزيّات لمقربين من الجهاد فترة عامي (٩٣-٩٥)[5]، لكن في السودان حصل التقارب الذي مهّد لانضمام الظواهري للقاعدة لاحقًا.

◙ الانتقال للسودان:

مع سوء أوضاع أفغانستان عقب انسحاب الروس، ووقوع الصراع بين المجاهدين، ودخول حركة طالبان، وتشدد حكومة بناظير بوتو ضد المجاهدين العرب؛ جاء عرض سوداني من حكومة البشير باستضافة الحركات الإسلامية في السودان، والذي يعد موقعًا استراتيجيًّا لابن لادن وجماعات متعددة مصرية وليبية وجزائرية.

فبدأ انتقال القيادات بين عامي (١٩٩١-١٩٩٣)، وتسارعت هذه الهجرة للسودان من اليمن خاصة؛ والتي كانت تحوي عددًا

---

(١) «دليل الحركات الإسلامية في العالم»، مركز الأهرام، (ص١٣٧).

(٢) من مقابلة هاني السباعي مع صحيفة «الحياة»، و«القاعدة وأخواتها»، كميل الطويل، (ص١٨٥).

(٣) «القاعدة وأخواتها»، كميل الطويل، (ص٤٨، ٢٩٥).

(٤) «دليل الحركات الإسلامية في العالم»، مركز الأهرام، (ص١٤٣)، «الجماعات الجهادية المعاصرة وأبرز قياداتها الفكرية»، د. راشد الزهراني، (ص٢٠٥).

(٥) «أيمن الظواهري كما عرفته»، منتصر الزيات، (ص١٠١)، «القاعدة أخواتها»، كميل الطويل، (ص٢٩٥).

من قيادات الجهاد؛ خاصة بعد فشل اغتيال رئيس الوزراء عاطف صدقي سنة (١٩٩٣)، حيث اكتشف الأمن وجود محطة لتنظيم الجهاد بصنعاء[١].

في السودان توطدت العلاقة بين ابن لادن وتنظيم الجهاد وبقية الجماعات الأخرى، ولكن تنظيم الجهاد كان أكثرها نشاطًا، وقد وفر لهم ابن لادن مزرعة خاصة في شمال السودان[٢]، وهناك أصبح للتنظيم دولة داخل دولة السودان، فمِن هناك نظموا محاولة اغتيال الرئيس مبارك، وشحنوا قوافل السلاح والمتفجرات لمصر، ولكن قيام التنظيم بقيادة الظواهري بقتل صبيين تابعين للتنظيم بسبب عمالتهما للمخابرات المصرية -التي تسببت بانحرافهم الأخلاقي- أزعج السلطات السودانية، وطلبت منهم مغادرة السودان فورًا في نهاية سنة (١٩٩٥).

◙ العودة لأفغانستان، وذوبان تنظيم الجهاد في القاعدة:

تشتت أفراد التنظيم عقب خروجهم أو طردهم من السودان؛ عاد الظواهري وابن لادن لأفغانستان في سنة (١٩٩٦)، وهناك تقارَب أكثر مع ابن لادن لدرجة الانضمام لـ «لجبهة الإسلامية العالمية»؛ التي أسسها ابن لادن عام (١٩٩٨).

ويلخص منتصر الزيات نهاية علاقة الظواهري بابن لادن بالتأثير المزدوج فـ «الظواهري استطاع أن يُحدث تحولات جذرية وإستراتيجية في فكر أسامة بن لادن، بعدما التقيا معًا في أفغانستان منتصف عام (٨٦)، بسبب العلاقة الإنسانية بينهما التي وصلت إلى الصداقة، واستطاع الظواهري أن يقنع ابن لادن بالفكر الجهادي الانقلابي، وحوّله من داعية سلفي يهتم بأمور الإغاثة إلى مقاتل جهادي معني بأحكام الجهاد ضد الطواغيت وضرورة إجلاء القوات الأمريكية عن بلاد العرب.

وزرع الظواهري حول ابن لادن نخبة مِن أخلص خلصائه؛ ممّن صاروا -لاحقًا- أبرز العناصر المعاونة لابن لادن وقادة تنظيم القاعدة، وهؤلاء كانوا يدينون بالولاء للظواهري شخصيًّا -وتاريخيًّا-، مثل: علي الرشيدي (أبو عبيدة البنشيري)، وأبو حفص (محمد عاطف)...

لكن ينبغي أن نقرر في الوقت نفسه أن تأثير الظواهري في فكر ابن لادن وخطته الحركية لم يكن أحادي الجانب، وإنما الإنصاف يلزمنا أن نقرر أن أسامة بن لادن أثّر -أيضًا- في فكر ومنهج الظواهري -وجماعة الجهاد-؛ حين وجّه النصح بضرورة وقف العمليات المسلحة داخل مصر، وأن يتحالف معه ضد عدو مشترك هو: أمريكا وإسرائيل، وكان هذا بعد عودتهما إلى أفغانستان مع دخول طالبان كابول»[٣].

هذا الانضمام المنفرد أربك قيادة تنظيم الجهاد التي لم تُستشر أغلبها في ذلك[٤]، فانقسمت الجماعة: قسم ذهب مع الظواهري في تحالفه مع ابن لادن، وقسم رفض ذلك، فتنازل الظواهري عن إمارة التنظيم في منتصف (١٩٩٩)، ولكنهم فشلوا في اختيار أمير بديل عن الظواهري، وعاد بعضهم للتعاون معه، وتلاشى تنظيم الجهاد وذاب في القاعدة، وبقي أفراد في السجون وفي المهاجر ملتزمون بوقف العنف[٥].

◙ نتائج فكر تنظيم الجهاد:

كان سيد إمام أبرز منظري تنظيم الجهاد، ورغم انفصاله عن التنظيم وتضليله له إلا أن كتبه بقيت هي المعتمدة في التنظيم

---

(١) «القاعدة وأخواتها»، كميل الطويل، (ص١٣٤، ١٤٤، ١٧١).

(٢) المصدر السابق، (ص١٣٥، ١٤٥، ١٥٠).

(٣) «الظواهري كما عرفته»، منتصر الزيات، (ص١٠٤)، «القاعدة وأخواتها»، كميل الطويل، (ص٢٨٥، ٢٩٠).

(٤) «القاعدة وأخواتها»، كميل الطويل، (ص٢٩٤).

(٥) «دليل الحركات الإسلامية في العالم»، مركز الأهرام، (ص١٤٢).

وبقية التنظيمات؛ كالقاعدة -وداعش من بعدها-، ورغم أن سيد قام ببعض المراجعات لكنه بقي يحمل فكرًا متطرفًا غاليًا.

وبرغم كل ذلك؛ فقد أدان الكثيرَ مما تقوم به جماعات العنف؛ كتنظيم الجهاد وغيره من التنظيمات، يقول ابنه إسماعيل: «والدي هو الذي قطع صلته بجماعة الجهاد عام (١٩٩٣) عندما أصروا على ضرورة المواجهة مع الدولة، كما أنه وخلال المجازر الدامية والبشعة التي ارتكبت في الجزائر في أواخر التسعينيات أبلغ والدي الإخوة أن يوصلوا رسالة منه إلى تلك الجماعات -عندما علم أنهم يستخدمون كتبه في التبرير للقتل والإجرام بحق الآمنين المسالمين- بأنه بريء من أعمالهم وأفعالهم.

وأعتقد أنه ذكر ذلك في بيانه الذي صدر في (مايو) الماضي ونشرته كاملًا صحيفة الحياة يوم (٦ مايو ٢٠٠٧)، عندما أشار إلى أن كتبه استخدمت مرجعًا لأعمال العنف؛ رغم أنها تخلو من التحريض على شيء من ذلك»[(١)]، ومع ذلك فهذا لا يعفيه من المسؤولية.

ويقول سيد إمام في مقدمة وثيقته (ترشيد العمل الجهادي): «ونظرًا إلى اتجاه كثير من الشباب هذه الأيام إلى الجهاد في سبيل الله، وملاحظتنا لوقوعهم في بعض الأخطاء الشرعية؛ فإننا كتبنا هذه النصيحة ترشيدًا للعمل الجهادي، وتنقيةً له من هذه الأخطاء».

فيرد عليه الظواهري: «الهدف من هذه الوثيقة هو: كف جهاد المسلمين»[(٢)].

وهكذا هو حال قادة (الجهاد): يمدحون بعضهم في البداية، ثم ينظرون للجهاد، ثم يتبرؤون من نتائج أفكارهم!

ويتهم بعضهم بعضًا بالعمالة والخيانة!!

وقد رد هاني السباعي على حوارٍ لسيد إمام مع صحيفة الحياة، يكشف فيها تناقض سيد إمام علميًّا وعمليًّا، وهو أمر سائد عن قادة التطرف والعنف، لكنه لا يظهر إلا بعد الخلاف والصدام، وليس من أجل اتباع الحق!

يقول السباعي عن موقف سيد إمام من وجوب إذن الوالدين في الجهاد: «يقول د. فضل في حواره في «الحياة»، الحلقة الثانية: "لا يجوز الخروج إلى الجهاد إلا بإذن الوالدين وإذن الدائن؛ لأن بر الوالدين فرض عين ولهما حق في ابنهما، فلا يخرج إلى الجهاد إلا بإذنهما".

لكن إذا رجعنا إلى كتابه «العمدة» نراه يقول: "قلت: هذا إذا كان الجهاد فرض كفاية، فإذا تعين الجهاد تسقط أربعة شروط من هذه التسعة وهي: الحرية، والذكورية، وإذن الوالدين، وإذن الدائن.

وتكون شروط وجوب الجهاد العيني خمسة فقط، وهي: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والسلامة من الضرر، ووجود النفقة، ويسقط كذلك شرط وجود النفقة، وتصير الشروط أربعة فقط؛ إذا دهم العدو بلاد المسلمين ولم يكن هناك خروج إليه، وهذا أحد مواضع الجهاد العيني".

وقوله في حوار «الحياة» مخالف لرأي جمهور العلماء؛ الذين قالوا: إن اشتراط إذن الوالدين في الجهاد الكفائي وليس في جهاد الدفع! يعني: هل يجب أن تستأذن والديك إذا أردت الصلاة؟ بالطبع لا، وإن رفض أبوك ذلك؛ لأن الصلاة فرض عين، وهكذا الجهاد إذا تعين، أي: صار فرض عين!

ولعل سائلًا يسأل سيد إمام: عندما كنتَ أميرًا لجماعة الجهاد هل كان الشباب الذين يذهبون إلى أفغانستان يستأذنون آباءهم وأمهاتهم أم لا؟

---

(١) (مؤسس «الجهاد» بعيون ابنه) (٣-٣):
http://today.almasryalyoum.com/article٢.aspx?ArticleID=٨٤٤٤١

(٢) «التنظيم والتنظير»، عبد المنعم منيب، (ص١٣٧، ١٦٨).

الحقيقة المرّة أن معظم هؤلاء الشباب المصريين -إن لم يكن كلّهم- لم يستأذنوا ذويهم، لأنهم يعلمون أن أهلهم سيرفضون ذهابهم إلى أفغانستان!

وبعض هؤلاء الشباب استشهد في معارك جلال آباد وخوست وقندهار، فهل أخطأوا وخالفوا الشرع لأنهم لم يستأذنوا آباءهم، أم أنهم شهداء أتقياء بررة؟ لأن الدكتور فضل اشترط: إذن الوالدين في جهاد الدفع!

فإذا قال الدكتور فضل: إن الجهاد في أفغانستان كان جهادًا كفائيًّا؛ فجمهور العلماء متفقون على اشتراط إذن الوالدين! **وفي هذه الحالة يعتبر الدكتور سيد إمام مغررًا بالشباب عندما كان أميرًا، وحرّضهم على الذهاب إلى أفغانستان من دون إذن ذويهم!**

وأما إذا قال: إن الجهاد في أفغانستان عندما كان أميرًا لجماعة الجهاد كان جهادًا عينيًّا، أي: فرض عين! فقد وقع -أيضًا- في خطأ جسيم! لأنه الآن اشترط إذن الوالدين، وهو ما لم يقل به جمهور العلماء؟!

إذًا؛ فدم هؤلاء الشباب مرهون في عنقه؛ لأنه غرّر بهم! ومن حق ذويهم أن يحاكِموه على تغريره بأبنائهم!»[1].

هذا هو حال أهم شخصية علمية في تيار العنف والتطرف، والتي حقيقتها كما يقول د. راشد الزهراني: «واسع الاطلاع، لديه معلومات وفيرة؛ لكنه يفتقد للتأصيل العلمي...

وقد ظهر لي أحد أسباب الخلل العلمي في شخصيته وهو: أنه حاول أن يتفقه في كتب السلف بفهمه الخاص؛ دون التلقي عن العلماء والرجوع إليهم»[2].

أما تقييم سيد إمام لابن لادن؛ فيجمله بقوله: «عام (١٩٩٠) لاحظ بعض مَن بايع ابن لادن من ذوي الخبرة في العمل الإسلامي أن ابن لادن يغير أهدافه وخططه سريعًا...

فطالبه بعض أتباعه أن يكون للقاعدة منهج (دستور) يحدد أسس قيامها وأهدافها، والتي بناءً عليها يأخذ ابن لادن البيعة من الشباب، فرفض ابن لادن... وطَرد مَن طالبه بمنهج...

فإنني أقول: ليس للقاعدة منهج ولا فكر ولا منظّر ولا مفتٍ؛ إلا ما يراه ابن لادن برأيه الشخصي! و(من اعترض تم طرده)»[3].

هذه هي رؤية القيادات لبعضها البعض... فإن كانوا صادقين في ذلك؛ فلا يصلحون لقيادة الجهاد ولا الأمة!

وإن كانوا كاذبين وأصحاب أهواء؛ فالحال أدهى وأمرّ!!

---

(١) على الرابط التالي:
http://islamists٢day-a.blogspot.com/٢٠٠٧/١٢/blog-post_٨٧٥٦.html

(٢) «الجماعات الجهادية المعاصرة»، د. راشد الزهراني، (ص١٩٩).

(٣) «مراجعات الجهاديين»، عبد المنعم منيب، (ص١٥٢).

ثورات الخوارج (١٤):
أمرٌ ما لَهُ غير المهلّب!

هيثم الكسواني - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

لم يُنْـهِ موت نافع بن الأزرق في معركة دولاب، سنة (٦٥هـ) فكرَ الأزارقة ولا وجودَهم، فهذه الفئة من الخوارج سرعان ما اختارت عبيد الله بن الماحوز أميرًا عليها، وواصلت الخروج وقتْل الناس وبثّ شرورها في المجتمع؛ حيث شكّل الأزارقة النسخةَ الأكثر تشددًا وشدّة وهمجية من الخوارج آنذاك.

وكما يقول البغدادي عنهم: «ولم تكن للخوارج قطّ فرقة أكثر عددًا، ولا أشدّ منهم شوكة»[(١)].

ولمّا تولّى ابن ماحوز قيادة الأزارقة «سار بهم إلى المدائن[(٢)]؛ فقتَلوا أهلَها، ثم غلبوا على الأهواز[(٣)] وغيرها، وجبوا الأموال، وأتتهم الأمداد[(٤)] من اليمامة والبحرين..»[(٥)].

وهكذا هي مسيرة الخوارج على الدوام: فساد وإفساد أينما حلّوا وارتحلوا، وأيًّا كان قائدهم وإمامهم.

خاض الخوارج الأزارقة معارك عديدة ضد جيوش المسلمين، والخليفةُ آنذاك هو: عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، بعد مبايعته من معظم الأقطار الإسلامية، وقد انتصر الأزارقة في عدد من هذه المعارك، لكنهم أظهروا فيها جميعها قوّتهم وشدّتهم، ما جعل المسلمين يعانون منهم الأمرّين، ويجدون منهم العنت، لا سيما أهل البصرة؛ التي غدت الهدف التالي للخوارج بعد سيطرتهم على الأهواز.

تفاوتت قدرات ولاة البصرة وقادتها العسكريين ومواهبهم، وكذلك هِممهم ونظرتهم إلى خطر الأزارقة وسبل مواجهتهم، وعندما عجز واليها عبد الله بن الحارث عن إزاحة خطر الخوارج عنها إثر انتصارهم في معركة دولاب؛ طلب الناسُ من عبد الله بن الزبير أن يعيّن واليًا آخر، «فاستعمل عليهم عمر بن عبيد الله بن معمّر؛ الذي سرعان ما ولّى أخاه عثمان أمر محاربة الخوارج، فخرج إليهم عثمان وقد استهان بأمرهم، فلمّا التقاهم بسوق الأهواز هَزموا عساكره وقتلوه.

حينذاك عَزل ابنُ الزبير واليه من البصرة، واستعمل مكانه الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي (القباع)»[(٦)].

وعندما اقترب خطر الأزارقة من البصرة فزع الناس نحو الأحنف بن قيس[(٧)]، وسألوه أن يتولّى هو محاربة

---

(١) عبد القاهر البغدادي، «الفرق بين الفرق» (ص٨٢).

(٢) جنوب شرق بغداد.

(٣) إقليم عربي مجاور للبصرة، محتل الآن مِن قِبل إيران.

(٤) جمع مدَد.

(٥) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧١٦).

(٦) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٤١).

(٧) ذكره ابن كثير في وفيات سنة (٧٢هـ)، وقال في ترجمته: «أسلَم في حياة النبي ﷺ ولم يرَه، وجاء في حديثٍ أن رسول الله ﷺ دعا له.

وكان سيّدًا شريفًا مُطاعًا مؤمنًا، عليم اللسان، وكان يُضرب بحلْمه المثل، وله أخبار في حلمه سارت بها الركبان، قال عنه عمر بن الخطاب: "هو مؤمن عليم اللسان"، وقال الحسن البصري: "ما رأيتُ شريف قومٍ أفضل منه"، وقال أحمد بن عبد الله العجلي: "هو بصري، تابعي ثقة، وكان سيّدَ قومه...

=

الخوارج[1].

وعلى الرغم من مكانة الأحنف وخبرته العسكرية وحروبه السابقة إلَّا أنه أشار على الناس وعلى والي البصرة برجلٍ آخر، هو: المهلّب بن أبي صفرة؛ «لِما يعلم فيه مِن الشجاعة والرأي والمعرفة بالحرب»[2].

وقد كُتِب الكثير عن مواهب المهلّب ومؤهلاته، وقد ذكره ابن كثير في وفيات سنة (٨٢هـ)؛ فقال: «أحد أشراف أهل البصرة ووجوههم ودهاتهم وأجوادهم وكرمائهم، وُلد عام الفتح، وكانوا ينزلون فيما بين عُمان والبحرين، وقد ارتدّ قومه؛ فقاتلهم عكرمة بن أبي جهل، فظفر بهم، وبعث بهم إلى الصديق وفيهم أبو صفرة وابنه المهلب، غلام لم يبلغ الحنث.

ثم نزل المهلب البصرة، وقد غزا في أيام معاوية أرض الهند سنة أربع وأربعين... وكان فاضلًا شجاعًا كريمًا يحبّ المدح...

توفي المهلب غازيًا بمرو الروذ، وعمره ستة وسبعون سنة ﵀... وكان من الشجعان، وله مواقف حميدة، وغزوات مشهورة في الترك والأزارقة وغيرهم من أنواع الخوارج»[3].

هو إذًا قائد ذو «مواصفات خاصة»[4]، وعندما تحدّث أهل البصرة -قادتُهم وأفرادهم- بأن قتال الخوارج لا يَصلح إلَّا له، وبأن هذا الأمر ما لَهُ غير المهلب[5]؛ كان المهلّب في طريقه إلى خراسان ليصبح واليًا عليها مِن قبل ابن الزبير، فاعتذر للناس بذلك، فكتبوا إلى ابن الزبير يطلبون منه تولية المهلّب قتال الخوارج؛ فأجابهم ابن الزبير لذلك.

وقبِل المهلّب المهمّة التي اختاره الناس لها بقتال الأزارقة وإبعاد شرّهم، لكنه وضع شروطًا، رأى أن مهمّته لا يُمكن أن تنجح بدونها، في مقدمتها: أن يموّلوا جيشه من بيت مالِهم، وأن يكون له خراجُ وإمرةُ كلّ بلد يقع في حوزته، وأن يكون له الحقّ في اختيار من يشاء من المقاتلين[6]، فأجابه الناس إلى ما طلب، ووافقوا على شروطه؛ التي تعكس بُعد النظر، وحسن التخطيط الذي كان يتمتع به هذا القائد.

ولمّا كان ما في بيت مال البصرة لا يكفي لرواتب الجند ولا تجهيزهم؛ فقد قام المهلّب بالاقتراض من التجار[7]، ما يذكّرنا بالسياسة التي سنّها الأمويون مِن قبلُ بوجوب إشراك المجتمع المحلي في جهود محاربة الخوارج.

وإذا كُنّا فيما سبق قد رأينا نجاعة هذه السياسة من خلال العنصر البشري بتوفير المقاتلين؛ حيث خرج رجال القبائل لمقاتلة الخوارج جنبًا إلى جنب مع الجيش، فإنها الآن تأخذ طابعًا آخر هو: الطابع الاقتصادي بتوفير الموارد المالية للجيش؛ حيث إشراك التجار والميسورين في عبء مواجهة الخوارج؛ لا سيّما وأنهم سبّبوا لهم ضررًا بالغًا من خلال كساد تجارتهم، بفعل حصارهم للبصرة، وتهديدهم الدائم لها، وسيطرتهم على الولايات المجاورة لها.

وقد أشار المهلّب في حديثه إلى التجار قضية الأضرار التي سبّبها الخوارج لهم؛ عندما قال لهم: «إنّ تجارتكم منذ حوْل

= وكان زياد بن أبيه يقول: قد بلغ الأحنف من السؤدد والشرف ما لا ينفعه معه ولاية ولا يضرّه عزل، وإنّه ليفرّ من الشرف وهو يتبعه"، وقال الحاكم: "وهو الذي افتتح مرو الرّوذ، وكان الحسن وابن سيرين في جيشه"». انظر: البداية والنهاية (ص١٧٥٨).

(١) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٤/ ١٩٥).

(٢) المصدر السابق، (٤/ ١٩٥-١٩٦).

(٣) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧٩٦).

(٤) هيثم الكسواني، مقال (المهلّب يفرّق صفوف الأزارقة)، مجلة «الراصد»، العدد (٦٤)، (شوال ١٤٢٩هـ).

(٥) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧١٦)، ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٤/ ٩٦).

(٦) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧١٧)، ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٤/ ٩٦)، د. علي الصلابي، «الدولة الأموية» (ص٦٢٩)، د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٣٥).

(٧) د. علي الصلابي، «الدولة الأموية» (ص٦٢٩)، د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٣٥).

قد كُسِرت بانقطاع موارد الأهواز وفارس عنكم، فهلمّ فبايعوني واخْرجوا معي، أوفّيكم -إن شاء الله- حقوقكم»[1].

وعلى الفور جهّز المهلّب جيشًا من أهل البصرة قوامه (١٢) ألفًا، وقيل: (٢٠) ألفًا، منهم (٨) آلاف من قبيلته (الأزد)، وأمّر عليهم ابنَه المغيرة بن المهلب؛ الذي عبَر بجيشه الفرات، وقاتل الأزارقة وهزمَهم، ومَن بقي منهم فرّ إلى بلاد فارس[2].

أما المهلّب فاستمرّ أربعين يومًا يجبي خراج المناطق التي استردّها من الخوارج، فتمكّن في هذه الفترة الوجيزة من ردّ الأموال التي اقترضها من التجار، ومِن تأمين احتياجات الجند[3]؛ ما أدّى إلى انضمام أعداد جديدة إلى جيشه، ثم خرج بنفسه إلى الخوارج بعد أن استخلف على نهر تيري أخاه المعارك بن أبي صفرة، ولاحقهم، ودخل إلى سوق الأهواز، وكتب بخبر انتصاره إلى والي البصرة[4].

ولمّا كان مِن الصعب على الخوارج الصمود وجهًا لوجه أمام جنود المهلب؛ فقد لجأوا إلى أسلوب جديد هو: الكمائن لاغتيال المهلّب، لكنهم لم يتمكنوا منه[5]، إلّا أنهم استطاعوا بعد ذلك اغتيال شقيقه المعارك، وصلبوه[6].

وقد رأينا بعد ذلك الحشاشين الإسماعيليين يقتفون أثر الأزارقة في الاغتيالات، ويتخذونه منهجًا لهم في التعامل مع معارضيهم من أهل السنة؛ وخاصة العلماء والأمراء والقادة، وهو عين ما يفعله اليوم -أيضًا- تنظيم الخوارج المعاصرين (داعش)، حيث طالت مفخخاته واغتيالاته مختلف فئات أهل السنة في كل بلد تواجد فيه أو مرّ منه.

(١) د. علي الصلابي، «الدولة الأموية» (ص٦٢٩).
(٢) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٤٢).
(٣) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٣٧).
(٤) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٤٢).
(٥) المصدر السابق، (ص١٤٢-١٤٣).
(٦ و٧ و٨) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٤/ ١٩٧).

نستطيع القول: إن ما سبق كان مجرد الحلقة الأولى في صراع طويل استمر قرابة العشرين عامًا بين الخوارج الأزارقة من جهة، وبين المهلب وبَنِيه، فالمهلب كان من القادة الذين تبنّوا سياسة النَّفَس الطويل، ولم يكن يكتفي بالمواجهات العسكرية، بل اتّبع عدة أساليب معهم، فهو -مع شجاعته وإقدامه- كان «شديد الاحتياط والحذر»[7]، وكان يهتم في حربه معهم بإرسال الجواسيس إلى عسكرهم لتأتيه بأخبارهم[8]، كما كان شديد الحرص على عساكره[9].

ومثلما انتصر المهلب في أولى معاركه ضد الأزارقة ذاق في بعض الحروب طعم الخسارة، وشهد التقلّبات التي شهدتها الدولة الإسلامية وأثّرت على مواجهته للخوارج، وهو ما سنتحدّث بالتفصيل عنه في العدد القادم -إن شاء الله-.

المراجع:

١- الحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية»، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).
٢- عبد القاهر البغدادي، «الفرق بين الفرق»، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
٣- ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، دار صادر ودار بيروت، بيروت، (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م).
٤- د. علي محمد الصلابي، «الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار»، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).
٥- د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم»، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
٦- د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ خلال (٣٧ – ١٣٢هـ)»، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، (أيار-مايو ٢٠٠٧م).
٧- هيثم الكسواني، مقال (المهلّب يفرّق صفوف الأزارقة)، مجلة «الراصد»، العدد (٦٤)، (شوال ١٤٢٩هـ).

(٩) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٤٣).

مظلومية أهل السنة في إيران (٦)
اعتداء نظام الملالي على المساجد والمدارس الدينية

ماجد العباسي- كاتب من عرب فارس

خاص بـ «الراصد».

من أهم أوجه الاضطهاد الديني الذي يمارسه النظام الإيراني الحالي ضد شعبه من أهل السنة: الاعتداءات الموجهة ضد المدارس والمساجد.

وذلك يتمثل في محورين رئيسين وهما:

١ - محاولة الوصاية والاستحواذ على مدارس السنة؛ من خلال إنشاء ما يسمى بـ «شورى التخطيط والبرمجة لمدارس أهل السنة».

٢ - منع بناء المساجد والمدارس الجديدة، والهدم والإغلاق لبعض المساجد والمدارس القديمة!

في هذا المقال نسلّط الضوء على المحور الأول؛ ففي نهاية عام (٨٦ الهجري-الشمسي ١٤٢٨ هـ) -العام الذي سمي من قبل قائد النظام بـ: عام الوحدة الوطنية والانسجام الإسلامي- (الثامن من بهمن ١٣٨٦) أَلَّف المجلس الأعلى للثورة الثقافية شورى للتخطيط والبرمجة لمدارس أهل السنة، وقرر هذا الشورى: تنظيم ودعم المدارس الدينية لأهل السنة -على حد زعمهم!- مستهدفًا استقلال وحرية مدارس أهل السنة في إيران، ووقّع الرئيس الإيراني السابق أحمدي نجاد هذا القرار، وأرسله إلى نواحي البلاد في (١١ اسفند ١٣٨٦).

وقد قابل معظم قيادات السنة من العلماء والخبراء وممثليهم في مجلس الشورى الإيراني هذا القرار بالرفض، فراسلوا قائد الثورة ورئيس الجمهورية والآخرين من كبار المسؤولين، وأعربوا عن استيائهم وقلقهم من هذا القرار المفجع!

فلنستعرض ما يحويه أمر تأسيس هيئة الشورى الحكومية للبرمجة والتخطيط لمدارس أهل السنة من تخطٍ للحدود القانونية -التي هم وضعوها-، واعتداء على الحقوق المدنية، ولنجعلها في الميزان:

١ - هذه مؤسسة حكومية محضة؛ حيث الرئيس والمدير والمخططون والمبرمجون والمؤثرون الحقيقيون فيها كلهم من علماء الشيعة ورجالها!

ولم يشارك علماء السنة إلا بشكل هامشي مقصود؛ حيث تمت دعوة عدد قليل من علماء السنة، أو بالأحرى تم إعلام بعض العلماء ودعوتهم بعد انتهاء كل المشاورات واتخاذ القرارات من قبل الشيعة، والتصديق على القرار من المجلس الأعلى للثورة الثقافية! بل وحتى ممثلو السنة في مجلس النواب لم يكن عندهم اطلاع على الموضوع!

٢ - تأسيس شورى بهذا الاسم لتصديق هذا القرار أمر مخالف للدستور الإيراني؛ وخاصة المادة الثانية عشرة، والتي تنصّ على أن: «الإسلام هو الدين الرسمي، والمذهب الجعفري الاثنا عشري هو المذهب الرسمي في هذه البلاد... أما المذاهب الإسلامية الأخرى -من الحنفية والشافعية والحنبلية والمالكية

والزيدية - فلها حرمتها واحترامها، وأتباع هذه المذاهب أحرار في مراسيمهم الدينية وشؤونهم المذهبية؛ طبقًا لفقههم وعقيدتهم، كما أنهم أحرار في التعليم الديني لأبنائهم، وفي الأحوال الشخصية، ودعاويهم معتبرة في المحاكم أيضًا..».

٣- زعموا أن رجال الحكومة زاروا مدارس أهل السنة مرارًا لاستعراض كامل أحوالها ومشاكلها وقضاياها، والحق أن المعاهد الدينية والحوزات العلمية في أنحاء المناطق السنية لم تر يومًا -ولا لمرة- أية زيارة من هذه الزيارات والاستعراضات.

٤- قالوا: إن من أهدافهم: إعطاء الشهادات الجامعية المعتبرة للمتخرجين من المدارس السنية.

ونقول: إن أبناء هذه المدارس لا يبتغون بهذا العلم شهادات دنيوية، ولا شهادة حكومية يتمتعون بها، ولا جاهًا يتباهون به، ولا منصبًا يتسابقون عليه، إنما يريدون بهذا العلم وجه الله، وإصلاح الأمة، ولو أنّهم أرادوا أن يحصلوا على مثل هذه الشهادات لِيربحوا غدًا بالتوظيف في الإدارات والمؤسسات الحكومية، ويتمتعوا بالإمكانيات؛ لَسلكوا طريق الجامعات الحكومية والكلّيات المعتبرة التي لها مكانتها، ولشهاداتها قيمتها في الدولة.

ولَكان ذلك الطريق أسهل وأحسن لهم من الالتحاق بهذه المدارس الفقيرة التي يشبعون فيها يومًا ويجوعون يومًا، والتي تهدد بالهدم والتخريب، ويشار إليها بأصابع الاتهام!

٥- وقالوا -أيضًا-: إن مِن وظائف هذا (الشورى): الإشراف على طريقة التعليم في المدارس الدينية وتقويمه المتواصل بالقيم العلمية.

ومعلوم أنّ مسألة الإشراف على أمر التعليم في مدارس أهل السنة والتفكير لأجله مسألة يقوم بها أصلًا اتحاد المدارس السنية ومدراؤها في جميع مناطق السنة.

هذه هي التجاوزات والاعتداءات على مدارس السنة في إيران؛ والتي رفضها علماء السنة، وأصدروا ميثاقًا تحالفوا فيه على أن المدارس السنية ستبقى مطلقة حرة.

وإليكم نص الميثاق:

«بسم الله الرحمن الرحيم

معاهدة

انعقدت جلسة استشارية في (٦ من شوال ١٤٢٩هـ.ق) بمشاركة زهاء مائة من العلماء السنة من أئمة الجمعة ورؤساء المدارس الدينية والعلماء البارزين في جامعة دار العلوم زاهدان.

وأجمع الجميع بعد الفحص والتحقيق والمشاورة حول القضايا الأخيرة لأهل السنة؛ لا سيما حول قرار الشورى الثقافي، أي: (مشروع تنظيم الحوزات العلمية)، على أن هذا المشروع ليس إلا تدخل واضح في الشؤون المذهبية والتعليمية لأهل السنة، وأنه مغاير تمامًا مع الدستور الوطني، كما هو مغاير -أيضًا- مع جميع الدساتير الدولية في العالم، وأنه مخلّ بالوحدة والأمن الوطني».

وبمقابل هذا التعدي على مدارس السنة؛ هل قام المجلس الأعلى للثورة الثقافية بإصدار قرار مماثل لتخطيط برامج المدارس الشيعية؟ وهل احتاج مراجع الشيعة لتأسيس هذا العدد الكبير من المدارس التابعة لهم إلى إجازة وترخيص من شورى التخطيط والبرامج؟ هل يسمح لعلماء السنة أن يقيّموا برامج الحوزات الشيعية؟؟

ألا يفتخر الشيعة باستقلال حوزاتهم عن الحكومة، فلماذا لا يُقبل هذا في حق مدارس السنة؟

كما يواجه الأئمة حملة تضييق لا سيما في المدن، ويصعب لهم إلقاء الدروس والخطب في المساجد وغيرها إلا بأمر من وزارة الإرشاد الإسلامي والثقافة، وتحت مراقبة الأمن والاستخبارات.

ولا يقتصر التضييق على أهل السنة على مناطقهم الخاصة

فحسب، بل يمتد إلى تجمعاتهم في المدن الكبرى؛ كطهران وأصفهان وشيراز وكرمان ويزد، التي يتواجدون فيها بسبب الوظائف الإدارية والأعمال التجارية، ويزيد -غالبًا- في تلك المدن بحجة أنهم ليسوا من السكان الأصليين لهذه المدن، مع أن الأقليات الشيعية في المدن -وحتى القرى السنية- تتمتع بحرية تامة في أداء شعائرهم، بل في الإهانة لأهل السنة ومعتقداتهم، وتحميهم الحكومة، وتبني لهم المساجد والمآتم، ويقومون بإقامة الطقوس الشيعية في الساحات والشوارع، ولو لم يتجاوز عددهم في تلك المدينة أو القرية السنية بضعة أنفار، ولو أنهم غرباء أتوا لوظيفة حكومية أو لكسب لقمة العيش بصورة مؤقتة.

في المقال القادم -بإذن الله- نطلع القارئ الكريم على المحور الثاني المتعلق بمنع بناء المساجد والمدارس الجديدة، وكذلك الهدم والإغلاق اللذين تعرضت لهما بعض المساجد والمدارس الدينية القديمة لأهل السنة في أنحاء الدولة الإيرانية، في ظل حكم ولاية الفقيه.

مستقبل الطائفية في الشرق الأوسط، وتحديات المجال السني -قراءة في تقرير مؤسسة راند-

بوزيدي يحيى- كاتب وباحث جزائري

خاص بـ «الراصد».

استفحلت الطائفية في الشرق الأوسط في السنوات الأخيرة، لدرجة دفعت إلى انكفاء الأصوات التي لطالما حاولت غضّ الطرف عنها تارة، أو اتهام السنة باختلاقها تارة أخرى، إذ هناك إجماع شبه تام على أن الصائل في هذه الحالة هم: الشيعة؛ الذين وجدوا في إيران سندًا لهم لتجسيد المشروع الشيعي في المنطقة، وعلى عكس النخب السياسية والثقافية العربية التي تكتفي بقراءة عاطفية للحالة، والبحث عن تجاوزها بمقاربة طوباوية تتنكر للتباينات العقدية وما تفرضه من صِدام عند انتقالها إلى المجال السياسي؛ تتعامل القوى الدولية ونخبها مع الحالة كما هي على الواقع، وتوظفها في استراتيجيتها بالتركيز على المداخل التي تخدم مصالحها.

وفي هذا الإطار يأتي التقرير الصادر عن مؤسسة راند مؤخرًا تحت عنوان: (مستقبل العلاقات الطائفية في الشرق الأوسط)، من تحرير جيفري مارتيني، وهيذر ويلسامز، ووليام يونغ.

وسنحاول في السطور التالية تقديم قراءة لهذا التقرير؛ بعرض أهم الأفكار والسيناريو المحتمل للطائفية في العقد القادم، وما يجب فعله أو التفكير فيه حيال ذلك.

■ ملخص حول التقرير:

غني عن التذكير التعريف بمؤسسة راند التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية، ودورها وأهدافها، فمعدو التقرير يشيرون في مقدمته إلى أن الدراسة صمّمت لمساعدة مجموعة الاستخبارات؛ من خلال تقديم سيناريوهات تتعلّق بتطور الطائفية في الشرق الأوسط على مدى العقد القادم[1]؛ خاصة في المنطقة التي اصطلح عليها في الدراسة بالصدع الطائفي، والتي تشمل: شبه الجزيرة العربية، وإيران، والشام، وتقدِّر الدراسة نسبة الشيعة في هذا النطاق بنسبة (٥٠%)، وهذا الرقم مبالغ فيه كثيرًا!

فبالعودة إلى مصادر اعتمدتها الدراسة وتحديدًا كتاب «حقائق العالم» التابع لوكالة المخابرات الأمريكية؛ فإن تقديراتهم تشير إلى أن نسبة الشيعة في الدول التي تتوفر معطيات

(١) للاطلاع على التقرير كاملًا ينظر: جيفري مارتيني، وهيذر ويلسامز، ووليام يونغ، «مستقبل العلاقات الطائفية في الشرق الأوسط»، موقع «مؤسسة راند»، على الرابط:
https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/perspectives/PE٢٠٠/PE٢٤٢/RAND_PE٢٤٢z١.arabic.pdf

حولها والممثلة في (إيران، العراق، لبنان، سلطنة عمان، السعودية، سوريا، اليمن) لا تتجاوز (٣٥%)، بالرغم أننا أخذنا النسبة الأكثر تقديرًا لا الأقل، لأنه بالأخيرة لا تتجاوز (٣٣.٥٧%)؛ فضلًا عن أن الدول المتبقية -والتي لا تتوفر إحصائيات عنها في المصدر نفسه- يشكل السنة غالبية على غرار الأردن، حيث يمثلون (٩٧%)، وسلطنة عمان التي يشير المصدر إلى أن نسبة الشيعة فيها لا تتجاوز (٥%)، والسنة قرابة (٥٠%)، وحتى البحرين التي يشار إلى أن الشيعة فيها أغلبية بنسبة (٧٠%) هناك مصادر تؤكد على أنه رقم مبالغ فيه، وأنهم كأقصى حد (٦٠%)، بينما نسبتهم في العراق أقل من السنة في حدود (٤٨%)، وليسوا أغلبية.

■ **وحدّدت الدراسة ثمانية دوافع تتحكم في المسار المستقبلي للعلاقات الطائفية في المنطقة، صنفت ضمن ثلاث فئات:**

أولًا: المستوى الجماهيري والفاعلين غير الحكوميين:

هناك ثلاثة دوافع في هذا المستوى، يتمثل:

أولها: في كيفية تحديد الجماهير ذاتيًا لانتماءاتها؛ لا سيّما قوة الهوية الطائفية بالمقارنة مع الهويات البديلة.

وثانيها: في طابع الخطاب الطائفي في المجتمع.

وثالثها: الجهات الفاعلة غير الحكومية؛ كالمجتمع المدني والمليشيات التي يمكنها تحريك الصراع الطائفي أو إخماده وفْق سلوكها.

ثانيًا: المستوى الرسمي (الدول والبيئة الإقليمية):

حددت فيه أهم أربعة دوافع وهي:

توجه السياسة الخارجية للقوى الإقليمية، وتمثل إيران والمملكة العربية السعودية أهم دولتين فيها.

والدافع الثاني في هذه الفئة هو: نوعية الحوكمة؛ فالرشيدة منها تقدم خدماتها لمواطنيها دون تمييز بحسب الطائفة أو غيرها من سمات الهوية، بينما السيئة تفعل العكس من ذلك؛ مما يحفز المجتمعات المحلية على العودة إلى ولاءات أخرى بما في ذلك الطائفة والعشيرة.

والدافع الثالث: يكمن في العلاقة بين الرفاه الاقتصادي والانتماء الطائفي، فالظروف الصعبة والحرمان الاقتصادي بشكل عام يشجع على التجنيد الطائفي؛ خاصة في فئة الشباب، في المقابل يؤدي النمو الاقتصادي والظروف المعيشية الجيدة إلى تخفيض الضغوطات المجتمعية التي قد تعزز العنف الطائفي.

والدافع الرابع هو: اتجاهات الصراع، وتتمثل في نطاق الصراع الإقليمي وحدّته وخصائصه، فمن جهة يزيد الصراع الإقليمي والعنف من تشدّد الهويات الطائفية وينتج عنفا إضافيًّا، ومن جهة أخرى يشكّل حل الصراع في بلد ما سابقة وزخمًا إيجابيًّا لحلّ الصراع في مكان آخر.

ثالثًا: مستوى البيئة الدولية:

تمثل الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا أهم دافع في البيئة الخارجية؛ لامتلاكهما نفوذًا كبيرًا، وتتدخلان في الشؤون الإقليمية، وبذلك فهما مشاركتان وتسعيان عمدًا أو تساهمان عن غير قصد في الصراع الطائفي.

■ **التفاعل بين دوافع المستويات الثلاثة:**

تتفاعل الدوافع بطرق متعددة، فقد تعمل أحيانًا بشكل مستقل عن بعضها البعض، أو قد يتمتع أحدها بقوة ليطغى على تأثيرات العوامل الأخرى، وقد تلغي الدوافع بعضها بعضًا، وهذا مؤشر على إمكانية توجيه هذه الفواعل وفق الأجندة المناسبة.

وانطلاقًا من الدوافع أعلاه تقدم الدراسة أربعة سيناريوهات لمستقبل المنطقة في غضون العقد القادم، مع التنبيه على وجود سيناريوهات أخرى، لكنها أقل احتمالًا:

السيناريو الأول: النزعة المحلية، وتراجع الطائفية:

يستند هذا السيناريو على الهوية الذاتية والجهات الفاعلة غير الحكومية ونوعية الحوكمة، ويفترض تراجع عهد «الإسلاموية» كواحدة من الهويات المهيمنة في الشرق الأوسط، ينجم عن هذا الإخفاق: بروز نزعة محلية تطالب فيها المجتمعات المحلية بدور أكبر في شؤونها، وبتقديم الخدمات الرئيسية.

ومن الأمثلة على ذلك: الصلاحيات التي منحها الدستور التركي للرئيس رجب طيب أردوغان، وفشل حركة حماس في ضمان الأساسيات للمواطنين في قطاع غزة، ويفترض -أيضًا- انهيار المعسكر الشيعي الذي تقوده إيران بعد استفاقة الأقليات الشيعية في الدول الأخرى التي ترى نفسها متمايزة عن القيادة الإيرانية.

كما يتوقع تجديد التركيز على العشيرة كهيكلية تنظيمية للمجتمع المحلي، لكنها (أي: النزعة المحلية) في النهاية ستحدّ من تأثير الطائفية، وتقلل من قدرة المستفيدين منها على حشد الجماهير؛ بناء على أسس واسعة مثل: الانتماء الديني.

السيناريو الثاني: الطائفية الشيعية، والفوضى السنية:

يحيّد هذا السيناريو الجهات الفاعلة غير الحكومية ونوعية الحوكمة، وينطلق من الهوية الذاتية والدول الإقليمية والجهات الفاعلة من خارج المنطقة.

يَفترض هذا السيناريو استمرار المعسكر الشيعي -حتى وإن كان بحجم أصغر، ولكن أكثر اتحادًا- لمواصلة ما يصوّره قادته على أنه إعادة توازن تاريخي، وفي الاتجاه المعاكس يحدّ الاقتتال الداخلي وتضارب المصالح داخل المعسكر السني من فعاليته، ويمكّن الجهات الفاعلة الشيعية من السيطرة شيئًا فشيئًا على مناطق نفوذه.

ويمكّن الاتفاق النووي، ورفع العقوبات عن إيران من تحقيق مشاريعها ودعم أذرعها؛ خاصة حزب الله، وحكومة العبادي في العراق، كما يَفترض فشل المملكة العربية السعودية في حربها باليمن، وارتدادات ذلك على مجلس التعاون الخليجي؛ خاصة حليفتها الإمارات العربية المتحدة، في مقابل استعادة الرئيس السوري بشار الأسد السيطرة على المدن السورية، مع استمرار بعض الجيوب المعارضة الصغيرة.

والنتيجة النهائية: سعي الجهات الشيعية الفاعلة لتوسيع نفوذها، في حين تقف الجهات الفاعلة السنية موقف الدفاع، وبذلك يتزايد التماسك الشيعي التفافًا حول أهدافه، وتتسع الشروخ في المعسكر السني نتيجة التراجع الذي تتعمق معه الاتهامات المتبادلة والخلافات على مستوى القيادة.

السيناريو الثالث: الحرب بين إيران والسعودية، واستراتيجية حافة الهاوية:

يستند هذا السيناريو على طابع الخطاب الديني، والدول الإقليمية، والجهات الفاعلة من خارج المنطقة، ويَفترض تصعيدًا طائفيًّا إلى درجة المواجهة العسكرية المباشرة بين السعودية وإيران.

ومِن مؤشرات هذا الاحتمال: تفاقم الصراعات بالوكالة؛ خاصة في سوريا واليمن، وانكفاء القوى الدولية وفسحها المجال للأطراف المتصارعة لإنهاك بعضها البعض.

وتكون شرارة الحرب بينهما نتيجة دعم البلدين قوى انفصالية؛ كإعادة إيران تأسيس حزب الله السعودي، ودعم السعودية البلوش السنة في جنوب شرق إيران، وتكون المواجهة الحربية بينهما التي قد تندلع بسبب حادث عرضي؛ كاستهداف سفينة حربية سببًا في انكفاء الدولتين، ورفع دعمهما للحركات الطائفية.

السيناريو الرابع: الصراع الإثني:

يستثني هذا السيناريو الفاعلين الرسميين، والقوى الإقليمية والدولية، ويركّز على الهوية الذاتية، والجهات الفاعلة غير الحكومية، واتجاهات الصراع، ويَفترض استمرار العنف الطائفي الذي سيدفع إلى نزوح ينتج عنه فصل فعلي للطوائف.

ومِن المؤشرات على ذلك: ما حصل في العراق من تهجير؛ سواء من طرف تنظيم الدولة الإسلامية أو المليشيات الشيعية من تطهير عرقي، والأمر نفسه في سوريا؛ سواء بالنسبة للأكراد وما يقوم به نظام الأسد وحلفاؤه، وممارسات الحوثيين في اليمن، وحتى في الدويلات الصغيرة غير القابلة للتقسيم يفصل السنة والشيعة أنفسهم ضمن أحياء؛ كمدينتي المنامة والكويت.

هذا الفصل يخفض الصراعات يوميًّا؛ لقلة التفاعل بين الطوائف، ولكنه من جهة أخرى يرسخ التحيزات، وينذر بصراع يتفاقم ببطء ويتجه نحو الانفجار.

■ **السيناريو المحتمل:**

الجزئية المهمة في السيناريوهات: أن كلًّا منها يستند على جملة من الفواعل دون غيرها، وفي محاولة لقراءة السيناريو الأكثر احتمالًا يجب أخذ كل تلك الفواعل بعين الاعتبار وقدرتها على التأثير.

تأسيسًا على هذا؛ فإن السيناريو الثاني هو الأكثر احتمالًا؛ حيث يَفترض استمرار المعسكر الشيعي -حتى وإن كان بحجم أصغر، ولكن أكثر اتحادًا- لمواصلة ما يصوّره قادته على أنه إعادة توازن تاريخي، وفي الاتجاه المعاكس يحدّ الاقتتال الداخلي وتضارب المصالح داخل المعسكر السني من فعاليته؛ ويمكّن الجهات الفاعلة الشيعية من السيطرة شيئًا فشيئًا على مناطق نفوذه.

والنتيجة النهائية: سعي الجهات الشيعية الفاعلة لتوسيع نفوذها، في حين تقف الجهات الفاعلة السنية موقف الدفاع، وبذلك يتزايد التماسك الشيعي التفافًا حول أهدافه، وتتسع الشروخ في المعسكر السني نتيجة التراجع الذي تتعمق معه الاتهامات المتبادلة والخلافات على مستوى القيادة.

وأهم نقاط قوة هذا السيناريو: استناده على الدول كفاعل أساسي؛ سواء كقوة إقليمية أو دولية، وهذا أمر طبيعي لامتلاكها (أي الدولة) وسائل التأثير المادية والمعنوية، كما يركز على القوى غير الحكومية التابعة لها مِن مليشيات وأحزاب سياسية، أما الفواعل الأخرى فهي غير مؤثرة، بل على العكس مستهدفة بسياسات الدول، وبعضها لا يمتلك من وسائل التأثير غير التنديد.

وهذا لا ينفي رجاحة بعض الاحتمالات في السيناريوهات الأخرى؛ إذ توافق دراسة مستقبلية للدكتور وليد عبد الحي الافتراض الذي ذهب إليه السيناريو الأول، والمتمثل في تراجع عهد «الإسلاموية» كواحدة من الهويات المهيمنة في الشرق الأوسط، ومما يضاعف التحديات في هذا الباب: أن التراجع ليس نتاج عوامل ذاتية فقط كإخفاقات الإسلاميين في المجال السياسي والدعوي فحسب، وإنما وجود استراتيجية تستهدف الدين بشكل عام.

وفي هذا الإطار يَفترض الدكتور وليد عبد الحي -أيضًا- بأن المرحلة القادمة -العشرين سنة القادمة تقريبًا- (حتى عام ٢٠٤٠) ستعرف ضغطًا على الثقافة الدينية بقدر «لم تعهده من قبل».

وسيتركز الهجوم التدريجي والمتسارع والشامل على الثقافة الدينية من ناحيتين:

التاريخ الديني: وسيكون التركيز على نقد الرواية التاريخية للوقائع الدينية.

والبعد الميتافيزيقي للدين (الماورائيات الدينية).

وستتسلح هذه الحملة -وبشكل منظم ومدعوم من الداخل والخارج- بعدد من الآليات الفاعلة من بينها: توسيع دائرة التأويل لمعاني النصوص الدينية باتجاه هجر التأويل السائد لصالح تأويل جديد، يعمل بجد ليخلخل -على المدى البعيد- الأسس التي قامت عليها منظومة الثقافة الدينية السائدة، وتوظيف النظريات والاكتشافات العلمية الجديدة والمتجددة لمساندة تيار التأويل الجديد، مما يعني: تزايد إقحام علماء ونظريات العلوم الطبيعية في التأويل والتفسير، مقابل تقليص دور رجال الدين أو علماء العلوم الاجتماعية في هذه الساحة، ووضع المعجزات الدينية موضع التأويل بشكل رئيسي لتبدو بأنها أقرب للمجاز منها للواقعة المادية في المرحلة الأولى، تمهيدًا -أو على أمل- نفيها لاحقًا.

وستشهد المرحلة القادمة فيضًا من الأعمال الأدبية والأفلام والمسلسلات الفنية والمسرحيات؛ التي تنطوي على اعتبار مرحلة الثقافة الدينية مرحلة تاريخية تشكل جزءًا من مراحل تطور الوعي الإنساني وليس خاتمته.

وهذه المنهجية ستتسلل لمناهج التعليم تدريجيًّا وبخفر سياسي، مسنودة من مواقع إلكترونية وهيئات مجتمع مدني، ستجر المجتمعات لهذه المناقشات لحساب تغييب موضوعات أخرى[1].

كما أن افتراض انهيار المعسكر الشيعي الذي تقوده إيران بعد استفاقة الأقليات الشيعية في الدول الأخرى؛ التي ترى نفسها متمايزة عن القيادة الإيرانية مستبعد جدًّا، ولا توجد مؤشرات على ذلك، والنزعة الشيعية المعارضة لإيران ما زالت محتشمة، والتحول في هذا السياق قد يحدث إذا ما حصل تغيير جذري في النظام الإيراني يقصي المؤسسة الدينية بشكل تام، وما قد ينجم عنه من رفع يدها عن القوى المؤيدة لها التي تفقد مرجعيتها الدينية، ممثلة في ولاية الفقيه، ومن ثم الدعم المالي والعسكري؛ الذي مكنها من السيطرة على الساحة الشيعية.

وحتى الافتراض الذي يستند عليه السيناريو الثالث، أي: تصعيد طائفي إلى درجة المواجهة العسكرية المباشرة بين السعودية وإيران، يبقى واردًا في حالة استشعر أحد النظامين أنه مهدد في وجوده بشكل مباشر، لكن في الوقت نفسه يستبعد تراجع الطرفين عن دعم الجماعات التي تساندها كنتيجة لاتفاقية إنهاء الحرب، وحتى إن حصل ذلك على الورق فتطبيقه على الواقع ليس مضمونًا.

وبالنسبة للسيناريو الرابع؛ فهو يخدم -بطريقة أو أخرى- السيناريو الثاني؛ فالفصل بين السنة والشيعة عملية تجري على قدم وساق بشكل جليّ، وهناك الكثير من المؤشرات عليها في السنوات الأخيرة؛ خاصة في العراق وسورية.

وبكل تأكيد فإن ذلك الفصل يخفّض الصراعات يوميًّا لقلة التفاعل بين الطوائف، ولكنه من جهة أخرى يرسخ التحيزات، وينذر بصراع يتفاقم ببطء ويتجه نحو الانفجار، كما أنه يعزز من دور المليشيات الطائفية التي ستتحمل مسؤولية الدفاع عن طوائفها كبديل أو سند إضافي للجيوش النظامية.

■ ما العمل؟

أمام هذا الوضع والتحديات المقبلة تحتاج القوى السياسية العربية بشكل عام، والإسلامية بشكل خاص إلى قراءة هذا الواقع، واحتمالات المستقبل، وصياغة استراتيجيات للتكيف مع مختلف المستجدات؛ بما يضمن مصالحها، مثلما تفعل القوى الأخرى، وهذا يحتاج إلى مراكز تفكير وبحوث جماعية تستند إلى منهجية علمية.

---

(١) وليد عبد الحي، «مشهد من مستقبل الدين في المنطقة العربية»، موقع «عمان نت»، (٢٠١٧/١٠/٢٤)، على الرابط: http://ar.ammannet.net/news/٢٩١٦٢٥

وفي حدود هذه السطور يمكن الإشارة إلى بعض الأفكار، منها:

- **أول ما يكشف عنه هذا التحليل:** أن الاستراتيجية الموضوعة لا تستند على نظرية المؤامرة جملةً وتفصيلًا؛ حيث تعرض الدراسة أهم الفواعل المؤثرة على المسألة الطائفية في المنطقة، وتبحث في كيفية توجيهها لخدمة المصالح الأمريكية وحدود تأثيرها عليها.

من هنا؛ يتوجب بدل تعليق الإخفاقات على مشجب المؤامرة وسياسات تلك الدول -بدليل توصيات مؤسسة راند وغيرها- محاولة الاستفادة من الانتقادات التي توجه للإسلاميين لتقييم تجاربهم وتصحيح مسارهم، فالعدو كثيرًا ما يكون صادقًا في انتقاداته، وبذلك فإن هذه الدراسات فرصة مواتية لتنقيح الأفكار والسياسات.

- **ضرورة الاتجاه نحو اللامركزية في العمل؛** من خلال تعدد الواجهات السياسية والدعوية التي ستكون مستهدفة في المرحلة القادمة.

وفي هذا استثمار إيجابي للانقسامات والتشظيات؛ التي حصلت داخل البيت الإسلامي بمختلف أطيافه.

- **تجنب الصدام السياسي المباشر،** في ظل الانكشاف وعدم جود غطاء دولي يوفر مستوى من الحماية والدعم؛ خاصة في ظل التراجعات الحاصلة نتيجة التحولات السياسية في بعض الدول العربية والأزمات البينية.

- **التركيز على العمل الدعوي في المرحلة القادمة بشكل أكبر،** وذلك لأنه الأبعد عن التأثيرات المباشرة؛ كما يقر بذلك معدو الدراسة؛ حيث تشير في خلاصتها إلى صعوبة تأثير الولايات المتحدة على طبيعة الخطاب الديني والانتماء الذاتي للجماعات المحلية.

- **تجنب المؤسسات الإسلامية والعلماء والدعاة** الاصطفافات الكلية إلى جانب هذا الطرف أو ذاك، وتأسيس مواقفهم على قيم تنبذ الفرقة وكل ما يساهم في إضعاف أهل السنة؛ لتجنب أزمة الثقة مع الشعوب التي تحدثها الأزمات السياسية المتسارعة والمتغيرة الاتجاهات.

لماذا يحاربون «صحيح البخاري»؟ (٢)
أين نسخة «صحيح البخاري»؟

فادي قراقرة - كاتب فلسطيني

خاص بـ «الراصد».

بلغ العبث الفكري مستواه المتدني جدًّا في مسلسل الطعن على السنة عامة، وعلى «صحيح البخاري» خاصة!

ويقوم بهذا العبث شرذمة من الناس محسوبون على تيارات مشبوهة جدًّا، أو غارقون في تيارات ظاهرة العداء للإسلام، مما يكشف مدى الإفلاس الذي بلغه الطاعنون في «صحيح البخاري» على اختلاف أذواقهم!

ومن هذه الطعون المتهافتة: التشكيك في صحة وجود كتاب «صحيح البخاري» أصلًا؛ من خلال سؤال تشكيكي: أين هي نسخة «صحيح البخاري» الأصلية؟!

ثم بث الطعون في إجابات ملغومة: لا يوجد نسخة مخطوطة في العالم كله لـ «صحيح البخاري» عليها توقيع البخاري نفسه، إلى غير ذلك من المبالغات التي يرددها أبواق الاستعمار الغربي الجديد؛ لتعزيزها، ومحاولة إثبات صدقها؛ من خلال التكرار، وكثرة التداول، وليس قوة حجتها وأدلتها.

والحق أن هذه الشبهة ليس فيها ما يستحق النظر! وهي تكشف عن سذاجة بالغة في التفكير، والسطحية في التصور بكل ما تحمله الكلمة من معنى! ويكأن أمر إثبات صحة كتاب -أيّ

كتاب- متوقفة على وجود نسخة له بخط المؤلف! ولو طبّقنا هذه الفرية على كتب العالم فكم كتابًا سيبقى لنا وينجح أن يكون له نسخة بخط مؤلفه؟!

لأن هذه القاعدة: إما أن تكون سليمة وتنطبق على كل كتب البشرية وليس البخاري فحسب، أو تكون فرية وزعمًا غير موضوعي، ومغالطة يراد منها فقط: التشويش على «صحيح البخاري»، والطعن فيه بجهل وحمق!

لقد استقر البشر واتفقوا على مسالك متعددة لإثبات صحة أي كتاب، لأيٍّ كان، فبعضها بوجود نسخة بخط مؤلفه، وبعضها بوجود نسخ منقولة عن نسخة المؤلف، وهذا الغالب في تناقل كتب العلماء من مختلف الأديان والأزمان والعلوم؛ حيث كان يكتب المؤلف كتابه ثم يتناقله تلاميذه ونسّاخ عصره، ثم يترجم للغات أخرى.

ومع اختراع المطبعة أصبح توفر نسخة المؤلف أندر من النادر، ومن ذلك: كتب علماء اليونان الفلاسفة، والطبيعيين، والرياضيين منهم؛ كأفلاطون وأرخميدس وفيثاغوروس، وغيرهم الكثير بلا شك!

والعلماء المحققون لهم طرق علمية في التيقن من صحة المخطوطات؛ عبر فحص عمر الورق والحبر، ونوع الخط، ومناسبة ذلك لعصر المؤلف، ومَن نَسخ المخطوط، ومن تملكه، والعلاقة الزمنية بينهما، وغيرها من الطرق والأساليب.

والطعن في هذا طعن في تاريخ البشرية كله، وليس التشكيك بـ «صحيح البخاري» فحسب.

ومن طرق صحة نسبة الكتب لأصحابها: تقبلها بين العلماء عبر العصور، ووجود نسخة للمؤلف يزيد موثوقية الكتاب بشكل عام، لكنه لا يضيف الكثير حين يكون للكتاب قبول متواتر عبر التاريخ بالنقل الشفوي وتداول النسخ، فعندما اكتشف العلماء في ألمانيا مخطوطة قديمة للقرآن تعود للعهد الراشدي، وأكّدوا أنها مطابقة لما بين يدينا من القرآن اليوم؛ لم يزدْ ذلك من يقيننا في كتاب الله شيئًا؛ لبلوغ يقيننا مبلغًا تجاوز حد الاستدلال على صحّته أو صحة نقله باكتشاف مخطوط هنا أو هناك.

- **بداية ظهور هذه الشبهة:**

يظهر أن بداية بروز هذه الشبهة تعود إلى الشيعة الزيدية في اليمن؛ حيث أشار لها الإمام ابن الوزير الصنعاني (ت: ٨٤٠هـ) في كتابه «العواصم والقواصم في الذبّ عن سنة أبي القاسم»[(١)].

ثم اختفت هذه الشبهة بين طيات السنين لهشاشة بنائها؛ حتى أحياها المستشرق الكلداني منجانا (١٨٧٨-١٩٣٧م)؛ الذي دوّن هذه الشبهة في دراسته على «صحيح البخاري»[(٢)].

ثم تلقفها أذناب المستشرقين من بني جلدتنا، أمثال: المدعو: عدنان إبراهيم؛ الذي حاول نفخ هذه الشبهة بمقالة له متحدثًا عن «صحيح البخاري»: «وعندما نتحدث عن النسخة الأصلية فإننا لا تنطلي علينا حيلة دأب عليها لعشرات السنين بعض المدلسين الذين يكذبون على العامة بقولهم: إن النسخة الأصلية أو النسخ الأصلية موجودة، وهي متفرقة على شكل أجزاء في كثير من المكتبات الإسلامية»[(٣)].

وممن ردّد هذه الفرية -من الأفاقين والدجالين المتنصر؛ رغم ارتدائه العمة الأزهرية- مصطفى راشد[(٤)]، ومنكر السنة

---

(١) «العواصم والقواصم» (١/ ٣٠٦).

(٢) مقال: (رسالة في الرد على شبهة منجانا حول صحيح البخاري)، الدكتور أحمد بن فارس السلوم، على الرابط:
http://alsalloom.blogspot.com/٢٠١٥/٠٥/blog-post_٢٩.html

(٣) مقال لعدنان إبراهيم بعنوان: (النسخة الأصلية لصحيح البخاري!!) على موقعه.

(٤) مصطفى راشد: (صحيح البخاري وصحيح مسلم غير موجودين)، على الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=_ZhbEKUvvIQ

محمد عبد العزيز خليفة[1]، وغيرهم من الأدعياء.

- **الجواب على الشبهة:**

مما لا شكّ فيه عند العلماء والباحثين في السنة النبوية -مسلمين وغير مسلمين-: أنّ الإمام البخاري ﷺ خطّ بأنامله كتابه «الجامع الصحيح»، ثم حدّث به، وروى أحاديث «صحيحه» لجمع غفير من طلاب الحديث بذات الطريقة التي سمعها من شيوخه، ألا وهي: ذكر أسماء الرواة الذين أخذ عنهم الحديث.

وكانت أعداد المستمعين لـ «صحيح البخاري» من البخاري نفسه ضخمة جدًّا، حتى قال الفربري -تلميذ الإمام البخاري-: «سمع كتاب «الصحيح» لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل».

وهؤلاء الطلبة المستمعون للبخاري كان بعضهم لا يكتفون بمجرد السماع والنقل الشفهي، بل كانوا يدوّنون أحاديث الشيخ، وبذلك يصبح عندهم نسخة مكتوبة من «صحيح البخاري» تضاف إلى نسختهم الشفوية التي حفظوها بين يدي البخاري.

ولم يكونوا يكتفون بما دوّنوه من كلام البخاري، بل زيادة في الحرص والدقة كانوا يقابلون/يراجعون ما نسخوه من «صحيح البخاري» على نسخة كتاب شيخهم البخاري نفسه، ويصحّحون ما وقع منهم من خلل أو زلل، وبعد انتهاء النسخ والمقابلة والمطابقة على نسخ الشيخ نفسه يكتبون على نسختهم وقت انتهائها، وأنها قوبلت على نسخة الشيخ.

وبهذا يصبح عندنا نُسخ متعددة طبق الأصل عن نسخة الإمام البخاري نفسه، وأنها حصلت في حياة البخاري نفسه، ولم تتأخر؛ مما يغلق الباب على الأفاقين للطعن على ذلك.

وقد حفظ التاريخ لنا أسماء عدد من طلاب الإمام البخاري، من أشهرهم -ممن بقيت أسماؤهم ونسخهم إلى يومنا-: محمد بن يوسف الفربري، وإبراهيم بن معقل النسفي، وحماد بن شاكر النسوي، وأبو طلحة منصور بن محمد البزدوي، وأبو عبد الله المحاملي -رحمهم الله جميعًا-.

ثم جاء مِن بعدهم جيل آخر لا يحصون عددًا سمع «صحيح البخاري» منهم، وقابلوا نُسخهم على نُسخ التلاميذ الأُوَلْ، حتى تواترت نسبة الكتاب إلى البخاري؛ لكثرة النُسخ عليه، واتصال الرواية إليه.

ومنذ يومه الأول و«صحيح البخاري» يُتناقل عبر الزمن إلى يومنا هذا بشكل متواتر بين الناس بالرواية والتدوين، بحيث تواطأ العلماء والعامة على روايته ومدارسته وتعلمه وفهمه، ومما يدل على ذلك: كثرة نسخه المكتوبة عن نسخ معروضة على نسخة البخاري.

فمثلًا: نسخة الفربري -تلميذ البخاري- لها أربع عشرة نسخة، نسخها تلاميذه من بلاد مختلفة، وكل نسخهم مطابقة لنسخة شيخهم الفربري؛ الذي طابق نسخته على نسخة شيخه البخاري، وقد روى عن كل تلميذ من تلاميذ الفربري عدد من الرواة؛ بحيث يستحيل اجتماعهم وتواطؤهم على الكذب في النقل.

هذا في الفربري لوحده، فكيف لو أجرينا الحسبة في غيره من رواة البخاري؟!

ولذا؛ فلو ضاع الأصل الذي خطّه البخاري بيده فلن يغير لنا ذلك شيئًا؛ لكون الكتاب قد انتشر وفشا بين التلاميذ، وكثرتْ نُسخه التي على كلٍّ منها إسنادٌ يتصل بالبخاري، وكُتبت عليه الشروحات، وتطابقتْ جميع نُسخه -بفضل الله ونعمته-.

ومن هذه الشروح المميزة، والتي يمكن اعتبارها نسخة من النسخ على «صحيح البخاري»: شرح الإمام الخطابي،

---

(١) مقال له بعنوان: (صحيح البخاري، ليس بصحيح).

المتوفى سنة (٣٨٨هـ)، المسمى بـ «أعلام الحديث»، حيث أنه أقرب الشروح زمنًا إلى زمن الإمام البخاري؛ إذا علمنا أن البخاري توفي سنة (٢٥٦هـ)، مما يعني: أن الخطابي أدرك تلاميذ البخاري الذين رووا «الصحيح» عن شيوخهم عن البخاري؛ رواية نسخ ومطابقة.

وبقيت نسخ البخاري تُتناقل في كل جيل وطبقة، كلٌّ يرويها عمّن قبله، مع ضبط نسخته ومقابلتها على نسخة من يرويها عنه.

ومن الروايات المشهورة المسندة إلى الفربري: نسخة الإمام أبي ذر الهروي (ت: ٤٣٤هـ)، ونسخة كريمة المروزية (ت: ٤٦٣هـ)، وأكتفي بمثالين؛ وإلَّا فالمقال لا يتسع لذكر كل نسخة ورواية[1].

ومن الدلائل العقلية على صحة الكتاب حتى زماننا: أن أهل التحريف والكذب يئسوا من الزيادة على «صحيح البخاري»، ولو كان كتاب «الصحيح» مدسوسًا على صاحبه لأمكن إدخال أحاديث ليست بصحيحة فيه، فلمّا عُلم امتناع هذا دلّ على صحة نسبة «صحيح البخاري» إلى صاحبه مطلقًا.

وأخيرًا؛ فلو افترضنا صحة الشبهة، بل لو افترضنا صحة الشبهة القائلة بعدم وجود نسخة أصلية لـ«صحيح البخاري»، بل وافترضنا أن شخصية البخاري هي شخصية مخترعة لا وجود لها في الحقيقة! على افتراض ذلك فهل هذا يعني: أن أحاديث البخاري تصبح باطلة لا قيمة لها، وأنها مكذوبة على النبي ﷺ، وبذلك ينهدم قسم كبير من العقيدة الإسلامية والفقه الإسلامي؟

الجواب بكل بساطة: لا! لن تزول هذه الأحاديث التي رواها؛ لأن البخاري لم يتفرد أصلًا برواية حديث عن رسول الله ﷺ دون غيره من أئمة الحديث، فما رواه البخاري من أحاديث موجودة في كتب السنن والمعاجم والمسانيد والأجزاء الحديثية؛ فضلًا عن العشرات من كتب الحديث بل المئات.

فكل حديث في «صحيح البخاري» له العشرات إن لم يكن المئات من الروايات في كتب الحديث المختلفة، مما يجعل التشكيك في أحاديث «صحيح البخاري» لعبةً ساذجةً جدًّا تدل على سفاهة المشكك فيها!

وزد على ذلك: أنك سترى أحاديث البخاري في كتب أخرى تسمى: «المستخرجات»، وفكرة هذه المستخرجات أنها تأتي بالأحاديث التي رواها البخاري لكن بأسانيد تجتنب فيها ذكر البخاري؛ بحيث تروى هذه الأحاديث عن شيخ البخاري أو عن شيخ شيخه، مما يعطي أحاديث البخاري قوة وثباتًا؛ لأنها مروية بأسانيد مختلفة، ومن غير طريق البخاري.

هذه باختصار قصة كتابة البخاري لـ«صحيحه»، وقصة نقل «الصحيح» إلى عصرنا، وهي أقوى في الثبوت -ولا ريب!- من مجرد وجود نسخة للبخاري بخطه، وأن شبهة المطالبة بنسخة «الصحيح» كتبها البخاري بخط يده شبهة سخيفة! لا قيمة لها إذا وُزنت بقواعد العلم والموضوعية، **لذلك لم يحفل بها أكثرية عقلاء المستشرقين.**

(١) للاستزادة انظر: «روايات الجامع الصحيح ونسخه»، الذي يقع في مجلدين، من إعداد الدكتور: جمعة فتحي عبد الحليم، وزارة الأوقاف القطرية.

محمد المنتصر الإزيرق..
نفخ الروح في التصوف السوداني

د. محمد خليفة صديق - كاتب سوداني

خاص بـ «الراصد».

انتشر مقطع مصور لمحمد المنتصر الأزيرق في مؤتمر صوفي بالسودان يخاطب فيه علي الجفري الصوفي اليمني، ويخبره أنه قد زار مؤخرًا الولايات المتحدة، وأنهم قاموا بتجميع خمسمائة شخصية من أمريكا ودول أوروبا وأستراليا وبعض دول آسيا وأفريقيا، وهم من النخب القيادية في الطب والهندسة والعلوم العسكرية والسياسة والإعلام، ومن بيوتات أو طرق صوفية أو أهل محبة للمنهج الصوفي.

وعبْر هؤلاء سيقوم الإزيرق بالتواصل مع المجتمع الدولي بكل منظماته المختلفة لدعم مسيرة الاعتدال والوسطية والهوية الصوفية للسودانيين، ومحاربة فكر التشدد السلفي التكفيري في السودان، بجانب بحث السبل لصناعة تحول ديمقراطي أو تحول وتغيير في السياسات بالسودان، وتنظيم مؤتمرات دولية في عدد من دول العالم، وبمشاركة كل ألوان الطيف السوداني السياسي داخليًّا وخارجيًّا، وبدعوة المنظمات الدولية للحضور والمشاركة لمناقشة قضايا الهوية والحريات والوسطية وحقوق الإنسان والتعايش السلمي بين الأديان؛ في ظل ثوابتنا وقِيَمنا.

كما أعلن الإزيرق أنه عبر هؤلاء النفر سيسعى لتوفير الدعم الخارجي من منسوبي التصوف للبرامج العلمية والمؤسسة الإعلامية بالداخل، والتواصل من لجنة الاتصال من هذه المجموعة مع مشايخ التصوف بالداخل بلا استثناء في كل الولايات المساند والزوايا والخلاوي؛ لبحث الإشكاليات والدعم في حلها، وجمع ورصد الاعتداءات التي تقع على الصوفية والحريات الدينية والمذهبية بالبلاد.

وقال الإزيرق أنهم سينظمون وقفات احتجاجية سلمية لأي اعتداء يحدث للصوفية بالسودان في عواصم العالم الكبرى، مثل: لاهاي وواشنطن ونيويورك وجنيف، وأمام كل سفارات السودان بأوروبا ودول العالم، وأمام المنظمات الحقوقية الدولية؛ كتعبير سلمي، الغرض منه: أن يَعرف المواطن السوداني المهاجر الآن في أغلب دول العالم لأسباب سياسية أو اقتصادية ما يحدث ببلده، ويشارك ولو برأيه.

وكشف الإزيرق عن سعي هذه المجموعة لتسجيل (حزب سياسي) للصوفية داخل السودان؛ ليواجه المسائل السياسية، ويمتحن الحريات والديمقراطية في البلاد.

كما كشف الإزيرق عمّا وصفه بدور صوفي كبير في رفع العقوبات الأمريكية عن السودان، وقال: «ما أتت إلا بصناعة صوفية، حيث اقترحت في اجتماعاتي مع السفارة الأمريكية عقد مؤتمر صوفي بواشنطن مع الإدارة الأمريكية، يطرح آليات جديدة لمحاربة التطرف والإرهاب لدى الشباب، ويوضح وسطية الإسلام؛ فوافقت السفارة، ووافق الرئيس أوباما، وأرسل مندوبًا، وقابلته ببيت السفير، وتم اللقاء عبر أربعين اجتماعًا مع الإدارة الأمريكية، وبصحبتي الشيخ الفاتح البرعي، و(المجدد) الإدريسي، والطيب المكاشفي، والشيخ عبد الوهاب الكباشي، وجمع آخر، وكنت قائدًا في الحوار، وأقنعنا الإدارة الأمريكية برفع العقوبات من أجل الشعب السوداني كممثلين له، وأوفى الرئيس أوباما بوعده».

- فمن هو الأزيرق هذا؟
- وما هي علاقاته الخارجية؟
- وما هو دوره المرتقب؟

• **من هو محمد المنتصر الأزيرق؟**

شُغل الرأي العام السوداني في السنوات الأخيرة ببروز عدد من شيوخ وشباب التيار الصوفي، يسعون جهدهم لإخراج الفكر الصوفي في السودان من جبّ التصوف التقليدي القديم، ويحاولون إضفاء مسحة تحديث وعصرنة عليه، ويسعون جاهدين لتصحيح صورة التصوف وإظهاره كفكر علمي، يشتغل بالدليل والبرهان، وينأى بنفسه عن مظاهر التصوف الفلسفي الشاطح، ويظهرون في وسائط الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي، مثل: فيس بوك، ويوتيوب؛ للدفاع عن التصوف.

ومن أبرز هؤلاء: الصوفي السوداني محمد المنتصر بن محمد بن إدريس ود الأزيرق، يطلِق على نفسه: «خادم العلم الشريف بالسودان»، وهو من مواليد السبعينيات من القرن الماضي، ولد بمدينة سِنجة، عاصمة ولاية سِنار بالجنوب الأوسط للسودان، ودرس في بواكير حياته الفقه واللغة والتصوف على جده الشيخ إدريس ود الأزيرق بمدينة سنجة، وكان جده صوفيًّا، سلك الطريقة القادرية على يد الشيخ عبد الباقي الشيخ حمد النيل، وكان جده يُعلّم الناس في بيته، وبالمسجد الكبير في مدينة سنجة.

وكان الشيخ إدريس يُعدّ ابنه محمدًا لخلافته في حِلق العلم، غير أن محمدا هذا توفي في حياة أبيه، وكان لمحمد هذا ولد اسمه محمد أيضًا، وميّزه بالمُنتصر -وهو الشيخ المذكور-؛ فأحب الجد أن يَدرس حفيده أكبر قدر ممكن من العلوم -وكان قد طعن في السن-؛ فأخرج حفيده هذا من المدرسة الابتدائية، وقال له: «سأعلّمك علمًا لن تجده عند غيري»!

وهكذا عكف على تدريس حفيده القرآن والتفسير والسيرة والفقه واللغة، وكان سريع التعلم؛ فحصّل مقدارًا كبيرًا من العلم في زمن يسير، وتوفي الجد وترك محمد المنتصر صبيًّا مراهقًا بمنتصف الثمانينيات تقريبًا.

ثم إن الحفيد درس على بعض الأشياخ بأم درمان، وقرأ عند هؤلاء في الكلام والمنطق والنحو واللغة، مثل: الشيخ مصطفى عبد القادر وغيره، وقيل: إنه قرأ «تفسير الجلالين» كاملًا على هذا الشيخ أيضًا.

بعد ظهور الإزيرق إعلاميًّا وتصدره المجالس أصبح عضوًا في بعض الهيئات الدينية المحلية والعالمية ذات الصلة بالدعوة والتصوف، مثل: هيئة علماء السودان، كما أنه عضو في رابطة علماء العالم الإسلامي، وجمعية الإمام الأشعري العلمية، وجمعية الإمام مالك الفقهية، وجمعية الإمام الغزالي، ويشغل منصب الأمين العام لرابطة علماء التصوف بالسودان، ورئيس هيئة الفتوى بمركز الإمام مالك بنأنس، ورئيس مركز الشيخ إدريس الإزيرق للدراسات الإسلامية بالسودان.

• **الإزيرق والشيعة:**

ورغم تصوفه وعقيدته الأشعرية فإن الإزيرق يرى فساد نهج الشيعة الروافض وعقيدتهم؛ حيث ساند قرار الحكومة السودانية بإغلاق المراكز الثقافية والمستشارية الثقافية الإيرانية بالسودان، ووصف قرار الحكومة بأنه: «القرار الذي نصر الحق، وسدّ باب الفتنة بطرد الشيعة الروافض من البلاد».

كما طالب الإزيرق بعدم الاكتفاء بقرار الإغلاق، وضرورة ملاحقة أذنابهم، وقال: «إن هؤلاء الروافض أسسوا مدارس ومراكز وحسينيات، ووزعوا كتبًا ومطبوعات، وأكبر من ذلك أدخلوا عددًا كبيرًا من الشباب في مذهبهم المنحرف، والأسوأ أنهم وجدوا التلميع والتزكية المعنوية بزيارتهم لواجهات صوفية كبيرة».

وقال الإزيرق: «إن مشايخ التصوف عبّروا عن استنكارهم لهذا الأمر؛ لأن الشيعة (مذهب باطل)، فقد قال الإمام مالك ﷺ بكفر من يشتم أصحاب النبي ﷺ.. كما جزم المحاملي -من

الشافعية- بكفرهم، وقيل بفسق الشيعي وتعزيره، وقال الذهبي في «الميزان» عن الشيعة الروافض: "الكذب شعارهم، واللعنة دثارهم"».

وأقول -أي: الإزيرق-: «(التقية) منهج للشيعة، وهي: الكذب لأجل إخفاء عقيدتهم الفاسدة خوفًا، فالذي ينبغي أن يتم بعد إعلان الحكومة المبارك -بإذن الله- أن يعلن كل شيخ تعامَل معهم قبل القرار للملأ بالتبرؤ من الشيعة، والفائدة أن قواعد المريدين تعرف أن (رمزهم ضدهم)؛ وإلا فالتزكية المعنوية موجودة».

وكشف الإزيرق أن: «الشيعة أثناء وجودهم بالسودان قد دسوا وسط المجتمع السوداني أيادي رخيصة همّها المال، وذلك أن عددًا منهم يلبس جلباب التصوف ويتسمى باسمه اعتمادًا على أسماء آبائه وأجداده الكرام، وهم ذئاب في ثياب إنس، وللأسف يطلق عليهم لفظ: الشيخ فلان وعلان، الواحد منهم إن قرأ القرآن العظيم يلحن ويكسر، والله وتالله وأبسط مسائل الفقه في الصلاة يجهلها..! ولكن يتلفح بثوب أو عباءة صوفية، مقوماته عربة فارهة، ومن خلفه وأمامه شباب مخدوع.. وباسم المشيخة يُطاع، وهذا استعباد فكري وله عوامل كثيرة، ولا يملك إلا الوقوف الدائم على الأبواب ليأكل باسم الدين..

وقلت -كثيرًا-: التصوف كمنهج هو مقام الإحسان، وهو الإسلام منهج الوسطية والاعتدال، وكسلوك وممارسة في المعاصرين بحمد رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، والآن لهم دور، ولكن صوفية الرسم والشكل.

وصوفية الأرزاق ملأوا الساحة بالضجيج، وإن سمعوا بتوعية العلماء للشباب وتنفيرهم منهم يصيحون،هؤلاء يسبون المشايخ والتصوف لكي يتوارى خجلًا، وهو لا حياء له، ولكن المسيرة قاصدة ولن تتوقف إلا إذا خلع هؤلاء انتحال الشخصية التي انتحلوها، شخصية الشيخ العارف العالم الزاهد؛ فهذه والله شخصية كبيرة وخطيرة! فالقانون يحاسب على انتحال شخصية ضابط أو طبيب أو نحو ذلك لأنها جريمة، وهذه أكبر جريمة».

وقال الإزيرق: «إن رسالته لهذا الجيل الصاعد هي: أن الشيعة مذهب فاسد؛ لأنهم يقولون: إن هذا القرآن العظيم باطل ومزيف، والقرآن الأصلي دخل به محمد بن الحسن العسكري في سرداب تحت الأرض!!! وسيخرج في آخر الزمان، راجع كتاب «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب» (ص٤)...

فلهذا؛ عليكم بعلماء التصوف، ومشايخ التصوف؛ أصحاب الدور الدَّعوي الظاهر، وهم معروفون، ولكن هنالك فئة هم فقط تجار باسم الدين؛ فاحذروهم!».

كما وقّع الإزيرق مع صوفية آخرين على فتوى جمعية الإمام الأشعري العلمية، وجمعية الإمام مالك الفقهية، ورابطة علماء التصوف، وجمعية الإمام الغزالي الصوفية؛ بعدم جواز مشاركة الشيعة فى احتفالاتهم «مثل: عاشوراء» وغيرها، والتردد على حسينياتهم ومنتدياتهم ومراكزهم، داعية الطلاب وعموم الصوفية للإعراض عنهم حتى لا تمسهم النار؛ وفقا لما جاء في الفتوى.

وقد حملت تلك الفتوى توقيعات الشيخ محمد المنتصر الأزيرق، وعدد من شيوخ التصوف بالسودان مثل: د. علاء الدين أبو زيد ، ود. برير سعد الدين، ود. عمر يوسف حمزة، وغيرهم.

- **الأزيرق وعلاقاته الخارجية المشبوهة:**

أوصت ندوة عقدتها مركز نيكسون للبحوث لتقديم النصح والمشورة للإدارة الأمريكية في كيفية فهم التصوف وتفعيل دوره في السياسة الخارجية الأمريكية؛ بدعم التصوف من خلال إعادة إعمار المزارات والأضرحة، ونشر الكتب الصوفية، ونشر المدارس الصوفية، ودعم الطرق الصوفية، مبررين ذلك بأن

الصوفية تتسم بالتسامح مع الأديان والمعتقدات الأخرى؛ بعكس الوهابية، أو غيرهم من المسلمين.

وظهر الاهتمام الأمريكي بالطرق الصوفية في السودان جليًّا بعد عدة زيارات قام بها القائم بالأعمال الأمريكي السابق في السودان السفير جوزيف استافورد؛ حيث زار معظم مقرات هذه الطرق داخل وخارج العاصمة الخرطوم، وعبر عن إشادته بالطرق الصوفية في السودان، ونقل تحيات الرئيس الأمريكي للطلاب الذين يدرسون بـ «المسيد»، وهو الاسم الشعبي لتجمعات الصوفية.

ويرى البعض: أن أنشطة السفراء عادة تكون متابَعة من الجهات المعنية؛ للوقوف على طبيعتها، كما أن السفارة الأمريكية -في أي بلد- عادة ما يكون بها مسؤول من الاستخبارات الأمريكية الـ (سي آي إيه)، ومر معنا أن الأزيرق قد زار أمريكا ضمن هذا السياق الأمريكي؛ لدعم الخيار الصوفي في المجتمعات الإسلامية!

- **رؤية الإزيرق للنهوض بالتصوف في السودان:**

يرى الأزيرق: أن التصوف السوداني يمر بمرحلة حرجة، وهناك مطلوبات مهمة في هذه المرحلة داخل السودان لا بد من الوفاء بها من أجل نهضة صوفية كبرى.

ومن أبرز ذلك:

١ - يرى الأزيرق: أن كل شيخ أو خليفة سجادة صوفية تظهر مساندته أو وقوفه أو تعاونه مع حزب المؤتمر الوطني (الحزب الحاكم في السودان وحزب الحركة الإسلامية السودانية) نظير نفع شخصي، أو قبول إعانات منه للخلوة (الكُتاب)؛ يعتبر خيانة لمنهج أجداده، وفضيحة تاريخية يسجلها التاريخ، ولو أراد أن يعرف قدره فليقرأ تعليقات الشباب في مواقع التواصل الاجتماعي عن (شيوخ الحكومة)، ومن أراد تسيير خلوته فليسلك منهج الصوفية وأجداده بدخول (الخلوة الأربعينية)؛ فقد قال الشيخ عبد المحمود رضي الله عنه في كتابه «أزاهير الرياض»: «الفقير لو ما عنده حرف من حروف سكر فإنه عند القوم لا يذكر»؛ فبسلوك المنهج (التقوى والذكر بالقرآن العظيم) يأتي الفتح الإلهي، وأيضًا سلوك الأسباب بصناعة مشاريع استثمارية متعددة، تقي التصوف شر معونات الحزب الحاكم.

٢ - يرى الإزيرق ضرورة كتابة وثيقة تسمى: (ميثاق بيعة الحقوق والمواجهة)، يوقع عليها مشايخ وعلماء التصوف بالسودان برفع يدهم من حزب المؤتمر الوطني، وصناعة هيئة تتبنى كل القضايا الصوفية وذات الصلة لانتزاع الحقوق! ومواجهة الملفات بصوره جماعية.

٣ - تجميد الحوليات والموالد الصوفية التي تصرف فيها المليارات لعام واحد، وتسخير هذه الأموال كميزانية لقيام مؤسسة إعلامية -قناة- إذاعة- موقع إلكتروني، وإدارة لمحتوى شبكات التواصل الاجتماعي وتوظيفها -صحيفة-، ودعم صحيفة «المعرفة» التي تصدر عن اتحاد شباب التصوف، ودعم برامجهم وتقويتها، ودعم برامج جمعيات الإمام الأشعري والإمام الغزالي، والروابط الصوفية بالجامعات، وكل ناشط لأن الدعوة الآن آلياتها هي: المال، والإعلام، والكوادر العلمية.

٤ - تبني إحياء معهد أم درمان العلمي، أو مركز يماثله لتدريس المنهج القديم الذي كان بالمعهد؛ ليتخرج منه العالِم الموسوعة المتقن للفقه وأصول الفقه والمواريث والحديث ومصطلح الحديث والتفسير والسيره والتصوف والمنطق والوضع والفنون المتعددة، لا كما نراه اليوم؛ فالذي يتخصص في علوم الحديث يجهل الفروع الفقهية؛ فظهر أنصاف العلماء.

٥ - المشاركة السياسية للصوفية، لأن النبي ﷺ كان قائدًا للدولة، وكذا الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم؛ فهل يعقل أن الاقتداء بهم

ينحصر في السلوك، ويستثنى من ذلك مشاركتهم السياسية! كيف نحقق معنى الاقتداء: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[الحشر:٧]؟ فلا بد من الأخذ بالجانب السياسي، وكيف نحقق معنى قول الحبيب ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره»، «والدين النصيحة»؟ فإنكار المنكَر والمناصحة للحكام والخروج بالكلمة بالضوابط المعروفة اليوم يسمى: سياسة؛ فهو واجب شرعًا.

وشكل المشاركة السياسية للصوفية -بحسب الإزيرق-:

أن تؤول لهم وزارات الأوقاف، والرعاية، والضمان الاجتماعي، والتعليم، والإفتاء، والإعلام، ويكون الصوفيه هم من يرشح كوادرها.

٦- التواصل مع ضباط ومنسوبي الجيش والشرطة بمختلف رتبهم في الخدمة، وبعد التقاعد عبر خلفاء السجادات الصوفية والعلماء والدعاة من الشباب الصوفي، وشرح خطورة الفكر الوهابي المتطرف، وشرخ الهوية والخوف من التفجيرات والاغتيالات، وصناعة قاعدة فكرية علمية عن الوسطية الصوفية وهويتها، وضرورة تضافر الجهود علنًا وسرًّا؛ لحمايتها وضمان توسعها.

٧- التحفظ الشديد من الاختراقات للبيوت الصوفية والطرق؛ عن طريق بعض أبناء تلك البيوت الصوفية نفسها؛ حيث وصفهم الإزيرق بأنهم: «ممّن يتكسب من الولاء لبطنه».

وواضح جدًّا البعد السياسي المختبيء خلف الصوفية والتصوف لتمرير مشروع الهيمنة الأمريكية تحت ستار: التعايش والسلام؛ الذي تتقبله بكل صدر رحب عقيدة وحدة الوجود الصوفية!

خرافة المظلومية الشيعية في العراق:
١- زمن الدولة العثمانية

عبد العزيز بن صالح المحمود - باحث عراقي

خاص بـ «الراصد».

يتكرر كثيرًا في المقالات والبحوث والكتب: دعوى مظلومية الشيعة! حتى عدّها البعض من المسلّمات، وسبب ذلك أن الدراسات الجادة عن هذا الموضوع غير متوفرة، والموضوع كبير ومتشعب، مما يستحق أن يُفرد له كتاب كامل، ولحين تيسر ذلك لي -بإذن الله- هذه مقالة تلخّص أهم الأفكار في هذا الصدد عن خرافة مظلومية الشيعة زمن الدولة العثمانية، وزمن الدولة العراقية بدءا من (١٩٢١م)، ولحين الاحتلال الأمريكي سنة (٢٠٠٣).

◙ واقع التشيع في العراق بين القرنين (١٦-١٩م):

معلوم أن العراق دخل تحت حكم دولة الخلافة العثمانية قرابة أربعة قرون، وتحديدًا (٣٨٤)، سنة (١٥٣٤-١٩١٨م)، وربما كان الدافع الكبير لسيطرة العثمانيين على العراق: خشيتهم من وقوعه تحت هيمنة الدولة الصفوية الشيعية؛ فسارع العثمانيون لمنع تمدد النفوذ الصفوي الشيعي إلى العراق، وبعد حرب دامت زهاء (١٥٠) سنة، عُقد اتفاق بين العثمانيين والصفويين سنة (١٦٣٩م) وضعت فيه الحدود القائمة للآن بين العراق وبلاد فارس (إيران)، وكانت يوم ذاك تعتبر الحدود الشرقية للدولة العثمانية التي أصبحت تسمى: البوابة الشرقية للعرب اليوم.

لفهم مشهد التشيع في العراق بشكل جيّد؛ لا بد أن نشير إلى أن التشيّع لغاية القرن التاسع عشر كان محصورًا في مناطق محددة في العراق، هي: النجف، وكربلاء، والحلّة، ومناطق الأهوار، ومناطق متفرقة من بغداد، وهنا وهناك.

وبرغم وجود ثلاثة أماكن مقدسة عند الشيعة (ضريحين

لإمامين، وثالث لأعظم إمام شيعي وهو: المهدي المنتظر - مكان غيبته) في مدينة سامراء؛ فإنه لم يكن يزورها إلا الفرس؛ كما ذَكر ذلك الرحالة نيبور في رحلته للعراق سنة (١٧٦١م)؛ والتي وصف فيها سامراء بقوله: «وتزار قبورهم كل سنة من جموع غفيرة من الفرس»[١]، ولم يقل: العرب أو الشيعة!

نعم! هذه هي الحقيقة، تزار المشاهد من غير العراقيين؛ لأن أغلب عشائر العراق سُنيّة، بل حتى القائمين على هذه القبور هم سنة من أهالي سامراء، اتخذوها حرفةً لمعيشتهم، ولو كان بها شيعة ككربلاء والنجف لكانت بحوزتهم.

ويؤكد هذا الرحالة ابن طولون (٩٥٣هـ)؛ فيقول أن مراسم العزاء في عاشوراء كان تقام في كربلاء والنجف والحلّة، ولم يذكر غيرها من المناطق، وكلامه هذا تزامن مع ظهور الدولة الصفوية[٢].

إنّ أغلب العشائر العربية والكردية والتركمانية في العراق من أصول سُنيّة، أما العشائر المتشيّعة فكانت محدودة، وأقدمها تشيعًا: الخزاعل، ومن ثم الكعبيون، تشيعوا في القرن الثامن عشر، وأما البقية كزبيد، وربيعة وتميم فقد تشيّعوا في القرن التاسع عشر، بفعل تحركات رجال الدين الشيعة العرب وغيرهم، ولانشغال الدولة العثمانية وعدم اهتمامها بهذا الأمر، بل ساهمت من حيث لا تدري في زيادة التشيّع؛ فقد عملت على توطين العشائر البدوية الهاربة من الصراع في الجزيرة العربية بعد ظهور حركة الإصلاح (محمد بن عبد الوهاب)، وكان تفكيرها ضيّقًا، وتصورها لمآل الأمور محدودًا؛ حيث تصورت أن العشائر حتى لو تشيّعت ستكون سدًّا أمام (الوهابيين) لمنع وصول نفوذ الوهابية لداخل العراق.

كما أن لجوء الدولة العثمانية للقيادات الدينية لحل المشاكل بينها وبين العشائر جعل للقيادات الشيعية مكانة بين العشائر، وسهّل عملية التحول للتشيع[٣].

بهذا يتبين لنا: أنه لم يكن بالعراق كتلة شيعية زمن دخول العثمانيين في القرن السادس عشر ولا القرن السابع عشر، بل كان العراق بلدًا سُنيًّا به أقلية شيعية؛ وقلّتهم تزداد إذا ما نظرنا إلى حكم الدولة العثمانية لعالَم إسلامي سني كبير يتعدى العراق، وأن توسع التشيع بالعراق حصل في القرن التاسع عشر.

إنّ فهْم هذه الحقيقة يعري المغالطة التي يحاول الشيعة ومَن يناصرهم من المستشرقين أن يروّجوها وهي: أن العراق به أكثرية شيعية حين حكمته الدولة العثمانية، وأنها اضطهدت الشيعة خلال حكمها للعراق، فلم تعيّنهم في المناصب الحكومية، ولم تعطِهم حريتهم الدينية! والتي سنناقشها ونوضح جوانبها.

◙ تعامل الدولة العثمانية وولاتها مع مراقد الشيعة:

يضم العراق أضرحة ومراقد (٧) من أئمة الشيعة المقدَّسين، ومن هنا تأتي المكانة المتميزة للعراق عند الشيعة، وهذه المراقد تعدّ هي بداية دعاوى مظلومية الشيعة في العراق؛ إذ يدّعي الشيعة أنها أهملت، وأنهم حُرموا من زيارتها والتوسل بأهلها والتبرك بهم ودعائهم!

بينما الحقيقة التاريخية تقول: إن العثمانيون كانوا يحملون نوعًا من التصوف يغلو أحيانًا في محبة آل البيت؛ نتيجة تأثرهم بالطريقة البكتاشية التي من أكبر شعاراتها (الله - محمد - علي) في

(١) «تاريخ مدينة سامراء»، يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، (ص٢٠٣).

(٢) «مفاكهة الخلاّن»، شمس الدين بن طولون، القاهرة، (١٩٦٢م)، (١/ ٢٤٢، ٢/ ٧٨).

(٣) «تراجيديا كربلاء»، إبراهيم الحيدري، (ص٢٢٦).

خليط من التصوف السني والشيعي؛ لذلك عظّم سلاطين العثمانيين وولاتهم مراقدَ أهل البيت، فقد زار السلطان سليمان القانوني كربلاء سنة (٩٤١هـ-١٥٣٤م)، ونزل ماشيًا معظّمًا الحسين رضي الله عنه، ورفض الركوب لإكرامه قبر الحسين، ووزع هدايا على أهالي كربلاء.

وزارها والي بغداد إياس باشا سنة (١٥٤٦م-٩٥٣هـ).

وعمّر السلطان العثماني مراد الثالث مئذنة الروضة الحسينية سنة (٩٨٢هـ-١٥٧٤م).

وأمر والي بغداد علي باشا الوند أن يكرم المجاورون من أهالي كربلاء، وفي السنة التي تليها عمّر قبة الحسين، بل إن الوالي نفسه عمّر المرقد جميعه سنة (٩٩١هـ-١٥٨٣م)[١].

وكذا ضريح الجوادين في مدينة الكاظمية ببغداد، عمّره السلطان سليمان القانوني، وأكمل عمارة الصفويين؛ وذلك سنة (٩٤١هـ-١٥٣٤م).

أما السلطان محمود الثاني؛ فقد أهدى إلى المشهد الكاظمي الستر النبوي، وهو من السندس المطرّز، فأُسدِل على الضريح في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك من سنة (١٢٥٥هـ-١٨٣٩م)[٢].

وساهم السلاطين العثمانيون ببناء قبة الحسين؛ حيث أمر السلطان العثماني مراد الرابع بتعمير قبة الحسين عام (١٠٤٨هـ-١٦٣٨م)، وكان ولاة بغداد يذهبون لزيارة المراقد والنفقة على المجاورين لها من الشيعة[٣].

وقدّم قادة الجيش وولاة بغداد خدمات لمدينة كربلاء؛ كفتح النهر المغلق، وتصليح الطريق بين كربلاء والنجف، وبناء خانات للزائرين؛ وذلك سنة (١١١٥هـ-١٧٠٣م).

وفي سنة (١١٢٧هـ-١٧١٥م) أمر الوزير حسن باشا -الملقب بأبي الخيرات- بترميم مراقد الأئمة في النجف والكاظمية وكربلاء، كما شيّد خانًا جديدًا بين النجف وكربلاء؛ لاستراحة زوار العتبات، وأمر بشقّ جدول لنهر الحسينية المعروف بـ (النهر السليماني).

وفي سنة (١٧٤١م) ثارت عشائر في مناطق الفرات الأوسط؛ فأرسل والي بغداد من يؤدبهم، مستثنيًا مناطق كربلاء والحلة والغري (النجف)، احترامًا لوجود العلماء والمراقد.

هكذا كانت علاقة الدولة العثمانية لعلماء الشيعة والمناطق المقدّسة عندهم.

وهذا السلطان العثماني عبد المجيد يهدي سنة (١٢٥٦هـ-١٨٤٠م) شمعدانًا من ذهب للروضة الحسينية.

ولما كانت النجف -حيث ضريح علي بن أبي طالب- تعاني من مشكلة ردم الأنهار سريعًا بسبب عواصف رمال الصحراء أمر السلطان عبد الحميد بإجراء نهر سمي بالحميدية وذلك سنة (١٣٠٨هـ-١٨٩٠م)، ومن ثم قررت الحكومة العثمانية سنة (١٣٣٠هـ-١٩١٢م) عمل مشروع مضخة للمدينة ليكون موردًا مائيًّا ثابتًا لا تؤثر عليه التغيرات الجوية القادمة من الصحراء[٤]، وكانت الدولة العثمانية هي من تعيّن الكليدار

(١) انظر: «تاريخ المراقد، الحسين وأهل بيته وأنصاره»، محمد صادق محمد الكرباسي، المركز الحسيني للدراسات، (٢٠٠٣م)، (٢/٧١، ٧٣، ٧٨، ٧٩)، «كربلاء في الأرشيف العثماني»، ديلك قايا، ترجمة حازم سعيد منتصر، مصطفى زهران، الدار العربية للموسوعات، (٢٠٠٨م)، (ص١١).

(٢) موقع العتبة الكاظمية المقدسة:
http://www.aljawadain.org/aljawadain_history.php

(٣) «تاريخ المراقد»، محمد الكرباسي، (٢/٨٦).

(٤) «ماضي النجف وحاضرها»، جعفر الشيخ باقر آل حمبوبة، دار الأضواء، بيروت، (١٩٨٦م)، (١/٢٠١، ٢٠٥).

(المشرف على الروضة الحسينية).

إذًا؛ كان الشيعة تحت حكم العثمانيين يحظون بالحرية، وكانوا يعتنون بمراقد الشيعة في النجف وكربلاء والكاظمية، ويساعدون الزوار، ولا يعطلون تبرع الشيعة الهنود والإيرانيين لها والمشاركة ببنائها، وكانت زيارة الشيعة لمراقدهم منسابة ومستمرة، بينما كانت الحكومات الشيعية المتعاقبة على حكم إيران (فارس) -سواء في الدولة الصفوية أو الأفشارية أو القاجارية- تضطهد السنة، وتجبرهم على التشيع، وتهدم مساجدهم، حيث ذَبح إسماعيل الصفوي أكثر من مليون سني لتتشيع إيران، وعندما احتل الصفويون العراق حوّلوا ضريح عبد القادر الكيلاني إلى أسطبل للخيل! ونبش قبر أبي حنيفة ودفنت مكانه جثة كلب!

كان يمكن للعثمانيين أن يردّوا عليهم، ويهينوا مراقد الشيعة، لكن طرائق التفكير مختلفة، وبينها بون شاسع، فمن هو الأحق بدعوى المظلومية؟!!

لقد لاحظ ذلك السفير البرتغالي في الصين بيريس تومي؛ الذي زار إيران في الفترة من (١٥١١ إلى ١٥١٢م)، وقال: «إنه -أي: إسماعيل الصفوي- يقوم بإصلاح كنائسنا، ويدمّر مساجد السنة»!!

تبقى هنا ملاحظتان هامتان:

الأولى: حاولت الدولة العثمانية منذ سليمان القانوني دائمًا تثبيت حسابات واضحة لممتلكات الأضرحة والأوقاف، خوفًا من سرقتها، ونهبها، وكان الشيعة يحاولون التخلص من هذه الحسابات دومًا![1]

الثانية: دافع العثمانيون عن المراقد، فقد كانت المراقد وقوافل الزوار تتعرض لهجوم من القبائل المجاورة طمعًا بثرواتها؛ إذ هوجمت كربلاء عدة مرات من قبل عشائر شيعية بدافع الطمع المالي، والاستيلاء على مواردها.

وأصبحت هذه المدن مأوى لقطاع الطرق والخارجين على القانون، ولكن المصادر الشيعية لا تبرز ذلك، بل تركز على هجوم الوهابية فقط!

◙ مراسم عاشوراء:

ينبغي التنبه والتيقظ أن طقوس عاشوراء لم تكن أبدًا بهدف تذكّر الحسين ومأساته والبكاء عليه وعلى ظلمه -كما يدعون!-، بل هي دومًا بهدف شحن الشيعة ضد السنة، وتأليب الشيعة على السنة بكل وضوح، فمنذ زمن البويهيين -الذين أباحوا للشيعة الانتشار في بغداد، والاحتفال بعاشوراء- فالاحتفالية لم تذكر مأساة الحسين، بل أخذت تشتم الصحابة؛ ولذلك كانت تحدث دائمًا بسببها صدامات تسيل فيها الدماء، ولهذا السبب كانت الدول تمنع هذه الطقوس.

هذا من جهة، من جهة أخرى يعترف أكثر من كاتب شيعي أن ما يحدث في عاشوراء يتطور ويكبر عامًا بعد عام، لا مراسيم ثابتة، ففي زمن المغول أصبح التعبير عن المناسبة أكثر، أما في زمن الدولة الصفوية فقد أدخلت فيه أشياء كثيرة، وفي الهند ساهم البريطانيون في إضافة طقوس جديدة!

فكل ما نشاهده الآن من طقوس هي في الحقيقة منقولة من النصارى في زمن الشاه عباس الصفوي، يقول د. محمد الجويني: «وقد أدّى تطور المآتم من حيث الكمية والكيفية إلى دخولها دائرة التقاليد الشعبية والوطنية، فأصبحت تقليدًا دينيًّا وطنيًّا، وانتقل هذا التقليد السائد بين الإيرانيين إلى الشيعة في

---

(١) «كربلاء في الأرشيف العثماني»، ديلك قاليا، ترجمة حازم سعيد منتصر، مصطفى زهران، الدار العربية للموسوعات، (٢٠٠٨)، (ص١١).

المناطق الأخرى»[1].

لهذا؛ فإن الدولة العثمانية من حقها - كدولة مستقلة - أن تمنع مثل هذه التصرفات غير المتزنة من جهة، والمخالفة للإنسانية من جهة أخرى؛ من ضرب النفس وتعذيبها؛ والتي هي تقليد للإيرانيين فقط، والتي تتسبب في إثارة الطائفية والفتنة[2].

ورغم ذلك سمح للشيعة بإقامة مجالس العزاء في بعض الأوقات، فعندما انعقد الصلح بين والي العراق داود باشا المملوكي والحكومة الإيرانية عام (١٨٢١م) سمح للشيعة بإقامة مجالس التعزية علنًا.

وكذلك في عهد والي بغداد علي باشا (١٨٣٢م)؛ لأنه كان بكتاشيا، فسَمح بإقامة العزاء علنًا، وحضرَه، وسار الولاة من بعد علي رضا باشا على سُنته، فكانوا يتساهلون في أمر انتشار الطقوس الشيعية، ما عدا مدحت باشا؛ فقد حاول منعها، ولكنه لم يوفّق، ويقال: إنه سأل اسطنبول في أمرها فكان الجواب: "**دعهم يفعلون ما يشاؤون ما داموا لا يؤذون سوى أنفسهم!**"[3].

وحين دخل العراق تحت سيطرة الإنكليز[4] اتبعوا سياسة التقرب من الشيعة من بوابة هذه المراسم؛ فأخذوا برعاية المواكب الحسينية بصورة خاصة، وأجازوا إقامة المآتم والسبايا، بل دعموها بما تحتاج من الوقود والأكفان، ووجّه علماء الشيعة كتابًا يتضمن شكرهم على ما قدّمه الإنكليز لهم![5].

ولم تنفرد الدولة العثمانية من منع العزاء يوم عاشوراء، بل هذا الشاه رضا بهلوي منع العزاء في إيران لمدة (١٥) سنة من (١٩٢٦-١٩٤١م)، ومع ذلك لا نسمع من أي كاتب شيعي اعتراضًا على ذلك؟! بينما ينصبّ الاعتراض فقط على الدولة العثمانية!!

وهذا يكشف تلاعب الشيعة بدعوى المظلومية! بينما قد يكون المنع لأسباب كعدم قناعة المسؤول بما يفعل، أو لسبب سياسي لمنع استغلال ذلك لأهداف سياسية، وليس بالضرورة أن يكون المنع رغبة في ظلم الشيعة!

◙ سلوك شيعة العراق بين الانتماء للدولة والدين:

ينتقد الشيعة سلوك الدولة العثمانية تجاههم، وأنها تعاملت معهم بإقصاء وطائفية، وأنها لم تتعامل معهم كمواطنين ورعاياها تابعين للدولة، فلنتناول هذا الأمر ونحلله؛ لنرى مدى صحة دعواهم:

في البداية؛ لنستحضر أنه على مدار التاريخ كان علماء الشيعة

---

(١) «تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري»، د. محمد صالح الجويني، ترجمة فرقد الجزائري.

(٢) «تراجيديا كربلاء»، إبراهيم الحيدري، (ص٦٠)، «تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري»، د. محمد صالح الجويني.

ومن الجدير ذكره في هذا الموضع: أنه كان للشيعة أفعال قبيحة جدًّا في مناسباتهم، أدركت بعضًا منها في مناطق جنوب ووسط العراق؛ ففي مناسبة (فرحة الزهرة) يجلبون رجلًا مجنونًا أبله، ويجعلونه يمثل دور عمر بن الخطاب ﷺ، ويجعلون في بطنه كيسًا ويزوقونه، ويركضون وراءه في الشوارع على أن الله قد مسخه امرأة وأصبحت حبلى، ويلعبون في دبره، ويفعلون أشياء يندى لها الجبين! ويغنون: "عمر يا أبو حمصة كل الناس تبعبصه"! وحدثني أبي أن الروزخون السيد هادي في إحدى مدن الجنوب في الستينيات من القرن الماضي كان يحكي في سماعة المسجد الشيعي في عاشوراء عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان به مرض لا يشفيه منه إلا ماء الرجال، ومن الغريب أن والدي حدثني أنه رأى هذا الرجل في مستشفى ببغداد في الستينيات؛ وكان مصابًا بسرطان في دبره إلى أن مات! عليه من الله ما يستحق، واتّهمت كل بناته بالفاحشة.

(٣) «تراجيديا كربلاء» (ص٦١، ٦٨)، و«موسوعة العتبات»، جعفر الخليلي، (١/ ١٦٠).

(٤) بدأ نفوذ الإنجليز في العراق في سنة (١٧٩٨م)، عندما سُمح بتعيين ممثل دائم لهم في العراق.

(٥) «تراجيديا كربلاء» (ص٦١، ٦٨)، «تاريخ المأتم الحسيني».

يقفون مع مصالح مذهبهم وطائفتهم على حساب الدول التي يعيشون بها؛ فهذا ابن العلقمي كان شيعيًّا ووزيرًا في دولة الخلافة العباسية السُنية، ومع ذلك خان دولته، وساهم بإسقاطها سنة (٦٥٦هـ-١٢٥٨م).

ولماذا نبتعد كثيرًا في التاريخ؟! فهذا نقيب النجف ورئيس الشيعة في العراق محمد كمونة يغدر بأهل بلده وجيرانه السنة في بغداد؛ حين يتفق مع الصفوي على القدوم لبغداد، ويخدّر أهل بغداء عندما يصور لهم إسماعيل الصفوي كسلطان عادل، فيترك السنة المقاوَمة، ويستقبله ابن كمونة بخطبة عصماء.

وفعلًا يدخل إسماعيل الصفوي بغداد؛ فيقتل من أهلها السنة مقتلة عظيمة، حيث قتل عامة أهلها والصلحاء منهم، وبدأ يعذّب الناس، ويدعوهم للتشيع، ومن يأبى يُقتل، وهدم قبر أبي حنيفة ونبشه، وفعل نفس الشيء مع عبد القادر الكيلاني، وجعله اصطبلات للخيل، ونبش قبور الموتى وأحرق عظامهم، وقتل كل من ينتسب لذرية خالد بن الوليد؛ حتى قال مؤرخ الشيعة ابن شدقم واصفًا أهل بغداد في كتابه «تحفة الأزهار»: «فتح بغداد وفعل بأهلها النواصب ذوي العناد ما لم يسمع بمثله قط في سائر الدهور بأشد أنواع العذاب! حتى نبش موتاهم من القبور»[(١)]، وأخذ أطفال المسلمين ونساءهم وباعهم عبيدًا في إيران، وأصبح اليهود في بغداد والنصارى أكثر أمانًا من السنة[(٢)]، فهرب كثير من الناس ومنهم: الأسرة الكيلانية إلى الشام ومصر[(٣)].

حدث ذلك يوم كان عدد الشيعة محدودًا، ولم يكن التشيّع قد انتشر في العشائر العراقية، ومع ذلك كان موقفهم العدائي واضحًا ضد السنة؛ رغم أنهم ينتمون للقبائل العربية العراقية! ورغم أنهم تحت حكم حكومة سنية عثمانية؛ إلا أن عينهم ترنو وتتطلع إلى الحكومة الصفوية الشيعية، فجسمه في العراق والولاء لإيران! فهل تغير حال شيعة العراق زمن الدولة العثمانية؟

لقد ذكر علامة العراق محمود شكري الألوسي: أن كبار علماء الشيعة كانوا يحثّون العشائر التي تشيّعت على عدم نُصرة الدولة العثمانية في حروبها مع روسيا، وعدم إعانة الدولة، ويفرحون ويكون أسعد أيامهم عند هزيمة العثمانيين، ويحزنون إذا انتصرت[(٤)].

وكان أفراد عشائر الجنوب الشيعية يتهربون من الخدمة العسكرية؛ بتغيير تابعيّتهم من الدولة العثمانية إلى الدولة الإيرانية؛ برغم أنهم يعيشون في العراق! لذا الكثير منهم لا يملك وثيقة عثمانية، ووصل ببعضهم الحال أن ساعد الحكومة الإيرانية في غزو بعض مناطق العراق.

فهل هؤلاء مواطنون ورعايا يستحقون الرعاية؟ أم خونة وجواسيس يستحقون العقوبة والنكال؟

الحقيقة: أن سنة العراق عانوا من تساهل الدولة العثمانية تجاه مخططات التشيع؛ فقد سمحت للقبائل في الجنوب والوسط العراقي بأن يتشيعوا، وبالمقابل: هل سمح للسنة في إيران بنشر دعاتهم هناك لنشر التسنن؟!

---

(١) نقلًا عن «الصفويون من الطريقة الصفوية حتى تأسيس الدولة»، د. طالب محيس حسن الوائلي، دار تموز، سوريا، (٢٠١٢)، (ص١٣٦).

(٢) «الفكر الإسلامي بين النظرية والتطبيق»، د. عماد الدين الجبوري، لندن، (٢٠١٥)، (ص١٤٤).

(٣) «عودة الصفويين»، عبد العزيز بن صالح المحمود، مكتبة الإمام البخاري.

(٤) «السيوف المشرقة ومختصر الصواعق المحرقة»، للعلامة نصري الدين محمد خواجة نصر الله الهندي، اختصره وشذبه محمود شكري الألوسي، مكتبة الإمام البخاري، (٢٠٠٨)، (ص٣٥).

ولقد كان الشاعر الرصافي صريحًا عندما قال: «إنّ إيران هي القبلة السياسية التي تتجه إليها قلوب شيعة العراق منذ عهد الدولة العثمانية البائدة»[1].

إن تبعية الشيعة لإيران وصلت بهم إلى حد أنّ حاكم إيران عند زيارته لكربلاء عام (١٨٧٠م) أضاف عبارة: (أشهد أن عليًّا أمير المؤمنين) إلى الأذان، حيث طلب من مؤذن الحضرة العباسية إضافة العبارة المذكورة، وأصبحت هذه الصيغة متَّبعة عند الشيعة في جميع أنحاء العالم بعد ذلك؛ رغم أنهم كانوا لا يمارسونها، وعدّها بعضهم بدعة[2]، وبقي الأذان ليومنا هذا تبعًا لمراد شاه إيران وموافقة علماء وآيات الشيعة، **وهذا -أيضًا- من تساهل الدولة العثمانية المضرّ!**

هذه حقيقة دعوى الشيعة أنه تم إقصاؤهم، وقد تبين أنهم خونة وعملاء يستحقون العقوبة، وليس الإقصاء فقط؛ الذي لم يحصل حتى! وتبين أن العثمانيين كانوا مفرطين في حقهم وحق سنة العراق، فبينما كان إسماعيل الصفوي يذبح سنة العراق كلما غزاهم، كان العثمانيون في كل مرة يحررون بغداد يعفون عن الفرس الذين ارتكبوا الجرائم![3]

◙ تبعية علماء الشيعة وقراراتهم لمن يملك المال:

خصص أحد ملوك مملكة أودة الشيعية في الهند (١٧٢٠ – ١٨٥٦م)، وهو غازي الدين حيدر: أوقاف خيرية تصرف في الحوزة العلمية في كربلاء والنجف، وهو ما عرف بـ: (خيرية أودة)؛ التي بدأت تصل إلى الحوزة في العراق منذ أواسط القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين.

ومع سيطرة بريطانيا على الهند -ومنها: دولة أودة- في منتصف القرن التاسع عشر بدأت تسيطر على الأموال الخيرية المخصصة للحوزة، فراحت تتلاعب فيها وفي طريقة توزيعها؛ من أجل مدّ نفوذها على الحوزة، والسيطرة على المرجعية، والتدخل عبرها في شؤون العراق وإيران قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها.

اصطدم البريطانيون ببعض مراجع الشيعة الذين لم يقبلوا بذلك؛ فقام البريطانيون بالتفكير باستيراد مجتهدين متعاطفين من الهند يقبلون تسلّم (الخيرية) وتوزيعها في العراق عبر لجان أهلية بإشرافهم، وقد أثار ذلك قلق السلطات العثمانية من تزايد النفوذ البريطاني في العراق، وشراء ذمم مراجع الشيعة؛ خصوصًا في صفوف الشيعة والمرجعية، فحاولت حل اللجان التي شكلها الإنجليز لتوزيع المال، ومنعت الرعايا العثمانيين -خصوصًا العرب الشيعة- من الانضمام إلى عضوية اللجان في كربلاء والنجف، وطلبت من القنصل الفارسي في بغداد أن يمارس ضغطًا على الأعضاء الفرس لتقديم استقالاتهم.

◙ هذا هو حال الشيعة في العراق:

لا ينتمي مراجع الشيعية -وهم قيادات المناطق الجنوبية في العراق بعد انتشار التشيع- للدولة بصلة، فهم لا يعترفون بسلطة العثمانيين الرسمية[4]، فولاؤهم لإيران التي تسيطر عليهم مذهبيًّا، وعبر المال، وطقوسهم تأتي من إيران أيضًا.

وهم يفرحون بخسارة الدولة العثمانية، ويحزنون إذا انتصرت، ويميل بعضهم عسكريًّا لكفة إيران ويقف ضد الدولة العثمانية، فهؤلاء رعايا مشاكسون.

---

(١) «الرسالة العراقية»، معروف الرصافي.

(٢) هذا رأي شيخ الطائفة الطوسي، ومحمد الكاشاني، وحرّمها الشهيد الثاني.

(٣) «العرب السنة في العراق»، عدة مؤلفين، إصدارات مجلة البيان، (ص٣٤).

(٤) «دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث»، د. عبد الله النفيسي، مكتبة آفاق، الكويت، (٢٠١١)، (ص٥٨).

ومع ذلك؛ لا توجد في تاريخ الدولة العثمانية أية مذبحة ضد شيعة العراق؛ سوى ما يذكرونه من حادثة سليم باشا، عندما هجم عليه مجموعة من الخارجين عن القانون في النجف سنة (١٢٣٤هـ-١٨١٨م)، وحادثة نجيب باشا سنة (١٢٥٨هـ-١٨٤٣م)، في كربلاء.

فقد أصبحت المدينتان مأوى للمجرمين، يلوذون إليهما، متهربين من أداء حقوق الحكومة، ووصل عددهم في كربلاء إلى (١٠٠٠٠) شخص هارب من قبضة الوالي، وشرعوا بتهديد المراجع الشيعة، مستغلين ضعف هيبة الدولة العثمانية، فأرسل الوالي جيشًا، فاحتمى المتمردون بكربلاء وتحصنوا بها، وانتهت المعركة بمقتل (٤٠٠٠) من العصاة، و(٥٠٠) من الجيش العثماني[١].

فزوّر الشيعة الحادثة، وضخموا عدد القتلى، وتدخلت قناصل الدول الأجنبية؛ خاصة البريطانية والروسية، لأنها كانت تبحث عن شيء تبرر فيها تدخلها، وكان تصرح -أحيانًا- للشيعة أنها ترغب بحمايتهم من الأتراك العثمانيين السُنّة؛ كنوع من سياسة (فرّق تسد).

ومعلوم أن نجيب باشا لم يكن لديه مع الشيعة مشكلة؛ فقد بنى مقابر لعلماء الشيعة داخل ضريح الحسين، وعندما ظهرت البابية استدعى لقصره علماء الشيعة والسنة لمناقشتهم[٢].

قد يستطيع الشيعة إخفاء الحقائق، والزعم بأنهم كانوا مضطهدين في العراق من قبل الدولة العثمانية! لكن الحقائق تظهر ولو بعد حين، وتكشف زيف دعواهم بأنهم مظلومون، وتثبت كم هم ظالمون ومضطهِدون لغيرهم في حالة ضعفهم وقوتهم!

◙ دعوى حرمان الشيعة من التعليم!

يُكثر الكتاب الشيعة -خاصة العلمانيين منهم- الكلام حول حرمان الدولة العثمانية للشيعة من التعليم، وهي دعوى لا حقيقة لها سوى الاعتماد على بضعة مصادر غير دقيقة، ووضعت للتهييج الطائفي فقط!

وإلا فإن التعليم في عموم العراق كان مهملًا من قبل الدولة العثمانية للعرب السنة والشيعة والكرد.

فالتعليم في الدولة العثمانية بقي ردحًا من الزمان يعتمد على الكتاتيب والتعليم الديني، وكلاهما كان متوفرًا في المناطق الشيعية، فهل كانت الدولة العثمانية تمنع الشيعة من التعليم في الكتاتيب أو في المدارس الدينية؟!

يقول د. النفيسي: «كان الشيعي يحذَّر من شيخه أنه محرّم عليه أن يتوظف في حكومة غريبة عنه» نعم، كان العثمانيون حكومة غريبة أجنبية عند الشيعي! فكيف يطلب حقوقه من حكومة لا يعترف بها؟!

والتعليم الحديث في الدولة العثمانية بدأ عند الأقليات غير المسلمة؛ حيث ظهرت مدرسة الآباء الكرمليين عام (١٧٢١م)، والمدرسة الكلدانية عام (١٨٤٣م)، ومدارس الاتحاد الإسرائيلي (١٨٦٥م).

وكانت بداية التعليم الصحيح على يد والي بغداد مدحت باشا؛ الذي افتتح أربع مدارس: أولها المدرسة الرشدية العسكرية عام (١٨٦٩م)، والمدرسة الرشدية المدنية، والمدرسة الإعدادية العسكرية، ومدرسة الفنون والصنائع، واعتمدت هذه المدارس

---

(١) «مدونة إبراهيم العلاف»، جواب على سؤال عن حملة نجيب باشا على كربلاء (١٨٤٣هـ)، (٢٣/١٢/٢٠١٥م)، «كربلاء في الأرشيف العثماني» (ص٩٥).

(٢) «تاريخ المراقد»، محمد صادق الكرباسي، (٢/١٤٨، ١٥٣).

اللغة التركية لغة رسمية لها[١].

وفُتح مثيل لها في النجف، وكان الإقبال عليها محدودًا، ودخلها بعض ذوات الشيعة، وكان هناك المدارس العلوية التي تأسست بعد الرشدية بسنتين[٢].

ومن مدارس بغداد المشهورة في العهد العثماني: المدرسة الجعفرية، وأسسها تلميذ محمود شكري الألوسي قاضي المحكمة الجعفرية شكر بن أحمد البغدادي الشيعي، والألوسي هو من كتب له تزكية لمنحه رخصة لتأسيس المدرسة، برعاية مجموعة من الشيعة والسنة مثل: عبد الكريم السيد حيدر، والشيخ جواد تويج، وعلي البزركان، ومهدي الخاصكي، وعبد الكريم حيدر، وعلي السيد ومهدي البغدادي، وجعفر السيد هاشم، وأمين الجرجفجي، وداود أبو التمن، وسلمان أبو التمن.

وأصبح القاضي شكر[٣] مديرًا للمدرسة؛ رغم أنه لا يحمل شهادة، لكن لكونه تلميذ الألوسي منح ذلك، وكان من الساعين لتأسيس المدرسة شخصية سنية وطنية وهو: علي البازركان -أحد قيادات ثورة العشرين-.

ومن هذه المدارس العثمانية تخرج جمهرة من النخب الشيعية المثقفة، وأصبحوا سياسيين ومفكرين وكتّابًا وصحفيين، منهم -مثالًا لا حصرًا-: عبد الرزاق الحسني، وكاظم الدجيلي، وصالح جبر -رئيس وزراء العراق-، والشاعر علي الشرقي، والكاتب جعفر الخليلي، وغيرهم.

وكان يمكن أن يكون عددهم أكبر لولا ما هو معلوم من أن علماء الشيعة كانوا لا يشجعون على التعليم في المدارس العثمانية، ويرفضون -أحيانًا- دراسة أولادهم فيها!

◙ الخلاصة:

روّج كتاب الشيعة من التيار الديني والتيار العلماني[٤] خرافة مظلومية شيعة العراق، واتهام الدولة العثمانية باضطهادهم، وقد تبيّن أن الشيعة هم من رفض التعاون معها، ولم يعتبروها حكومة رسمية لهم؛ لأنهم -حسب شرعهم!- لا يؤمنون بها، وقاموا بالغدر تجاهها، ولم تعاقبهم، ومع ذلك كانوا يطالبون بحقوق المواطنة!

ومع كل ذلك؛ لم تفعل الدولة العثمانية ما فعلته الدولة الصفوية، فلم تعتدِ على معتقدات الشيعة ومراقدهم، ولم تُكرههم على التسنن؛ كما فعلت الدول والحكومات الإيرانية، بل تساهلت معهم حتى أدى هذا التساهل إلى تشيع العشائر السنية في جنوب العراق.

لذا؛ فخرافة اضطهاد الشيعة في العهد العثماني قضية مفتعلة! تشبه خرافة أكثرية الشيعة في العراق!! ورواج هذه الخرافة هو بسبب تقصير أهل السنة في الدفاع عن حق دينهم ودولهم.

سأتناول في الحلقة القادمة -بإذن الله-: خرافة اضطهاد الشيعة في الدولة العراقية الحديثة.

---

(١) (تاريخ التعليم في العراق في العهدين العثماني والملكي)، د. إسماعيل نوري الربيعي:
htm١http://www.mesopot.com/old/adad

(٢) شبكة الإمام علي: http://www.imamali.net/?id٥٣٢٣

(٣) مقال: (المدرسة الجعفرية .. ومزوّرو التاريخ)، د. مصطفى الزركان، موقع ميدل إيست (٢٠١٣/٣/٢٨م).

(٤) منهم: حسن علوي، في كتابه «الشيعة والدولة القومية في العراق»، وعبد الخالق حسين، في مجموعة مقالات على موقعه، وكتّاب من هنا وهناك.

سياسة إيران تجاه دول الجوار

عرض: أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

هذا الكتاب صدرت طبعته الأولى عن دار العربي للنشر والتوزيع بالقاهرة، سنة (٢٠١٢)، ويبدو أنه رسالة جامعية تقدم بها ضاري سرحان الحمداني، ويقع الكتاب في (٢٦٥) صفحة من القطع الكبير.

موضوع الكتاب مهم، ومحدد بكشف سياسة إيران تجاه دول الجوار، وهو يقتصر على دراسة الفترة بين (١٩٩٠ - ٢٠٠٠)، ويقوم على فحص فرضية مهمة هي: منذ عهد الشاه ولليوم وسياسة إيران لها سمة ثابتة هي: السعي نحو دور إقليمي مميز، والسعي نحو زعامة الإقليم لتحقيق مصالحها وأهدافها، وتتخذ لذلك سياسات مؤذية ومضرة وتتعارض مع مصالح الدول المجاورة؛ وخاصة الدول الخليجية والعربية.

جاءت الدراسة في أربعة فصول وخاتمة، واعتمد الباحث على المنهج الإقليمي في دراسته لتحليل الدوائر الإقليمية في سياسة إيران وهي: جنوب آسيا (باكستان وأفغانستان)، غرب آسيا (تركيا ودول الخليج العربي والعراق)، وشمال غرب آسيا (الجمهوريات الإسلامية)، واستعان بالمنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التحليلي التاريخي، ومنهج تحليل النظم لفك تعقيدات السياسة الإيرانية.

الفصل الأول؛ استعرض الباحث فيه المتغيرات المؤثرة في سياسة إيران الإقليمية، وقسّمها إلى: متغيرات مؤثرة داخلية، وإقليمية، ودولية:

فالمتغيرات الداخلية تشمل: المؤسسة الدينية، والأحزاب السياسية، وأتباعها ينقسمون إلى قسمين: محافظين متشددين، وإصلاحيين براغماتيين، يتبادلان المواقع بين السلطة والمعارضة تحت تحكم المرشد الأعلى، وللمؤسسة العسكرية والحرس الثوري خصوصًا دور مركزي في فرض سياسات إيران الخارجية والمعتدية على دور الجوار.

أما بخصوص المتغيرات المؤثرة إقليميًّا فهي: المتغير الإسرائيلي، والتركي، والإسلامي.

فإيران تتخذ من معاداة إسرائيل سببًا لصرف أنظار الجمهور الإيراني عن مشاكله الداخلية، بحجة الصراع مع حليفة أمريكا، والدفاع عن بلد مسلم محتل، مما يجذب تعاطف بعض الشعوب والجماعات والدول لصالح سياسة إيران.

وبخصوص تركيا؛ فقد كانت في تلك الحقبة (١٩٩٠ - ٢٠٠٠) على خلاف أيدلوجي مع إيران برغم المصالح المشتركة

اقتصاديًّا من جهة، والمنافسة على الجمهوريات الإسلامية من جهة أخرى، فتركيا تشترك مع الأذربيجانيين في القومية؛ لكنهم يوافقون إيران في التشيع، كما أن تركيا وإسرائيل في تلك الحقبة كانتا على علاقة وطيدة.

وبخصوص المتغير الإسلامي؛ فقد سعت إيران لعقد الكثير من المؤتمرات الإسلامية لفتح قنوات مع الدول الإسلامية، وعملت على توظيف التجمعات الشيعية لخدمتها ومناصرة القضايا الإسلامية؛ لخلق مكانة بارزة لها ومؤثرة.

أما العوامل الدولية المتغيرة والمؤثرة؛ فقد كانت انهيار الاتحاد السوفيتي، والهيمنة الأمريكية والأوربية؛ إذ ساهم انهيار الاتحاد السوفيتي في توسع نفوذ إيران في بعض الجمهوريات؛ كطاجكستان وأذربيجان، ومن جهة ثانية هدد بإحياء القوميات؛ كالقومية الأذرية التي تعد أكبر الأقليات الإيرانية، مما قد يفتّت إيران.

وشكلت الهيمنة الأمريكية تحديًا ضخمًا لإيران؛ حيث حاصرتها اقتصاديًّا، وحاولت زعزعة حكم الملالي؛ مع مراعاة أن لا تفتت إيران أو تصبح حليفة للروس! لكن إيران تمكنت من العبور عبر بعض الثغرات في السياسة الأمريكية للبقاء والنجاة؛ حيث تلاعبت بالاتحاد الأوربي لاختراق الحصار الاقتصادي الأمريكي، عبر تقديم إغراءات للشركات الأوربية، مما أضعف استجابة الأوربيين لطلبات المقاطعة والحصار الأمريكية.

وجاء الفصل الثاني؛ ليعرض القدرات والإمكانيات الإيرانية؛ حيث استعرض مكونات الدولة الإيرانية من حيث المساحة الواسعة، والموقع الجغرافي المتميز، والبنية الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والسياسية.

ومن ثم دورها في المحيط الإقليمي العربي، والذي يمتاز بالغموض والمراوغة عمومًا، ومع دول الخليج خصوصًا، مع وجود علاقات متميزة مع بعض الدول العربية؛ كسوريا وليبيا.

ثم تناول دور إيران في أفريقيا؛ من خلال تقديم المساعدات لاختراق المجتمعات من جهة، والحصول على أصوات داعمة لها في الأمم المتحدة، وتوظيفها علاقاتها النفطية مع بعض الدول للتعاون والاستقرار مثل: اليابان، أو تدخلها في البوسنة والشيشان.

وختم المؤلف هذا الفصل بالحديث عن مشاركة إيران في عدد من المنظمات الإقليمية والدولية؛ إذ تجنبت إيران سياسة الانعزال عن العالم، فهي عضو بمنظمة التعاون الاقتصادي، ومنظمة تعاون بحر قزوين، حيث توظف ذلك للتمدد والنفوذ، أو للحماية والبقاء من خلال مد الجسور.

وجاء الفصل الثالث؛ ليتناول السياسة الإيرانية تجاه القضايا الإقليمية، وهو من أهم فصول الكتاب، وتناول فيه سياسات إيران حول منطقة الخليج العربي، وفي دول آسيا الوسطى، وكذلك في شبه القارة الهندية.

ففي منطقة الخليج؛ تناول سياسة إيران تجاه العراق والجزر الإماراتية المحتلة، والتواجد العسكري الأجنبي في الخليج:

ففي العراق؛ كانت هذه المرحلة عقب انتهاء الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٨م) بانتصار العراق، ومن ثم خسارة العراق عقب غزوه للكويت، وتميزت سياسة إيران بمحاولة استغلال هذا الوضع للتسلل للعراق، فمثلًا عقب الهجوم البري للتحالف الدولي لتحرير الكويت تسلل (٤٠) ألف إيراني، كما أن إيران تدخلت في شمال العراق بحجة مطاردة الأكراد الإيرانيين.

وعملت على اللعب على كل الحبال! فهي تتفاوض مع العراق من جهة، وتتفاوض مع المعارضة العراقية وتدعمها، وتعارض أو توافق المشاريع الدولية تجاه العراق بما يحقق مصالحها هي لا مصلحة العراق، وتَبين ذلك بوضوح عقب الاحتلال الأمريكي في (٢٠٠٣)؛ والذي ساعدت إيران على وقوعه، ومن ثم تمكنت من الاستفادة الكبرى منه.

أما الجزر العربية الثلاث؛ فلم تتغير سياسة إيران تجاهها عن مرحلة بداية ثورة الخميني أو مرحلة الشاه، فشهدت تصعيدًا بالاستيلاء الكامل على جزيرة أبو موسى بعد أن كانت تتناصف مع الشارقة السلطة فيها! ثم في عام (١٩٩٦) افتتحت مطارًا فيها، وفي (١٩٩٩) افتتحت بلدية ، ولـلآن ترفض إيران أي تحكيم دولي، وتراهن على إطالة أمد الأزمة، وعدم قدرة الإمارات على التصعيد العسكري، وتحاول إيران أن تجعل المشكلة فقط في جزيرة أبو موسى، أما جزيرتا طنب الكبرى والصغرى فلا تعترف بوجود مشكلة فيها مع الإمارات أصلًا!!

وبرغم هذا العدوان والاحتلال لدول الجوار ترفض إيران وجود قوات عسكرية أجنبية أو عربية في الخليج لأنها تهدد أمن إيران القومي، ولكنها تغطي ذلك برفع شعار: (حماية أمن الخليج مسؤولية الدول المطلة عليه)، مما يتيح لها العبث بأمن دول الجوار، لكن إيران قبلت بوجود مشروط للقوات الأجنبية لحين الانتهاء من تدمير القوات العراقية؛ في انتهازية واضحة واستغلال للفرصة السانحة للتخلص من عدوها المنتصر عليها سابقًا!

وحول سياسة ومواقف إيران تجاه دول آسيا الوسطى؛ فتناول الكتاب قضية نزاع أذربيجان وأرمينيا، وقضية التعاون مع دولة تركمانستان.

فبعد تفكك الاتحاد السوفيتي تنازعت أذربيجان وأرمينيا على إقليم كاراباخ، وهذا الصراع يهتم به الروس وتركيا وإيران، فإيران تشارك الأذريين المذهب، لكن القيادة الأذرية لا تحفل بالمذهب الشيعي والتبعية للملالي، كما أن تضخم القومية الأذرية والمطالبة بأذربيجان الكبرى يهدد إيران بالتفتت، وتركيا تشاطر الأذريين القومية التركية، وهذا الإقليم سيكون جسرهم للتواصل مع العمق القاري، من هنا وقفت إيران مع أرمينيا المسيحية ضد الأذريين في صراعهم سنة (١٩٩٠)، ومنعت عبور اللاجئين الأذريين لها.

وبخصوص تركمانستان -المستقلة حديثًا-؛ فإن إيران تسعى إلى توثيق العلاقات الاقتصادية معها عبر الشركات التجارية والمساعدات؛ لتكسب سياسيًّا، وتقوى مكانتها ودورها الإقليمي.

أما سياسة إيران في شبه القارة الهندية؛ فتحدث الباحث عن قضية كشمير، وأفغانستان، وقضية كشمير كما هو معلوم صراع هندي باكستاني، ولما كانت إيران في صراع مع الباكستان -التي تعد حليفًا قويًّا للسعودية-؛ فقد تحولت إيران من منافسة باكستان على كشمير والعداء للهند إلى سياسة التعاون مع الهند ضد باكستان وكشمير! وبرغم ذلك بقيت إيران تراوح بين التقارب مع الهند التي تحتاج النفط الإيراني وإيران التي تحتاج الخبرة النووية الهندية، وبين العلاقات المتقطعة مع باكستان أيضًا، رغبةً في المعرفة النووية الباكستانية، في سياسة مصلحية انتهازية!

وفي أفغانستان حرصت إيران -عقب انسحاب الروس منها- على الحيلولة دون قيام نظام إسلامي قريب من السعودية التي دعمت الجهاد الأفغاني، لأن ذلك يهدد مصالح الملالي، ولذلك حثت إيران شيعة أفغانستان على تشكيل حزب الوحدة سنة (١٩٩٠)، وعقب قيام حكومة طالبان في أفغانستان بقيت إيران متوجسة منها، واتهمت طالبان إيران بتسليح حزب الوحدة الشيعي، وتفاقمت بينهما الخلافات لدرجة قتل طالبان عددًا من الدبلوماسيين الإيرانيين في مدينة مزار شريف في (١٩٩٨)، ولكن تجنّب إيران الدخول في صراع عسكري مع طالبان قد يخدم خصوم إيران، ويجرها إلى حرب عصابات مع نظام طالبان الذي لا يملك ما يخسره!

وجاء الفصل الرابع؛ ليوضح انعكاسات السياسات الإيرانية الإقليمية على الوطن العربي على كل من المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي، ثم بيان التوجهات المستقبلية لسياستها على المستوى الإقليمي والدولي.

كان لسياسات إيران الإقليمية انعكاسات سياسية سلبية على الوطن العربي، وتحمل تهديدًا لأمنه القومي، حيث شكّل تصدير الثورة الأساس في العلاقة مع الدول العربية، كما حرصت إيران على عزل دول الخليج عن محيطها العربي تحت شعار: (التعاون الإقليمي لدول الخليج)، في محاكاة للسياسة الإسرائيلية التي تسعى للتعاون الإقليمي مع دول الطوق بعيدًا عن الإجماع العربي، وقد تسبب ذلك بترسخ الوجود العسكري الأجنبي في الخليج.

كما أن إيران حرصت على إقامة علاقات ثنائية مع دول الخليج بشكل منفرد، مما أقلق الإمارات في موضوع الجزر المحتلة.

وسعت إيران للهيمنة على السودان، وعبثت في الجزائر ودعمت بعض الجماعات المتطرفة.

وخطر السياسات الإيرانية تجاه الوطن العربي على المستوى العسكري يتجسد في التهديد المتمثل في الصواريخ بعيدة المدى، وبرنامج الأسلحة الكيماوية والأسلحة النووية، مما يضاعف من محاولات إيران الهيمنة على المنطقة العربية -كما يحدث اليوم-.

ومن التهديدات الإيرانية للأمن القومي العربي: المواطنون من أصول إيرانية؛ والذي جاؤوا في هجرات سابقة، ولكن إيران تمكنت من الحصول على ولاء كثير منهم؛ وخاصة من تسلموا مناصب في هذه الدول، كما تعتمد إيران على اختراق الدول مخابراتيًا تحت غطاء الدبلوماسية.

وعلى المستوى الاقتصادي؛ تهدف سياسات إيران للمشاركة والمنافسة التجارية، لتكون جسرًا للاختراق والهيمنة؛ فقد اتفقت مع قطر والكويت على مدّهما بالمياه العذبة، وهذا سيرهن قرارهما السياسي -لاحقًا- لصالح إيران، وبسبب اكتشافات البترول حول الجزر الإماراتية قامت إيران بمد مساحة بحرها للهيمنة على النفط في باطن البحر، كما نصّت توصيات وزارة الخارجية الإيرانية على ضرورة استغلال الأزمات الاقتصادية لمصر والأردن وتركيا وباكستان والسودان ضد أنظمتها الحاكمة!

أما بخصوص مستقبل سياسات إيران على المستوى الإقليمي؛ فسوف تبقى أزمة جزر الإمارات قائمة، ولكنها ستقارب بين عُمان وإيران، وقد حدث هذا فعلًا.

وستستمر إيران في دعم جماعات التطرف والعنف، وقد تكشف مؤخرًا عمق العلاقات الإيرانية مع تنظيم القاعدة ولاحقًا داعش، وسيبقى تبادل الأدوار بين المحافظين والإصلاحيين في سياسة إيران سببًا لتحقيق اختراقات سياسية مع دول الجوار لصالح أهداف إيران.

أما على المستوى الدولي؛ فستعمّق إيران صلاتها بالصين واليابان والهند وروسيا، وسيستمر تدهور العلاقات مع أمريكا، وهذا ما نشهده اليوم في عهد ترامب -برغم مرور (١٠) شهور على حكمه -تقريبًا- إلا أنه لم يتخذ خطوات عملية بعد -بعد مرحلة أوباما؛ التي يؤكد أغلب المحللين أنها قدمت تنازلات مجانية لصالح إيران!-.

وبهذا يتضح: أن سياسات إيران تجاه دول الجوار تحوي قدرًا كبيرًا من العدوان والانتهازية، وأنها سياسة واعية ومقصودة، وتوظف قدراتها المالية والسياسية وعقيدتها الشيعية في تحقيق مصالحها على حساب الدول المجاورة والأخرى، ولا تتردد في اتخاذ مختلف الوسائل من الدبلوماسية والاقتصاد والتدخل العسكري أيضًا.

المطلوب الآن

قالوا: كتب السفير الأمريكي الأسبق لدى البحرين ونائب المتحدث الأسبق باسم الخارجية آدم إيرلي مقالة بعنوان: (هزيمة إيران تتطلب من أمريكا التحرك دوليًّا)...

المطلوب الآن وضع سياسة الرئيس ترامب موضع التنفيذ الفعلي، المطلوب يتجاوز مجرد فرض عقوبات، بل يتطلب عزل إيران سياسيًّا، ومواجهتها عسكريًّا، وأيضًا اشتراك الأوروبيين في الفعل نفسه، بالإضافة إلى دعم الشعب الإيراني..

ويرى إيرلي أن الإدارة الأمريكية قد بدأت في اتخاذ إجراءات مهمة، من بينها: فرض عقوبات على مؤسسات وأفراد من ذوي العلاقة بالحرس الثوري، وموافقة مجلس النواب على تشريع يجيز فرض عقوبات على المؤسسات الإيرانية والغربية؛ التي تدعم برامج التسلح الإيرانية غير القانونية، بالإضافة إلى عمل الكونجرس على تعديل صيغة الاتفاق النووي بالشكل الذي يؤدي إلى سد الثغرات في هذا الاتفاق...

ويبقى أن الأوروبيين يمثّلون من خلال تعاملهم تجاريًّا مع النظام الإيراني مصدر دعم ودخل لبرامج التسلح والإرهاب الإيرانية؛ ولذا فإن الكونجرس يعمل حاليًّا على تشريع يدعو الأوروبيين إلى وضع «حزب الله» على قائمة الإرهاب، وهو الأمر الذي إن تم فسيؤدي إلى سلب النظام الإيراني ما يحصل عليه من دعم عبر «حزب الله».

د. محمد مبارك - صوت الخليج، ١٦/ ١١/ ٢٠١٧

متى نتعلم أن لا محترم فيهم؟

قالوا: إمام أهل السنة في إيران دعا لانتخاب روحاني رئيسًا، واليوم يمنعه من التنقل والسفر!

وهذا ليس بمستغرب؛ فكل يوم يتأكد أن كلّ ما قدمه أهل السنة -دولًا وجماعات وشخصيات- من أجل التقارب مع نظام الملالي لم يثمر سوى مزيدًا من التآمر والخراب.

د. إسماعيل السهيلي، صفحته بالفيس بوك

مشكلتنا باختصار

قالوا: الصراع مع إيران جزء كبير منه إعلامي، وللأسف منابرنا قليلة العدد، ضعيفة الإمكانيات، ومختلفة التوجهات، وليس لها من يؤلّف بينها ويدير دفة الصراع.

أما الجمهور السني فكثير منه -بسبب توجهات حزبية- متحالف مع إيران في غباء وسفاهة وانحطاط أحيانًا! وسيبقى هذا الصراع قائمًا حتى يستقيم أهل السنة على الحق بتوحد صفهم وحسن إدارتهم للصراع.

أسامة شحادة، صفحته بالفيس بوك

غدر الملالي المتجدد

قالوا: لكن المفاجأة الجديدة تمثّلت -في أثناء التحضير للاتفاق الجديد لمناطق منخفضة التصعيد في جنوب سورية- بتأسيس ميليشيات محلية في درعا (اللواء ٣١٣)، ذات طابع طائفي (كما

تدّعي المعارضة السورية)، في بلدة أزرع، وهي ميليشيات مدعومة من الحرس الثوري الإيراني بالكلية، وتحاكي نماذج سابقة من ميليشيات طائفية محلية تأسست في العراق وسورية!

الخطوة تحمل دهاءً ملحوظًا من الإيرانيين، فالميليشات محلية، وتبعد مسافة عن الحدود الأردنية، لكنّها تؤسس لما هو أخطر في المرحلة القادمة، أي: نقل الصراع الطائفي إلى المناطق الجنوبية، وإيجاد قدم لإيران، وأدوات يمكن استخدامها لمواجهة الأطراف الأخرى!

د. محمد أبو رمان – الغد، ١٣ / ١١ / ٢٠١٧

المطلوب: الخضوع لا التعاون

قالوا: مع أن كثرة من المشاركين والمتحدثين الأردنيين عبّروا عن رغبة (ومصلحة) في تطبيع العلاقات الأردنية-الإيرانية... لكن العلاقات بين الدول، مثلها مثل «رقصة التانغو» تحتاج إلى طرفين، ولا يمكن لها أن تتطور من جانب واحد...

وكلما بدا أن الأردن يريد أن يبعث برسائل «حسن نوايا» لطهران تعرض للصد والصدمة... اكتفي بذكر واقعة واحدة، كنتُ شاهدًا عليها عندما قام وفد أردني رفيع المستوى قبل أشهر معدودات بزيارة لطهران، وعلى رأسه رئيس المجلس عاطف الطراونة، للمشاركة في المؤتمر السادس حول فلسطين ...

يومها أجمع الإعلام المحلي والإقليمي على أن الزيارة محمّلة بالرسائل الإيجابية، وأنها ما كانت لتتم لولا «تشجيع» صانع القرار على تفعيل «الديبلوماسية البرلمانية» على خط عمان - طهران.

بيد أن الصدمة للأردن جاءت من حليف موثوق لإيران، ومن على المنصة ذاتها التي جلس عليها رئيس مجلس النواب الأردني، وأعني بذلك: الكلمة النارية التي ألقاها أحمد جبريل -الأمين العام للجبهة الشعبية، القيادة العامة-، والتي حمل فيها على الأردن، وتهدده باجتياح قريب، من دون أن يحرك المضيف الإيراني ساكنًا، بل ومن دون أن يراعي هذه المسألة من قبل، كما تقتضي بذلك، الأصول المتعارف عليها بين الدول...

يومها؛ انشغلت الصحافة ووسائل الإعلام الأردنية بالرد على جبريل، بل التكهن بمستقبل العلاقات الثنائية بين البلدين...

الأردن يريد علاقة طبيعية مع إيران، وليس إيران فقط من يريد علاقة جيدة مع الأردن، لكن الأمر الذي لا يجب أن يغيب عن الأذهان: أن طهران -وليس عمّان- هي من تجعل مثل هذه المهمة أمرًا متعذرًا في المدى المرئي والمباشر على أقل تقدير.

عريب الرنتاوي – الدستور، ١٠ / ١١ / ٢٠١٧

وداوِها بالتي كانت هي الداء!

قالوا: طالب الكاتب الجزائري المتشيع الصادق سلايمة بتقنين زواج المتعة وزواج المسيار؛ للقضاء على ظاهرة الزنا المنتشرة -بحسبه- بالجامعات الجزائرية.

إسماعيل خلف الله، صفحته بالفيس بوك

من أسباب الخذلان وعدم التوفيق!

قالوا: (١٠٠) ألف سنّي فلسطيني شرّدهم، و(٤) آلاف قتلهم سليماني بمخيم اليرموك، ولم يتحرك أذناب حماس وقادتهم لمواساة أهلهم! بل ذهبوا لمواساة سليماني بوالده!!

سفيان السامرائي، تغريدة على تويتر

التدين والإلحاد في استطلاعات الرأي

د. سامر أبو رمان- مجلة المجتمع، ٢٠١٧/١١/٨

تتضمن بعض أسئلة استطلاعات الرأي في المشاريع العالمية الاجتماعية ما يتعلق بالإلحاد والتدين، والسؤال عن الصلاة والله ﷻ وغيرها من الغيبيات والمعتقدات، وتتنوع صيغ الأسئلة، وتختلف النتائج، وما ينبثق عن ذلك من إشكاليات فهمها وتأثيرها وطرق التعامل معها.

لقياس التدين وما يقابله من إلحاد غايات متنوعة قد تجمع الضدين من الطرف المتدين أو الملحد أو بينهما؛ لغايات بحثية علمية في فهم المجتمعات ومعتقداتها، ويعد هذا المجال من المجالات الحساسة؛ ولا سيما في مجتمعاتنا.

ولذا؛ طالما كنا نواجه تحدي طرح أسئلة من هذا القبيل في بعض المشاريع الاستطلاعية التي انخرطت بها بشكل مباشر، فأذكر كيف كان السؤال عن «هل تؤمن بوجود الله؟» مثار تفكير ونقاش مع لجنة في الإدارة المركزية للإحصاء الكويتية؛ حينما انضمت الكويت لأول مرة لمشروع مسح القيم العالمي (WVS) الذي بدأ في الثمانينيات، وينفذ في أكثر من (٦٠) دولة حاليًّا.

■ مفهوم الدين:

ثمة أسئلة أخرى في قياس التدين في ذات مسح القيم العالمي، مثل: ما مدى أهمية كل من الأمور التالية في حياتك؟ ومنها: الدين أو الله، والسؤال عن الإيمان الديني باعتباره من الصفات التي يمكن تشجيع الأطفال على تعلمها في المنزل، وأيضًا مدى الثقة بالمؤسسات الدينية (المساجد، الوزارة، الجماعات الدينية، الجمعيات..)، ومفهوم الدين إذا كان اتباع القواعد والطقوس الدينية، أو عمل الخير للآخرين أو كلاهما.

وفي سلسلة استطلاعات منظمة بيو (Pew) لاستطلاعات الرأي؛ وردت أسئلة تقيس الإيمان بوجود الله، وعلاقة الإيمان بالله على السلوك الأخلاقي والقيم؛ حيث بينت بعض نتائج استطلاعات رأي الأمريكيين انقسامًا فيما إذا كان من الضرورة الإيمان بالله حتى تكون أخلاقيًّا وصاحب قيم جيدة، حيث أجاب (٥٦%) في آخر استطلاع (يونيو ٢٠١٧م) أنه ليس بالضرورة، مقابل (٤٢%) من أجابوا أنه بالضرورة.

كما توسعت أسئلة الإيمان بالله لدرجة السؤال عن إذا كان المستجوَب صلى ودعا الله أن ينجح فريقه الرياضي المفضل، أو رأيه بشكر بعض الرياضيين الله عند فوزهم، أو فيما إذا يعتقد المستجوَب أن الله تدَخل في نتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية عام (٢٠١٦م)؛ كما في استطلاعات «PRRI»! ومدى التفكير بالله والدين، ومدى الشك بوجود الله؛ حيث بينت آخر نتائج استطلاع «PRRI/RNS Religion News Survey»، في (يونيو ٢٠١٦م) أن ما يقرب من ثلاثة أرباع الأمريكيين لا يشكّون بوجود الله، وهو ما يتفق مع العديد من نتائج جهات أخرى مثل: نتيجة سؤال منظمة جالوب (Gallup) المباشر في عام (٢٠١٦م):

هل تؤمن بوجود الله؟ حيث أجاب (٨٩%) بنعم، وأجاب (١٠%) بالنفي، و(١%) دون رأي، ومثل هذه النسب في استطلاعات بيو كذلك.

ولعل من أشمل مشاريع استطلاعات الرأي التي تقيس التدين والإلحاد بالتفصيل: مشروع (Religion Study of the International Social Survey Program) (ISSP)، الذي تكرر عدة مرات في الأعوام (١٩٩١، ١٩٩٨، ٢٠٠٨م)، ومن المتوقع أن ينفذ في عام (٢٠١٨)؛ حيث أتيحت لي الفرصة بمراجعة بعض استمارة المسح والاطلاع على أسئلة مباشرة حول نظرة المستجوَب لله، ومدى القناعة بوجوده، والغيبيات الأخرى بالتفصيل؛ كالجنة والنار، والإيمان بالمعجزات الدينية.. إلخ.

كما تحاول أسئلة هذا المشروع الدخول بعمق في معرفة الإيمان بالله من عدمه؛ من خلال سؤال المستجوب عن مراحل زمنية بالإيمان بالله وتغيراتها، والنظرة للحياة بما ترتبط بالإيمان بالله.

كما تتضمن استمارة الاستطلاع أسئلة أخرى من شأنها التعرف على أفكار وتوجهات المستجوب المتدين والملحد في مسائل حياتية متنوعة.

كما تنوعت أسئلة أخرى حول كيفية التعامل مع الملحد، ومدى قبول المجتمع للإلحاد (Godlessness،atheism)، حيث تشير بعض نتائج استطلاعات Princeton Survey Research Associates International إلى نمو قبول المجتمع الأمريكي للإلحاد؛ برغم أنه أغلبيته الساحقة تؤمن بالله، وهذا يتفق مع العديد من قضايا الرأي العام، حيث تكون الأغلبية لها رأي مغاير، ولكنها تقبل الرأي الآخر؛ كما هي الحال في موضوع الشذوذ الجنسي على سبيل المثال.

■ الأغلبية تؤمن بوجود الله:

ومن خلال نظرة عامة على نتائج استطلاعات رأي مسح القيم العالمي (WVS) في الموجة السادسة (٢٠١٠ – ٢٠١٤م) في السؤال المباشر حول الإيمان بالله؛ يتبين لنا أن أغلبية ساحقة من الشعوب تؤمن بوجود الله مع استثناءات قليلة في الصين واليابان وهونج كونج وبعض الدول الأوروبية، حيث لا يؤمن أكثرها بوجود الله.

كما انقسمت بعض الشعوب في إيمانها بالله، مثل: كوريا الجنوبية، وهولندا.

وتشير نتائج الشعوب العربية والإسلامية القليلة التي شملها المسح؛ التي أبقت السؤال بأن الأغلبية الساحقة جدًّا تؤمن بوجود الله، وقد وصلت في بعض الدول (١٠٠%) مثل: الأردن والجزائر وباكستان، وقريب منها في العراق وليبيا وماليزيا، وأذربيجان ولبنان وتركيا.

تحتاج نتائج الأسئلة الخاصة بالإلحاد إلى الانتباه لعدة أمور مهمة، مثل: الحذر من مجرد المقارنة دون التعرف على دين كل شعب من الشعوب التي سئلت، فلا يمكن مساواة بعض الأديان التي تقوم على عبادة حيوان أو شجر أو أشخاص وغيرها مع الأديان السماوية، وربما هذا ما يفسر انخفاض نسبة الشعوب ذات الديانة البوذية في الإيمان بوجود الله مقابل الأديان السماوية، فكما هو معروف أن شعوب الصين واليابان غالوا في تقديس بوذا حتى ألّهوه.

وفي مقابل ذلك؛ فإن ارتفاع نسبة الإيمان بوجود الله والانخفاض الحاد في نسبة الإلحاد في مجتمعات ليس من السهولة الإقرار بالإلحاد تحتاج لمراجعة حتى؛ وإن كانت النسبة ضئيلة جدًّا؛ كما هو في المجتمعات العربية، فكلنا يعرف أن هناك من الملحدين

العـرب لا يـصرحون إلا في بعـض مواقـع الإنترنـت: «الحـوار المتمـدن»، وكقنـاة «الملحـدين بـالعربي» والمنتديات؛ كحـال منتـدى اللادينيين العـرب أو الـسوريين أو التونـسيين وغيرهـا؛ فـضلًا عـن قنوات اليوتيوب.

■ **التوسع في فهم الإلحاد:**

مـن تجربـة ممـارس في قيـاس الـرأي، ومـع تعقـد ظـاهرة الإلحاد والشك، وما لها من ارتباط بالتطورات المتعلقة بالتطرف والحرية الإلكترونية؛ فإن الأسئلة التي سعت لمعرفة درجة الإيمان والشك تحتاج لتطوير ليحقق هدف معرفة درجة الموافقة والاعتقاد أكثر من مجرد السؤال بـ «نعم» أو «لا»، ولعل المعنيين والمهتمين أيـضًا بحاجـة للتوسـع في فهـم الظـاهرة في مجتمعاتنـا العربيـة والإسلامية؛ للتعرف على دوافع الشك، وما يقابله من أسباب الإيمان بالله، لوضع وسائل وخطط عملية لتعزيز الإيمان ومعرفة كيفية مخاطبة الملحدين أو من يخالطهم الشكوك؛ لا سيما من فئة الشباب.

وفي هـذا الـسياق؛ أشـير إلى تـصور مـشروع اسـتطلاعي اطلعت عليه مؤخرًا يستحق أن يرى النور في وقت قريب لمركز أفق المستقبل للاستشارات السياسية والإستراتيجية؛ حيث يحاول التوسع في فهم ظاهرة الإلحاد والبحث عن إجابة لأسئلة مهمة، مثل: هل الإلحاد أصبح ظاهرة أم لا؟ التعرف على الفئات العمرية والشرائح الاجتماعية التي ينتشر فيها الإلحاد، ما الأسباب وراء انتشار الإلحاد وأبرز الشبهات وراء انتشارها؟ ما العلاقة بين الإلحاد والتطرف أو الجمود الديني؟

ينظر البعض إلى أن أسئلة قياس التدين والإلحاد لها سلبيات عديدة، من أبرزها: إسقاط هيبة الموضوع المقدس بالسؤال عنه؛ ولا سيما إذا كان بطريقة مجردة تناسب حيادية قياسات الرأي العام، ولذا فإن السؤال الذي أشرت إليه عن وجود الله حذف من استمارة دولة الكويت في مسح القيم العالمي لهذا المبرر، بالإضافة لمبررات أخرى منها: بأن ثمة أسئلة أخرى تقيس التدين وأهمية الدين يمكن الاستدلال منها.

لا شك أن أسئلة التدين والإلحاد رغم حساسيتها فإن لها أهميتها لفهم المجتمعات وتغيراتها والتوجهات الحديثة؛ ولا سيما مع انتشار شبكات التواصل والتفاعل الاجتماعي؛ التي اقتحمت الكثير من الحواجز الفكرية والمقدسات، مما يتطلب معرفة كيفية التعامل معها باحترافية، وقبل ذلك قياسها بمهنية وحيادية.

تأخير كشف «وثائق أبوت آباد» يثير تساؤلات حول الاتفاق النووي!

هاني نسيرة- الشرق الأوسط، ٢٠١٧/١١/٦

في حسم وشفافية -تُحسَب لها- أظهرت إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترمب يوم الأربعاء الماضي، (الأول من نوفمبر- تشرين الثاني، سنة ٢٠١٧)، المجموعة الأكبر والأكثر أهمية من وثائق ومذكرات زعيم «القاعدة» الراحل أسامة بن لادن التي تم الحصول عليها من مخبئه؛ الذي قُتِل فيه بمدينة أبوت آباد الباكستانية، في (مايو-أيار سنة ٢٠١١)، مما عُدّ انتصارًا أدبيًّا ورمزيًّا يكاد يضاهي رمزية القضاء عليه في عهد إدارة أوباما السابقة.

ونظرا لأهميتها؛ أقبلت وسائل الإعلام العالمية على تحليلها، وما تحمله (مجموعة الوثائق الجديدة) من المعلومات والأدلة؛ التي تكشف كثيرًا مما كان مخفيًا عن زعيم «القاعدة» الراحل وحياته، وعن التنظيم الإرهابي الأخطر الذي خرجت منه «داعش» التي انطوت صفحتها سريعًا.

انطرح مع هذا الاهتمام العالمي التساؤل عن أسباب تأخر -أو تأخير- إدارة أوباما نشر كل هذه الوثائق المهمة والضرورية؟!... وهل أخفتها إدارة أوباما تمريرًا وتمهيدًا للاتفاق النووي مع إيران الذي وَقَّعه في (يوليو-تموز ٢٠١٥)؛ خصوصًا مع عدم نشر أهمها وألصقها بالعلاقة بإيران، رغم قلة عددها إلا بعد توقيع هذا الاتفاق، كما أخفت بعضَ ما تعلَّق كذلك بالعلاقة بـ«طالبان»، في ظل سياسة أوباما للتقارب معها تحقيقًا للسلام في أفغانستان، وتخفيض عدد قواته هناك.

إن الوثائق الجديدة لزعيم «القاعدة» أسامة بن لادن تشير بأصابع الاتهام للرئيس الأميركي السابق وإدارته، نظرًا لما حملته من كنز معلوماتي يخص أخطر رجل في العالم خلال ثلاثة عقود من الزمان حتى مقتلِه، والمطلوب الأول على القوائم الأميركية، كان من المهم في وقته.

إن مقارنة دقيقة بين الوثائق السابقة التي أفرجت عنها إدارة أوباما والكنز الأخير الذي أفرجت عنه إدارة ترمب يكشف عن تعمد إدارة أوباما إخفاء الحقائق الدامغة وشهادة زعيم «القاعدة»؛ الذي يتميز بلين استثنائي كلما ذُكِرت إيران، حتى أنه لم يرَ حرجًا من تدخلها في البحرين أثناء الانتفاضات العربية سنة (٢٠١١)، كما يؤكد في أحاديثه لأسرته في مذكراته وأحاديثه الأسرية المنشورة في الوثائق الأخيرة (الأول من نوفمبر) في عهد ترمب.

أرادت إدارة أوباما ومجلس أمنه القومي تمرير توجهاتها وسياساتها المعلنة منذ حملة انتخابه، وقبل حقبته الأولى التي فاز فيها بـ «فوبيا الحرب» في العراق، ولكنه ما لبث أن عاد إليها في (سبتمبر -أيلول سنة ٢٠١٤) حين أثبتت الوقائع فشل توقعاته وارتباكاته.

أصر أوباما أثناء حقبتَي رئاسته على التقارب مع إيران، وتجاهل تدخلاتها، ورفع العقوبات عنها، فأكسبها ما يزيد على مائتي مليار دولار تم استثمارها من قبل الميليشيات المتطرفة والطائفة التي تحارب باسمها في سوريا ولبنان والعراق وغيرها، مستجلبةً الأطفال الأفغان والهزارا من الطائفة الشيعية -حسب انتقادات المنظمات الدولية لها مرارًا وتكرارًا-؛ لتلقي بهم قرابين لبقائها وسيطرتها وهيمنتها في سوريا وغيرها!

كما لم يكن ممكنًا لأوباما الذي اختزل الحرب على الإرهاب في الحرب على «القاعدة» -كما أعلن في مرحلة حكمه الأولى-، وخفض قواته في أفغانستان، وسحبها من العراق، ممهدًا لطور من الانعزالية والارتباك في أداء القوة العظمى أحضر الخطر والمخاطر في عمق ولاياتها وحلفائها شرقًا وغربًا، وتقارب مع النظام الإيراني الذي تصفه الخارجية الأميركية في تقريرها السنوي في (مايو) من كل عام بـ: «النظام الأكثر دعمًا للإرهاب في العالم».

في مذكراته المنشورة أخيرًا وصف ابن لادن الثورات بقوله: «كانت هذه الثورات رزقًا وافرًا للأمة عامة وللمجاهدين خاصة» (ص٩٢)، وكما تحمس بن لادن للثورات (وهو ما تؤكده أحاديثه والمذاكرات المنشورة في دفعة الوثائق الأخيرة)، تحمس لها كذلك أوباما، ولكن كليهما لم يكن بالحماس نفسه حين تعلق الأمر بسوريا أو إيران سنة (٢٠٠٩).

ويؤكد الاتهام المشار إليه أن إدارة أوباما اكتفت بعد أقل من (٢٤) ساعة من مقتل زعيم «القاعدة» أسامة بن لادن في مخبئه، (مايو سنة ٢٠١١)، بتصريح مدير مجلس الأمن القومي في إدارة أوباما جيمس كلابر بما يشبه إغلاق ملف وكتاب أسامة بن لادن للأبد، وأنه سيتم نشر كل الوثائق التي تم الحصول عليها فيه وتخص زعيم «القاعدة».

دفعت إدارة الاستخبارات والأمن القومي في عهد أوباما في البداية (١٧) وثيقة فقط للنشر على موقع مركز مكافحة الإرهاب الأميركي (CTC)، ثم دفعت بـ (٤٩) أخرى، وأعلنت أن مجموع الوثائق (٥٧١) وثيقة فقط!! سيتم دفعها للنشر العام.

لكن الحقيقة أنها لم تكن كذلك، بل أكثر بكثير! فقد كان مجموع الوثائق (٤٤٠) ألف وثيقة، مما يزيد من احتمالية التورط وسوء النية وتعمد الإخفاء قصدًا منها! كما يذكر دانييل جرينفلد.

لكن في السياق الترمبي المتحفز والمتيقظ تجاه ممارسات نظام الولي الفقيه كان الضد من ذلك؛ حيث أعلن مدير «سي آي إيه» في (الأول من نوفمبر) عن الإفراج عن (٤٧٠) ألف وثيقة جديدة من وثائق أوباما، وهو ما اعتبر -حسب دانييل جرينفيلد في مجلة «فرنت بيج»-، يوم الجمعة الماضي (الثالث من نوفمبر) أنه: «الإجراء الأكثر شفافية في تاريخ الإدارة الأميركية على مدار تاريخها».

ويبقى السؤال: لماذا منعت إدارة أوباما الكشف عن هذه الوثائق المهمة؟ وهو ما يرجِّح رغبتها في تمرير اتفاقها النووي مع نظام إيران الخمينية، وما تكشفه هذه الوثائق من حجج دامغة وأدلة يقينية على العلاقة التاريخية والتنسيقية والدعم اللوجيستي الذي قدمته حكومة الولي الفقيه لتنظيم القاعدة وعناصره في استهداف المصالح الأميركية قبل أحداث (الحادي عشر من سبتمبر) وأثناءها وبعدها، وكذلك لإخفاء علاقة وشراكة طالبان مع «القاعدة» في تنفيذ أحداث (الحادي عشر من سبتمبر)، حيث أراد أوباما التقارب معها كذلك.

كما يرى بعض المراقبين أن أوباما لم يكن يريد اغتيال بن لادن، ولكن محاكمته وفق محاكمات الإرهابيين التي دعا إليها، وهو ما يراه دانييل جرينفيلد قد يرضي حلفاءهما معًا في إيران؛ في مقاله المشار إليه.

اكتفت إدارة أوباما فقط بتمرير (١٧) وثيقة في البداية ثم دواليك، وعلى مسافات زمنية متباعدة، نشرت حلقتين أخريين، وبلغ حجم ما صدر عنها (١٧٥) صفحة (بالعربية)، و(١٩٧) صفحة (في ترجمتها الإنجليزية)، بعضها لم يكن مكتملًا، كما أن كثيرًا منها لا يحمل تاريخًا، ولكن بشكل واضح كل الرسائل لا تحمل الأسماء الحقيقية لمرسليها أو المرسلة إليهم، أو كُناهم، أو عناوينهم، وبعضها تخص غير ابن لادن أو الدائرة الأقرب من القيادة المركزية أو قادة الفروع، فيُذكَر أبو يحيي الليبي وعطية الليبي وآدم غادان، كما يُذكَر أبو مختار الزبير -زعيم حركة الشباب الصومالية-، وأبو بصير الوحيشي -قائد تنظيم القاعدة الراحل في اليمن-، وحكيم الله محسود -قائد طالبان باكستان-، والملا عمر -أمير حركة طالبان-، وغيرهم.

يتضح البطء وعدم الحسم والشفافية في ملاحظة الفرق الزمني بين ما أصدرته إدارة أوباما على ثلاث دفعات وما أصدرته إدارة ترمب دفعة واحدة في (الأول من نوفمبر)، فقد رفعت إدارة أوباما السرية عن الدفعة الأولى من الوثائق في (مايو سنة ٢٠١٢) وكانت مجموعة قليلة (١٧) وثيقة فقط، ضمت مراسلات بين (سبتمبر سنة ٢٠٠٦ وأبريل-نيسان سنة ٢٠١١)، وتمت دراستها من قبل مجموعة من الخبراء والباحثين، ولم تكن كافية لإخراج علاقة إيران بتنظيم القاعدة من السرية إلى العلنية، فانتهى باحثوها للقول أنها علاقة لا تصل لحد التحالف، ومشحونة بالشك والارتياب من طرفيها.

ولكن لم ينكروا احتمالات توظيف إيران للتنظيم الإرهابي ضغطًا على الولايات المتحدة، قبل توقيع الاتفاق النووي، أو استنزافًا وإرهاقًا لدول المنطقة والأنظمة المعادية لها في الخليج والعالم.

حسب وثائق أبوت آباد الأولى؛ نجد أن أول علاقة تتضح بين «القاعدة» وإيران بدأت عام (٢٠٠٩) في رسالة بتاريخ (١١ يونيو-حزيران سنة ٢٠٠٩) مرسلة من «عطية» إلى «الشيخ الكريم» (ربما أسامة بن لادن أو آخر، فلم يُحدَّد الاسم كالعادة)؛ الذي يخبره بسعادة أن الإيرانيين أطلقوا سراح مجموعة من الإخوة، الشهر الماضي، وأنهم أخبروا الشخص الوسيط بين الطرفين أنهم سيسلمون له أسرة ابن لادن (الزوجات والأطفال، باستثناء الرجال) ربما خلال أسبوع من تاريخ الخطاب.

ثم تم رفع السرية عن الدفعة الثانية في (٢٠ مايو سنة ٢٠١٥)، وضمت (١٠٣) وثائق، وتماسّت بعضها بشكل واضح مع هذه العلاقة وتصورات ابن لادن للعلاقة بإيران وحربها وغير ذلك، وعن العلاقة مع إيران تطالعنا في هذه الدفعة رسالة لابن لادن من «أبو عبد الرحمن أنس السبيعي»، وهو نفسه أبو أنس الليبي (توفي سنة ٢٠١٥ قبل محاكمته في الولايات المتحدة) مؤرخة في (٥ من ذي القعدة سنة ١٤٣١ - الموافق ١٢ أكتوبر-تشرين الأول سنة ٢٠١٠)، حول مجموعات «القاعدة في إيران».

وحسب الرسالة؛ فقد كان لجوء عناصر «القاعدة» إلى إيران على فوجين: أولهما (حسب الرسالة): كان بعد سقوط إمارة طالبان سنة (٢٠٠١)، والتوافد الثاني: كان بأوامر من الملا عمر بعد عيد الأضحى سنة (١٤٢٢ هجرية)، ونهاية (رمضان سنة ١٤٢٣ - الموافق ٣١ ديسمبر-كانون الأول سنة ٢٠٠١).

أما الدفعة الثالثة من الوثائق؛ فقد أفرجت عنها إدارة أوباما في (الأول من مارس-آذار سنة ٢٠١٦)، وضمت (١١٣) وثيقة ورسالة حملت الحجج الدامغة على حصانة إيران في فكر قائد ومؤسس تنظيم القاعدة الراحل، وكيف كان يتجنب دائمًا استهدافها من قبل التنظيم، بل لا يتحمس لحرب عليها من الولايات المتحدة كان يتردد الحديث عنها في العقد الماضي، ويرى أن ذلك مضرّ بالتنظيم، ويقر بأهمية العلاقات معها؛ كونها دولة محورية في المنطقة، وجزءًا من إرهاق وإعاقة المشروعين الأميركي والغربي.

لكن الأخطر في الوثائق الجديدة التي صدرت عن إدارة ترمب في (الأول من نوفمبر): الصراحة ووضوح الموقف عند أسامة بن لادن؛ من أن إيران ليست عدوًا بل هي حليف يؤمن زعيم «القاعدة» بإمكانية -بل ضرورة- التحالف معه في مواجهة العدو المشترك (الولايات المتحدة والغرب والأنظمة الحاكمة في العالم العربي).

واحتوت الوثائق الجديدة على رسالته لخامنئي، وعلى تاريخ قديم للعلاقة يمتد لسنة (١٩٩١)، تؤكد ما ذُكِر في تحقيقات (١١ سبتمبر)، عرضت فيها إيران المساعدة والدعم لعناصر جماعته.

كما تشير لترحيب إيران بالفارين من أفغانستان وباكستان بعد (١١ سبتمبر) على أراضيها، واعتبارهم أبطالًا سعَوْا للموت لأميركا؛ كما يتمنى نظام الثورة الإيرانية، وغير ذلك كثير.

تكشف الوثائق الجديدة؛ خصوصًا مذكرات ابن لادن الشخصية التي بلغت صفحاتها (٢٢٨) صفحة بعضها بخط يده: أن زعيم «القاعدة»، كان «يُدِير» وهو محصور في عزلته؛ حتى عن عناصر جماعته، ففي سؤال لابنته سمية عن سوريا وما ينبغي أن تفعل «القاعدة» من دور فيها عند اندلاع ثورتها؛ التي لم توجد «القاعدة» فيها؛ على عكس ليبيا؟ أجابها بن لادن بقوله: «أهم العراقيل صعوبة الاتصال بيننا وبين الإخوة»... وكتبها بخط أحمر (ص٦٨)، ويبدو أن ابن لادن كان يرى في أسرته -زوجته وابنتيه وابنيه خالد وحمزة- مجلسَ حوارِه الوحيد الذي يتحقق فيه حضور

زعيم «القاعدة» وحياته، يسألونه طويلًا عن ذكرياته، ويحكي لهم رؤى منامه ورؤى بعض رفقائه له، مثل من سَمّاه: عبد الوكيل النوبي؛ الذي حكى له رؤيا في كابل بأفغانستان من أنه القحطاني المبشَّر به في أحد أحاديث آخر الزمان، كما يروي رواية شبيهة لرجل رآه في المطار، ويروي منامات رآها بنفسه... ويبدو أن قصة القحطاني -الذي يظهر في آخر الزمان- شغلت ابن لادن وملكت عليه نفسه؛ رغم أنه لم يُحسَم بها.

لكن يبدو مجلس الأسرة مجلسًا لإدارة العالم وشؤون الكون! يسأل ويجيب، ويطلب الرأي أحيانًا، يسألانه عن الثورات العربية التي رأى فيها أملًا كبيرًا يبشر بانهيار كل الأنظمة، ويتابعها يومًا بيوم، ويتكلم في الاقتصاد وارتفاع أسعار النفط، وتربيته وتكوينه، وكيف زار أوروبا أول مرة من أجل العلاج وهو في الصف السادس الابتدائي، وكيف أنه لم يتأثر بالزنداني وتفسيره للإعجاز العلمي في القرآن، وإن تأثر به في أشياء أخرى، لكن يذكر أن علاقته به لم تكن يومًا علاقة التلميذ بالأستاذ.

ويتضح في مذكرات ويوميات ابن لادن في مجلسه الأسري التخطيط لشؤون العالم مع زوجته وأبنائه؛ كيف انبهر بالثورات العربية، ورأى فيها الفرصة الذهبية للمتشددين، وكيف كان منتشيًا بانشغال العالم به وبخطره؛ وهو المتوحِّد مع أسرته لا يخاطب على ما يبدو إلا هم، فيعجب بذكر القذافي له وأن سقوطه يعني: تحالفه مع «القاعدة»، وينقل عن لويس عطية قوله أن الصين تذكر ابن لادن والعالم كله يتحدث عنه!

هكذا يخاطب أبناءه وأسرته؛ كأنه يقول لهم: «ثقوا فيَّ سأقود العالم»، ويستند في أمله كذلك على المنامات؛ فكثيرًا ما يحكي عن رؤيا رآها في منى، ويحكي عن انتصاره، واحتمال أن يطلب منه الغرب الصلح بعد أن يتوحد المسلمون تحت قيادته، في إجابة عن سؤال لإحدى ابنتيه، تحقيقًا لرؤيا رآها له «جهادي سابق»!

رأى ابن لادن في الثورات الأمل والتمهيد، توقع أن جميع الأنظمة العربية ستسقط تباعًا، وستتحقق أمنياته والرؤى التي شاهدها وشاهدها آخرون له -لا يذكر أسماء بعضهم- لكنه لم يغادره الإصرار على صحة كل مواقفه؛ خصوصًا تكفير حكام العالم العربي والإسلام، وسأل من يطالبونهم بالرحيل من الجماعات الأخرى: «لماذا تطالبونهم بالرحيل إن كانوا مؤمنين؟»، وكأنه يقول: «أليسوا كفارًا؛ كما قلنا؟!».

إن أي تحليل مضمون إحصائي بسيط لخطابات ابن لادن المنشورة أو للوثائق الجديدة ويومياته؛ يلاحظ عدم حضور إيران في صورة أو تصورات العدو لديه مطلقًا، فالرجل مسكون ومحبوس في العداء للأنظمة في دول الخليج والحجاز ومصر وليبيا وغيرها، ولكن دون إيران التي تمثل عنده استثناء لا يجوز مسه ولا يرحب بالاصطدام به، واستأمنها على (٢٤) فردًا من أسرته، بينهم شقيقه وزوجته وأبناؤه.

ومما تكشفه الوثائق الجديدة -خصوصًا مذكرات ابن لادن الشخصية-: أنه ضعيف الثقافة، سريع التحول؛ فقراءته لكتاب ماجد الكيلاني جعلته يفكر في إعادة هيكلة وتأطير شبكة «القاعدة» وفروعها وأفكارها!

كما أنه يحاول أن يؤلف أراجيز شعبية وهتافات يغني بها شباب الانتفاضات العربية في اليمن وغيرها.

ولكن الأخطر أنه مسكون بالمنامات والتفكير الغيبي!

ويرى فيه أصحابه ويكاد يرى في نفسه أنه تمهيد لحروب آخر الزمان، كما رأى أبناؤه في «داعش» المنهارة في أنفسهم ذلك.

التداعيات الأمنية للعقوبات الأمريكية على حزب الله

مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ٢٠١٧/١٠/١٣

- **محاصرة الدور:**

أقر الكونجرس الأمريكي في (٢٥ أكتوبر) الجاري حزمة عقوبات جديدة على ميليشيا حزب الله اللبناني، تضمنتها ثلاثة مشروعات قوانين، استهدفت الأنشطة السياسية والاقتصادية والعسكرية للحزب، إلى جانب علاقاته الخارجية.

وبالنظر في مضمون هذه التشريعات التي تفرض عقوبات شاملة على حزب الله؛ فإن التقديرات تشير إلى أنها تنسجم مع طبيعة الأدوار التي يمارسها الحزب في المنطقة؛ خاصة في كل من سوريا والعراق واليمن، والتي تنامت خلال السنوات الأخيرة في ضوء ما تشهده تلك البلاد من صراعات مسلحة، ساهم الحزب في تفاقمها لتحقيق أهداف السياسة التي تتبناها إيران.

- **اهتمام خاص:**

وقد اكتسب هذا الملف تحديدًا اهتمامًا خاصًّا في المناقشات التي أجريت داخل لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس خلال الشهور الستة السابقة على إصدار التشريعات الجديدة، والتي تركزت حول ثلاثة محاور أساسية تتمثل في: علاقة الحزب بإيران، وسد الثغرات التي يستغلها الحزب في الالتفاف على العقوبات السابقة التي أقرت في عام (٢٠١٥)، والتهديد الذي يشكله الحزب وسلاحه وعلاقته مع إيران على مصالح واشنطن وحلفائها.

واللافت للنظر في هذه التشريعات هو: تركيزها على الأدوار الإقليمية المشبوهة للحزب، ففي السابق كانت العقوبات ذات الطابع الاقتصادي تركز على عمليات التجارة غير المشروعة مثل: شبكة تجارة المخدرات، وعمليات غسيل الأموال عبر بعض الدول.

لكن العقوبات الحالية تركز على الأنشطة المتعلقة بأدوار الحزب في الصراعات التي تشهدها بعض الدول، وتعمده اتخاذ بعض المدنيين دروعًا بشرية.

وبالطبع؛ فإن ما يزيد من أهمية تلك التشريعات هو: أنها حظيت بتوافق الحزبين الجمهوري والديمقراطي في الكونجرس، وهو ما يمكن أن يمثل مقدمة لاستمرار تلك الآلية في مواجهة إيران وتحالفاتها الإقليمية؛ خاصة مع اتجاه إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى وضع استراتيجية جديدة لمواجهة التهديدات التي تفرضها التدخلات الإيرانية في المنطقة، بالتوازي مع السياسة الجديدة التي تتبعها تجاه الاتفاق النووي، والذي ترى أن إيران استغلته لدعم حضورها في المنطقة.

- **إجراءات متعددة:**

حرصت الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة الماضية، وقبيل إقرار العقوبات الأخيرة على شن حملة ضد النشاط الإرهابي للحزب وتهديداته المباشرة لمصالحها، فقبل أسبوعين من إصدار التشريعات الأخيرة رصدت وزارة الخارجية الأمريكية مكافآت مالية كبيرة تراوحت ما بين (٥ و٧) مليون دولار لمن يدلي بمعلومات عن فؤاد شكر وطلال حمية، المتهمين بالمشاركة في عمليات إرهابية استهدفت مصالح أمريكية عديدة، وهي المكافآت الأولى التي تعرضها الولايات المتحدة بخصوص أعضاء في الحزب منذ عشر سنوات.

كما جرى للمرة الأولى خلال فعاليات عديدة عرض مواد فيلمية للتذكير بالأنشطة الإرهابية التي شنها الحزب ضد الولايات المتحدة، بالتوازي مع توجيه اتهامات لرجل الأعمال قاسم تاج

الدين، في (٢٥ مارس ٢٠١٧)؛ والذي يعد أحد أبرز الكوادر التي يعتمد عليها الحزب، بسبب محاولاته التهرب من عقوبات تستهدفه.

- **توجه مختلف:**

تجنبت العقوبات الجديدة التي أصدرها الكونجرس ضد الحزب التركيز على الجانب الاقتصادي فقط، وهو ما يطرح دلالات عديدة يتمثل أبرزها في أن واشنطن باتت تتبنى رؤية مختلفة تجاه نشاط الحزب في ضوء الدور الذي يقوم به على الساحة الإقليمية؛ حيث أصبح يمتلك شبكة واسعة من الأنشطة المختلفة، وهو ما اقتضى توسيع نطاق العقوبات لتوائم طبيعتها الاستراتيجية المطلوبة لكبح نشاطاته.

وقد ركزت المناقشات التي جرت داخل الكونجرس الأمريكي واستغرقت نحو ستة أشهر على تعدد العقوبات لتشمل الأنشطة المختلفة للحزب، على كافة المستويات؛ فضلًا عن شبكات ودوائر الحزب وعلاقاته مع بعض الكيانات الاجتماعية والإعلامية؛ والتي ينظر إليها على أنها مجرد واجهات استخدمها للالتفاف على العقوبات السابقة التي فرضت ضده عام (٢٠١٥)، إلى جانب الشخصيات والكيانات التي تدعم الحزب أو تتعامل معه، وهو ما يعني: أن تحالفات الحزب الداخلية باتت هي الأخرى تحت تأثير هذه العقوبات.

وبدا لافتًا أن النواب الذين طرحوا المشروعات الخاصة بهذه العقوبات ركزوا على بعض القضايا المهمة، مثل: تعمد الحزب الزج بالمدنيين في الحروب التي يخوضها لصالح إيران في كل من العراق وسوريا واليمن، وهو مدخل يحتمل أن يمهد لصدور عقوبات أخرى ضد الحزب في العديد من المؤسسات الحقوقية الدولية التي يمكن أن تركز على التداعيات السلبية التي تنتجها الأنشطة التي يقوم بها الحزب على الساحتين الداخلية والإقليمية.

كما تسعى الولايات المتحدة في هذا السياق -أيضًا- إلى إقناع الدول الأوروبية بفرض عقوبات على الحزب بشكل يمكن أن يؤثر على مسار العلاقات مع إيران؛ التي ما زالت تعول على المواقف الأوروبية تجاه السياسة الجديدة التي تنتهجها إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إزاء الاتفاق النووي تحديدًا؛ الذي ترى أنه لا يفرض قيودًا شديدة على البرنامج النووي الإيراني، وأن إيران «تنتهك روحه» بشكل مستمر، في ظل تعمدها إجراء مزيد من التجارب الخاصة بالصواريخ الباليستية ودعم الإرهاب.

فضلًا عن ذلك؛ فإن العقوبات الجديدة تهدف -أيضًا- إلى مواجهة الدعم الإيراني المستمر للحزب؛ حيث تشير كثير من التقديرات إلى المعاملات المالية التي تجري بين طهران والحزب والتي تتم عبر «الحقائب المالية»، وهو ما يمكن أن يمثل مقدمة لفرض قيود شديدة على التحركات العابرة للحدود التي تقوم بها إيران للحفاظ على نفوذها داخل بعض الدول، وتأسيس ممر استراتيجي يصل بينها وبين حلفائها، وهي التحركات التي باتت تثير قلقًا خاصًّا من جانب العديد من القوى الدولية المعنية بأزمات المنطقة.

وعلى ضوء ذلك؛ يمكن القول في النهاية: إن العقوبات الجديدة التي فرضها الكونجرس الأمريكي على حزب الله تؤسس لمرحلة مختلفة، سوف تتجه فيها العديد من القوى الدولية إلى بذل مزيد من الجهود من أجل مواجهة الأنشطة التي يقوم بها الحزب، والتي يسعى من خلالها إلى دعم الدور الإقليمي الإيراني؛ الذي ساهم في تصاعد حدة الاضطرابات وعدم الاستقرار، ودعم التنظيمات الإرهابية المختلفة.

من يكتب تاريخ البحرين؟!

إبراهيم الشيخ- صوت الخليج، ٢٠١٧/١١/١٤

وأنا أقرأ تغطية إصدار كتاب المشير «خليفة بن أحمد السيرة والمسيرة»، قفز إلى ذهني سؤال خطير لا يزال يراودني منذ دراسة الماجستير في العام (٢٠٠٥) وحتى إتمام الحصول على شهادة الدكتوراه في (٢٠١٢): **من يكتب تاريخ البحرين اليوم؟!**

سبب ذلك السؤال أوردته في عدة مقالات قبل سنوات، وكانت تتحدث عن عملية تزوير وتشويه كبيرة يتعرض لها تاريخنا الوطني هناك في الغرب.

إصدارات تتعمد تزوير وتغيير كل شيء: المكان والزمان، والأسماء والأحداث، تُصرف عليها الأموال الطائلة وتودع في مكتبات الجامعات الغربية والسفارات الأجنبية الخارجية ومنظمات دولية لا حصر لها، جميعها تتبنى وجهة نظر مغلوطة ومشوّهة، وتتعمد إظهار المعلومات والأرقام والأحداث المزورة لتاريخ البحرين السياسي القديم والحديث.

من يكتب تاريخ البحرين اليوم هم: بعض المؤرخين الذين يتعاملون مع التاريخ كجزء من (حرب طائفية) بين السنة والشيعة في المنطقة، مهمتها إثبات نظرية انتماء الوطن لفئة معينة، وأن الآخرين طارئون عليه!

لو بحثتم في موقع البيع العالمي «أمازون» لوجدتم إصدارات عديدة لموقع «مرآة البحرين»؛ الذي يدار من لندن ولبنان، يتحدث عن أحداث البحرين ولكن بصورة طائفية؛ ينشر ما يريد ويحجب ما يريد! بحسب ما يطلبه «المعزّب» في الضاحية أو في قمّ.

الحكاية لا تنتهي عند تلك الإصدارات، فنشرها هي وغيرها يتم بطريقة ممنهجة، بهدف تعويم المعلومات والأرقام الأصلية والحقيقية.

كل ذلك يقابله إهمال وصمت غريب من الجهات الرسمية داخليًّا وخارجيًّا؛ التي أصبحت لا تُقدّر حجم الأضرار التاريخية والكارثة العلمية والأدبية التي يتعرض لها الوطن.

كل ذلك يقابله دعم غير جدي لعدد من المؤلفين البحرينيين المهتمين في هذا الميدان، والذين يفترض أن يفرّغوا رسميًّا، وتوفّر لهم كل سبل الدعم البحثية والمادية للوصول إلى المعلومات وتصنيفها، ومن ثم الخروج بإصدارات ممنهجة، تغطي جميع الجوانب التاريخية التي طالها التشويه والتزوير، وصولًا إلى نشرها واستبدال المزورة منها بالحقيقية.

أحسب أن مركز الاتصال الوطني لديه أقسام بإمكانها أن تغطي ذلك الجانب؛ من بحوث وكتب منشورة يجب استبدالها، وتوفير بدائل عديدة لها، تتناول المعلومات والأرقام بطريقة علمية دقيقة وممنهجة.

لدينا جهات ومراكز أخرى في الدولة، مثل: مركز الشيخ عيسى الثقافي، ومركز البحرين للدراسات الاستراتيجية والدولية والطاقة، ومراكز خاصة مثل: مركز الشيخ إبراهيم للثقافة والبحوث، وربما غيرهم كثير.

نرجو من تلك الجهات وبالتعاون مع جامعة البحرين عبر عدد من الكفاءات الأكاديمية المؤهلة والمتميزة في الدراسات التاريخية أن تنهض في هذا المجال، وأن تسجل حضورها لتسد هذه الثغرة الخطيرة؛ التي من خلالها باتت تُكتب البحوث والتغطيات والتقارير الإعلامية والحقوقية التي تطعن في مملكتنا العزيزة.

برودكاست: قيل إن «المنتصر يكتب التاريخ»، ونحن نقول: إن البحرين التي خاضت -ولا تزال- معارك السيادة داخليًّا، وحماية ظهر الأمة من تغوّل إيراني مُعلن إقليميًّا؛ هي من يُفترض أن تكتب تاريخها الذي يُنشر في الغرب، لا أن نتهاون في ذلك الملف الخطير! لتفاجأ الأجيال القادمة بأن هناك تزويرًا كبيرًا قد طال تاريخ هذا الوطن، لن يغفره لنا التاريخ ولا الأجيال اللاحقة!

الأردن وإيران: أين المشكلة؟!

د. محمد أبو رمان- الغد، ٢٠١٧/١١/٩

لم يُضف كثيرًا الباحث الإيراني المخضرم محمد مهتدي -الباحث في مركز دراسات الشرق الأوسط، القريب من وزارة الخارجية الإيرانية- عمّا هو معروف من الخطاب الإيراني الأيديولوجي عن العداء لأميركا، ولإسرائيل، والوحدة الإسلامية.

لكن هذه القضايا التي حاول التركيز عليها لم يشترها الحاضرون؛ الذين رأوا في دور إيران في المنطقة إشعالًا للنزعة الطائفية، وهيمنة على عواصم عربية، وتأجيجًا للنزعة الراديكالية.

تلك التعليقات النقدية الساخنة -خلال الندوة التي نظمها مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية أول من أمس بعنوان: (المنظور الاستراتيجي الإيراني تجاه الشرق الأوسط)- استفزت المحاضر؛ فعبّر في نقاشاته التالية عن سخريته من محاولة العرب تحميل الآخرين مسؤولية ما يحدث في منطقتهم! وتساءل فيما لو كانت إيران غير موجودة في المنطقة العربية هل سيكون الوضع أفضل؟!

وعن دور إيران في العراق وسورية؛ أجاب بأنّها حمت بغداد من الوقوع في يد داعش، وحافظت على سلامة أراضي سورية، وساعدت حزب الله في مواجهة عدوان إسرائيلي، ولم تضع جنديًّا واحدًا في اليمن، بينما إسرائيل وصلت إلى باب المندب من بوابة أفريقيا، ولم يعترض أحد من العرب على ذلك!

مهتدي طالب الحضور -ضمنيًّا- بالتركيز على العلاقات الثنائية الأردنية-الإيرانية، بدلًا من الدخول في جدل غير مُجدٍ عن الدور الإقليمي الإيراني والسياسات المتّبعة في العراق وسورية ولبنان واليمن، لأنّ هنالك مصالح مشتركة عديدة بين الأردن وإيران، يجدر البناء عليها، مع عدم وجود سبب لهذا التباعد بين الدولتين.

بالرغم من أنّ المصالح الوطنية الأردنية متشابكة عضويًّا مع الاستقرار الإقليمي في المنطقة، وبالتالي لا يمكن فصل الدور الإقليمي الإيراني عن العلاقات الثنائية؛ إلاّ أنّ الدكتور مصطفى حمارنة -رئيس المجلس الاقتصادي الاجتماعي- كان قد قدّم مقاربة متماسكة وصلبة (في تعقيبه على مهتدي)، تناول فيها الجهود التي بُذلت أردنيًّا خلال العقود الماضية لبناء جسور تواصل وحسن نيّة مع طهران، بما في ذلك معلومات مهمة فاجأت الحضور أنفسهم، ثم في كل مرّة يتم اكتشاف بعض التفاصيل المرتبطة بالسلوك الإيراني، ما يعيد الأمور إلى المربع الأول!

حمارنة في مداخلته -وأيّدته في ذلك السفيرة والوزير السابقة المثقفة علياء بوران- لم يُخفِ أنّ هنالك عاملًا أميركيًّا اليوم يدخل في مسار بناء العلاقة بين الدولتين (وما لم يذكره أنّ عاملًا سعوديًّا وخليجيًّا أصبح مهمًّا أيضًا)، لكنّه أشار إلى أنّ إيران نفسها تصعّب المهمة على الأردن؛ من خلال سلوكها السابق، ومن خلال ما تقوم به في المنطقة من ممارسات؛ بخاصة في حقبة ما بعد

الربيع العربي، وهي ممارسات تنظر لها نسبة كبيرة من الشارع العربي بوصفها خطرًا كبيرًا، ما أدى إلى تحولات جوهرية في موقف الشارع العربي من إيران خلال الأعوام الأخيرة.

مع ذلك؛ لم يغلق حمارنة الباب على تطوير العلاقات الأردنية - الإيرانية؛ وحتى العربية، لكنّه طالب إيران ببناء خطوات تظهر «حسن نيّة»، في مواجهة أزمة الثقة الكبيرة والعميقة الراهنة، ومن ذلك إمكانية أن تعرض إيران - مثلًا - سلاح حزب الله كورقة من أوراق القوة في جعبة المفاوض العربي مع إسرائيل، في المرحلة القادمة، وكجزء من الصفقة الممكنة لحل القضية الفلسطينية.

حمارنة ذكر بأنّ نزع سلاح حزب الله قد يؤدي إلى حرب قادمة في المنطقة، وهو مطلب أميركي وغربي، فلماذا لا تسحب إيران هذه الذرائع بربطه بالقضية الفلسطينية؟!

في المحصلة: الندوة المهمة في المركز كشفت عن ضرورة فتح مجال أوسع لحوار استراتيجي وعميق لاستكشاف الأرض المشتركة ونقاط الخلاف في العلاقة الأردنية - الإيرانية.

بوتين!! من أين لك هذه الجرأة؟

عاكف بكي- صحيفة قرار، ترجمة وتحرير ترك برس، ٢٠١٧/١١/٥

رغم معرفتها المسبقة بموقف أنقرة الحساس وجهت روسيا الدعوة إلى حزب الاتحاد الديمقراطي للجلوس إلى طاولة الحل في سوريا.

وفي الواقع؛ يُقال: إن موسكو تراجعت عن خطوتها أمام رد الفعل التركي، وإن المشكلة تم حلها، ولن يجلس الحزب إلى طاولة المفاوضات.

ومع ذلك؛ لم يتأكد بعد فيما إذا كان الحزب سيشارك في مؤتمر شعوب سوريا، أي: فيما إذا كانت الدعوة قد سُحبت أم لا؟!

ومع أن هناك تأكيد رسمي مع الجانب الروسي، لكن ذلك لا يغير الحقيقة؛ فبوتين يلعب على راحته، ولا يتورع عن إزعاج أنقرة.

وإذا سألتم من أين له هذه الجرأة...

من الواضح أنه يستمدها من صعود تيار أوراسيا، مع تزايد شدة الموجة المناهضة لأمريكا وحلف الناتو أولًا، ومن استغلال تدهور العلاقات التركية مع الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة ثانيًا.

فإذا كان الأمر كذلك؛ لنفكر مرة أخرى بالأسئلة التالية:

هل من المفاجئ تجاهل روسيا مواقفنا من مكافحة الإرهاب؟

ألا يعلم الساسة الروس أن قادة حزب العمال الكردستاني في قنديل يضعون خطط التقدم عبر عفرين، والسيطرة على إدلب من أجل الوصول إلى البحر المتوسط، وأن أنقرة تعتبر هذه الخطط مشروعًا لفتح ممر إرهابي، وهو ما يشكل خطرًا على أمننا القومي؟

ألا يقول الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في كل مناسبة أننا دخلنا إدلب للحيلولة دون تنفيذ الخطط المذكورة، وأننا نقيم تعاونًا مع روسيا في هذا الخصوص؟

ألا تعلم روسيا أنها تدوس على جراحنا؟ من غير الممكن ألا تعلم.

إذا قلتم: إن روسيا لا تلعب على حبلين، ولا تتعامل مع الجانبين في الوقت نفسه؛ فانظروا إلى نظافة سجلها!:

- **رغم ضغوط تركيا الشديدة** لم تتخل روسيا عن حماية حزب الاتحاد الديمقراطي، ولم تغلق مكتبه في موسكو؟
- **ذات يوم، وضع جنرال روسي** شارة حزب الاتحاد الديمقراطي على بزته العسكرية، والتقط الصور مع عناصر الحزب.

■ **وذات يوم آخر، قطعت روسيا** الطريق أمام عملية درع الفرات من أجل وقف تقدم القوات التركية نحو مواقع حزب الاتحاد الديمقراطي، ووضعت الحزب تحت حمايتها؛ برفع علمها في المناطق التي يسيطر عليها.

بمعنى: أن روسيا لم تتصرف بشكل مختلف عن الولايات المتحدة في حماية ذراع حزب العمال الكردستاني في سوريا؛ رغم اعتباره «تنظيمًا إرهابيًّا» من جانب أنقرة.

فإذا لم تكن روسيا حليفًا صادقًا ومأمون الجانب أكثر من أمريكا؛ لماذا نعتمد على بوتين في قضاء حوائجنا؟

إذا كنا سنحك جلدنا بأظافرنا؛ فإن التحرك بشكل مستقل عن الولايات المتحدة لا يكفي، أليس من الضروري -أيضًا- أن لا نكون مرتبطين بروسيا؟

سموها ما شئتم؛ سواء أكانت قوى مهيمنة، أم قوى عظمى! لا يبدو هناك طريق آخر غير اتباع سياسة متوازنة بين البلدين.

وإذا كان الابتعاد عن الحلف الأطلسي سيتحول إلى تبعية للحلف الأوراسي؛ فإن بوتين سيلعب على راحته هكذا..

يحيى الحوثي... محاضرًا!

محمد جميح- المصدر أون لاين، ٢٠١٧/١٠/٢٨

ما كدنا نخلص من خزعبلات الوزير الجهبذ حسن زيد -وزير الشباب والرياضة في حكومة الانقلاب- عن ضرورة إغلاق المدارس، وإرسال الطلبة والمعلمين إلى جبهات القتال؛ لإحراز النصر خلال عام واحد ضد العدوان السعودي.. حتى طالعنا الوزير النحرير يحيى الحوثي -وزير التربية والتعليم في حكومة الكهنوت- باكتشاف علمي وتاريخي ليس له نظير!!

وزير التربية، أو وزير الغفلة! الوزير المؤدلج، الجاهل بالتاريخ! والذي يحاول أن يتصنع الوقار ويتصنع أساليب المحاضرة وإلقاء الدروس، الوزير الذي يبدو عليه التكلف في تقمص شخصية أخيه حسين، كما يبدو التكلف على أخيه عبد الملك وهو يقلد أساليب سيده حسن حزب الله، الوزير الذي قال يومًا أن «صرخة» جماعته مجرد شعار، «والحمد لله هذيك أمريكا وهذيك إسرائيل ما وقع لهم شيء».

الوزير الذي قال لي يومًا: «القرآن نزل في بيتنا، والإسلام خرج من بيتنا»! هذا (العلامة الفهامة!) يُطل علينا من قناة المسيرة القرآنية بمحاضرة قرآنية، فيها اكتشافات تاريخية مذهلة!

يحيى الحوثي يحاضر في قناة المسيرة! ما رأيكم في خبر بهذا العنوان؟ أو لنقل ما رأيكم بكتاب يرصد إنجازات وزير الغفلة، وليكن عنوان الكتاب: «يحيى الحوثي... محاضرًا»! أظن هذا أفضل! لإحاطة الأجيال بجوانب من شخصية بديع الزمان، ورب الفصاحة والبيان!

المهم... كشف الوزير الألمعي في محاضرته التي بثتها قناة المسيرة أن نور الدين زنكي التركي الأصل هو عّم صلاح الدين الأيوبي الكردي الأصل! وما عليكم إلا أن تحلوا هذا اللغز العويص!

لا تسخروا أرجوكم من هذا الفلتة! قبل أن تسمعوه وهو يرى أن كلًّا من صلاح الدين الأيوبي ونور الدين زنكي من المماليك!

لا تستغربوا... أنتم في مقام الهيبة الحوثية، والتجليات اللدنية، وفي حضرة علامة عصره يحيى بن بدر الدين الحوثي! الذي يمضي قائلًا: «إن العالم الإسلامي -ما عدا اليمن- منذ أواسط القرن الخامس الهجري وإلى أواسط القرن الرابع عشر الهجري كان

محكومًا بثقافة دولة المماليك، (الذين كانوا يباعون ويشترون)، الدولة التي «أولها صلاح الدين الأيوبي، وعمه نور الدين إلى آخر والٍ تركي في اليمن، وفي غير اليمن»؛ حسب قوله.

طبعًا نجا اليمن من حكم المماليك؛ حسب رأي «كِيْس الحكمة»، و«صُرَّة الأسرار» يحيى الحوثي، لأن الأئمة كانوا حكامًا لليمن آنذاك!

يريد هذا المنسل من تجاعيد الخرافة أن يقول: إن الفضل في ذلك يعود للأئمة الأحرار الذين حافظوا على اليمن من حكم المماليك العبيد، معيرًا إياهم بأنهم تعرضوا للبيع والشراء والسبي.

دعونا نُذكّر يحيى الحوثي أن هذا المعيار غير سليم في الحكم على الأمم والأعراق، وأنه ليس من صالحه، ولا من صالح السلاليين أمثاله! لأن مراجعه التاريخية تقول: إن جَدَّة الأئمة من نسل الإمام الحسين سبية فارسية، أهديت إليه، وإن جدة الأئمة من نسل الإمام زيد جارية هندية، اشتراها المختار الثقفي، وأهداها للإمام علي بن الحسين؛ الذي أنجب منها زيدًا ﷺ، وأن من أئمة اليمن من هم من أمهات مسبيات؛ كما لدى بعض أولاد عبد الله بن حمزة، وغير ذلك الكثير.

مما يمكن أن يؤكد أننا في اليمن كنا ضمن حكم الأئمة المماليك؛ بشكل أو بآخر، حسب تنميطات هذا الوزير الذي عششت في عقله خفافيش الظلام!

يُفترض أن يحيى الحوثي وزير تربية وتعليم، وأن مهنته: زرع ثقافة المواطنة المتساوية بين المواطنين اليوم، بدلًا من الخوض في التاريخ بنَفَس عنصري يرتد إلى نحره هو قبل غيره!

ثم كيف نكون محظوظين بحكم الجلاد الكهنوتي عبد الله بن حمزة، ولا يكون غيرنا محظوظًا بحكم عَلَم تاريخي عظيم مثل القائد المملوكي محمود قطز، قائد معركة التحرر من التتار في عين جالوت؛ التي تعد إحدى أشهر معارك التاريخ!؟

ما علينا... يمضي «آية الله الجديد» يحيى الحوثي ليفضح نفسه ومعلوماته التاريخية في الخلط بين المماليك والأيوبيين والأتراك، يقول: «إن المسلمين حُكِموا بثقافة هي من مخلفات دولة المماليك للأسف» الذين قال: أن منهم صلاح الدين الأيوبي وعمه نور الدين، في فلتة من فلتات الزمان لا يأتي بمثلها إلا مثل مولانا ابن بدر الدين!

بالطبع، وقبل أن نفيق من وقع الدهشة إزاء هذه الفتوحات الربانية! يقذف مولانا يحيى الحوثي بكشف إلهي آخر مذهل ومدهش، ولا يتأتى إلا لمن اتصل بالعلوم اللدنية من أضراب يحيى وحسين وأخيهم صاحب السرداب، يقول العارف الكبير يحيى بن بدر الدين: «إن الأتراك هم من دولة المماليك» في جهل فاضح بتاريخ الأعراق والقوميات!

ويضيف «داهية الزمان»: أن تسميات المدارس عندنا في اليمن هي تسميات «غالطة وظالمة»، لأنها من «مخلفات ثقافة المماليك، وهذا ظلم»؛ حسب قوله.

وهنا دعوني أدعو إلى تغيير اسم «مدرسة صلاح الدين الأيوبي» إلى اسم جديد؛ كأن نسميها «مدرسة أحمد يا جِنَّاه» على سبيل المثال!

الجميل في المشهد صورة الأكاديميين والتربويين الكبار الذين قعدوا على مقاعد الدراسة يصغون للكشف العظيم الذي ساقه الله على لسان أستاذهم، وحيد دهره وفريد عصره! وهو يكتشف أن صلاح الدين يمثل أول دولة المماليك، مع أن طلاب المرحلة الإعدادية يعرفون أن صلاح الدين هو مؤسس دولة الأيوبين في العصر الإسلامي الوسيط.

ولكي يوحي الحوثي على طريقة الكهنوتيين المعروفة بأنه «البحر الزخار» طلب الوزير النحرير من التربويين الذين يحاضرهم أن يراجعوا تاريخ دولة المماليك، الذي أجزم أنه لم يطلع عليه؛ كما يحاول الإيحاء.

يا أخي بالله عليك! افتح لك معلامة في ضحيان لتواصل خزعبلاتك على أطفالها بدلًا من فضائحك على قناة فضائية، جعلت منك لعبة أطفال!

يا أخي! سِرْ أعرض عمامتك الكبيرة على الأطفال المبهورين بحجمها، لا على الكبار الذين يرون حجم ما تحتها.

حرام عليك والله!!...

يا ناس: قولوا لهذا «المعلب الدماغ»: إن نور الدين زنكي ليس عّم صلاح الدين، وإن الأول تركي، فيما الآخر كردي الأصل.

وقولوا لهذا «الفقيه المؤدلج»: إن نور الدين وصلاح الدين ليسا من دولة المماليك.

يا قوم! قولوا له: إن العثمانيين الأتراك غير المماليك.

أرجوكم! بلغوه كي يُعد لمحاضرته جيدًا قبل أن يطل على شاشة فضحت جهله وتخلفه ورجعيته وكهنوته!

قولوا لهذا الذي لا يرى أبعد من حدود صفحات ملازم أخيه، وأعمق من كتب صفراء لأبيه، هذا الذي لا يرى أبعد من أرنبة أنفه، والذي ظن نفسه بالفعل وزيرًا مثقفًا فوقع في مطبات قاتلة؛ فضحت جهله المركب ونفسيته المريضة، وعقليته المسطحة المنتمية إلى خرائب عهد عبد الله بن حمزة، **قولوا له:** أن يكتفي بحمل أختام وزارة التربية دون الخوض في مواضيع أكبر من عمره العقلي المفترض، مواضيع يمكن أن يصيبه فيها سهمه المرتد إلى صدره.

تُرى هل سمع هذا الذي «باضت العناكب في مؤخرة دماغه»! هل سمع عن محمود قطز، بطل وقائد معركة تحرير المشرق العربي من التتار في عين جالوت؟

هل قرأ هذا «المسطح المائي الآسن»! عن استبسال العرب تحت قيادة صلاح الدين ضد الغزاة الصليبيين في حطين؟

هذا تاريخ يدرس في هارفرد وأكسفورد وكيمبردج، وغيرها من الجامعات العالمية التي لا يعرفها يحيى الحوثي، ولا عصابته الرجعية!

هذا تاريخ لا يدرس في الشرق الأوسط وحسب، يا خريجي الملازم والكتب الصفراء!

لا والله! لن يُسلِّم شعبنا لظلاميكم وجهلكم وكذبكم ومحاولاتكم تقديس أنفسكم، وإطلاق سهامكم على تاريخ ترتد سهامه على صدوركم يا «كهنوت اليمن»! ويا «سلَّ صنعاء وجربها»! وأضحوكة الزمان ومسخرة التاريخ!!

التنمية.. سلاح لمحاصرة «داعش أفريقيا»

محمد مختار الفال- الحياة، ٢٠١٧/١١/١٥

التحركات الدولية والتفاهمات السياسية والعمليات العسكرية الميدانية والترتيبات الأمنية في المنطقة تشير إلى أن التنظيم الإرهابي داعش ومن يلتقي معه في الأفكار والأهداف والوسائل من المجموعات الفكرية والقتالية؛ مصيرهم الاجتثاث من العراق وسورية، والتضييق عليهم في الجيوب التي مازالوا يختبئون فيها باليمن وبعض مناطق الجزيرة العربية، فسرعة الأحداث في العراق، والتفاهمات السياسية بين دول المنطقة، والتنسيق مع الدول الكبرى في المؤتمرات واللقاءات السياسية؛ كلها إشارات لا تخطئها العين في هذا الاتجاه.

والدول في المشرق العربي -وخصوصًا السعودية- اكتسبت من الخبرة الأمنية والتجربة الفكرية والممارسة الإعلامية ما يجعلها قادرة على التخلص من مقاتلي هذه المنظمات الإرهابية، وملاحقة حواضنها، ومطاردة فلولها، ومحاربة الأفكار المغذية لها في المناهج والمنابر والمؤسسات الثقافية، حتى وإن كان هذا سيأخذ وقتًا لكن النهاية تكاد تكون معروفة سلفًا؛ على رغم أن قضايا التطرف وأعمال العنف تتشكل في مظاهر مختلفة، وتنطلق من بواعث متباينة؛ بحسب المنطقة والظروف الاقتصادية والسياسية والدينية.

وما نشاهده من تقارب سعودي - عراقي، واتجاه جميع الفرقاء في سورية إلى الاقتناع بضرورة «حل المشكلة»، بغض النظر عن تفاصيل ذلك الحل وحسابات المكاسب والخسائر؛ يدفع باتجاه الاعتقاد أن العد التنازلي بدأ لطي صفحة مرحلة بالغة التعقيد، اختلطت فيها خيوط الإرهاب بالأطماع الإقليمية بصراع الهيمنة الدولية.

ويدعم هذا التصور حديث رئيس وزراء العراق حول ضرورة بناء دولة المؤسسات والعدل، وتنظيم الانتخابات على أساس «قوائم وطنية» تلغي القوائم الطائفية والدينية؛ التي أدت إلى تقسيم البلاد وتمزيق النسيج الاجتماعي، وكلها مؤشرات على العمل الجاد لتخليص العراق من الهيمنة الخارجية؛ وإن كان ذلك ليس بالأمر الهين، فالجميع يعرف أين وصل التغلغل الإيراني في الحياة السياسية العراقية، وتوظيف ذلك الحضور والتأثير في الصراع الإقليمي.

والسعودية، صاحبة التجربة المميزة في محاربة الإرهاب، والخبرة المتراكمة في التعامل مع المجموعات القتالية، وقدرتها على الانتقال من موقع إلى آخر؛ تدرك مخاطر إتاحة الفرصة لتلك الأفكار للانتقال إلى بيئات أخرى حاضنة لنشاطها، وتسمح لها بترتيب أوراقها وتجديد عملياتها، ولهذا بادرت -منذ فترة- إلى دعوة الأفارقة إلى ضرورة التعاون لمواجهة هذا التحدي، وعملت على تأسيس التحالف الإسلامي لمحاربة الإرهاب، وهو تحالف يضم أكثر من (٤٠) دولة، معظمها في أفريقيا.

وهذا التحالف -الذي تقوده السعودية- قام على قناعة بأن الجهود المنفردة -مهما كانت قوتها- لا يمكنها مواجهة الإرهاب واجتثاث جذوره؛ وخصوصًا إذا أدرك الجميع أنه يجد أرضًا خصبة في البيئات المحرومة، ضعيفة التنمية؛ التي يتعلق شبابها بأي شعار يتوهمون أنه سبيلهم للخروج من حال الحيرة التي يعيشون فيها.

ويذهب كثير من المهتمين بقضايا الإرهاب، ودراسة واقع البيئات المرشحة لاستقبال عنصر المجموعات القتالية الفارة من منطقة الشرق الأوسط إلى أن أفريقيا قابلة لأن تكون «مسرحًا» مستهدفًا من المجموعات الإرهابية والخارجين على القانون، بعد أن ضاقت عليهم المناطق التي انسحبوا أو طردوا منها؛ فالحركات المتطرفة تستغل هشاشة الأمن، والنزاعات العرقية، وفشل التنمية، وسوء توزيع الثروات في القارة لتشعل فتيل النعرات الطائفية والعرقية والإثنية.

وأفريقيا قد تكون «بيئة جاذبة» لهؤلاء المقاتلين، بعد أن تحكمت طالبان في النشاط المقاوم للدولة في أفغانستان، ولا تقبل أن تشاركها أي حركة لا تنضوي تحت لوائها، وهو الأمر الذي لا يفضله قادة «داعش»؛ الذين استطاعوا أن يجدوا لهم مناصرين معجبين بشراستهم ودمويتهم.

وأفريقيا «الهشة»، بمكوناتها البشرية وصراعاتها العرقية ومشكلاتها التنموية ستكون «هدفًا» محتملًا لانزياح بقايا

الإرهابيين إليها؛ لاسيما أن لهم مواقع أقدام في أكثر من موقع فيها (شمال مالي ونيجيريا وشرق القارة)، وإذا لم يبادر العالم إلى معالجة الأسباب فإن الأمر سيستفحل، وتستغله أطراف إقليمية ودولية؛ لاستمرار هدر الطاقات، وتبديد الأموال.

وقد أثبتت التجارب الواقعية أن مواجهة الإرهاب لا تتم بصورة ناجعة إلا إذا تصدى له تحالف دولي يحاصره؛ ماليًّا وعسكريًّا وأمنيًّا وثقافيًّا، في إطار من قوانين تساعد على ملاحقة أهله ومن يناصرهم أو يتعاطف معهم، ويعمل على معالجة الأسباب التي تدفع الشباب إلى الوقوع في أحضان المنظمات والمجموعات الإرهابية.

وما نشاهده من قوافل الهجرات غير الشرعية إلى أوروبا عبر البحر المتوسط تعبيرٌ عن مشكل تنموي جعل أولئك الشباب يرمون بأنفسهم إلى الموت في البحر، وهناك ملايين مثلهم لن يترددوا في مواجهة الموت إذا وفّر لهم «داعش» وأمثاله العيش.

ومن هنا؛ تصبح مواجهة الإرهاب في أفريقيا معقدة مركبة، فيها السياسي، والقانوني، والتنموي، ومواجهة هذه القضية تتطلب تعاونًا دوليًّا لا يقتصر على الدول بل تسهم فيه الهيئات والمنظمات الدولية العاملة في مجال التنمية والمساعدات الإنسانية ضمن منظومة تشمل: الأمن، والاقتصاد، والتنمية، والتعليم الديني، والوعي الثقافي، وإزالة الفوارق، وتنمية الريف؛ لتخفيف الضغط على المدن المكتظة سيئة الخدمات بل معدومة الخدمات.

على الدول الكبرى - أوروبا بشكل خاص - أن تدرك حجم الخطر على أمنها وركائز ثقافتها ومبادئ نظمها السياسية وقيمها الاجتماعية؛ إذا استفحل الإرهاب في الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، وإذا لم تتحرك للتعاون مع الآخرين لمعالجة «جذور» المشكلة؛ فإن الخطر سيتعاظم، وتتسع رقعته، وتتعقد حلوله، وتصبح نتائجه كارثية، تمتد آثارها إلى دوائر أوسع.

وعلى الهيئات والمنظمات والمؤسسات التنموية الدولية والإقليمية مساندة جهود الدول لمواجهة الإرهاب؛ لأن العنف إذا تمدد واتسعت دائرته وتزايدت الأعداد المتأثرة به سيلحق الضرر بجهود تلك المؤسسات، ويضعف قدرتها على تنفيذ مشاريعها الهادفة إلى تحسين معيشة المجتمعات النامية، ومساندة الدول على تنفيذ برامجها وخططها التنموية، وسيدفع إلى تراجع حضورها وسعيها لتمكين المجتمعات.

والخلاصة: بعض البيئات الأفريقية مرشحة لأن تكون حاضنة للمجموعات الإرهابية الفارة من الشرق الأوسط، ومبادرة المجتمع الدولي (دول ومنظمات دولية ومؤسسات تنموية) إلى التعاون لتحسين حياة الأفارقة ستكون عاملًا فعالًا في «تفويت» الفرصة على الإرهابيين.

معالجة أسباب احتضان الإرهاب يجفف منابعه، ويقصر من عمره.

العودة إلى ما بعد اغتيال الحريري وما قبل حرب (٢٠٠٦): سلاح حزب الله

علي الأمين =موقع جنوبية، ٢٠١٧/١١/١٧

الأزمة السياسية بدأت الآن.. هكذا عبّر الرئيس نبيه بري عن واقع الحال في لبنان مع طي الجدل حول عودة الرئيس سعد الحريري من السعودية إلى لبنان بعد فرنسا، وهذا يعني بالضرورة: أنّ التسوية التي قامت في لبنان انتهت، ليبدأ النقاش في تعديلها أو الدخول في مسار تصعيدي على وقع ما يجري في المنطقة.

لقد نجح حزب الله من خلال التسوية التي أتت بالرئيس ميشال عون إلى قصر بعبدا في تحييد سلاحه عن الجدل السياسي الداخلي، وكان الرئيس سعد الحريري متجاوبًا مع هذا المطلب،

وهو ما وفر لحزب الله فرصة السيطرة على قرار لبنان الاستراتيجي؛ حتى في قتال تنظيم داعش على الأراضي اللبنانية من قبل الجيش اللبناني قبل شهرين، فرض حزب الله التسوية مع هذا التنظيم الذي نقل مقاتليه إلى خارج لبنان بإشرافه، في تصرف عسكري وسياسي كشف أنّه هو الذي يقرر وليس الحكومة ولا الجيش اللبناني؛ حتى في معركة يخوضها الجيش نفسه.

عملية التدجين التي مارسها حزب الله ضد القوى السياسية؛ لا سيما ما كان يسمى: «قوى ١٤ آذار» تمت من خلال مشاركتها في الحكومة، وتواطئها مع سلاح حزب الله، واستسلام معظم أطرافها للفساد والمحاصصة، وعبر رئيس الجمهورية - أيضًا - الذي وفر لحزب الله المزيد من السكوت على سلاحه ودوره الخارجي، بل إغلاق كل النوافذ التي تبرر البحث في هذا السلاح ومستقبله؛ من خلال ربطه بحل قضية الشرق الأوسط.

من هنا جاءت استقالة سعد الحريري الطوعية، أو بإيحاء سعودي - لا فرق -؛ لتفرض إعادة ترتيب جدول الأولويات، فوضعت سلاح حزب الله -على ما يبدو- في رأس القائمة السياسية في لبنان؛ من خلال مطلب النأي بالنفس الذي سيكون شرط أيّ حكومة متوازنة في لبنان.

علمًا أنّ الاستقالة وما سيليها سيعيد النقاش إلى المربع، أي: إلى عشية حرب العام (٢٠٠٦)؛ التي وفرت لحزب الله التمسك بالسلاح، وشجعت تمدده نحو الخارج بعد أن رسخه اتفاق الدوحة عام (٢٠٠٨).

حزب الله لن يستجيب، وسيحاول الالتفاف على هذا المطلب بمزيد من إغراق البلد في تناقضات تغيب طرح موضوع سلاحه، أو باستخدام سطوة السلاح لفرض ما يريد، ويستند حزب الله إلى أنّ إيران في وضع مرتاح نسبيًّا في سوريا وفي العراق، وليست في وارد تقديم أيّ تنازل للسعودية في اليمن؛ كما عبر أكثر من مسؤول إيراني حين أحال هذه المسألة إلى أنّها عدوان سعودي على اليمن، وأنّها هي المعنية بإنهاء الحرب عبر وقف عدوانها.

وضع سلاح حزب الله على الطاولة تكمن أهميته في أنّه يفرض -أيضًا- المواضيع الأساسية والوطنية على الطاولة، فلبنان إلى مزيد من التدهور السياسي والاقتصادي، والدولة فيه تفقد العديد من ميزاتها في محيطها العربي والدولي، والعالم يدرك أنّ السلطة في لبنان هي بيد حزب الله؛ وبالتالي إيران، وهذا ما ليس مقبولًا لدى الأوروبيين والعرب والأميركيين؛ فضلا عن أكثر من نصف اللبنانيين؛ وإن اختلفت ردود الفعل ووتيرة المواقف والخطوات بين هذه الدول.

طرح المواضيع الأساسية على الطاولة سيفرض البت بمفهوم الدولة، والوطن، والسيادة، وعلاقات لبنان الخارجية، وأي دور للبنان في محيطه؛ من خلال نقاش مستقبل سلاح حزب الله، وعلاقته بهذه الأسس.

أما وتيرة التصعيد المتوقعة من السعودية ضد لبنان؛ فيرى بعض المراقبين أنّها ستفتح نقاشًا جديًّا داخل النخبة المسيحية، يتصل بكيفية حماية نظام المصالح اللبناني، والأرجح أنّ الساحة المسيحية ستشهد انقسامًا بين تيار يمثله الرئيس عون؛ من خلال ما عبّر عنه من مواقف ضد الرياض، وانسجامه الكامل مع حزب الله.

وفئة أخرى ستجهد للدفاع عن نظام مصالحها؛ الذي يرتبط باستمرار وتطور العلاقة السوية والطبيعية مع دول الخليج، علمًا أنّ إيران ليس لديها أيّ قوة ضغط على هذا الصعيد الاقتصادي والمالي والاجتماعي، بسبب ضآلة نظام المصالح بين الدولتين وهامشيته مع المسيحيين.

من هنا؛ يمكن ملاحظة معنى جولة وزير الخارجية جبران باسيل في أوروبا أنها تأتي في سياق القول: أنّ موقف الرئيس عون له سند أوروبي وليس إيراني فحسب.

لكن مع طي صفحة عودة الحريري سيعود النقاش إلى الجوهر؛ ففرنسا التي لا تريد ربما أن تكون على الموجة السعودية تمامًا، إلاّ أنّ الفرنسيين أنفسهم هم من تحدثوا في اليومين الماضيين عن عقوبات على إيران بسبب الصواريخ البالستية، وهم ليسوا في وارد تغطية سلاح حزب الله.

فالهدف واحد مع أقرانهم في الرياض وفي واشنطن، لكن يختلفون في الأدوات لتحقيق الهدف؛ إذ لا يجب أن ننسى أنّ لفرنسا دور أساسي في القرار (١٥٥٩) والقرار (١٧٠١) الدوليين، وهما قراران يرتكزان على نزع سلاح الميليشيات، ومن بينها: سلاح حزب الله.

كرة الثلج تكبر، ومحطة الجامعة العربية في القاهرة الأحد ستشكل مرحلة إضافية ومفصلية بعد استقالة الحريري، وستساهم في عودة النقاش إلى المربع الأول، آي: سلاح حزب الله.

ولكن هذا سيرتبط إلى حد كبير بكيفية تعامل الداخل اللبناني مع هذا التصعيد، وكيف ستكون المواقف الخارجية من الاصطفافات الداخلية، فيما المحافظة على التوازن سيجعل الطائفة السنية في لحظة البحث عن نقطة التوازن؛ التي ستكشف أنّ الغطاء العربي هو: حاجة بقاء للبنان لن يعوضه في ظلّ المواجهة الإقليمية بين إيران والسعودية الجلوس القاتل على ضفة النهر!

القرارات السعودية تربك النظام الإيراني

محمد السلمي- الوطن السعودية، ٢٠١٧/١٠/١٢

شهِدَت المملكة العربية السعودية خلال الأسابيع الأخيرة عديدًا من القرارات الإصلاحية التي تدفع البلاد نحو مزيد من الواقعية السياسية والاجتماعية والاقتصادية على كل المستويات.

هذه القرارات لم تمرّ دون تفاعل عالميّ معها؛ خصوصًا وسائل الإعلام: التقليدي منها، والجديد على حد سواء، وكانت إيران إحدى الدول التي شهِدَت حالتين مختلفتين بل ومتضادتين من التفاعل:

إحداهما: من الجانب الرسمي.

والأخرى: من الجانب الشعبي.

على المستوى الرسمي؛ ظلّ النظام الإيراني يحاول تقليل أهمية أي قرارات تتخذها المملكة، ويعمل على شيطنة التوجُّهات السعودية وتفسيرها بأسوأ الاحتمالات؛ وإن كانت مستحيلة! وهو التوجُّه نفسه الذي اعتادته إيران الخمينية منذ تأسيسها.

وإذا عدنا إلى الوراء قليلًا لوجدنا محاولات التقليل من أهمية «رؤية السعودية ٢٠٣٠»، ومشروع التحوُّل الوطني، ومحاولات تسييس مثل هذه التوجُّهات، ومزاعم أن المملكة لا يمكنها مُطلَقًا أن تحقِّق ولو جزءًا يسيرًا منها.

وبعد القرارات الأخيرة؛ بخاصة حيال ملفّ قيادة المرأة للسيارة، وتخفيف كثير من القيود عن المرأة؛ زادت حِدَّة التفاعل الإيراني مع ذلك، فزعمت طهران تارةً أنها إملاءات خارجية، وتارةً أنها قرارات متعجلة وغير مدروسة، وتارة أن السعودية تتخذ مواقف معادية للإسلام، وتريد أن تسلخ المجتمع عنه؛ فتبثّ بقراراتها العداء للدين الإسلامي، وما إلى ذلك من

نظرات عجيبة بعيدة عن الواقع، على الرغم من أن طهران نفسها كانت من قبل تنتقد السعودية بسبب عدم السماح للمرأة بقيادة السيارة، وبعض القيود المجتمعية الأخرى، فأصبحت الآن -على النقيض- تعتبر مثل هذه القرارات التي تخفِّف هذه القيود مؤامرةً وضغوطاتٍ خارجية! بل وصل الأمر إلى أنها ربطت بين هذه التغييرات والعمل الإرهابي الأخير الذي استهدف نقطة حراسة أمام قصر السلام بجدة.

أما على المستوى الشعبي -بخاصة بين الشباب الإيراني- فوجدنا تفاعلا إيجابيًّا كبيرًا، وأصبحت النقاشات بين الإيرانيين في مواقع التواصل الاجتماعي لافتة وجديرة بالاهتمام والملاحظة.

قد لا يكون الشباب الإيراني مهتمًّا أو مباليًا بما يدور في الداخل السعودي أو العربي عمومًا، ولكنه يلتقط مثل هذه الأخبار والقرارات ليقارن بها الأوضاع في الداخل الإيراني ووعود الساسة المستمرة في طهران بإجراء كثير من الإصلاحات؛ بخاصة تلك الوعود التي يطلقها المسؤولون المحسوبون على ما يُسَمَّى: «التيار الإصلاحي».

على سبيل المثال: وجدنا الشباب الإيراني يقارن بين الشعارات الإصلاحية التي كان يُطلِقها الرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي، ويطلقها الرئيس الحالي حسن روحاني، ويقول أن مثل تلك الوعود تُطلَق لأهداف انتخابية فقط، دون تحويلها إلى واقع ملموس، وفي المقابل يجد القيادة السعودية جادَّةً في الإصلاح، وتحوِّل الوعود إلى واقع ملموس في وقت قياسيّ.

يقول كثير من الإيرانيين في مواقع التواصل أن الإصلاحات التي أجرتها السعودية خلال أسبوع أو اثنين تفوق جميع الإصلاحات التي قدَّمها النظام الإيراني منذ انتصار الثورة! بل وصل الأمر بأحد الشباب الإيراني إلى إطلاق اسم: «المملكة العربية الصُّعودية» بدل «السعودية»؛ ليرمز إلى التطوُّر السريع الذي تشهده المملكة، وقد حثُّوا النظام الحاكم في طهران على الاقتداء بالقيادة السعودية في هذا الصدد، والتخلِّي عن الوعود الكاذبة.

ينبغي هنا أن نشير إلى حقيقة: أن النظام الإيراني يخشى كثيرًا انفتاح المجتمع الإيراني على دول الجوار، ومتابعة الجوانب التنموية والإصلاحية فيها؛ خشية أن يُحدِث ذلك بلبلة في الداخل الإيراني، لذلك يتبع النظام سياسة الشيطنة، وبثّ التفسيرات السلبية لكل التطوُّرات الجارية حول إيران، ويحاول تشبيهها بالمؤامرات أو الإملاءات، أو معاداة الدين، وإن كانت قرارات تطويرية بحتة إلا أن المجتمع الإيراني يُظهِر وعيًا حقيقيًّا ومتابَعةً دقيقة لكل ما يدور في الإقليم، ويُسقِطه على الداخل الإيراني، ومدى تفاعل النظام أو جموده تجاه الشأن الداخلي والإصلاح، وإعادة النظر في كثير من القيود المفروضة؛ بخاصة حجب قنوات التواصل ومحرِّكات البحث، ومنع الستالايت، ونحو ذلك، ممَّا يقود المجتمع إلى البحث عن طرق بديلة وملتوية للوصول إلى العالَم من حوله والارتباط به.

الخلاصة: أن النظام الإيراني يرى أن التهديد الحقيقي يأتي من الداخل لا من الخارج، وأن حالة التذمُّر بين فئات الشباب تشكِّل ضغطًا ملموسًا على النظام؛ لذلك يحاول مسؤولو نظام ولاية الفقيه شَغْل الداخل بصراعات الخارج والعزف على وتر «المظلومية» و«التآمر»!

لكنّ مثل هذه الاستراتيجية لا يستمرّ طويلًا، وإذا ما أراد خامنئي التخلُّص من هذه الضغوط فعليه الالتفات إلى الداخل، والتوقُّف عن سياسة «تصدير المشكلات» والتدخُّل في الشؤون الداخلية لدول المنطقة.

بين لبنان والسعودية... إنه اليمن يا عزيزي!

نديم قطيش- الشرق الأوسط، ٢٠١٧/١١/١٧

لا شيء بعد استقالة حكومة سعد الحريري سيكون كما كان قبله في لبنان.

أسرار الأيام الطويلة منذ ظهيرة (الرابع من نوفمبر- تشرين الثاني) الحالي، بانقلاباتها وتقلباتها؛ ستظل تلحّ، وثمة من سيبحث فيها لرواية أو كتاب.

السفارات تستقصي، والحكومات تعبّر عن درجة عالية من الارتباك، والصحافيون حائرون بين الوقائع التي حصلت، وتلك التي نسجت؛ لتوظيفها في معركة هذا أو معركة ذاك.

أبطال حقيقيون، وآخرون وهميّون، ومعارك جرت، وأخرى طبخت في غرفة، ولم نسمع منها أو عنها إلا على صفحات الصحف!

رهانات أجهضها فائض الحماس، أو فائض العناد؛ لا فرق، وأخرى تولت الحكمة الوصول إليها، وثالثة ولدت من رحم التجريب، فانقلب صاحب القول على قوله، وصاحب التموضع على تموضعه، ورابعة بقيت معلقة تحسم أمرها الأيام التي عساها لا تطول!

كل هذا سيحال إلى التقاعد في اللحظة التي يتقدم فيها سعد الحريري باستقالته إلى رئيس الجمهورية، وفق الأعراف الدستورية اللبنانية، ويسمع منه ما أصرّ الرئيس على سماعه، وسننتظر كتابًا يصدر أو تحقيقًا صحافيًّا ينجز لنعود لنبش هذه التفاصيل والوقائع.

ما يعنيني أننا أمام جديدين... لبنان جديد، وسعودية «أجدّ»!

لبنان الجديد، هو: لبنان ما بعد تسوية انتخاب عون رئيسًا للجمهورية، بكل تفاصيل هذه التسوية.

لبنان الجديد هذا، ليس أمام مسألة تمثلها السعودية، بل أمام مشكلة يمثلها تورط لبنان بالعدوان الممنهج على أمن الخليج، بمشاركة مباشرة وحثيثة ومثبتة من ميليشيا «حزب الله»، المشاركة في الحكومة.

لم يكن وزير خارجية لبنان جبران باسيل موفقًا حين دعا السعودية لحل مشكلاتها مع إيران في إيران، وليس على حساب اللبنانيين! فهذا النوع من التذاكي هو تمامًا ما سقط مع التسوية، ساعة أعلن الحريري استقالته، وبات على اللبنانيين أن يتحملوا مسؤوليات وتبعات ميليشيا «حزب الله» وأفعالها، أيًّا تكن الحكومة القائمة أو رئيسها أو مكوناتها.

الأمور في الواقع أبسط بكثير من تعقيدات التسوية وشروطها ومتطلبات مراقبة التزام الأطراف بها، وشحذ الهمم والعقول لتفسير ما يجري في ظلها من وقائع؛ سياسية وعسكرية وأمنية!

الأمور أبسط بكثير.. على «حزب الله» أن يكفّ عن كونه ذراعًا إيرانية عسكرية تهدد أمن الخليج لصالح المشروع الإيراني، وعلى الدولة اللبنانية أن تكفّ -تحت عنوان التسوية- عن أن تكون غطاء لـ «حزب الله» في أدواره هذه؛ عبر احتضانه ضمن الأطر الشرعية للنظام السياسي، وفقدان كامل القدرة على ضبط خياراته العسكرية في الوقت نفسه.

ولأن «حزب الله» لن يكفّ؛ أقله في المدى المنظور، ولأن الدولة لن تتشكل مؤسساتها؛ لا سيما الحكومة، لتكون الغطاء لـ «حزب الله»، فالأزمة مرشحة لأن تطول أكثر، وأن تتعفن الحياة السياسية والوطنية اللبنانية أكثر؛ مما ينذر بانهيارات متلاحقة في الاقتصاد، والأمن، والعلاقات الأهلية.

السعودية الجديدة؛ دولة شابة متوثبة لصنع التقدم في ظل الحماس لمغادرة أثقال تقاليد سابقة؛ سواء أكان ذلك في العلاقة مع لبنان وغيره، أم في العلاقة مع الداخل السعودي نفسه.

خليط من نقلة سعودية في السياسة، والأمن، والسياسة الخارجية، ورغبة جامحة في تكوين «دولة إنجاز» في مختلف الميادين، تحمل كل مفردات التأسيس والجديد والمختلف.

لا تلتفت السعودية الجديدة لنوستالجيا العلاقات التاريخية التي جمعتها بلبنان، وهي تبدو أقدر على رؤية لبنان الجديد من اللبنانيين أنفسهم، بما هو دولة محتلة من قبل ميليشيا «حزب الله».

في مقابلته التلفزيونية تحدث الرئيس سعد الحريري عن اليمن، واستعمل عبارة: «هناك سعوديون يموتون» بسبب «حزب الله»؛ إما مباشرة، أو من خلال من يدربهم الحزب في اليمن.

وضع يده في قلب الجرح! فليست مشكلة السعودية مع «حزب الله» أنه يملك موقفًا مختلفًا عن السعودية في سوريا أو العراق، ولا مشكلة السعودية مع «حزب الله» أنه شيعي الهوية؛ المشكلة: أن «حزب

الله» بات مصدر اعتداء مباشر على السعودية باسم المشروع الإيراني، ومشكلة لبنان أن «حزب الله» جزء من شرعية الدولة فيه.

قال الحريري مباشرة أن وقْف الدور الإيراني عبر «حزب الله» في اليمن، خطوة ضرورية، قبل بدء حوار إيراني-سعودي، تزعم إيران أنها تريده، ويروج له وزير خارجيتها الباسم محمد جواد ظريف.

ووقْف الدور الإيراني عبر «حزب الله» في اليمن خطوة ضرورية -أيضًا- قبل أن ينتظم النصاب السياسي والمؤسساتي في لبنان، وتنفتح سبل الحوار مع «حزب الله» على بقية وظائف سلاحه للوصول إلى ما سماها الحريري: «تسوية حقيقية ونهائية»!

لا تقل الأزمة التي نحن بصددها عن هذا، ولن تكون لها مداخل إلى الحل غير اليمن؛ ليس بصفته يمنًا بل بوصفه نقطة ارتكاز إيرانية لضرب السعودية.

ليس للسعودية الجديدة مطالب في لبنان الجديد، لها مطالب منه ضمن مسؤوليات الدول بعضها عن أمن بعض.

لن يطلب السعوديون من لبنان أن يقاتل معهم بمثل ما تطلب إيران من «حزب الله»، بل تطلب ألا يقاتلها بعض من أهله.

مسؤولية بهذه البساطة... مسؤولية بهذه الاستحالة!

حسابات متداخلة: أزمات متعددة في مواجهة أحمدي نجاد

مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ٢٠١٧/١١/١٢

◙ حسابات متداخلة:

يتعرض الرئيس الإيراني السابق محمود أحمدي نجاد خلال الفترة الحالية إلى ضغوط عديدة من جانب خصومه السياسيين؛ لا سيما في تيار المحافظين الأصوليين.

ففضلًا عن اتهامه في قضايا مالية؛ فقد تصاعدت دعوات عديدة لاستبعاده من عضوية مجلس تشخيص مصلحة النظام؛ وهو أحد المؤسسات الرئيسية في النظام التي تقوم -وفقًا للدستور- بوضع السياسة العليا للدولة بالتعاون مع المرشد الأعلى للجمهورية، إلى جانب تسوية أية خلافات عالقة بين مجلس الشورى الإسلامي (البرلمان) ومجلس صيانة الدستور (الذي يتولى مراقبة أعمال البرلمان والبت في أهلية المرشحين للانتخابات).

ومع ذلك؛ ورغم الخلافات المتراكمة بين المرشد الأعلى للجمهورية علي خامنئي والرئيس السابق أحمدي نجاد؛ والتي تعود إلى فترة توليه رئاسة الجمهورية (٢٠٠٥-٢٠١٣)؛ إلا أن النظام لم يتخذ حتى الآن أية إجراءات قوية ضد الأخير، وهو ما يعود إلى اعتبارات عديدة، يتمثل أبرزها في: تجنبه مواجهة أزمة سياسية جديدة ترتبط بموقع رئيس الجمهورية تحديدًا، بسبب الإشكاليات الخاصة بسلطات هذا المنصب؛ والتي تفرض -بشكل شبه مستمر- توترًا في العلاقة بين المرشد والرئيس.

لكن ذلك لا ينفي أن النظام قد يتجه إلى استخدام القضايا التي يواجهها أحمدي نجاد في لحظة ما في حالة ما إذا رأى أن استمرار ممارسة أحمدي نجاد لدوره السياسي يمكن أن يؤثر على اتجاهات توازنات القوى السياسية بما لا يتوافق مع حساباته؛ حيث تمثل تلك القضايا ورقة ضغط يستطيع الاستناد إليها في حالة ما إذا اضطر إلى ذلك.

◙ ضغوط متوازية:

بدأت الضغوط تتصاعد ضد أحمدي نجاد في الفترة الحالية؛ حيث أعلن ديوان الرقابة المالي في (أكتوبر ٢٠١٧) أن الرئيس السابق أنفق بطريقة غير قانونية نحو (مليار و٣٤٢ ألف) دولار من صادرات النفط الخام.

وقد اكتسب هذا الإعلان أهمية وزخمًا خاصًّا على الساحة الداخلية، وهو ما يمكن تفسيره في ضوء إعادة فتح ملف التجاوزات المالية التي وقعت في عهد أحمدي نجاد، وهي التجاوزات التي طالت عددًا من أبرز مساعديه، على غرار محمد رضا رحيمي -نائبه السابق-؛ الذي يقضي حكمًا بالسجن (٥) أعوام صدر ضده في (يناير ٢٠١٥)، بعد إدانته بتهمة الاختلاس والتورط في بعض قضايا الفساد، وحميد بقائي -مساعده للشئون التنفيذية-؛ الذي تم توقيفه أكثر من مرة بسبب اتهامات مماثلة، كما رفض مجلس صيانة الدستور ترشيحه في الانتخابات الرئاسية الأخيرة للأسباب نفسها.

وبالتوازي مع ذلك؛ بدأ بعض كوادر تيار المحافظين الأصوليين في توجيه دعوات لضرورة سحب عضوية مجلس تشخيص مصلحة النظام من أحمدي نجاد، حيث طالب غلام علي جعفر زاده -المتحدث باسم كتلة المحافظين الأصوليين في مجلس الشورى الإسلامي-

باستبعاد الرئيس السابق من المجلس، استنادًا إلى الاتهامات الموجهة ضده في ملف التجاوزات المالية.

■ **اعتباران رئيسيان:**

ربما يمكن تفسير تصاعد حدة تلك الضغوط على أحمدي نجاد وفريقه السياسي المعاون في ضوء اعتبارين رئيسيين:

يتمثل أولهما: في سعي المحافظين الأصوليين إلى الرد على الخطوة التي اتخذها الرئيس السابق بالترشح في الانتخابات الرئاسية الأخيرة؛ رغم أن المرشد الأعلى للجمهورية سبق أن طالبه علانية بالتراجع عن ذلك، وهو ما اعتبره الأصوليون تحديًا للمرشد، ومحاولة من جانب أحمدي نجاد لتوسيع قاعدته الشعبية؛ لا سيما لدى التيارات التي تنادي بتقليص صلاحيات خامنئي.

ورغم أن قرار أحمدي نجاد بالترشح في الانتخابات على غير رغبة خامنئي كان الهدف منه هو: ممارسة ضغوط على مجلس صيانة الدستور؛ لتجنب رفض ترشيح مساعده حميد بقائي للانتخابات، وهو ما لم ينجح في تحقيقه في النهاية، بعد أن رفض المجلس كلا الملفين؛ إلا أن ذلك لم يمنع الأصوليين من التحرك لتقليص هامش الخيارات المتاحة أمام الرئيس السابق؛ من خلال توجيه دعوات لاستبعاده من مجلس التشخيص، وفتح ملف تجاوزاته المالية من جديد.

ويتعلق ثانيهما: باتساع نطاق الخلافات بين الرئيس السابق وكثير من المؤسسات في النظام، بشكل أدى إلى ظهور خصوم كثر لأحمدي نجاد؛ ففضلًا عن خلافه العلني مع رئيس مجلس الشورى علي لاريجاني، في (فبراير ٢٠١٣)، بسبب الاتهامات التي وجهها لشقيقه فاضل لاريجاني بالسعي للحصول على رشوة من أجل تسوية القضايا الخاصة بسعيد مرتضوى -المدعي العام السابق-، لم تعد العلاقات بين الرئيس السابق والحرس الثوري إلى سابق عهدها، بسبب الاتهامات الضمنية التي وجهها للحرس، في (يوليو ٢٠١١)، بالمسئولية عن بعض عمليات التهريب التي تتم على الحدود.

كما أن التوتر يمثل سمة رئيسية في علاقة أحمدي نجاد مع تيار المعتدلين، بسبب دوره في الأزمة السياسية التي شهدتها إيران في منتصف عام (٢٠٠٩)، بعد الاحتجاجات التي نظمتها ما يسمى بـ: «الحركة الخضراء» للاعتراض على نتائج الانتخابات الرئاسية التي أسفرت عن فوزه بفترة رئاسية ثانية.

■ **خيارات مؤجلة:**

لكن رغم ذلك؛ يبدو أن القيادة العليا في النظام ممثلة في خامنئي تتبنى موقفًا حذرًا تجاه الدخول في أزمة جديدة مع أحمدي نجاد؛ على الأقل في المرحلة الحالية، وقد انعكس ذلك في حرص خامنئي على تجديد تعيين أحمدي نجاد في مجلس تشخيص مصلحة النظام بعد إعادة تشكيله في (١٤ أغسطس ٢٠١٧).

تعمد خامنئي التجديد لأحمدي نجاد في مجلس التشخيص في هذا التوقيت لا يعود فقط إلى حرصه على تقليص أهمية الخطوة التي اتخذها الأخير بالترشح في الانتخابات بشكل مثل تحديًا له، وإنما -أيضًا- إلى عزوفه عن تأجيج الجدل من جديد حول الوضع المأزوم لرؤساء الجمهورية المتعاقبين؛ الذين غالبًا ما تنتهي فترات رئاساتهم بتفاقم التوتر في علاقاتهم مع المرشد، بسبب التداخل الشديد في صلاحيات المنصبين.

فإلى جانب الرئيس الأسبق هاشمي رفسنجاني؛ الذي تعرض لضغوط شديدة من جانب النظام؛ سواء فيما يتعلق باستبعاده من بعض المناصب التي كان يتولاها، أو ما يرتبط بتوقيف بعض أبناءه في قضايا مالية وسياسية عديدة بل وتنفيذ أحكام بالسجن ضدهم؛ خاصة بعد دعمه للاحتجاجات التي قادتها «الحركة الخضراء» في عام (٢٠٠٩).

فقد توترت العلاقة -أيضًا- بين الرئيس الأسبق محمد خاتمي والنظام للسبب نفسه، لدرجة انعكست في ظهور تقارير عديدة، في (٧ أكتوبر) الفائت، حول فرض قيود شديدة عليه لمنعه من المشاركة في أية أنشطة سياسية لمدة ثلاثة أشهر؛ لدرجة تقترب من مرحلة الإقامة الجبرية التي يتعرض لها مير حسين موسوي ومهدي كروبي منذ (فبراير ٢٠١١).

لكن ذلك لا ينفي في الوقت ذاته أن تمادي أحمدي نجاد في اتخاذ خطوات قد تثير استياء داخل النظام، ربما يدفع الأخير إلى تقييد تحركاته أو ممارسة ضغوط أقوى ضده؛ من خلال تصعيد ملف التجاوزات المالية؛ خاصة أن إيران قد تشهد استحقاقات مهمة خلال المرحلة القادمة بشكل يتطلب تجنب نشوب أية أزمات سياسية جديدة في الداخل.

بعد المعونات الإيرانية.. هل تنحاز الفصائل الفلسطينية إلى محور إيران في أي حرب مقبلة؟

موقع الحقيقة، ٢٠١٧/١١/١٦

في وسط الفوضى التي تمر بها المنطقة والتهديدات المتبادلة بين الفرقاء في هذا الوقت الحساس يصعب تحديد من هو صاحب العصا الغليضة التي من الممكن الاحتماء خلفها لتحقيق المصالح ودفع الأضرار عن قضيتنا الفلسطينية!..

لذا والحال بهذه الصورة يجب على متخذ القرار في الساحة الفلسطينية التأني ألف مرة، وأن يحسب ألف حساب قبل التوجه للتحالف مع أي من الفرقاء؛ لأن أي خطأ في هذه المعادلة قد يؤدي إلى وضع كارثي ومدمر لأي فصيل فلسطيني، إن كان على ذات الفصيل أو الحاضنة والدرع البشري الذي يتحرك الفصيل خلاله وفي ثناياه، وهم: شعبنا الفلسطيني

فعند اختلاط الأمور وتشابكها وتداخل المصالح والمفاسد فعلى العاقل الانتظار قبل اتخاذ القرار؛ حتى تنجلي الأمور، وينقشع الغبار.. وفي التأني السلامة، وفي العجلة الندامة؛ كما يقال.

فمن ينظر إلى حال المنطقة يرى بأنها متربعة على برميل بارود قابل للانفجار في أي لحظة، وقد تصل شظاياه الجميع!

في الساحة الإسلامية والعربية هنالك أحلاف متنافسة ومتصارعة، وكل يعد العدة لغريمه ويتربص به الدوائر.. وكل واضع إصبعه على الزناد.. بل إن هنالك صراع وتنافس داخل الحلف الواحد؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر:

داخل العراق هنالك صراع بين الكرد والشيعة، وداخل الحلف الشيعي صراع بين حلف (العبادي-مقتدى الصدر) وبين المالكي وجماعته.

وفي داخل ما يسمى: (حلف الممانعة الإيراني) هنالك تنافس بين النظام السوري ومليشيات إيران، بل ومع إيران نفسها داخل سوريا.

وفي اليمن هنالك خلاف بين حلف المؤتمر والحوثيين.. وهنالك خلاف بين مشروع هادي من جهة ومشروع الزبيدي من جهة أخرى في جنوب اليمن..

وهكذا، هذا داخل ما يسمى الحلف الواحد فما بالك بالأحلاف الكلية المتصارعة؟!

طبعًا من المضحك والوضع بهذه الصورة دعوى أي فصيل من الفصائل الفلسطينية بأنه على الحياد، ويتعامل مع أحد الأطراف المتنافسة! وهنا أقصد: (إيران وحزب الله في لبنان) بعد استلام مساعداتها دون الانحياز إلى هذا الطرف أو ذاك.

تؤكد الفصائل دومًا أن لا علاقة لها بلعبة المحاور.. وكثيرًا ما دندنت بأنها لا تنحاز لأي طرف.. طبعًا هذا إعلاميًّا..!!! لكنها في النهاية سوف تجد نفسها منحازة لأحد الأطراف شاءت ذلك أم أبت!..

ذلك لأن إيران لا تعطي حبًّا بفلسطين ولا نصرة للقدس.. بل حبًّا لمصالحها.. ولا تعطي باليمن إلا لتقبض ولاء الفصائل لها بالشمال..

إذًا؛ والوضع بهذه الصورة القاتمة سوف تجد الفصائل نفسها - أحبت ذلك أم كرهت- منغمسة ومساندة للحلف الذي يدفع، وهذا في الغالب هو النتيجة الحتمية.. وكما في المثل الفلسطيني: «إطعم الفم تستحي العين».

بل إننا نرى بوادر هذا الانحياز لمحور إيران بادية من الآن؛ فعلى سبيل المثال: هذه بعض العناوين المنحازة لإيران من موقع «فضائية فلسطين»، وكذلك «وكالة فلسطين اليوم» -التابعتين لحركة الجهاد-:

أ- الخارجية الإيرانية: طهران لا تتدخل في شؤون لبنان.

ب- صالحي: سيرون ما يذهلهم إذا ما أخلوا بالاتفاق النووي.

جـ- طهران توجه رسالة احتجاج ضد الرياض إلى مجلس الأمن.

د- في الحرب المقبلة «حزب الله» سيدمر حيفا، والقبب الفولاذية لن تجدي نفعًا.

هـ- الرئيس عون: كل ما صدر وسيصدر عن الحريري هو موضع شك.

إلى غير ذلك من العناوين التي تتماهى وتتوافق مع السياسة الإيرانية في المنطقة.

إن عدم تقدير الموقف والنظر إلى المصلحة المادية فقط دون النظر إلى المؤثرات والعوامل الأخرى التي تحيط بأي واقعة معينة؛ قد

يؤدي إلى الخراب والدمار، ولنا تجارب مريرة ومشاهدة في واقعنا المؤلم!

لذا؛ يجب وضع مصلحة شعبنا الفلسطيني قبل اتخاذ أي قرار من قبل الفصائل الفلسطينية في هذا الوضع الحرج، وعلينا أن لا نجعله كبش فداء على مذبح خامنئي وحزب الله.

وأن لا نجعل شعبنا يتجرع العلقم؛ لأجل مغامرات فاشلة؛ كما تجرعه مرات وكرات! **فعند وقوع الكارثة لا ينفع الندم، ولات حين مندم!**

كيف يسيطر الحوثي في اليمن؟

عبد الرحمن الراشد- الشرق الأوسط، ٢٠١٧/١١/١٧

الحوثيون جماعة صغيرة تسكن شمال اليمن، قامت باحتضانها إيران في مواجهة السعودية وحكومة صنعاء، ضمن مشروعها زرع وكلاء إقليميين لها مثل: «حزب الله» اللبناني.

قيادة هذه الجماعة ارتبطت بالحرس الثوري الإيراني قبل أكثر من عشرين عامًا، وليس حديثًا كما يظن البعض! ومع الوقت صاروا يشبهون كثيرًا الجماعات الإيرانية المسلحة الأخرى في المنطقة؛ التي يدربونها على السلاح والتنظيم والدعاية.

إيران هي التي اختارت لهم اسم التنظيم وشعاره: «أنصار الله» اسم حزب الحوثي، شعاره وصرخته التي تكتب وتردد يوميًّا هي نفسها التي تردد في طهران: «الموت لأميركا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام».

لكن الحوثي يختلف عن «حزب الله» اللبناني بأنه رقم صغير في اليمن، أقل من خمسة في المائة من السكان فقط، وقد سعى الإيرانيون لمساندته، معتمدين على «حزب الله» اللبناني، الأكثر تطورًا؛ الذي يتولى إدارة شؤون الحوثي في اليمن مستفيدًا من تجربته الطويلة العسكرية والاجتماعية والدعائية في لبنان، هو من يجهز وليده الحوثي ليسيطر على اليمن.

ولهذا ظهرت خلال حرب السنوات الثلاث الحالية نشاطات متقدمة للحوثيين في استخدام الأسلحة، بما فيها: الصواريخ الباليستية، وعمليات التجنيد الإجبارية؛ التي لا تتورع عن إعدام الرافضين أو أهالي المجندين الهاربين.

أحد الأصدقاء اليمنيين روى لي كيف أن الحوثيين يقومون في المناطق التي يحتلونها بتعيين القيادات المحلية، وفرض تجنيد الأولاد بين عمر (١١ و١٧)، وإعدام من يرفض، ضمن عملية ترهيب مستمرة لإخضاع هذه المناطق القبلية التي كانت عصية على أي سلطة من قبل، روى -أيضًا- عن النشاط الدعائي الماثل لدعاية الحرس الثوري الإيراني بإقناع الصغار أنهم عندما يقاتلون السعودية فإنهم يقاتلون أميركا وإسرائيل! وكيف أن الحوثيين قاموا بنشر أجهزة الراديو الترانزيستور الصغيرة، نظرًا لانعدام الكهرباء وندرة أجهزة التلفزيون في الأرياف، وقد أغلق الحوثيون (١٥) صحيفة وتسع عشرة قناة تلفزيونية رسمية وخاصة، ولم تتبق سوى قناتين تابعتين.

نقلت إيران تجارب التجنيد والبروبغندا الفكرية إلى أتباعها الحوثيين في اليمن، كما دربتهم على أساليب جباية الأموال وغيرها من الموارد المالية للتنظيم التي لا تقل أهمية، **وتوفر المال سر استمرار الحوثيين في القتال؛** معظم الأموال تجبى من خلال نقاط التفتيش التي تستخدم لفرض رسوم مالية على الأفراد والمركبات والبضائع في كل المناطق التي يسيطرون عليها بقوة السلاح.

أيضًا؛ يسيطرون على ميناء الحديدة -الممر البحري الرئيسي لليمن-، وعلى كل منافذ بيع الوقود التي يملكونها الآن بالكامل تقريبًا.

أفراد من «حزب الله» اللبناني تولوا عملية التنظيم والتخطيط لشقيقهم الحوثي؛ الذي يعتبر متخلفًا في بنيته، ومعظم قياداته المتوسطة من الأميين، ومعظم التحدي بسبب صغر التنظيم، بسط هيمنته من خلال التحالفات، والسيطرة، والتجنيد القسري، والإقناع الآيديولوجي؛ خاصة لصغار الشباب، وتركهم يبثون الذعر بين الأهالي في المناطق تحت سيطرتهم.

الحوثي يشبه كثيرًا تنظيم داعش؛ كلاهما فعليًّا إرهابي من حيث الفكر والممارسة، وتقوم فلسفتهم على الخضوع للقيادة، وبث الرعب.

وقد سبق لنا أن رأينا كيف أن «داعش» في العراق وسوريا -رغم صغره- سيطر على محافظات كثيفة السكان أو مدن مليونية مثل الموصل، ولم يمكن تحريرها من براثنه إلا بجهد عسكري دولي.

ومن دون مشروع واضح يدرس طبيعة التنظيم وعمله على الأرض؛ فإن مواجهته بالقصف الجوي لن توقف خطره.

حزب الله .. تاريخ إرهابي لا ينتهي

1983

تعرضت منشآت حكومية وسفارات أجنبية لتفجيرات في الكويت، كان خلفها جماعة "حزب الله" اللبنانية عبر **9** سيارات مفخخة.

1983

تفجير السفارة الأمريكية في بيروت من قبل حزب الله في عملية دبرها النظام الإيراني وتسبب بمقتل **63** شخصاً في السفارة.

1983

تفجير مقر القوات الفرنسية ببيروت من قبل حزب الله بالتزامن مع تفجير مقر القوات الأمريكية الذي نجم عنه مقتل **64** فرنسياً مدنياً وعسكرياً.

1983

نفذ عناصر من حزب الله وحزب الدعوة المدعوم من إيران مجموعة هجمات طالت السفارة الأمريكية والسفارة الفرنسية في الكويت ومصفاة للنفط وحي سكني نجم عنها مقتل **5** أشخاص وجرح **8** آخرين.

1984

هاجم حزب الله ملحقاً للسفارة الأمريكية في بيروت الشرقية نتج عنه مقتل **24** شخصا.

1986

حرضت إيران حجاجها عن طريق "حزب الله الحجاز" لتنفيذ أعمال شغب في موسم الحج مما نتج عنه تدافع الحجاج ووفاة **300** شخص.

1987

إحراق ورشة بالمجمع النفطي برأس تنورة شرق السعودية من قبل عناصر "حزب الله الحجاز" المدعوم من النظام الإيراني وفي العام ذاته هجمت عناصر "حزب الله الحجاز" على شركة "صدف" بمدينة الجبيل الصناعية شرق السعودية.

1996

تفجير أبراج سكنية في الخبر والذي نفذه ما يسمى "حزب الله الحجاز" التابع للنظام الإيراني ونجم عنه مقتل **120** شخصاً.

2011 - الآن

تجنيد ميليشيات الحزب والميليشيات الطائفية من دول عدة إلى جانب بشار الأسد في قتال الشعب السوري الذي نتج عنه مقتل أكثر من ربع مليون مواطن سوري وتشريد **12** مليون منهم

الرصد

www.alrased.net

سلسة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٧٥ ربيع الثاني ١٤٣٩هـ

احذروا فخ متاهة الفوضى

27 الإرهاب.. أداة المشروع السياسي الشيعي الإيراني

39 التشيع في شمال إفريقيا وجنوب الصحراء دراسة مقارنة

51 النسوية الإسلامية وإعادة إنتاج الفكر العلماني

المحتويات

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٧٥)
ربيع الثاني ١٤٣٩هـ

www.alrased.net
info@alrased.net

فاتحة القول

- احذروا.. فخ متاهة الفوضى! ٢

فرق ومذاهب

- حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج (٧): تنظيم «الشوقيين»، وتنظيم «الناجين من النار».....أسامة شحادة ٥

سطور من الذاكرة

- ثورات الخوارج (١٥): قتال الأزارقة بين المهلَب وابن معمر!.....هيثم الكسواني ١٠

دراســـــــات

- لماذا يحاربون «صحيح البخاري»؟ (٤): فرية احتواء «صحيح البخاري» على إسرائيليات .....فادي قراقرة ١٤
- خرافة المظلومة الشيعية في العراق: ٢- حكم الملك فيصل الأول.....عبد العزيز المحمود ١٧
- مخطط الحشد الشعبي في العراق.....صباح العجاج ٢٤
- الإرهاب.. أداة المشروع السياسي الشيعي الإيراني.....أسامة شحادة ٢٧
- التشيع في شمال إفريقيا وجنوب الصحراء-دراسة مقارنة-.....بوزيدي يحيى ٣٩
- التصوف والتشيع في السنغال.. مَن يَحمِلُ مَن؟.....محمد صديق ٤٨
- النسوية الإسلامية وإعادة إنتاج الفكر العلماني.....فاطمة عبد الرؤوف ٥١
- الحشد الشعبي بعد داعش..السيناريو المحتمل.....أسامة الهتيمي ٥٦

كتاب الشهر

- كتاب: الانحرافات المعاصرة في مسائل الجهاد.....عرض: أسامة شحادة ٦٣

قالوا

- ٦٥

جولة الصحافة

- إيران: تحرير القدس يمر عبر تدمير العرب.....نبيل العتوم ٦٦
- زار لبنان وسبب الكثير من الجدل.. مَن هو «قيس الخزعلي»؟.....رستم محمود ٦٨
- مايك بينس .. الراعي الأول للأصولية.....أحمد العزم ٧١

احذروا..
فخ متاهة الفوضى!

لا بد من التنبه منذ البداية إلى أن أمتنا الإسلامية قطعت أشواطًا جيدة في مسيرة تقدمها ونهضتها خلال القرن الماضي، فعلى الصعيد المعنوي هناك تزايد في التمسك بالالتزام الديني، وانحسار للأفكار الضالة؛ كالصوفية الخرافية، والطقوس البدعية والشركية العامة، والانغرار بالتشيع وشعاراته، كما أن هناك تزايدًا في أداء أركان الإسلام، والحرص على نشر العلم الشرعي، والدعوة إلى الله ﷻ، كما أنّ هناك تراجعًا في مساحة الأميّة في العالم الإسلامي.

بينما على الصعيد المادي؛ نجد هناك تحسنًا في مستوى الخدمات التعليمية والصحية والبنْية التحتية؛ من الطرق والمستشفيات والمدارس والجامعات، وانتشار خدمات الماء والكهرباء والاتصالات، وهناك قطاع واسع من المسلمين -أفرادًا وشعوبًا ودولًا- تجاوز مرحلة الفقر والعوز والجهل والتخلف.

نعم، لم نصل للحالة المطلوبة والمنشودة؛ سواء على مستوى رقيّنا التاريخي أو بالمقاييس المادية المعاصرة، لكن بالتأكيد أن هناك حالة من التقدم والرقي تشهدها الأمة بعمومها؛ حتى رغم ما تعانيه بعض البلدان من حروب طائفية واستعمارية فإن القوة النفسية للأمة ظهرت فيها بوضوح؛ عبر الإصرار على المقاومة والجهاد رغم قلة الإمكانيات، وأظهرت القوة الكامنة في أمتنا من خلال الاختراعات البسيطة والهامة التي حلّت بعض المشاكل الحياتية بسبب الظروف الصعبة؛ كتوليد الكهرباء من أمواج البحر في غزة، أو توليد غاز الطبخ من مخلّفات الحيوانات في سورية، أو من خلال تطوير بعض الأسلحة في ساحات المقاومة والجهاد بإمكانيات بسيطة.

لهذا كله «يتداعى الأكلة» من مختلف الجهات على أمتنا المسلمة اليوم برغم ما بينهم من صراعات وخلافات؛ حيث يشنون عليها كل أنواع الحروب العسكرية والنفسية والفكرية والأخلاقية، والاختراق ودعم الفرق الضالة والمنحرفة، وتشجيع الفتن والخلافات وتوسيع نطاقها.

هذه الحالة المتفاقمة من التكالب على أمتنا المسلمة تهدف إلى جرّنا لمتاهة الفوضى حتى نضيع فيها، وتذهب قوتنا التي راكمناها خلال العقود المنصرمة على مستوى الأفراد والشعوب والمجتمعات والدول؛ عبر إدخالنا في حروب بينية على مستوى الدولة الواحدة، حيث يُحرّض الشعب على السلطة، والسلطة على الشعب، أو بين فئات المجتمع الواحد، أو على مستوى صراعات بين الدول أو بين المجتمعات، مما يدخلنا في دوامة رهيبة نطحن فيها أنفسنا دون أي ثمرة!

ومن الأدوات المستخدمة في إشعال هذه الحروب البينية: نشر الأكاذيب والشائعات عبر وسائل الإعلام التي تحرّض على دول أو قادة أو مؤسسات وجماعات، بدون أدلّة وبدون بيّنات، مما يثير حفيظة البعض فيعادي ويهاجم، ويتولد عن ذلك ردة فعل معاكسة لا تتحكم بعواطفها؛ فتقوم بالرد بأكاذيب جديدة، فتلّوث الجو وتشحن النفوس، ونعيد سيرة البسوس وداحس والغبراء!

ومن الأدوات المستخدمة: دعم الأعداء لبعض فرق الضلال بشكل مباشر أو غير مباشر، فكلنا شاهد كيف تم توظيف (داعش) لخدمة عدة أجندات معادية للإسلام؛ برغم تصارع هذه الأجندات مع بعضها البعض.

ولا تزال ورقة داعش والتطرف والإرهاب يتلاعب بها أعداء الإسلام، ويحرقون بها الأغبياء والمغفلين من الشباب الجاهل والقيادات المخترقة والمجرمة.

وعلى المنوال نفسه؛ فإن هناك اليوم دعوات دولية لإعادة توظيف بعض الطرق الصوفية -على وجه الخصوص- وما يتقاطع معها من مذاهب؛ كبعض الأشاعرة والأحباش، ودعاة التعصب المذهبي في محاربة التطرف؛ وإن كانوا يقصدون في الحقيقة: محاربة الإسلام نفسه.

والدليل على ذلك: أن من يدعم هذه المخططات في النهاية قوى عسكرية معادية لنا؛ كـ «مركز راند الأمريكي» التابع لوزارة الدفاع الأمريكية، أو القيادة الروسية المجرمة بقيادة بوتين؛ والتي توارت خلف قاديروف -رئيس الشيشان- لمهاجمة أهل السنة وتحريف مفهومهم؛ بإخراج الحنابلة والسلفيين من أهل السنة في مؤتمر «جروزني» المعروف.

ومن الأدوات المستخدمة لإدخال المسلمين إلى متاهة الفوضى: فسح المجال لإيران أن تعيث في دولنا الإرهاب والعدوان والاحتلال من جهة، وتكبيل من يحاول التصدي لها؛ عبر قرارات دولية وانتقادات من منظمات حقوق الإنسان!

ومن أدوات نشر الفوضى وإغراقنا في المتاهة: كذبة المفاوضات الدولية، فمنذ مفاوضات استقلال الدول العربية، ومن ثم مفاوضات السلام مع اليهود، وأخيرًا المفاوضات السورية لا تُنتج هذه المفاوضات إلا تكبيل يد المعارضة، وإنقاذ ودعم وحماية وتقوية الطرف المجرم المعتدي.

ومن أدوات توسيع متاهة الفوضى: تعاون القوى الدولية مع قوى إرهابية؛ ككثير من المنظمات الكردية، ودعمها بالسلاح في وجه الثورة السورية وحليفها التركي؛ سواء من أمريكيا أو روسيا!

ومن أدوات دعم متاهة الفوضى: القرارات الخطيرة التي تعمل على تفجير أحوال الأمة وضرب بعضها ببعض؛ كقرار المتهور ترامب بنقل السفارة، والذي لا مبرر له ولا لتوقيته إلَّا إدخال المنطقة في دوامة ومتاهة لا تخرج منها!

ومن مداخل متاهة الفوضى: المواقف الكارثية للسلطات الحاكمة في دولنا، والتي لا منطق لها ولا فائدة! ويقف خلفها لوبيات منتفعة ماليًّا، أو لها ارتباطات خارجية أو داخلية، فهي تستعدي فريقًا من سكانها ظلمًا، أو تناصر ظالمًا يعتدي على شعبه، أو تسمح للانحلال والفجور بالتزايد، أو تتقاعس عن خدمة مواطنيها والتصدي للمخاطر الزاحفة بما يناسبها.

ويقابل هذا: مواقف المعارضات العربية والإسلامية، فبعضها مرتبط بالمشاريع الخارجية الأمريكية والروسية والإيرانية، وبعضها لا يقل فسادًا عن السلطات الحاكمة، ويفتقد لأي برنامج حقيقي للإنقاذ.

إن كل هذه الأدوات المتناقضة والمتعارضة والمتطابقة والمتقاطعة والتي تستخدم ضدنا تولّد حالة من التوهان والفوضى لا يمكن الإمساك بخيوطها وفهم تشابكاتها وتعقيداتها؛ مما قد يجرّنا لليأس والقنوط، وهذا انتحار، أو يجرنا لردة فعل غير محسوبة، وهذه مصيبة إضافية، وتجرنا لمتاهة من الفوضى والحروب الداخلية و«تصومل» كل مجتمع وبلد ينزلق لهذه المتاهة؛ والتي لا يعرف لها قرار أو نهاية زمنية تنتهي عندها!

هذا هو حالنا اليوم: واقع مركب معقد؛ لا يوجد فيه حليف شريف في كل القضايا، ولا توجد فيه سلطة مصيبة وناجحة في كل

الملفات والقضايا، ولا توجد معارضة مثالية وناجحة، ولا توجد قوة كافية لنصرة الحق على كل الأصعدة، وقبل هذا كله لا يملك أحد تصورًا صحيحًا وسليمًا وكاملًا للمشهد الإسلامي بكامله؛ فضلًا عن أن يكون عنده القدرة لتنفيذ وحماية رؤيته وتصوره.

فما العمل؟ وما الحل؟

لا توجد وصْفة سحرية، ولا توجد وصفة كاملة! ولكن هذه بعض الأفكار والتوصيات، نأمل أن تكون نافعة في هذا الواقع الصعب، وأن تجنّبنا متاهة الفوضى:

١ - أي حلّ لا يحافظ على المكاسب الموجودة ويفرط فيها: ليس حلًّا؛ إلا إذا كان يقلل -يقينًا- شرًّا واقعًا أكبر منه.

٢ - يجب تجزئة الحلول والمعالجات، فما نقبله هنا قد لا نقبله هناك، وما يمكن إنجازه هنا ننجزه، ونترك ونتجاوز ما لا يمكن إنجازه الآن.

٣ - تحديد الأعداء ودرجاتهم وأهدافهم قبل التعامل معهم، فلا نُخدع بكلامهم، بل نعمل على الاستفادة من تناقض مصالحهم ورغباتهم.

٤ - لا تحالفات دائمة ولا حروب دائمة، يجب استعمال الهدن بما يقوي صفَّنا، وليس بما يمنح العدو وقتًا ليرتب أوراقه ضدنا.

٥ - التصدي للشرور وهي صغيرة أسهل بكثير من تركها تكبر، وتصبح مشكلة يصعب حلّها؛ كمشكلة داعش -مثلاً-؛ التي تأخر العلماء والأمراء في حلّها فتعاظمت، واليوم هناك مشاكل من هذا النوع يجب حسمها مبكرًا.

٦ - أثبتت الأحداث أن العقلية التي تُدار بها سياسة الدول والمعارضة عقلية بائسة تحتاج إلى مراجعة وتطوير.

٧ - لا يزال سلاح الإعلام والوعي غير مفعّل بالشكل السليم، ولا يعبّر عن مصالح الأمة، فالغالبية هم بين مخلصين أميين إعلاميًّا، ومتقنين لكنّ ولاءهم مضروب!

٨ - لا بد من الوعي بأن الزمن في صالحنا مهما لحق بنا من مصائب وخسائر، فلا نيأس.

٩ - لا بد من الحرص على نقاط الالتقاء ودوائر الاجتماع بالنسبة لكل قضية على حدة.

١٠ - أمتنا تحوي الكثير الكثير من الطاقات والقدرات والمعادن النبيلة والثمينة، وفي كل الشرائح، وعلى كل المستويات.

والتحدي الأعظم هو: كيف ترتبط هذه الفرص بشكل سليم لإنجاز الكثير من المبادرات والمهام الرائدة لنصرة أمتنا؟

حكاية جماعات العنف
من الانحراف إلى فكر الخوارج (٩)

أسامة شحادة- كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر؛ لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة!

وهذه طبيعة الضلال والانحراف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أوَّلها شبرًا، ثم تكثر في الأتباع؛ حتى تصير أذرعًا، وأميالًا، وفراسخ!»[1]، وهذا واقعٌ في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود؛ حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها، بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرِّر تشكيلها!

في هذه السلسلة سنتناول: العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات العنف والقتال، ومن ثم مسار تطورها التاريخي، ومسار تطور انحرافها الفكري، والنتائج الكارثية لها على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخَّمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية.

وسيكون الإطار الزمني والمكاني الذي نتناوله في هذه المقالات هو: منذ انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة)؛ التي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير، مما ولَّد مناخًا مأزومًا، وظهرت فيه ردَّات فعل عنيفة، عُرفت بـ (جماعات الجهاد).

أولًا: الساحة المصرية

٧- تنظيم «الشوقيين»، وتنظيم «الناجين من النار» -هوامش على تاريخ التطرف والعنف-

من عادة تنظيمات العنف والتطرف والغلو: الانقسام والتشرذم منذ ظهور الخوارج الأوّلين في مطلع الإسلام، وزيادة الغلو مع كل انشقاق وتشرذم، وأن اللاحق -وهو أكثر جهلًا- يصبح أكثر عنفًا!

ولم تكن الساحة المصرية بمنأى عن ذلك؛ فقد ظهرت تنظيمات العنف بشكل متشرذم في الأصل، ثم تجمعت قبيل مقتل السادات ثم عادت للانشطار بسبب قضية ولاية الضرير والأسير، وبعدها حدثت عدة تشرذمات هنا وهناك، لكن أبرزها كان: تنظيم «الشوقيين»، وتنظيم «الناجون من النار»، واللّذين سنعرف بهما في هذه الحلقة.

تنظيم «الشوقيين»[1]:

ينسب لمؤسسه شوقي الشيخ، وهو مهندس مدني، بدأ انحرافه في مسار الغلو والتطرف على يد طارق الزمر، فبعد أن كان من تلاميذ الشيخ يوسف البدري -أيام دراسته للهندسة في سبعينيات القرن المنصرم-، تعرّف على طارق الزمر؛ الذي ضمّه لتنظيم الجهاد، ومن هنا بدأت الكارثة!

سُجن شوقي في (سبتمبر ١٩٨١) -مع اغتيال السادات- لعدة شهور، ولكنه بقي منتميًا للتنظيم، ولما خرج من السجن ذهب يبحث عن بقاياه في منطقة الهرم؛ حيث تعرف على الزمر أول مرة، لكنه لم يوفق بالعثور على بقايا للتنظيم.

فلم يستسلم شوقي، وانضم في سنة (١٩٨٦) لتنظيم آخر يحمل نفس التوجّه، لكن سرعان ما انكشف هذا التنظيم، وألقي القبض مجددًا على شوقي وعاد لسجن طرة.

هناك في السجن -وهو البيئة المثالية لنمو التطرف والغلو وتمدّده- التقى ببعض قادة تيار «التوقف والتبين»[2]، ودخل معهم في نقاشات متعددة، أفضت به إلى اعتناق رؤية «التوقف والتبين»، لكنه زاد عليها أن لا يتوقف ولا يتبين بل يحكم بكفر كل من يخالفه، وهذه طبيعة الغلو أنها تتزايد وتتعاظم مع الزمن؛ خاصة مع وجود عامل السجن والتعذيب من السلطة، والجهل وقلة العلم الشرعي لدى الأفراد؛ فإن النتيجة دومًا هي: تشكل أنواع جديدة أكثر تطرفًا في التكفير وعنفًا في القتل!!

تكوّنت في شوقي الشيخ خبرة تنظيمية، اكتسبها من تنظيم الجهاد سابقًا، مكّنته من تجنيد حوالي ألف شاب من قرى منطقته بمركز أبشواي بمحافظة الفيوم، وقد جمع شوقي في فكرِه وتنظيمه الجديد بين تكفير المخالفين له -بتأثير تيار «التوقف والتبين»-، وبين حمل السلاح ضد الدولة الكافرة -بتأثير فكر «الجهاد القديم»-، ولذلك ورّط نفسه وأتباعه في صراعات دموية مع السلطات الرسمية، بدأت بقتل شوقي لخفير نظامي وسلبه سلاحه، وأسفرت في النهاية عن قتل شوقي شخصيًّا عام (١٩٩٠).

وفتح مقتله المزيد من دوامة العنف لدى أتباعه؛ خاصة أن بعض قادة جماعة الجهاد رأوا في ذلك فرصة لإضعاف النظام؛ عبر صراع دموي مع الشوقيين، فأمّدهم بعض قادة الجهاد -مثل: نزيه راشد- بالقنابل اليدوية، مما ساهم في إطالة أمد صراع الشوقيين مع الدولة من سنة (١٩٩٠) إلى سنة (١٩٩٤م)!

وتركزت عمليات الشوقيين في (الجهاد) على سرقة محلات الذهب التي يملكها نصارى ثم بيعها لتجار نصارى آخرين، والعيش من مال هذه الغنائم! وكم من أرواح سلبت في حروب الوكالة هذه وغيرها بين الشباب والجيش والأمن؟! ولم يستفد منها إلا الأعداء!

تمكنت السلطة المصرية من القبض على قادة الشوقيين وسجنهم، فانطفأت نارهم، وبقي الحال على هذا حتى فاز الإخوان المسلمون بـ (٢٠%) من مقاعد برلمان (٢٠٠٦)؛ فأطلق سراحهم، مما فسر بأنه تلاعب من السلطة بورقة الغلو والتطرف ضد فوز الإخوان، وكم جرّت مثل هذه السياسات البغيضة والرعناء من كوارث على أمتنا -لليوم-؟! ولعل كوارث داعش من آخرها.

ويبدو أن الشوقيين لزموا الهدوء، وتركوا الصدام مع

---

(١) المرجع الرئيس عن الشوقيين هو: «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص١٦١).

(٢) فكرة التوقف في الحكم على الشخص وتبيّن إسلامه ومعتقداته بدأت مع مجموعة القطبيين في السجون المصرية، وكانت قنطرة لشكري مصطفى لتبني فكر التكفير العام للناس، ثم اشتهر بها عبد المجيد الشاذلي، وأصبح منظرها الأول. انظر: «ثورة قلم: وقفة مع التيارات الصدامية»، أحمد الشحات، الأمل للطبع والنشر، (ص١٣٩)، «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص١٥٧).

الدولة منذ الإفراج عنهم، لكن في شهر (إبريل ٢٠١٥) تحركت وزارة الأوقاف المصرية لتنزع منهم عدة مساجد يسيطرون عليها في منطقتهم أبشواي[١].

يتداول كلام عن علاقة الشوقيين بجماعات العنف بسيناء، خلاصته: أنه حين تم قتل شوقي فرّ عدد من أتباعه إلى سيناء، وكوّنوا هناك جماعة موسّعة، استقطبت عناصر من تنظيمات أخرى، وأنه عقب ثورة (يناير ٢٠١١) هرب بعض مساجين الشوقيين من السجون لسيناء[٢].

على هامش «الشوقيين»[٣]:

بعد إزاحة شوقي من المشهد برزت شخصية جديدة تسير على نهج شوقي؛ وإن لم تلتقِ به، وهو: حلمي هاشم، وهو رائد شرطة سابق في تنظيم الجهاد، تم تجنيده للتنظيم بواسطة المقدم عبد الرحمن شحاته، ولعله من مجموعة عصام القمري.

ودور العسكريين في تنظيمات الغلو والتطرف -قديمًا وحديثًا- بحاجة لدراسة عميقة، فكثير من إجرام داعش وإرهابه قام به قيادات عسكرية ذات جذور بعثية!!

وعلى غرار شوقي الشيخ في السجن التقى حلمي هاشم بمجموعة من سوهاج تعتنق أفكار شوقي؛ رغم عدم صلتها المباشرة به! فاعتنق حلمي هذه الأفكار، ولما خرج من السجن أنشأ مكتبة لبيع الكتب، وألّف هو (١٠) كتيبات تحت اسم: شاكر نعمة الله، تشرح وتبين فكر شوقي، فانتشرت كثيرًا في تسعينيات القرن الماضي، وبذلك أعاد إحياء فكر شوقي ونشره؛ لأن الأخير لم يترك خلفه منهجًا مكتوبًا.

وقد فاوض حلمي الأجهزة الأمنية بمنحه حرية الحركة والنشاط؛ على أن ينبذ حمل السلاح، ويعارض من يدعو لذلك من الشوقيين، وفعلًا كانت السلطات تفرج عن أي شخص يعتقل ويتضح أنه مؤيد لحلمي هاشم، وبقي الحال على ذلك حتى عام (١٩٩٨)؛ حيث كشف عن امتلاك عدد من أتباعه كميات من الأسلحة المتطورة، فاعتقل حلمي، لكن تم الإفراج عنه في (٢٠٠٨).

ويبدو أن حلمي استغل الفوضى بعد ثورة (٢٥ يناير ٢٠١١) للتحرك والنشاط، ولذلك تم القبض عليه وتقديمه للمحاكمة في (٢٠١٥) بتهمة تكوين خلية إرهابية جديدة[٤]، وصدر الحكم عليه بالسجن (٥) سنوات[٥]، وليس صحيحًا أنه سافر للعراق وسوريا والتحق بداعش، ولكن يبدو أن بعض كتبِه معتمدة عند داعش، ويروّج لها كثير من منظري الغلو والتطرف ويوصون شبابهم بها.

تنظيم «الناجون من النار»:

مرة أخرى يبرز في مسيرة وحكاية الغلو والتطرف في مصر هامش جديد يكون أكثر غلوًّا وتطرفًا في الأفكار، وأكثر عنفًا في الإرهاب؛ حيث التقى في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي الطبيب مجدي الصفتي عضو تنظيم الجهاد[٦] في السبعينيات- بأحد منظري فكر «التوقف والتبين» التكفيري، وهو: مصطفى الخضيري[٧]؛ والذي يعد من رموز المجموعة القطبية التي ساهمت

(١) «اليوم السابع»، http://cutt.us/DyHx

(٢) «دماء على رمال سيناء، القصة الكاملة للتنظيمات الجهادية الجديدة في مصر»، ماهر فرغلي وصلاح الدين حسن، (ص٧١، ٧٨).

(٣) «بين فقهاء القاعدة وفقهاء داعش، حلمي هاشم نموذجًا»، ضياء يوسف العظمة، المكتب العربي للمعارف، «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص ١٦٥).

(٤) موقع «الأسبوع»، http://cutt.us/m٩xC٨

(٥) موقع «مصراوي»، http://cutt.us/ykobB

(٦) «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص١٥٨).

(٧) مقال (الصفتي، الرجل الذي زرع التكفير في سيناء)، ماهر فرغلي، موقع «البوابة».

في بروز عدة جماعات إرهابية؛ كمجموعة مصطفى شكري وشوقي الشيخ، والآن مجموعة مجدي الصفتي أو تنظيم «الناجون من النار».

هذا الالتقاء المتكرر لطالب الطب بالخضيري تسبب في انتقال الصفتي من فكر الجهاد؛ الذي يكفّر الحكام إلى فكر «التوقف والتبين»؛ الذي يكفّر عموم الناس ولا يعذرهم بالجهل، ولكنه بقي منهج تنظيم الجهاد باعتماد العمل العسكري للتغيير والعمل.

وقد كان تعيير الجهاديين للقطبيين وأعضاء «التوقف والتبين» بأنهم يقتصرون على الكلام دون فعل أو جهد حقيقي على أرض الواقع لدفع مجدي الصفتي لإثبات خطأ هذا التعيير؛ فقام بتشكيل تنظيم عسكري، ونفذ عدة عمليات ضخمة.

كانت الخطوة الأولى للصفتي هي: تأسيس تنظيم خاص به في الجيش، بعد بدئه خدمته الإلزامية، عقب تخرجه من كلية الطب، وسماه: «تنظيم الفرقة الناجية»، ولكن الاسم الإعلامي الذي راج هو: «الناجون من النار»، وهما يحملان نفس المعنى، وكان غالب أعضائه من أعضاء سابقين بتنظيم الجهاد!![1].

تأسس التنظيم في سنة (١٩٨٣)، واستكمل بناؤه في (١٩٨٦)؛ فاستقطب الكوادر، ودرّبهم على صنع القنابل[2]، ثم قام بثلاث عمليات إرهابية، استهدفت اغتيال اللواء حسن أبو باشا في (مايو ١٩٨٧)، لكنه نجا مع إصابته إصابة خطيرة.

وكانت العملية الثانية في (يونيو ١٩٨٧) بمحاولة اغتيال مكرم محمد أحمد -رئيس تحرير مجلة «المصور»-.

والثالثة في (أغسطس ١٩٨٧) ضد وزير الداخلية الأسبق اللواء النبوي إسماعيل، لكن مكرم والنبوي لم يقتلا ولم يصابا في العملية[3].

تسببت هذه العمليات في حملة اعتقالات وتعذيب لكثير من كوادر الجماعة الإسلامية؛ لأن السلطات لم تكن تعلم عن وجود هذا التنظيم[4]، لكن تمكنت قوات الأمن من تتبع منفذي العمليات، والقبض على عدد من أعضاء التنظيم، وقتل بعض المنفذين، وعندها فهموا وجود تنظيم جديد، إلا أن مجدي الصفتي تمكّن من الفرار من مصر إلى اليمن، وعاد لمصر بعد (٦) سنوات، وتم رصد مكالمة له اعتقل على إثرها في سنة (١٩٩٣) وحكم عليه بـ (٢٥) عامًا سجنًا مع بقية رفاقه[5].

في السجن تراجع أغلب رفاق مجدي عن فكر «التوقف والتبين»، واستمروا على فكر الجهاد[6]، بينما بقي مجدي على فكره المتطرف، وقد عوض عن خسارته لتأييد رفاقه له بنشر فكره بين شباب سيناء؛ إذ «بخطأ فادح، خشي وزير الداخلية الأسبق حبيب العادلي اعتقال شباب سيناء المتهمين في حادثي طابا وشرم الشيخ في عامي (٢٠٠٤ و٢٠٠٥)، مع مسجوني الإخوان، أو مسجوني الجماعة الإسلامية، فوضعهم في زنازين التكفير مع مجدي الصفتي؛ الذي نقل لهم فكر «التوقف والتبين» حرفيًّا، وخرج ما لا يقل عن (٤٠٠) منهم محملين بهذا الفكر، لينشئوا فيما بعد أكثر من

---

(١) مقال (الصفتي، الرجل الذي زرع التكفير في سيناء)، ماهر فرغلي، «موقع البوابة»، «دماء على رمال سيناء، القصة الكاملة للتنظيمات الجهادية الجديدة في مصر»، ماهر فرغلي وصلاح الدين حسن، (ص٢٣١).

(٢) «دماء على رمال سيناء، القصة الكاملة للتنظيمات الجهادية الجديدة في مصر»، ماهر فرغلي وصلاح الدين حسن، (ص٢٣٢).

(٣) المصدر السابق، «دليل الحركات الإسلامية المصرية» (ص١٥٩).

(٤) «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة»، ممدوح الشيخ، (ص٥٥).

(٥) المصدران السابقان.

(٦) «دليل الحركات الإسلامية المصرية» (ص١٦٠).

(١٩) جماعة سيناوية، منها: (أنصار الإسلام، وأنصار الدين، وبيت المقدس، وجند الله، وجند الإسلام)... إلخ»، وقامت جماعة بيت المقدس بمبايعة (داعش)، وبدلت اسمها لـ «ولاية سيناء»[١].

بقي مجدي ورفاقه في السجن حتى قامت ثورة (٢٥ يناير ٢٠١١)، فهرب ضمن من هرب من السجناء، ولكن تم إعادة القبض عليه لاحقًا[٢].

ويبدو أنه في مرحلة الثورة استعاد التنظيم بعض نشاطه في منطقة القناطر الخيرية، ويبدو أن بعض الأعضاء الذين تم الإفراج عنهم التحقوا بجماعتهم في سيناء[٣]، ولذلك فإن «الناجون من النار» لم ينتهوا، فبعضهم في سيناء وبعضهم في محافظات الدلتا؛ لأن الامتداد واحد[٤].

ولا يزال فكر «التوقف والتبين» موجود في مصر، لكنه لا يتبنى العمل المسلح؛ كما كان حاله قبل «الناجون من النار»، ويقدر عددهم في مصر بين (١٠٠٠-٢٠٠٠) شخص[٥].

الخاتمة

مسار الغلو والتطرف والعنف والإرهاب لا يزال يتدحرج ويكبر؛ بجهل أفراده وظلم السلطة وسوء تصرفها، ولكن المجتمع هو من يدفع الثمن مِن أمنه، كما أن الدين يتعرض لردّات فعل سيئة ومقصودة؛ من التشويه، وكيل الاتهامات له من كثير من أعداء الدين، مما يخلق مناخًا مناسبًا للتطرف، ولا يساعد على علاج مشكلة الغلو والتطرف العنف والإرهاب.

(١) مقال (الصفتي: الرجل الذي زرع التكفير في سيناء)، ماهر فرغلي، «موقع البوابة».

(٢) الداخلية توجّه ضربة للجماعات المتطرفة ضبطت زعيم تنظيم (الناجون من النار)، محمود عبد الراضي، «اليوم السابع».

(٣) مقال (الصفتي: الرجل الذي زرع التكفير في سيناء)، ماهر فرغلي، «موقع البوابة».

(٤) «دماء على رمال سيناء، القصة الكاملة للتنظيمات الجهادية الجديدة في مصر»، ماهر فرغلي وصلاح الدين حسن، (ص٢٣٤).

(٥) «دليل الحركات الإسلامية المصرية» (ص١٦٠).

ثورات الخوارج (١٥):
قتال الأزارقة بين المهلّب وابن معمر!

هيثم الكسواني - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد»

أشرنا في المقال السابق إلى أن المهلّب كان من القادة الذين تبنّوا سياسة النَّفَس الطويل في حربِه مع الخوارج الأزارقة، فلم يكن يسعى إلى نصر سريع أو معركة خاطفة، كما أنه كان يتمتع بِبُعد النظر وحسن التخطيط؛ كما تجلّى ذلك في الشروط التي وضعها أمام أهل البصرة لتولّي هذه المهمة، والتي تضمن لجيوش المسلمين الاستمرار في مهمّتها وحسن الأداء.

وإذا كانت أول جولةٍ بين قائد الجيش المسلم المهلّب بن أبي صفرة والأزارقة الخوارج قد انتهت لصالح المهلّب؛ إلَّا أنه سرعان ما تعرض إلى ضربة موجعة؛ بقيام الأزارقة باغتيال شقيقه وأحد مساعديه: المعارك بن أبي صفرة، وصلْبِه[١].

لكنّ قائدًا خبيرًا مثل المهلّب يعلم أنّ مهمّته ليست سهلة، وأنّ طريقه ليست مفروشة بالورود! لذا «أرسل ابنه المغيرة إلى نهر تيري[٢]؛ حيث دفن عمّه، وسكّن روْع الناس هناك»[٣].

ويلتقي الطرفان مجدّدًا على أرض الأحواز، في أحد أيام سنة (٦٥هـ)، في مكان يُقال له: «سولاف»، فيقتتلان قتالًا شديدًا، وكانت تلك أوّل معركة كبيرة بين الطرفين[٤]، وفيها حمَل الخوارجُ على جيش المهلّب حملة شديدة، وكان النصرُ حليفَهم، وفرّ معظم أفراد جيش المسلمين، ولم يثبت سوى المهلّب وابنه المغيرة، في جماعة قليلة من الجند.

قد خلّد الخوارج انتصارهم يوم سولاف؛ فقال قائلهم:

وكائن تركنا يوم سولاف منهم
أسارى وقتلى في الجحيم مصيرُها[٥]

ولا يحتاج بيت الشعر هذا إلى كثيرِ عناء لإدراك حجم «التكفير» الموجود لدى الخوارج تجاه المسلمين، ولِمقارنه بموقف رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عندما قاتل الخوارج؛ بعد أن استحلّوا دماء المسلمين، وخرجوا على جماعتهم، وعندما سُئل عنهم نفى عنهم الشرك والنفاق، وقال: «قومٌ بغوا علينا»!

وبالعودة إلى المهلّب؛ فإنه سرعان ما استجمع قواه، وقام بتجميع جنوده، والتقى مع الخوارج من جديد على أرض الأحواز في «سِلّى وسِلّبْرى»، يقول الحموي: «والوقعة التي كانت بها كانت من أشدّ وقعة بين الخوارج والمهلّب»[٦].

فإلى أرض المعركة أقبل الخوارج في عدّة وعتاد هائلين، بسبب ما غنموه من الأراضي التي سيطروا عليها واحتلّوها، يقول

(١) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٤/ ١٩٧).
(٢) نهر يقع إلى الشرق من نهر دجلة، ويمرّ بأراضي الأحواز؛ المحتلة حاليًّا من إيران.
(٣) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٤٣).
(٤) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٣٨).
(٥) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٤/ ١٩٨).
(٦) ياقوت الحموي، «معجم البلدان» (٣/ ٢٣٢).

ابن كثير: «فسارَ إليهم المهلّب -وكان شجاعًا بطلًا صنديدًا-، فلمّا التقى هو والخوارج أقبلوا إليه يزفون في عدّة لم يُرَ مثلها من الدروع والزرود والخيول والسلاح؛ وذلك أن لهم مدة يأكلون تلك النواحي، وقد صار لهم تحمّل عظيم مع شجاعة لا تُدانى، وإقدام لا يُسامى، وقوة لا تُبارى، وسبقٍ إلى حومة الوغى لا يُجارى!»[1].

ولعلّ ما تمتع به الخوارج -على مرّ العصور- من البأس والإقدام والشدة في القتال كان سببًا لفتنة الكثير من المسلمين؛ الذين ظنّوا أن تلك الشجاعة والقوة دليل على الحقّ وصواب المنهج!!

وعلى الرغم من أن جيش المهلّب امتاز -أيضًا- بكثرة عدد أفراده؛ حيث بلغ قرابة ثلاثين ألفًا[2]؛ إلَّا أن الهزيمة كانت من نصيبه في بادئ الأمر، فقد حمَل الخوارج على جيش المهلّب -كما فعلوا يوم سولاف-، «فانهزم أصحاب المهلب، لا يلْوي والدٌ على ولد، ولا يلتفت أحد إلى أحد، ووصل إلى البصرة فُلّالهم»[3].

ومع وصول فلول الجيش المسلم إلى البصرة -ومعهم أنباء الهزيمة، ومُلاحقتهم من قبل الخوارج- اضطربت أحوال الناس هناك، وهرب أكثر أهلِها، بل ووصلهم نعي المهلب[4] بعد أن أشاع الخوارج أنه قُتل؛ لإضعاف معنويات جنده، حتى خشي أهل البصرة مِن أن تُسبى نساؤهم[5].

وإزاء ما حلّ بجيشه وفرار جنده وقف المهلّب بمكان مرتفع، وجعل ينادي: «إليّ عباد الله!»؛ فاجتمع إليه من جيشه ثلاثة آلاف، فقام فيهم خطيبًا، وذكّرهم بالصبر والثبات، وعدم الالتفات إلى المنهزمين والفارّين من جيشه.

(١) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧١٧).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) ياقوت الحموي، «معجم البلدان» (٣/٢٣٢).
(٥) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٤/١٩٩).

وخلال حديثه إلى جنده شعَر المهلّب أن تلك اللحظة هي المناسبة للهجوم على الخوارج، فجزء منهم توجّه نحو البصرة لملاحقة الفارّين من جند المهلّب، والآخرون آمنون مستريحون في معسكرهم بعد انتصارهم في بداية المعركة لا يظنون أن يَغير عليهم المهلب وجنوده، وهنا سنحت للمهلّب فكرة غريبة، وهي: محاربة الخوارج بالحجارة![6]، معلّلًا ذلك بأنها: «تنفر الخيل، وتصرف وجوهها، وتحير الرجالة[7] وتعقرهم»[8].

ولذلك قال لجنوده: «عزمتُ على كلّ رجلٍ منكم إلَّا أخذ عشرة أحجار معه، ثم امشوا بنا إلى عسكرهم، فإنهم الآن آمنون، وقد خرجت خيولُهم في طلب إخوانكم، فوالله! إني لأرجو أن لا ترجع إليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم، وتقتلوا أميرهم. ففعل الناس ذلك»[9].

كان لكلمات المهلّب وحجارته أثر بالغ في تلك المعركة، فالحجارة «جعلت تصرع الراجل، وتردّ الفارس»[10]، حتى أنشد الخوارج متعجّبين مذعورين:

أتانا بأحجارٍ ليقتلنا بها وهل تُقتل الأقران ويحك بالحجر[11]

هذه المعركة «سِلّى وسِلّبْرى»، والتي حدثت في شوال من سنة (٦٦هـ) كان من نتائجها إلحاق الهزيمة بالخوارج الأزارقة، وقتلِ عدد كبير منهم، يُقدر بسبعة آلاف، وقتلِ قائدهم عبيد الله بن الماحوز، وغَنِم المهلّب معسكرهم، وحاز من أموالهم شيئًا كثيرًا، ولم يفُت المهلّب أن يضع جنودًا بينه وبين الخوارج

(٦) المصدر السابق، وابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧١٧).
(٧) جمع راجل، أي: الماشي على رجليه، خلاف الفارس.
(٨) البلاذري، «أنساب الأشراف» (٧/١٦٢)، نسخة إلكترونية.
(٩) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧١٧).
(١٠) البلاذري، «أنساب الأشراف» (٧/١٦٠)، نسخة إلكترونية.
(١١) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٤/١٩٩).

الذين خرجوا يتعقبون جنده المنهزمين إلى البصرة، فأخذ جنودُه يختطفونهم ويقتلونهم، ومَن بقي مِن الخوارج فرّ إلى بلاد فارس، إلى كرمان وأصبهان[1].

أمّا المهلّب؛ فبقي مكانه بالأهواز حتى قدِم مصعب بن الزبير إلى البصرة، مطلع سنة (٦٧هـ)، واليًا عليها وعلى الكوفة مِن قِبل أخيه خليفة المسلمين آنذاك عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

اتخّذ مصعب قرارًا باستدعاء المهلّب؛ ليشترك معه في محاربة المختار الثقفي -الذي فشا أمره وسيطر على الحُكم في الكوفة-، وعيّن ابنَه المغيرة بن المهلّب مكانَه، وكلّفه بمقاتلة الأزارقة، وكتب له في ذلك يقول: «إنك إلا تكن كأبيك، فإنك -بحمد الله- كاف لِما ولّيت، وعليك بالجد في أمرك والحذر لعدوك!»[2].

وبعد تمكّن مصعب من هزيمة المختار وقتله سنة (٦٧هـ) ولّى المهلّبَ الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية[3]، وقيل في تفسير ذلك: إنّ مصعب بن الزبير كان يريد أن يجعل من المهلّب حاجزًا بينه وبين عبد الملك بن مروان[4]؛ الزعيم الأموي المتمركز بالشام آنذاك، والمتربص بابن الزبير، والطامح لاستعادة مُلك بني أميّة، وخليفة المسلمين فيما بعد.

ووجد الأزارقة -بعد رجوع المهلّب إلى البصرة- أن الفرصة صارت سانحة لتكثيف نشاطهم؛ خصوصًا أن ابنه المغيرة لم يقم بهجومات ضدّهم، لاقتصار مهمّته -على ما يبدو- على حماية البصرة من خطرهم[5].

وسرعان ما عزل مصعب المغيرةَ بن المهلّب، وولّى مكانَه عمر بن عبيد الله بن معمر واليًا على بلاد فارس، وكلّفه بمقاتلة الأزارقة؛ حيث كانت مهمة الوالي الجديد: إخراج الأزارقة من فارس؛ كما أخرجهم المهلب من الأهواز[6].

وقد تمكّن الوالي الجديد -في مناسبات عديدة- من تحقيق ذلك؛ فقد قاتلَهم وقهرهم وكسرهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة[7]، لكن في كل مرّة كان الخوارج ينسحبون ثم يعودون من جديد؛ بعد أن يقوّوا أنفسهم[8].

وعلى الرغم مما بذله ابن معمر من جهد، وما أبداه من كفاءة في قتال الأزارقة؛ إلّا أنه لم يتمكّن من إلحاق الهزيمة الماحقة بهم، ويبدو أن ذلك عائد إلى الخلاف الذي كان بينه وبين أفراد جيشه، بسبب انتماء كثير منهم إلى الأزد -قبيلة المهلّب-، وتثاقلهم من القتال تحت إمرة غيره أو غير إمرة ابنه المغيرة.

وقد تحدّث ابن معمر عن ذلك صراحة في حديثه إلى جنوده: «إنّكم لو ناصحتموني مناصحتكم للمهلّب لرجوتُ أن أنفي هذا العدوّ، ولكنّكم تقولون: قرشي حجازي، بعيد الدّار خيرُه لغيرنا، فتُقاتلون معي تعذيرًا»[9].

وبسبب ذلك ظلّ ابن معمر عاجزًا عن كسر الأزارقة؛ حيث تمكّنوا في إحدى المرّات من قطع بلاد فارس للتوجّه نحو البصرة، فلما سمع مصعب بذلك لام ابنَ معمّر «بتركه هؤلاء يجتازون ببلاده إلى البصرة»[10]، وخرج إليهم مصعب بنفسه،

---

(١) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٤/ ١٩٩)، ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص ١٧١٧).

(٢) البلاذري، «أنساب الأشراف» (٧/ ١٦٤)، نسخة إلكترونية.

(٣) د. علي محمد الصلابي، «الدولة الأموية» (١/ ٦٢٩).

(٤) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٤٤-١٤٥).

(٥) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٤٠).

(٦) المصدر السابق.

(٧) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧٣٦).

(٨) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٤٠).

(٩) المصدر السابق (ص١٤١).

(١٠) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧٣٧).

وتبعهم ابن معمّر، فشعر الأزارقة أنهم أصبحوا بين فكّي كماشة؛ فعدلوا إلى المدائن، وهناك «جعلوا يَقتلون النساء والولدان، ويبقرون بطون الحبالى، ويفعلون أفعالًا لم يفعلها غيرهم!»[1].

ولم تكن المدائن المدينة الوحيدة التي ارتكب فيها الخوارج المذابح؛ ففي كلّ مكان كانوا يهربون إليه ينشرون فيه الخراب والقتل، ثم اتجهوا نحو الكوفة، فخرج إليهم أهلُها، فعدلوا إلى أصبهان -في بلاد فارس-، وحاصروها، ووليها آنذاك عتّاب ابن ورقاء التميمي.

ووجد الناس مشقّة كبيرة من حصار الخوارج، وعندما أحسّ عتّاب أن الحصار سيؤدي إلى هلاكه وهلاك من معه قرّر الخروج لمقاتلة الأزارقة؛ فقاتلهم، وتمكّن من إلحاق الهزيمة بهم، وقتل زعيمهم الزبير بن الماحوز[2]؛ الذي اختاروه قائدًا لهم بعد مقتل زعيمهم السابق عبيد الله بن الماحوز.

اختار الأزارقة بعد الزبير قائدًا جديدًا لهم هو: قطري بن الفجاءة، وفي المقابل استدعى مصعب بن الزبير المهلّبَ من الموصل وولّاه قتال الأزارقة من جديد، لأنّ «أحدا لم يستطع أن يقوم مقام المهلّب في مقاومة الخوارج»[3].

(١) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧٣٧).

(٢) المصدر السابق، ود. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٤٣).

(٣) د. علي محمد الصلابي، «الدولة الأموية» (١/ ٦٢٩).

المراجع:

١ - ابن كثير، «البداية والنهاية»، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

٢ - البلاذري، «أنساب الأشراف»، نسخة إلكترونية.

٣- ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، دار صادر ودار بيروت، بيروت، (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م).

٤ - ياقوت الحموي، «معجم البلدان»، دار صادر، بيروت، (١٩٩٣م).

٥ - د. علي محمد الصلابي، «الدولة الأموية»، دار المعرفة، الطبعة الثانية، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

٦ - د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي»، دار الطليعة، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٧- د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج: نشأتها وتطورها»، دار الطليعة، (٢٠٠٧م).

لماذا يحاربون «صحيح البخاري»؟ (٤):
فرية احتواء «صحيح البخاري» على إسرائيليات

فادي قراقرة - كاتب فلسطيني

خاص بـ «الراصد».

يستحسن قبل الخوض في شبهة وجود الإسرائيليات في «صحيح البخاري» التنبه والتيقظ لمدى مبالغة وتضخيم أعداء السنة في عرض إشكالياتهم، وعدم اعتمادهم منهجية علمية محايدة؛ إذ هم يعمدون إلى تضخيم المصطلحات والمبالغة في الشك والافتراضات البعيدة، واعتماد الاحتمال الضعيف والشاذ في الاستدلال! **وهذه هي القاعدة الغالبة المضطردة في أحكامهم على السنة عمومًا.**

نعم، هذا الملمح الأساسيّ في مناهج المعادين للسنة؛ الذي يعد قاسمًا مشتركًا بينهم جميعًا!

إنهم يمضون مع شكوكهم إلى أبعد مدى، ويطرحون افتراضات لا رصيد لها من الواقع التاريخيّ، بل إنهم ينفون العديد من الروايات الصحيحة لأسباب واهية، بينما نجدهم يتشبّثون -في المقابل- بكل ما هو ضعيف وشاذ!

وقضيتنا هنا مثال على خلل منهجهم العلمي وقلة أمانتهم.

■ البداية:

دأب المستشرقون على بثّ شبهاتهم في الموضوعات الحساسة من الإسلام، فهم يحاولون جهد إمكانهم ردها إلى أصل نصراني، وطائفة المستشرقين من اليهود كذلك؛ وخاصة بعد تأسيس (إسرائيل)، وتحكّم الصهيونية في غالبيتهم، يجهدون أنفسهم بردّ كل ما هو إسلامي وعربي لأصل يهودي، وكلتا الطائفتين في هذا الباب تبع لسلطان العواطف والأهواء[١].

ومن هذا مارس جموع المستشرقين بثّ سمومهم، ومعظمهم خريجو كليات اللاهوت، والحقيقة أنهم تبع لجذورهم التي تعود إلى هوجو ايولوجيوس القرطبي (ت: ٨٥٩م)، وكذلك بطرس ألفا روس (ت: ٨٦٩م)[٢]، اللذين كانا على رأس من تبنى هذه الأفكار الشيطانية القائلة بأن محمدًا ﷺ أسس دينه من نواة مسيحية ويهودية.

وبقيت هذه الشبهة تتنقل بين كتابات النصارى إلى حدود القرن السادس عشر الميلادي، ثم اختفت لتعود بعد حين إلى واجهة الشبهات على الإسلام على يد المستشرق (اليهودي) جولد تسيهر؛ الذي ادّعى أن دعوة النبي ﷺ ما هي إلا مزيج من معارف يهودية ونصرانية (إسرائيليات)، حتى قال متحدثًا عن نبينا ﷺ: «..كما صار رهبان المسيحيين وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه، وقد كانوا من قبل أساتذة له»[٣].

ومثله المستشرق فيليب حتّي؛ الذي رأى أن الإسلام تأثر بالتشريعات اليهودية والنصرانية على حد سواء، حيث نسج «في ترتيب صلاة الجمعة على منوال اليهود في عباداتهم بالكنيس، وتأثر من بعد بطقوس صلاة الأحد التي يمارسها النصارى في البِيَع»[٤].

---

(١) «مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي ﷺ، عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية»، د. رياض العمري، (١/ ٥٣٢).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٥٤٦).

(٣) «العقيدة والشريعة في الإسلام»، جولد تسيهر، (ص٢٠).

(٤) «مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي ﷺ» (١/ ٥٣٤).

وكذلك المستشرق الألماني رودي باريت في كتابه «محمد والقرآن»[1].

وتابعهم أذنابهم من الحداثيين والعلمانيين والرافضة، وغيرهم من العرب؛ ممن تنكبوا على أقل أحوالِهم أصولَهُم وأحوالهُم، جريًا وراء سراب الشهرة، أو مال منقوع بالحرام، «فهي القراءة الاستشراقية التي تتخذ امتداداتها إلى الأساتذة العرب»[2]؛ كما يحلو للحداثي محمد عابد الجابري أن يسميها.

وكان على رأس الطريق الثاني من العرب الذي تنبوا أطروحات المستشرقين مع بقائهم على أصل الإسلام: أحمد أمين[3]، ومحمد عابد الجابري[4]، وأبو رية؛ الذي قال: «لا يعجب القارئ من أن يدخل في الإسلام مسيحيات بعد أن دخل فيه إسرائيليات، فإنه قد شيب بأشياء من كل دين ومن كل نحلة، ولكن المجال لا يتسع لبيان كل ما دخل عليه من الملل الأخرى»[5]، **وغيرهم ممن انخدعوا بهذه النظرة اليهودية للإسلام.**

ثم تلقف الشبهة طبقة ثانية من العرب، ومن المنتسبين للإسلام؛ من أبناء جلدتنا، ممن يتكلّمون بغير ألسنتنا، ويهدفون إلى ضرب السنة عامة و«صحيح البخاري» خاصة، ولكن بصياغة مختلفة، أصلها من عند ذلك اليهودي (جولد تسيهر)، حيث استسلموا لشبهته لضعفٍ في صياغة آرائهم، ولعدم التخصص الحديثي؛ فضلًا عن الشرعي عامة، فعاثوا في دين الله فسادًا؛ فضلًا عن خبث ما انطوت عليه نفوسهم الذي أظهرته فلتات ألسنة كثير منهم!

ومن هؤلاء: صالح أبو بكر؛ الذي دوّن كتابه «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية، وتطهير البخاري منها»، ومحمد حمزة في كتابه «الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث»[6]، وجمال البنا[7]، وغيرهم الكثير من المحسوبين على جهات مشبوهة!

ومِن هؤلاء -أيضًا-: مستشار الحكومة النمساوية المدعو عدنان إبراهيم؛ الذي قال: «سآتيكم بأحاديث في البخاري ومسلم وعن عودة عيسى وعن الدجال وغير الدجال، وأريكم أصولها من اليهود والنصارى؛ كلها عقائد يهودية نصرانية أُدخلت الإسلام، وهي عكس روح القران تمامًا»[8]، وتمامًا يصدق عليه المثل القائل: «اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس»، ويكأن ريح اليهودي النمساوي جولدتسيهر قد أصابته في عقله؛ فأصبح يهذي! وهو ممّن يعمل على تهوين شأن الخلاف بين الأديان حتى الخلاف الحاصل في الأصول والثوابت، فما باله هنا خرج عن ثوبه؟! إن دلّ هذا فإنما يدل على مدى الاضطراب الذي وقع فيه!

◙ جوابًا على الشبهة:

الحق أن شبهة اشتمال «صحيح البخاري» على إسرائيليات شبهة لا طعم لها ولا رائحة، وهي دعوى عريضة لا حظ لها من الحق في شيء؛ إذ أنها صادرة عن أحكام مسبقة دون استناد إلى أدلّة ظاهرة حقيقية.

ولأن الطاعن في السنة يعلم يقينًا أنه لا يستطيع إثبات حجّته على منوال علمي، ولأنه يعلم يقينًا أن العقلاء لن يتقبلوا كلامه؛ فقد حاول عبثًا اللعب بمصطلح (الإسرائيليات) تعريفًا وتطبيقًا، ومن ثمّ نسج عليه شبهته التي أرادها، وحقيقة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «نحن والتراث»، محمد عابد الجابري، (ص١٤).

(٣) «فجر الإسلام»، أحمد أمين، (ص٢٥٥).

(٤) «نحن والتراث»، محمد عابد الجابري، (ص٨٠-٨١).

(٥) «أضواء على السنة المحمدية»، محمود أبو رية، (ص١٨١).

(٦) (ص٢٣٢).

(٧) في مقال له في صحيفة «المصري اليوم»، بتاريخ (١٥/٨/٢٠٠٧)، بعنوان: (إسرائيليات في البخاري).

(٨) بعنوان: (إسرائيليات أصبحت جزءًا من ديننا).
https://www.youtube.com/watch?v=vQOzkEA١ivE

مصطلح وحقيقة (الإسرائيليات) -الموافقة للشريعة- من الناحية التطبيقية: أنها تلك الروايات المنقولة عن أهل الكتاب مما يتعلق بهم؛ سواءً التي نقلها من أسلم من أهل الكتاب؛ كالتابعي كعب الأحبار، أو وهب بن منبه، أو غيرهما؛ فضلًا عمّا نقله بعض الصحابة من مرويّاتهم فيما لا يخالف ديننا[1].

ويظهر -مما سبق ذكره- أن هذه الأخبار إنما هي: أقوال أصحابها، وليست من كلام النبي ﷺ، ولا مما ذكره القرآن في كلامه، إلا إن أجرينا قاعدة جولد تسيهر؛ فاعتبرنا أن كلام النبي ﷺ مستقى من الإسرائيليات؛ فهذا شأن آخر!

هذه المشكلة أوقعتهم في (حيص بيص)! مما اضطرهم لنصرة باطلهم بمحاولة العبث بالمصطلح وتضخيمه ليتوافق مع الطرح الغربي بشكل عام، فهي حرب مصطلحات، وذلك بتطويع المفاهيم الشرعية لمعطيات الثقافة الغربية الغالبة، عبر ضخ المفاهيم الغربية في المصطلحات الشرعية، وظهرت آثار هذه الحرب في تطبيقات المصطلح، دون التعرض كثيرًا لتعريفه؛ إذ أنهم لو تعرضوا لتعريف الإسرائيليات لكانت حجتهم مفضوحة أكثر.

وعمدة شبهتهم هو: ذكر المتشابهات بين نصوص الأحاديث النبوية وبين ما هو موجود عند اليهود والنصارى، ومحاولة جر هذه المتشابهات لجعلها من قبيل الإسرائيليات، وبالتالي إثبات وجود الإسرائيليات في السنة، وهكذا يكونون قد أدخلوا فيه ما ليس منه، كل هذا ليثبتوا قاعدتهم التي بنوها على قناعات مسبقة!

والحق أن المشابهة الحاصلة في ذكر بعض القصص والوقائع وأخبار الأمم قبل أمة النبي ﷺ ليست من قبيل النقل من الإسرائيليات، لأسباب عديدة منها:

أولًا: أن التشابه الحاصل بين بعض النصوص النبوية التي وردت على لسان نبينا محمد عليه ﷺ، وبين بعض نصوص أهل الكتاب كانت من قبيل اتحاد المصدر الأول -وإن كان التحريف واقعًا في كتب أهل الكتاب- وأصول المعلومات، والمقصود باتحاد المصدر هو: أن أصلها واحد من عند الله؛ إلا أن عجلة التحريف لم تسلم منها أديان أهل الكتاب.

ومن جانب آخر؛ فإن مسألة التشابه بين الإسلام ودين أهل الكتاب من اليهود والنصارى غير مدفوعة عقلًا ولا شرعًا، بل هي ضرورة ثابتة لزومًا، ولها أمثلتها في القرآن والسنة، فليست أمرًا بحاجة إلى إعادة اكتشاف، فمثلها لم يكن غائبًا قط؛ فضلًا عن أن يكون اكتشافًا صاعقًا؛ كما يحلو للبعض أن يعبر عنه![2] فإن التحريف الذي أصاب الكتب السماوية السابقة، والضياع الذي حل بها لم يغير كل كلمة وحرف في هذه الكتب.

نعم، وقع في هذه الكتب الخرافات؛ فضلًا عن الشرك بالله، لكن بقيت موضوعاتها الرئيسة موجودة، ومما يعين على إدراك هذا المعنى أن الله قد أرشد إليه في كتابه؛ حيث قال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[الأعراف:١٥٧]، فلو لم يكن في هذه الكتب حقٌّ لَما أخبر بوجود علامات النبي الأمي في التوراة والإنجيل، وهذا دليل ظاهر على اشتمال بعض أخبار أهل الكتاب على الحق؛ وإن وقع فيها التحريف.

والأدلة القرآنية في هذا الباب كثيرة جدًّا، منها -أيضًا-: قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[الأنعام: ٢٠]، فلو أن كتبهم لم تشتمل على حق لما أخبر الله بمعرفتهم النبي ﷺ كمعرفتهم أبناءهم.

وعلى ما سبق؛ فلا غرابة أن يكون في الحديث النبوي ما يُحدث بمعناه أهل الكتاب أو موجودًا في كتبهم[3].

---

(١) «دعوى وجود الإسرائيليات في الصحيحين»، د. علي بن صالح مصطفى.

(٢) انظر: تعبير محمد أركون لها في كتابه «القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني» (ص٩٥).

(٣) «ملتقى أعلام الإسلام، الإمام البخاري نموذجًا»، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، (٢/ ٣٠١).

ثانيًا: يلزم هؤلاء الطاعنين في السنة عمومًا -بزعم اشتمالها على إسرائيليات لوجود التشابه!- أن يطعنوا بالقرآن، فالمؤدى واحد، وذلك: أن الله أخبرنا في كتابه عن قصص الأمم البائدة أو قصص الأنبياء ما نجد مثله في التوراة والإنجيل؛ كقصة آدم في نزوله من الجنة؛ مع اختلاف في بعض التفاصيل، لكن المشابهة واضحة وظاهرة، وكالتشابه الحاصل في بدء الخلق، فضلًا عن هلاك الأمم السالفة، ويوم القيامة، وغيرها من الأخبار التي أصولها صحيحة.

فهل سيجرؤ أولئك على الطعن في القرآن؟!

ثالثًا: لو افترضنا -جدلًا- احتواء «صحيح البخاري» إسرائيليات لَما كان في هذا مطعن في «صحيح البخاري»، لأن الإسرائيليات المعمول بها والمحتج فيها عند العلماء تنقسم إلى قسمين:

الأول: ما وافقت فيه الشريعة، فهذا ظاهر جدًّا؛ لما سبق من بيان وجه اتحاد نقل الخبر.

الثاني: ما لم تخالف فيه الشريعة، وجاء فيها الخبر عن الصادق المصدوق ﷺ؛ حيث قال: «**حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»[1].

وعلى هذا؛ فكونها أخبارًا كقصص أو ما سواه مما ليس له أثرٌ على الأحكام الشرعية بتاتًا؛ فإنها مقبولة، ولا تتعارض مع الشريعة، مثلًا: كتسمية ابني آدم بـ (قابيل وهابيل)، إلى غير ذلك من الأخبار التي ذكرها جمعٌ ممن يؤمن قولهم على دين الله، من الصحابة والتابعين؛ فضلًا عمّن سواهم.

ومما يحسن ذكره فيما يتعلق بموضوع الإسرائيليات:

أن القول بتكذيب الأخبار المسماة: (بالإسرائيليات) مطلقًا لا يتفق مع مضمون التاريخ البشري بشكل عام؛ لِما فيه من أخبار الأمم السابقة التي كانت قبل الإسلام؛ فضلًا عن أخبار أهل الكتاب مما يخص أمورهم وأحوالهم، وأحوال الأنبياء المبعوثين فيهم قبل ظهور دعوة النبي ﷺ.

◙ وخلاصة ما سبق:

أنه لا يوجد في «صحيح البخاري» إسرائيليات، وأن الزعم بوجودها مجرد خرافة! يستهلكونها للطعن في قدسية حديث النبي ﷺ.

وإن الطعن في «صحيح البخاري» بحجة احتوائه على إسرائيليات يلزم منه الطعن في القرآن.

وأن الطعن في «صحيح البخاري» ما هو إلا نابتة مارسها بعض مشعوذي الألفاظ من المستشرقين ومَن سايرهم؛ ممن يضخمون المصطلحات ويعوّمونها؛ ليؤدوا خدمة جليلة لأعداء الإسلام من الطعن في مصادر الشريعة الإسلامية.

خرافة المظلومة الشيعية في العراق:
٢- حكم الملك فيصل الأول

عبد العزيز بن صالح المحمود- باحث عراقي

خاص بـ «الراصد».

فنَّدنا في الحلقة السابقة خرافة (المظلومية المزعومة لشيعة العراق في العهد العثماني)، وفي هذه الحلقة نفند خرافة (المظلومية في عهد الملك فيصل الأول)؛ الذي جاء بعد الحكم العثماني واحتلال الإنكليز للعراق.

◄ الشيعة والاحتلال البريطاني:

في أواخر الحكم العثماني واحتلال الإنجليز للعراق طالبت مجموعة من الضباط العرب السنة في الجيش العثماني بحكمٍ عربي للعراق، وشكلوا من أجل ذلك جمعيات منها: «جمعية العهد» سنة (١٩١٣م)، كما برزت تحركات عشائرية شيعية عراقية تؤيد تنصيب ملك عربي هاشمي على العراق، فتم الاتصال بأحد أبناء الشريف حسين (شريف مكة) لتنصيبه ملكًا للعراق.

---

(١) «صحيح البخاري»، حديث رقم (٣٤٦١)، (٤/ ١٧٠).

لم يكن الاحتلال البريطاني راضيًا بذلك؛ لأنه يريد أن يحكم العراق بشكل مباشر، لكن الضغوط الشعبية العراقية اضطره لعمل استفتاء للشعب العراقي خلاصته: هل تؤيد قيام حكم ملكي عربي مستقل؟ وأظهرت النتائج اضطرابًا واضحًا عند العراقيين! لكن الذي يهمنا وله صلة بموضوعنا هو: موقف الشيعة من هذا الاستفتاء.

يزعم العديد من الكتاب الشيعة أنهم كانوا مؤيدين لحكم أحد أبناء الشريف حسين للعراق، وهذا غير صحيح؛ فالشيعة انقسموا بشكل واضح حيال هذه القضية لموقفين:

الأول: موقف المرجع الشيعي كاظم اليزدي بعد التشاور مع بريطانيا الرافضة لقيام حكم عربي بالعراق؛ إذْ أيّد اليزدي استمرار بريطانيا بحكم العراق، كما وقّع سادن الروضة العلوية في النجف هادي الرفيعي مع (٢١) شخصية من وجهاء مدينة النجف مطالبين باستمرار حكم بريطانيا للعراق، وكان شرطهم على البريطانيين: منحهم حرية ممارسة الطقوس الدينية، وحفظ مكانة المجتهدين.

وأيّد ذلك مجموعة من المراجع الشيعة، منهم: محمد مهدي الكشميري، وهاشم الهندي النجفي، ومحمود الهندي النجفي، وجعفر بحر العلوم -وهو إيراني-، ومن المراجع العربية: حسن بن صاحب الجواهري، وعلي بن محمد كاشف الغطاء.

وجميع هؤلاء أيّدوا بقاء حكم الإنكليز، ورفضوا قيام حكم ملكي عربي!

ووقّع (٤٠) من وجهاء الشيعة من بغداد والكاظمية على عريضة تؤيد بقاء الحكم البريطاني، ونصّوا على أن يكون برسي كوكس حاكمًا للعراق، كما حصل تأييد من قبل بعض وجهاء الشيعة في مدينتي سامراء وكربلاء.

القسم الثاني: أيّد جماعة العهد -وهم ضباط سنة- بقيام حكم عربي من أبناء الشريف حسين، وبعض المجتهدين الشيعة، ومنهم: شيخ الشريعة الأصفهاني، وعبد الكريم الجزائري، وجواد بن صاحب الجواهري، ومهدي كاشف الغطاء، ومرزا محمد تقي الشيرازي، ومحمد رضا الشبيبي، ووقعت وثيقة من (٤٥) شخصية مرموقة سنية وشيعية تدعم هذا الرأي.

لكن لنا هنا ملاحظة مهمة، وهي: أنه برغم اتفاق السنة والشيعة على قيام حكم عربي إلا أن طبيعة هذا الحكم كان محل اختلاف؛ فأبناء الشريف والسُنّة وعدد قليل من الزعامات الشيعية كانوا يريدون حكمًا عربيًّا حقيقيًّا للعراق، بينما غالبية قيادات الشيعة كانت ترغب بحكم ملكي شكلي دستوري، عبر مبادئ دستورية منسوخة حرفيًّا من الثورة الدستورية في إيران، مما يمكّن مراجع الشيعة من حكم العراق في الحقيقة، وهذا ما نادى به محمد تقي الشيرازي عَلَنًا!!

وحاول هذا القسم من الشيعة فرض رؤيته؛ عبر تنفيذ ثورة لطرد الإنكليز من العراق ليصفو الجو للمجتهدين لحكم العراق تحت حكم شكلي من أحد أبناء الشريف، فكانت ثورة العشرين (١٩٢٠م)[1]، لكن الخطة فشلت بفشل الثورة، وبذلك ظهرت حقيقة نوايا الشيعة بحكم العراق من خلال مرجعيات طائفية إيرانية.

وبهذا ينكشف أن الشيعة كان لهم دور واضح في تأسيس الدولة العراقية الحديثة، ولم يُقصهم أحد خلال تلك الفترة التأسيسية للعراق، ولكنهم تأرجحوا بين بقاء حكم الإنكليز بالعراق من جهة، وبين قيام حكم تكون السيطرة فيه بيد المراجع الشيعية الدينية الإيرانية، فهل هؤلاء مظلومون، أم ظالمون؟!

◄ الشيعة ومقدمات تأسيس الدولة العراقية (١٩٢١):

أرسل قادة العراق -سنة وشيعة- إلى الشريف حسين -وهو في الحجاز- لتشجيعه على استلام عرش العراق من قبل

(١) وقد فصّلت القول في حقيقة هذه الثورة وأهدافها في مقالاتي المنشورة في مجلة «الراصد»، تحت عنوان: (جهود علماء العراق في الرد على الشيعة)؛ والتي ستنشر في كتاب مستقل -بإذن الله-.

أحد أولاده، فكتبوا له:

«نرجو إرسال نجلكم الملك فيصل إلى العراق ليكون ملكًا دستوريًّا، منتظرين تشريفه».

التوقيع: محمد الصدر (شيعي)، نوري السعيد، حمدي الباججي، محيي الدين السهروردي، بهجت زينل.

وكذلك طالب قادة ثورة العشرين -الذين هربوا إلى الحجاز- بالملك فيصل ملكًا على العراق، ومن هؤلاء: جعفر أبو التمن، ونور الياسري، وعلوان الياسري، ورابح العطية، وشعلان الظاهر، ومحسن أبو طبيخ (وكلهم شيعة)، ثم أعقبهم علي البزركان، ومحمود رامز، وإسماعيل كله[1]، كما راسله الشخصية الشيعية المشهورة محمد رضا الشبيبي[2].

وبرغم ذلك؛ فإنّ علماء الشيعة ومراجعهم اعتبروا أنّ فيصل الأول تابع للإنكليز، وأنه سيقف ضد مصالحهم كرجال دين، لأن فيصلًا كان ينوي تأسيس دولة عراقية حديثة، بعيدة عن وصاية المراجع الشيعية، وعن الانقسامات القبلية والعشائرية، فعندما وصل فيصل للعراق ومرّ بمنطقة الجنوب ووسط العراق استقبل استقبالًا سَيئًا من قبل المراجع الشيعة، وبه نوع من الاحتقار! رغم حرص فيصل على عشائر الجنوب العربية.

وسبب ذلك أنّ «علماء الشيعة كانوا يفكرون ألا يكون الحكم في بغداد، فقد كان رجال الدين الشيعة يتطلعون إلى إقامة حكم ديني يكون على رأسه نائب الإمام المجتهد الأكبر؛ لذا فإنهم يعارضون بكل ما أوتوا من قوة أي حكومة قوية تكون في بغداد، قد يتغاضون عن حكومة ضعيفة لا حول لها ولا تحول دون تحقيق طموحهم وأمانيهم، ولكنهم -وفي كل تأكيد- يسعون دومًا لإثارة المصاعب وإقامة العقبات في وجه حكومة مركزية قوية.

وبعد أن تشكّلت حكومة فيصل، أخذ علماء الشيعة وشيوخ قبائل (الجنوب) ينصرفون عنها تدريجيًّا، مظهرين لها العداء؛ لأنّ أحدًا من هاتين الفئتين ما كان يرى الأهداف التي كانت الحكومة تأمل أن تحققها.

وقد أدرك الوطنيون هذا الأمر؛ فدأبوا على تحطيم قوة العلماء وسلطة شيوخ القبائل»[3].

ويعترف أحد الكتاب الشيعة أن ثمة انقسامًا كبيرًا حدث بين الشيعة تجاه الملك فيصل؛ فكبار المراجع رفضوا ترشيحه، والأقل شأنًا منهم رشحوه[4].

لذلك أقول: إن علماء الشيعة -وهم القيادة الحقيقية للجمهور الشيعي في جميع الأزمنة- هم من أشاع خرافة هذه المظلومية ورسّخها لدى الجمهور الشيعي؛ لأن المراجع لم يحصلوا على ما كانوا يخططون له، وهو الهيمنة التامة؛ ولذلك وضعوا العقبات أمام حكومة الملك فيصل طيلة مدة حكمه؛ التي استمرت (١٢) عامًا.

◄ الشيعة وتأسيس الحكومة العراقية:

بعد قبول بريطانيا تنصيب الملك فيصل ملكًا على العراق وتأسيس حكومة عراقية، بدأ المندوب السامي برسي كوكس بالبحث عن رئيس وزراء للعراق، فجلس أولًا مع علماء الشيعة ومراجعهم، فقد زار المرجع الشيعي الأعلى كاظم اليزدي، قبل أن يزور عبد الرحمن النقيب (سني)، وعرض عليهما رئاسة الوزراء؛ إلا أن كاظم اليزدي رفض الفكرة[5]، فتمَّ تنصيب النقيب رئيسًا للوزراء.

ولكن الشيعة يروّجون خرافة أنه جرى اتفاق بين المندوب البريطاني كوكس وعبد الرحمن النقيب، مقتضاه:

---

(١) بحث: (الخلاف بين الملك فيصل الأول والإنكليز حول السياسة في العراق)، للدكتورة علياء محمد حسين الزبيديّ، المنشور في مجلة «كلية الآداب»، بغداد، العدد (٩٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) هذا كلام الدكتور عبد الله النفيسي في دراسته للدكتوراة من جامعة بريطانية (دور الشيعة في تطور العراق الحديث) (ص٢٥٥).

(٤) «شيعة الوطن وبناء العراق»، محمد جواد مالك، (ص٦٠٢).

(٥) «لمحات اجتماعية»، علي الوردي (٦/٢٢-٢٣).

أنّ تسليم حكم العراق للسنة مشروط بإبعاد الشيعة وحرمانهم من حقوقهم في المشاركة بالحكم بما يتناسب مع حجمهم السكاني، انتقامًا من دورهم الفعال في ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني، ومساهمتهم قبل ذلك في حركة الجهاد التي واجهت القوات البريطانية في البصرة عام (١٩١٤)!

وهذه المظلومية المخترعة ليس لها أصل أو إشارة في أي مرجع علمي أو وثائق سياسية، وإنما بنيت على فرضية طرحها عالم الاجتماع العراقي الشيعي الدكتور علي الوردي، ليفسر فيها كيف ولماذا وافق عبد الرحمن النقيب على قبول تولي رئاسة الوزارة مع إنه معروف بالزهد، وسبق له أن رفض الفكرة.

فطرح الوردي فرضية تقول: ربما أن كوكس حاول أن يلعب على أوتار الطائفية، وتخويف عبد الرحمن النقيب من أن يسلّم الحكم للضباط الشريفيين أو للشيعة فوافق، والنقيب معروف عنه نزعته البرجوازية والطائفية -على حد تعبير الوردي[١]-.

وقد ردّ على الوردي مفكر شيعي منصف وهو: الدكتور موسى الحسيني، وهكذا يتبين أن هذه فرضية وتحليل انطباعي وليست معلومات حقيقة!

ومما يفند خرافة وجود اتفاق على إقصاء الشيعة عن الحكم: أن الملك فيصل لما أراد أن يُشكل حكومته -بعد انتهاء حكومة النقيب- دعا الشيعة للمشاركة في الحكومة، فأرسل أحد الشيعة الوطنيين وهو: عبد الواحد سكر (من قادة ثورة العشرين) إلى النجف لمكانته عند المرجعية الشيعية؛ ليقنعهم بضرورة المشاركة بالحكومة الجديدة؛ فرفض المراجع ذلك، وخجل هو حتى بإرجاع الخبر إلى الملك فيصل![٢]

وهذا يؤكد أن رفض رئاسة الوزراء ورفض المشاركة في الحكومة هو رأي تبنّاه مراجع الشيعة، وليس إقصاءً واتفاقًا مع بريطانيا، وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين لشيعتهم!

لقد وقف مراجع الشيعة ضد تكوين الدولة العراقية؛ وقد اعترف العديد من الشيعة الطائفيين بذلك، يقول د.عبد الخالق حسين: «وبعد أن اضطر الإنكليز تأسيس الدولة العراقية الحديثة بسبب ثورة العشرين التي قامت بها عشائر الفرات الأوسط، وبدفع من رجال الدين الشيعة أنفسهم، وقفت القيادات الدينية الشيعية ضد أغلب الإجراءات الضرورية لبناء الركائز الأساسية للدولة الوليدة الفتية، وذلك باتخاذهم مواقف متشنجة ومتشددة ضد السلطة، وإصرارهم على شروط تعجيزية غير قابلة للتحقيق في تلك الفترة!

فوقفوا -مثلًا- ضد المعاهدة البريطانية-العراقية التي ما كان بالإمكان الاستغناء عنها في تلك الظروف القاهرة؛ وإلا لقامت تركيا بإعادة احتلال العراق، أو على الأقل إلحاق الموصل بها.

كما وأصدروا الفتاوى ضد الانتخابات لتشكيل المجلس التأسيسي، وضد إقرار الدستور، وضد قانون التجنيد الإجباري، وضد التعيين في الوظائف الحكومية، وحتى ضد إدخال أبناء وبنات الشيعة في المدارس الحكومية!

وفي كل هذه المناسبات كانوا يصدرون الفتاوى، يدعون الناس فيها إلى مقاطعة أوامر وتعليمات السلطة؛ وإلا فهم كفار، وتحرم عليهم زوجاتهم!!

وحتى دعوة رجال الدين الشيعة لأتباعهم إلى مقاطعة الانتخابات التي كانت الوسيلة الممكن اتخاذها للتخلص من الطائفية، فراحوا يصدرون الفتاوى في هذا الخصوص، وعلى سبيل المثال لا الحصر: في نوفمبر (١٩٢٢) نشر المجتهدون الشيعة الكبار فتوى عن الانتخابات، ورد فيها: «صدر منا تحريم الانتخاب في الوقت الحاضر؛ لما هو غير خفي على كل باد وحاضر، فمن دخل فيه، أو ساعد عليه؛ فهو كمن حارب الله ورسوله، وأولياءه

---

(١) «الشيعة والحكم في الدولة العراقية الحديثة»، الدكتور موسى الحسيني.

(٢) ذكره د. موسى الموسوي في «الطائفية في الوطن العربي»، نقلًا عن «لمحات اجتماعية»، لعلي الوردي.

-صلوات الله عليهم أجمعين-».

وإمعانًا في فتوى التحريم، صدرت فتوى أخرى تحرّم على من ينتخب زوجته وزيارته، ولا يجوز رد السلام عليه، ولا يدخل حمام المسلمين![1].

وبمرور الزمن بدأ مراجع الشيعة يغيرون رأيهم ويفتون بالدخول في الدولة؛ لذلك اجتمع جمع من المراجع الشيعة -وخاصة العرب- مع المجتهد الشيعي محمد حسين كاشف الغطاء، وطلبوا أن يلغوا فتواهم بعدم المشاركة التي أفتى بها المجتهدون الإيرانيون، وذلك سنة (١٩٣٥م) -وسنتكلم عنها في الحلقة القادمة-.

هذه هي الحقيقة التي فرّ منها حسن علوي في كتابه «الشيعة والدولة القومية»، ولم يناقشها كما ناقشها علي الوردي في كتابه «لمحات اجتماعية»، وحسين الشامي في كتابه «المرجعية الشيعية من الذات إلى المؤسسة»؛ الذي يفتخر بالمقاطعة ويعتبرها علامة وعي وإدراك لعلماء الشيعة، وكذلك عبد الرحيم الرهيمي في كتابه «تاريخ الحركة الإسلامية في العراق».

لذا كانت هناك مجموعة وطنية من مثقفي الشيعة من الذين لم يستجيبوا لتحريض المراجع، وانخرطوا في الأحزاب الوطنية، منهم: محمد رضا الشبيبي، والشاعر مهدي البصير، وجعفر أبو التمن -في الحزب الوطني-، وعبد الرزاق الأزري، وعبد الرسول كبة، ومحمد حسن كبة -في حزب النهضة العراقية-، وجعفر الشبيبي، وإسماعيل الصفار -في حزب الأمة-، ومن الشخصيات التي خاضت السياسة: عبد الرزاق الحسني، ومحمد الصدر، وصالح جبر، والأخيران وصلا إلى منصب رئاسة وزراء العراق في العهد الملكي.

لقد كان بإمكان الشيعة أن يكون وضعهم أفضل خلال هذه الفترة لولا سلوك وسياسة المراجع المعادية للملك فيصل الأول، والوقوف بوجه حقوق المكون الشيعي بحرمانه من العمل السياسي وتحريم المشاركة بالانتخابات.

وليس ذلك فحسب، بل حرَم المراجع المواطنين الشيعة من الوظيفة، ومِن تلقّي المساعدة المالية من الحكومة العراقية؛ لأنهم يعتبرونه مالًا حرامًا! ولأن الحكومة غير شرعية في نظرهم، وأن الحكومة الشرعية الوحيدة هي: الحكومة التي تستند إلى أهل البيت، وهذه لن تظهر إلا بظهور المهدي![2].

ومع ذلك؛ حرص الملك فيصل -برغم رفض الشيعة- على أن تضم حكومته وزيرين من الشيعة، أحدهما: كان وزير المعارف (التربية)!

إذًا؛ فالشيعة لم يُقصوا أبدًا من الحكم، بل إن الذين تعاملوا منهم مع الحكومة وطنيًّا كان لهم وجود فاعل وتأثير مستمر، ونالوا منصب رئاسة الوزراء.

◄ مطالبة الشيعة بتأسيس جيش عشائري من الجنوب:

بعد تأسيس الحكومة العراقية حان وقت تكوين جيش وطني للدولة، يدافع عن العراق عامة، لكن مراجع الشيعة كانوا يفكرون بشكل مختلف؛ فهم يريدون جيشًا من عشائرهم ليحركوه ضد فيصل كيفما ومتى شاؤوا لتحقيق مآربهم! فالفوضى لعبتهم؛ كما تفعل إيران ومراجعها اليوم؛ تثير الفوضى وتكثّر الميلشيات؛ حتى تستطيع الهيمنة على العراق وسوريا واليمن، فالتاريخ يعيد نفسه، وهؤلاء من أولئك؛ قوى عسكرية تحت هيمنة مراجعهم الطائفيين.

وفعلًا دعا مجموعة من كبار علماء الشيعة الإيرانيين لعقد مؤتمر في كربلاء، بقيادة أبي الحسن الأصفهاني، وحسين النائيني، ومهدي الخالصي (عراقي عربي متجنس إيراني)؛ لتأسيس جيش

(١) مقال: (دور الفقهاء الشيعة في العزل الطائفي)، عبد الخالق حسين، موقع «عبد الخالق حسين».

(٢) «دور الشيعة في تطور العراق الحديث»، عبد الله النفيسي، (ص٨٧)، «شيعة العراق»، إسحاق النقاش (ص٢٠٧).

عشائري، ودعوا الملك فيصل وبعض علماء السنة، لكن كشفت الخطة ولم يحضر الملك وعلماء السنة، ونجح الملك فيصل في تأسيس جيش عراقي، وكان أول فوج عسكري باسم: (موسى الكاظم)، وهكذا ينكشف جانب آخر من خرافة المظلومية!

◄ الشيعة وعرقلة تأسيس الدولة العراقية:

خلق الفوضى ليس حكرًا على المراجع الشيعية بل سلوك جميع التوجهات الشيعية، وهم يعترفون بهذا، فبرغم من أنه لم يكن يتوفر لديهم كوادر متعلمة يمكنها المشاركة في شؤون الحكم، بسبب تحريم مراجعهم دخول أبنائهم في المدارس العثمانية؛ إلا أنهم يصرّون على حصة في الحكم يقوم بها جهلة منهم! ولما رفض طلبهم فضّلوا حكم البريطانيين على حكم سني! وكتب ذلك مهدي الخالصي في وصيته أنه يفضل السيطرة البريطانية المباشرة على الحكومة العراقية[1].

وكانوا يجتمعون بالبريطانيين طالبين تغيير الحكومة، كما طلبوا تشكيل حكومة شيعية في المناطق الشيعية، أو تقسيم العراق!

لذلك كان الشيعة يعارضون أي مشروع يُطرح من قبل الحكومة، للإثبات للبريطانيين أن الشيعة قوة تستطيع تعطيل الدولة[2]، وقد ظهر ذلك واضحًا في مشروع التجنيد الإلزامي؛ حيث رفض الفكرة الانجليز؛ ليبقي العراق ضعيفًا، وشاركهم مراجع الشيعة؛ لتبقى الدولة ضعيفة، يمكن الانقلاب عليها -كما هو الواقع اليوم في العراق؛ من خلال تمكين المليشيات الشيعية على حساب الجيش!-، وفي افتعالهم مصادمات مع الشرطة العراقية في مواسم عاشوراء؛ كما جرى سنة (١٩٢٧)، ثم كانوا يقدمون شكواهم دائمًا للمندوب السامي البريطاني!

نعم؛ فشلت كل هذه المحاولات، لكنها عطلت كثيرًا مسار الدولة، ويعترف أحد الكتاب وهو: الدكتور فرهاد إبراهيم بذلك؛ بقوله: «منذ إنشاء دولة العراق لم يكن للشيعة العراقيين هدف سوى: حكم العراق، وإضعاف قوة الأقلية السنيّة»[3].

إن فشل الشيعة في تأسيس حكومة شيعية هو بسبب عدم وجود قادة سياسيين لديهم، وبسبب عدم وجود حزب، ولما حاول محسن أبو طبيخ أن يؤسس لهم حزبًا شيعيًّا في النجف سنة (١٩٣٢) فشل؛ لعدم وجود متعلمين بينهم! ففشلهم إذا ليس بسبب مظلومية أو إقصاء![4].

ومن أمثلة خرافة المظلومية: دعوى الشيعة أن حكومة فيصل الأول أرادت الحد من قوة الشيعة عبر إصدار قانون الجنسية العراقية سنة (١٩٢٤)؛ الذي يخير كل عراقي تجنّس إيرانيًّا أن يختار بين الجنسية العراقية أو الإيرانية، وأن التوظيف سيكون من حق من يحمل الجنسية العراقية فقط؛ حيث أن الوجود الإيراني كان كبيرًا في مناطق العراق، وكانوا يتمتعون بامتيازات كبيرة.

لكن مراجع الشيعة رفضوا أن يتخلوا عن الجنسية الإيرانية، وبقوا يطالبون أن يعينوا في وظائف حكومية![5] فيا لها من مظلومية؟!

◄ صراع المرجعية الشيعية مع الملك فيصل:

لم يتوقف علماء الشيعة عن السعي لإسقاط حكومة الملك فيصل الأول، واعتباره عميلًا للإنكليز لا شرعية له، وأنه يحارب الإسلام، وبدأ المرجع الخالصي بالتحضير للعصيان العام؛ ولم يخفَ ذلك على الملك فيصل؛ فعمل على تقليص نفوذهم،

---

(١) «شيعة العراق»، إسحاق النقاش، (ص٢١٤).

(٢) مثلما يفعلون اليوم في لبنان، ويشترطون نسبة الثلث المعطل لقيام أي خير للدولة اللبنانية!

(٣) في كتابه «الطائفية والسياسة في العالم العربي، نموذج الشيعة في العراق»، وفرهاد علماني، وكتابه نقَد فيه السنة كثيرًا، وهو يعيش في ألمانيا ويحاضر هناك، ولكنه أدرك هذه الحقيقة.

(٤) «محمد جعفر أبو التمن، دراسة في الزعامة السياسية العراقية»، د. خالد التميمي، (ص٣١٣-٣١٥، ٣٢٠-٣٢٤).

(٥) «شيعة العراق»، إسحاق النقاش، (ص١٧٩).

وقصقصة أجنحتهم[1].

ففي عام (١٩٢٣) قرر الملك ترحيل كل مجتهد إيراني الأصل، ولكنه لم يفعل، ولكن قام المراجع الإيرانيون التسعة بالمغادرة إلى إيران من تلقاء أنفسهم، ونفى الملك المرجع الخالصي إلى عُمان، فالتحق من هناك بإيران.

وأفتى الخالصي لشيعة العراق بضرورة دفع الخمس للحكومة الإيرانية؟! ليثبت -وهو العربي الأرومة والأصل- أنه يحنّ على أصل الدين لا أصل العروبة!

ولكن لقي هؤلاء المراجع العداوة من المراجع الإيرانيين، فعادوا من تلقاء أنفسهم للعراق سنة (١٩٢٤م)، وخلال غياب هؤلاء المراجع الإيرانيين في إيران قام بعض الشيعة في الجنوب بالتعاون مع الدولة في بناء العراق، وكتبوا عريضة يعلنون أن المجتهدين أخطأوا، ونشب صراع كبير بين المجتهدين الإيرانيين ومَن حلّ محلهم من المراجع العرب؛ الذين لقوا دعمًا من الملك فيصل.

لم يكن فيصل طائفيًّا أو ظالمًا للشيعة! فإدارة القصر كانت بيد شخص لبناني شيعي جاء معه وهو: رستم حيدر؛ الذي أصبح فيما بعد وزيرًا للمالية، لكن فيصل كان يريد بناء وطن لجميع أبنائه، وقد أثمرت جهوده الكثير من الخير لأبناء الجنوب الشيعة، فلأول مرة في تاريخ مناطق جنوب العراق العربي تأسست هناك مدارس ومؤسسات تعليمية، بعد أن كانت الأمية والجهل قد ضربت أطنابها.

وإدخال التعليم المعاصر أبعد الجنوب الشيعي عن مراجعه، وأخرج نخبة مثقفة تحمل شهادات شتى.

لقد كان العراق -وبالأخص جنوبه وشماله- تغزوه الأمية التي تصل نسبتها لـ (٩٠%) من أبنائه، حولها الملك فيصل الأول إلى نسبة (٤٦%) من الشعب يجيد القراءة والكتابة، في طفرة تاريخية خلال (١٠) سنوات من تأسيس الدولة العراقية الحديثة[2].

وبقيت مشكلة شيوخ العشائر الشيعية في الجنوب، والذين كان يتحكم فيهم المراجع، وبمجرد ضعف دور المراجع الإيرانيين تحسنت علاقة شيوخ العشائر مع الدولة العراقية، وتطورت مناطق الجنوب التي بقيت أكثر من خمسة قرون منطقة يسودها التخلف والنزاع والقتال، وأدى إلى تعاظم دور العشائر الاقتصادي والسياسي، وأصبح كثير منهم أعضاء في البرلمان العراقي، وانتسب العديد منهم للأحزاب الوطنية، وأصبحت علاقة شيوخ عشائر الجنوبية مع بغداد وطيدة، ولم تعد العشائر تفكر بحمل السلاح ومقاتلة الحكومة العراقية، وجرت عملية توطين كبيرة لكثير من القبائل المترحلة.

كانت هذه سياسة فيصل الأول الحكيمة ومن معه من الحكومات، والتي ربطت مصالح العشائر الشيعية بالمركز بغداد سياسيًّا واقتصاديًّا، رغم ما نتج عن ذلك من سلبيات ليس هنا محلها[3].

إن نشوء الدولة العراقية الحديثة أضعف دور المراجع؛ ولذلك ادّعوا المظلومية! بينما كان من المفترض أن تكون الدولة العراقية محل الشكر والاحترام؛ إذْ نقلت هذه المناطق العشائرية من البداوة والعشائرية والثأر والأمية والتخلف والاقتتال والسرقة والنهب من مناطق يسيطر عليها المؤمن والسيد[4]، إلى مناطق حضارية تخرج أولادها أطباء ومهندسين ومفكرين وعاملين منتجين، ينفعون أنفسهم وأولادهم وبلدهم.

---

(١) المصدر السابق، (ص١٥٣-١٥٤).

(٢) مقال: (الجهل في العراق في العهد العثماني)، فرهاد محمد أحمد، مدونته الشخصية، (٢٠١٣/٢/٢٦).

(٣) فقد أدى ذلك إلى هجرة من الجنوب إلى بغداد المتميزة اقتصاديًّا، تسببت بتغيير ديمغرافية بغداد، وبداية قوة التشيع في بغداد!

(٤) مصطلح (المؤمن) مصطلح شيعي، وهو: رجل ينشر التشيع، ويغسل موتاهم، ويعلمهم الزيارة، و(السيد) الشيعي هو: من نسبه من آل البيت الحسني والحسيني، ولا عمل له سوى الفخر أنه من أهل البيت ليُعطى الخمس!

لقد حرص فيصل الأول على ترقية الشيعة لقلة عدد المثقفين والمتعلمين، ورفع مستواهم العلمي والثقافي؛ كي يشاركوا في بناء العراق ويزجّهم في بناء الدولة؛ ولذلك حث على تخريج أكبر عدد من طلاب الشيعة من المدارس؛ لغرض تعيينهم في مؤسسات الدولة، حتى وإن أفضى ذلك إلى التساهل في تخرجهم.

لأن فيصل الأول يذكر بوضوح في مذكراته أن جهل الشيعة والكرد منعهما من المشاركة في بناء الدولة ومؤسساتها.

◄ **الخلاصة:**

الشيعة أقصوا أنفسهم بأنفسهم، ووقعوا في مأزق[1]، ومن ثم عادوا يبحثون عن دور، مثلما أن من عقيدتهم أنه (لا حكم ولا جهاد حتى ظهور المهدي)، ثم أخذوا يجتهدون ليخرجوا من هذا المأزق؛ فأخرجوا فكرة (ولاية الفقيه) بديلًا عنها؟! فأي مظلومية مُدعاة هذه؟!

إن بناء الدول لا يكون بإرضاء لهذه الطائفة أو تلك، أو هذا المذهب أو ذلك، وليس بعدد الوزراء من هذا المذهب أو ذاك، بل بالكفاءة، فهل لنُرضي الشيعة نترك العراق سنين عديدة يدار من مجموعة غير مؤهلين؛ من أجل إرضاء المذهب؟!

ثم إن فيصل الأول وحكومته كانوا وطنيين، ولم يكن حكمه دينيًّا أو مذهبيًّا حتى يقال: طائفية!![2].

وبهذا تنكشف خرافة المظلومية الشيعية في مرحلة تأسيس العراق بوفاة الملك فيصل سنة (١٩٣٣)، ليدخل العراق حقبة جديدة.

وسنكمل في الحلقة القادمة حقيقة (المظلومية الشيعية في العراق الجديد)؛ ليتبين لنا أن تفاقم الترويج لخرافة المظلومية تم بشكل واسع بعد حرب الخليج (١٩٩١) لأسباب سياسية ضد العراق، وللتمهيد للوضع الحالي، وقد قامت به المؤسسة الصهيونية، والمعارضة الشيعية، والغرب؛ للتمهيد لاحتلال العراق.

(١) مقال: (هل كان الحكم الملكي طائفيًّا)، جعفر المظفر، موقع «الحوار المتمدن»، (١٧/ ١١/ ٢٠١٠).

(٢) «شيعة العراق»، إسحاق النقاش، (ص٢١٥-٢١٧).

مخطط الحشد الشعبي في العراق

صباح العجاج- باحث عراقي

خاص بـ «الراصد».

انتهت مسرحية داعش في العراق، وأصبح الحشد الشعبي الشيعي محرّر العراق ومنقذه، وانتهت قعقعة السلاح بتدمير المحافظات السُّنية وتهجير أهلها، وظهور قوة شيعية إيرانية هي: «الحشد الشعبي الشيعي»، وهي القوة القادمة المعدّة عسكريًّا وسياسيًّا لحكم العراق.

وهو تكرار لمسيرة حزب الله اللبناني: محاربة إسرائيل (قوى مقاومة)، ومن ثم السيطرة السياسية على لبنان، وهذا ما تريد إيران استنساخه في العراق؛ من خلال الانتخابات العراقية القادمة والمتوقعة في (٥/ ٢٠١٨).

لكن الساحة العراقية تشهد اليوم صراعًا بين عدّة قوى متفاوتة القوة، هي:

الأولى: قوى مرتبطة بإيران؛ يقودها أربعة أشخاص: نوري المالكي، هادي العامري، أبو مهدي المهندس، قيس العامري، مع أحزابهم السياسية، وجميع هؤلاء يتبعهم الحشد الشعبي الشيعي، وسنفصل الحديث عنهم بعد قليل.

الثانية: قوة الضغط الأمريكي؛ الذي يريد الحفاظ على مصالحه التي تباعدت عن مصالح إيران في العراق، ويمثلها: رئيس الوزراء حيدر العبادي، وتتعاضد معه قوى شيعية؛ كالتيار الصدري، ومجموعة من القوى السنية، وبعض الأكراد.

ومعلوم أن رئيس الوزراء حيدر العبادي ينتمي لحزب

الدعوة، وحاصل على الجنسية البريطانية، ويطمح لولاية ثانية في الانتخابات القادمة، وهذه الأوصاف مهمة لفهم طريقة تفكيره، فالرجل شيعي ينتمي لحزب الدعوة الذي هو فقط من مثّل الشيعة وحكمها منذ الاحتلال ليومنا هذا، ممثلًا بـ: إبراهيم الجعفري، نوري المالكي، حيدر العبادي.

وسلوك العبادي متزن في الداخل بين طائفته وأمريكا وأوربا، والدول العربية، فقد أرضى طائفته بكثير من القرارات، وأرضى إيران؛ خاصة بتسهيل ودعم الحشد الشعبي واعتباره قوة رسمية، وأرضى الأمريكان في العديد من القرارات، وفتح علاقات جيدة مع الدول العربية؛ وخاصة السعودية، كما أنه دعم تحالف القوى الوطنية (السنية)، وحاول أن يوجد صورة مقبولة أكثر عن حزبِه عند الشعب العراقي.

وغريمه في هذه المرحلة هو نوري المالكي بالدرجة الأولى؛ الذي يحاول أن يسقطه أو يعطل عمله، هذه العداوة أدّت بالعبادي للتحالف بدعم أمريكي مع سليم الجبوري، وعدد من القوى السنية الأخرى؛ فضلًا عن التيار الصدري -العدو الكلاسيكي للمالكي-؛ ليكوّن حكومة قوية بعد الانتخابات القادمة.

الثالثة: قوى تميل للدول العربية (السعودية-الأردن-قطر-الإمارات) وتركيا (٤+١) التي شكّلت منذ أشهر «تحالف القوى الوطنية»، وهم خليط من سنّة الحكم، ووجوه جديدة أُدخلت في العملية السياسية.

وتحالف القوى الوطنية تشكّل بعد عدة اجتماعات، غايتها: توحيد الصف السني سياسيًّا، وإدخال وجوه جديدة في التمثيل السُّني لتوحيد أو تقريب وجهات النظر بين الفرقاء السنة، وأصبح له مقرات رسمية في بغداد وغيرها، واعترفت به الدولة العراقية ممثلة برئيس الوزراء حيدر العبادي، وشكل قسم منه أحزابًا، وترتبط هذه القوة بالدول العربية وتركيا، وربما دُعمت سياسيًّا من قبل الغرب وأمريكا كمنافس لقوة إيران، صحيح أنه جاء متأخرًا إلا أنه أصبح أكبر تجمع يمثل أهل السنة.

وبرغم أنه لم يمضِ على تأسيس تحالف القوى سوى (٣) شهور إلا أنه حقق أشياء جيدة، وظهرت من خلاله كفاءات جيّدة يمكن أن تكون واجهة للسُّنة أفضل من الرموز السابقة.

لكن مشكلة التحالف أن بعض الموجودين فيه قد يعملون مع التحالف من جهة، ومع أحزابهم وطموحاتهم من جهة أخرى، فغالب همّهم هو: البقاء في العملية السياسية، فهؤلاء عملهم مزدوج.

كما أن بعض هؤلاء قد يتحالف -بتأثير أمريكي- مع العبادي في الانتخابات، ومن هؤلاء: سليم الجبوري وأحزابه الثمانية؛ التي أسسها كبديل عن الحزب الإسلامي، وبقي الحزب الإسلامي مع إياد السامرائي، تحت جناح تحالف القوى الوطنية.

وموقف تحالف القوى مرتبك في هذه المرحلة تجاه الانتخابات القادمة، فجمهوره السني لم يرجع إلى منازله من حالة النزوح، وإن عاد فهو مشغول بترتيب أوضاعه، وإيجاد بديل مؤقت لعيشه في مناطق مدمرة، وهناك دعاية رافضة للمشاركة السياسية بسبب الغضب من سلوك السياسيين السنة تجاه النازحين، ومواقفهم السلبية، وحالات السرقة والفساد.

لذلك؛ فإن شعبية هذا التحالف محدودة، وقد لا يستطيع خلال فترة (٦) شهور -هي ما تبقى لموعد الانتخابات القادمة- لتحقيق ما يصبو إليه من دعاية وترويج لنفسه؛ لذلك فالتحالف يرغب بتأجيلها ليتسنى له الدعاية خلال هذه الفترة، ويعود أكبر قدر، ويستقر من النازحين السنة.

ويبقى القول: إن تحالف القوى هو أحد المعوقات لتحركات الحشد وإيران؛ ولأن التوجهات الجديدة تحمل نفسًا سنيًّا لا بأس به، وعقلية تفاوضية لا بأس بها، وهي قريبة الآن من صانع القرار بالعراق، أي: رئيس الوزراء؛ التي تتجاذبه عدة ضغوطات محلية وإقليمية ودولية، ويطمع العبادي بأن يحصل على دعمه للبقاء أربع سنوات جديدة في رئاسة الحكومة.

نعود لتفصيل حال القوة الأولى، وهي بيت القصيد في هذا المقال؛ فهي قوى إيرانية بامتياز، وتمثل السلوك الإيراني الحقيقي، وتبقى براغماتية إيران وعلاقاتها مع حيدر العبادي كتكتيك عابر وليس خيارًا استراتيجيًّا لها.

فالحشد الشعبي أُسّس وفق الفلسفة الإيرانية، القاضية بتشكيل قوى خارج سيطرة الدولة، بحجة المقاومة/مكافحة الإرهاب (إسرائيل في لبنان، وداعش في العراق)؛ لتصبح فيما بعد قوى عسكرية وسياسية مشروعة!

ولتحقيق فوز الحشد في الانتخابات فالمخطط أن يدخل كقوة سياسية تتبع للمالكي (ائتلاف دولة القانون)، ومعه هادي العامري (منظمة بدر)، ومن جهة أخرى تكوين جبهة تستقطب قوى بديلة تعوّض عن القوى الشيعية المنسحبة من التحالف الشيعي؛ كالتيار الصدري، وربما تيار الحكمة، التابع لعمار الحكيم، كما يتوقع أن يخسر تأييد إبراهيم الجعفري وفالح الفياض، وربما إياد علاوي؛ الذي من المرشح أن ينزل للانتخابات مع مسعود برزاني، وخميس الخنجر، أو مع العبادي.

والقوى المتوقع كسبها كتعويض عن هؤلاء هي: قوى سنية قديمة، مثل: مجموعة كركوك/محمد تميم، ورئيس الوقف السني -المتوقع إقالته- عبد اللطيف الهميم، وبعض مجموعات أكراد السليمانية من بقايا الاتحاد الوطني الكردستاني المقرب من إيران.

ويبقى موقف بعض القوى السنية مثل: جمال الكربولي وصالح المطلك ومحمود المشهداني متأرجحًا بين قائمة الحشد/المالكي وبين قائمة العبادي.

- **خطة الحشد الانتخابية في المناطق السُّنية:**

من الثابت أن القوى الشيعية ستتفرق، وستخسر إيران عدة قوى في البرلمان؛ لذلك سيكون التعويض من المناطق السُّنية، وقد بدأ التخطيط لتعويض ذلك، فالحشد عسكريًّا لا زال متواجدًا في المناطق السنية، وهو يسعى لكسب بعض شباب السنة؛ بإعطائهم مناصب، وأسلحة، وسيارات داخل المحافظات.

كما يسعى لكسب ولاء أكبر عدد من النواب السنة؛ لعرقلة العمل داخل مجالس المحافظات من جهة، وبرلمانيًّا ضد قرارات حيدر العبادي والتحالف الوطني (السني)، لصالح الحشد، وهم يدرسون اليوم عدد المقاعد التي يخططون لكسبها.

ولأن الانتخابات ستكون تحت رعاية الحشد الشعبي في المحافظات السنية، أو تحت رعاية الحكومة التي يسهل على الحشد اختراقها؛ فإن احتمالية تزوير أصوات أهل السنة لصالح الحشد وأتباعه أمر شبه محسوم؛ خاصة أن الحشد يقدم وعودًا للعديد من الفاسدين ورؤوس العشائر بمناصب ومستحقات مالية إذا انتخبوا أتباعه ورجالاته؛ ممّن يضمن ولاءهم له -وما أكثرهم!-.

في المقابل؛ فإن قوة التحالف الوطني (السني) حديثة التكوين ولا تملك موارد مالية تنافس الحشد.

وهي تتمنى أن تؤجَّل الانتخابات؛ ليكون لها وقت أكبر لتعرّف الجمهور السني بنفسها، ولا تريد التأجيل من جهة أخرى؛ لأنها ترى أنه يمنح الحشد الوقت الكافي لتفعيل مشروعه في مناطق السنة!

ومما يخطط له الحشد في حالة فوز قائمته -وهذا مستبعد-: أن يشكل هو الحكومة، ويضرب بالمعارضة عرض الحائط، وفي حالة خسارته أو قلة عدد نوابه أن يعرقل برلمانيًّا قرارات العبادي، ويصبح هو الثلث المعطل؛ لتكون قرارات العبادي أقرب لإيران منها إلى أمريكا أو الدول العربية.

إن وجود الحشد بشكله العسكري المكشوف أو المتستر بثياب الجيش أمر خطير على مستقبل العراق -عسكريًّا وسياسيًّا-؛ فقد أصبح متواجدًا في المناطق السنية، وله أتباع من السنة، وما يفقده قوة عند الشيعة يعوضه من السنة وبعض الكرد والتركمان الشيعة؛ خاصة في منطقة طوز خرماتو في محافظة صلاح الدين، وتلعفر في محافظة نينوى.

● **الحشد وخدمة المصالح الإيرانية:**

معلوم أن الحشد يضمّ العديد من القيادات الإيرانية من الحرس الثوري؛ الذين يتسترون بلباس القوات الحكومية ليمارسوا دورًا تخريبيًّا في المناطق السنية، منها: استمرارية مخطط التهجير في ديالى، بحجة تصفية المناطق السنية من بقايا داعش، والسيطرة على مناطق السُّنة بشكل محكم؛ لإجهاض أي قوى مناهضة للوجود الإيراني، وهو ما يمارس في مناطق الجنوب ضد البؤر الشيعة التي بدأت تتململ من سلوكيات إيران القبيحة.

كما يخطط الحشد إلى أن يهيمن على كركوك ونفطها؛ لمنع الأكراد من أي توجه للانفصال، ولتشكيل موطئ قدم قديم جديد لإيران، ويتوقع أن يدعم الحشد وإيران العرب السنة في كركوك ضد سلوكيات الأكراد العنصرية؛ لكون ذلك يخدم مصلحة إيران، وليس لأنهم أصحاب حق!

ويحرص الحشد على تواجده في محافظتي: نينوى، والأنبار للسيطرة على الحدود مع سوريا، والتحرك بِحُريّة بين العراق وسوريا كمحور إيراني واحد، ومنع ظهور أي قوى تعارض وجوده، أو تتحرك ضده.

لذلك؛ ليس مستبعدًا أن يُدّعى وجود قوة لداعش أو ظهور قوى إرهابية جديدة، وأنها تحارب ضدها!

● **التحديات التي يواجهها الحشد الشعبي:**

من أبرز التحديات التي يواجهها الحشد: أن تصدر قرارات ضده في العراق نتيجة الضغوط، فمثلًا لمنع قوة الحشد التي أفسدت في كركوك تدخل الأمريكان، وأنزلوا قوة عسكرية كبيرة، وتزايد عدد القوات الأمريكية في العراق ليصل إلى (٩٠٠٠) جندي، وهذا يقلق الحشد الشعبي.

كما أن بعض القيادات الأربعة قد لا يكون له وجود في العراق، وهو: أبو مهدي المهندس؛ لأنه سيكون مطلوبًا من قبل عدة دول خليجية وأمريكا.

ومن الممكن أن يتعرض الحشد الشعبي العراقي داخل سوريا لضربات، أو قد تزج به إيران في صراعاتها، ومنها: الحرب المحتملة بين حزب الله وإسرائيل.

● **خلاصة الكلام :**

يشكل الحشد النسخة العراقية لحزب الله في لبنان والحوثيين في اليمن، فإيران تريد قوة عسكرية تهيمن تمامًا على العراق، فهي لم تعد تكتفي بالقوة السياسية، كما أن الجمهور الشيعي العراقي بدأ يتذمّر ويتفلّت من التدخل والهيمنة الإيرانية؛ **لذا تحاول إيران بواسطة الحشد الشعبي الشيعي أن تهيمن على العراق.**

الإرهاب..
أداة المشروع السياسي الشيعي الإيراني[1]

أسامة شحادة- كاتب وباحث أردني

تمهيد

منذ بداية هيمنة الخميني على حكم إيران صدع العلماء بالتحذير من خطر عدوان هذا النظام على جيرانه! لأنهم عارفون بعقيدة الخميني وفكره ومعتقد الشيعة الإثنى عشرية؛ الذي يتبناه الخميني ويدعو له، والذي يقوم على تكفير أهل السنة واستباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم[2].

ولكن هذه الصرخات والتحذيرات لم تجد عقلًا حاضرًا ولا أذنًا صاغية! ومع اشتعال حرب الخليج الأولى (١٩٨٠-١٩٨٨م) اصطفّ الغالبية من التيار الإسلامي مع ملالي طهران تحت راية

---

(١) قدم هذا البحث في مؤتمر «خير أمة» في ماليزيا بتاريخ (٢٦/١١/٢٠١٧)، باختصار يسير.

(٢) انظر تفاصيل ذلك في: كتاب «التكفير عند الإمامية الإثني عشرية»، د. صفية بنت سليمان الراجحي.

(الوحدة الإسلامية، ومحاربة الإمبريالية ورأس الشر ورأس الشيطان أمريكا وإسرائيل)!

واليوم وبعد مرور ما يقرب من (٤) عقود على نظام الملالي صُدم كثير من العلماء والدعاة والساسة والإعلاميين والمثقفين والعامة بوحشية المشروع الطائفي الشيعي الذي يتبناه الولي الفقيه الإيراني؛ حيث سالت الدماء أنهارًا في العراق وسوريا، جهارًا نهارًا، على يد مرتزقة المليشيات الشيعية الطائفية الإرهابية؛ التي جُلبت من أقطار الأرض المختلفة لتنفذ أمر المرشد الإيراني بحرق الثوار على أرضٍ عربيةٍ مسلمةٍ.

إن ما جرى ولا يزال يجري في العراق وسوريا ولبنان واليمن قد جرى مثله من قبل مرارًا، لكنه كان يفتقد للتوثيق والإعلام المباشر، وهو الذي حدث هذه المرة، وبرغم ذلك فإن الأخطبوط الإعلامي الشيعي والإيراني قد تمكن للأسف من تعمية الحقيقة عن ملايين «مملينة» في هذا العالم!

لقد كان أركان نظام الملالي في غاية الوقاحة في تصريحاتهم؛ التي لم تخفِ حقيقة مشروعهم السياسي العدواني والتوسعي، فهذا علي يونسي - مستشار الرئيس الإيراني حسن روحاني - يعلن أن: «إيران أصبحت إمبراطورية كما كانت عبر التاريخ، وعاصمتها بغداد حاليًّا، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا اليوم كما في الماضي»! وصرح حيدر مصلحي - وزير الاستخبارات الإيراني السابق في حكومة أحمدي نجاد - بأن: «إيران تسيطر فعلًا على أربع عواصم عربية؛ كما قال رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو»، وإن «الثورة الإيرانية لا تعرف الحدود، وهي لكل الشيعة»، مؤكدًا أن «جماعة الحوثيين في اليمن هي إحدى نتاجات الثورة الإيرانية».

أما الخلاصة لهذه الأطماع الطائفية والإرهابية؛ فكانت على لسان الجنرال رحيم صفوي - المستشار العسكري لمرشد الجمهورية الإيرانية علي خامنئي -؛ الذي ادّعى أن: «القرن الحالي سيشهد تشكل حكومة إسلامية عالمية، ستكون إيران مركزًا لها».

من أجل فهم خلفيات هذا المشروع الشيعي الإيراني العدواني والتوسعي والإرهابي، جاءت هذه الورقة لتبيّن تجذّر رؤية العدوان والتوسع والإرهاب في الفكر والمشروع السياسي لنظام ملالي طهران من اللحظة الأولى لهم، وبيان اعتمادهم المطلق على آلية الإرهاب في تنفيذ مشروعهم السياسي العدواني الإرهابي التوسعي.

■ المشروع السياسي العدواني والإرهابي لملالي طهران:

منذ تشكل دولة الخميني في طهران عقب الإطاحة بالشاه في عام (١٩٧٩م) بدأ النهج الطائفي للخميني يظهر للعيان في قراراته وسياساته وهيكلة الدولة والمجتمع، بعد أن كانت مبثوثة في كتبه ومحاضراته[(١)].

ومع إعلان الدستور الإيراني الجديد ظهرت الأطماع الطائفية للخميني، ونواياه العدوانية والإرهابية تجاه الآخرين في إيران من خصومه السياسيين أو العرقيات والقوميات والمذاهب الأخرى، أو تجاه دول الجوار المسلمة.

ففي دستور الخميني تقرر اعتماد (التشيع) كمذهب وحيد للدولة، في مخالفةٍ لدساتير كل الدول الإسلامية التي لم تَذكر مع دين الدولة الإسلام أي مذهب! وذلك رغمًا عن اعتراضات شركاء وفرقاء الوطن في لجنة إعداد الدستور على هذا التوجه، مما يكشف عن ترسخ الطائفية في هذا النظام، وكيف أن هذه الطائفية سوف تنعكس على مبادئه وسياساته واستراتيجياته؟!

وتضمنت ديباجة الدستور التصريح بأن مجال عمل الجيش العقائدي لإيران هو العالم كله، فقالت الديباجة: «ولا تلتزم هذه

---

(١) يَعتقد الخميني أن التحاكُم إلى قُضاة المسلمين السُّنَّة وحكّامهم يُعدّ تحاكمًا إلى الطاغوت، كما في كتابه «الحكومة الإسلامية» (ص٧٤)، والذي ألّفه في العراق قبل الثورة بسنين، حيث يورد رواية -مكذوبة- عن الإمام جعفر أنه كان ينهى عن الرجوع إلى السلاطين وقضاتهم، ويَعتبر الرجوع إليهم رجوعًا إلى الطاغوت.

القوات المسلحة بمسؤولية الحماية والحراسة للحدود فحسب، بل تَحمل أعباء رسالتها الإلهية، وهي: الجهاد في سبيل الله، والنضال من أجل نشر أحكام الشريعة الإلهية في العالم»!!

ومن ثم تم التنصيص في الدستور على: أن مسؤولية الدولة الإيرانية الشيعية هي: نصرة المستضعفين في كل العالم[1]، مما كشف عن مطامعها في التوسع والهيمنة والاختراق لدول الجوار وغيرها بهذه الشعارات البراقة، والتي رأى العالم حقيقة نصرة المستضعفين في العراق وسوريا واليمن!! من خلال تأييد الطغاة والفاسدين ضد الشعوب المستضعفة والمظلومة!

■ محاولات إيران السياسية لتحقيق الأحلام الطائفية التوسعية العدوانية:

سعى نظام ملالي طهران لتحقيق حلمهم بالهيمنة والنفوذ على المنطقة المجاورة لهم خصوصًا، والعالم الإسلامي عمومًا، من خلال ثلاثة مشاريع سياسية، هي:

١ - تصدير الثورة:

والتي نادى بها الخميني من بداية تسلّمه الحكم؛ حيث قال في خطاب له بتاريخ (١١/٢/١٩٨٠): «سنصدّر ثورتنا إلى كل دول العالم».

يقول الدكتور وليد عبد الناصر: «وقد جسّد الحزب الجمهوري الإسلامي -الذي سيطر على الحكم في إيران منذ إقصاء الدكتور أبو الحسن بني صدر عن رئاسة الجمهورية في (يونيو ١٩٨١) حتى حل الحزب عقب نهاية الحرب مع العراق- نظرية تصدير الثورة.

بل إن البعض اعتبر الخلاف بين الحزب وبين الدكتور أبو الحسن بني صدر -أول رئيس لجمهورية إيران- هو في أحد أبعاده خلاف بين المفهوم الوطني للإسلام وحركة الإسلام العالمية.

فاعتبر الحزب نفسه - في برنامجه الأساسي - حزب المسلمين في كافة أنحاء العالم، وليس في إيران وحدها، وذكر برنامجه: أن عالمية الثورة الإسلامية ومبدأ تصدير الثورة وجهان لعملة واحدة، وبالتالي حدد مهمة إيران الثورة في إنقاذ المسلمين والبشرية بأجمعها.

وقد برر الدكتور حسن آيات -أحد منظري الحزب- تدخل الثورة الإيرانية في شئون الدول الإسلامية الأخرى بأن على إيران نصرة المستضعفين في كل مكان؛ حتى يتم ضمان استمرارية الثورة واتساع دائرة إشعاعها»[2].

ولذلك تم الإشادة والدعم لعدد من التمردات الشيعية في المنطقة، مثل: تمرد شيعة المنطقة الشرقية بالسعودية سنة (١٩٧٩م)[3]، ومحاولة شيعة البحرين الانقلاب سنة (١٩٨١م)، وتفجيرات الكويت ثم محاولة اغتيال أميرها جابر الأحمد سنة (١٩٨٥م)، والاعتداء على الحجاج في مكة عدة مرات في سنوات (١٩٨٦و١٩٨٧ و١٩٨٩).

وتمشيًّا مع سياسة تصدير الثورة تم الإشادة بخالد الإسلامبولي -قاتل السادات-، واستقبال قادة الجماعة الإسلامية المصرية الفارين من مصر، ودعم بعض المجموعات في سيناء، كما تم دعم الجماعات المسلحة الجزائرية بالتدريب والمال والسلاح، وبعد فشل مشروع تصدير الثورة بخسارتهم في الحرب مع العراق ظهر مشروع جديد.

٢ - نظرية أم القرى:

والتي سعت لجعل مدينة قُم الشيعية عاصمة مقدسة للعالم الإسلامي بدلًا من مكة، بحجة قيام الحكم الإسلامي، يقول محمد جواد لاريجاني -صاحب النظرية-: «اليوم، وبينما

---

(١) المادة (٣) من الدستور، نقطة (١٦).

(٢) كتابه «إيران دراسة عن الثورة والدولة»، دار الشروق، ص

(٣) «تمرد شيعة القطيف عام ١٤٠٠»، توبي كريغ جونر، ترجمة حمد العيسى، مدارك، (ص٣١).

الثورة الإسلامية أسقطت حكومة الجور والفساد في إيران، وحلّت محلها الحكومة الإسلامية.

وطبقًا لرؤية سماحة الإمام الخميني - قدس سره الشريف - فإن الواجب الرئيسي لكل فرد مسلم في الدرجة الأولى هو: المحافظة على إيران الإسلامية، إيران التي هي دون أدنى شك أم القرى في العالم الإسلامي»[1].

ومن هذه العاصمة المقدسة تتشكل حكومة إسلامية عالمية بقيادة الولي الفقيه! وقد فشلت هذه النظرية تمامًا كسابقتها!

٣- الجيوبوليتيك الشيعي:

وهو: الهيمنة والنفوذ وراء الحدود الإيرانية بما يحقق مصالح إيران، وفقًا لمجالها الحيوي للسيطرة على الأرض والمساحة التي تليق بإيران، اعتمادًا على مبدأ الحدود الشفافة التي تتحدد بناء على مصالح إيران![2]

■ **وهذا المشروع يعتمد على أدوات التمدد الشيعي:**

• **التشيع الناعم؛** المعتمِد على الأدوات الإعلامية والثقافية والخيرية.

• **تسييس التشيع؛** من خلال الحصول على غطاء سياسي للجيوب الشيعية والمتشيعة في الدول الأخرى، ومن ثم تحويل ولائهم لملالي طهران.

• **التشيع الخشن؛** ويقصد به: عسكرة الجيوب الشيعية والمتشيعة.

• **إدماج التشيع في النظم الحاكمة؛** لإضفاء طابع قانوني ورسمي على تحركاتها لتنفيذ أجندة الولي الفقيه الإيراني[3].

هذه هي غايات المشروع الإيراني الطائفي، وهذه هي مشاريعه السياسية وآلياته لتنفيذها.

ويمكن وبوضوح أن نتبين أن قوة إيران الحقيقية هي في (وجود إرادة سياسية لتنفيذ أهدافها الإستراتيجية، وتسخير القدرات الاقتصادية والجيوبولوتيكية لذلك)، وأكبر أداة لذلك هي: صناعة الحلفاء خلف خطوط العدو، واللعب على التناقضات عند خصومها للوصول لأغراضها، حيث أن إيران لا تتميز بقوة زائدة عن الدول العربية، بل قد تكون دول الخليج أكثر تسليحًا عددًا ونوعيةً!!

■ **«الإرهاب» إستراتيجية معتمدة في كل المشاريع السياسية الطائفية العدوانية لإيران:**

تعتمد سياسة ملالي طهران طيلة تاريخها على العنف والقتل والإكراه للوصول إلى غاياتها وأهدافها، وذلك عبر:

أولًا: إنشاء مؤسسات لهذه الغاية، وعلى رأسها: الحرس الثوري الذي يضم «الباسيج وفيلق القدس»[4].

عقب تشكل حكم الخميني تم تأسيس الحرس الثوري كبديل عن جيش الشاه؛ ليكون ملتزمًا بولاية الفقيه والدفاع عنها ونشرها في العالم، ولذلك تضخّم دور الحرس الثوري؛ فأصبحت ميزانيته تفوق ميزانية الجيش بأضعاف! إضافة إلى سيطرة الحرس الثوري على كثير من اقتصاد إيران عبر شركاته التجارية، ومن ثم أصبح دور الحرس الثوري السياسي كبيرًا، مما سببّ صدامات علنية (آخرها صراع روحاني مع الحرس الثوري قبيل حفل تنصيبه في ٢٠١٧/٨).

وأصبح من مهام الحرس الثوري: دعم حركات التحرر، ونصرة الشعوب المستضعفة في العالم، وتولي عملية الاستخبارات في الدول المعادية، وإنشاء خلايا نائمة في أنحاء العالم، ومساعدة

---

(١) كتابه «مقولات في الإستراتيجية الوطنية» (ص٤٦).

(٢) (الجيوبوليتيك الشيعي الواقع والمستقبل)، د. محمد السلمي ود. عبد الرؤوف الغنيمي، مجلة «الدراسات الإيرانية»، العدد الأول، (ص٣٧).

(٣) المصدر السابق، (ص٥١).

(٤) (مقارنة بين وضع الحرس الثوري والجيش في بنية النظام الإيراني)، مجلة «الدراسات الإيرانية»، العدد الأول، (ص١٣٤).

المنظمات والميلشيات المسلحة في الدول لتنفيذ أجندة إيران، وتنفيذ عمليات إرهابية بحق خصوم نظام الملالي، وإدارة ملفات سياسية خارجية في بعض الدول لترسيخ النفوذ الإيراني؛ كما في لبنان والعراق وسوريا واليمن.

■ **ومن سجل الأعمال الإرهابية للحرس الثوري في دول متعددة ما يلي:**

• **اغتيال قادة المعارضة الإيرانية:**

ففي العام (١٩٨٩) اغتيل في فيينا عبد الرحمن قاسملو -زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني-، ومساعده عبد الله آذر.

وفي باريس عام (١٩٩١) تم اغتيال شاهبور بختيار -آخر رئيس وزراء في إيران تحت حكم الشاه-.

وفي برلين عام (١٩٩٢) اغتالت إيران الأمين العام للحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني صادق شرفكندي، وثلاثة من مساعديه، هم: فتاح عبدلي، وهمايون أردلان، ونوري دهكردي.

• **اغتيال دبلوماسيين سعوديين[1]:**

ففي عامي (١٩٨٩-١٩٩٠) تورط النظام الإيراني باغتيال (٤) دبلوماسيين سعوديين في تايلاند، وهم: عبد الله المالكي، وعبد الله البصري، وفهد الباهلي، وأحمد السيف.

وفي العام (٢٠١١م) أشارت الاتهامات للحرس الثوري باغتيال الدبلوماسي السعودي حسن القحطاني، في مدينة كراتشي.

• **عمليات تخريب:**

ففي العام (١٩٩٤م) أصدرت الخارجية الفنزويلية بيانًا صحافيًا يفيد بتورط (٤) دبلوماسيين إيرانيين بشكل مباشر بالأحداث الخطرة التي جرت في مطار سيمون بوليفر الدولي بكراكاس، والتي كان هدفها إجبار اللاجئين الإيرانيين على العودة إلى بلادهم.

وفي العام (٢٠١٢م) تم الكشف عن مخطط لاغتيال مسؤولين ودبلوماسيين أميركيين في باكو، عاصمة أذربيجان.

وفي (يناير ٢٠١٦م) اعترفت إيران رسميًّا على لسان قائد الحرس الثوري الإيراني محمد علي جعفري بوجود (٢٠٠ ألف) مقاتل إيراني خارج بلادهم في (سوريا والعراق وأفغانستان وباكستان واليمن).

وفي شهادة لماثيو ليفنت مدير برنامج ستاين لمكافحة الإرهاب والاستخبارات في معهد واشنطن، أمام اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الأوسط ووسط آسيا، التابعة للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي بتاريخ (٢٠١٢/٧/٢٥) قال: «يوظف النظام في طهران -أيضًا- سياسة خارجية عدوانية تعتمد بشكل كبير على نشر أصول سرية في الخارج لجمع المعلومات الاستخباراتية ودعم العمليات الخارجية.

وكون إيران أنشط دولة راعية للإرهاب في العالم، وتشجع «حزب الله» -أيضًا- على القيام بذلك، فهي تعتمد على العمليات الإرهابية لدعم مصالح السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية...

وخلال الأشهر السبعة الماضية أوضحت سلسلة من المخططات الإرهابية التي استهدفت المصالح الأمريكية نزوع إيران نحو رعاية هجمات في الخارج، وقد تم إحباط البعض منها بما فيها مخططات في تايلاند وبلغاريا وسنغافورة وكينيا وقبرص وأذربيجان، بينما تم تنفيذ البعض الآخر، وشمل ذلك: وقوع تفجيرات في الهند وجورجيا.

ونُفذت بعض هذه العمليات من قبل عملاء إيرانيين، بينما قام «حزب الله» -وكيل إيران الرئيسي- في أعمال الإرهاب بتنفيذ البعض الآخر، وكان عددٌ قليلٌ منها عبارة عن عمليات مشتركة نفذها نشطاء «حزب الله» الذين يعملون مع الاستخبارات الإيرانية أو أعضاء في «قوة القدس»، وكان مخطط محاولة اغتيال السفير السعودي في واشنطن في (تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١١) الأكثر

---

(١) انظر بيان الخارجية السعودية عن سجل إيران الإرهابي على الرابط التالي:
http://cutt.us/I٠cSa

جرأة وغرابة من بين هذه العمليات!»[1].

• **عمليات حزب الله الإرهابية في جنوب شرق آسيا[2]:**

لحزب الله اللبناني سجّل قديم وحافل بالعمليات الإرهابية في المنطقة! تتنوع بين توريد بعض الأسلحة والمتفجرات لعمليات خارج المنطقة، وبين تنفيذ عمليات هناك ضد دول أخرى؛ كاختطاف الطائرة الكويتية من بانكوك سنة (١٩٨٨)، واعتقال عضو محلي لحزب الله في مطار مانيلا بالفلبين سنة (١٩٩٩) ويقيم بماليزيا كشف عن شبكة إرهابية سريّة لحزب الله في تايلاند، تستخدم جوازات سفر فلبينية مزورة، ومخابئ أسلحة في تايلاند والفلبين؛ والتي يتم شراؤها من أندونيسيا.

وفي سنة (٢٠١٢) تم اعتقال عميل لبناني تابع لحزب الله في مطار تايلاند متورط بنقل أسلحة لصالح الحزب.

وفي مطلع سنة (٢٠١٦) كشفت صحف فلبينية عن مخطط للحرس الثوري الإيراني باستهداف طائرات ركاب سعودية في منطقة جنوب شرق آسيا[3].

ثانيًا: عسكرة وتسييس الجيوب الشيعية والمتشيعة خارج إيران وإلحاقها بها:

منذ بداية تصدير الثورة التفتت إيران إلى أهمية عسكرة الجيوب الشيعية لتنفيذ مخططاتها الإرهابية والعدوانية، وكانت البداية مع شيعة لبنان والخليج؛ فتمّ صناعة حزب الله اللبناني، وتمويله وتدريبه على يد الحرس الثوري؛ ليصبح ذراع إيران في لبنان وما حولها من بلدان.

ولذلك يفتخر حسن نصر الله علنًا بتبعيته للولي الفقيه الإيراني، وأنه هو القائد الحقيقي للحزب، وسطر ذلك نائبه نعيم قاسم[4]، بأن قرار الحرب والسلم في حزب الله هو بِرهن قرار المرشد الأعلى الإيراني؛ إذ يقول في مبحث ولاية الفقيه: «وهو (الولي الفقيه) الذي يملك صلاحية قرار الحرب أو السلم».

ويضيف: «لا علاقة لموطن الولي الفقيه بسلطته... والإمام الخميني (قده) كولي على المسلمين كان يدير الدولة الإسلامية في إيران كمرشد... وكان يحدد التكليف السياسي لعامة المسلمين في البلدان المختلفة في معاداة الاستكبار»!

ومن هنا جاءت مسيرة الحزب الإرهابية في الداخل والخارج؛ لتنفيذ أمر الولي الفقيه الإيراني، ومن سجل الإرهاب هذا ما يلي:

في (١٩٨٣): تفجير السفارة الأمريكية في بيروت.

في (١٩٨٣) -أيضا-: تفجيرات الكويت بالتعاون مع حزب الدعوة العراقي.

في (١٩٨٨): خطف طائرة كويتية تحمل (١١١) راكبًا على متنها، والهبوط في مدينة مشهد الإيرانية؛ من أجل الإفراج عن (١٧) مقاتل شيعي مسجونين في الكويت.

في (١٩٩٦): تفجير أبراج الخُبر في السعودية.

في (٢٠٠٥): اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري.

في (٢٠١١): مشاركة نظام بشار الأسد في قتل الشعب السوري الثائر.

ولاحقًا تم العمل على تسييس حزب الله، وإدخاله في العملية السياسية، فشارك في انتخابات البرلمان اللبناني، وأصبح له وزراء في الحكومة، وفرض الثلث الضامن أو المعطل على بقية الأطياف السياسية؛ بحيث أصبح هو المسؤول عن حالة الشلل

---

(١) http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/irans-support-for-terrorism-in-the-middle-east باختصار.

(٢) (حزب الله في جنوب شرق آسيا: تهديد متصاعد)، موقع «معهد واشنطن»، على الرابط:
http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/hizballah-in-southeast-asia-a-resurgent-threat

(٣) صحيفة «القدس العربي» (٢٣/٢/٢٠١٦):
http://www.alquds.co.uk/?p=٤٨٧٥٩٥

(٤) في كتابه «حزب الله المنهج التجربة المستقبل» (ص٧٢، ٧٥).

السياسي التي يعاني منها لبنان!

أما عسكرة جيوب الشيعة في الخليج؛ فهي تتمثل في دعم إيران لشيعة البحرين للقيام بانقلاب عام (١٩٨١)، وتأسيس خلايا إرهابية متعددة، وتهريب أسلحة لهم، وقد كانت أحداث الدوار في (٢٠١١) النموذج الأكبر لهذه العسكرة؛ من خلال سيطرتهم على الدوار ومركز السليمانية الطبي، واستخدامهم للسلاح في وجه قوات الأمن.

أما تسييس شيعة البحرين؛ فيتمثل في حركة الوفاق التي أظهرت العمل السلمي السياسي، وأبطنت العمل العسكري الإرهابي، مما استدعى حلّها وتقديمها للمحاكمة.

وقد تكرر ذلك في الكويت؛ حيث ساهم شيعة الكويت في ثمانينيات القرن الماضي بتنفيذ تفجيرات مكة المكرمة بإيعاز من الحرس الثوري الإيراني، ومن ثم شاركوا في العملية السياسية مع ارتباطهم الإرهابي بإيران، كما تكشّف في قضية خلية العبدلي سنة (٢٠١٥)، بالتعاون مع حزب الله اللبناني.

أما شيعة السعودية؛ فقد كان تنظيم الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية قد أقام معسكرات تدريب عسكرية لأتباعه السعوديين في إيران، برعاية الحرس الثوري؛ كما فضح ذلك عادل اللباد في مذكراته (الانقلاب: بيع الوهم على الذات)، وكما يتكشف حاليًّا من خلال المصادمات مع رجال الأمن في القطيف والعوامية.

هذا هو الحال في زمن تصدير الثورة في مرحلة الخميني، ومع مرحلة خامنئي تم توسيع الدائرة وعسكرة وتسييس الكثير من الجيوب الشيعية، واعتماد هذه السياسة.

يقول الأستاذ طلعت رميح حول غاية هذه الإستراتيجية أنها: «عسكرة المجموعات السكانية الشيعية في الخارج، وتحويلها إلى وضعية قادرة على الوصول إلى سلطة الحكم في بلدانها بقوة السلاح إن تمكنت، أو تفكيك وإضعاف الدول التي تعيش فيها تلك المجموعات السكانية؛ لتصبح إيران في وضع أقوى، فيما تدخل تلك الدول في وضع الجاهزية للاحتلال؛ عبر افتقادها القدرة على مواجهة إيران»[1].

ويضرب الرميح مثلًا لهذه العسكرة؛ فيقول: «قدمت لنا سيرة ومسيرة التشيع في نيجيريا نموذجًا واضحًا لفكرة وحالة النشاط الإيراني، وصولًا إلى عسكرة التشيع في بلد معين، فقد بدأت حركة التشيع لأول مرة في ثمانينيات القرن الماضي، عبر إبراهيم الزكزاكي؛ الذي ظل يعمل دون إعلان تشيعه لنحو (١٥) عاما، تمكّن خلالها -بدعم من الحرس الثوري الإيراني ومن ميلشيا نصر الله- من تشكيل عشرات الهيئات وعلى رأسها: المنظمة الإسلامية؛ التي صار لها مراكز ثقافية وتجارية وحسينيات ومستشفيات ومدارس، قامت بدورها بدفع عناصر مختارة إلى إيران، تحت عنوان: الدراسة في المعاهد والجامعات الإيرانية.

وفي عام (١٩٩٥) بدا أن الأمور قد استقرت وصار ممكنًا العمل وفق إعلان شيعي واضح، فأعلن الزكزاكي تشيعه، وهو ما أدى لحدوث انقسام كبير في المنظمة.

كانت تلك هي بداية المرحلة الجديدة من نشاط التشيع، أو كانت بداية الإعلان عن عسكرة التشيع، وهنا حدث الصدام مع الجيش النيجيري، ووقعت الاشتباكات التي أدّت لمقتل العديد منهم، وانتهت باعتقال الزكزاكي.

ومَن تابع مقاطع احتفالات جماعة الزكزاكي يجد بوضوح الطابع العسكري للاحتفال؛ من خلال المراسم التي تتم فيها، ومن خلال الملابس شبه العسكرية التي تبدأ بها تحت ستار: فتيان الكشافة والجوالة! وهو نفس الأمر الذي يلاحظ على احتفالات الحوثيين في البداية، ثم ظهرت الاستعراضات العسكرية على طريقة حزب الله اللبناني في مراسم دفن جثة حسين الحوثي قبل سنين.

هذا النموذج، يطرح أبعادًا عميقة في خطة التمدد

---

(١) (عسكرة التشيع)، طلعت رميح، مجلة «الراصد» الإلكترونية، عدد (١٥١).

الإيراني، بقدر ما يطرح ضرورات إدراك الجميع بأن لا دولة آمنة من وصول ظاهرة التشيع العسكري، أو عسكرة التشيع في داخلها.

كما تكشف تلك التجربة عن فكرة اعتماد إيران لنشاطها في دولة لتكون دولة أساس ومحور في نشر التشيع وعسكرته في إقليمها، بل في آفاق بعيدة، ولعل هذا ما جعل كُتابًا وإعلاميين يطلقون مصطلح: (حزب الله النيجيري) على حركة الزكزاكي، باعتبار الأخير شكّل قاعدة أساس للانتشار في أفريقيا، مثلما شكلت مليشيا نصر الله قاعدة أساس في نشر التشيع وعسكرته في البلاد العربية، بل في نيجيريا ذاتها».

وهذه العسكرة للتشيع بدت بشكل واضح في العراق وسوريا؛ ففي العراق عمل الحرس الثوري على إدارة العراق، وكان قائد «فيلق القدس» اللواء قاسم سليماني هو الذي يمارس ذلك نيابة عن إيران، ويقول لماثيو ليفنت أنه بعث برسالة إلى قائد قوات التحالف الجنرال بيتريوس في أوائل عام (٢٠٠٨) يقول له فيها: «ينبغي أن تعرف أنني قاسم سليماني: الشخص الذي يتحكم في السياسة الإيرانية التي تخصّ العراق ولبنان وغزة وأفغانستان.

وفي الواقع، أن سفيرنا في بغداد هو عضو في «قوة القدس»، ومن سيخلفه هو عضو في «قوة القدس» أيضًا»[(١)].

ولذلك ظهر في العراق ما يزيد عن (٥٠) مليشيا شيعية طائفية، مدعومة من إيران والحرس الثوري، وشكلت -لاحقًا- ما عرف بالحشد الشعبي، وقد ارتكبت أبشع المجازر الطائفية بحق المواطنين العراقيين؛ وخاصة أهل السنة منهم.

أما في سوريا؛ فقد استجلب الحرس الثوري مليشيات شيعية طائفية إرهابية من دول متعددة؛ كأفغانستان وباكستان واليمن والكويت والسعودية والبحرين ولبنان والخليج والعراق وأفريقيا وأذربيجان ومن دول شرق آسيا، ويقدر عدد أفراد هذه المليشيات بحوالي (٨٠) ألف إرهابي، ويقال: إن الحرس الثوري كان قد شكل في (٢٠٠٩) قوات من مرتزقة شيعة من عدد من البلدان أطلق عليهم لقب: (نخسا)، وأنهم هم المتواجدون في سوريا[(٢)].

وبغضّ النظر عن دقة المعلومة هذه، لكن من الثابت أن العسكرة تطال غالب الجيوب الشيعية، وأن أفراد هذه المليشيات الشيعية في العالم مستعدون للتحرك والقتال في أي مكان بالعالم بما يخدم الأجندة الإرهابية الإيرانية.

وفي اليمن؛ نجد مثال الحوثيين الذين صنعتهم إيران عبر (فيلق القدس وحزب الله)، بحيث أصبح لهم منابر إعلامية وسياسية، ومليشيا عسكرية قاتلت الدولة (٦) مرات، وتوجت بانقلاب عسكري طائفي إرهابي على الدولة والمواطنين كافة.

ومن مظاهر العسكرة للجيوب الشيعية: حرص إيران على تهريب السلاح لهذه الجيوب، ولو أخذنا حالة أفريقيا لوجدنا أن إيران تورطت بالعديد من حالات تهريب السلاح لجيوب شيعية وجماعات معارضة، فقد «كشف تقرير ميداني أعدّه مركز بحوث تسليح الصراع بالتعاون مع العديد من المؤسسات بين سنتي (٢٠٠٦ و٢٠١٢) عن أنه مِن بين (١٤) حالة كشف فيها عن وجود أسلحة إيرانية هناك فقط (٤) حالات كانت مع الحكومات والعشر الباقية مع جماعات غير نظامية، حيث كانت تدعم الانفصاليين في منطقة «كاسامانس» في السنغال ومتمردي ساحل العاج، وجامبيا، وفي نيجيريا حركة إبراهيم الزكزاكي، الأمر الذي تسبب -لاحقًا- بقطع حكومات هذه الدول علاقاتها مع إيران»[(٣)]، وقد استخدم شيعة نيجيريا السلاح في الصدام مع الجيش النيجيري سنة (٢٠١٦).

«وتشكل منطقة شرق أفريقيا إحدى المحطات

(١) (عسكرة التشيع)، طلعت رميح، مجلة «الراصد» الإلكترونية، عدد (١٥١).

(٢) http://cutt.us/QTuR٤

(٣) (السلاح الإيراني في أفريقيا)، محمد خليفة صديق، «الراصد» عدد (١٥١).

الإستراتيجية المهمة لإيران؛ لتعميق وجودها في البحر الأحمر، ففي أعقاب زيارة الرئيس الإريتري أسياسي أفورقي لطهران في (٢٠٠٨) تردد أن إيران حصلت على تسهيلات في ميناء عصب على البحر الأحمر، وهو ما يعطيها نقطة ارتكاز تمكّنها من القيام بمهام استخبارية ولوجستية في المنطقة لدعم الموالين لها في أفريقيا واليمن، ولعل سعي إيران لتطوير علاقاتها مع دول شرق أفريقيا الأخرى مثل: كينيا وتنزانيا وجزر القمر يؤكد هذا المنحى الإستراتيجي في الاختراق الإيراني لأفريقيا»[١].

ولا يقتصر هذا التسليح للجيوب الشيعية على أفريقيا ومناطق التوتر في اليمن والبحرين والكويت؛ والتي قبض فيها مرارًا على شحنات أسلحة إيرانية لخلاياها النائمة، بل حتى في باكستان عَثرت الشرطة على مخازن أسلحة في سرداب لمزار شيعي في منطقة كوهات جنوب بيشاور بباكستان؛ حيث عثروا على مدافع رشاشة ثقيلة، ومئات من القذائف المضادة للدبابات، وصواريخ مضادة للطائرات، إضافة إلى كميات كبيرة من صناديق الذخيرة والأسلحة المتنوعة!![٢].

كما أن إيران قطعت شوطًا كبيرًا في تكوين مليشيات شيعية ضخمة في باكستان (الزينبيون)، وفي أفغانستان (الفاطميون)، وقد بلغ عدد المرتزقة من الشيعة الأفغان الذين قاتلوا الثورة السورية بجانب قوات بشار الأسد (١٤) ألف مرتزق! وقد قتل منهم (١٠٠٠) فرد[٣].

وبجوار عسكرة جيوب التشيع هناك سعي حثيث لتسييس الجيوب الشيعية؛ من خلال انخراطها في الأحزاب السياسية القائمة، أو تشكيل حزب خاص بهم، والترشح للبرلمانات، والتواصل مع الإعلاميين، وإنشاء منابر إعلامية خاصة بهم؛ وذلك للحفاظ على مكتسباتهم، والتدخل في عملية صناعة القوانين بما يخدمهم، وهذا أصبح ظاهرة عامة في دول تسلل لها التشيع مؤخرًا مثل: أندونيسيا والفلبين وماليزيا -من دول الآسيان-، وفي مصر والمغرب -في الحالة العربية-.

ومن أمثلة الواجهات السياسية للجيوب الشيعية والمتشيعة: التحالف الإسلامي الوطني بالكويت، حزب الحق وأنصار الله باليمن، حزب الوحدة في تونس، حركة الصابرين في غزة، حزب الوحدة الإسلامية بأفغانستان، حركة تطبيق الفقه الجعفري بباكستان، وغيرها[٤].

وفي ماليزيا، وبرغم قلة عدد المتشيعين (حوالي ٢٠٠٠ شخص فقط)[٥] بسبب سياسات الحكومة باعتبار التشيع فرقة ضالة ومنحرفة ومحظورة؛ إلَّا أنه من الواضح وجود تركيز على تسييس المتشيعين من خلال استقطاب بعض القيادات السياسية للتشيع، ومن خلال تسييس مَن تشيّع ودفعهم للانخراط في الأحزاب السياسية الماليزية المتنوعة، فهناك شخصيات متشيعة في الحزب الحاكم -وهو الحزب الوطني-، وهناك شخصيات في أحزاب المعارضة؛ خاصة الحزب الإسلامي وحزب العدالة، وأخيرًا أسس أحد قيادات المتشيعين -والذي كان نائب الحزب الإسلامي- حزبًا جديدًا باسم: «حزب الأمانة الوطني»، واستقطب الكثير منهم فيه؛ للتأثير في عملية صنع القرار ولحماية مشروعهم عبر البوابة السياسية في المستقبل[٦].

ومن خلال الواقع كان هناك مساران للعسكرة والتسييس:

الأول: العسكرة ثم التسييس؛ كحزب الله اللبناني.

والثاني: من السياسة للعسكرة، مثل: الحوثيين وحزب الحق

---

(١) (السلاح الإيراني في أفريقيا)، محمد خليفة صديق، «الراصد» عدد (١٥١).

(٢) صحيفة «الحياة» (٢٠١٦/١٢/٢٨) على الرابط التالي: http://cutt.us/ScX٧٩

(٣) http://www.noonpost.org/content/١٦٢٨٤

(٤) (الجيوبوليتيك الشيعي الواقع والمستقبل)، د. محمد السلمي ود. عبد الرؤوف الغنيمي، مجلة «الدراسات الإيرانية»، العدد الأول، (ص٥٣).

(٥) «دعوة الشيعة الإمامية الإثني عشرية في ماليزيا»، محمد حفيظ بن عبد البصير، رسالة جامعية غير منشورة، (ص١٠٤).

(٦) المصدر السابق، (ص٧٦).

في اليمن.

ولكن الثابت أن سياسة إيران تسعى دومًا للجمع بين الأمرين، لكن نضج الظروف هو ما يحدد البدء في موضوع السلاح؛ لكونه أخطر، بينما المسار السياسي أصبح قضية معتمدة ولازمة لترسيخ النفوذ الإيراني في الدول المستهدفة عبر هذه الواجهات الوطنية!

ثالثًا: دعم ورعاية وتمويل تنظيمات إرهابية عالمية ومحلية:

منذ بداية مسيرة نظام الملالي تم اعتماد سياسة دعم وتمويل جماعات العنف والثورة من مختلف البلدان والأديان، طالما أنها تتقاطع مع مصالح ملالي طهران، فآوت إيران قادة الجماعة الإسلامية المصرية مطلع الثمانينيات الميلادية من القرن الماضي، ثم تواصل ذلك بدعم تنظيم القاعدة وداعش على صعيد التطرف الإسلامي وجبهة تحرير فلسطين اليسارية بزعامة أحمد جبريل، ونفس الوقت كان لطهران صلات بعصابات تهريب المخدرات العالمية، والمافيا في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وأيضًا أقام الحرس الثوري صلات قوية بالعديد من تنظيمات المعارضة المسلحة في أفريقيا.

وسنقصر حديثنا على توظيف وتمويل وإيواء الحرس الثوري وفيلق القدس للتنظيمات الإرهابية الإسلامية للعدوان على الدول الإسلامية المخالفة لإيران؛ لفرض إرادتها وأجندتها عليها:

حيث تم احتضان ودعم الجماعة الإسلامية بإيواء قياداتها الهاربة من مصر عقب اغتيال السادات، وفتحت لهم إذاعة طهران العربية؛ يحرّضون منها ضد مصر[1]، قبل أن يتحول موقف الجماعة الإسلامية -لاحقًا- من إيران عقب الثورة المصرية (٢٠١١)، وتم دعم مصطفى بويعلى وجماعته في الجزائر[2]، في ثمانينيات القرن الماضي.

وفي مطلع التسعينيات نسجت علاقات دعم وتدريب بين الحرس الثوري وحزب الله من جهة، وتنظيم الجهاد وأسامة بن لادن -حينما كان في السودان-، وكان عماد مغنية عرّاب هذه العلاقة والتدريب لكوادر الجهاد والقاعدة في لبنان بمعسكرات حزب الله، كما قام مستشارون من الحرس الثوري بتدريب عدد آخر في السودان[3].

وبعد هذه التجربة اكتشف الإيرانيون أهمية تصدير شباب الجماعات السنية في واجهة مقاومة الدول السنية، ولذلك اعتمدوا هذه السياسة؛ فنصّت الخطة الخمسينية السرية الإيرانية على ضرورة تثوير الشباب السني ضد حكوماته، مع تقريب الشيعة من الأنظمة القائمة، وفعلًا عقب هزيمة إيران أمام العراق وموت الخميني، وتسلم خامنئي ورفسنجاني الحكم، ثم مجيء خاتمي؛ تحول الشيعة من الصدام مع دول الخليج (تفجيرات مكة، تفجيرات الكويت، محاولة اغتيال أمير الكويت، محاولة انقلاب بالبحرين) إلى حلفاء ورفقاء سلميين في العملية الديمقراطية، وتحول السنة من حلفاء إلى معارضة!

ففي التسعينيات قامت إيران بدعم الجماعات المتطرفة في سيناء، ولا تزال تدعمها لليوم؛ فقد «كشفت وثائق ويكيليكس عن محاولات إيران لتجنيد بدو سيناء للمساعدة في تهريب الأسلحة، ومساعيها لتشييد بنية تحتية هناك، وتجنيد عملاء لها في أنحاء مختلفة في مصر.

وهو الأمر الذي أكده الكشف عن خلية حزب الله التي تم ضبطها في عام (٢٠١٠)، ولم يكن خافيًا عنها أصابع إيران، فيما رصدت الأجهزة الأمنية المصرية -وبحسب بعض المواقع

(١) «من تاريخ الحركات الإسلامية مع الشيعة وإيران»، أسامة شحادة، (ص١٤١).

(٢) «الجماعات المتطرفة وإيران»، سعيد بن حازم السويدي، (ص ٨٤).

(٣) المصدر السابق، (ص١٠٢).

الصحفية- جهود إيران في تأسيس المزيد من الميليشيات الشيعية المسلحة على حدود مصر الشرقية والغربية والجنوبية، وذلك من خلال الإعلان عن تأسيس أول جماعة شيعية مسلحة في غزة باسم: «حركة الصابرين»، يتم تسريبها عبر الأنفاق إلى داخل سيناء لخلق بؤر مسلحة لتنفيذ عمليات إرهابية، ليس فقط في سيناء بل وفي داخل العمق المصري...

وفي هذا السياق تأتي أهمية الشهادة التي أدلت بها عام (٢٠١٢) بعض قيادات الجماعة الإسلامية المصرية؛ خلال ندوة استضافتها «صحيفة الأهرام»... إذ لم تتردد الجماعة الإسلامية على لسان بعض قادتها (الدكتور عصام دربالة -رئيس مجلس شورى الجماعة-، والدكتور طارق الزمر -رئيس المكتب السياسي لحزب البناء والتنمية-، والدكتور صفوت عبد الغني -المتحدث الرسمي وعضو شورى الجماعة-) أن تشير بأصابع الاتهام إلى إيران باعتبارها طرفًا مستفيدًا من توتر الأجواء في سيناء، وبالتالي فإنها يمكن أن تكون متورطة بالفعل في هذه الحادثة»[١].

وهو ما تكرر في الجزائر؛ حيث «تلقت الجماعات الإسلامية المسلحة من إيران دعمًا تمثل في الدورات التدريبية لبعض عناصرها في ثكنات للحرس الثوري بطهران ومعاقل حزب الله في جنوب لبنان، فقد ألقت السلطات الأمنية الجزائرية القبض على مجموعة من الإسلاميين المسلحين المنتمين لتنظيم «الفيدا»[٢]، اعترف عناصرها بأنهم تلقوا تدريبات موسّعة على حرب العصابات في إحدى ثكنات الحرس الثوري الإيراني في طهران[٣].

وفي تفاصيل هذا الموضوع -الذي يكتنفه الكثير من الغموض!- يبرز اسم (محفوظ طاجين)؛ الذي كان النائب الأول لأمير «الجماعة الإسلامية المسلحة» شريف قوسمي؛ الذي خلفه بعد مقتله في (١٩٩٤)، وقد كان طاجين متهمًا بالجزأرة[٤] والتشيع، وهو مَن كان يقف وراء إرسال مقاتلين للتدرب في لبنان، وهذا أحد الأسباب التي أثارت الشكوك حوله»[٥].

وكانت السفارة الإيرانية بالجزائر هي من تتولى دعم هذه الجماعات المتطرفة، وبعد قطع العلاقات الإيرانية الجزائرية أكملت المشوار بعض السفارات الإيرانية في أوروبا -وخاصة بريطانيا وفرنسا-؛ من خلال نشطاء التنظيمات المتطرفة والمقيمين هناك[٦].

وفي القرن الواحد والعشرين تم زيادة احتواء وتمويل وتوظيف جماعات العنف الإسلامية ضد دولها، فعقب أحداث (١١ سبتمبر)، والإطاحة بإمارة طالبان، تم الترحيب بلجوء قادة تنظيم القاعدة لإيران[٧]، ومن ثم تم إصدار بعض قادة القاعدة في إيران أوامر لتنظيم الجهاد في جزيرة العرب لتنفيذ عمليات إرهابية في السعودية عام (٢٠٠٣)[٨]، وقد اعترف بتقاطع المصالح مع طهران أبو محمد العدناني -الناطق الإعلامي لداعش-[٩]، وأبو حفص الموريتاني -مفتي القاعدة-[١٠]، حيث كانت إيران هي معبر الأموال والأفراد للتنظيم، وأثبتت ذلك وثائق ابن لادن في أبوت أباد[١١]، كما كشف عن مرور غالبية منفذي هجمات (سبتمبر) بإيران، ولذلك أدانت المحاكم الأمريكية إيران بالمسؤولية عن تفجيرات (١١ سبتمبر).

كما قامت إيران برعاية أبي مصعب الزرقاوي لنشر

---

(١) (إيران وسيناء.. محاولة للبحث عن الدور الخفي)، أسامة الهتيمي، «الراصد» العدد (١٥٦).

(٢) اختصار بالفرنسي لتنظيم الجبهة الإسلامية للجهاد في الجزائر.

(٣) «أسرار الشيعة والإرهاب في الجزائر»، أنور مالك، (ص٤٨).

(٤) مجموعة إسلامية جزائرية ترفض عالمية القيادة للحركة الإسلامية (الإخوان المسلمين)، وتتبنى القيادة القطرية المحلية الجزائرية لتنظيمها.

(٥) (هل دعمت إيران الإرهاب في الجزائر؟)، بوزيدي يحيى، «الراصد» عدد (١٥٥).

(٦) «أسرار الشيعة والإرهاب في الجزائر» (ص٥٦).

(٧) «الجماعات المتطرفة وإيران»، سعيد بن حازم السويدي، (ص١٢٥).

(٨) المصدر السابق، (ص١٦٨).

(٩) المصدر السابق، (ص١٧٢).

(١٠) مقابلته مع قناة «الآن»: http://cutt.us/٧٩ZBb

(١١) http://cutt.us/j٦XjO

الفوضى في العراق، ورفضت تسليمه للأردن، وفعلًا تم تسهيل دخوله للعراق، وإمداده بالسلاح والخدمات اللوجستية، وجعله في واجهة مقاومة الأمريكان مع الهجوم على الشيعة العراقيين؛ ليزيد تشبث الشيعية العراقيين بالنجدة الإيرانية![1].

وقد قام نظام بشار الأسد برعاية تسلل القاعدة للعراق عقب الاحتلال الأمريكي؛ حتى اضطر نوري المالكي -رئيس الوزراء العراقي- لتقديم شكوى ضد سوريا في مجلس الأمن عام (٢٠٠٩)[2].

ومع قدوم الربيع العربي لسوريا، وبدء الثورة السورية سرعان ما ظهر تنظيم داعش؛ الذي هو نسخة أكثر تطرفًا وغلوًّا من القاعدة، والذي لقي دعمًا غير مباشر من إيران ووكلائها في العراق وسوريا، بإفراج بشار عن كثير من أعضاء وقادة القاعدة المعتقلين بسجن صيدنايا عام (٢٠١١)[3]، وعبر تسهيل الأمن العراقي فرار بعض قادة القاعدة من سجن أبو غريب لسوريا سنة (٢٠١٣)؛ بحسب اتهامات وزير العدل العراقي حسين الشمري[4]، فظهرت داعش بإعلان أبي بكر البغدادي قيام دولة الإسلام في العراق وسوريا.

وهنا نجد أن الجيش العراقي ينسحب بأمر من نوري المالكي من الموصل دون سبب مقنع! ويسلّمها إلى داعش، بما فيها من مئات الملايين ومليارات الذخائر، ولذلك أوصى البرلمان العراقي بتحميله المسؤولية عن ذلك وتقديمه للقضاء[5]، وبالمقابل نجد الجيش السوري ينسحب من أمام داعش في سوريا بشكل غير منطقي!

ثم تكشف الأيام عن قيام داعش بغزو مناطق الثوار، والاستيلاء عليها، ومن ثم تجريد هذه المناطق من السلاح، وتفرض على السكان اتّباع تعليماتها، وبعد ذلك تنشر بينهم فكرها الإرهابي، ثم تقوم بالانسحاب من هذه المناطق وتسليمها لنظام بشار والمالكي ومليشيات الشيعة وإيران الطائفية والإرهابية؛ كما حصل في العراق أو تدمر بسوريا، أو تبقى بها وتحارب بطريقة تجلب الدمار التام للمدينة، ومن ثم ينسحب/يتبخر جنود داعش منها! ويبقى أهلها ضحايا القصف والتدمير والتهجير والاعتقال والاضطهاد؛ كما حدث في الموصل.

* موقع ماليزيا من المشروع الإيراني:

هناك اهتمام للمشروع الإيراني بمنطقة جنوب شرق آسيا عمومًا، وبماليزيا تحديدًا، ومَن يراقب النشاط التبشيري في دول المنطقة (أندونيسيا والفلبين وتايلاند وسنغافورة وبورما وماليزيا) يلاحظ بسهولة الجهود الإيرانية المتعاظمة في نشر التشيع؛ بتكثيف استقطاب الطلبة للدراسة في طهران أو جامعة المصطفى بأندونيسيا، وسيلاحظ الدور الواسع للسفارات والبعثات الثقافية الإيرانية في اختراق المؤسسات التعليمية والسياسية في هذه الدول، وسيرى التوسع في محاولة توظيف الاقتصاد والتجارة لترسيخ النفوذ الشيعي والإيراني فيها[6]، كما سيجد بوادر تسييس الشيعة فيها من خلال العمل الحزبي والإعلامي، وقد يكون في المستقبل تكرار لنموذج «الملشنة» الشيعية؛ كما حدث في باكستان وأفغانستان.

ومما يؤكد أهمية ماليزيا في المشروع الإيراني حجم الطلبة الشيعة الإيرانيين والعراقيين الذين يدرسون في ماليزيا، والذي يفوق (١٠) آلاف طالب[7]، ومعلوم أن جزءًا لا يستهان به منهم مرتبط بالحرس الثوري ومشروع نشر التشيع وتكوين

---

(١) «الجماعات المتطرفة وإيران»، سعيد بن حازم السويدي، (ص١٣٨، ١٧٩).

(٢) http://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=١٠٩٩٢&article=٥٣٤٧٢٣#.WZxlWFEjHIU

(٣) http://www.huffpostarabi.com/٢٠١٦/١٢/٠١/story_n_١٣٣٥٣٨٢٦.html

(٤) http://cutt.us/WjNn١

(٥) http://cutt.us/n٨xYg

(٦) https://www.sasapost.com/iran-in-asia/

(٧) «دعوة الشيعة الإمامية الإثني عشرية في ماليزيا»، (ص٦٧).

الخلايا النائمة.

وقام محمد رضا موحدي -مؤلف كتاب «توجيهات للسفير»؛ وهو مخصص لدعاة الشيعة في الحج لكيفية التعامل مع حجاج أهل السنة- بتخصيص أهل ماليزيا بفصل خاص؛ فقال عنهم: «إنهم مؤدبون، ويجيبون على الأسئلة بالسهولة، يستمعون جيدًا، ويجيبون مع كمال الوقار والأدب؛ حتى لو كان مخالفًا»[1]،

مما يكشف عن خطة معدة بإتقان للتعرف على خصائص الشعوب وكيفية اختراقها والتسلل بينها لنشر التشيع، ومن ثم الولاء والتبعية لملالي طهران وقم.

واختراق ماليزيا وكسبها للمشروع الإيراني يعد هدفًا كبيرًا؛ لِما لماليزيا من قوة علمية واقتصادية يمكن أن ترفد المشروع الإيراني بعناصر نافعة وثمينة!

- **توصيات:**

- **فضح البنية الفكرية الإرهابية والطائفية** التي تأسس عليها نظام الملالي.
- **تقديم هذا النظام للمحاكمة على جرائمه الإرهابية**، ودعمه للتنظيمات الإرهابية الشيعية والسنية.
- **العمل على مساعدة الشعب الإيراني** للحصول على حقوقه السياسية والاقتصادية، والعيش بكرامة وسلام مع الدول المجاورة.

(١) (التشيع في أفريقيا)، تقرير ميداني، إصدار مركز «نماء»، (ص١١٣).

التشيع في شمال إفريقيا وجنوب الصحراء
-دراسة مقارنة-

بوزيدي يحيى- كاتب وباحث جزائري

خاص بـ «الراصد»

ارتبط صعود إيران الإقليمي بعد ثورة سنة (١٩٧٩) بالتشيع ارتباطًا وثيقًا؛ حيث تلازم الحضور الإيراني في كل مكان بعمل ممنهج لنشر التشيع، وبحكم التواجد التاريخي للتجمعات الشيعية في الخليج العربي ولبنان وتركيا وغيرها من الدول في آسيا؛ فإن ما ميّز هذه التجمعات هو التغير في مطالبها التي حاولت محاكاة التجربة الثورية الإيرانية، واستنساخ نموذج الجمهورية الإسلامية في أوطانها.

ونظرا لمعرفة هذه المجتمعات بالعقيدة الشيعية؛ فإن الصدام الذي وقع بمستويات متفاوتة -خاصة مع الأنظمة السياسية الحاكمة- كان دورة تاريخية أخرى من دورات الصدام، غير أنه في الحالة الإفريقية اقترن التأييد السياسي لإيران في دولها الإسلامية بنشاط تبشيري شيعي اختلف من حيث مداخله وآلياته من بلد لآخر.

وقد تناولَت الكثير من الدراسات انتشار التشيع في كل بلد على حدة أو في منطقة من المناطق؛ كشمال إفريقيا وغربها وشرقها أو جنوبها، غير أن ما ينقص في هذا الجانب هو: الدراسات المقارنة بين مجتمع وآخر، فرغم القواسم المشتركة للقارة الإفريقية التي عَرفت تقريبا التحولات التاريخية نفسها، ولعل أبرزها: الفتوحات الإسلامية والموجة الاستعمارية الأوروبية، وحتى الخصائص المجتمعية المتشابهة؛ إلا أنه مع ذلك توجد الكثير من الاختلافات بينها، وأبرزها ذلك التباين بين إفريقيا جنوب الصحراء وشمال إفريقيا، واللتين تفصل بينهما الصحراء الكبرى التي كانت ولا زالت موطنًا للطوارق، الذين يشكلون حاجزًا بشريًّا بين العرب والبربر والعرق الإفريقي الأسود في الجنوب.

فقد وقفت الصحراء الإفريقية الكبرى كعقبة طبيعية أمام الاتصال بين شمال وجنوب إفريقيا، إلى أن تمكن العرب المسلمون من تحديد معابر عبر الصحراء، وبناء محطات تزويد واستراحة على طول تلك الطرق[1].

وبالنسبة لموضوع التشيع؛ فإن هذه المنطقة لم تشهد نشاطًا تبشيريًّا شيعيًّا مشابهًا لذلك الذي عرفته في الشمال، أو الجنوب على حد سواء، ولعل هذا الاستثناء يمثل نقطة بداية تعكس وجود فوارق أخرى للظاهرة في شمال إفريقيا، وفي جنوب الصحراء؛ حيث يعد الحزام الصحراوي فاصلًا بين الإقليمين، وفي الوقت نفسه يعكس خصائص طبيعية واجتماعية مميزة لها؛ وتبعًا لذلك سياسية.

وانطلاقًا من الخصوصيات المميزة لهذه المناطق الجغرافية فإن الدراسة تطرح الإشكالية التالية: كيف ارتقى التشيع في بعض الدول والمناطق إلى مستوى الظاهرة، وبقي محصورًا عدديًّا وجغرافيًّا في مناطق أخرى؟ سنحاول الإجابة على هذه الإشكالية من خلال العناصر التالية:

أولًا: حجم الانتشار:

قبل الخوض في نقاط تقاطع وتمايز ظاهرة التشيع بين النطاقين الجغرافيين -محل الدراسة- يتوجب في البداية الوقوف عند حجم انتشارها في كل نطاق، والدلالات التي يمكن استخلاصها من ذلك.

وفي هذا الباب تتضارب الأرقام للتعقيدات التي تحيط بالظاهرة! فالمصادر الشيعية تضخم حجمهم بشكل كبير جدًّا، ولا تستند ادعاءاتها على دلائل موضوعية[2]، والجهد الأكاديمي الأهم جاء في تقرير «التشيع في إفريقيا» الصادر عن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في (٢٠١١).

وقد خلص التقرير إلى تصنيف الدول الأفريقية إلى أربعة أقسام[3]:

١ - دول وصل فيها التشيع إلى مستوى الظاهرة، وهي ثلاث دول: نيجيريا؛ حيث «التشيع منتشر وله وجود منظم، وهي أكثر بلاد أفريقيا من حيث انتشار التشيع ووجود توتر بين الشيعة والسنة»، والدولتان الأخريان هما: غانا، وتونس.

٢ - دول يصل فيها النشاط الشيعي إلى مستوى الظاهرة من حيث الجهود المبذولة والمؤسسات؛ من مدارس ومساجد وحسينيات وبعثات دراسية، مع تحوُّل محدود إلى المذهب الشيعي، والدول هي: سيراليون، وكينيا، وغينيا كوناكري، وساحل العاج، والسنغال، وتنزانيا، وجزر القمر، والمغرب، والجزائر.

٣ - دول يوجد فيها نشاط ملموس ومتزايد للتشيع، ولكنه لم يتحول إلى كونه ظاهرة؛ لا في المؤسسات، ولا في اعتناق أهل البلاد للمذهب، والبلاد هي: النيجر، وبنين، ومالي، والكاميرون، والكونغو، والسودان، وأوغندا.

٤ - أما الدول التي لا يعدّ النشاط الشيعي فيها ملموسًا أو ظاهرًا، و«لا يمثل ظاهرة لا في مؤسساته ولا في معتنقيه»، فهي: توغو، وليبيريا، وموريتانيا، وتشاد، وجيبوتي، والصومال، وموزمبيق، وإثيوبيا، وغامبيا، والغابون، وغينيا بيساو، وبوركينا فاسو.

وثمة دولة يسكت التقرير عن تقييمها، وهي: مصر، ولكن

---

(١) قاسم الدويكات، «مشكلات الحدود السياسية في الوطن العربي: دراسة في الجغرافيا السياسية»، ب د ن، (ط١، ٢٠٠٣)، (ص١٤).

(٢) يمكن في هذا الإطار الرجوع على سبيل المثال لا الحصر إلى مقالة على موقع «الجزيرة» اعتمدت مصادر شيعية، وكيف يضخم أرقام المتشيعين في كل الدول الإفريقية، محمد السعيد، (وميض النار.. رقعة الحرب السعودية الإيرانية في أفريقيا)، «الجزيرة نت» (١٠/٠٥/٢٠١٧)، على الرابط: http://cutt.us/EkXO٣

(٣) هيئة التحرير، (المد الشيعي في إفريقيا هل تحول إلى ظاهرة؟)، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، (١٣ جمادى الأولى، ١٤٣٣هـ)، على الرابط: http://taseel.com/articles/viewprint/١١٤٢

من واقع ما ورد عنها نستطيع أن نُلحِقها ضمن المجموعة الثالثة، فقد ورد أن للشيعة نشاطًا تعليميًّا وثقافيًّا وإعلاميًّا في مصر، ومع ذلك ما يزال التأثير الشيعي محدودًا قياسًا بعدد السكان وحجم النشاط الإعلامي والثقافي في مصر بشكل عام[1].

ثانيًا: مأسسة التشيع:

يسعى المتشيعون لشرعنة وجودهم وتطويره؛ من خلال خلق هياكل مؤسساتية تمنحهم الصيغة القانونية للنشاط، وأيضًا توفر فضاء للتواصل بينهم، ما يمكّنهم من التعاضد والتعاون، وفي الوقت نفسه ممارسة نشاط دعوي.

من هنا؛ فإن البعد المؤسساتي يشكل أحد المؤشرات على تغلغل التشيع في المجتمعات الأفريقية وحجم انتشاره والموقف المجتمعي منه، وحضورهم المؤسساتي يتفاوت من بلد إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى، ووفق التقسيم المعتمد للدراسة فإنه في الجنوب أكثر بكثير مقارنة بالشمال، ولكنه يتفاوت من دولة إلى أخرى، ففي بعض الدول الإفريقية لا يتجاوز عدد المؤسسات الشيعية أصابع اليد الواحدة؛ كبنين وبوركينا فاسو، وتوغو، وغامبيا، وليبيريا، ومالي، وغينيا بيساو، وتشاد، والغابون، وجيبوتي، وإثيوبيا.

أما في الدول الأخرى؛ فهناك عدد لا بأس به يتوزع بين مساجد، وحسينيات، ومدارس، وجمعيات، وحتى جامعات، ومن الأمثلة على ذلك: وجود (١٢) مسجدًا للشيعة في جنوب إفريقيا، إضافة إلى (٨) حسينيات.

وفي سيراليون هناك مدارس، ومعاهد علمية، ومستشفيات، ومؤسسات خيرية، ومساجد وأهمها: مدرسة الزينبية، ومؤسسة أهل البيت -بجوار مسجد الحسين-، والمعهد العلمي للدراسات الإسلامية، وجامعة علمية حديثة بدعم إيراني، ومجمع أهل البيت.

وفي نيجيريا توجد (٥٠) مدرسة.

وفي غانا هناك مؤسسة أهل البيت، ومؤسسة الإمام الحسين، ومسجد الرسول الأكرم، ومعهد أهل البيت، ومدرسة الإمام الصادق، ومسجد الحسين، ومدرسة الإمام المهدي، ومؤسسة الكوثر، ومكتبتان، إضافة إلى (٧) معاهد، و(٧) مساجد، ومراكز خدمات اقتصادية بسيطة.

وفي غينيا كوناكري أحصيت (٩) مدارس، و(٤) جمعيات ومركز فيه حوزة.

وفي ساحل العاج -أيضًا- هناك (١٢) مدرسة، و(٧) جمعيات، و(٣) مساجد، و(٣) حسينيات، و(٦) مراكز ثقافية، ومستوصفان.

وفي السنغال -أيضًا- هناك (٤) مراكز، و(٥) مساجد، و(٦) مدارس، ومستوصف، وكلية الحسنين، والمركز الثقافي الإيراني، وحوزة الرسول الأكرم، وكلية فاطمة الزهراء، ومؤسسة المزدهر، والمؤسسة الاجتماعية الإسلامية، و(٣) جمعيات، و(١٠) مراكز.

وفي الكاميرون يوجد معهد أهل البيت، ومدرسة، و(٧) مساجد.

وفي الكونغو أحصي (١٦) مركزًا، و(٣) مساجد، وجامعة، وأنشطة خدماتية.

وفي أوغندا هناك (٣) مدارس، وحوزة الإمام الصادق، ومركز أهل البيت الإسلامي، ومسجدان، وجمعية الصادق النسائية، و(٣) مؤسسات، ومعهد أهل البيت، ومكتبة الإمام الصادق.

وفي كينيا إضافة إلى المركز الثقافي الإيراني، هناك (٥) مساجد، و(٥) مدارس، والنادي الجعفري، و(٣) مراكز، و(٣) جمعيات، وخدمات طبية، ومستوصفان.

وفي تنزانيا (٣) مراكز، و(٦) مدارس، أكاديمية ولي العصر، معهد، كلية تدريب المعلمين، حوزات، (٦) مساجد، حسينيات.

وفي موزمبيق (٤) مدارس، حسينيات.

---

(١) هيئة التحرير، (المد الشيعي في إفريقيا هل تحول إلى ظاهرة؟)، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، (١٣ جمادى الأولى، ١٤٣٣هـ)، على الرابط: http://taseel.com/articles/viewprint/١١٤٢

وفي جزر القمر يوجد مركز التبيان العلمي، كلية الحقوق والعلوم الإسلامية، مركز طبي -تابع للهلال الأحمر الإيراني-، لجنة إمداد الخميني، مركز الثقلين، مركز الإمام الخميني الثقافي.

أما في دول شمال إفريقيا؛ فإن البعد المؤسسي محدود جدًّا:

ففي الدول المغاربية توجد فقط ثلاث جمعيات في المملكة المغربية، ليس لها نشاط كبير جدًّا، وتنعدم في الجزائر وبعضها على ندرتها فإنها تعمل بطرق غير مباشرة تحت عناوين لا تعكس هويتها.

والحضور المؤسساتي أكثر بقليل في مصر؛ حيث توجد (٤) جمعيات، ودار نشر.

وفي موريتانيا يشار إلى وجود حسينيات في العاصمة نواكشوط، يديرها موريتانيون، ويمارسون فيها عباداتهم وكل ما يريدون في مواسمهم[١].

أما في تونس وبالعودة إلى التقارير الميدانية فإن الجزء المخصص للحالة التونسية لا يقدم أي أرقام عن عدد المتشيعين، كما يشير إلى جمعية واحدة فقط (جمعية أهل البيت الثقافية)، وبذلك فإن تصنيفها ضمن الدول التي بلغ فيها التشيع حد الظاهرة فيه قدر من المبالغة، وحتى الجزائر والمغرب اللتين صنفتا من الدول التي بلغت فيها الأنشطة مستوى الظاهرة لا يوجد نشاط مؤسسي يعضد هذه الفرضية.

والحضور الأكبر كان في السودان التي أحصي بها (٣) مدارس، ومعهد الإمام جعفر الصادق، و(٦) مكتبات، و(١٠) جمعيات، والمركز الثقافي الإيراني، و(١٥) حسينية، غير أنه تم غلقها في (٢٠١٦).

(١) مدير مركز تكوين العلماء، (الخطر الشيعي أصبح حقيقة بتجليات كثيرة)، «السراج الإخباري»، (٢٠/٠٦/٢٠١٢)، على الرابط:
http://essirage.net/archive/index.php/news-and-reports/٨٤١٧-٢٠١٢-٠٦-٣٠-١٧-٣٦-٢٩.html

ثالثًا: مداخل التشيع وآليات الانتشار:

تتنوع مداخل التشيع بين الاجتماعي والسياسي والديني، وتتمثل أهمها فيما يلي:

١ - الدور الإيراني:

كما سبقت الإشارة في مقدمة الدراسة؛ فإن الدور الإيراني محوري في عملية نشر التشيع، في شمال القارة وجنوبها، وهي تزاوج بين المصالح الاقتصادية ونشر التشيع، فكثيرًا ما تستغل طهران علاقاتها الدبلوماسية مع الدول الإفريقية والتعاون الاقتصادي لدعم الأنشطة التي تروّج التشيع، وكلما كان هناك تطور في العلاقات السياسية يشهد بالموازاة مع ذلك حركة كبيرة في التشيع، وكلما سمحت السلطات بالنشاط؛ فإن السفارات الإيرانية لا تخفي دورها في نشر التشيع بشكل علني، وغالبًا ما تترافق المساعدات الاقتصادية والخدماتية بمحاولات لنشر التشيع.

إذ يُستغَل بذل المال الكافي لضمان تدفق (الدعوة) والاستثمار معًا جملة واحدة؛ لا سيما في نيجيريا وكينيا وجنوب إفريقيا والسنغال وغانا، الدول الواعدة ضمن دائرة الضوء الاستثماري العالمي الغارقة في الفساد أيضًا[٢].

فقد شهد الحضور الإيراني تصاعدًا كبيرًا في غرب إفريقيا؛ خصوصًا خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين؛ من خلال المنظمات والهيئات الأهلية، والمراكز الثقافية، والمشاريع الاقتصادية، والعمل الدبلوماسي[٣]، مستفيدة من كون إقليم غرب إفريقيا يمثل أكبر كتلة إسلامية في القارة الإفريقية، لذلك يمثل الإقليم بيئة خصبة لتلقي مبادئ الثورة التي تعمل

(٢) أمير سعيد، (إيران المتجهة إلى إفريقيا تبشيرًا واستثمارًا)، مجلة «البيان»، العدد (٢٨١)، بتاريخ (١٥/١٢/٢٠١٠)، على الرابط:
http://www.albayan.co.uk/Mobile/MGZarticle٢.aspx?ID=٥١٦

(٣) عبد الله ولد محمد بمب، (الحضور الإيراني في غرب إفريقيا: استثمار.. أسواق.. تشيع؟)، موقع «الميادين»، (٥/١١/٢٠١١)، على الرابط:
http://meyadin.net/٩٨٧٦٥٤٥٦٧٨/٤٣٣٣-٢٠١٢-١١-٠٥-٢٠-٥١-١٦.html

إيران على نشرها في أرجاء العالم[١].

لا يختلف الأمر كثيرًا في شمال إفريقيا؛ حيث تولي إيران المنطقة أهمية كبيرة، وقد سعت إلى تعزيز علاقاتها مع دول المنطقة؛ خاصة المغاربية منها، بعد تأزم علاقتها مع مصر عقب الموقف الإيراني المؤيد لاغتيال الرئيس أنور السادات، وهو ما تكرر مع الجزائر في بداية تسعينيات القرن الماضي عقب اغتيال الرئيس محمد بو ضياف.

وفي سياق المحاور الإقليمية؛ فإن العلاقة مع مصر بقيت مضطربة نتيجة التوافق المصري السعودي؛ لذلك وجدت في الموقف الجزائري نوعًا من التوازن، والتأثير الأهم كان في السودان التي وصل فيها الإسلاميون للسلطة بعمل ثوري هو الأكثر نجاحًا من بين المحاولات العربية التي سعت لمحاكاة النموذج الإيراني في تلك المرحلة، وقد أثمر الاحتفاء السوداني بإيران تمددًا شيعيًّا هو الأكبر في الدول العربية السنية، وفي كل المراحل لم تفوّت إيران أي فرصة تتاح لنشر التشيع استثمارًا لعلاقاتها مع هذه الدول، ودور السفارات الإيرانية -وبشكل خاص المراكز الثقافية التابعة لها- جلي في كل هذه الدول، إضافة إلى المنح الدراسية للدراسة في حوزاتها.

٢- دور المهاجرين:

لعب المهاجرون الشيعة بشكل عام دورًا مهمًّا في نشر التشيع في كل إفريقيا، غير أنه أكثر وضوحًا وديمومةً في جنوبها على عكس شمالها؛ خاصة الجالية اللبنانية التي تقوم بدور كبير في عملية التبليغ الشيعي في البلاد الإفريقية[٢]، وذلك لتواجدهم بأعداد كبيرة؛ إذ تشير بعض الإحصائيات إلى أن (٣٥٠) ألف لبناني على الأقل منتشرون عبر القارة، وتمثل ساحل العاج والسنغال ونيجيريا أهم مراكز الجاليات اللبنانية المقيمة في إفريقيا، بجانب آلاف اللبنانيين الآخرين يقيمون تقريبا في كل الدول الإفريقية[٣].

ورغم تواجدهم في القارة لفترة طويلة إذ تعود إلى بدايات القرن الماضي؛ غير أن اهتمامهم بالأنشطة الدعوية اقتصر على الجالية نفسها للمحافظة على هويتها؛ لتشهد نقلة بعد الزيارة التي قام بها موسى الصدر في سنة (١٩٦٤) لعدد من الدول الأفريقية، حاملًا مشروع المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان[٤]، ثم قفزة تالية مع انتصار الثورة الإيرانية في (١٩٧٩).

وممّا مكّنهم من المساهمة الفعالة في نشر التشيع: امتلاكهم للثروات؛ نظرًا لاشتغالهم في التجارة، حيث يمارس معظم اللبنانيين المتوزعين عبر القارة أنشطة تجارية، ولذلك تعيش الجاليات اللبنانية حياة يسودها الرخاء هناك، وهي أساسية ومنافسة لكثير من الجاليات الأخرى، إذ تبلغ قيمة الاستثمارات اللبنانية في إفريقيا نحو (٤٥) مليار دولار، تسبقها الصين بـ (٧٥) مليار دولار أميركي[٥].

واستقرت أكبر جالية من اللبنانيين -والتي يتراوح عدد أفرادها من ستين ألفًا إلى مائة وعشرين ألفًا- في ساحل العاج منذ أواخر الثمانينيات، وهناك جالية أخرى يبلغ عدد أفرادها أربعين ألفًا يعيشون في السنغال، والكثيرون منهم يشغلون متاجر البيع بالتجزئة، في حين يعمل آخرون في تجارة الماس[٦].

---

(١) أميرة محمد عبد الحليم، (غرب أفريقيا ساحة للمواجهة بين إيران وإسرائيل).

(٢) لجنة تقصي الحقائق بمجلس أمناء اتحاد العلماء المسلمين، (التشيع في إفريقيا)، بيروت، «مركز نماء للبحوث والدراسات»، (ط١، ٢٠١١)، (ص٦٥).

(٣) محمد خليفة صديق، (الجالية اللبنانية الشيعية في إفريقيا .. الواقع والدور)، مجلة «الراصد»، العدد (١٥٢)، (٢٠١٦/٢/٩)، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٧٢٦٩

(٤) أميرة محمد عبد الحليم، (غرب أفريقيا ساحة لمواجهة بين إيران وإسرائيل).

(٥) محمد خليفة صديق، (الجالية اللبنانية الشيعية في إفريقيا .. الواقع والدور)، مجلة «الراصد»، العدد (١٥٢)، (٢٠١٦/٢/٩).

(٦) أميرة محمد عبد الحليم، أحدى نجاد في غرب أفريقيا، الأهرام الرقمي، (٢٠١١/١/٢)، على الرابط:
http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=٤٨٥٨٦٢&eid=١٢٢

وهم يتحكمون بحوالي (٦٠%) من القطاعات الاقتصادية الحيوية، فيمتلكون أربعة آلاف مؤسسة، من بينها (١٥٠٠) مؤسسة صناعية يعمل فيها نحو (١٥٠) ألف مواطن من أهل البلاد.

وهم يسيطرون على: (٧٠%) من تجارة الجملة، و(٥٠%) من تجارة التقسيط، و(٨٠%) من شركات جمع القهوة والكاكاو وتصديرها، و(١٧%) من سيارات الأجرة، الأمر الذي حرصت قيادات البلاد المتوالية على التنويه والإشادة به[١].

وفي كينيا تقيم جالية إسلامية كبيرة، تضم حوالي نصف مليون من أبناء الطائفة الشيعية، هؤلاء يشكلون موقعًا هامًّا ومهمًّا لنشر الإسلام الشيعي بصيغته الإيرانية الراديكالية.

وفي شرق إفريقيا تعود أصول الشيعة إلى منطقة الخليج والهند، وقد لعبت الهجرات المتتالية خلال القرون السابقة دورًا في انتشار التشيع بهذه المنطقة؛ كما في زنجبار، والشيرازيين في تنزانيا.

أما في شمال إفريقيا؛ فقد كان دورهم محدودًا؛ لأعدادهم القليلة التي لا تتجاوز بعض المئات والعشرات في هذه الدول، وحضورهم حديثُ عهد؛ حيث يعود لما بعد الاستقلال، خاصة في الجزائر التي استقدمتهم في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي للتدريس في مدارسها وثانوياتها وجامعاتها، ونشاطهم كان محتشمًا في بداياته ثم توسع مع الثورة الإيرانية، لكنه بقي محدودًا.

وفي العقود الأخيرة كانت هناك محاولات لهم للنشاط والتي عرفت بقضية رجل الأعمال صلاح عز الدين الذي كانت له أنشطة تجارية، وسعى لتأسيس مدرسة خاصة.

وفي المغرب كانت هناك أنشطة مماثلة تم احتواؤها على غرار المدرسة العراقية التي تم غلقها بتهمة نشر التشيع، وفي موريتانيا جاء تجار لبنانيون شيعة من السنغال وفتحوا مطاعم في وسط العاصمة قرب «تجمع سيتي سنتر»، وهم متهمون بمحاولة التغلغل في المجتمع، كما حصلت بعض الزيجات بين موريتانيات وإيرانيين[٢].

والاستثناء في مصر؛ حيث كان المهاجرون الشيعة الرافد الأساسي للتشيع لوجود الكثير من العناصر العربية الشيعية فيها، والذي قام بدور فعال في دعم الدعوة الشيعية، فقد كانت مصر مكتظة بالشيعة العراقيين الفارين من وجه صدام، والذين أقاموا في مصر لغرض الدراسة، كما كان بها الكثير -أيضًا- من شيعة البحرين والسعودية الذين يقيمون لنفس الغرض، وقد أسهمت هذه العناصر في القيام بدور دفاعي فعال ضد الهجمات الإعلامية التي شنت على الشيعة في تلك الفترة[٣].

وشهد عددهم تزايدًا كبيرًا في مصر عقب الاحتلال الأمريكي للعراق في (٢٠٠٣)، ومكمن الخطر في تجمعهم بمناطق على غرار مدينة (٦ أكتوبر).

٣- دور الحركة الإسلامية:

سهلت الحركات الإسلامية في المنطقتين عملية التشيع؛ من خلال ترويجها للثورة الإيرانية واحتفائها بالخميني ثم حسن نصر الله، ودفاعها عن سياسات إيران في المنطقة، وبذلك كانت بيئة حاضنة للتشيع السياسي الذي تطور لاحقًا إلى تشيع عقدي، غير أن الفارق بين الحالتين: أن انتقال المنتمين للحركة الإسلامية إلى العقيدة الشيعية شمل في الشمال أفرادًا من الدرجة الثالثة أو الرابعة؛ وحتى متعاطفين معها، لكنه في الجنوب شمل قادة بارزين؛ خاصة في نيجيريا التي تأثرت الحركة الإسلامية فيها بالثورة

(١) ميرفت عوف، (ساحل العاج منبع تمويل لحزب الله طوعًا وكراهيةً)، مجلة «الراصد»، (٢٣/٦/٢٠١٤)، على الرابط:
http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٦٧٠٥

(٢) مدير مركز تكوين العلماء، (الخطر الشيعي أصبح حقيقة بتجليات كثيرة)، «السراج الإخباري»، (٢٠/٠٦/٢٠١٢)

(٣) لجنة تقصي الحقائق بمجلس أمناء اتحاد العلماء المسلمين، (التشيع في إفريقيا)، بيروت، «مركز نماء للبحوث والدراسات»، (ط١، ٢٠١١)، (ص٦٣٢).

الإيرانية والاحتفاء بها؛ ليتشيع البعض منها تبعا لذلك[1]، وشهدت ما يشبه الانتقال الجماعي نتيجة الدور الذي لعبه إبراهيم الزكزكي؛ الذي كان قياديًّا بارزًا فيها.

٤ - الجماعات الدينية المتطرفة:

استثمرت إيران -أيضًا- في جماعات التطرف التي نشأت في المنطقة لتسويق التشيع، وقد حصل هذا في وقت مبكر؛ خلال تسعينيات القرن الماضي في الجزائر ومصر، وازداد في السنوات الأخيرة؛ خاصة بعد أحداث (١١ سبتمبر ٢٠٠١) ثم احتلال العراق، وصولًا إلى (٢٠١١) مع بروز تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا، ولم تفوت فرصة صعود التنظيمات المتطرفة في دول الجنوب على غرار تنظيم بوكو حرام؛ إذ باتت طهران تستفيد من ممارسات وسلوكيات الجماعات المتشددة في مالي ونيجيريا -والمرفوضة شعبيًّا- من أجل تسويق الفكر الشيعي[2].

٥ - التعاون مع دول الجوار في نشر التشيع:

لا يقتصر النشاط التبشيري الشيعي على كل دولة بشكل مستقل، وإنما يوجد تنسيق عابر للحدود؛ حيث يتفاعل المتشيعون مع أقرانهم في دول الجوار، وهذا النوع من النشاط متواجد بشكل كبير في دول جنوب الصحراء.

ومن الأمثلة على ذلك: أنه يتم ابتعاث الطلاب من غينيا بيساو إلى مدارس شيعية في السنغال؛ حيث يزاولون النشاط التشييعي بعد عودتهم من الخارج بعد أن تمكنوا من الحصول على التدريبات الكاملة في الدورات والمناهج الشيعية، **فمثلًا:** في (٢٠٠٧) قاموا بتنظيم دورة تدريبية في العاصمة بيساو دامت أسبوعين قام بها الممثل عنهم القادم من غينيا الكنكاري، وحاولوا في الوقت نفسه شراء قطعة أرض لبناء مؤسسات عليها[3].

ويظهر هذا النشاط -أيضًا- في المؤسسات الشيعية ذات الطابع الإقليمي؛ على غرار اتحاد غرب إفريقيا لأهل البيت، ورابطة عموم إفريقيا لآل البيت، وهي منظمة شيعية غير حكومية أسست في العاصمة السنغالية داكار، التي حددها المؤسسون مقرًّا للرابطة.

وفي دول شمال إفريقيا تكاد تنعدم الظاهرة؛ إذ لا يوجد تعاون بين الشيعة المغاربة؛ خاصة بين الجزائر والمملكة المغربية، بسبب الخلافات السياسية بين البلدين، بينما سجلت محاولات مختلفة مع المتشيعين في تونس، وكانت هناك مطالب للتعاون في هذا الاتجاه؛ خاصة مع فرص التواصل التي تتاح في الحوزات الشيعية ومواقع التواصل الاجتماعي.

٦ - الفرق الدينية المنافسة:

دور الجماعات الصوفية والفرق المعادية ظاهر بشكل جلي وقوي في الجنوب على عكس شمال إفريقيا، إذ يعتبر التصوف أحد السمات الدينية في المجتمعات الإفريقية؛ حيث تنتشر هذه الطرق في كل دولها، والكثير منها موجودة في الشمال، ولها امتدادات في الجنوب، وقد شكلت في النطاقين أحد مداخل التشيع.

وفي إثيوبيا كان لفرقة الأحباش دور كبير في نشر التشيع؛ من خلال الحد أولًا، وإعاقة انتشار الإصلاح السني تحت شعار: محاربة الوهابية.

رابعًا: المواقف الرسمية في دول الشمال والجنوب

تتباين ردود الفعل الرسمية في الدول الإفريقية بشكل عام تجاه حركة التشيع؛ فهناك حكومات لا تعارض الأنشطة الشيعية التبشيرية، بل على العكس ترحب بها، وتسمح لها بالنشاط

(١) لجنة تقصي الحقائق بمجلس أمناء اتحاد العلماء المسلمين، (التشيع في إفريقيا)، بيروت، «مركز نماء للبحوث والدراسات»، (ط١، ٢٠١١)، (ص٢٢٣).

(٢) زهير فهد الحارثي، (إيران في أفريقيا.. ولكن ماذا عن العرب؟)، جريدة «الرياض»، (٢٠١٣/٢/٥)، على الرابط: http://www.alriyadh.com/٨٠٧٧٤٦

(٣) لجنة تقصي الحقائق بمجلس أمناء اتحاد العلماء المسلمين، (ص٣٤١).

القانوني؛ كبِنين، وبوركينا فاسو، وسيراليون، وغانا، وغينيا كوناكري، وليبيريا، ومالي، وساحل العاج، وغينيا بيساو، والسنغال، والكونغو، وأوغندا، وكينيا، وتنزانيا -جزئيًّا-، وجزر القمر، وإثيوبيا.

بينما ترفض دول أخرى ذلك رفضًا قاطعًا، مثل: غامبيا، والنيجر، وتشاد، والغابون -جزئيًّا-، والكاميرون.

في حين نجد دولًا كانت تسمح بذلك ثم عارضته، وتوترت العلاقة بينها وبين إيران؛ على غرار نيجيريا في الجنوب، والسودان في الشمال.

وهناك من فعلته ثم عادت عن مواقفها؛ كالسنغال، حيث إغلاق نظام عبده ضيوف السفارة الإيرانية في داكار عام (١٩٨٤)، لكن النظام السياسي الحالي لم يعارض التمدد الثقافي لإيران، وذكر وزير خارجية السنغال شيخ تيدان جاديو Sheikh Tidiane Gadio في عام (٢٠٠٤) أنه يريد: «الحصول على الخبرة الإيرانية في إنشاء المدارس الدينية، وتحفيظ القرآن»[(١)].

والتذبذب في المواقف يتكرر في الجزائر والمغرب ومصر.

بينما تسمح تونس بنشاطهم؛ سواء في عهد النظام السابق أو النظام الحالي، كون المنظومة القانونية هناك تعتبر حرية المعتقد شأنًا خاصًّا لا تتدخل فيه السلطة السياسية.

خامسًا: الانعكاسات المجتمعية والسياسية للمتشيعين:

تتعدد آثار ظاهرة التشيع؛ سواء في سياقها الاجتماعي أو السياسي، وجلّها ينذر بتفكك تلك المجتمعات، وعدم استقرار الدول نتيجة للتصدعات التي يحدثها هؤلاء في مجتمعاتهم على المدى الوسيط أو البعيد، وهذا ما يتضح عند المقارنة بين درجة انتشار الظاهرة من بلد إلى آخر.

فأهم مظاهر التغلغل الشيعي يكمن في درجة الصراع والصدام؛ سواء الأفقي منه (المجتمعي - المجتمعي)، أو العمودي (المجتمعي - السلطة السياسية)، ففي الحالة الأولى هو أكثر حضورًا في إفريقيا جنوب الصحراء، وفي شمال إفريقيا ما زال ضيقًا ومتحكمًا فيه، والحوادث في هذا الإطار فردية ومحدودة، وأشهرها: ما حصل في مصر للمتشيع حسن شحاته الذي سجل في (٢٠١٣).

أما في جنوب الصحراء؛ فقد تطور إلى صراع مع السلطة السياسية، وأهم الحالات وقعت في نيجيريا سنة (٢٠١٥) بين الحركة الإسلامية الشيعية التي يقودها إبراهيم الزكزكي، والجيش النيجيري قتل فيها زهاء (٣٠٠) متشيع، فجماعة الزكزكي بمثابة كتلة سياسية خطيرة، تعتمد على سياسة حزب الله اللبناني في تجنيد أعضائها، وترمي إلى خلق قواعد محلية موالية لإيران؛ باعتبارها المرجعية الوحيدة، وتزعم مواجهة المصالح الغربية في إفريقيا، ومواجهة الإمبريالية والاستكبار الغربي![(٢)].

ومن الانعكاسات الاجتماعية -أيضًا-: السعي لإنتاج مرجعيات شيعية محلية؛ فقد أضحت الحوزات الشيعية قبلة للكثير من الطلبة الأفارقة الذين يتم ابتعاثهم إلى هناك بمنح إيرانية رسمية للدراسة فيها، وهذه الظاهرة تشمل القارة كلها، وفي شمالها وجنوبها لعب هؤلاء دورًا محوريًّا في نشر التشيع، وهناك محاولات جادة لتأسيس مرجعيات شيعية محلية، وقد استطاعت تحقيق قدر من النتائج لعل أبرزها: حالة إبراهيم الزكزكي في نيجيريا، وفي توغو: عبد المؤمن -من قبيلة كسنتو-، ومحمد دار الحكمة في غينيا، ومحمود عبد الله إبراهيم في جزر القمر، وعبد الرحمن ادن في جيبوتي.

وفي دول شمال إفريقيا: هناك محمد التيجاني السماوي في تونس، وفي الجزائر: فضيل الجزائري، وفي المغرب: إدريس هاني، ومعتصم سيد أحمد من السودان.

---

(١) أميرة محمد عبد الحليم، (أحمدي نجاد في غرب أفريقيا).

(٢) محمد الأمين سوادغو، (انتشار التشيع وتأثيره في النسيج الاجتماعي في غرب أفريقيا)، مجلة «الراصد»، (٢٠١٦/٢/٩)، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٧٢٧١

كما أن نشاط الدعاة الشيعية اللبنانيين والإيرانيين وغيرهم قوي ومعلن في الكثير من الدول الإفريقية، بينما يكاد ينعدم في دول شمال إفريقيا.

الخلاصة:

خلصت الدراسة إلى جملة النتائج التالية:

١ - عدديًّا لا توجد إحصائيات دقيقة للتشيع، ولكن بشكل عام تبدو أعدادهم في إفريقيا جنوب الصحراء أكثر من شمالها بكثير، دون إغفال الفوارق في عدد السكان بكل تأكيد.

٢ - درجة المأسسة تعزز النتيجة أعلاه؛ ذلك أن جلّ دول شمال إفريقيا لا توجد فيها مؤسسات شيعية معترف بها، والبعض الآخر -على ندرته- ينشط بطريقة سرية تحت عناوين مختلفة لا تعكس هويته، كما يقتصر على الجمعيات، وحتى الحسينيات لا تعدو أن تكون شققًا تستأجر لهذا الغرض وتغير في كل مناسبة شيعية.

بينما في دول الجنوب فالمؤسسات بالعشرات في الكثير من الدول، وأقلها تقريبًا أكثر من دول الشمال، كما تتنوع من جمعيات ومدارس إلى معاهد وجامعات، ومساجد وحسينيات؛ فضلًا عن المؤسسات الخدماتية.

٣- المواقف الرسمية من التشيع كثيرة التقلب، وهي مرهونة بالتغيرات السياسية، وتتراوح بين الاعتراف والترحيب أو السكوت الضمني، أو الرفض الضمني أو الرفض الصريح، ودول الشمال جلها إما ساكت أو رافض ضمنيًّا، وأحيانًا بشكل صريح، بينما الكثير من دول الجنوب تعترف بذلك النشاط وترحب به، وليس أدل على ذلك من المؤسسات الناشطة في مجال التشيع بشكل رسمي وعلني.

ونادرة هي الدول التي تحولت بشكل سريع في علاقاتها ورفضت التشيع كبعد في العلاقة مع إيران.

٤ - الدور الإيراني ثابت في نشر التشيع في المنطقتين، وهو حامي الشيعة والمتشيعين هناك، وكثيرًا ما تصدر تصريحات إيرانية تندد بأي تضييق عليهم؛ فضلًا عن النشاط التبشيري الذي تقوم به المراكز الثقافية التابعة لسفاراتها.

٥ - لعبت الجالية الشيعية اللبنانية دورًا هامًّا جدًّا في نشر التشيع في إفريقيا جنوب الصحراء على عكس شمالها، وذلك لثلاثة اعتبارات أساسية:

أولها: أنها تتواجد بنسب كبيرة تتجاوز عشرات الآلاف أحيانًا.

وثانيًا: أن وجودها قديم وليس جديدًا.

وثالها: أنها تسيطر على الأنشطة الاقتصادية والتجارية، وهي مدخل مهم يوفر المال الضروري لعملها الدعوي.

٦ - ساهمت الحركات الإسلامية في الترويج للتشيع؛ من خلال تسويق الأطروحة الإيرانية، وانتقال بعض قادتها للتشيع أعطى زخمًا إضافيًّا له، كما أربك الجهود المكافِحة.

٧ - استغلت إيران صعود الجماعات المتطرفة في المجال السني لتشويه عقائد أهل السنة كلها، وطرح التشيع كبديل لها.

٨ - تنسيق جهود نشر التشيع إقليميًّا وحتى في إطار مؤسساتي في إفريقيا جنوب الصحراء أكثر من شمالها.

٩ - تمكنت إيران من توظيف الطرق الصوفية في نشر التشيع، في الفضائين الشمالي والجنوبي؛ من خلال مدخل آل البيت وحبهم من جهة، وفي سياق التنافس والصراع الصوفي السلفي من جهة أخرى.

١٠ - هناك سعي دؤوب لإنتاج مرجعيات محلية في كل إفريقيا، وهذا الدور موكول للحوزات الشيعية في قُم وغيرها؛ التي تعنى بتكوين طلبة أفارقة في مدارسها، وقد استطاعت تحقيق بعض الاختراقات في العديد من الدول؛ رغم عدم وجود مراجع بدرجة «آيات الله العظمى»، وهذا أمر مستبعد في المدى المتوسط على الأقل؛ حتى تضمن السيطرة المباشرة عليهم بوصفهم مجرد وكلاء للمراجع القابعة في قم أو النجف.

١١ - في دول إفريقيا جنوب الصحراء التي ارتقى فيها التشيع إلى مستوى الظاهرة تجاوز الصراع المجال الاجتماعي إلى المجال السياسي كما حصل في نيجيريا مع جماعة الزكزكي، بينما في شمالها فإنه مازال محصورًا في سياقه المجتمعي على محدوديته، ولكن ذلك مؤشر على المدى الذي يمكن أن تصل إليه الحركات الشيعية كلما امتلكت قوة عددية أكبر.

١٢ - يمكن عزو ضعف انتشار التشيع في شمال إفريقيا إلى عامل اللغة (كونها منطقة عربية)؛ إذا أن الكثير من الجهود في مواجهة التشيع باللغة العربية آتية من المشرق الذي يعيش هذا الصراع بشكل مباشر، كما أنه أعرف بالشيعة نتيجة التفاعل المستمر منذ عقود.

وتلك الجهود كان لها صدى كبير جدًّا في شمال إفريقيا؛ وخاصة المغرب الإسلامي؛ حيث تتابع وسائل الإعلام المتخصصة في محاربة الشيعة والتشيع بمختلف أشكالها، ويتفاعل معها بشكل مباشر، على عكس شعوب جنوب الصحراء المتباينة لغويًّا، لذلك يتوجب الاهتمام أكثر بالدعاة الأفارقة، وتكوين متخصصين في هذا الباب، ودعم الجهود الإعلامية باللغات الإفريقية المحلية.

١٣ - في الإطار اللغوي -دائمًا- فإن انتماء دول شمال إفريقيا إلى الدائرة العربية يجعلها أكثر اهتمامًا بالقضايا التي تثار في هذا الفضاء الجغرافي، لذلك كان للانتفاضات الشعبية التي اندلعت في المنطقة منذ (٢٠١١)؛ وخاصة الأزمة السورية وما تبعها من صراع طائفي كشف صورة مغايرة عن إيران وحزب الله والشيعة بشكل عام، مما ساهم في تراجع حركة التشيع مقارنة بالمسار الذي كانت عليه سابقًا.

ورغم اهتمام المسلمين الأفارقة بالقضايا العربية كونهم جزءًا من الأمة الإسلامية إلا أن العامل اللغوي يبقى حاجزًا أمام التأثير القوي الذي يمكن أن تثيره أحداث على هذا الشكل.

١٤ - النشاط التبشيري الشيعي متكامل مع بعضه البعض، ولا يعاني من صراعات بينية؛ سواء كدول أو مرجعيات، على عكس التبشير السني الذي مازال خاضعًا للرؤى الوطنية، ولا يوجد تنسيق للجهود، وأحيانًا تكون متضاربة؛ سواء بين الدول أو الجماعات.

التصوف والتشيع في السنغال.. من يحمل من؟

د. محمد خليفة صديق- كاتب سوداني

خاص بـ «الراصد».

مقدمة

بدأ دخول الإسلام إلى السِّنغالِ منذ بواكير دخول الإسلام لقارة إفريقيا، وقد انتشر في تلك البقاع بسهولة ويسر، وتقبّله السكان بسلاسة؛ حتى بلغت نسبة المسلمين في هذا البلد (٩٦%) من إجمالي عدد السكان البالغ (١٣.٧) مليون نسمة، وفقًا لإحصاء عام (٢٠١٣م)، والنسبة الباقية من السكان تتوزع بين نصراني وملحد ووثني.

وينشط في السنغال عدد كبير من الجماعات الإسلامية، وهي: الصوفية -بطوائفهم المختلفة-، وجماعة عباد الرحمن، والجماعة السلفية، ولكن أكثرية مسلمي السنغال من أتباع الصوفية من أصحاب الطرق؛ كالقادرية، والتيجانية، والمريدية، والشاذلية وغيرها، واشتهر من مشايخهم الشيخ أحمد بمبا، والحاج عمر الفوتي تال، والحاج مالك سي، وغيرهم، كما أن للشيعة الاثنى عشرية وجودا في السنغال.

يلاحظ أن الخطاب الدَّعويّ الصوفي لا يهتم بتعليمِ إنسان السنغال تعاليم الإسلام من منبعه الصافي، ولكن قصارى همِّهِ: أن يربطَهُ بفُلانٍ، أو علاَّنٍ من المشايخِ، ويربِّي فيهم التقديس للشيوخ، وهناك أنماطٌ دعوية للصوفية تتمثل في إقامةِ الموالد، وهذه لا حصرَ لها في السنغالِ، وتُطلق عليها باللغة الولوفية: (غَامُّو)، و(ماغَّالْ) بمعنى: التعظيم؛ فهم يقولون: نحنُ نعظِّمُ الشيخَ، أو الرسول من خلالِ إقامةِ الموالد المذكورة، ويتذاكرون فيها نُتَفًا من أحداثِ

السيرة الشريفة، أو السيرة الذاتية لشيخِهم، علاوةً على رفعِ الأصواتِ بالقصائدِ السَّائدةِ عندَ الطَّريقةِ المُعينة.

وقد سادَ مثل هذا الصنف؛ لدرجةِ أن جميع الطرائق الصوفية لديها مناسبات عديدة دورية، يتم الإعلانُ عنها في الراديو، والتلفزيون، والصحف، والمجلات، ووسائل الاتصال المتاحة، كما لا يغيبُ دورُ المُنادِي في الأسواقِ، والتجمعات العامة؛ يجهرُ بصوتِهِ، أو من خلالِ مكبرات الصوت، مُشهِرًا بالمناسباتِ، والأعيادِ المذكورة لدى الطرائق الصوفية المختلفة، وهناك إعلاميون متخصصون في إعلانِ هذه المناسباتِ، ولهم أسلوبُهم المعروف في استمالةِ القلوبِ.

كما ساهمت ثقافة خدمة شيوخ التصوف من قبل الأتباع في السنغال في توسيع إقطاع مشايخ الصوفية الزراعي، مما حولهم إلى مستثمرين كبار بفضل الأموال الطائلة التي يجنونها من خلال عمل الأتباع، وما زال بعض مشايخ الصوفية يطلبون من أتباعهم زراعة وحصاد حقولهم، فيهرول هؤلاء المساكين إلى المزارع طلبًا للثواب! أو ثناء الشيخ عليهم، وقد ورد في كتاب «إرواء النديم من عذب حب الخديم سيرة الشيخ أحمدو بمب»، لمؤلفه الشيخ محمد الأمين جوب الدغاني: أن الشيخ بمب كان يحث المريدين على العمل تسويغًا لاستغلال طاقاتهم في العمل؛ حتى يتفرغ الشيوخ للعلم.

لكن ذلك تغيَّر كثيرًا في السنوات الأخيرة، ويلاحظ الآن في المؤسسة المريدية أن بعض المشايخ يساعدون أتباعهم بالمال، ويساعدونهم على السفر إلى أوروبا أو أمريكا؛ بعد توفير جوازات لهم من الحكومة، أو تأشيرات من السفارات الغربية؛ لِما يتمتعون به من النفوذ لدى رجالات الدولة، ولدى بعض أعضاء السلك الدبلوماسي الغربي في العاصمة داكار.

الصوفية والدور السياسي في السنغال:

أما عن الدور السياسي للتصوف فيلاحظ أن السياسيين السنغاليين يبحثون عن دعم مشايخ وأتباع الصوفية لهم، حيث يشكل الصوفية أكثر من (٩٠%) من إجمالي سكان السنغال من المسلمين، مما يؤكد على الأثر السياسي للطرق الصوفية، وذلك منذ استقلال السنغال في عام (١٩٦٠م).

وتجمع الطرق الصوفية في السنغال بين الولاء الروحي والانتماء السياسي، وهي ثنائية تجعلها قطبًا وازنًا وسندًا لا غنى عنه للأتباع وللدولة على حد سواء، وفي هذا السياق تمثل الطريقة التيجانية ما نسبته (٥١%) من السكان فيما يبلغ عدد أتباع الطريقة المريدية (٣.٥) ملايين نسمة، ما يجعلها قبلة لا يمكن للسياسيين تجاوزها إذا أرادوا الظفر بأصوات الأتباع.

وبالرغم من علمانية الدولة -وفقًا للدستور- فإن دوائر القرار السياسي تعمل على عدم إغضاب المؤسسة الدينية في السنغال، ممثلة في الطرق الصوفية وزعمائها الروحيين؛ لضمان أصوات الناخبين، والذين يحصلون في مقابل ذلك على الكثير من الامتيازات، مثل: الحماية الاجتماعية والصحية، والتكفل بحل كافة مشاكلهم، وتأمين الدعم لهم في مجال التوظيف الحكومي والمناصب الانتخابية؛ بفضل ما يتمتع به قادة تلك الطرق من نفوذ وتأثير روحي عريق.

كما تعتبر طاعة الأتباع لمشايخهم واجبًا دينيًّا في سياق «طاعة ولي الأمر»، ما يجعل لهذا الأمر تأثيرًا على الساحة السياسية، ولعل هذا ما دفع معظم السياسيين الطامحين لرئاسة الدولة إلى إعلان انتمائهم إلى الطائفة المريدية، ولكن حاليًّا يمكن القول: إن تأثير المال السياسي والحضور الروحي في الحياة السياسية قد تراجع كثيرًا خلال العقدين المنصرمين في السنغال، بفضل تزايد الوعي، وانتشار الحركات المدنية، وظهور مجتمع مدني ناشط وحاضر بفعالية كبيرة في المشهد السياسي، لكن التأثير المعنوي للزوايا الصوفية ما زال متجذرًا بقوة في هذا البلد.

وأغلب أولئك المشايخ اليوم أقرب لمعسكر حزب الرئيس السابق عبد الله واد منها للرئيس الحالي ماكي صال، وقد أعلن أغلب مشايخ الطرق الصوفية دعمهم لنجل واد (كريم واد)

في الانتخابات الرئاسية المزمعة في (٢٠١٩م).

ورغم عمق الوجود الصوفي في التربة السنغالية؛ يرى بعض الباحثين أن هناك تحديات تواجه الصوفية هناك، منها: المثقفين الغربيين الذين تركوا جميع ما عرفوه من المناهج، ودخلوا بثقافتهم الغربية في الحياة الروحية؛ مما شكل تهديدًا للفكر الصوفي، بجانب تحدي توارث المشيخة؛ حيث يتولى ابن الشيخ المشيخة بعد أبيه بغض النظر عن مؤهلات هذا الابن.

ومن أبرز المشكلات كذلك: مشكلة الجهل، وضعف المستوى التعليمي لدى أتباع الطرق الصوفية.

التصوف السنغالي والتشيع.. أي علاقة؟

البداية الحقيقية لظهور الشيعة الإثني عشرية في السنغال

كانت في أواسط عام (١٩٦٩م)، بدخول اللبناني عبد المنعم الزين؛ والذي جاء خصيصًا لنشر مذهب الرافضة وسط الشباب السنغالي، وقد صرح بهدف مجيئه السنغال فقال: «ومما ادخرته ليوم الجزاء: ما منّ به الله -تعالى- عليّ أوائل عملي من اقتناع بعض الشباب من أبناء السنغال بطريقة أهل البيت عليهم السلام، فأعلنوا ولاءهم للنبي وآله، وانخرطوا في مدارسنا في السنغال ولبنان وجامعة قم المقدسة، ينهلون منها علوم أهل البيت حتى بلغ عددٌ منهم رتبة عالية في العلم، ثم رجعوا إلى أهليهم وقراهم، يبثونهم ما عرفوه من عقائد وفقه والتفسير للقرآن الكريم والسنة الشريفة، وغير ذلك من أنواع المعارف والعلوم»، وفعلًا استطاع الزين تكوين دعاة من الشباب، وأرسل وفودًا لتكوينهم في إيران.

يستعمل الرافضة في محاولات تشييعهم للسنغاليين عددًا من الوسائل والخطط، منها: سعى زعيمهم الزين لبناء علاقات قوية ووطيدة مع الزعماء الصوفيين في السنغال باستعمال التقية والنفاق، ولكون عقيدة الشيعة قريبة من عقيدة التصوف سيما في قضايا كالتوسل، وادعاء علم الغيب، والعصمة بالمخلوقين، وغيرها؛ فقد اعترف جمع غفير من الصوفية بمذهبه الرافضي، واتفق معهم على إنشاء مرجعية لطائفة أهل البيت النبوي في السنغال، بتأسيس خلافة عامة لهم، تكون جارية على الأعراف المتبعة في هذا الشأن لدى سائر الطوائف.

وقد استغل الزين عقيدة التقية عنده أمام شيوخ الصوفية حتى نُصِّب رسميًّا «الخليفة العام لطائفة أهل البيت» في أوراق وقّع عليها وزير الداخلية السنغالي السابق عثمان غوم.

ومن تقية ومكر وخداع ونفاق هذا الرجل: أنه يزور شيوخ الصوفية متقمصًا ومدعيًا حب أهل البيت، وفي واقع حاله أنه من ألد أعداء الصحابة الكرام وعلى رأسهم: أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعائشة رضي الله عنهم، فهو يتعبد الله بسبّهم!

وقد تواصلت إيران بشكل رسمي وغير رسمي مع العديد من الطرق الصوفية في السنغال؛ حيث دعمت بعض هذه الطرق بالمال، وبإنشاء بعض المؤسسات التعليمية، كما أنشأت مؤسسة (والفجر)، ومؤسسة (مزدهر)، و(جامعة المصطفى العالمية)، وهي جامعة لها (١٢) فرعًا تنتشر في أنحاء أفريقيا، وتمارس أدورًا اجتماعية لا تعليمية فقط، حيث تنفق إيران على الملتحقين بها والذين يزورن مدينة قم الإيرانية.

ويعدّ فرع جامعة المصطفى الإيرانية في داكار من أبرز المؤسسات الشيعية ذات الصلة بشيوخ الصوفية ومريديهم، والتي تتضمن مناهجها تدريس الثقافة والتاريخ الإيرانيين والعلوم الإسلامية بالإضافة للّغة الفارسية، ويحصل الطلاب على طعام مجاني ومساعدات مالية.

والجامعة هي مركز شيعي في بلد مذهبه الشائع هو الصوفية، وينكر مدير فرع دكار من جامعة المصطفى الإيرانية أي صلة للجامعة بأجهزة المخابرات أو السياسة الإيرانية، وقال «نحن جامعة خاصة... مهمتنا الوحيدة هي: التدريس، ولا شيء آخر»، مضيفًا أن المرشد الأعلى خامنئي مجرد راعٍ للجامعة، كما يزعم أن اعتناق المذهب الشيعي ليس شرطًا إلزاميًّا للدراسة!

وقد كشفت مصادر أنه في موازنة إيران لعام (٢٠١٦م) حصلت الجامعة على (٢٣٩٠) مليار ريال (٧٤ مليون دولار)،

لكن مسؤولًا ذكر أن الجامعة تحصل على مزيد من التمويل من مكتب المرشد الأعلى وشخصيات أخرى تحت قيادته.

ويصرح كثير من قادة الصوفية بالسنغال بأنه ليس لديهم مشكلات مع الشيعة، ومن ذلك: قول محمد بشير أنغوم -الداعية والمقدم في الطريقة التيجانية بالسنغال، وعضو مركز زاوية الشيخ الحاج مالك سه للدراسات والبحوث بـ «تواون» في السنغال، وعضو هيئة التدريس في كلية الدعوة الإسلامية فرع السنغال-: «ليست لدينا مشكلة مع الشيعة».

ورد أنغوم على الحديث الذي يدور حول محاولات لنشر المذهب الشيعي في الدول السنية، وأن الصوفية في السنغال يمكن أن تلعب دور القنطرة للتشيع في البلاد؛ حيث قال: «لدينا عدد قليل من الشيعة، والعديد منهم لبنانيون، ولكن لا توجد لدينا مشاكل معهم، فإذا كان الشيعة يدّعون محبة الرسول ﷺ ستجد في مؤلفات الشيخ الصوفي الحاج عبد العزيز ما لا يصل إليه الشيعة من محبة رسول الله ومحبة أحبابه.

والشيعة يحضرون المولد النبوي الذي تقيمه الطريقة في تواون، والذي يحضره كذلك (السلفيون) وسفراء الدول، ووجود قواسم مشتركة بيننا وبين الشيعة لا يعني بالضرورة: أن الصوفية يمكن أن تكون مدخلًا للتشيع في التراب السنغالي».

خاتمة

في كثير من الأحيان ساهم النفوذ الإيراني الرافضي في زعزعة الاستقرار في السنغال؛ ففي عام (٢٠١٠) تم اعتراض شحنة أسلحة إيرانية في ميناء لاجوس النيجيري، اشتبهت السنغال في أنها كانت في طريقها لمتمردين في منطقة كاسامناس الجنوبية، وقطعت السنغال علاقاتها لفترة قصيرة مع طهران بسبب ذلك.

لكن -رغم ذلك- تحتفظ الصوفية السنغالية بعلاقاتها المتميزة مع الشيعة في البلاد، لكنهم في المقابل يقولون: إن السلفية هي المذهب الأكثر إثارة للقلق؛ فعلى الرغم من كونها -أي: السلفية- بمنأى إلى حد بعيد عن التدخل السياسي فإنها مرتبطة بفكر جهادي لم تشهده السنغال حتى الآن -حسب زعمهم!-.

وقال أحمد خليفة نياس -وهو ابن إمام صوفي راحل واسع النفوذ، وأحد أشد منتقدي ما يصفه الصوفية بـ «الهيمنة الدينية لدول الخليج العربية»- في قصره بدكار: «السلفيون في السنغال هم أبناء عمومة من يجاهدون في مالي.. يعتبرون أنفسهم جند الله».

ويشير بعض الباحثين الذين كتبوا عن الإسلام ووجوده في السنغال: أن الدعوة الإسلامية هناك ظلَّتْ تُعانِي مِن بعضِ الصعوباتِ في نشرِ الإسلامِ الصحيح وتوسع التصوف والتشيع في البلاد، وقد تضافرت مجموعة عوامل لترسيخ تلكَ الصورِ النمطية عن الإسلام، والتي أسهمت بقوة في إعاقةِ نشرِ الإسلامِ الصحيح في السنغال، وبالتالي انزلاق كثير من السنغاليين -خاصة الصوفية- في مزالق الرفض، ومن ذلك: تصورُ المسلم السنغاليّ للإسلام بصورةٍ تقليدية معينة، وهي: الإسلام الصوفي الطرقي، ولا يتصور معظم هؤلاء إسلامًا غير مرتبط بإحدى الطرق الصوفية الموجودة بالسنغال، وأيّ خروج عن ذلك يعد مُعاداة للأولياءِ، والشيوخِ، ويتعرّض صاحبه للازدراء والمُعاداةِ؛ بدءًا من أقربِ الأقربينَ، وانتهاءً بالسوادِ الأعظم من المجتمعِ.

وقد شكل هذا الجانب مدخلًا خصبًا للرافضة لنشر مذهبهم، تحت ستار: التصوف ومحبة الشيوخ وآل البيت!

النسوية الإسلامية
وإعادة إنتاج الفكر العلماني

فاطمة عبد الرؤوف

لعل الواقع المزري الذي تعيشه كثير من النساء المسلمات، وحرمانهن من الكثير من حقوقهن التي جاء بها الإسلام كان الحافز الرئيس لكثير من الحركات التي قامت لتُدافع عن حقوق المرأة المستلبة، في ظل واقع اجتماعي يبتعد كثيرًا عمّا جاء به الدين الخاتم.

هذا الخلل الحادث في بنية المجتمع المسلم نتيجة ابتعاده عن قيَمه الإسلامية العليا، واستبدالها بقوة العادات والتقاليد الموروثة من أيام الجاهلية، أو تلك التي تسللت إلينا من ثقافات وحضارات الأمم الأخرى؛ خاصة بعد وقوع بلادنا تحت سطوة الاستعمار العسكري والثقافي.

هذه الحركات التي قامت لرفع الظلم الواقع على المرأة اتخذت أكثر من منحى؛ فالحركات النسوية العلمانية التقليدية في بلادنا أخذت موقفًا سلبيًّا من الدين، يبدأ بإعلان الاحترام له ثم تجاهله تمامًا، باعتبار أن جوهر الدين هو: المساواة والعدل، وهو عين ما يدعون إليه، مرورًا بحركات نسوية أخرى تؤمن بالقرآن فقط وترفض ما جاءت به السنة، متجاهلة ما جاء في كتب التفسير على اعتبار أنها أقوال بشر.

بعض هذه التيارات رفضت -أيضًا- أحكامًا صريحة في القرآن، تحت زعم أنها جاءت خاصة لعرب الجزيرة في القرن السابع الميلادي، والبعض الآخر من هذه التيارات تحدث بمرارة وسخط على الدين ذاته، وتحميله ذلك الظلم الذي حاق بالنساء؛ كما نلحظ ذلك في كتابات نوال السعداوي -مثلًا-.

كما أن هذه الحركات النسوية التقليدية لا تملك أدوات معرفية خاصة بها، وهي تابعة لأيدلوجيات ليبرالية -وهي الأكثر اعتدالًا-، أو اشتراكية متطرفة، وبعضها يروّج لنسوية ما بعد الحداثة التي تطرفت في إثبات أفضلية جنس النساء، ودعت لتحيزات أنثوية، وتهميش الذكور.

وعلى الرغم من نجاح هذه الحركات النسوية في تمرير الكثير من الاتفاقات الأممية المتعلقة بالمرأة، وعلى الرغم من نجاحها في تدشين حزمة من القوانين الوطنية المحلية تصب في خدمة الفكر النسوي؛ إلا أنها تواجَه برفض شعبي واسع، واتهامات -صادقة- بأنها حركات مستلبة وتابعة فكريًّا وماليًّا لمؤسسات غربية، بالإضافة -طبعًا- لمعاداتها للدين أو تهميشه.

والحقيقة أن الشعوب الإسلامية وإن ابتعدت عن الدين وعن قيَمه وأحكامه إلا أنها تعلن احترامها له، ولتلك التيارات التي تستلهم مبادئه وفلسفته، ومن ثم وضعت الحركات النسوية العلمانية في وضع المتهم المشبوه، ووضعت الكثير من الأحكام العادلة التي تخص النساء في دائرة الظل، لأنها أتت على أجندة هؤلاء النسويات العلمانيات.

ومن ثم كانت الحاجة ماسة إلى أن تقوم باحثات ومفكرات وناشطات بالدفاع عن حقوق النساء المستلبة، استنادًا للمرجعية الإسلامية التي هي مرجعية الأمة، على اعتبار أن الدفاع عن الأحكام العادلة المتعلقة بالنساء هو دفاع عن الإسلام ذاته؛ حتى لا ينطبق علينا قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[البقرة:٨٥].

- انقسمت هؤلاء الناشطات إلى تيارين أساسيين:

التيار الأول: التيار النسائي الإسلامي:

وأهم ما يميزه: إيمانه الكامل بكل ما جاء به القرآن من أحكام متعلقة بالنساء؛ دون ليّ أعناق النصوص، وأن ما جاء به القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، واحترامه للتفاسير، مع ترجيحه لتفسير دون آخر استنادًا لقوة الدليل أيضًا.

وتؤمن باحثات هذا التيار بكل الأحاديث الشريفة التي صحّت سندًا ومتنًا.

ومما يميزه: أنه لا يعتمد على الفصل العنصري، ومن ثم يجتهد في هذا المجال الكثير من الرجال والنساء -جنبًا إلى جنب-.

وأيضًا مما يميز هذا التيار: أن الكثير من رموزه هم من دارسي الشريعة الإسلامية.

التيار النسائي الإسلامي شديد الحرص على إثبات هويته الإسلامية؛ بدءا من المصطلح «النسائي» نسبة إلى النساء، وهي -أيضًا- اسم سورة من أطول سور القرآن الكريم، وتمييزًا له عن مصطلح التيار النسوي الغارق في مستنقع من الدلالات سيئة السمعة!

وترى صاحبات هذا التيار أن الالتزام بأحكام الإسلام المتعلقة بالمرأة كجزء من الالتزام العام بالنظام الإسلامي بشموليته كفيل بحل كل المشكلات والتحديات التي تواجهها النساء، ويأخذن موقفًا نقديًّا من الوثائق الأممية التي تأسست على هدم وتفكيك الأسرة، وتزييف الوعي؛ لإنتاج مسخ نسائي يشبه الرجل!

التيار الثاني: النسوية الإسلامية:

وهو التيار الذي آمن بالفكرة النسوية بوجه عام، ورأى أنها ليست نتاجًا غربيًّا، وإنما هي: أفكار تكوّنت عبر نضال النساء على مدار التاريخ إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه.

يرفض هذا التيار الفكر النسوي المتطرف؛ الذي يعتمد على هدم كل آليات المعرفة السابقة، والذي ينحاز للنساء، ويبحث عن استقواء أنثوي مقابل الاستقواء الذكوري.

لكنه يؤمن بأطروحة «الجندر» أو النوع الاجتماعي، ويتعاطى معها بإيجابية.

وترى رموز هذا التيار أنه لا تعارض بين الفكر الإسلامي وبين الفكر النسوي أو أطروحة الجندر.

■ **ومن الجدير بالذكر أنه يمكن تقسيم هذا التيار إلى مدرستين أساسيتين:**

الأولى: هي مدرسة الخارج، أي: منظرات الفكر النسوي الإسلامي من النساء في البلاد الغربية؛ حيث تشهد هذه المدرسة زخمًا كبيرًا يرتد أثره للداخل الإسلامي، ومن أعلامها: آمنة ودود، وهي مدرسة لا تتقيد في اجتهادها بأي قيد خارج منهجيتها في التفكير.

الثانية: هي مدرسة الداخل الإسلامي؛ حيث تتحرك بحذر أكبر، وهي تعلن أنها لا تستورد أجندتها من الخارج، وأن كل ما يتعلق بأفكار خارجة عن صريح الشرع مثل: المثلية ونحو ذلك -من أفكار النسوية العالمية- لا تعنيها، لأنها تتحرك وفق المشكلات الموجودة في الداخل لدينا فقط.

وعلى الرغم من أن هذه المدرسة تقوم باستيراد مصطلحات وأدوات الآخر النسوي المعرفية؛ إلا أنها تقوم بتبييضها وصبغها بصبغة إسلامية؛ عن طريق ليّ أعناق النصوص أو ابتسارها من سياقها!

ولا تخفي الكثير من باحثات هذه المدرسة تشوقهن لنيل حرية كتلك التي تتمتع بها النسوية الإسلامية في الخارج، ويكفي في هذا الصدد الاستماع للدكتورة أميمة أبو بكر -أستاذة الأدب في جامعة القاهرة- وهي تحمّل المؤسسة الدينية التقليدية (الأزهر) مسئولية بطء تحركات النسوية الإسلامية في الداخل الإسلامي، سواء على مستوى الاجتهاد أو مستوى الممارسة.

• **النشأة والأهداف:**

بدأ مصطلح «النسوية الإسلامية» يظهر في تسعينيات القرن الماضي، وتعتبر الناشطة الإيرانية زيبا مير حسيني أول من استخدمه.

أما أبرز الحركات التي نشأت تجسيدًا لفكرة النسوية الإسلامية فهي: «حركة مساواة»، وهي حركة عالمية انطلقت في مؤتمر عقد في ماليزيا عام (٢٠٠٩)، وحضره أكثر من (٢٥٠) امرأة ورجلًا، من نحو (٥٠) دولة حول العالم، وكانت الناشطة الإيرانية زيبا مير حسيني إحدى المؤسسات إلى جانب (١٢) شخصية أخرى.

نال المصطلح شهرته على يد الأمريكية آمنة ودود -أستاذة التفسير في جامعة فرجينيا-، وانتقل بعدها لمدرسة الداخل، ففي مصر تعتبر «مؤسسة المرأة والذاكرة» التي أسسها عدد من النساء أبرزهن: أميمة أبو بكر وهدى الصدة أبرز المؤسسات التي تتبنى نهج النسوية الإسلامية.

تعرّف أميمة أبو بكر النسوية الإسلامية بأنها: «موقف له منطلقات أنطولوجية معينة، وهدف مزدوج، هو: الاهتمام بتحسين

أحوال النساء؛ خاصة في المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة، وتحقيق العدالة والمساواة للنساء.

والهدف الثاني هو: إصلاح وترشيد الفكر الإسلامي نفسه، ومنهجيات العلوم الإسلامية والفهم الديني؛ لإعادة قراءة المصادر الإسلامية، ما يسمح ببناء معرفة إسلامية نسوية مساواتية».

غاب عن الدكتورة أميمة أن إصلاح الفكر الإسلامي ممن لا يمتلكن أدوات الاجتهاد الخاصة بهذا الفكر، ووضع المساواة المطلقة بين الرجال والنساء كهدف أعلى ينبغي تطويع الفكر الإسلامي للقبول به واحتضانه: خطأ منهجي فاضح، ولعلها تعتقد أنها بهذا التلفيق تُقنع منظرات الفكر النسوي بأن الإسلام لا يتعارض مع تلك النسوية المساواتية؟!

وتلخّص الدكتورة أماني صالح -نائبة رئيس جمعية المرأة والحضارة- خصائص المعرفة النسوية الإسلامية في واحدة من أهم المقالات التي كتبت عن النسوية الإسلامية بأقصى الدرجات الممكنة من الموضوعية والاعتدال في الرؤية في هذه النقاط السبع:

١ - أصالة المكون الميتافيزيقي جنبًا إلى جنب مع المصادر المادية للمعرفة.

وهي تعني بذلك المكوّن: الإيمان بالله وبالغيب، ولست أدري حقيقة سر الولع باستخدام مصطلحات الآخر، والنفور من مصطلحاتنا الأصيلة؟!

٢ - إن المعرفة النسوية الإسلامية تستند إلى إطار معرفي عقائدي أكبر.

وهي بذلك تتشابه مع النسوية الليبرالية والاشتراكية في انتمائها لغطاء فكري وعقائدي أكبر، وتبتعد عن نسوية ما بعد الحداثة التي ترفض المعرفة قبل النسوية.

٣ - المعرفة النسوية في المنظور الإسلامي هي: معرفة نقدية في جوهرها ومضمونها، إصلاحية في هدفها.

٤ - ثقافة واحدة لا ثقافتين، ومجتمع واحد لا مجتمعين.

فهي لا تدعو للفصل العنصري أو النوعي عن المجتمع.

٥ - محكومة بالضوابط الموضوعية والمنهجية الإسلامية.

وهي نقطة بحاجة لكثير من المراجعات؛ لأن التطبيقات التي قدمتها هذه النسوية الإسلامية عليها كثير من الملاحظات، ومن أشهر هذه القضايا -مثلًا-: قضية القوامة، فباحثات هذه المدرسة يرين أن المرأة المعاصرة تشترك مع الرجل في الإنفاق؛ الذي هو السبب الأول للقوامة، بينما الآية لم توضح مَن المفضّل، ومن ثم فإن الأفضل يكون له القوامة، فقد يكون الرجل هو القوام على الأسرة، وقد تكون المرأة؛ كما ذكرت ذلك الدكتورة زينب رضوان، وحاز تفسيرها هذا على إعجاب باحثات هذا التيار.

وبعض التفاسير تجنح للتطرف؛ كالقول: إن الأصل هو: الأنثى وهي النفس الأولى، ومنها خلق زوجها؛ الذي هو الرجل، والكثيرات منهن رأين في مصطلح «الزوج» مرادفًا لمصطلح «الجندر» النسوي.

٦ - معرفة تحررية ضد السلطة المطلقة لفرد أو جنس أو رأي أو نظام وحيد.

٧. نمو المعرفة النسوية رهين بنمو تيار ثقافي اجتهادي، في نسيج المعرفة والثقافة الإسلامية عمومًا[1].

■ **النسوية الإسلامية والجندر:**

على الرغم من أن النسوية الإسلامية تحرص في عرض وشرح مفهومها على التصاقها بالإسلام، وأنها تسعى للتوفيق بين أفكار المساواة والجندر وبين ما جاءت به نصوص الشريعة؛ إلا أن الواقع الفعلي يؤكد أنه كثيرًا ما تنحّى الأيدولوجيا جانبًا؛ من أجل إنتاج خطاب معرفي نسوي، وتتفاعل النسويات الإسلاميات مع الليبراليات والتقدميات حول لائحة المطالب النسائية الرئيسة، كذلك الأفكار الأساسية للفكر النسوي.

---

(١) (نحو منظور إسلامي للمعرفة النسوية)، الدكتورة أماني صالح، دورية المرأة والحضارة.

وإذا أخذنا قضية النوع الاجتماعي أو الجندر كنموذج حيث يدعي دعاة النسوية الإسلامية أن هناك سذاجة مخلة في فهم قضية النوع الاجتماعي بين الإسلاميين! باذلين جهدًا ضخمًا لتطبيع المصطلح والمفهوم المرتبط به: «إن جزءًا رئيسيًّا مما اصطلح عليه أنه دراسات النوع (الجندر) يهتم بهذا الرافد من الدراسات الثقافية في التاريخ لتقصي أصل الانحيازات وسوء الفهم، نضرب مثالًا على ذلك مفاهيم ثلاثة مرتبطة ببعضها ارتباطًا وثيقًا، يظن الكثيرون منا أنها مفاهيم مؤصلة دينيًّا أو طبيعيةً تمامًا، لها صفات الأزلية والثبات والفطرة، وهي: دائرة العام والخاص، والعمل المنزلي ومسئوليته، وطبيعة المرأة أو وظائفها الطبيعية الفطرية»[1].

النسويات الإسلاميات -إذن- يردن تفكيك فكرة أن المجال الأساسي للمرأة هو: المجال الخاص، وأن البيت له أولوية بما يرتبط به من إدارة أو تربية أطفال، وهنا تفصح أميمة أبو بكر عن تبعية مدرسة الداخل لمدرسة الخارج حين تستشهد بآمنة ودود، وتنقل عنها هذه العبارة: «إن الإسلام -كما هو واضح في القرآن الكريم- لا يحدد أو يثبت الوظائف في ظل نظام اجتماعي مصمت، بدون السماح لهامش من التنويعات والاختلافات والتغيرات»[2].

تنفي أميمة أبو بكر أن يكون للاختلاف البيولوجي انعكاس نفسي أو انعكاس على تقسيم الأدوار، وترى أن هذا النمط غير سليم في التفكير: «إن هذا الاتجاه في التفكير يتبع منطقًا غير سليم؛ فيقوم على اعتبار الاختلافات البيولوجية البحتة أساسًا لتقسيم الطبيعة البشرية إلى طبيعة أنثوية وأخرى ذكورية، وأن كل طبيعة تختص بصفات محددة في التفكير، وأن كل طبيعة تختص بصفات محددة، كما يعتقد أن تقسيم الصفات الإنسانية بهذه الطريقة هو تقسيم فطري طبيعي، يتفق وفطرة كل فئة، أي: يتم سحب الاختلافات البيولوجية على اختلافات نفسية وعلى تفاوت في القدرات والمهارات الشخصية.

والنتيجة الثانية هي: ربط هذا التقسيم في القدرات والمهارات بالتقسيم الاجتماعي إلى أدوار ووظائف (أي: توزيع أدوار ومجالي العام والخاص)، واعتبارها وظائف طبيعية، وهذا بالتالي يؤدي إلى تبرير هيمنة وتحكم فئة على فئة؛ بدعوى أن فئة ما تفوق الأخرى في إعمال العقل وضبط النفس والتحكم في المشاعر، فهي جديرة بإمساك مقاليد الأمور والسيطرة والسلطة»[3].

إنه هاجس السلطة والسيطرة والصراع الذي يتغلب على الاستفادة القصوى من الطاقات الإنسانية، فإذا كان الله ﷻ خلق الرجال بوجه عام ببنية عضلية أشد قوة؛ أليس من المناسب أن يضطلعوا بالأعمال الأكثر مشقة؟ وهل من العدالة أو من الحكمة أن ندفع من هن أضعف في القوة العضلية للاشتراك على قدم المساواة مع الأقوى؟!

وإذا كانت المرأة هي من تحمل وتلد وتُرضع؛ أليس من المنطقي أن تكون وظيفة الأمومة أكثر التصاقا بها؟..

الأمومة القيمة العليا في هذه الحياة تتحول على يد الفكر النسوي إلى مجرد وظيفة اجتماعية تقوم بها المرأة أو الرجل أو المؤسسة! هذا العبث بالجينوم البشري النفسي في أوربا أدى لهجران النساء لفكرة الأمومة؛ التي تحولت لعبء ومشقة! لأنها تقلل من فرص النساء في التنافس في سوق العمل.. في الفضاء الخارجي، ولأن الرجال لم يقبلوا بعد بالقيام بوظيفة الأمومة التي أصبحت لعنة على الجميع! فالذات الفردية التي يقتلها الطموح تتعارض مع قيمة الصبر والتضحية التي تعنيها الأمومة.

إن التدخل الأخرق لتحويل فطرة المرأة والتشكيك فيها بل وتفكيكها يؤدي لعواقب وخيمة على المستقبل البشري كله؟!!

وأخيرًا وعلى الرغم من أن هذه النسوية الإسلامية تزعم أنها مرتبطة بالقيم الإسلامية كما جاءت في القرآن والسنة، وأنها

(١) الدكتورة أميمة أبو بكر، «المرأة والجندر» (ص٣٣).

(٢) المصدر السابق، (ص٣٧-٣٨).

(٣) المصدر السابق، (ص٤٥).

متوافقة مع المفاهيم الأساسية للنسوية؛ إلا أنها تعلن بكل صراحة أن سبيلها إلى ذلك: إعادة تفسير القرآن بمنظور أنثوي، يستبطن القيم النسوية التي هي المرجعية الحقيقية والأساسية التي يتم الاحتكام إليها؛ حتى لا يصبح هناك خلاف بين من يطلق عليهن النسويات الإسلاميات والنسويات العلمانيات، وتتساوى فيها القيم الإسلامية العادلة وبين القيم المسيحية؛ التي حمّلت النساء وزر الخطيئة الأولى.

«والمفروض ألا يتعارض عمل الإسلاميات أو النسويات في حقل المعرفة الإسلامية مع غيرهن من الناشطات في مجال قضايا المرأة، مثل: العمل التنموي، والحقوق المدنية والسياسية والقانونية، وتحسين الصحة، ومجالات العمل، ومشكلات الختان والعنف وأشكال التمييز.. إلخ من المشكلات الراهنة.

فموضوعات فهم وإعادة تفسير القرآن والحديث ومراجعة الأصول الفقهية وخلافه تمثل الإطار الفكري والثقافي للعمل التنموي، **فالمطلوب - إذن -** إنهاء الاستقطاب المسمى بـ: «الإسلامي / العلماني» داخل مجتمعاتنا، فالجميع يطالب بقيم عادلة تحكم الجميع في سياق أصالة ثقافية وحضارية تحترم فيها المرجعية الدينية الإسلامية والمسيحية داخل المجتمعات العربية»[1].

بقي أن نقول: إن النسوية الإسلامية حققت بعض النجاح النسبي في بلادنا؛ لأنها تضع على اسمها لفظة: «إسلامية»، وليس أدلّ على ذلك من تلك التدوينة التي أحدثت جدلًا هائلًا في مصر حين كتبت إحداهن على موقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك): «لو جوزك قالك: اعمليلي شاي، وهو بصحته؛ ماتعمليش! شرع ودين انتي مش مطلوب منك ف الإسلام خدمة زوجك! تاني وتالت وهكررها! إسلامك فيمنيست وافتخر!».

فهل تشهد الأيام المقبلة تنامي ظاهرة الإسلام الفيمنيست؟!

(١) الدكتورة أميمة أبو بكر، «المرأة والجندر» (ص٥٧-٥٨).

الحشد الشعبي بعد داعش.. السيناريو المحتمل

أسامة الهتيمي

ربما لم يلتفت الكثيرون إلى أهمية التساؤل عن مستقبل ما يسمى بـ «الحشد الشعبي العراقي» خلال الفترة الماضية؛ خاصة وأن العراق كان لا يزال يشهد معارك ضارية في مواجهة تنظيم «داعش»، كان آخرها: معركة الموصل؛ التي طالت لشهور.

ومن ثم فقد كان يمثل هذا التساؤل لدى البعض سؤالًا «استباقيًّا» يثير اللغط والشكوك حول نوايا أغلب من يطرحه، **غير أن هذا التساؤل أصبح مشروعًا ومهمًّا لأقصى درجة، بل وضروريًّا - أيضًا - في المرحلة الحالية لسببين أساسيين:**

أولهما: أن رئيس الحكومة حيدر العبادي أعلن بنفسه أنه تم القضاء على تنظيم «داعش».

وثانيهما: أن شهورًا قليلة هي المتبقية على إجراء الانتخابات النيابية المقررة في (مايو ٢٠١٨)، والتي بكل تأكيد ستساهم نتائجها بشكل كبير في تحديد الكثير من ملامح مستقبل العراق في المرحلة المقبلة؛ التي تغيرت فيها الخارطة السياسية في العراق بعد انهيار داعش، وأزمة إقليم كردستان.

◄ نهاية «داعش»:

لا يمكن الفصل بين الحديث عن مستقبل ميليشيا الحشد الشعبي وبين إعلان القضاء على تنظيم «داعش»، ذلك أن تأسيس هذه الميليشيا جاء بعد دعوة نوري المالكي في العام (٢٠١٤)؛ حيث كان وقتئذٍ رئيسًا لوزراء العراق، ثم فتوى المرجع الديني الأعلى الشيعي في العراق علي السيستاني الصادرة في (الرابع عشر من يونيو عام ٢٠١٤)؛ والتي عرفت بـ «الجهاد الكفائي»، ودعا خلالها القادرين على حمل السلاح إلى التطوع للانخراط في صفوف القوات الأمنية، ومقاتلة عناصر تنظيم «داعش»، عقب سيطرته على الموصل ومساحات واسعة من محافظتي صلاح الدين وديالى.

وبالطبع، ويوم أن صدرت الفتوى في ظل هذه الحالة الأمنية المتردية، والتي وصلت إلى حد أن سيطر تنظيم داعش على مساحات كبيرة في العراق، قدّرها البعض بثلث المساحة الكلية للبلاد؛ لم يكن ثمة وجاهة لدى أي طرف أو مكوّن في أن يبدي اعتراضًا بشأن تأسيس هذه الميلشيا؛ وإلا تعرض لاتهام مقابل بدعم وتأييد تنظيم «داعش»، وبالتالي فقد بدا أن هذه الميلشيا تم تأسيسها لدور وظيفي، وبالتالي فإنه يفترض أن تنتهي بانتهاء هذا الدور؛ ألا وهو: محاربة «داعش»، وتخليص الأراضي العراقية من سيطرته.

وهو الأمر الذي تحقق بالفعل وفق ما أعلنه العبادي نفسه مؤخرًا؛ من أنه تم القضاء على «داعش» في العراق من الناحية العسكرية، وأنه خلال المرحلة القصيرة المقبلة ستتم عمليات التطهير النهائية في صحراء الأنبار، وبعد إكمال عمليات التطهير ستعلن هزيمة «داعش» نهائيًّا في العراق.

لكن ومع ذلك؛ لم يحدث المفترض! وهو الأمر الذي يثير التساؤل حول مصير هذه الميلشيا التي انتهى الهدف من تأسيسها!

هذا التساؤل لم تطرحه فقط المكونات السنية في العراق، بل طرحته -أيضًا- مكونات شيعية، وإن اختلفت دوافع السؤال لدى كل طرف من الأطراف؛ فالبعض تساءل حول هذا المصير خشية أن يتنامى دور هذه الميلشيات التي تورطت -ووفق الكثير من التقارير الصادرة عن هيئات ومؤسسات حقوقية في الداخل والخارج- في جرائم وانتهاكات يندى لها الجبين بحق أهل السنة في المناطق التي خاضت فيها حروبًا ضد «داعش».

والبعض يطرحه من باب التخوف من أن يتم تحجيم دور هذه الميلشيا وحلّها؛ استجابة للمطالبات الداخلية والإقليمية والدولية التي ما فتأت تحذر من خطورة هذه الميلشيا؛ التي ترسخ للطائفية، وتعاظم من دور إيران في العراق.

◄ الانتخابات النيابية:

أما الانتخابات النيابية العراقية المقبلة؛ فهي كذلك واحدة من أهم الدوافع وراء طرح هذا التساؤل؛ إذ أن استشراف مصير الحشد الشعبي ومستقبله مرهون -أيضًا- بالتعرف على مجريات هذه الانتخابات، وما إذا كانت هذه الميلشيا ستنتقل إلى الخطوة اللاحقة -وربما الأهم- وهي: الحضور السياسي، ومن ثم تصبح قوة سياسية لها جناحها العسكري، **الأمر الذي يقترب بها من نموذج حزب الله اللبناني؛ الذي هو النموذج الأمثل الذي تسعى إيران إلى استنساخه في كل الدول التي امتد إليها نفوذها.**

وتأتي أهمية هذا الدافع في ظل الحديث المتصاعد هذه الأيام في العراق عن اعتزام العديد من الفصائل المكونة للحشد الشعبي من خوض تجربة الانتخابات النيابية، رغم أن قانون الحشد الشعبي نفسه، والذي أقرّته الحكومة العراقية في (٢٠١٦/١١/٢٦)؛ فضلًا عن الدستور العراقي يحظران على أية قوى عسكرية أن تخوض غمار العمل السياسي، بل إن قانون الانتخابات نفسه والذي تم إقرار البرلمان له عام (٢٠١٣) يشترط -أيضًا- أن لا يكون المرشح من أفراد القوات المسلحة أو المؤسسات الأمنية عند ترشحه.

وقد خرج الحديث من دور التكهن إلى دور الواقع الفعلي؛ بعد أن أكدت تصريحات العديد من قيادات الحشد والفصائل المندرجة تحت لوائه هذه المشاركة، ومن ذلك: ما قام به القيادي فيه والمتحدث السابق باسمه أحمد الأسدي من خلع بزته العسكرية، وقراره بالمشاركة في الحياة السياسية، بل والإعلان عن إطلاق تحالفٍ انتخابي بمسمى: «تحالف المجاهدين».

وكذلك الإعلان المفاجئ للأمين العام لـ «منظمة بدر» هادي العامري؛ الذي أكّد خروجه من «ائتلاف دولة القانون» -الذي يتزعمه نوري المالكي-، واعتزام خوض المنظمة للانتخابات المقبلة بعيدًا عن الائتلاف، وفق ما أكد النائب عن المنظمة حنين قدو، الأمر الذي يرجح أن تكون المنظمة على رأس «تحالف المجاهدين» المكوّن من ستة فصائل محتملة هي «منظمة

بدر» و«عصائب أهل الحق» و«حركة النجباء» و«التيّار الرسالي» و«كتائب جند الإمام» و«كتائب حزب الله».

ويدعم ذلك -أيضًا- ما أعلن عنه رئيس هيئة الحشد الشعبي فالح الفياض نفسه عن تشكيل حزبه الجديد «عطاء» لدخول الانتخابات المقبلة، مؤكدًا في الوقت ذاته أن حركته: «ستكون ملتزمة بالدستور وتوصيات المرجعية الدينية»، وهو النهج الذي سارت عليه -أيضًا- فصائل أخرى.

وسواء كانت استقالة الأسدي عن رغبة في الاستقالة، أم أنها إقالة -كما روّج لهذا الحشد الشعبي نفسه-؛ فإن الواقع ينطق بأن مشاركة الأسدي وعدد من فصائل الحشد في الانتخابات أمر مدبّر له؛ إذ لو كان الأمر محصورًا على الأسدي وفصيله لبدا الأمر وكأن الأسدي خضع لأطماع سياسية خاصة، أمَا وقد شملت الرغبة في المشاركة السياسية عددًا من الفصائل فإن ذلك يكشف عن مخطط للسيطرة على الحياة السياسية! بعد أن أصبح هناك قوة عسكرية تحمي هذه القوة السياسية، وتضمن لها فرض السيطرة.

ومن ثم؛ فإن من السذاجة اعتبار ما يتم الإعلان عنه بين الحين والآخر عن استقالات أو إقالات جماعية داخل الحشد الشعبي.

◄ فتوى السيستاني:

رغم أن العراق شهد تأسيس ميليشيات عسكرية متعددة منذ سقوط بغداد عام (٢٠٠٣)؛ والتي كان أغلبها شيعيًّا، استهدف إضعاف السنة وإقصاءهم من المشهد السياسي؛ إلا أنه لا يمكن أن نتجاهل دور فتوى الجهاد الكفائي للسيستاني؛ والتي جمعت أكثر من ستين فصيلًا عسكريًّا لكي تشكل ما عرف بـ «الحشد الشعبي» لمقاتلة «داعش»، حتى أن بعض التقديرات تتحدث عن أن عدد المقاتلين في الحشد تجاوز المائة وأربعين ألفًا، أي: أكثر من ضعف قوات البيشمركة الكردية، ونحو نصف عدد القوات المسلحة العراقية بأكملها! وهي أرقام لها دلالات ستتكشف لنا فيما بعد.

وبعيدًا عن الملابسات والظروف الغامضة التي دفعت الجيش العراقي النظامي للانسحاب من الموصل دون مبرر، وتركها لقوات داعش -والتي كانت السبب وراء فتوى تأسيس الحشد-؛ إلا أن الأكثر أهمية هو: أن هذه الميلشيا وبعد عامين تقريبًا على تأسيسها يتم إقرار قانون -أيده (٢٠٨) نائبًا من بين (٣٢٧)- بشأنها لتصبح ضمن القوات المسلحة العراقية، وخاضعة لقرارات القائد الأعلى للقوات المسلحة، فيخصص لأعضائها رواتب، ولأسر قتلاها معاشات؛ يقدر البعض قيمتها بأكثر من (٦٠) مليون دولار، وهو ما يمنح هذه الميلشيات وضعًا قانونيًّا يتجاوز فتوى السيستاني الخاصة بقتال تنظيم، تم الإعلان عن القضاء عليه!

بالطبع لم يمرّ الربط بين فتوى السيستاني وتأسيس هذه الميلشيا على الكثير من المكونات والقوى السياسية العراقية، ومن قبلها بعض القوى الدولية؛ كالولايات المتحدة الأمريكية، حيث اعتبرت أن الذي استطاع أن يجمع هؤلاء على أساس ديني هو من بيده أن يفرقهم، ما سلّط الأضواء على السيستاني، فسارع وبالتزامن مع الانتصار على «داعش» بالدعوة إلى حصر السلاح بيد الدولة؛ فضلًا عن الدعوة إلى عدم إشراك عناصر الحشد في الانتخابات، حفاظًا على السلم المجتمعي؛ كما أخبر بذلك عنه يان كوبيش -رئيس بعثة الأمم المتحدة في العراق؛ الذي التقاه نهاية شهر (نوفمبر) الماضي-.

وقد تم تصدير تصريحات السيستاني وكأنها موقف يراجع فيها فتواه السابقة؛ من الدعوة إلى تأسيس ميليشيا الحشد، والتي لاقت استجابة سريعة من قبل الفصائل الشيعية! فيكون بذلك قد أسقط العبء عن كاهله، وأخرج نفسه خارج دائرة اللغط والسجال الدائر حول مصير الحشد ودوره في المرحلة المقبلة.

غير أن الحقيقة هي: أن دعوة السيستاني الجديدة لا يمكن اعتبارها بمستوى فتوى تأسيسه، ولهذا فهي لم تحظَ بالاهتمام، ولم تجد الاستجابة السريعة أو القوية، إذ لو كان

السيستاني، أو بالأحرى المرجعيات الدينية الشيعية في العراق جادة بالفعل في حلّ هذه الميلشيا وعودة عناصرها إلى الفصيل الذي ينتمون إليه؛ لتمّ إصدار فتوى صريحة وقوية بذلك، لكن هذا لم يحدث، وفي ظني أنه لن يحدث.

◄ **الموقف الحكومي:**

راهن البعض على أن هناك خلافًا أو تخوفًا من قبل حكومة حيدر العبادي من الحشد الشعبي؛ كونه نما وترعرع على يد وعين نوري المالكي، ومن ثم فإن المالكي وفي إطار التنافس السياسي يمكن أن يستغل الحشد كأحد أهم الأدوات.

غير أن هذا الرهان بجملته رهان خاسر، فالعبادي نفسه كان يسوّق للحشد الشعبي، ويدافع عنه، ويمنحه العديد من الامتيازات التي لم يكن ليحصل عليها إلا بدعم العبادي، وأبرزها: ضم الحشد لقوات الجيش، الأمر الذي منح الحشد شرعية قانونية ودعمًا ماليًّا.

ويكفي أن ننظر إلى التصريحات الأخيرة للعبادي بشأن الانتصار على «داعش»؛ والتي تضمنت إعفاء كاملاً لعناصر الحشد التي وجهت لها اتهامات بالتورط في بعض الجرائم الحقوقية؛ إذ قال وبصراحة: «لا نسمح بتجريم كلّ من قاتل داعش الإرهابي».

يضاف إلى ذلك؛ فإن أية محاولات لإقناع العبادي بأن يشارك في الحد من جموح الحشد -فضلًا عن حله- هي محاولات عبثية، فالتركيبة الفكرية السياسية للعبادي مبنيّة على خلفية شيعية تؤمن بوحدة المصير الشيعي، وتعطي للمذهب أولوية على حساب المفاهيم السياسية الأخرى؛ خاصة وأن العبادي ينتمي إلى حزب الدعوة ذي العلاقة التاريخية الوطيدة مع إيران، والذي يعد -أيضًا- أحد مكونات التحالف الوطني الشيعي الذي يضم الأحزاب التابعة لإيران، ومن ثم يستطيع بسهولة إقصاء العبادي عن منصبه وسحب ترشيحه له، حال تجاوزه الخطوط الحمراء في التعامل مع إيران.

في ضوء ذلك؛ فإنه ليس من المنتظر أن تكون هناك تحركات حكومية للحد من جموح رجالات وقيادات الحشد الشعبي، ما يفتح أمامهم الباب على مصراعيه يفعلون ما يحلو لهم على المستوى العسكري؛ حيث يدين العراق كله -وفق تصريحات القيادات العراقية- للحشد بأنه ساهم بشكل كبير في تخليصهم من «داعش»، أو حتى على المستوى السياسي انطلاقًا من أن العراق أو العراقيين لا يمكن لهم أن يتنكروا للحشد ولأبطاله.

◄ **مواقف الخارج:**

ولا يمكن -أيضًا- عند الحديث عن مستقبل ومصير الحشد أن يتم تجاهل الموقف الإقليمي والدولي تجاهه؛ كون تأسيسه وتحركاته أحدثت تماسًا مع ملفات معقدة ومتشابكة، لا تنحصر تفاعلاتها في الداخل العراقي فحسب؛ خاصة وأنه ليس خافيًا على أحد ما يتلقاه الحشد من دعم إيراني، بما لذلك من تأثير كبير على أهداف هذا الحشد.

ويمكن أن نركز على عدة مواقف إقليمية ودولية، ومنها:

■ **الموقف الأمريكي:**

أكد الموقف الأمريكي من الحشد ما يراه البعض من أن واشنطن هي من منحت إيران كامل الفرصة لكي تعبث بالعراق وتفرض هيمنتها عليه، إذ وعلى الرغم من إدراكها وعلمها بأن إيران تسعى لكي توجد لنفسها سندًا عسكريًّا عراقيًّا يدعم مواقفها ويخدم مصالحها؛ فإنها لم تتخذ مواقف حاسمة لمنع ذلك بل إنها -بشكل أو بآخر- مهّدت الطريق، وساعدت على تحقيق الهدف الإيراني.

ويبرز شاهدًا على ذلك هذا التردد الأمريكي في الإعلان عن موقف محدد من الحشد، ففي حين يمكن رصد بعض التصريحات والمواقف التي تعكس رفضًا أمريكيًّا للحشد ولممارساته، والتخوف من أن يجذر للأزمة في العراق؛ نجد في مقابل ذلك مواقف وتصريحات أخرى تمتدح الحشد ورجالاته، بل وأن يصبح جزءًا فاعلًا في تنسيق أعلى، بدعوى محاربة الإرهاب.

ومن ذلك -على سبيل المثال-: أنه وفي نهاية عام (٢٠١٦) أعلنت أنها لن تدعم قوات الحشد في عمليات تحرير مدينة الموصل، فيما أن نائب وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن قد قام وفي وقت متأخر من ليل (١٣/٩/٢٠١٦) بزيارة إلى العراق للقاء مسؤولي بغداد وإقليم كردستان، قبيل انطلاق عمليات استعادة الموصل؛ لبحث تحجيم دور الحشد في العملية العسكرية.

وانسحب الموقف الأمريكي الرافض للحشد إلى وصف أحد أهم قياداته ونائب رئيسه أبو مهدي المهندس بأنه إرهابي؛ كما جاء على لسان الناطقة باسم الخارجية الأمريكية هيذر ناورت؛ والتي لفتت إلى أنه تم إدراجه على قوائم الإرهاب من قبل الولايات المتحدة عام (٢٠٠٩).

كذلك فقد تناقلت العديد من التقارير أن واشنطن تحدثت في حوارها مع العبادي خلال زيارته لها في (مارس ٢٠١٧) بشأن حلفاء إيران من المؤمنين بولاية الفقيه داخل الحشد؛ حيث طالبت أمريكا بإبعاد هؤلاء، وتسليم أسلحتهم الثقيلة، وعدم بقائهم في منظومة الأمن العراقية.

لكن في مقابل ذلك؛ ترصد لنا التقارير قيام القنصل الأمريكي في العراق بزيارة رسمية يوم (١٢ مارس ٢٠١٦ م) لجرحى الحشد بمستشفى الصدر التعليمي بالبصرة؛ حيث قال القنصل -وباللغة العربية- إن: «الولايات المتحدة تعترف بالمساهمة المهمة التي يقدمها الحشد تحت قيادة رئيس الوزراء، وأغلب الحشد جاء من الجنوب، ولهذا أود أن أبعث تعازيّ لكل أهل البصرة والجنوب الذين فقدوا أحباءهم أو أصدقاءهم في الحرب ضد داعش».

كما قام القنصل بتسليم هدايا للجرحى، مشيرًا قبل مغادرته بأن الحكومة الأمريكية لا تضع أي فيتو على مشاركة الحشد بتحرير الموصل من داعش، وأن الأمر متروك للحكومة العراقيّة.

ويدعم هذا الموقف أن الفريق الأمريكي ستيفان تاوزند -قائد قوة المهام المشتركة، عملية العزم الصلب- قال في (٢٦ ديسمبر ٢٠١٦ م) أن: «قوات الحشد حلفاء، منضبطون بشكل ملحوظ».

وأعتقد أن هذه التصريحات لا تحتاج إلى إيضاح! فهي تكشف عن موقف مزدوج لدى الإدارة الأمريكية؛ ليس من المنطقي أن يقال بعفويته، وإنما هو يعكس حقيقة السياسات الأمريكية التي تحاول الاستفادة من كل شيء لتحقيق أهداف عليا لديها، ومن ثم لا يمكن على الإطلاق التعويل على الموقف الأمريكي الذي هو مصلحي بالدرجة الأولى!!

■ الموقف التركي:

وإلى حد كبير يتشابه الموقف التركي مع الموقف الأمريكي؛ من ناحية التردد، لكن وللموضوعية يمكننا القول بأن التردد في الموقف التركي كان اضطراريًّا، ونتيجة لتطورات أزمة إقليم كردستان.

وقد بدا هذا التردد التركي في تناقض التصريحات المتشددة إزاء الحشد، مع الموقف الصامت فيما بعد؛ إذ نجد -مثلًا- الرئيس التركي رجب طيب أردوغان قد وصف -في مقابلة مع قناة «الجزيرة»- الحشد الشعبي بأنه تنظيم إرهابي، واتهم إيران بالوقوف وراءه، محذرًا من سياساتها «التي أصبحت تؤلم في العراق»، بل وفي شهر (يونيو من ٢٠١٧) جددت تركيا موقفها الرافض لمشاركة الحشد في معركة تلعفر بالموصل، وهو الرفض الذي سبقه إنذار جاء على لسان أردوغان -أيضًا- في (أكتوبر ٢٠١٦)؛ حيث حذر من القيام بأي تجاوزات بحق تركمان بلدة تلعفر، مؤكدًا أن الرد التركي سيكون «مختلفًا» في مدينة تلعفر «التركمانية» والمهمة لتركيا.

هذه التصريحات التركية كان يمكن الاعتداد بها لولا أن تحولًا كبيرًا انتاب هذا الموقف بعد اندلاع أزمة إقليم كردستان، وحدوث تقارب تركي-إيراني، عكسته زيارات متبادلة بين قيادات البلدين، أبرزها: زيارة أردوغان إلى طهران في بداية (أكتوبر ٢٠١٧).

■ **الموقف السعودي:**

يعد الموقف السعودي من الحشد الشعبي الأكثر ثباتًا من بين كل المواقف الإقليمية والدولية، لأن المملكة تدرك جيدًا أن هذه الميليشيا هي واحدة من أهم خطوات إيران لاستنساخ تجربة حزب الله اللبناني؛ ليصبح الحشد -وبعد سنوات- دولة داخل الدولة، فتضمن بذلك إيران السيطرة -ولأمد بعيد- على العراق ومقدراته، في إطار الهدف الإيراني الكبير.

وبرز الموقف السعودي من الحشد في تصريحات على لسان وزير خارجيّتها عادل الجبير؛ الذي قال في يوليو (٢٠١٦): «إنّ الحشد الشعبيّ طائفيّ، ولا بدّ من تفكيكه؛ لأنّه يؤجّج التوتّر الطائفيّ».

وإلى قريب من هذا ذهبت دولة الإمارات العربيّة المتّحدة؛ الّتي عدّت بعض فصائل الحشد الشعبي «جماعات إرهابيّة»، وذلك في عام (٢٠١٤).

• **الرد العراقي:**

على أي حال؛ لم تقف الحكومة العراقية صامتة تجاه هذه التصريحات والمواقف الدولية والإقليمية من الحشد؛ فقد دافعت عنه باستماتة، الأمر الذي يؤكد أن الحشد ليس مجرد جماعة وظيفية تقوم بدور وينتهي!

ففي تعليق لرئاسة الوزراء العراقية ووزارة الخارجية الإيرانية في (٢٣ أكتوبر ٢٠١٧) على تصريحات لوزير الخارجية الأمريكي ريكس تيلرسون حول الحشد؛ أعرب العبادي عن استغرابه من تصريحات تيلرسون! قائلًا: «إن الحشد الشعبي قوات وطنية، ولا يحق لأي جهة التدخل في شؤوننا».

بل إن إيران لم تتردد في أن تدافع هي الأخرى عن الحشد؛ إذ انتقد وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف تصريحات تيلرسون، قائلًا أنها متأثرة بالسعودية -الخصم الإقليمي لإيران-.

كذلك؛ وردًّا على الموقف السعودي استدعت وزارة الخارجية العراقية في شهر (يناير ٢٠١٦) السفير السعودي لدى بغداد ثامر السبهان، احتجاجًا على تصريحات قال فيها: «إن قوات الحشد الشعبي -التي تقاتل داعش- لا تلقى قبولًا لدى الأكراد وأبناء السنة في البلاد»، داعيًا إياها إلى ترك جبهات القتال للجيش العراقي.

■ **أشياء أخرى :**

أيضًا هناك حزمة من المسائل التي يجب النظر إليها عند استشراف مستقبل الحشد الشعبي منها:

■ **دوافع البقاء:**

وفق الكثير من التصريحات التي أدلى بها قيادات للحشد يمكن قراءة ما يعتزمه هؤلاء بشأن المستقبل؛ إذ أشاروا إلى أن الهدف من الحشد يتجاوز ما كان قد تم الإعلان عنه في البداية وهو: مقاتلة تنظيم «داعش»، خاصة وقد حصل على شرعية؛ مثله مثل جهاز مكافحة الإرهاب، وبقية الأجهزة الأمنية.

ومن ذلك: ما صرح به القيادي في جماعة «جند الإمام»، المنضوية بالحشد مصطفى الياسري؛ حيث قال: «أرى أن الحشد الشعبي سيبقى طالما أن الفساد مستشرٍ في العراق ودول الجوار».

ومضيفًا أن: «الحشد الشعبي هو أداة لدى السلطة الدينية والتشريعية والحكومة العراقية، وسيف مشرع للتصدي لأي محاولة للفساد».

وربما حسم أحمد الأسدي الأمر بتصريحه لـ «المونيتور»؛ حيث قال: «إنّ الحشد الشعبيّ سوف يتحوّل إلى قوّة حكوميّة مستقلّة عن سيطرة الأحزاب السياسيّة؛ عبر الارتباط المباشر بالقائد العام للقوّات المسلّحة حيدر العبادي».

وفي تصريح آخر لموقع «عربي ٢١» لم ينف طموح الحشد السياسي؛ حيث قال: «إن الحشد لم ينف نيته استلام جزء من السلطة في العملية السياسيّة؛ لا سيما بعد تهالك مشروعية

الأحزاب والقوى الحاكمة بعد عام (٢٠٠٣)، بسبب الفساد والفشل الحكومي، وزيادة غضب الشارع».

وأشار الأسدي إلى أن الحشد ليس بالقوة العسكرية التي تقاتل وتتراجع إلى الثكنات؛ فهو مشروع استراتيجي، ويعمل على استقرار العراق وتحريره من الإرهاب الفكري والمسلح، وبالنسبة لمستقبله فالعراق وحده من يحدده، لذا فإن العمل العسكري للحشد لا يمنع الطموح في السياسة.

■ **ازدواجية الولاء:**

يتحسب الكثير من المراقبين للشأن العراقي -حتى من بين الشيعة أنفسهم- إلى أن قيام الحشد الشعبي بلعب دور عسكري ثم سياسي سيفجر أزمة كبيرة في الداخل العراقي، وهو ما يدفعهم إلى إبداء بعض الامتعاض، ذلك أنهم يرون أنه ومع ضم هذه الميلشيات إلى القوات المسلحة لكن هذا لن يعدم ولاء عناصر هذه الميلشيات إلى الفصائل التي كانت ضمنها.

وتعكس تصريحات الناشط السياسيّ هادي والي الظالمي لـ «المونيتور» مثل هذا التخوف؛ حيث قال: «سوف يبقى ولاء الفصائل المسلّحة محصورًا بزعامات الأحزاب والجماعات والمناطق، وإنّ إطلاق تسمية: «الحشد» على هؤلاء المقاتلين لن يغيّر من الحقيقة؛ إذ تبقى إيديولوجيّتها في الولاء للزعامة الدينيّة أو السياسيّة الّتي تمثّلها وتوفّر الدعم لها».

■ **إشكاليات وتحديات:**

كذلك؛ فإن هناك تحديات تتعلق بحالة الرفض من قبل بعض المكونات السنية والشيعية لهذه الرغبة في اتساع دور الحشد الشعبي؛ التي تردد أنها لن تنحصر فقط في المشاركة بالانتخابات، وإنما ربما المشاركة في تشكيل الحكومة؛ عبر إسناد بعض الحقائب الوزارية لشخصيات محسوبة عليه، وهو ما دفع تحالف القوى السنية والتحالف الكردستاني الكردي إلى أن يعربوا عن تخوفهم من تحكم الحشد في السلطة، وبالتالي يستخدم لتكريس هيمنة الشيعة على المشهد العراقي.

أما الخلاف داخل البيت الشيعي حول الحشد؛ فيبرز بين اتجاهين:

أحدهما: يتزعمه نوري المالكي.

والآخر: مقتدى الصدر -زعيم التيار الصدري-؛ الذي يرى في الحشد سلاحًا بيد خصمه وغريمه اللدود المالكي، وأداة لمواصلة تهميش الصدريين، ومنعهم من الارتقاء إلى مناصب قيادية في السلطة.

إذ من المعلوم أن المالكي يرتبط بتحالفات وثيقة مع كبار قادة الحشد، وفي مقدّمتهم: هادي العامري -زعيم منظمة بدر-، إضافة إلى زعماء فصائل معروفة بعدائها للصدر، مثل: عصائب أهل الحقّ، وحزب الله-العراق.

فيما يرى بعض المحللين احتمالية أن يكون صراع ما بعد التخلص من «داعش» بين الحشد وقوات أمنية أخرى؛ كجهاز مكافحة الإرهاب؛ خاصة وأن الحشد مدعوم من إيران، فيما جهاز مكافحة الإرهاب مدعوم من أمريكا.

◄ **السيناريو المحتمل:**

ترتيبًا على ما سبق، وفي ضوء المقدمات التي سقناها؛ فإنه لا يمكن الجدال حول أن الظروف أصبحت مواتية بشكل كبير لكي ينتقل الحشد الشعبي لخطوة أخرى لتحقيق الخطة الإيرانية؛ لكي يصبح نسخة جديدة لحزب الله اللبناني؛ ليكون القوة السياسية الأولى في العراق، تدعمها قوة عسكرية تصبح يومًا بعد يوم هي الأقوى؛ سواء كان ذلك عبر تنامي بنائه الذاتي، أو عبر السيطرة على الجيش العراقي.

وبالطبع؛ فإن الحشد ومن خلفه يراهنون على اكتساب المزيد من الوقت، والدخول في مناورات سياسية معقدة ومتشابكة، مستغلين التطورات المتلاحقة في المنطقة برمّتها؛ حتى يمكنهم الوصول إلى النقطة التي يصعب معها بدرجة كبيرة جدًّا مواجهة تنفيذ ما يراد للعراق؛ من خضوعه للسيطرة الإيرانية عبر وكلائها الذين يقودون الحشد الشعبي!

الانحرافات المعاصرة في مسائل الجهاد

عرض: أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

هذا الكتاب هو بالأصل جزء من رسالة دكتوراة للمؤلف، وهو: الدكتور راشد بن عثمان الزهراني بنفس العنوان، وأصدر جزءًا آخر منها بعنوان: «الجماعات الجهادية المعاصرة وأبرز قياداتها الفكرية»[1]، وقد صدرا عن فجر الإبداع سنة (٢٠١٦)، ويقع كتابنا هذا في (٤٤٠) صفحة.

الحقيقة أن الكتاب مهم في موضوعه ومضمونه، وهو من الكتب التي تعالج مواضيع الساعة التي تواجه الأمة بلغة سهلة وواضحة، مع عمق علمي بالغ واستيعاب لكثير من الشبهات في هذا الباب.

يتميز الكتاب بأنه جمَع شبهات الغلاة وانحرافاتهم في باب الجهاد من عدة مصادر وتوجهات، فهو يبدأ بسرد ما قاله الغلاة من انحرافات في الموضوع مما يكشف عن مدى استفحال هذه الانحرافات في كتب الغلاة من مختلف البلاد والتوجهات والفترات الزمنية، مما يجعل منه شبه فهرس جامع لشبهات وانحرافات الغلاة في باب الجهاد، ومن ثم يردّ عليها ويفنّدها بالدليل الشرعي والدليل العقلي.

وأحيانًا يسرد تراجعات بعض الغلاة عن هذا الانحراف، مما يكشف عن مقدار الخلل والجهل الذي يتميز به منظرو الغلاة في شبابهم؛ حين تبنّوا هذه الانحرافات، وكيف أنهم أنفسهم تراجعوا عنها مع الخبرة والتعلم، ولكن بعد حصول الكوارث وإراقة الكثير من الدماء والأموال المعصومة! وبعد أن زعزعوا أمان واستقرار بلاد المسلمين! وضيّقوا على الدعوة الإسلامية! وأعانوا الكفار على بلاد الإسلام! وجرّوا الدول والأنظمة للتشدد والظلم كردة فعل في بعض الأحيان!

للأسف أن هذا الكتاب الهام وأمثاله لا تحظى بالانتشار المطلوب شعبيًّا لتحصين الوعي وتنوير الأذهان، فلا تحظى بتغطية إعلامية ولا دعاية مناسبة بحجم أهميته وموضوعه، ولذلك تنتشر كتب الغلاة، ويتم تداولها أضعاف أضعاف الكتب المتخصصة بكشف ضلال الغلو والانحرافات!

وهذا خلل يجب معالجته؛ من خلال اهتمام المؤسسات العلمية والإعلامية بتبني مثل هذه الكتب في طبعات شعبية لتصل فوائدها للمجتمع؛ إما عبر المدرسين في الجامعات والمساجد والكتّاب والمتحدّثين في وسائل الإعلام، أو من خلال اعتمادها في الكتب المجانية أو المدعومة في الحملات الثقافية الرسمية، فتصل للشباب وعامة الناس، ولا تبقى حكرًا على المختصين والمتابعين بشكل دقيق للمؤلفات في هذا الباب.

الكتاب جاء في تمهيد وفصلين:

التمهيد: تعرّض لمفهوم الجهاد وأنواعه وحكمه وشروط وجوبه.

أما الفصل الأول: فتعرض لسرد انحرافات جماعات الغلو والتطرف في باب الجهاد والردّ عليها، **وقد احتوى على (١٢) شبهة** هي:

١ - دعوى وجوب جهاد الدول التي لا تحكم بشرع الله لكفرها.

٢ - وجوب جهاد حكام الدول الإسلامية لتعطيل الجهاد في هذا العصر.

٣ - اشتراط المشاركة في الجهاد لقبول قول العالم في مسائله.

٤ - تطبيق أحكام الطائفة الممتنعة على الدول الإسلاميَّة.

٥ - مفسدة بقاء الكفر أعظم من مفسدة القتل.

٦ - دعوى عدم صحة المعاهدات الدولية في هذا العصر.

٧ - وجوب قتل النّفس عندما يقع الفرد أسيرًا في أيدي رجال الأمن.

٨ - التوسع في قتل الأبرياء المعصومين استدلالًا بمسألة التترس.

٩ - دعوى جواز قتل الأطفال والنساء داخل الدول الإسلاميَّة بدعوى تبييت العدو.

١٠ - دعوى كفر من استعان بغير المسلم لقتال المسلم الصائل.

١١ - دعوى أن الجهاد في هذا الزمان جهاد دفع، وهو فرض عين على جميع الأمة.

١٢ - مفهومهم لحديث إخراج المشركين من جزيرة العرب.

ويصعب هنا استعراض ردود المؤلف على هذه الشبهات؛ لتشعّب الرد وتعدد وجوهه، ولكن كل من يشتغل بمقاومة الغلو سيجد في جهد المؤلف غنيمة باردة تكفيه الكثير من البحث والعناء في بطون الكتب وردود العلماء على أهل الغلو.

وتقريبًا تستوعب هذه الشبهات التي فنّدها المؤلف أغلب شبهات هذه الجماعات والتنظيمات والتي تتكرر كل فترة بحسب التنظيم الجديد، والذي يشغل الساحة بشبهاته.

ومن المؤسف أن يبقى كثير من الشباب مغترًّا بهذه الشبهات الساقطة، بسبب رواج الشبهة وتزويقها بالخطاب الحماسي والنشيد العاطفي، فيما تقبع كتب الردود على الرفوف منزوية يعلوها الغبار لا يعلم عنها الشباب شيئًا!

الفصل الثاني: خصّصه المؤلف لبيان أسباب الخلل والانحراف عند الغلاة في مسائل الجهاد؛ والتي تم بيانها وتفصيلها، **وهي خمسة أسباب:**

١) الجهل بأحكام الجهاد ومقاصده.

٢) بناء الكفر والإيمان على مسائل فقهية خلافية لا عقدية.

٣) عدم الأخذ بالمفهوم الشامل لمعنى الجهاد.

٤) الجهل بمنهج السلف في الاستدلال وتقرير المسائل.

٥) الخلل في فهم مسائل التكفير والولاء والبراء والبيعة في مسائل الجهاد.

ومن خلال بيان الباحث هذه الأسباب يظهر جليًّا تكرارها عند كل جماعات ومنظري جماعات الغلو المعاصرة، فالجهل الناتج عن صغر السن وقلة العلم ينتج هذه الكوارث، ولاحقًا تتم المراجعات والتراجعات بعد نضج التجربة والسن والعلم نوعًا ما!

ولذلك؛ فإن تلخيص مثل هذا الكتاب وأمثاله ونشره بين الشباب مبكرًا سيكون له دور توعوي مبكر وتحصين فكري وشرعي قبل وقوع الكارثة.

ومَن تأمل في مئات الآلاف من الشباب في مختلف البلدان، والذين كانت لهم صلة بالعلماء؛ يجد أنهم نجوا من فتنة الغلو والانحراف التي تمكنت من الشباب الصغار في السن والعلم، والبعيدين عن العلماء وحلقاتهم ودروسهم وتوجيهاتهم.

وهو تكرار لتجربة الخوارج الأُول مع حبر الأمة عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما حين جاء فناظرهم؛ فرجع وتاب معه عدة آلاف من جلسة واحدة!

الخلاصة:

هذا الكتاب مرجع مهم في باب تفنيد فكر الغلو والتطرف، ويلزم نشره بشكل واسع على الدعاة والمحتكين بالشباب، وبين الشباب أنفسهم؛ لنستثمر طاقاتهم فيما يعود بالنفع والخير على أنفسهم وأمتهم.

وهو - أيضًا - كتاب متميز في التعريف بهذه الجماعات ومنظري الغلو من منظور شرعي علمي، وليس كالمؤلفات التجارية والصحفية في السوق.

الاجتماع والاتفاق بركة

قالوا: اجتماع وليّي عهد السعودية والإمارات ورئيس التجمع اليمني للإصلاح مؤشر إيجابي، أرجو أن تحصد الساحة اليمنية ثماره في ظل الحراك الذي أعقب نهاية علي عبد الله صالح.

اللّهم أصلح ذات بين المسلمين!

د. محمد بن إبراهيم السعيدي،

تغريدة على تويتر، ١٣/ ١٢/ ٢٠١٧

هم العدو فاحذرهم!

قالوا: كشفت شركة فاير آي (Fire Eye) العالمية المتخصصة في أمن المعلومات في تقرير جديد لها: أن قراصنة مرتبطين بالحكومة الإيرانية يعملون ضمن مجموعة (APT ٣٤) تجسسوا على مؤسسات حكومية وصناعية لتركيا والسعودية وقطر والإمارات ولبنان والكويت.

وأن المخترقين استخدموا -أحيانًا- تقنية الاختراق المعروفة باسم: (Spear Phishing)، أو الاصطياد بالرمح، وهي نوع من أنواع هجمات الاصطياد التي تركز على مستخدم واحد أو دائرة داخل منظمة، يتم شنّها من خلال انتحال هوية جهة جديرة بالثقة لطلب معلومات سرية، مثل: أسماء تسجيل الدخول وكلمات المرور.

ترك برس، ٩/ ١٢/ ٢٠١٧

باختصار مفيد

قالوا: «حلف الممانعة»: صراخهم ضد إسرائيل، وصواريخهم على العرب!

هادي الأمين، تغريدة على تويتر

المطلوب الآن

قالوا: مفاهيم صوفية تسللت إلينا: الحث على الرجوع لله والتوبة لتعود فلسطين أو لننتصر... كلام صحيح لكنه عام.

هناك تفاصيل أخرى لا بد من العمل بها لتحقيق النصر، وليست التوبة والعودة وحدهما تكفيان، ولذلك فصّل المولى: فأمر بإعداد العدة، والعمل، والتخطيط... كل ذلك مطلوب للنصر.

لذلك مخطئ من يقول: إن القدس لا تعود بالسياسة، لأن السياسة الشرعية جزء من عودتنا لله، العودة لله تعني: العودة لِما أمر الله به كله، وليس لشيء دون آخر... أما العودة بالتوبة والاستغفار وحسْب؛ فهي مفاهيم صوفية تسللت إلينا.

إياد القيسي، صفحته على الفيس بوك

انقلاب في الموازين

قالوا: ومن العجيب أن ينفق في العالم على تعليم الجهل أكثر مما ينفق على تعليم العلم!!

نور الدين علي الشافعي، صفحته على الفيس بوك

إيران: تحرير القدس يمر عبر تدمير العرب

د.نبيل العتوم- موقع مركز أمية، ٢٠١٧/١٢/١١

بعد ثمانية وثلاثين عامًا من «الثورة الإسلامية» الإيرانية: ماذا قدمت طهران للقضية الفلسطينية وتحرير القدس؟! عشنا في إيران، وسمعنا الشعارات والخطب الجوفاء والشعارات الرنانة، وتبادل مُحكم بين قادة إيران ونخبها السياسية والعسكرية ببراعة فائقة أدوار الصراخ والعويل من أجل فلسطين، والادعاء بأنها القضية المركزية للثورة الإسلامية ، وهي من ثوابت سياستها الخارجية.

الأمر المؤكد أن القضية الفلسطينية تندرج ضمن بؤر اهتمام الدولة والثورة الإيرانية، لكن ليس من زاوية الدفاع الحقيقي عن القدس والشعب الفلسطيني، أو السعي لحل قضيته العادلة وتحرير بيت المقدس -الذي لا تعترف بوجوده أصلًا-؛ ولكن من باب توظيفها سياسيًّا وإستراتيجيًّا وفكريًّا ضمن «العدة والكرستا» الخاصة بمكياج النظام الإيراني وتلميعه! والادعاء الكاذب بأن طهران تقود ما يعرف بـ «محور الممانعة»! وغير ذلك من المزاعم الواهية.

في حين أن الحقيقة واضحة كالشمس؛ فهي فعلًا تقود محاور المقاومة، لكن لم تتحمل يومًا عبء مواجهة إسرائيل بشكل مباشر؛ لكن لماذا؟

قد يجادل بعض الغارقين بأحلامهم بالقول: إن الملالي يقدمون الأموال والسلاح لمحور الممانعة، والمفارقة التي لا يدركونها أن ما تدفعه إيران في هذا الإطار هو: «تكلفة ذات عائد مجد ومربح»؛ لتوظيف التنظيمات والحركات دفاعًا عن مجالها الحيوي وأمنها القومي؛ من خلال ما اصطلحت إيران على توصيفه بشبكة الأمان، وبموازاة ذلك الترويج لدعاية سياسية تصب لمصلحة النظام الإيراني من قبيل دعم المستضعفين، والحركات التحريرية، وهزيمة المستكبرين.

أثبتت الأحداث في منطقتنا أن إيران وظفت ساحة الأزمات العربية للاتجار بها، وباتت تتصدر عن جدارة أهم تجار الحروب وسماسرة الصراعات بلا منازع؛ الذين لعبوا أدوارًا مخيفة في تدمير العديد من دول المنطقة، وفي مقدمتها: سوريا، والعراق، واليمن، ولبنان... لإعادة هندسة المنطقة وفق مؤشر طائفي مذهبي مدمر، ووفق أسس مصالحية جديدة تناسب أهداف القوى الإقليمية والكبرى من دون مراعاة مصالح الشعوب العربية التي باتت أحد الأهداف لطحنها وسحقها، وبشكل بات لإيران الفضل الأكبر لتكون القضية الفلسطينية في ذيل القائمة بلا منازع.

يُدرك الإنسان العادي البسيط أن القواسم المشتركة بين إيران وإسرائيل كثيرة، وأن شعارات الموت لإسرائيل ليست سوى «بروبغندا» لتجارة سياسية قذرة، تصب في مصلحة إيران وإسرائيل معًا؛ فالثورة الإيرانية منذ انتصارها ولغاية اليوم تتاجر بهذه الشعارات الرنانة لكسب تعاطف وود الشعوب العربية والإسلامية المغلوبة على أمرها، وهذا الأمر يخدم إسرائيل أيضًا؛ التي لا تُريد غطاء عربيًّا للقضية الفلسطينية، أو على الأقل تريد

خلافًا طاحنًا على أحقية رعاية القضية بين العرب وإيران وتركيا؛ بعد نجاح إيران تنصيب نفسها زعيمة لمحور الممانعة والمماتعة.

وتل أبيب -أيضًا- هي الأكثر توظيفًا لهذه الادعاءات الإيرانية الفارغة المضمون! حيث توظفها في الترويج لفكرة المؤامرة والخطر الداهم الذي يتهددها! وتحصيل ما أمكن وبارك المساعدات المالية الضخمة، وعلى أحدث الترسانات العسكرية، وكان أخرها: أحدث طائرة قتالية في العالم (إف ٣٥)، بحجة مواجهة الخطر الإيراني .

أما كروت إيران التي تشكل أدوات وأوراق تفاوضية مثل: «حزب الله بفروعه»، وحركة «الحشد الشعبي»، وغيرها، وفي كل مكان يُذكر فيه اسم إيران عاليًا؛ فهي أوراق طهران «المكينة» لابتزاز العرب والغرب معًا؛ للحصول على مكاسب إقليمية، والمساومة خدمة لمشروعها التوسعي، فمن دون نفوذ قوي في دول ومناطق حيوية مثل: لبنان واليمن وسوريا وغيرها لم تكن إيران لتستطيع أن تنتزع الاعتراف بمكانتها الإقليمية، وزعامتها، ودورها، وبرنامجها النووي.

هل يتصور أحد أن إيران يمكن أن تكون حليفًا موثوقًا للعرب؛ حتى على مستوى الانخراط المباشر لمواجهة إسرائيل؟!

وهل يعتقد أحد أن مشروع إيران الصاروخي والنووي والمنوي والفضائي موجه ضد إسرائيل بالدرجة الأولى؟!

ونحن نستذكر سياسة الاستعراض و«العرط السياسي» التي قام بها الجيش الإيراني الذي أبدى الاستعداد لتوجيه صواريخه لدك الرياض والخليج؛ بعد أن قامت إيران بالكشف عن «منشأة عماد الصاروخية»، وهي أكبر مخزن صاروخي في تاريخ إيران؛ الذي لم تعلن عن وجوده أصلًا في ذروة الأزمات مع إسرائيل، وقت الاعتداء على غزه و لبنان.

المؤكد أن القدرات العسكرية الإيرانية هدفها: تخويف الدول العربية وردعها، فإيران التي صدعت رؤوسنا بانجازاتها الصاروخية لم تُطلق يومًا ما طلقة واحدة ضد إسرائيل! أما فيلق قدسها المشئوم فهو الذي أعمل قتلًا وذبحًا لأهلنا في سوريا والعراق ولبنان.

أما حروب النجم الإعلامي البارع (حسن نصر الله)! ضد إسرائيل؛ فهي حروب وكالة للدفاع عن الولي الفقيه؛ التي ولدت ثأرًا شعبيًّا «عربيًّا وإسلاميًّا» مع مرتزقة حزب الله؛ اللذين باتوا أحد أدوات إيران الفتاكة للانتقام من الخصوم والمنافسين والشعوب والحركات التحريرية، وذبح العرب «السُّنة».

هذا العام كان احتفال الولي الفقيه بـ «يوم القدس» ملفتًا؛ حيث جابت مسيرات شوارع طهران، ردد الإيرانيون خلالها هتافات ضد المملكة العربية السعودية، وداعش، والتكفيرين؛ عوضًا عن أميركا وإسرائيل!

وفي هذا العام احتفلت إيران بإطلاق صواريخها البالستية «ذو الفقار» على دير الزور في سوريا.

وفي هذا العام أطلقت مليشيا أنصار الله الحوثية وبرعاية رسمية إيرانية (٨٤) صاروخ على السعودية، من ضمنها ثلاثة صواريخ مستهدفة مكة المكرمة.

وفي هذا العام سجل اختراق إيران للأمن القومي العربي أسوأ حالاته؛ حيث تمكنت أجهزة الأمن العربية من ضبط (١١) خلية نائمة إيرانية، من ضمنها: خلية العبدلي في الكويت القادرة على نسف أمن الكويت وسلمه الأهلي، والتي توعد فيها (علي لاريجاني) بقدرة إيران على قلب نظام الحكم في الكويت خلال ساعات، والمخفي أعظم!

وهذا العام ستحتفل إيران بضم (٣١) مليشيا متعددة الجنسيات -إلا من الإيراني - لإنعاش محور المقازمة الإسلامية العالمية.

وهذا العام كذلك «تعززت الشعارات، وتنوعت بما لذّ وطاب، بعد أنَّ كان الطريق إلى القدس تمرّ ببغداد»، ومع مرور الأشهر، وتصاعد وتيرة الحريق الإقليمي؛ تكاثرت الطرق الإيرانية التي تصل إيران إلى «القدس»! من بغداد وبيروت ودمشق وحلب ودير الزور والمنامة وصنعاء والكويت، بانتظار أن تدخل البورصة أسماء جديدة... والحبل على الجرار.

وبالأمس أشار قائد «فيلق محمد رسول الله» -التابع للحرس الثوري الإسلامي- إلى الوضع اليمني، وما شهده من تحولات في الأيام الأخيرة، مبشرًا بأننا سوف نسمع أخبار سارة سوف تدمر المؤامرات وتحبطها، وتصبح الطريق سالكًا بشكل أكبر لتفرغ إيران لتحرير القدس.

بموازاة ذلك وللمفارقة كشفت السلطات الإيرانية هذا العام عن لوحة كبيرة للعد العكسي في ساحة فلسطين وسط طهران، تعرض عدد «الأيام المتبقية لتدمير إسرائيل» وزوالها! لكن لم يبلغونا من أي طريق ومعبر هذه المرة؟!!

وهذا العام وللمفارقة -أيضًا- انطلقت سمفونيّة موحّدة من حناجر الولي الفقيه وزمرته، ومخالبه ومرتزقته الإقليميين في لبنان (حسن نصر الله)، والعراق (نوري المالكي)، واليمن (الحوثي) في وقت واحد، محذرة بالويل والثبور عن «بزوغ نجم حركات إرهابية جديدة»، ستنقض على دول المنطقة وشعوبها، وأوصونا بعض النواجذ على إيران وحمايتها؛ حتى تتمكن من الدفاع عن المنطقة وأمنها واستقرارها!

لا شك بأن هذه المعزوفة من التهديدات وغيرها تُشكل لحظة حاسمة في نبرة التهديدات الإيرانية، ليس لغرض؛ إلا لتدمير المنطقة واستنزافها، تحت شعار كاذب عنوانه: «العبور إلى القدس وتحريرها»!

زار لبنان وسبب الكثير من الجدل.. مَن هو «قيس الخزعلي»؟

رستم محمود- موقع درج، ٢٠١٧/١٢/١٣

في صوره الكثيرة يظهر قائد ميليشيا «عصائب أهل الحق» العراقية قيس الخزعلي تارة مرتديًا عمامة رجل الدين، وتارة أخرى مرتديًا بدلةً عسكرية، على نحو ما ظهر مؤخرًا في جنوب لبنان، حين تفقد مواقع حزب الله فيه.

لكن الخزعلي يخلط أحيانًا بين القيافتين؛ فيرتدي الزيّ العسكري، ويضع عمامة بيضاء، وهذا ما دأب عليه رجال دين شيعة بدءًا من الحرب العراقية الايرانية، وكانت لحظة «الحشد الشعبي» مناسبة لتكثيف هذا الميل، ففي تلك اللحظة صارت الطائفة كلها ميليشيا مقاتلة، ولم يقو صاحب عمامة عريقة، مثل: رئيس التحالف الوطني العراقي عمار الحكيم من مقاومة البدلة العسكرية، فما بالك بحديثي النعمة في ارتدائها من أمثال قيس؟!

وها هو الرجل يصل إلى الحدود اللبنانية الإسرائيلية كواحد من جند قائد فيلق القدس الإيراني الجنرال قاسم سليماني، وفي سيرته الشخصية قبل سقوط نظام صدام وبعده الكثير من العناصر التي تؤشر إلى ما آلت إليه حال قيس كواحد من جنود سليماني.

الخزعلي المولود عام (١٩٧٤) في منطقة «مدينة الصدر» شرق العاصمة بغداد، والعائد بأصوله العائلية والعشائرية إلى بلدة الناصرية العراقية الجنوبية، قادم من خلفية اجتماعية سياسية متواضعة، لكن يحمله الطموح الشخصي الجامح مُنذ أوائل شبابه لأن يصعد في سلم السُلطة والحُكم، لاعبًا ومستفيدًا من تناقضات القوى السياسية، ومساهمًا مباشرًا في المليشيات العسكرية؛ التي تسعى للانقضاض على السُلطة «الشرعية» والحلول مكانها.

اعتبارًا من أواسط التسعينات تلقى الخزعلي في حوزة المرجع الديني الشيعي السيد محمد محمد صادق الصدر معارفه الدينية والأيديولوجية الأساسية الأولى، بعدما كان قد درس الجيولوجيا في كلية العلوم بجامعة بغداد.

حادثتان رئيسيتان كونتا «وجدانه السياسي»: الانتفاضة الشيعية (الشعبانية)؛ التي اندلعت في كافة مُدن جنوب العراق، عقب انسحاب الجيش العراقي من الكويت، في ربيع عام (١٩٩١)، والتي قُمعت بوحشية وطائفية مُنقطعة النظير من قِبل النِظام العراقي السابق! وقد شكل «إذلال» المرجع الديني السيد محمد محمد صادق الصدر ذروة ذلك القمع؛ حينما أُجبر على الظهور على القناة التلفزيونية الرسمية، مُعلنًا تنديده بتلك الانتفاضة، وتأيده للنِظام العراقي.

الحادث الثاني تمثل في اغتيال السيد الصدر نفسه عام (١٩٩٩)، فالصدر الذي كان ذو مكانة روحية ووجدانية استثنائية في قلوب مُقلديه من الشيعة العراقيين؛ شكل اغتياله صدمة شديدة لهم.. والنِظام نفذ قتله بدمٍ بارد، ودون أن يكون ثمة أيّ «سببٍ» مباشر لاغتياله! فالصدر تمت تصفيته لأنه شخصية شيعية ذات وزنٍ وحضور لدى ملايين العراقيين الشيعة فحسب، الأمر الذي كان يدفع بالنِظام العراقي لأن يستشعر منه خطرًا شديدًا.

لم تكن ردة فعل الخزعلي -الشاب وقتئذٍ- سوى الالتصاق بنجل «مُعلمه» الوحيد الذي بقي على قيد الحياة: «مُقتدى الصدر»، وأن يكون واحدًا من أكثر الأوفياء له في السنوات الأربعة التي فصلت بين اغتيال الصدر الوالد وصعود مُقتدى السياسي، بعد الغزو الأميركي عام (٢٠٠٣).

وأثناء إعلان الصدر الابن «المقاومة» بوجه الاحتلال الأميركي كان الخزعلي الناطق الرسمي باسم «جيش المهدي» الموالي للصدر.

لكن بوادر الشقاق الأول بين «الشابين» بدأت اعتبارًا من النصف الثاني من عام (٢٠٠٤)؛ فالخزعلي اتهم الصدر بمُهادنة الاحتلال، بعد توقيع جيش المهدي على وقف إطلاق النار مع الحكومة العراقية في ذلك العام.

والصدر اتهم الأخير بتأسيس جماعة خاصة ضمن جيش المهدي، مع عبد الهادي الدراجي وأكرم الكعبي.

إلا أن العديد من أحاديث الساسة العراقيين تذهب إلى أن نوري المالكي، والعديد من قادة حزب الدعوة -المنافس الشيعي للتيار الصدري- كانوا يدعمون قيس الخزعلي سرًّا؛ ليخلقوا شقاقًا سياسيًّا وشعبيًّا وعسكريًّا ضمن التيار الصدري.

علمًا أن مقتدى الصدر اشتكى من عنف الخزعلي ومن طائفيته! وقال في مقابلة تلفزيونية أن الأخير ردّ على اختطاف شقيقه من قبل ميليشيا سنية، باختطاف (١٥٠٠) عراقي سني، مصير الكثير منهم ما زال مجهولًا!

على أن خلافات الطرفين -ضمن وعلى جيش المهدي، وأجنحته غير الرسمية- بقيت غير واضحة إلى أواخر عام (٢٠٠٨)، فحينما شنّت الحكومة العراقية عمليتها العسكرية الشهيرة على جيش المهدي؛ والتي سُميت: «صولة الفرسان»، وأدت لأن يحل الصدر جيش المهدي، ويبني تنظيمًا جديدًا سماه بـ: «لواء اليوم الموعود»، صارت ميليشيات «عصائب أهل الحق» التي كان الخزعلي قد أسسها مع قادة آخرين من التيار الصدري قبل ذلك بسنوات أصبحت مستقلة تمامًا عن جيش المهدي عسكريًّا، وعن «سطوة» مُقتدى الصدر أيديولوجيًّا وسياسيًّا.

منذ ذلك الوقت، والعلاقة بين الرجلين تشهد اتهامات غير مُباشرة يتبادلانها في كل مناسبة، الخزعلي يتهم الصدر وتياره السياسي بأنهم كانوا يهادنون المُحتل الأميركي، بينما يتهم

الصدر الخزعلي بموالاة إيران والتخلي عن مصالح التيار الصدري وقواعده الشعبية، وإغراق العراق -وبالذات العاصمة بغداد- بموجة الصراع الطائفي الدامي.

اعتقل الخزعلي مع بعض أفراد عائلته وقيادات ميليشياته من قِبل القوات البريطانية جنوب العراق عام (٢٠٠٧)، وبعد أكثر من سنتين ونصف من اعتقاله خطف مُناصروه خمس خبراء بريطانيين ضمن وزارة المالية العراقية، وتمّت مبادلتهم بالخزعلي في أواخر عام (٢٠٠٩).

بعد خروجه من السجن بدأ المرحلة الثالثة من سيرته السياسية، فالعراق وقتها كان يعيش مرحلة «استراتيجية أوباما»؛ التي تسعى لأن تنسحب من العراق عسكريًّا وسياسيًّا، حينها سعى الخزعلي لأن يستثمر خبرته العسكرية سياسيًّا، **لكنه كان يُعاني من ثلاثة مُعضلات رئيسة:**

لم يكن الرجل صادرًا من خلفية عائلية دينية شيعية «عريقة»، تستطيع أن تؤمن له شعبية وقواعد اجتماعية راسخة الولاء، كما هو حال أبناء الجيل الثالث للعائلات الدينية، مثل: آل الصدر والحكيم والخوئي، لذا؛ بقي مُعتمدًا على بضعة آلاف من المقاتلين في ميلشياته وعائلاتهم؛ الذين لم يستطيعوا أن يوصلوا إلا نائبًا واحدًا إلى البرلمان، من تجمعهم الانتخابي الذي سمى نفسه بـ: «الصادقون»، في انتخابات عام (٢٠١٤).

على رُغم ولائه السياسي وارتباطه العسكري والمالي بالأجهزة الإيرانية؛ إلا أن الأخيرة بقيت ترى الخزعلي كجهة وقوة مليشيوية فحسب، وليس طرفًا سياسيًّا رئيسيًّا؛ كحزب الدعوة والمجلس الأعلى وفيلق بدر -فيما بعد-.

لم يدخل الخزعلي وتنظيمه ضمن دورة استغلال الوزارات والمؤسسات العامة العراقية؛ كما فعلت باقي التنظيمات والقوى السياسية الشيعية؛ التي تحولت لتيارات سلطوية تعتمد على أجهزة الدولة لتوظيف مناصريها، والسيطرة على دورة الحياة العامة الاقتصادية والإدارية والبيروقراطية.

شكل تمدد تنظيم داعش ضمن مناطق المُثلث السُّني العراقي في صيف عام (٢٠١٤) مناسبة لأن يبدأ الخزعلي رابع مراحل مسيرته السياسية، فعودة العشرات من قادة تنظيمه العسكري من إيران، وتلقيهم الدعم المالي والاعتراف الشرعي من الدولة العراقية وسّع من نشاطهم في كافة مناطق العراق في محاربة داعش.

وحتى في الدول الإقليمية؛ فعصائب أهل الحق تعترف بمشاركتها في الحرب في سوريا، كما أن الخزعلي أعلن أكثر من مرة تأييده لميليشيات الحوثي في اليمن، وقوى المعارضة البحرينية الشيعية، وطبعًا تربطه علاقة وثيقة مع حزب الله اللبناني.

لأسباب مُركبة، تتعلق بالتطابق الرمزي والتشابه في السلوك والمُعايشة اليومية لآلاف المُقاتلين؛ فإن الخزعلي يُعد -راهنًا- واحدًا من القادة الشعبيين بين مناصريه، وواحدًا من الشخصيات السياسية التي يتوقع لها أن تصعد في الحياة العامة العراقية في المُستقبل المنظور.

إلا أن ذلك يتوقف على أمرين: إمكان مُشاركة مليشيات الحشد الشعبي في الانتخابات البرلمانية القادمة في شهر (أيار) القادم.

والأمر الآخر يتعلق بما سوف تتوصل إليه الحكومة العراقية من اتفاق مع الجانب الأميركي حول مُستقبل ميليشيات الحشد الشعبي في مرحلة ما بعد داعش، فالخزعلي لا يُمكن له أن يشكل زعامة سياسية أو شعبية من دون إسناد ومُساهمة في النشاط الميليشيوي.

مايك بينس .. الراعي الأول للأصولية

د. أحمد جميل العزم- الغد الأردنية، ٢٠١٧/١٢/١٢

من المؤمل استمرار الأطراف الفلسطينية والعربية في عمليّة مقاطعة نائب الرئيس الأميركي مايك بينس، في زيارته المقررة للمنطقة.

والمهم -أيضًا- أن توضع المقاطعة في إطارها الأوسع؛ الذي يتعدى قرار الاعتراف الأميركي الأخير بالقدس عاصمة لإسرائيل.

إلا أنّ بينس يلعب دورًا خطيرًا في «تديين» الصراعات، وخلط الدين بالسياسة.

وقدّم قبل أيام خطابًا توراتيًّا واضحًا في تبرير دعم الإسرائيليين، وهو يهيّئ لتولي الرئاسة الأميركية، بنشر أنصاره من العقائديين داخل مؤسسات القضاء والحكم الأميركية لتكون مهمته أسهل من مهمة ترامب في تمرير ما يريد .

في خطابه في احتفالٍ بالذكرى السبعين لقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة، رقم (١٨١)، قبل أيّام؛ احتفى بدور القرار بنشوء إسرائيل، ولكنه اعتبر الفضل الأساسي لقيام هذه الدولة هو: وجود «المسدس بيد، والمحراث بيد».

وأنّ نشوء إسرائيل تجسيد لنبوءة توراتية: «هل لبلد أن تولد في يوم، ولأمة أن تولد في لحظة».

وأنّ «المستحيل عدم ملاحظة أنّ يد السماء تقود ناسها، تكتب تاريخهم في اعادة بناء هذا الشعب القديم على الأرض التي ولدوا عليها».

وأخبرهم: «قضيتكم قضيتنا، وقيمكم قيمنا، وقتالكم (Fight) قتالنا».

وقال أنّ زيارته القادمة للقدس هي لكي «يمشي على الأرض المقدسة للمدينة المقدسة؛ التي بناها الملك داود قبل أكثر من (٣٠٠٠) عام».

في عددها الذي سيصدر مطلع العام المقبل تنشر مجلة «ذا أتلانتيك» تحقيقًا طويلًا، يبدأ بصورة بينس في زيٍ ديني تعبيري، وتُقدّم تفاصيل حياته، وما يفعله الآن، تمهيدًا لتولي الرئاسة.

أثناء دراسته في الجامعة تحالف مع مجموعات فيها المتدين وحتى مدمن المخدرات، والهدف هو: الانتخابات.

انتقل من الكاثوليكية إلى الإنجيلية، في إطار عمليّة تسييس جزء من هذا التيار وزيادة دوره السياسي.

وفي حملته الثانية الفاشلة لدخول الكونغرس، عام (١٩٩٠)، كانت أحدى دعاياته: كاريكاتير صورة شيخ عربي يشكر منافسه الديمقراطي على دعمه مصالح النفط الأجنبية، وبعد فشله الانتخابي تحول إلى مذيع يهاجم ما يراه انحلالًا أخلاقيًّا، والأغاني الحديثة، وغير ذلك، حتى عاد للانتخابات مجددًا -لاحقًا-.

وتذكّر المجلة بتصريح صحافي لبينس عام (٢٠٠٢) يقول فيه: «تأييدي لإسرائيل ينبع إلى حد كبير من إيماني الشخصي»، واعتبر أنّ الإسرائيليين هم أتباع إبراهيم، وأنه سيحصل على البركة إذا باركهم، وعلى اللعنة إذا أساء لهم.

تتساءل المجلة: كيف يوفق بين «خدمته» لدونالد ترامب؛ الذي يفتخر بصورة قديمة له يعلقها في مكتبه، وهو غلاف مجلة «Playboy» للتعري، ومع وجود فيديوهاته عن تحرشه بالنساء؟!

وتوضح المجلة كيف يقدّم بينس إجابة دينية عن إطاعة القائد (ولي الأمر) وخدمته؟!

مقابل لعب دور مطفئ الحرائق لزلات ترامب، ومقابل موازنة صورة الرئاسة بظهوره بمظهر رجل السياسة المتزن العاقل؛ يحصل بينس على مكاسب.

وأحد عناصر أجندته هي: تعديل القوانين الضريبية وقوانين أخرى تقوي الشركات التي يمتلكها متدينون.

ومن مكاسبه: أنّ غالبية الوزراء الحاليين من جماعته الدينية، وجرى إدخال قاضٍ للمحكمة العليا من ذات الجماعة.

واحتفل يوم (٣ آيار - مايو) مع مجلس استشاري انجيلي خاص للرئيس الأميركي ترامب، في حفل عشاء، في البيت الأبيض، بعد أن وقّع ترامب قرارًا زاد من الهامش المسموح به لرجال الدين لنشر وجهات نظرهم السياسية الخاصة في كنائسهم، وحرية الحديث بشأنها (أي: توظيف الدين للسياسة) .

بينس جزء أساسي من تحالف رجال الأعمال الصهاينة الأميركيين مع الصهيونية المسيحية، وهو يستند لتبريرات دينية في دعم إسرائيل، ويتعهد علنًا بمحاربة أي منظمة دولية تعترف بالفلسطينيين.

وهو كذلك يعلن موقفا واضحًا في عدم احترامه العرب، بما في ذلك دول الخليج النفطية، ويعتبر النفط العربي خطرًا.

وهذا الخطاب سيستفز أصوليات وقوميّات مضادة، ستضرب في كل مكان وليس ضد الأميركيين حصرًا أو بالضرورة.

والأخطر: لديه أجندة لتولي الحكم بنفسه، مع زيادة نفوذ مؤيديه أصحاب ذات المعتقدات في المؤسسات المختلفة؛ ليقضي على فكرة «حكم المؤسسات».

وبحسب المجلة؛ فإنّ جمهوريين وبينس يعتقدون أنّه قد يتولى الرئاسة -قريبًا-، إذا جرى إبعاد ترامب لأسباب قانونية، أو في انتخابات (٢٠٢٠).

التصدي لبينس وزيارته رفضٌ لمشروعٍ كبيرٍ جدًّا!

الاستراتيجية الصهيونية تجاه القدس